المؤتمر العلمي الثالث للآداب والعلوم الإنسانية
SCH
جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology
2003
١٤٢٤
المؤتمر العلمي الثالث
للآداب والعلوم الإنسانية
اللغة العربية
مكانتها ودورها في التنمية
18 - 19
ديسمبر
2023
المجلد الأول

الإشراف العام

أ.د / أحمد محمد برقعان

رئيس جامعة الأندلس

تنسيق وإخراج وتصميم الغلاف

أ / نشوان علي عبد الله الحلياني

٧٧١٣٦٦٦٤٠

AUST

SCH

جامعة الأندلس للعوم والتقنية

اليمن – صنعاء – بداية جسر دار سلم

تلفون:

فاكس:

www.andalusuniv.net

inf@andalusuniv.net

أعضاء اللجنة الإشرافية:

- أ.د أحمد محمد برقعان – رئيس الجامعة – رئيس المؤتمر – رئيس اللجنة الإشرافية
- أ.د عبدالله عباس المحرزي – نائب رئيس الجامعة – نائب رئيس اللجنة
- أ.م.د مطيع محمد شبالة – عميد الكلية – عضو اللجنة

أعضاء اللجنة التحضيرية:

١. أ.م.د مطيع محمد شبالة – رئيس اللجنة، بريد الكتروني / drmmsh2013@gmail.com

٢. أ.د علي أحمد الحاوري – عضو اللجنة، بريد الكتروني / dralialhawri@gmail.com

٣. أ.م.د علي عبدالله سراج – عضو اللجنة، بريد الكتروني / alisiraj3@gmail.com

٤. د. فهد حسين الصيف – عضو اللجنة، بريد الكتروني / fasaif74@gmail.com

٥. د. عبدالله صالح هران – عضو اللجنة، بريد الكتروني / dr.abdullah1962@gmail.com

٦. نشوان علي نشوان – عضو اللجنة، بريد الكتروني / nashwanali2020@gmail.com

٧. محمد عبدالملك جعمان – عضو اللجنة، بريد الكتروني / gaman2035@gmail.com

أعضاء لجنة التحكيم:

- أ.د. علياء سعدي الجبوري – أستاذ الأدب والبلاغة – جامعة المستنصرية – العراق.
- أ.د. أروى أحمد الربيع – أستاذ البلاغة – جامعة جرش – الأردن .
- أ.د. حسن القرني – أستاذ السرديات – جامعة أم القرى – السعودية .

- أ.د. أيمن محمد علي - أستاذ الأدب الأندلسي - جامعة دار العلوم - مصر .
- أ.د. محمد عبد الرحمن وراق - أستاذ اللسانيات - جامعة أم درمان - السودان .
- أ.د. زروقي عبد القادر - أستاذ الأدب العباسي - جامعة ابن خلدون - الجزائر .
- أ.د. عبدالله علي الصنوي - أستاذ الأدب القديم - جامعة صنعاء - اليمن .
- أ.د. أمين عبدالله اليزيدي - أستاذ الأدب والنقد - جامعة حضرموت.
- أ.د. فضل محمد مكوع - أستاذ الأدب القديم - جامعة عدن - اليمن .
- أ.د. عبدالله بابعير - أستاذ اللسانيات - جامعة حضرموت - اليمن .
- أ.د. عبد الله محمد سعيد - أستاذ اللغويات - جامعة تعز - اليمن .
- أ.د. خالد علي الغزالي - أستاذ الأدب - جامعة صنعاء - اليمن .
- أ.د. صالح علي النهاري - أستاذ اللسانيات - جامعة صنعاء - اليمن .

المراجع اللغوي:

د. سمية الجعفري

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات ٥
كلمة رئيس الجامعة ٧
كلمة نائب رئيس الجامعة ٨
مكانة اللغة العربية وجهود علماء المسلمين نحوها – أ م د / مطيع محمد عبده أحمد شباله ١٠
ألفاظ الجرح التي اختلف علماء الحديث في دلالتها وأثرها – د / جميلة علي أحمد غراب ٣٦
الأنساق الثقافية في شعر الصعاليك – الباحثة: سمية طه علي عبدالله الجعفري..... ٦٢
ضعفُ مهارَة الكِّتابة لدْى طلَّبةَ قسْم اللغة العربية في كلية اللغات جامعة صنعاء – د. إيمان عبد الله حسن مساعد ٩٠
الحدث في بناء أخبار الشعراء الغزليين الأمويين في كتاب الأغاني – أ.د. رباب صالح حسن القريشي – والباحثة: زينب فرحان داوود ١١٥
الدينامية السايكولوجية في ملحمة (به رده قاره مان لشيركو بيكس) – **أ.د. نزار** شكور شاكر ١٣٧
قصيدة القناع في شعر عبدالعزيز المقالح – **أ.د خالدعلي الغزالي** ١٥٥
هوية اللغة العربية والثورة المعلومية – أ.د: حميد فؤاد، ١٧٤
تصور تربوي مقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية في الحفاظ على اللغة العربية –د.آيات اسماعيل الزيدانين ١٩٣
خصائص اللغة العربية وخصوصية العصر الرقمي الآلي – د. لوت زينب ٢٢٠
دور وسائل الإعلام في تعزيز مكانة اللغة العربية – د. محمد هادي أخرش ٢٣٨
اللغة العربية والتنمية المستدامة – أ.د محمد عبد القادر العيدروس – و د. عبد الله عبدالقادر العيدروس ٢٥٥
اللغة العربية وأهميتها في ضوء القرآن الكريم – د. أفراح غرامة ٢٨٣

جماليات القبح الشكلي في قص نجيب محفوظ - المرأة انموذجا - أ.د علياء سعدي جبوري ٣٠٦
منزلة علوم الآلة في اللغة العربية - علم النحو نموذجا - عبد القادر بن فطة - بهلول محمد سيد أحمد ٣٤٢
اللغة العربية في زمن العولمة قضايا وإشكالات - د. محمد يزيد سالم ٣٦١
أثر التدريس باللغة الأم في تجويد التعليم - د. إبراهيم أحمد مسلم الحارثي ٣٩٤
همزة السلب في القرآن؛ دراسة دلالية - د. صدام علي حسين صالح ٤٣٥
معوقات تدريس اللغة العربية -كما يراها معلموها في المدارس الحكومية - د. إدريس محمد صقر جرادات د. عطا أبو جبين ٤٧٧
اللغة العربية والتعريب والترجمة - دعاء نعيم عبد منخي الكناني ٥١٩
جهود معهد الشيخ عبد الله أويس في البحث اللغوي، كتاب "ذخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب -أنموذجا - د/ بشير لون ٥٤١
اللغة العربية وأهميتها في حفظ تاريخ العرب المسلمين - أ.م. د. نجلاء كريم مهدي الجبوري ٥٦١
آليات تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها - الباحثة سليمة بوغرارة: - د- سهيلة لعور ٥٧٧
اللغة العربية وتحديات العصر - آفاق وتطلعات - أ.م. د. ألطاف إسماعيل الشامي... ٥٩٠
معالجة مخارج الأصوات العربية في برامج التدريب على التعليق الصوتي، دليل - "التعليق الصوتي كما يجب أن يكون " لعبد الفتاح بوعكاز () أنموذجا -الباحثة :د. فاطمة حجاري ٦٢٨
اللغة العربية لغير الناطقين بها - د. صالح قاسم عبد الحافظ المفلحي ٦٥٠
دور الوسائل السمعية والبصرية في ترسيخ مكانة اللغة العربية في المخيال الثقافي العربي - أ.م.د محمد عبد الحميد ضيدان ٦٧٨
دور اللغة العربية في التعليم والتعلم - د / عبد الرحمن الشرفي ٦٩٧

كلمة رئيس الجامعة

كلمة رئيس الجامعة

تعتني جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، بإقامة المؤتمرات العلمية، التي تهدف إلى تنمية المعارف والمهارات، وتبادل الخبرات، والتعرف على الشخصيات العلمية، والإفادة من البحوث والتجارب المتطورة في مجالات العلوم المختلفة.

ونظرا لأهمية ذلك، وانطلاقا من وظيفة الجامعة في مجال البحث العلمي، كان من خطتها للعام الجامعي ١٤٤٥ هـ- ٢٠٢٣ م، انطلاق المؤتمر العلمي الثالث للعلوم الإنسانية في رحاب الجامعة، وتحت شعار (اللغة العربية مكانتها ودورها في التنمية) حيث ينطلق هذا المؤتمر تزامنا مع اليوم العالمي للغة العربية ١٨ ديسمبر ٢٠٢٣ م، وقد هدف المؤتمر إلى إظهار الدور الحضاري للغة العربية عبر العصور، وإبراز دورها في مجالات التنمية المختلفة، وإظهار جهود الأفراد والمؤسسات والدول في تعليم هذه اللغة العريقة ونشرها.

ورغم الأوضاع الاستثنائية التي يمر بها بلدنا الحبيب، ما تزال جامعة الأندلس، تقدم المؤتمرات ذات المجالات المختلفة في تقنية المعلومات والشبكات، وفي العلوم الاجتماعية، وفي العلوم الانسانية.

كم نحن فخورون أن يشاركنا في هذا المؤتمر كوكبة من الاساتذة والهامات العلمية من دول مختلفة، حيث تربو المشاركات على ستين مشاركة متنوعة وفق محاور المؤتمر المعلنة.

فقد جاءت المشاركات العلمية من الجزائر والعراق والأردن والمغرب العربي، ومن فلسطين الجريحة،

وتركيا وليبيا وتونس ونيجيريا، ومصر، وغيرها من الدول، بالإضافة إلى المشاركات التي جاءت من مختلف المناطق في جمهورية اليمن السعيد.

نتمنى للمؤتمر النجاح والخروج بقرارت وتوصيات، وحلول عملية للمشكلات خدمة للجامعة والمجتمع.

وختاما نشكر شركاءنا في هذا الحدث العلمي الكبير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، واتحاد الجامعات الدولي، كما أن خالص الشكر وفيض التقدير للباحثين المشاركين على تفاعلهم الكبير، ونثمن جهود اللجنة المنظمة لإنجاح فعالية المؤتمر، آملا أن يحقق المؤتمر أهدافه العلمية ، ويجني المشاركون من ثمراته اليانعة .

وفق الله الجميع ودامت مآثركم عامرة.

أ د / أحمد محمد برقعان

رئيس الجامعة رئيس المؤتمر

كلمة نائب رئيس الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله النبي القرشي العربي الأمين.

ينعقد مؤتمرنا العلمي الثالث للعلوم الإنسانية في رحاب جامعة الاندلس للعلوم والتقنية، والموسوم" اللغة العربية مكانتها ودورها في التنمية" احتفاءٍ باليومِ العالمي للغةِ العربية، ويليق بلغتنا لغةِ الضاد أن نحتفي بها... كيف لا... وهي لغة القرآن. اللغة التي لها عظيم الاثر في إرساء قواعد الحضارة الإسلامية العريقة؛ وخدمة الإنسانية أجمع بلا تمييزٍ أو عنصريةٍ وذلك بما قدمته من خدمةٍ لحركة تطور العلوم والمعارف المختلفة؛ لكننا ومع هذه الغبطة التي تكتنفنا في هذا التظاهرة العلمية التي يشارك فيها ثلة من العلماء من دول عربية وإسلامية شقيقة: من الجزائر بلاد الشهداء، ومن العراق العظيم، ومن الأردن الشقيق ومن المغرب القيروان، ومن فلسطين الاسيرة بلد الأنبياء والبطولات، ومن تركيا محمد الفاتح.. ومن ليبيا عمر المختار ... ومن تونس ابن خلدون ومن نيجريا... أقول ومع هذه الغبطة والسعادة فان اسا يضطرم في نفسي، وان العين لتدمع وان القلب ليحزن على حال اخوة لنا في فلسطين الجريحة وما يتعرض له الشعب الفلسطيني من عدوان غاشم، وما يرتكب في حقه من أبشع جرائم الحرب التي عرفتها البشرية بآلة الحرب الصهيو أمريكية... في ظل صمت عالمي مقيت وخذلان عربي مخز، ومهين.. واني ادعو الله عز وجل ان ينصرهم وان يكشف ما بأمتنا من ضر....

واني لأرجو الله ان يحقق هذا المؤتمر اهدفه النبيلة، والوصول الى مخرجات واضحة وتوصيات نافعة، وان يتبنى اطروحات علمية تشكل إضافات في ميدان اللغة العربية ودورها في التنمية.

ومن باب الوفاء لأهل الفضل، اشكر الأستاذ الدكتور احمد محمد برقعان رئيس الجامعة على دعمة المتواصل لفعاليات الجامعة العلمية. كما اشكر شكرا جزيلا شركائنا في إنجاح المؤتمر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي واتحاد الجامعات العربية، وأكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي بجمهورية الجزائر الشقيقة.

الشكر والتقدير الى رئيس وأعضاء اللجنة التحضيرية وكذا اللجنة العلمية على جهودهم الطيبة التي أخرجت هذا لمؤتمر الى حيز الوجود منذ ان كان حلما بعيد المنال واخص بالذكور الأستاذ الدكتور مطيع شباله عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية رئيس اللجنة التحضرية، والأستاذ نشوان علي نشوان، والأستاذ محمد عبد الملك جعمان. اشكرهم من اعماق قلبي على روح العمل البناء، اشكر فريق الدعم التقني على جهدهم في إنجاح جلسات المؤتمر، واثمن جهود كل الأطراف في الجامعة التي ساهمت في انجاح هذه الفعالية: أساتذة، واداريين، وطلبة.

وفي الختام فإنني أكرر الشكر والتقدير للعلماء الذين لبوا النداء وشاركوا بأوراقهم البحثية من داخل اليمن وخارجه داعيا الله تعالي ان يوفق الجميع الى ما يحبه ويرضيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أد / عبدالله عباس

نائب رئيس الجامعة

مكانة اللغة العربية وجهود علماء المسلمين نحوها

دراسة تحليلية

أ م د / مطيع محمد عبده أحمد شباله
أستاذ الفقه المقارن المشارك
– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيهدف هذا البحث الموسوم بـ: **(مكانة اللغة العربية وجهود علماء المسلمين نحوها «دراسة تحليلية»)** إلى:

إبراز مكانة اللغة العربية وأهميتها وأثرها.

وإظهار جهود علماء المسلمين في خدمتها.

وقد وصل الباحث في خاتمة هذا البحث إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

- وجوب تعلم اللغة العربية، وهو من حيث الجملة: وجوب على الكفاية، أما من حيث الأفراد فيتعين عليهم تعلم العربية ما يصح به عبادتهم في الصلاة والذكر وغيرها.
- يظهر من خلال البحث: عناية علماء المسلمين قديما وحديثا باللغة العربية، كونها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد شرفت اللغة العربية بذلك، وكان ذلك أحد ضمانات استمرارها؛ لاعتماد مصادر التشريع عليها.
- من أهم الآثار السيئة للجهل باللغة العربية: ظهور البدع وانتشارها في المجتمعات المسلمة عبر العصور المختلفة.
- كما خلص البحث إلى بعض المقترحات والتوصيات مزبورة في خاتمته.

نسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية - جهود العلماء - واجب المسلمين.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم لسانا عربيا وتبيانا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنعم باللسان على الإنسان منه توضيحا وإعطاء، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخليله وصفيه ونجيه، أفصح الناس لسانا وأحسنهم بيانا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه الذين سلكوا طريقته لغة وبيانا وإعرابا.

أما بعد: فقد بعث الله تعالى محمدا -صلى الله عليه وآله وسلم- في قوم بلغ البيان العربي فيهم أوج عزته، وتفننت ضروب الفصاحة والبلاغة بأرقى أسلوب وأوضح بيان عرفته الدنيا، وانصبت جداول الفصاحة والبلاغة والبيان في قريش في مكة المكرمة مهبط الوحي ومحط الرسالة، فجاءت معجزة نبي الإسلام الكبرى، وكانت كلاما معجزا وأفكارا حية نابضة خالدة خلود الزمن؛ كتاب الله الكريم وقرآنه العظيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة فصلت:٤٢]؛ فبهر بفصاحته وبلاغته وتشريعاته العرب والعجم، ووقع به الإعجاز والتحدي، وقد كانت لغة هذا الكتاب الكريم هي: اللغة العربية الخالدة، فهي من ثوابت الأمة الإسلامية، لا يمكن أن تتخلى عنها، بل إن تعلمها واجب على المسلم؛ لأنها أداة الدين، ولا يصل إنسان إلى فهم هذا الدين فهما صحيحا إلا عن طريق هذه اللغة الغراء، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وفهم الدين لا يكون إلا باللغة العربية؛ لذا فتعلمها واجب على كل مسلم، ونظرا لمكانة اللغة العربية وأهميتها وعناية علماء المسلمين بها قديما وحديثا، وحاجة المسلمين الماسة إلى معرفة مكانة هذه اللغة العريقة؛ يأتي هذا البحث الموسوم بـ: **(مكانة اللغة العربية وجهود علماء المسلمين نحوها «دراسة تحليلية»)**.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لقد كان اختيار هذا الموضوع -كعنوان للبحث- لعدة دوافع وأسباب، ومن أهمها:

١. مكانة اللغة العربية، وكونها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.
٢. أن اللغة العربية من ثوابت الأمة الإسلامية التي لا ينبغي التخلي عنها.
٣. الحاجة إلى معرفة مكانة اللغة العربية وجهود علماء المسلمين عبر التاريخ في العناية بها، والذود عن حياضها.
٤. الرغبة في المساهمة في إبراز مكانة اللغة العربية كجزء من واجبنا الشرعي نحوها.
٥. المشاركة في إبراز جهود علماء المسلمين نحو هذه اللغة العظيمة والرائدة.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- إظهار مكانة اللغة العربية وأهميتها.

٢- إبراز أهم جهود علماء المسلمين نحو اللغة العربية.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من المقالات والدراسات المنثورة في الملتقيات والمنتديات العلمية؛لكني لم أجد بحسب اطلاعي بحثا يحقق ما حققه هذا البحث من أهداف.

منهجية البحث:

أهم المناهج البحثية المستخدمة في البحث:

- **المنهج الاستقرائي:** وذلك بتتبع المادة العلمية التي تخدم مفردات البحث من كتب العلماء والملتقيات والمنتديات العلمية ذات العلاقة.
- **المنهج الوصفي:** وذلك بتعريف مصطلحات البحث والمواطن التي تحتاج إلى هذا المنهج في فقرات البحث.

مستخدما في ذلك ما تعارف عليه الباحثون في العرف الأكاديمي كما يأتي:

١- جمع المادة العلمية المتعلقة بمفردات البحث من الكتب الأصيلة، وتصنيفها بما يخدم أهداف البحث.

٢- توظيف النصوص المقتبسة توظيفا صحيحا، محققا لأهداف البحث، وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٣- الحرص على نقل النص العلمي وعزوه إلى قائله؛ليظهر منه صحة التوظيف، والاكتفاء بالإحالة في بعض المواطن التي تستدعي ذلك.

٤- عزو الآيات إلى سورها مرقمة ملتزما بالرسم العثماني.

٥- التعريف بمصطلحات البحث من المصادر المناسبة لها بشكل مختصر.

٦- الاكتفاء بذكر تاريخ الوفاة للأعلام الواردين في صلب البحث عقب ذكرهم -عدى الصحابة -رضي الله عنهم- لشهرتهم-، خشية من إثقال الحواشي؛ إذ يعتبر تاريخ الوفاة أحد كواشف الترجمة لمن أراد المزيد، وذلك نظرا لطبيعة البحوث الأكاديمية المصغرة، والتي يلزم أصحابها عند النشر بعدد محدد من الأوراق.

٧- وضع خاتمة للبحث فيها أبرز النتائج والتوصيات والمقترحات.

٨- وضع فهرس لأهم المصادر والمراجع.

هيكل البحث:

يشتمل هذا البحث على: مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة، وفيها:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف البحث.
- الدراسات السابقة.
- منهجية البحث.
- هيكل البحث.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث، وفيه:

- أولا: تعريف المكانة.
- ثانيا: تعريف اللغة.
- ثالثا: تعريف الجهود.

المبحث الأول: مكانة اللغة العربية، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: اللغة العربية لغة القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي ومصادره.
- المطلب الثالث: آثار الجهل باللغة العربية.

المبحث الثاني: جهود علماء المسلمين نحو اللغة العربية، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: حكم تعلم اللغة العربية.
- المطلب الثاني: محبة اللغة العربية.
- المطلب الثالث: جهود علماء المسلمين في خدمة اللغة العربية.

الخاتمة، وفيها: النتائج والتوصيات والمقترحات.

التمهيد:
تعريف مصطلحات البحث

أولاً: تعريف المكانة:

"والمكانة: المنزلة، وفلان مكين عند فلان: بين المِكانة، والمكان والمكانة: الموضع"(١).

"والمكان: مكان الإنسان وغيره، والجمع أمكنة. ولفلان مكانة عند السلطان، أي: منزلة، ورجل مكين من قوم مكناء عند السلطان، وتمكنت من كذا وكذا تمكنا، واستمكنت منه استمكانا"(٢).

فمما سبق يظهر: أن المكانة تعني: المنزلة، وتطلق على رفعة الشأن والمكان المحترم، فيقال: فلان ذو مكانة مرموقة، أي: رفيعة.

ثانياً: تعريف اللغة:

قال ابن جني (ت:٣٩٢ هـ): "أما حدها فإنها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٣).

وفي القاموس المحيط: "اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٤).

وقال الجرجاني (ت:٨١٦ هـ): "هي: ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٥).

وفي المحكم والمحيط الأعظم: "واللغة: اللسن، وحدها: أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم، وهي: (فعلة) من لغوت، أي: تكلمت، أصلها: لغوة، ككرة وقلة وثبة، كلها لاماتها واوات، والجمع: لغات"(٦).

وعرفها بعض اللغويين بأنها: "مجموعة من الرموز اللفظية وغير اللفظية يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٧).

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٦/٢١٩٠).
(٢) جمهرة اللغة، لابن دريد (٢/٩٨٣).
(٣) الخصائص، لابن جني (١/٣٤).
(٤) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص:١٣٣١).
(٥) التعريفات، للجرجاني (ص:١٩٢).
(٦) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٦/ ٦٢).
(٧) استراتيجيات تدريس اللغة العربية، لبليغ حمدي إسماعيل (١/١٩).

وعرفها بعضهم بأنها: "مجموعة من الرموز والمصطلحات متفق عليها بين أبناء الوطن الواحد، أو بين أبناء المجتمع الواحد؛ لتكون وسيلة لتبادل المعرفة فيما بينهم"(١).

مما سبق يمكن أن يقال: إن اللغة هي عبارة عن: نظام صوتي يمتلك سياقا اجتماعيا وثقافيا له دلالاته ورموزه، وهو قابل للنمو والتطور، ويخضع في ذلك للظروف التاريخية والحضارية التي يمر بها المجتمع.

ثالثاً: تعريف الجهود:

الجهود: جمع جهد، وهو: "ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق، فهو مجهود، والجهد لغة بهذا المعنى، والجهد: شيء قليل يعيش به المقل على جهد العيش. والجهد: بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو عن الجهد فيه، تقول: جهدت جهدي، واجتهدت رأيي ونفسي حتى بلغت مجهودي. وجهدت فلانا: بلغت مشقته، وأجهدته على أن يفعل كذا"(٢).

ومنه: الاجتهاد، وهو "في اللغة: بذل الوسع، وفي الاصطلاح: استفراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي، وبذل المجهود في طلب المقصود من جهة الاستدلال"(٣).

(١) المصدر نفسه (١/١٩).
(٢) معجم العين، للخليل الفراهيدي (٣/ ٣٨٦).
(٣) التعريفات، للجرجاني (ص: ١٠).

المبحث الأول
مكانة اللغة العربية.

المطلب الأول: اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

إن اللغة العربية هي: وعاء الكتاب الخالد، بها أنزل وحفظ، وكل متعلم ومعلم بحاجة إليها؛ لأنها أساس كل علم ومناطه؛ فاللغة العربية خير اللغات، والإقبال على تفهمها من العبادات؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، كما أنها أمتن اللغات وأوضحها بيانا، وأذلقها لسانا، وأمدها رواقا، وأعذبها مذاقا، ومن ثم فقد اختارها الله تعالى لأشرف رسالة ولخاتم أنبيائه، وجعلها لأهل سمائه وسكان جنته، وأنزل بها كتابه المبين، وهي لغة الإيجاز والبيان والإعراب والبلاغة والفصاحة، حيث تعد اللغة العربية أقدم اللغات الحية على وجه الأرض، وعلى اختلاف بين الباحثين حول عمر هذه اللغة لا نجد شكا في أن العربية التي نستخدمها اليوم أمضت ما يزيد على ألف وستمائة سنة، وقد تكفل الله -سبحانه وتعالى- بحفظ هذه اللغة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى:قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحجر:٩]، ومنذ عصور الإسلام الأولى انتشرت العربية في معظم أرجاء المعمورة، وبلغت ما بلغه الإسلام، وارتبطت بحياة المسلمين، فأصبحت لغة العلم والأدب والسياسة والحضارة فضلا عن كونها لغة الدين والعبادة.

إن أهمية اللغة العربية تنبع من نواح عدة، أهمها:

- ارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي والقرآن الكريم، فقد اصطفى الله تعالى هذه اللغة من بين لغات العالم لتكون لغة كتابه العظيم، ولتنزل بها الرسالة الخاتمة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة يوسف:٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النحل:١٠٣]،وقال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الزمر:٢٨]، ومن هذا المنطلق ندرك عميق الصلة بين العربية والإسلام.
- تكفي اللغة العربية فضلا أنها لغة القرآن الكريم، قال الله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء:١٩٢-١٩٥]، وقد فضلت اللغة العربية بالقرآن الكريم، وبه شرفت

وارتفعت وخلدت وعلت، كما استطاعت أن تكون أداة طيعة لآيات الذكر الحكيم، ومعانيه العظيمة، وذلك بأساليبها التعبيرية الفائقة البديعة.

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨ هـ) نقلا عن الإمام الشافعي (ت:٢٠٤ هـ): "اللسان الذي اختاره الله -عز وجل- لسان العرب، فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-؛ ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها"(١).

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤ هـ) عند تفسير قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [سورة يوسف:٢]: "وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة، وهو: رمضان، فكمل من كل الوجوه"(٢).

ولهذا كانت العلاقة عضوية وأساسية بين اللغة العربية والقرآن الكريم، فاللغة وعاء الكتاب الخالد، بها نزل وحفظ وخلد، والقرآن الكريم شرفها ورفعها وزادها فخرا وثراء وعظمة؛ ولذا فكل مسلم محتاج إلى هذه اللغة الشريفة؛ ليفقه دينه، ويؤدي العبادات المفروضة؛ ولكي يأخذ الدين من منبعه الأصيل، كما أن كل عالم ومتعلم في حاجة لهذه اللغة؛ لأنها الأساس لكل علم ومناطه.

يقول ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١ هـ): "وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة، وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب، وخطبها، ومقاولاتها، في مواطن افتخارها، ورسائلها"(٣).

وقال أبو منصور الثعالبي (ت:٤٢٩ هـ): "ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فيه: اعتقد أن محمدا خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال عليها وعلى تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد"(٤).

وقال الزرقاني (ت:١٣٦٧ هـ) في مناهل العرفان: "أجمع الأئمة على أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية (١/ ٥٢١).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٥).
(٣) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن القيم (ص: ٩).
(٤) فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي (ص: ١٥).

خارج الصلاة، ويمنع فاعل ذلك أشد المنع؛ لأن قراءته بغيرها من قبيل التصرف في قراءة القرآن بما يخرجه عن إعجازه، بل بما يوجب الركاكة "[1].

وروي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قوله: «لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة»، وكذلك روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: «إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»[2].

وقال الفارابي (ت:٣٥٠ هـ): "لا سبيل إلى علم القرآن وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذه اللغة"[3].

فاللغة العربية من أعظم لغات العالم وخاصة في العالم العربي الإسلامي، فهي لغة القرآن العظيم، وأحاديث الرسول الكريم، ولها مكانة مرموقة بين مختلف الشعوب، ويعترف كثير من الشعوب باللغة العربية كلغة رسمية، بما في ذلك بلاد الشام التي تقع في المناطق الشمالية من قارة إفريقيا، أولئك الذين يتحدثون ويتحدثون لغات أخرى لديهم اهتمام كبير بالتعلم عن هذه اللغة، بالإضافة إلى النطق الجميل لكلماتها وكتابتها المميزة وخطوطها المختلفة، تحتل اللغة العربية مكانة كبيرة بين الشعوب، فهي إحدى اللغات البشرية التي لها مكانة عظيمة بين الشعوب المختلفة، وهي من اللغات القديمة المعروفة منذ مئات السنين، واستخدمتها القبائل القديمة في النطق، مثل: أهل عاد، وأهل ثمود، وهذا ما أدى إلى انتشار اللغة العربية على نطاق واسع بين مختلف الشعوب، كما أن اللغة العربية من اللغات السامية التي استطاعت أن تحافظ على معانيها وبنيتها وبلاغتها، وقد ساعد ذلك في الحفاظ على قيمة اللغة العربية ومكانتها حتى الوقت الحاضر، وتزيد اللغة العربية من انتشارها في بلاد الشام ودول شبه الجزيرة العربية.

المطلب الثاني: ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي ومصادره.

ارتبطت اللغة العربية ارتباطا وثيقا بعلوم الشريعة الإسلامية؛ كون مصادر الشريعة الإسلامية المتفق عليها والمختلف فيها تعتمد اللغة العربية اعتمادا كليا في فهم اللغة العربية، حيث جعل العلماء من شروط المجتهد: التمكن من علوم اللغة العربية صرفها ونحوها وبلاغتها وأدبها ودلالاتها، وغير ذلك من التفريعات.

ومن يمعن النظر في الأمور التي حصلت من خلط في المفاهيم الإسلامية المتنوعة؛ يجد السبب البارز في ذلك هو: عدم التمكن من اللغة العربية، يقول ابن تيمية (ت:٧٢٨ هـ): "لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، ومعرفة العربية التي خوطبنا

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٢/١٦٣).
(٢) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي (٢/ ٢٦٠ - ٢٦١).
(٣) معجم ديوان الأدب، للفارابي (١/٧٣).

بها، مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسول بكلامه، وكذلك ضلال أهل البدع كان لهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك "[١].

ويقول أيضا: "فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب "[٢].

ويؤيد الجاحظ (ت:٢٥٥ هـ) ذلك بقوله: "للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم ...فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك "[٣].

ويقول الشاطبي (ت:٧٩٠ هـ): "المقصود هنا: أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [سورة يوسف:٢]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [سورة الشعراء:١٩٥]، وقال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ١٠٣﴾ [سورة النحل:١٠٣]، وقال تعالى: قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾ [سورة فصلت:٤٤]، إلى غير ذلك؛ مما يدل على أنه عربي، وبلسان العرب، لا أنه أعجمي، ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه؛ فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة "[٤].

يقول ابن الأثير (ت:٦٣٠ هـ): "معرفة اللغة والإعراب هما أصل لمعرفة الحديث وغيره؛ لورود الشريعة المطهرة بلسان العرب "[٥].

بل جعل العلماء من شروط الاجتهاد: التمكن من علم اللغة العربية، قال ابن الأنباري (ت:٥٧٧ هـ): "إن الأئمة الأمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرط في رتبة الاجتهاد -أي: علم العربية-، وأن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم من قواعد النحو ما يعرف به المعاني المتعلقة

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١١٦/٧).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية (٥٢٧/١).
(٣) الحيوان، للجاحظ (١٠٢/١).
(٤) الموافقات، للشاطبي (١٠٢/٢).
(٥) جامع الأصول، لابن الأثير (٣٧/١).

معرفتها به منه، ولو لم يكن ذلك علما معتبرا في الشرع وإلا لما كانت رتبة الاجتهاد متوقفة عليه، لا تتم إلا به"[١].

ويقول الرازي (ت:٦٠٦ هـ): "لما كان المرجع في معرفة شرعنا إلى القرآن والأخبار، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم، كان العلم بشرعنا موقوفا على العلم بهذه الأمور، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به -وكان مقدورا للمكلف- فهو واجب"[٢].

وبين الإسنوي (ت:٧٧٢ هـ) في الكوكب الدري علة هذا الكلام بقوله: "لأن علم أصول الفقه إنما هو أدلة الفقه، وأدلة الفقه إنما هما الكتاب والسنة، وهذان المصدران عربيان، فإذا لم يكن الناظر فيهما عالما باللغة العربية وأحوالها، محيطا بأسرارها وقوانينها: تعذر عليه النظر السليم فيهما، ومن ثم تعذر استنباط الأحكام الشرعية منهما"[٣].

قال ابن خلدون (ت:٨٠٨ هـ) في كتابه المقدمة في فضل علوم اللسان العربي: "وأركانه أربعة، وهي: اللغة، والنحو، والبيان، والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة؛ إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة"[٤].

ويقول السيوطي (ت:٩١١ هـ): "ولا شك أن علم اللغة من الدين؛ لأنه من فروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة"[٥].

ومن المعلوم بالضرورة: أنه لا سبيل لفهم كلام الله تعالى إلا بلغة العرب، والصحابة -رضي الله عنهم- أنزل عليهم الوحي بلغتهم، فآمنوا به، وفهموا مراد الله منهم، فعبدوا الله على بصيرة، وانقادوا إلى أحكامه، وأطاعوا الله ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-، فالقرآن جاء بلغة العرب، ونحن مطالبون بالإيمان به على هذه اللغة على الوجه الذي فهمه سلف الأمة.

(١) لمع الأدلة في أصول النحو، لأبي البركات الأنباري (ص: ٩٥).
(٢) المحصول، للرازي (١/ ٢٠٣).
(٣) الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، للإسنوي (١/ ٤٢)، مقدمة المحقق.
(٤) تاريخ ابن خلدون (١/ ٧٥٣).
(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي (٢/ ٢٦٠).

فعلى المسلم أن يحرص على تعلم اللغة العربية، لا سيما القدر الواجب الذي تصح به صلاته وعبادته، ولا بأس بالذكر والدعاء ونحوهما بغير العربية خارج الصلاة، حتى يتعلم العربية.

المطلب الثالث: آثار الجهل باللغة العربية.

الابتعاد عن اللغة الأم هو: ابتعاد عن تاريخ كامل من الحضارة، وإن جهل هذه اللغة هو جهل بالماضي، ولا مستقبل لمن لا ماضي له.

لاشك أن اللغة هي التي تميز شعب عن آخر، وكل لغة تناسب شعبها وترتبط به، وإن استيراد لغة أخرى يعني استيراد ثقافة كاملة، وهي لا شك تتعارض في معظم النواحي مع ثقافات الشعوب، مما يؤدي إلى: (الازدواجية الثقافية) في المجتمع، لا ينتمي إلى ثقافته ولا ثقافة غيره تنتمي له؛ مما يزيد في التخلف والتأخر؛ لأجل هذا تتمسك الدول المتقدمة بلغاتها، ولا تستبدلها.

لا جرم كانت الدول المتقدمة أشد تمسكا بلغتها الأم من الدول المتأخرة، فلا توجد دولة تهمش لغتها وتستبدلها بلغة أخرى، وتلحق بركب الدول المتقدمة؛ لهذا أعاد اليهود إحياء لغتهم الميتة التي كادت أن تتلاشى، واعتمدوها في دولتهم القائمة على أنقاض فلسطين؛ لتكون لهم دولتهم ولغتهم التي تميزهم عن غيرهم، وعلى جانب آخر يميت العرب لغة حية.

لا خلاف أن الضرر جسيم من عدم استخدام اللغة العربية، خصوصا في التعليم والتعليم العالي، وقد قيل: إن التقصير في تعريب التعليم العالي يحملنا على أن نظل في ضبابية تجاه واقعنا الاجتماعي والنفسي، لا نستطيع أن نقدره أو نقومه تقويما صحيحا، ولعلنا بعدم تعريب التعليم العالي نخطط لعدم تنمية مجتمعنا.

وإن من أهم الآثار السيئة للجهل باللغة العربية: ظهور البدع وانتشارها، يقول الإمام الشافعي (ت:٢٠٤ هـ) في معرض حديثه عن الابتداع في الدين: " ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس"[١].

ويقول الحسن البصري (ت:١١٠ هـ) في المبتدعة: "أهلكتهم العجمة، يتأولون القرآن على غير تأويله"[٢].

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٠/ ٧٤).
(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٣/ ٤٤).

ومن آثار الجهل السيئة باللغة العربية: الغلط والقصور في فهم كتاب الله تعالى، فإن القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر، ولا يفهمه حق الفهم إلا من تمرس على أساليب العرب وطرائقهم في التعبير، وأتقن لغتهم في مفرداتها وتراكيبها إتقانا.

يقول الإمام الشافعي (ت:٢٠٤ هـ): فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها؛ فمن جهل هذا من لسانها، وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة، فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل بعضه، فكانت موافقته الصواب إن وافقه غير محمودة، وكان بخطئه غير معذور(١).

وقد حث الإمام الشاطبي (ت:٧٩٠ هـ) على تعلم اللغة العربية؛ لتحاشي القصور في فهم الشريعة، أو الخطأ في فهم مراد الله تعالى من الآيات، فقال: "فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولا وفروعا: أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيا أو كالعربي في كونه عارفا بلسان العرب، بالغا فيه مبالغ العرب أو مبالغ الأئمة المتقدمين، كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومن أشبههم وأدناهم، فإن لم يبغ ذلك فبحسبه في فهم معاني القرآن التقليد، ولا يحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل أهل العلم"(٢).

وفي هذا العصر أضحى كثير من الناس يتعلمون الفقه ويتركون اللغة والنحو، ولهذا السبب كثرت زلاتهم؛ لأنهم تركوا أداة فهم الدين.

(١) انظر: الرسالة، للشافعي (ص:٥٣) بتصرف يسير.
(٢) الاعتصام، للشاطبي (٣/ ٢٥٧).

المبحث الثاني
واجب المسلمين نحو اللغة العربية

المطلب الأول: حكم تعلم اللغة العربية.

تعلم اللغة العربية من فروض الكفاية بالنسبة لعموم الأمة؛ ويتعين على المسلمين تعلم العربية ما يصح به عبادتهم في الصلاة والذكر وغيرها.

وقد أوجب بعض أهل العلم تعلم اللغة العربية على المسلم، قال الإمام الشافعي (ت:٢٠٤ هـ): فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده في أداء فرضه[١].

وقال ابن فارس (ت:٣٩٥ هـ): "إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله -عز وجل-، وما في سنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب: لم يجد من العلم باللغة بدا"[٢].

وقال أيضا: "إن علم اللغة كالواجب على أهل العلم؛ لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء"[٣].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨ هـ): "فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[٤].

وقال أيضا: "وهذا معنى ما روي عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما-: «أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي».

وفي حديث آخر عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: «تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم».

(١) انظر: الرسالة، للشافعي (ص:٤٨) بتصرف يسير.
(٢) الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس (٥٠/١).
(٣) المصدر نفسه (٥٥/١).
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية (٥٢٧/١).

وهذا الذي أمر به عمر -رضي الله عنه- من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله"[١].

وذكر الزركشي (ت:٧٩٤ هـ) أن تعلم اللغة فرض كفاية[٢].

وبناءٍ على ما قرره الجهابذة من العلماء نقول: إن تعلم اللغة العربية فرض واجب على كل مسلم في هذا الوجود، ذلك لأنها لغة الإسلام الرسمية، فيجب على المسلمين في أنحاء الدنيا كلها أن يتعلموها بقدر استطاعتهم، ذلك لأن الإسلام هو الدين الحق الوحيد.

المطلب الثاني: محبة اللغة العربية.

يقول أبو منصور الثعالبي (ت:٤٢٩ هـ): "من أحب الله تعالى أحب رسوله محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه: اعتقد أن محمدا -صلى الله عليه وآله وسلم- خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح الثقة في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد"[٣].

الشتم بالعربية أحب من المدح بغيرها: ومن فرط حب المسلمين للغة العربية، وغيرتهم عليها، وصيانتهم لها: كانوا يفضلون الشتم بها على المدح بغيرها، فقد أثر عن أبي الريحان البيروني (ت:٤٤٠ هـ) قوله: (لئن أشتم بالعربية خير من أن أمدح بالفارسية)، وفي رواية: (لئن أهجى بالعربية خير من أمدح بالفارسية)[٤].

الضرب بالحجر أفضل من اللحن في اللغة: ومن صور حب السلف العجيب للغة، واهتمامهم بها، وحرصهم على صيانتها من الخطأ: أنهم كانوا يفضلون الضرب على اللحن فيها، فينسب إلى قائد أموي

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية (١/٥٢٧ - ٥٢٨)، بتصرف يسير.
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٢٩٥).
(٣) فقه اللغة وأسرار العربية، للثعالبي (١/١٥).
(٤) انظر: موقع اللغة العربية، تحت عنوان: تعظيم لغة القرآن الكريم، عبر الرابط التالي:
https://arabiclanguage2.wordpress.com/2015/04/03/%d8%aa%d8%b9%d8%b8-d9%8a%d9%85-%d9%84%d8%ba%d8%a9%-d8%a7%d9%84%d9%82%d8%b1%d8%a2%d9%86%/d8%a7%d9%84%d9%83%d8%b1%d9%8a%d9%85%.

قوله: (أحب إلي أن يضربني الرجل بحجر وألا يسمعني لحنا)[1].

وحب العربية من الإيمان، فقد كان سلفنا الصالح -رحمهم الله تعالى- يعدون تعلم العربية وخدمتها وحبها من الدين، ومن حب الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

المطلب الثالث: جهود علماء المسلمين في الدفاع اللغة العربية:

إن من يمعن النظر في التراث العلمي اللغوي الذي وصل إلينا يظهر له بجلاء: اهتمام علماء المسلمين باللغة العربية بجميع فنونها، فقد كانت لهم مصنفات كثيرة تناولت الفروع المختلفة في علم اللغة العربية؛ لاعتقادهم أن تعلم اللغة العربية من الدين؛ كونها لغة مصادر التشريع الإسلامي؛ فقد اكتسبت قدسيتها من قداسة القرآن الكريم، ومكانة السنة النبوية الشريفة، وستبقى اللغة العربية ما بقي القرآن والسنة، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]، ويقول: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [سورة فصلت:٤٢]، وأقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين شاهدة بذلك، ومن أهمها: ما ورد في مطلب حكم تعلم اللغة العربية.

وتبرز عناية علماء المسلمين باللغة العربية فيما يأتي:

العناية بتعلم اللغة العربية وتعليمها:

لقد كان من دوافع تعلم اللغة العربية وتعليمها: دخول الأمم في الإسلام أفواجا، وانتشار الفتوحات الإسلامية، والرغبة في فهم القرآن الكريم وتعاليم الإسلام الحنيف؛ مما كان له دور بارز في إقبال الناس على تعلم اللغة العربية، حتى يقوموا بالشعائر والعبادات على الوجه الصحيح الذي تقضيه الشريعة، يدفعهم إلى هذا السعي إلى إقامة دين الله، ونوال مرضاته، وكذلك الدوافع الدنيوية كان لها عظيم الأثر أيضا في الإقبال على اللغة العربية تعلما وتعليما، فلما كانت العرب أمة فاتحة، ولها السيادة والعزة على سائر الأمم المغلوبة؛ كانت لغتهم العربية ذات شأن وعلو يطمح إليها جمهور الناس؛ ليتصلوا بالخلفاء والأمراء، وقد رأوا هؤلاء الخلفاء وعمالهم يجزلون العطاء لمن يجود شعرا أو نثرا، ويقربونهم إليهم، ويولونهم مناصب في الدولة، كل ذلك له أثر أي أثر في إقبال الناس على اللغة، حتى إن الرجل ليدفع بابنه إلى تعلمها رجاء أن يجني

(١) انظر: موقع اللغة العربية، تحت عنوان: تعظيم لغة القرآن الكريم، عبر الرابط التالي:
https://arabiclanguage2.wordpress.com/2015/04/03/%d8%aa%d8%b9%d8%b8-d9%8a%d9%85-%d9%84%d8%ba%d8%a9%-d8%a7%d9%84%d9%82%d8%b1%d8%a2%d9%86%/d8%a7%d9%84%d9%83%d8%b1%d9%8a%d9%85%.

ثمرة، أو يحرز جاهٍ.

ولقد اعتنى علماؤنا القدامى منذ اللحظات الأولى بضرورة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المسلمين الجدد، أو من المستعربين الجدد، وعدوا ذلك من تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، وفرائض الدين، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨ هـ): "فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"(١).

وقال أيضا: "وهذا معنى ما روي عن عمر بن الخطاب: أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما-: «أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي».

وفي حديث آخر عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: «تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم»"(٢).

مضاعفة جهود العلماء في خدمة فنون اللغة:

برزت جهود العلماء في خدمة فنون اللغة **على المستوى النحوي:** حيث وضعوا علم النحو، وسعوا إلى تيسير دراسته وتبسيط تحصيله، فكان لهم في هذا المضمار دورٍ مشهود وسبق معلوم، وعلى رأس هؤلاء العلماء: عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١) الذي قدم مجموعة مؤلفات في النحو العربي؛ رغبة منه في أن يقدم للراغبين في تعلم العربية من أبناء اللغات الأخرى النحو العربي في صورة سهلة، تيسر عليهم تعلم القرآن الكريم وتفهم معانيه؛ وذلك لأنه يعلم أن تيسير قواعد النحو هو أيسر سبيل لتعليمها لأبناء اللغات الأخرى.

وعلى المستوى الصوتي: اهتم العلماء بمخارج الحروف بعدما انتشرت العجمة على الألسن؛ بسبب اختلاط العرب بغيرهم من أبناء الأمم الأخرى، قال الزبيدي (ت: ٣٧٩ هـ): "ولم تزل العرب في جاهليتها وصدرٍ من إسلامها تبرع في نطقها بالسجية، وتتكلم على السليقة، حتى فتحت المدائن، ومصرت الأمصار، ودونت الدواوين، فاختلط العربي بالنبطي، والتقى الحجازي بالفارسي، ودخل الدين أخلاط الأمم وسواقط البلدان، فوقع الخلل في الكلام، وبدأ اللحن في ألسنة العوام"(٣)، فتصدى العلماء لهذه الظاهرة الفاشية، بأن تناولوا مخارج الحروف وصفاتها بالشرح العميق، والوصف الدقيق، وكان لهم السبق في هذا المضمار.

وعلى مستوى الرسم الإملائي: استخدم العلماء الوسائل التعليمية لتعليم اللغة العربية لغير أبنائها

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية (٥٢٧/١).

(٢) المصدر نفسه (٥٢٧/١ - ٥٢٨)، بتصرف يسير.

(٣) لحن العوام، للزبيدي (٤/١).

النقط والتشكيل، ويبدو أن الرائد في هذا الأمر: أبو الأسود الدؤلي، الذي قام بهذه المهمة بعدما قال زياد له: "إن هذه الحمراء (يقصد العجم) قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله تعالى.

وهناك غيرها من المستويات التي ضاعف العلماء فيها جهدهم في خدمة اللغة العربية.

التصنيف في فنون اللغة العربية:

يكاد القرن الثاني الهجري يكون بداية النشاط الفعلي لجمع اللغة والتأليف فيها؛ ذلك أن دخول كثير من غير العرب في دين الإسلام أحدث ما سمي بـ (اللحن)، حيث سرى ذلك إلى الألسن، فأصابها الخطأ والفساد، فهب اللغويون يجمعون اللغة ويدونونها، فارتحلوا إلى البوادي التي لم يختلط أهلها بالأعاجم، وشافهوا الأعراب، ودونوا عنهم اللغة.

وقد حفظت لنا المصادر أسماء عدد من الأعراب الذين سمع عنهم اللغويون، كما عرف في تلك الفترة كثير من اللغويين الذين عنوا بجمع اللغة وتدوينها وأشهرهم:

أولا: أبرز اللغويين الذين عنوا بجمع اللغة:

١- عبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت:١١٧هـ).

٢- عيسى بن عمر (ت:١٤٩هـ).

٣- أبو عمرو بن العلاء (ت:١٥٤هـ).

٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ).

٥- عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ: سيبويه (ت:١٨٠هـ).

٦- يونس بن حبيب (ت:١٨٢هـ).

٧- علي بن حمزة الكسائي (ت:١٨٩هـ).

٨- النضر بن شميل (ت:٢٢٣هـ).

٩- الفراء (ت:٢٠٧هـ).

١٠- أبو عبيدة (ت:٢١٠هـ).

١١- أبو عمر الشيباني (ت:٢١٣هـ).

١٢- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت:٢١٣ هـ).

١٣- أبو زيد القرشي (ت:٢١٥ هـ).

ثانيا: نوعية التأليف في ذلك الوقت:

ألف أولئك العلماء عددا من الكتب، وكل واحد منهم له طريقة في التأليف.

١- فمنهم: من كان يجمع الألفاظ تحت باب واحد، كالوحوش، أو السيوف، أو النخل.

٢- ومنهم: من يجمع في كتاب عدة أبواب.

٣- ومن تلك المؤلفات: ما يتناول إحدى ظواهر اللغة، كالهمز، أو الأضداد.

٤- ومنها: ما يتناول الغريب، ككتب غريب القرآن، أو غريب الحديث.

٥- ومنها: ما كان على شكل نوادر أو أمالٍ.

إلى غيرذلك من التآليف، وتتبع مثل هذه المصنفات يطول.

الدفاع عن اللغة العربية:

بدهاء شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الإسلام اللغة العربية بوابة خلفية للنيل من المسلمين، وإبعادهم عن عقيدتهم، واستخدموا صنوفا من المكائد للوصول إلى مآربهم الخسيسة، ومراميهم الدنيئة، وهي عديدة ومتنوعة، بحيث أصبحت (اللغة العربية) موضع الازدراء والتحقير والنفور، فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة من نحو وصرف وبلاغة ونصوص وأدب ووو إلخ.

الحملة على اللغة العربية حملة على الدين: وإن من واجبنا تجاه لغتنا العربية المحافظة عليها، والدفع بعجلتها؛ لتواكب التقدم التكنولوجي والحضاري من جميع جوانبه، وهذا ليس بالأمر السهل، بل إنه من أكثر الأمور صعوبة ومشقة، فهذا أمر أكبر من أن يحل بورقة وقلم، بل إنه مشروعات تنموية تنهض باللغة العربية، التي ما كانت في عصر من عصورها نائمة كما هي الآن، فما أسوء أن ينجرف الإنسان مع من هب ودب، وأن يقلد -بشكل تلقائي أو غير تلقائي- تلك النماذج السيئة، التي تحولت إلى صورة من الغرب في مجتمعاتنا العربية!

وينبغي العناية بتعريب العلوم والمناهج الدراسية، وإلغاء جميع الخطط التي تقضي بتحويل المناهج إلى اللغة الإنجليزية، والتي نرى شبحها قد تبدى في الأفق القريب، وإن الجامعات العربية هي الهدف الأول، فلا نرى الآن منها إلا القليل التي تدرس مناهجها باللغة العربية.

ومما سبق فإن مما يتحتم على المسلمين تجاه لغتهم ما يأتي:

- الاعتزاز باللغة العربية، والسعي في خدمتها، وتيسير أمر تعلمها للمسلمين ولغير المسلمين.
- أن تعتني الحكومات والمؤسسات والأفراد -كل بحسب مقدرته- بافتتاح ودعم المدارس والمراكز والمعاهد في مختلف بلدان العالم، وخاصة البلاد الإسلامية؛ من أجل نشر لغة القرآن.
- أن تقوم الحكومات بتعميم استخدام اللغة العربية في الحوارات والمراسلات وغيرها.
- توعية المجتمع بالتقليل من استخدام العامية أو اللغات الأخرى.
- عدم جعل اللغات الأخرى أساسية في مدارسنا ومناهجنا؛ حتى لا تحتل المركز الأول عن لغتنا الأم: العربية.
- توعية المجتمع العربي والإسلامي بأهمية لغتنا العربية.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فجريا على العرف الأكاديمي في البحوث العلمية نذكر في الأسطر التالية أبرز النتائج والتوصيات والمقترحات في هذا البحث، كما يأتي:

أولاً: أبرز النتائج:

- يعتبر علم اللغة العربية وفنونها من أهم علوم الإسلام؛ إذ يكتسب مكانته من مكانة مصادر التشريع الإسلامي: القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة.
- ارتبطت اللغة العربية بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا، وستبقى هذه اللغة الرائدة ما بقي الإسلام.
- من أهم أسباب الخلط في بعض المفاهيم والأحكام المتنوعة عند بعض الناس هو: عدم التمكن من اللغة العربية وفقهها ودلالاتها، وقد برز ذلك جليا لمن يتابعه.
- للجهل باللغة العربية آثار سيئة على مستوى الفرد والمجتمع، ومن أبرزها: ظهور البدع المختلفة، والقصور في إدراك بعض أسرار الشريعة الإسلامية.
- تعلم اللغة العربية من فروض الكفاية بالنسبة لعموم الأمة؛ ويتعين على المسلمين تعلم العربية ما يصح به عبادتهم في الصلاة والذكر وغيرها.
- تنوعت جهود علماء المسلمين عبر العصور المختلفة في خدمة اللغة العربية والدفاع عن حياضها، وتتجلى في هذه الجهود: عناية الله تعالى بلغة القرآن الكريم.

ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات:

- العناية بجهود علماء اليمن في خدمة اللغة العربية عموما وتعليمها على وجه الخصوص.
- تقديم دراسات متنوعة ومتجددة في علوم العربية وفنونها تجمع بين الأصالة والمعاصرة.
- تشجيع المراكز والمنتديات والملتقيات والمؤتمرات والمجامع العلمية في الاستمرار والمشاركة في رفدها بالبحوث والدراسات الجادة المثمرة لتستمر عجلة العطاء العلمي اللغوي والمعرفي.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

١- استراتيجيات تدريس اللغة العربية، بليغ حمدي إسماعيل، دار المناهج للنشر والتوزيع - الأردن، ط١، (١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م).

٢- الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، والجزء الثاني: د. سعد بن عبد الله آل حميد، والجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م).

٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت:٧٢٨ هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط٧، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م).

٤- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م).

٥- تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت:٨٠٨ هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م).

٦- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، تحقيق وضبط وتصحيح: جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م).

٧- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م).

٨- تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت: ١٩٧ هـ)، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط١، (٢٠٠٣م).

٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط١، (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م).

١٠- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت:٣٢١ هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

١١- الحيوان، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (ت:٢٥٥ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، (١٤٢٤هـ).

١٢- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢ هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (د.ت).

١٣- الرسالة، لمحمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤ هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، (عن أصل بخط الربيع بن سليمان كتبه في حياة الشافعي)، نشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاد - مصر، ط١، (١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م).

١٤- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٣، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).

١٥- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

١٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

١٧- فقه اللغة وسر العربية، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبي منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م).

١٨- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١ هـ)، دار الكتب العلمية، ط٢، (١٤٠٨هـ).

١٩- القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م).

٢٠- الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبي محمد، جمال الدين (ت: ٧٧٢ هـ)، تحقيق: د. محمد حسن عواد، دار عمار، عمان - الأردن، ط١، (١٤٠٥هـ).

٢١- لحن العوام، لأبي بكر محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي (ت: ٣٧٩ هـ)، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، المطبعة الكمالية القاهرة، ط١، (١٩٦٤م).

٢٢- لمع الأدلة في أصول النحو، والإغراب في جدل الإعراب، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبي البركات، كمال الدين الأنباري (ت:٥٧٧ هـ)، قدم لهما وعني بتحقيقهما: سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق - بيروت، ط١، (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧م).

٢٣- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - رحمه الله -، وساعده: ابنه محمد -وفقه الله-، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة - السعودية، (ب.ط)، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م).

٢٤- المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط٣، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م).

٢٥- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م).

٢٦- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١ هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م).

٢٧- معجم العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).

٢٨- معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (ت: ٣٥٠ هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر - القاهرة، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م).

٢٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧ هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، (د.ت).

٣٠- الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت:٧٩٠ هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، ط١، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م).

٣١- موقع اللغة العربية، تحت عنوان: تعظيم لغة القرآن الكريم، عبر الرابط التالي: https://arabiclanguage.wordpress.com/٢٠١٥/٠٤/٠٣/%d٨٥٪٩a%d٨٪٩d٪٨b٪٨d٪٩b٪٨aa%d٪٨d-٩a٪٨ba%d٪٨d٪٨٤٪٩%d-٨٦٪٩d٪٢a٪٨d٪١b٪٨d٪٨٢٪٩d٪٨٤٪٩d٪٧a٪٨%d-٨٥٪٩a%d٨٪٩d٪١b٪٨d٪٨٣٪٩d٪٨٤٪٩d٪٧a٪٨%d/.

ألفاظ الجرح التي اختلف علماء الحديث في دلالتها وأثرها

دراسة لغوية حديثية

د/ جميلة علي أحمد غراب

جامعة الأندلس للعلوم والتقنية

ألفاظ الجرح التي اختلف علماء الحديث في دلالتها وأثرها - د/ جميلة علي أحمد غراب

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث الموسوم بـ: (ألفاظ الجرح التي اختلف علماء الحديث في دلالتها وأثرها «دراسة لغوية حديثية») إلى:

١- التعريف المختصر بالمصطلحات والمفاهيم ذات العلاقة بموضوع البحث.

٢- إبراز دلالات ألفاظ الجرح، وبيان الآثار المترتبة عليها.

٣- إظهار مدلولات مصطلحات الجرح الخاصة بالرواة.

وقد جاء هذا البحث لإبراز بعض الألفاظ المستخدمة في الجرح عند بعض الأئمة، وحكمها، وتطبيقها، وأمثلة عليها، وبيان مدلولها اللغوي، وأهميتها في ضبط الاصطلاح كأساس منهجي، ثم الدراسة التطبيقية على بعض مصطلحات مشهورة لبعض الأعلام البارزين من أعلام النقد، وهي مصطلحات: (منكر الحديث، ويروي مناكير أو روى مناكير، وليس بشيء، وليس من جمال المحامل، وليس بالقوي، وليس بقوي، ومتروك الحديث، واتفقوا على تركه)، متبعة المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى: ضرورة إعادة النظر في كل ما ادعي فيه الخصوصية وفق منهجية الدراسة المصطلحية القائمة على الإحصاء والتحليل.

الكلمات المفتاحية: الدلالات اللغوية - الألفاظ - الجرح.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد: فمن المعلوم لدى المسلمين جميعا أن السنة المشرفة هي مصدر دينهم بعد كتاب ربهم، وهي مناط عزهم، ولولاها ما راح مسلم ولا جاء.

فالسنة هي: الأصل الثاني للشريعة، والقرآن هو: الأصل الأول، ومنكر الأصل الثاني منكر للأصل الأول، إلا أن يكون جاهلا؛ لأن منكر الأصل الأول متفق على عدم إسلامه، ومن هنا كان علم الحديث رواية ودراية من أشرف العلوم وأجلها، بل هو أجلها على الإطلاق بعد العلم بالقرآن الكريم الذي هو أصل الدين ومنبع

الطريق المستقيم، فالحديث هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بعضه يستقل بالتشريع، وكثير منه شارح لكتاب الله تعالى مبين لما جاء فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل:٤٤].

وقد اهتم العلماء على مر العصور بالحديث النبوي جمعا وتدوينا ودراسة وشرحا، واستنبطت حوله العلوم المختلفة كعلم الجرح والتعديل وعلم مصطلح الحديث وعلم العلل وغيرها، التي كان الهدف الأساسي منها: حفظ الحديث والسنة، ودفع الكذب عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وتوضيح المقبول والمردود مما ورد عنه، وقد أردت الإسهام في هذا الجانب بدراسة أتناول فيها: **(ألفاظ الجرح التي اختلف علماء الحديث في دلالتها وأثرها «دراسة لغوية حديثية»)**.

والغرض من هذه الدراسة: تتبع مناهج الأئمة النقاد في استعمالاتهم لها، والنظر في طرائقهم في إطلاقاتهم لها، وما يترتب عليها من أحكام تتعلق برجال الحديث، له أهمية كبيرة، فما زال أئمة الحديث يحثون طلاب العلم ويوجهون همهم إلى العناية بهذه الألفاظ، ومعرفة مراد كل إمام منها، باستقراء استعماله لها؛ للخروج بحكم دقيق وواضح يتماشى مع منهج الأئمة العملي، وما ينقل عنهم من أقوال، وقد يطلق العالم الواحد من الأئمة المتقدمين لفظة صدوق للثقات الذين هم دون الأثبات، وقد يطلقها مرة على الصدوق الذي هو عندنا حسن الحديث، فكان الإسناد أحد الخصائص التي اختص الله تعالى بها أمة صفيه محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد أدرك الصدر الأول أهمية ذلك، فروى الإمام مسلم (ت:٢٦١)، وغيره: عن محمد بن سيرين (ت: ١١٠هـ) أنه قال: " إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم "[١]، وروى أيضا عنه أنه قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٢].

ومن ثم افتقر الأمر إلى معرفة ضبط الراوي وصدقه، فكانت الحاجة ماسة إلى استكمال هذا الأمر، فكان نشوء (علم الجرح والتعديل) أو (علم الرجال)[٣]، قال السخاوي (ت: ٩٠٢): وإلا فمن نظر كتب الرجال ظفر بألفاظ كثيرة[٤].

(١) أورده مسلم في مقدمة صحيحه، باب الإسناد من الدين، والرواية لا تكون إلا عن طريق الثقات (١/ ١٤).
(٢) المصدر نفسه، باب الإسناد من الدين، والرواية لا تكون إلا عن طريق الثقات (١/ ١٥).
(٣) انظر: مقدمة ابن الصلاح (معرفة أنواع علوم الحديث)، (ص: ٦).
(٤) انظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (٢/ ١١٤).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا البحث وأسباب اختياره في الآتي:

١- أهمية علم مصطلح الحديث، وكونه من خصائص هذه الأمة.

٢- أن ألفاظ الجرح من أكثر المصطلحات شيوعا واستخداما في أحكام المحدثين.

٣- أن دلالة ألفاظ الجرح والتعديل تختلف باختلاف نظر علمائها، وأن الأثر المترتب على هذا الاختلاف يؤثر على حالة السند المروي من حيث القبول والرد.

٤- الرغبة في خدمة علم السنة النبوية.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعريف المختصر بالمصطلحات والمفاهيم ذات العلاقة بموضوع البحث.

٢- بيان مكانة علم الجرح والتعديل ونشأته وتطوره.

٣- إبراز دلالات ألفاظ الجرح والتعديل، وبيان الآثار المترتبة عليها.

٤- إظهار مدلولات مصطلحات الجرح الخاصة بالرواة.

منهج البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي والتحليلي، من حيث تتبع القول بخصوصية المدلول، وعناية الباحثين به، وتحليل المعطيات؛ قصد الوصول إلى نتائج علمية معتبرة، وليس من منهج الدراسة الاستقراء التام لهذه الألفاظ.

مستخدما في ذلك ما تعارف عليه الباحثون في العرف الأكاديمي، وذلك كما يأتي:

٩- جمع المادة العلمية المتعلقة بمفردات البحث من الكتب الأصيلة، وتصنيفها بما يخدم أهداف البحث.

١٠- توظيف النصوص المقتبسة توظيفا صحيحا؛ محققا لأهداف البحث، وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

١١- الحرص على نقل النص العلمي وعزوه إلى قائله؛ ليظهر منه صحة التوظيف، وعدم الاكتفاء بالإحالة إلا في بعض المواطن التي تستدعي ذلك.

١٢- عزو الآيات إلى سورها مرقمة ملتزما بالرسم العثماني.

١٣- تخريج الأحاديث النبوية، وبيان درجتها إذا كانت خارجة عن الكتب التي التزمت الصحة.

١٤- التعريف بمصطلحات البحث من المصادر المناسبة لها بشكل مختصر.

١٥- الاكتفاء بذكر تاريخ الوفاة للأعلام الواردين في صلب البحث عقب ذكرهم -عدى الصحابة -رضي الله عنهم- لشهرتهم-، خشية من إثقال الحواشي؛ إذ يعتبر تاريخ الوفاة أحد كواشف الترجمة لمن أراد المزيد، وذلك نظرا لطبيعة البحوث الأكاديمية المصغرة، والتي يلزم أصحابها عند النشر بعدد محدد من الأوراق.

١٦- وضع خاتمة للبحث فيها أبرز النتائج والتوصيات والمقترحات.

١٧- وضع فهرس لأهم المصادر والمراجع.

خطة البحث:

اشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، مبحثين، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وتحتوي على الآتي:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف البحث.
- منهج البحث.
- خطة البحث.

التمهيد: التعريف بالمصطلحات والمفاهيم ذات العلاقة بالبحث. وفيه:

أولا: تعريف الدلالة.

ثانيا: تعريف الألفاظ.

ثالثا: تعريف دلالة الألفاظ.

رابعا: تعريف الجرح.

خامسا: نشأة علم الجرح وتطوره.

المبحث الأول: ألفاظ: (له مناكير)، و(منكر الحديث)، و(ليس بشي)، و(ليس من جمال المحامل)، و(فلان لين).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: لفظة: (له مناكير)، (ومنكر الحديث).

المطلب الثاني: لفظة: (ليس بشي).

المطلب الثالث: لفظة: (ليس من جمال المحامل).

المطلب الرابع: لفظة: (فلان لين).

المبحث الثاني: ألفاظ: (ليس بالقوي)، و(ليس بقوي)، و(متروك الحديث)، و(اتفقوا على تركه).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: لفظة: (ليس بالقوي)، و(ليس بقوي).

المطلب الثاني: لفظة: (متروك الحديث)، و(اتفقوا على تركه).

الخاتمة.

وفيها:

أولا: أهم النتائج:

ثانيا: التوصيات:

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بالمصطلحات والمفاهيم ذات العلاقة بالبحث.

أولاً: تعريف الدلالة:

لفظ دلالات: جمع للدِلالة أو دلالة أو دِلولة، والفتح أعلى -أي: أفصح-، وهي مصدر دل ودلل وهو الدليل[١]، ويجمع على دلائل أيضا[٢].

ولكلمة دل معان في اللغة منها:

١- **الإرشاد:** يقال: عليه وإليه دلالة، أي: أرشد، ويقال: دله على الطريق ونحوه: سدده إليه، فهو دال، والمفعول مدلول عليه وإليه[٣].

٢- **الجرأة:** فيقال: دلت المرأة على زوجها دلالا: أظهرت الجرأة عليه في تكسر وملاحة، كأنها تخالفه وما بها من خلاف، ويقال: ما دلك علي: ما جرأك علي[٤].

٣- **السكينة والوقار:** في الهيئة والمنظر والشمائل، وغير ذلك.

٤- **التعرف أو التسديد:** والتسديد هو: إراءة الطريق[٥].

فخلاصة القول في معنى الدلالات أنها: الإرشاد، والهداية، والسكينة، والتعرف على الشي.

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٤/ ١٦٩٨).
(٢) تاج العروس، للزبيدي (٢٨/ ٥٠٢).
(٣) المعجم الوسيط، لمجموعة من المؤلفين (١/ ٢٩٤).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٩٤).
(٥) تاج العروس، للزبيدي (٢٨/ ٤٩٨).

ثانياً: تعريف الألفاظ:

والألفاظ هي: جمع للفظ، بإسكان الفاء، وأصل مادة: ل ف ظ: (لفظ) الشيء من فمه: رماه، وذلك الشيء المرمي لفاظة، ولفظ بالكلام وتلفظ به: تكلم به ضرب، واللفظ واحد الألفاظ[١].

فاللفظ: ما يتلفظ به الإنسان أو من في حكمه، مهملا كان أو مستعملا[٢].

ثالثاً: تعريف دلالة الألفاظ:

دلالة الألفاظ في اللغة: ما يدل إليه الكلام، أو ما يهدي ويرشد إليه الكلام.

ودلالات الألفاظ اصطلاحا: اصطلح المحدثون على استعمال ألفاظ يعبرون بها عن وصف الراوي من حيث القبول والرد، ويدلون بها على المرتبة التي ينبغي أن يوضع فيها مراتب الجرح والتعديل، ولا ريب في أن معرفة هذه الألفاظ والمراتب في غاية الأهمية لطالب علم الحديث والباحث فيه؛ لأنها الوسائل والأدوات الضرورية لبيان ومعرفة صفات الراوي.

والمراد بهذه الألفاظ: ما عبر فيه عن حال الراوي أو درجة حديثه بلفظة واحدة، مثل: (لا بأس به)، أو (ضعيف)، أو ما يكون مضافا، نحو: (منكر الحديث)، أو (روى مناكير)، أو (متروك الحديث)، وهكذا[٣].

وربما يطلق اللفظ على: عبارة تجوزا، أو لدلالة السياق على المقصود، فيكون هذا خلاف الأصل والغالب.

فكل من الألفاظ لها دلالة لغوية باعتبار الاشتقاق والاستعمال اللغوي، ولكل منها دلالة اصطلاحية بحسب الاصطلاح العام عند المحدثين، أو الاصطلاح الخاص من بعضهم في استعمالاته النقدية.

وقد يتفق المعنى الاصطلاحي مع معنى أو أكثر من المعاني اللغوية، وقد يختلف، وفي حالة الاختلاف يقدم المعنى الاصطلاحي؛ لكونه هو المقصود في الاستعمال.

رابعاً: تعريف الجرح:

لقد عرف علماء اللغة الجرح بتعريفات عدة منها:

الجرح لغة: جرح: الجِرح: الفعل: جَرَحه يَجْرَحُه جَرْحا: أثر فيه بالسِّلاح؛ وجَرَّحه: أكثر ذلك فيه، ...

---

(١) مختار الصحاح، للرازي (ص: ٢٨٣).
(٢) التعريفات، للجرجاني (ص: ١٩٢).
(٣) وهذا بحسب المصرح به في وصف الراوي إن كان هناك محذوف مثل: (هو)، أو (هذا)، أو (فلان).

والاسم الجرح، بالضم، والجمع أجراح وجروح وجراح، ... وجرحه بلسانه: شتمه[١]، ويقال: جرح الشاهد إذا ردّ قوله، واستجرحّ فلانٌ إذا علم ما يجرح من أجله[٢]؛ إذ التجريح ضد التعديل[٣]، ويقال: الجرح يكون باللسان في المعاني والأعراض[٤].

وقال بعض فقهاء اللغة: الجرح بالضم يكون في الأبدان بالحديد ونحوه، وبالفتح يكون باللسان في المعاني والأعراض ونحوها، وهو المتداول بينهم، وإن كان في أصل اللغة في معنى واحد[٥].

ويقال: جرح الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره، وقد قيل في ذلك في غير الحكم أيضا، فقيل: جرح الرجل غض شهادته، وقد استجرح الشاهد، والاستجراح: النقصان والعيب والفساد وهو منه[٦].

وروي عن بعض التابعين أنه قال: "كثرت هذه الأحاديث واستجرحت -أي: فسدت- وقل صحاحها"[٧]، "وهو استفعل من: جرح الشاهد إذا طعن فيه، ورد قوله، أراد أن الأحاديث كثرت حتى أحوجت أهل العلم بها إلى جرح بعض رواتها ورد روايته"[٨].

وقيل: هو التأثير في البدن بشق أو قطع، واستعير في المعنويات بمعنى التأثير في الخلق والدين بوصف يناقضها[٩].

ويتبين مما سبق: أن للجرح معانٍ حسية ومعانٍ معنوية:

- **فمن أهم المعاني الحسية:** الجرح باللسان والأبدان ونحوه. والجرح بالمعاني والأعراض. الجرح بالسلاح ونحوه.
- **ومن أهم المعاني المعنوية:** رد شهادة الشاهد. إسقاط العدالة.

فإذا جئنا إلى ألفاظ وعبارات نقد الرواة، نجد أنها على قسمين:

- **منها:** ما أطلق بما يناسب الاشتقاق اللغوي.

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٤٢٢).
(٢) انظر: فتح المغيث بشرح الفية الحديث، للسخاوي (٢/ ٤٨).
(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٤٥١).
(٤) انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢/ ١٣٠).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ١٣٠).
(٦) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٤٢٢).
(٧) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (٤/ ٨٦).
(٨) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٢٥٥).
(٩) انظر: مقدمة خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل، لحاتم العوني، (١/ ٦).

- **ومنها:** ما يخالفه تبعا لاصطلاح النقاد عموما أو خصوصا.

وأما تعريف الجرح اصطلاحا، فقد عرفه علماء مصطلح الحديث بتعريفات عدة منها:

التعريف الأول: وصف الراوي بما يقتضي رد روايته(١).

التعريف الثاني: رد الحافظ المتقن رواية الراوي لعله قادحة فيه أو في روايته، من فسق أو تدليس أو كذب أو شذوذ(٢).

التعريف الثالث: قال ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ): الجرح وصف متى التحق بالراوي أو الشاهد رد روايتهما أو ضعفهما(٣).

خامساً: نشأة علم الجرح والتعديل وتطوره:

غالبا ما تنتقل العلوم من أمة كان لها السبق في الوجود والصدارة في العلم إلى أمة أخرى أتت بعدها، لكن الأمر بالنسبة إلى علم الجرح والتعديل مختلف، وسيتم تناول ذلك هنا في الكلام عن نشأة علم الجرح والتعديل وتطوره:

لقد بدأ الكلام في الرواة جرحا وتعديلا منذ عصر النبي ﷺ، ثم في عصر الصحابة ﷺ، ثم التابعين من بعدهم(٤).

فهو أصل عظيم من أصول أهل السنة، ولذلك اعتنوا بذكره في كتب أصول الاعتقاد، وأول من جرح وعدل في الرواة نصحا للأمة هو نبي الهدى ﷺ، فهو الذي سن هذا المنهج الحكيم من الله لحماية هذا الدين من أهل البدع والأهوال، وعلى ذلك المنهج سار المحدثون، فطلبوا الإسناد، وقوموا الرواة، وعدلوا في ذلك كل العدل، ففي عصر الصحابة ﷺ كانت حركة الجرح والتعديل محدودة، وقد ظهرت بوادره في عهد كبار الصحابة ﷺ، ولعل أول من فتش عن الرواة من الصحابة: الخليفة الأول أمير المؤمنين أبو بكر الصديق ﷺ، فكان أول من احتاط في قبول الأخبار(٥)، فروى ابن شهاب الزهري (ت: ١٤٤هـ): عن قبيصة بن ذؤيب: ((أن الجدة جاءت إلى أبي بكر الصديق ﷺ تلتمس أن ترث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئا، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر شيئا، ثم سأل الناس، فقام المغيرة بن شعبة، فقال: حضرت رسول الله ﷺ

(١) انظر: مقدمة خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل، لحاتم العوني (١/ ٦)، وعلم الجرح والتعديل أهميته وتاريخه وقواعده، للدكتور عاطف أمان (ص: ٤٢).
(٢) انظر: علم الجرح والتعديل، عبد المنعم السيد نجم (١/ ٥٤).
(٣) انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير (١/ ١٢٦)، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، تحقيق: الرحيلي (ص: ١٧٠).
(٤) انظر: علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، للزهراني (ص: ١١٨).
(٥) انظر: علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، للزهراني (ص: ٢١).

يعطيها السدس، فقال: هل معك أحد، فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر الصديق ﷺ))[1].

ومع إدراكنا أن الصحابة كلهم عدول، فكان كلام بعضهم في بعض لم يقصد منه الطعن في ذات الراوي، وإنما بيان صوابه وخطئه فحسب. فكان الجرح بينهم بالكذب أو تعمده معدوما، ومع ذلك كانوا يتشددون في قبول الروايات، ويتوقفون في بعضها، ويستوثقون من نقلتها؛ لحرصهم، وكان ذلك منهجا لمن بعدهم.

أما في عهد صغار الصحابة ﷺ ومن بعدهم من التابعين، فقد بدأ حدوث البدع، وظهور المخالفات العقدية، والفتن السياسية، وما نتج عن الفتوحات الإسلامية من تجاور وتمازج المجتمعات المغلوبة بالمجتمع الإسلامي، كل ذلك أفضى ببعض أعداء الدين وأصحاب الأهواء من غير الصحابة، ممن ضعف إيمانهم، أو انعدم، أو اختل ولاؤهم للدين، أن يستحلوا الكذب على الله ورسوله، فلما احس المحدثون بالخطر الذي أحدق بالمصدر الثاني من مصادر التلقي عند المسلمين، ابتدأوا بأخذ الحيطة، عن طريق التحري في الرواية، فتكلموا في الرواة جرحا وتعديلا، ولكن كلامهم كان قليلا.

ولقد أدرك الصدر الأول أهمية ذلك، فروى مسلم (ت: ٢٦١هـ): عن محمد بن سيرين (ت: ١١٠هـ) أنه قال: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»(٢).

وفي عهد التابعين برزت ثلة من العلماء من ذوي الهمم العالية، كان لهم مزيد من العناية في التفتيش عن الرواة، والكلام في الرواة جرحا وتعديلا، على المعنى الاصطلاحي، وذلك للذب عن حديث رسول الله ﷺ، وكان من أبرزهم الإمام الشعبي (ت: ١٠٣هـ)، ومحمد بن سيرين -رحمهما الله-، حتى عدهما بعض أهل العلم من أول من انتقد الرواة.

ثم جاء عصر أتباع التابعين فمن بعدهم، حيث بعد الناس قليلا عن عهد النبوة، وصحبة من صحب الرسول ﷺ، فكثر الضعفاء والمغفلون(٣) والزنادقة(٤) وأعداء الإسلام الذين يضمرون له العداء، وظهر الكذب والوضع في الحديث، فقيض الله لهذا الدين رجالا عظماء، نهضوا لتبيين أحوال الرواة، وبيان

(١) رواه مالك في الموطأ، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة (٢/ ٥٣٥)، برقم: (٣٠٣٨)، وابن ماجه في سننه، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة (٤/ ٢٦)، برقم: (٢٧٢٤)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة (٦/ ٣٨٤)، برقم: (٦٣٠٦).

(٢) أورده مسلم في مقدمة صحيحه، باب الإسناد من الدين، والرواية لا تكون إلا عن طريق الثقات (١/ ١٤).

(٣) المغفل: هو الغالب عليه الوهم والغلط والسهو، أي: لا يميز الصواب من غيره، انظر: شرح شرح نخبة الفكر، للقاري (١/ ٢٤٣).

(٤) الزنديق: المشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو: الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد، أي: طاعن في الأديان، انظر: المصباح المنير، للفيومي، مادة: زندق (١/ ٢٥٦).

ما لا يثبت من مروياتهم.

ثم تتابع بعد ذلك ظهور الأئمة الأعلام ممن وزنوا الرواة في ميزان العدل[1]، وتبيين أحوالهم، سالكين طريق من تقدمهم من أهل العلم، ولم يدخروا جهدا أو عمرا أو مالا في سبيل الدفاع عن الدين، والذب عن حديث رسول رب العالمين ﷺ[2].

وهكذا نشأ علم الجرح والتعديل بتلك الجهود العظيمة التي بذلها العلماء، حتى أصبح علما قائما بذاته، تفتخر به الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم(٣).

ولم تظهر كتب الرواة إلا بعد منتصف القرن الثاني الهجري، ومن أول الكتب المؤلفة في الرواة: التاريخ، تأليف الليث بن سعد (ت: ١٧٥)، والتاريخ للإمام عبد الله بن المبارك (ت: ١٨١هـ)، ثم تتابع التأليف في ذلك(٤).

ومن ذلك: ما ألفه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، والتمييز، وما كتبه الإمام الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) في علله الصغير.

ومرت الأيام وانقضى عصر الرواية مع نهاية المائة الثالثة تقريبا، وصار الاعتماد بعد ذلك على الكتب المعتمدة المشهورة لا الرواة، وبطل الاعتماد على الإسناد، وصار ما يتداول من الأسانيد خارج هذه الكتب المعتمدة دليلا على نكارته، وقد انتهى الاعتماد فيما دون من السنة إلى ستة أسفار هي: صحيح الإمام البخاري (ت: ٢٥٦هـ) وصحيح الإمام مسلم (ت: ٢٦١هـ)، وسنن أبي داود (ت: ٢٧٥هـ)، وسنن الترمذي (ت: ٢٧٩)، وسنن النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، وسنن ابن ماجه (٢٧٣هـ).

ويظهر من التتبع والاستقراء: أن ابتداء التصنيف ووضع الكتاب في الجرح والتعديل إنما كان في القرن الثالث الهجري(٥)، ومن أوائل من ألف في هذا العلم: يحيى بن معين، في كتبه: التاريخ والعلل ومعرفة الرواة(٦).

---

(١) ميزان العدل: كأنه يريد: الميزان العلمي الدقيق الذي خلفه علماؤنا في علم الجرح والتعديل، وقواعده المنضبطة، انظر: التذكرة في علوم الحديث، لابن الملقن (١/ ٢٦).

(٢) انظر: السنة المفترى عليها، لسالم البهنساوي (١/ ١٧٠ - ١٨٤)، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي (١/ ١٠٩).

(٣) انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (١/ ٥).

(٤) انظر: علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، للزهراني (ص: ٢٦).

(٥) انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (١/ ٢ - ٥)، علم الجرح والتعديل أهميته وتاريخه وقواعده، للدكتور عاطف أمان (ص: ٣).

(٦) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (١٣/ ٢٣٢).

المبحث الأول

ألفاظ: (له مناكير)، و(منكر الحديث)، و(ليس بشيء)، و(ليس من جمال المحامل)، و(فلان لين).

هذه العبارات لكل منها مفهوم لغوي قد يستوي في معناه مع عبارة أخرى في الظاهر، ولكن التدقيق في هذه المعاني يوضح الفرق بينهما، وهي على مراتب، وفيها كل ما يدل على تضعيف الراوي، أو اضطرابه في الحفظ.

المطلب الأول: لفظة: (له مناكير)، (ومنكر الحديث).

لقد ذكر جمع من الأئمة أن مصطلح (له مناكير) له مدلول خاص به، وهو: قلة مرويات الراوي، بخلاف سائر الأئمة، فإنهم يريدون بها: الجرح الشديد.

قال ابن دقيق العيد (ت: ٧٠٢هـ) في شرح الإلمام: قولهم: روى مناكير، لا يقتضي بمجرده ترك روايته حتى تكثر المناكير في روايته، وينتهي إلى أن يقال فيه: منكر الحديث؛ لأن منكر الحديث وصف في الرجل يستحق به الترك لحديثه، والعبارة الأخرى لا تقتضي الديمومة، كيف وقد قال أحمد بن حنبل في محمد بن إبراهيم التيمي: يروي أحاديث منكرة، وهو ممن اتفق عليه [١]، أي: أنه روى أحاديث فيها نكارة على قلتها، ويراد بذلك: أنه روى أحاديث لضعفاء خالفوا فيه الثقات، وهي مع قلتها تدل على نوع ضعف من جهة ضبط من ذكر بها، وذكر الحافظ الزيلعي: أن من يقال فيه: منكر الحديث ليس كمن يقال فيه: روى أحاديث منكرة؛ لأن منكر الحديث وصف في الرجل يستحق به الترك لحديثه، والعبارة الأخرى تقتضي أنه وقع له في حين لا دائما [٢]، وشأن الضابطين خلاف ذلك.

تطبيقات:

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ): سألت أبي عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي فقال: ضعيف الحديث منكر الحديث، وأحاديث عقبة بن خالد التي رواها عنه فهي من جناية موسى ليس لعقبة فيها جرم[٣].

فذكر لفظتا: (ضعيف الحديث ومنكر الحديث)؛ لأن مرتبتهما واحدة في الضعف الخفيف[٤]؛ لقوله: (ثم) تلي هذه مرتبة خامسة، وهي فلان (ضعيف، وكذا إن جيئا) بمد الهمزة منهم في وصف الرواة

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (٢/ ١٣٠).
(٢) نصب الراية، للزيلعي (١/ ١٧٩).
(٣) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٨/ ١٦٠).
(٤) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (٢/ ١٢٣).

(ب) لفظ (منكر الحديث)، أو حديثه منكر، أو له ما ينكر، أو مناكير[١]، أما بيان حال الأحاديث التي يرويها عقبة بن خالد عن موسى بأنها جرم موسى وجنايته، فذكر (الجرم) و(الجناية) يشير إلى شدة القدح بتلك الأحاديث في موسى، ثم جاء عن أبي حاتم في موضع آخر أنه سئل عن ستة أحاديث من رواية عقبة بن خالد هذا عن موسى فقال: هذه أحاديث منكرة، كأنها موضوعة، وموسى ضعيف الحديث جدا[٢]، ومرة قال: شيخ ضعيف الحديث[٣]، لكن لم أجد من تابع أبا حاتم على اتهام موسى بوضع الحديث، سواء فيما رواه عنه عقبة بن خالد[٤] أو غيره، ومن فسروا جرح موسى غير أبي حاتم أرجعوه إلى كثرة الخطأ والوهم، ووصف ما ذكر من مناكيره بأنه لا يتابع عليه أو أنه غير محفوظ[٥].

وذكر السيوطي في تدريب الراوي أن البخاري يطلق: (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه، وقولهم: (حديث منكر) اصطلح المتأخرون على أن المنكر هو: الحديث الذي رواه ضعيف مخالف للثقة[٦]، وقولهم (يروي المناكير)، مثل سابقتها ظاهرا، وإن كنت أفهم أنها أبلغ مما فيما تجعله من معاني التجريح، وقولهم: (أحاديثه منكرة) أبلغ مما قيل فيه في المعنى ذاته؛ لأن هذا الوصف يصدق على غالب حديثه، وقولهم (منكر الحديث) أبلغ من كل ما سبق؛ لأنه يقتضي وصف المذكور بالديمومة والاستمرار في رواية هذا اللون من الأحاديث الضعيفة، وهذا من أبلغ الجرح، وهو وصف يستحق معه الراوي ترك حديثه؛ خلافا لمن ذكر بالعبارات السابقة، فهو ممن يقبل حديثه على تفاوت في ذلك، بل إن الموصوف بالعبارة الأولى ربما كان من الثقات في الجملة، بمعنى أن تفرد هؤلاء هو الذي يستحق النظر، والا فإن ما وافقهم عليه الضابطون مقبول يحتج به[٧].

المطلب الثاني: لفظة: (ليس بشي).

لقد ذكر جمع من الأئمة أن مصطلح (ليس بشي) عند ابن معين له مدلول خاص به، وهو: قلة مرويات الراوي، بخلاف سائر الأئمة، فإنهم يريدون بها الجرح الشديد، فمن ألفاظ الجرح، وهي: المرتبة الرابعة من مراتب الجرح عند الذهبي.

(١) المصدر نفسه (٢/ ١٢٨).
(٢) علل الحديث، لابن أبي حاتم (٥/ ٦١٧).
(٣) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٨/ ١٣٣).
(٤) قال ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق صاحب حديث (٣/ ٢٦).
(٥) المجروحين، لابن حبان (٢/ ٢٤١)، والضعفاء الكبير، للعقيلي (٣/ ٣٥٥).
(٦) انظر: الرفع والتكميل، للكنوي (١/ ٢٠٠).
(٧) الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٩/ ٦٠).

تطبيقها:

حريش بن سليم الكوفي، عن طلحة بن مصرف، وحبيب بن أبي ثابت، وعنه أبو داود، ومحمد بن الصلت، وثق، وقال ابن معين: (ليس بشيء)[١]، هذا يقوله ابن معين إذا ذكر له الشيخ من الرواة يقل حديثه، وربما قال فيه (ليس بشي)، يعني: لم يسند من الحديث ما يشتغل به[٢].

قال السخاوي: "وما أدرج في هذه المرتبة من (ليس بشيء) هو المعتمد، وإن قال ابن القطان (ت: ٦٢٨هـ): إن ابن معين إذا قال في الراوي: ليس بشيء، إنما يريد: أنه لم يرو حديثا كثيرا، هذا مع أن ابن أبي حاتم قد حكى أن عثمان الدارمي سأله عن أبي دراس، فقال: إنما يروي حديثا واحدا، ليس به بأس"[٣]، قال عثمان: هو كما قال يحيى، هو ضعيف[٤].

وقولهم: (ليس به بأس) مما قيل فيه في المعنى ذاته؛ لأن هذا الوصف يصدق على غالب حديثه؛ لأنه يقتضي وصف المذكور بالديمومة والاستمرار في رواية، هذا اللون من الأحاديث الضعيفة، وهذا من أبلغ الجرح، وهو وصف يستحق معه الراوي ترك حديثه؛ لأن المراد بها: أصالة جرح الراوي، فالأقرب لمجموع الأقوال فيه: أن لفظة (ليس بشيء) عند ابن معين ليس لها مدلول خاص به، وإنما هي على الاستعمال العام عند الأئمة، حيث ترد بمعنى عدم الاحتجاج به، أو عدم اعتبار حديثه.

المطلب الثالث: لفظة: (ليس من جمال المحامل).

وأما اللفظ الثاني: (ليس من جمال المحامل) فهذه العبارة يؤخذ منها: أنه يروى حديثه ولا يحتج بما ينفرد به؛ لما لا يخفى من الكناية المذكورة.

تطبيقات:

كما قاله داود بن رشيد في سريج بن يونس: ليس من جمازات -أي: أبعرة- المحامل، والجماز: البعير. أو ليس بالمرضي، أو ليس يحمدونه، أو ليس بالحافظ، أو غيره أوثق منه، وفي حديثه شيء، وفلان مجهول، أو فيه جهالة، أو لا أدري ما هو، أو للضعف ما هو، يعني: أنه ليس ببعيد عن الضعف، وفلان فيه خلف، وفلان طعنوا فيه، أو مطعون فيه، وكذا فلان نزكوه، بنون وزاي؛ أي: طعنوا فيه، فلان سيئ الحفظ، وفلان لين، أو لين الحديث، أو فيه لين.

---

(١) انظر: الكاشف، للذهبي (١/ ٣١٩).
(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر (٨/ ٤١٩).
(٣) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (٢/ ١٢٧).
(٤) الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٩/ ٦٠).

المطلب الرابع: لفظة: (فلان لين).

قال الدارقطني: إذا قلت: فلان لين لا يكون ساقطا متروك الحديث، ولكن مجروحا بشيء لا يسقط به عن العدالة. وفلان تكلموا فيه، وكذا سكتوا عنه، أو فيه نظر من غير البخاري، ونحو ذلك، والحكم في المراتب الأربع الأول: أنه لا يحتج بواحد من أهلها، ولا يستشهد به، ولا يعتبربه، وكل من ذكر من بعد لفظ:

لا يساوي شيئا، وهو ما عدا الأربع بحديثه اعتبر، أي: يخرج حديثه للاعتبار؛ لإشعار هذه الصيغ بصلاحية المتصف بها لذلك، وعدم منافاتها لها[1].

تطبيقات:

سلم بن قتيبة الباهلي، قال فيه يحيى بن سعيد القطان: ليس من جمال المحامل.

وعيسى بن مثرود، قال ابن معين: ليس بشيء، ليس من جمال المحامل[2].

فقولهم: (فلان ليس من جمال المحامل) هو تجريح ظاهر، يستوي مع قولهم: فلان غيره أوثق منه، وليس بشيء، وهذا شأن من يقبل حديثه بالمتابعة دون التفرد؛ إذ لو كان أهلا للتفرد بحيث يكون على درجة الضبط لحديثه تحملا وأداء لقبل تفرده، وهو من قبيل التشبيه للضعيف من الرواة بالجمل الذي لا يقوى على حمل ما اعتادت فحول الجمال على حمله.

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (٢/ ١٢٩).
(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ٨٤٩)، تهذيب التهذيب، لابن حجر (٣/ ٢٧٨).

المبحث الثاني

ألفاظ: (ليس بالقوي)، و(ليس بقوي)، و(متروك الحديث)، و(اتفقوا على تركه).

المطلب الأول: لفظة: (ليس بالقوي)، و(ليس بقوي).

وهي: من ألفاظ الجرح، ومرتبتها في المرتبة الخامسة[١]، وهي أسهلها، ومنها قولهم: فيه مقال، أو أدنى مقال، أو ضعف، أو ينكر مرة ويعرف أخرى، أو ليس بذاك أو ليس بالقوي[٢].

تطبيقها:

عبد الملك بن الحسين أبو مالك النخعي، قال البخاري: ليس بالقوي[٣].

قال المعلمي (ت: ١٣٨٦هـ): أقول: عبارة النسائي: (ليس بالقوي)، وبين العبارتين فرق لا أراه يخفى على الأستاذ، ولا على عارف بالعربية، فكلمة (ليس بقوي) تنفي القوة مطلقا، وأن لم تثبت الضعف مطلقا، وكلمة (ليس بالقوي) إنما تنفي الدرجة الكاملة من القوة، والنسائي يراعي هذا الفرق، فقد قال هذه الكلمة في جماعة أقوياء، منهم: عبد ربه بن نافع، وعبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل، فبين ابن حجر في ترجمتيها من (مقدمة الفتح) أن المقصود بذلك: أنهما ليسا في درجة الأكابر من أقرانهما[٤].

و(ليس بالقوي) و(ليس بقوي) الظاهر: أن كليهما يصلح في الشواهد والمتابعات، لكن (ليس بالقوي) أرفع، فالضعف يتفاوت كما أن التعديل يتفاوت.

وقد قيل في جماعات: (ليس بالقوي، واحتج به)، وهذا النسائي قد قال في عدة: (ليس بالقوي)، ويخرج لهم في كتابه، قال: "قولنا: (ليس بالقوي) ليس بجرح مفسد".

وبالاستقراء إذا قال أبو حاتم: (ليس بالقوي)، يريد بها: أن هذا الشيخ لم يبلغ درجة القوي الثبت، والبخاري قد يطلق على الشيخ: (ليس بالقوي)، ويريد أنه: ضعيف[٥].

وقولهم: (ليس بالقوي ولا بالحافظ) يحتمل أن يراد به: انحطاطه عن الدرجة العالية، وكذا قولهم: (لا يحمدونه، ولا ينزلونه منزلة الكبار في الحفظ)[٦]، وبين أسوأ الجرح وأسهله مراتب لا تخفى.

---

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (٢/ ١٣١).
(٢) الرفع والتكميل، للكنوي (١/ ١٧٩).
(٣) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٦/ ٥٢٧).
(٤) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، للمعلمي (١/ ٤٤٢).
(٥) الموقظة في علم مصطلح الحديث، للذهبي (ص: ٨٣).
(٦) النكت على مقدمة ابن الصلاح، للزركشي (٣/ ٤٣٦).

والكلام في الرواة يحتاج إلى ورع تام، وبراءة من الهوى والميل، وخبرة كاملة بالحديث، وعلله، ورجاله، ثم نحن نفتقر إلى تحرير عبارات التعديل والجرح، وما بين ذلك من العبارات المتجاذبة، ثم أهم من ذلك: أن نعلم بالاستقراء التام عرف ذلك الإمام الجهبذ، واصطلاحه، ومقاصده، بعباراته الكثيرة[١].

المطلب الثاني: لفظة: (متروك الحديث)، و(اتفقوا على تركه).

معناه: متروك، أي: مبغض[٢]، والحديث المتروك هو: حديث الراوي الذي اتهم بالكذب[٣].

قال ابن الصلاح: إذا قالوا: (متروك الحديث)، أو (ذاهب الحديث)، أو (كذاب) فهو ساقط الحديث، لا يكتب حديثه، وهي المنزلة الرابعة[٤].

تطبيقها:

ما رواه الفسوي قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا أبو جزي، وهو نصر بن طريف، (ضعيف ضعيف متروك)، وعلله العرزمي هذا فإنه ضعيف جدا، وهذا معنى قول الحافظ فيه: متروك[٥].

وقال الفسوي: وعثمان البري (ضعيف متروك)، تركه ابن المبارك، ويحيى بن سعيد، والناس، وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول فيه غير ما قال غيره، زعم أنه لا بأس به[٦].

فيلاحظ أن الفسوي وصف كلا من أبي جزي والبري، بلفظ (متروك)، وكررها بلفظ (ضعيف)، والثاني ذكر مع لفظ (متروك): (ضعيف) ولم يكررها، ثم ذكر بعد ذلك في بقية كلامه ما يوضح وجود تفاوت بين حاليهما، وأن مرتبتهما في الترك متفاوتة، فمرتبة الأول أسوأ من مرتبة الثاني، وذكره ابن حبان بقوله: (يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم)، كأنه كان المتعمد لذلك لا يجوز الاحتجاج به[٧]، وعله فإن تلخيص الذهبي لحاله بقوله: تركوه[٨]، ومرة: اتفقوا على تركه[٩].

وفي المغني قال في موضع: كذبه غير واحد عنه مناكير[١٠]، وقال الساجي تركه أهل الحديث لرأيه

(١) الموقظة في علم مصطلح الحديث، للذهبي (ص: ٨٢).
(٢) شرح نخبة الفكر، للقاري (١/ ٤٥٣).
(٣) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي (١/ ٣٤٧).
(٤) مقدمة ابن الصلاح (معرفة أنواع علوم الحديث)، (ص: ١٢٦).
(٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني (٣/ ٦٩).
(٦) المعرفة والتاريخ، للفسوي (٢/ ١٢٣).
(٧) المجروحين، لابن حبان (٣/ ٥٢).
(٨) ديوان الضعفاء، للذهبي (ص: ٤٠٩).
(٩) المغني في الضعفاء، للذهبي (٢/ ٦٩٦).
(١٠) المصدر نفسه (٢/ ٤٢٩).

وغلوه في الاعتزال، وأما صدقه في الرواية فقد اختلفوا فيه...[١].

وذكر ابن عدي مما أنكر عليه (١٤) حديثا، وذكر له حديث ومصنفات، ثم قال: وعامة حديثه مما، لا يتابع عليه إسنادا أو متنا، وهو ممن يغلط الكثير، ونسبه قوم إلى الصدق، وضعفوه؛ للغلط الكثير الذي كان يغلط، إلا أنه في الجملة ضعيف، ومع ضعفه يكتب حديثه[٢].

فالأقرب لمجموع الأقوال فيه: أنه متروك الحديث لغير الكذب في الرواية ولا التهمة به، ولكن لإكثاره الغلط، بحيث لم يتابع على عامه حديثه، وإصراره على الخطأ في بعض الأحيان، وغلوه في البدعة.

قال النووي: وإذا قالوا: متروك الحديث، أو ذاهبه، أو كذاب، فهو ساقط لا يكتب حديثه[٣].

الخـاتمـة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإننا نجد أن السنة النبوية المطهرة قد ارتقت بآداب الأمة وأخلاقها وسلوكها إلى قمم عالية من الرقي والسمو، وارتقت كذلك بلسانها ولغتها، وهذبتها غاية التهذيب، فحذفت وأضافت وطورت في الدلالة؛ مواكبة للتطور الحضاري الذي اكتنف شتى مناحي حياة الأمة بظهور الإسلام، ومن ثم فإن هذا التباين في الألفاظ والعبارات وكثرتها، واختلاف مدلولاتها بين عالم وآخر، ومن عصر لآخر؛ يقتضي عملا علميا من أهل عصرنا لوضع ضوابط لألفاظ الجرح والتعديل، وتصنيفها إلى مجموعات تدل كل مجموعة منها إلى معاني معينة يوصف بها الراوي ومروياته، بحيث يسهل على الباحث تصنيفها وفق الصحة والضعف، ويمكن من خلال بحثي هذا: **(ألفاظ الجرح التي اختلف علماء الحديث في دلالتها وأثرها «دراسة لغوية حديثية»)**، أن أبين أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وهي كما يأتي:

أولاً: أهم النتائج:

١- أن هناك فوارقا دقيقة في ألفاظ الجرح يستعملها علماء الفن، وكل واحد منهم له دلالة خاصة، ولها أثرها في تقييم الرجال وتباين قبول الرواية أو ردها من جهة الدالة.

٢- اتفق علماء الجرح والتعديل في الغالب على ألفاظ التعديل مع بعض الفروق اليسيرة، أما ما يتعلق بألفاظ الجرح فإن الاختلاف في مصطلحاته وألفاظه حاضرة وبقوة، ومن يمعن

(١) لسان الميزان، لابن حجر (٤/ ١٥٧).
(٢) الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٦/ ٢٦٩).
(٣) التقريب والتيسير، للنووي (ص: ٥٣).

النظر في المصادر الأصلية ذات العلاقة بكتب الجرح والتعديل يظهر له ذلك بجلاء.

٣- تختلف درجات ألفاظ الجرح بحسب اختلاف علماء الجرح والتعديل، فقد تكون عند بعضهم بدرجة محددة وتكون عند آخرين بغير هذه الدرجة، مما حدى بالباحثة تحرير هذه المسألة؛ لتجمع بين هدفين: الأول: حديثي في مجال الجرح والتعديل، والثاني: لغوي، له دلالاته المهمة في مرادفات اللغة العربية ومكانتها.

٤- أهمية هذا البحث تنبع في بيان حال الرجال جرحا وتعديلا؛ كونه ثابت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم عن كثير من الصحابة -رضي الله عنهم-، والتابعين -رحمهم الله تعالى-، فمن بعدهم؛ صونا للشريعة، لا طعنا في الناس.

٥- أن علم الجرح والتعديل هو أحد أنواع العلوم التي تتعلق بالرواة، وهو من الأهمية بمكان؛ لأن الغرض من معرفته هو: حفظ سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الوضع والكذب.

٦- أن الكلام في الرواة جرحا وتعديلا مزلق خطير، ولم يمكن للكلام فيه إلا القليل من العلماء.

٧- علم الجرح والتعديل مهمة صعبة ودقيقة، فيشترط لمن تصدى لهذا الفن أن يكون واسع الاطلاع على الأخبار المروية، وأحوال الرواة، وطرق الرواية، وأخبار البلدان، وأن يكون متيقظا دقيق الفطنة، وهذه الصفات لا يبلغها إلا الحذاق من أهل العلم.

٨- أن ألفاظ التجريح منها ما يدل على أسوأ التجريح، ومنها ما يدل على أدناه، وبينهما مراتب متفاوتة.

ثانيا: التوصيات:

أوصي بالآتي:

١- علم الجرح والتعديل من أشهر علوم الحديث، وأكثرها تفريعا، والخلاف في مفرداته قائم، وهو بحاجة إلى أن تناله عناية الباحثين بشكل أكثر دقة، فإن القدامى كانوا يكتبون لطلاب العلم المتخصصين، ولم يستوعبوا جميع رجال الحديث، كما هو ظاهر.

٢- العناية بألفاظ الجرح والتعديل التي يختص فيها كل إمام بمقصد معين، وإبرازها، وإيراد التطبيقات العلمية عليها، والأثر المترتب عليها، وهو مشروع متاح أمام الباحثين الجادين، فلم يخدم جميع علماء هذا الفن، وهناك من ينتظر أن ينال حظه وحقه من الدارسة.

٣- هناك تراث علمي متعلق بعلم الجرح والتعديل ما يزال قابعا في المكتبات الخاصة أو العامة، ينتظر أن يخرج محققا للناس، حتى يعم النفع به، وتكتمل الفائدة، وخاصة ما يتعلق بعلماء من بعد القرن العاشر الهجري.

وفي الختام: أرجو أن أكون قد وفقت في عرض مسائل هذا البحث بالشكل الصحيح، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وأسأله -عز وجل-: أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم، والله تعالى أعلى وأعلم، وأعز وأحكم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم.

١- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت).

٢- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

٣- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، عدد الأجزاء: ٢.

٤- التذكرة في علوم الحديث، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، قدم لها وضبط نصها وعلق عليها: علي حسن عبد الحميد، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦هـ)، مع تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني - زهير الشاويش - عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٢.

٩- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

١٠- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١١- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، والتتمة: ط دار الفكر، تحقيق بشير عيون.

١٢- الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.

١٣- خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل، حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ.

١٤- ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة - مكة، ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١٥- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات (المتوفى: ١٣٠٤هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٧- السنة المفترى عليها، سالم البهنساوي (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الوفاء - القاهرة، دار البحوث العلمية - الكويت، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٨- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي (ت: ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٩- سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٠- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢١- شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، المحقق: قدم له: الشيخ عبد الفتح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، لبنان - بيروت.

٢٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٣- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٢٤- الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (المتوفى: ٣٢٢هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٥- علل الحديث، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الناشر: مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٦- علم الجرح والتعديل أهميته وتاريخه وقواعده، للدكتور عاطف أحمد أمان، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد: الثاني، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٧- علم الجرح والتعديل، عبد المنعم السيد نجم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية عشرة - العدد الأول - محرم صفر ربيع أول، ١٤٠٠هـ.

٢٨- علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٩- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: علي حسين علي، مكتبة السنة - مصر، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٠- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣١- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٣- لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: دائرة المعرف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، ط٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

٣٤- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ط١، ١٣٩٦هـ.

٣٥- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.

٣٧- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٨- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة، (د.ط)، (د.ت).

٣٩- المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (ت: ٢٧٧هـ)، المحقق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٠- المغني في الضعفاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور نور الدين عتر.

٤١- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٢- مقدمة ابن الصلاح (معرفة أنواع علوم الحديث)، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، نور الدين عتر، دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٣- الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤٤- الموقظة في علم مصطلح الحديث، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٢، ١٤١٢هـ.

٤٥- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٦- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، قدم للكتاب: محمد يوسف البنوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، المحقق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة - السعودية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٧- النكت على مقدمة ابن الصلاح، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

الأَنسَاقُ الثَّقَافِيَّةُ فِي شِعْرِ الصَّعَالِيْكِ

الباحثة: سمية طه علي عبدالله الجعفري
عضو هيئة تدريس- جامعة الأندلس للعلوم والتقنية

ملخص البحث:

يتميز شعر الصعاليك بمميزات خاصة في بنائه وتكوينه الثقافي، فالتحليل الثقافي يكشف عن البنى النصية وطبيعتها ومعانيها ورموزها؛ لذا فهو يتميز بأهمية كبرى عن غيره من أنواع التحليل للنصوص الأدبية في النقد الأدبي.

وبما أن النصوص في شعر الصعاليك تحوي في بنيتها العميقة أنساقا مضمرة، تتعلق بنظرة الشاعر وثقافته وطبيعته، جاءت الحاجة لكشف هذه الأنساق وتأويلها ثقافيا؛ لمعرفة الثقافة العميقة التي اتسم بها الشعراء الصعاليك، وطبيعة الحياة والفكر والفلسفة وأبعادها وحقائقها.

وقد قسم هذا البحث إلى مبحثين، جاء في الأول: قراءة في النقد الثقافي والأنساق الثقافية. وفي الثاني الجانب التحليلي لعدد من الأنساق، منها: (التمرد والغربة، والخوف، والأنا، والضياع، والفقر، والمغامرة).

وختم بعدة نتائج أبرزها:

- ارتباط التمرد في شعر الصعاليك بالحالة النفسية والاجتماعية للشاعر، ولجأ إليها لأسباب كثيرة داخلية وخارجية، منها: الفقر، التهميش من قبل النسق الجمعي/ القبيلة، الشعور بالعزلة والوحدة، الرفض لقوانين القبيلة.

تحدث النسق الفردي/ الشاعر/ الصعلوك عن نفسه ومغامراته كثيرا، والتي لها الدور الكبير في التعبير عن الخوف والقلق بصورة خفية مضمرة، حيث يحاول الاستعلاء على هذا الخوف أو تجاهله من خلال ذكر أعماله البطولية.

تضمن النص الشعري عند الصعاليك في بنيته العميقة أنساقا مضمرة تعلي من شأن "الأنا"، وتجعل من صنيعها نسقا مهيمنا على الرغم من ثانويته أو هامشيته.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي- الأنساق الثقافية- الشعراء الصعاليك.

Abstract

Cultural Patterns in the Poetry of the Tramps

Researcher: Sumaya Taha Ali Abdullah Al-Jaafari

Poetry of the Tramps is characterized by special features in its construction and cultural composition. Cultural analysis reveals the textual structures، their nature، meanings، and symbols؛ Therefore، it is distinguished by great importance from other types of analysis of literary texts in literary criticism.

Since the texts in the poetry of the tramps contain in their deep structure implicit patterns related to the poet's outlook، culture، and nature، the need came to reveal these patterns and interpret them culturally. To know the deep culture that characterized the tramp poets، and the nature of life، thought، and philosophy، their dimensions and facts. This research was divided into two sections، the first: a reading of cultural criticism and cultural patterns. The second includes the analytical aspect of a number of patterns، including: (rebellion، alienation، fear، ego، loss، poverty، and adventure).

He concluded with several results، the most notable of which are:

- The rebellion in the poetry of the Tramps is linked to the psychological and social state of the poet، and he resorted to it for many internal and external reasons، including: poverty، marginalization by the collective system/tribe، feelings of isolation and loneliness، and rejection of the tribe's laws.
- The individualist/poet/tramp talked a lot about himself and his adventures، which played a major role in expressing fear and anxiety in a hidden، implicit way، as he tried to look down on this fear or ignore it by mentioning his heroic deeds.
- The poetic text of the tramps includes in its deep structure implicit patterns that elevate the status of the "ego" and make its creation a dominant pattern despite its secondary or marginal status.

Keywords: cultural criticism - cultural patterns - tramp poets

مقدمة:

إن الأنساق الثقافية بمثابة قوانين/ تشريعات من صنع الإنسان، وضعها لضبط نفسه، وتصريف أمور حياته، وهي تعبر عن تصوير الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة. وتعد الأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة.

ولما كان الواقع لا ينتمي إلى النص إلا من خلال شرطه اللغوي، فإن الشاعر يعيد صياغة هذا الواقع بالواقع، انطلاقا من التمرد عليه لإعادة بنائه بشكل جديد، تبدو معه اللغة غريبة عن واقعها الأول واقع القول المؤتلف، وفي غرابتها تتجلى معانقتها للواقع الثاني واقع القول المختلف.

وجاء هذا البحث: (الأنساق الثقافية في شعر الصعاليك) محللا شعر الصعاليك ثقافيا، بحيث يتم الكشف عن البنى النصية وطبيعتها ومعانيها ورموزها. ويتميز شعر الصعاليك بمميزات خاصة في بنائه وتكوينه الثقافي، فالشاعر/ الصعلوك، الذات المهمشة تبدأ بحركة التمرد على منظومة النسق الجمعي بتقمص مبادئه وأفكاره في الحياة (الكرم- البطولة-..) لإقامة النسق الاستعلائي، وهذا النسق الاستعلائي للذات هو الذي يجعلها قادرة على نفي النقيض، والغياب بدلا من ذلك بالتملك والكمال وديمومة الحضور، وهكذا تظهر الذات المتصعلكة.

بهذا نجد أن النص الشعري عند الشعراء الصعاليك يتضمن في بنيته العميقة أنساقا مضمرة تعلي من شأن الأنا، وتجعل من صنيعها نسقا مهيمنا على الرغم من ثانويته أو هامشيته، وعند تأويلنا للنص نكتشف فيه حالة صراع قائم بين نسق قائم ثابت، ونسق آخر متحول، وستقوم الباحثة بقراءة هذه الأنساق المضمرة في النص الشعري عند بعض الشعراء الصعاليك، ودراستها، محاولة الغوص في مكنوناتها، واستكناه دلالتها، وتأويلها. وهذه الأنساق هي: (التمرد، الغربة، الخوف، الأنا، الضياع والتشرد، الفقر والجوع، المغامرة).

المبحث الأول

قراءة في النقد الثقافي

النقد الثقافي:

النقد الثقافي منهج فكري غربي الأصل، وقد ظهر في أوروبا في حدود القرن الثامن عشر الميلادي عند الأمريكيين، وهو ينطوي تحت مظلة ما بعد الحداثة. ثم انتقل إلى العرب عبر محاولات وكتابات النقاد العرب حول هذا الموضوع، حيث تعد محاولة عبد الله الغذامي أبرزها من خلال كتابه "النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية"، كذلك دراسة يوسف عليمات في كتابه "جماليات التحليل الثقافي: الشعر الجاهلي نموذجًا"، وغيرها من الدراسات التي حاولت الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في النصوص الأدبية.

والنقد الثقافي: هو فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية، يعنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، حيث يقوم بعملية الكشف عن المخبوء من تحت أقنعة البلاغي / الجمالي بخلاف النقد الأدبي الذي يركز على الأشياء الجمالية[1]. والنقد الثقافي يشمل مجالات الاهتمام بالتحليل للأنساق، والدراسات الثقافية تشمل جميع نواحي الحياة، كدراسة نوع الجنس، والدراسات النفسية أو الاجتماعية[2].

وقد أوضح الغذامي أن النقد الثقافي لن يكون إلغاءً منهجيًا للنقد الأدبي، بل إنه سيعتمد اعتمادًا جوهريًا على المنجز المنهجي الإجرائي للنقد الأدبي، حيث يقوم النقد الثقافي في محاولة توظيف الأداة النقدية توظيفا يحولها من كونها أدبيًا إلى كونها ثقافيًا، وذلك بإجراء تعديلات جوهرية تتحول بها المصطلحات لتكون فاعلة في مجالها الجديد، ويتم اقتراح العنصر السابع من عناصر الرسالة والاتصال، وهو (العنصر النسقي)، الذي يوازي عنصر الرسالة. وعند إضافة العنصر السابع (النسقي) ستكون هناك وظيفة سابعة للاتصال تضاف إلى الوظائف الست في الاتصال الياكبسوني، يستوجب ذلك اقتراح نوع ثالث من الجمل يضاف إلى الجملة النحوية والجملة الأدبية، وهي (الجملة الثقافية)، وعبرهذه الجملة يميزلنا ما هو أدبي وما هو ثقافي، ويكتمل ذلك بتوسيع مفهوم المجاز، ومفهوم التورية، حيث تعرض فكرة (المجاز الكلي) بديلا مصطلحيًا للمجاز البلاغي، وفكرة (التورية الثقافية) بديلا عن التورية البلاغية[3].

---

(١) النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، عبد الله الغذامي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٥م، ص ٨٣- ٨٤.

(٢) تحولات النقد الثقافي، عبد القادر الرباعي، دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص١٥.

(٣) الأنساق الثقافية في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدنيوري "دراسة تحليلية"، عبد الله مطلق نهار الحربي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠١٣م، ص١٥- ١٦.

الأنساق الثقافية:

يعتبر النسق الثقافي مفهوما مركزيا في مجال النقد الثقافي، ويعود تشكله نتيجة حقلين معرفيين، هما: النقد الحديث، والأنثربولوجيا.

والأنساق الثقافية بمثابة قوانين / تشريعات من صنع الإنسان، وضعها لضبط نفسه، ولتصريف أمور حياته، وهي تعبر عن تصوير الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة. وتعد الأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة.

ويأتي معنى النسق في اللغة بأنه "ما كان على نظام واحد من كل شيء، ويقال: جاء القوم نسقا، وزرعت الأشجار نسقا، ويقال: كلام نسق: متلائم على نظام واحد، والجمع أنساق. (١)

وفي الاصطلاح: هي أنساق تظهر في كيفية استهلاك المنتج الثقافي العربي منذ القدم، ولها تأثير في عملية إنتاج الشعر أكثر من تأثيرها في تلقيه، والنسق الثقافي يكون لدى القارئ والمستقبل. (٢)

وأوضح الغذامي أن النقد الثقافي يقوم على (العنصر النسقي)، وهو العنصر الذي يقوم بين الرسالة والمرسل والمرسل إليه، حيث أضاف (العنصر النسقي) كعنصر فهم لمعنى الرسالة وما تحتويه من أنساق داخلية غير ظاهرة للقارئ. ويرى كذلك أن هذا النسق يكون مضمرا، وأن النسق الثقافي المضمر ليس في وعي القارئ ولا في وعي المؤلف، وإنما هو نسق ثقافي مضمر تواجد مع تراكم العمليات الثقافية. ويكمن الكثير من هذا النسق الثقافي المضمر في (التورية الثقافية)، حيث تحدث ازدواجية في دلالة الكلمة أحدهما عميق والآخر مضمر. والنسق الثقافي مواضعة اجتماعية ودينية وأخلاقية وجمالية، تعرضها في لحظة معينة من تطورها ا لوضعية الاجتماعية التي يقبلها ضمنيا المؤلف وجمهوره، ويمكن اعتبار أي نص مغلقا أو متوحدا، وموضوعا من كتلة واحدة، أنه منفتح على نصوص أخرى ومعارف أخرى يدمجها في بنيته، وتمنحه مظهرا مختلطا ومتجزئا، وليس للنسق الثقافي بطبيعة الحال وجود مستقل وثابت. (٣)

فعندما نقول بأن النص الشعري الجاهلي هو حادثة ثقافية جمالية، فإن هذا يدل على أن الشاعر يستمد مادته الفنية وصوره الشعرية من خلال ثقافة التفاعل مع مجتمعه. أي أننا نصبح في علاقة

(١) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المكتبة الإسلامية، استانبول- تركيا، ج٢، مادة (نسق)، ص٩١٩.
(٢) دليل الناقد الأدبي، سعد البازعي. وميجان الرويلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٥، ٢٠٠٧م، ص٣١٠.
(٣) ينظر: الأنساق الثقافية في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدنيوري، عبد الله الحربي، مرجع سابق، ص١٦- ١٧.

الشاعر- المجتمع، والشاعر- النص أمام النسقين التاليين:)[1]

أ. **النسق الجمعي**: ويشتمل على ثقافة القبيلة أو الممدوح، والأعراف والمرجعيات الخاضعة لنظام هذا النسق.

ب. **النسق الفردي (النسق الشعري)**: وهو يمثل رؤية الشاعر الذاتية للآخر: القبيلة، أو الممدوح، أو المهجو.

وتبدو صورة النسق الفردي في النصوص الشعرية متراوحة في موقفها بين الانتماء إلى النسق الجمعي والخضوع لسلطته، أو التمرد على النسق المضاد لتشكيل عالم الذات. فيصبح النص الشعري في أسمى تجلياته محاولة للمعالجة مع الواقع بكيفية أو بأخرى، إنه محاولة لتحقيق الانسجام عبر الانسجام الحاصل في الواقع المعيش. ولما كان الواقع لا ينتمي إلى

النص إلا من خلال شرطه اللغوي، فإن الشاعر يعيد صياغة هذا الواقع بالواقع، انطلاقا من التمرد عليه لإعادة بنائه بشكل جديد، تبدو معه اللغة غريبة عن واقعها الأول واقع القول المؤتلف، وفي غرابتها تتجلى معانقتها للواقع الثاني واقع القول المختلف.

المبحث الثاني

دراسة عدد من الأنساق الثقافية في شعر الصعاليك

إن الذات المهمشة تبدأ بحركة التمرد على منظومة النسق الجمعي بتقمص مبادئه وأفكاره في الحياة (الكرم- البطولة-..) لإقامة النسق الاستعلائي، وهذا النسق الاستعلائي للذات هو الذي يجعلها

قادرة على نفي النقيض، والغياب بدلا من ذلك بالتملك والكمال وديمومة الحضور، وهكذا تظهر الذات المتصعلكة.

والصعلوك هو: "الفقير الذي يواجه الحياة وحيدا، وقد جردته من وسائل العيش فيها، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها، فالمسألة ليست فقرا وحسب، لكنها فقر يغلق أبواب الحياة في وجه صاحبه، ويسد مسالكها أمامه".(٢)

(١) جماليات التحليل الثقافي، يوسف عليمات، وزارة الثقافة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، عمان- الأردن، ص٤١.

(٢) الشعراء الصعاليك، يوسف خليف، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٦م، ص٢١.

وكانت هناك أسباب عدة جعلت هؤلاء الشعراء يخرجون عن طاعة قبيلتهم، إما لعدم انسجامهم معها، أو رفضهم طاعتها، ورغبتهم العيش بحرية، والاعتماد على النفس.. فتكونت من هؤلاء جماعات وحدها الهدف، وكان فيهم: "الحر الثائر[١]، والغاوي الضال، والأسود ابن الأمة، والقاتل الفاتك.."

وقد جمع بين أفرادها الفقر والتمرد والتشرد، والظلم الاجتماعي والاقتصادي، وكان هؤلاء قبيل تصعلكهم هم المستضعفون من الناس، وممن نظر إليهم المجتمع نظرة ازدراء واستهجان، واعتبرهم من الطبقة الدنيا فيه؛ إما لفقرهم، وإما لخروجهم عن مجتمعهم، وإما لأصلهم..[٢]

فالنص الصعلوكي انفجار الخروج على الإجماع والممارسة الجماعية، وتأسيس الانبثاق الفردي في العالم، واختراقه من أجل تغيير نظام القيم وبنية العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة، وتدمير سلطة أصحاب المصلحة في ترسيخ النظام من أجل تفكيك كلي لما هو قائم سلطوي.[٣]

وهكذا فإن النص الشعري عند الشعراء الصعاليك يتضمن في بنيته العميقة أنساقا مضمرة تعلي من شأن الأنا، وتجعل من صنيعها نسقا مهيمنا على الرغم من ثانويته أو هامشيته، وعند تأويلنا للنص نكتشف فيه حالة صراع قائم بين نسق قائم ثابت، ونسق آخر متحول، وسنقوم هنا بقراءة هذه الأنساق المضمرة في النص الشعري عند هؤلاء الشعراء، ودراستها.

التمـرد:

لا توجد مسافة فاصلة بين معنى التمرد في وضعه اللغوي ومعناه في إبداع المبدعين، وشعر التمرد ليس عبثا يصطنعه لاه، بل هو ظاهرة أدبية تستجيب لواقع لغوي وفني يتلقاها الشاعر الصعلوك من واقعه.

وقد تناولت معاجم اللغة مادة (مرد) بمعنى التمرد، و(تمرد): عتا وطغى، و(التمرد): العصيان، وقد أصبح مثلا لكل ما عز وامتنع[٤]. وجاء في المعجم الوسيط: تمرد الغلام مرد، وعلى الشيء مرن عليه

(١) الغربة في الشعر الجاهلي، عبد الرزاق الخشروم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دار الأنوار للطباعة، دمشق- سوريا، ١٩٨٢م، ص١٣٠.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٣٠.
(٣) ينظر: الرؤى المقنعة. نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي (البنية والرؤيا)، كمال أبو ديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٥٨٠.
(٤) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١، ج٣، مادة (مرد)، ص٤٠٠. وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، دار الهداية، ج٩، مادة (مرد)، ص١٦٤. وينظر: المعجم الوسيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، مادة (مرد)، ص٤٠٧.

واعتاده، وعلى القوم عصى عنيدا مصرا، وعلى الشر طغى.[١]

بهذا نجد أن المعنى الذي اشتملت عليه المعاجم لهذه اللفظة يأتي في إطار "تجاوز الواقع والاحتجاج في وجه الأعراف والتقاليد[٢]". وإذا انتقلنا إلى معناه في الأعمال الفنية وجدنا أن معناه يدور حول محاور التجاوز والمعارضة والاحتجاج.[٣]

لقد واجه الشاعر الجاهلي قضايا الحياة وإشكالاتها وجدلياتها المتناقضة، فحاول أن يثبت وجوده وكفاءته الثقافية عن طريق اختراق هذا العالم الجدلي، واستكناه غوامضه وتعقيداته، وتشكيلاته الإنسانية والزمانية والمكانية.[٤]

والتمرد حالة نفسية واجتماعية لجأ إليها الشاعر لأسباب كثيرة داخلية وخارجية، وكثيرا ما تلجأ الشخصيات المؤهلة ذات النوازع الفردية لإظهار تمردها إما بالتميز وأخذ فرص الاستحقاق بالقوة كالنبوغ في الشعر أو البطولة أو الفروسية، وإما بالسلوك العدواني كالصعلكة.[٥]

ونجد الشنفرى الأزدي[٦] يصور لنا في تائيته معلما بارزا من معالم الصراع بين الذات والآخر، متمثلا في تمرد الهامش "الصعلوك" / أمام سلطة المركز "القبيلة"، حيث يقول فيها:[٧]

ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت ... وما ودعت جيرانها إذ تولت

وقد سبقتنا أم عمرو بأمرها ... وكانت بأعناق المضي أظلت

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة (مرد)، مرجع سابق، ص٨٦٢.

(٢) ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر، محمد أحمد العزب، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية – قسم الأدب والنقد، ص٧.

(٣) المرجع السابق، ص٧.

(٤) جماليات التحليل الثقافي، يوسف عليمات، مرجع سابق، ص٣٣.

(٥) ظواهر من التمرد في الشعر الأموي، محمد دوابشة، مجلة أكاديمية القاسمي، العدد ١٣، ٢٠٠٩م، ص٢٣٣.

(٦) الشنفرى الأزدي: نشأ في أزد اليمن، أسر صغيرا عند بني شبابة، حتى فداه بنو سلامان وهو رجلا، فعاش عندهم كالعبد، وتعلق ببنت الرجل الذي يعيش عنده وأراد أن يتزوجها، لكنها أنفته، فشعر بالمهانة في مقامه عندهم، فلجأ للصعلكة، واستغل معظم نشاطه في الانتقام من بني سلامان، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا، ويضرب به المثل في سرعة العدو والحذق والدهاء، وهو ابن أخت تأبط شرا وأكبر منه سنا، ولم يصل من شعره إلينا إلى أقله، وأكثر ما اشتهر من شعره لامية العرب. (ينظر: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه الفنية، عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص١١٢).

(٧) ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٦م، ص٣١ – ٣٥.

بعيني ما أمست فباتت فأصبحت ... فقضت أمورا فاستقلت فولت
فوا كبدا على أميمة بعدما ... طمعت فهبها نعمة العيش زلت
خرجنا من البيت الذي بين مشعل ... وبين الجبا هيهات أنشأت سربتي
أمشي على الأرض التي لن تضرني ... لأنكي قوما أو أصادف جمتي

إن متصفح القصيدة لأول وهلة يرى أن الشاعر يتحدث فيها عن محبوبته أو زوجته أم عمرو، والتي أضفى عليها من صفات الكمال الكثير، والذي ما يلبث أن يصفها بالتغير عليه والغرابة في تصرفاتها. لكن المتمعن في القصيدة والباحث فيما تحويه من أنساق مضمرة يجد أن الشاعر لم يكن يقصد بأم عمر سوى (القبيلة) / النسق الجمعي، وهذا النسق الكلي / القبيلة / الأم الكبرى / أم عمرو قد أراد تحقيق الانتفاء والاغتراب للشاعر الصعلوك ابن القبيلة / الهامش، الذي حاول خرق النظام بفعل الرحيل. لذا ضخم الشاعر من نفسه / نسقه وجعل منه نسقا جمعيا، كما في قوله: (وقد سبقتنا أم عمر بأمرها..)، (خرجنا من الوادي الذي بين مشعل..)، لكي يوحي للنسق الجمعي بعدم وحدته وقدرته على التأقلم في حياته الجديدة والمواجهة.

إن حالة التمرد من قبل النسق الفردي على النسق الكلي كانت رفضا لقوانين القبيلة، وإن كان يرى فيها الصفات التي تضفي عليها الجلال والفخامة، لكن عدم التناسب بين النسقين الفردي والكلي ولد صراعا بينهما كان نتيجته التمرد على هذا النسق والخروج عليه، "فالخارج على[1] القبيلة من خلال منطلق اجتماعي لا يتمثل نفسه منفصلا عن واقع القبيلة فحسب، وإنما يتصور مجتمعا آخر لا بد أن تقوم به طائفة أو جماعة من الناس، وقد يحدث أن تتطور هذه الأهداف الاجتماعية والاقتصادية عند بعض الصعاليك إلى لون من التمرد الخالص الذي لا يميز بين الأهداف".

وقد جاءت الأفعال التي تصف أم عمرو / النسق الكلي / القبيلة بصيغة الماضي، فقد كانت هذه القبيلة فاعلة وباعثة للحياة في الماضي فقط، لكن في الزمن الحاضر ليست كذلك، فقد تحولت إلى صورة أخرى مناقضة للماضي، حيث اتسمت بالقطيعة والرفض لاحتواء النسق المضاد / الصعلوك، فالشاعر يكشف عن طبيعة هذا التحول الذي أصاب عالم المثل / النسق الجمعي في شيفرة الأبيات، حيث بدأ برسم الصورة المضادة للمثالية التي وصفها بها:

لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها ... إذا ما مشت ولا بذات تلفت[2]

(١) الغربة في الشعر الجاهلي، عبد الرزاق خشروم، مرجع سابق، ص١٣٤.
(٢) ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص٣٢.

فحالة الإعجاب والتوافق بين النسقين كانت منحصرة بالفعل الماضي لها، لكن الآن بدا الإعجاب على النقيض فقد أصبح ساقط القناع، متحكما ومقيدا حرية أبنائه. فهذا التحول حدا بالشاعر إلى تشكيل نسق الصعلكة والتفرد بعالمه وثقافته..

ويمثل الشاعر عروة بن الورد[1] صورة فردية اجتماعية داعية إلى التمرد وحاملة لواءه، يقول: [2]

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير[3]

وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير

ويقصيه الندي، وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير

ويلقى ذو الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه والذنب جم ... ولكن للغنى رب غفور

فنجد هنا أن النسق الفردي / الذات المتصعلكة / المهمشة تدعو للتمرد والثورة على الفقر من خلال الخروج على النسق الجمعي / القبيلة؛ وذلك بحثا عن المكانة الاجتماعية اللائقة بها، وهو يصور حالة الازدراء والمهانة للفقير في مجتمعه، حتى من أقرب المقربين إليه (حليلته)، على عكس المهابة والتقدير الذي يلقاها الغني، حتى أن ذنب الغني لا يرى، بينما الفقير مذنب وهو لم يرتكب شيئا، وفي قوله: (ذريني للغنى أسعى) يخاطب النسق الجمعي / القبيلة ويوحي لها بتركها والتمرد على نظامها العنصري حتى وإن كانت متشبثة به..

ويأتي الشنفرى هنا بعد التمرد بتصوير الحال الأفضل له بعد خروجه والرحيل عن سلطة المجموع، يقول:[4]

---

(١) عروة بن الورد العبسي: يمتاز بأنه أضفى على الصعلكة كثيرا من الاحترام والتقدير؛ وذلك لما تحلى به من خلق فريد في السخاء والعطف على الشديد على الفقراء، واعتبار نفسه مسئولا عن تفريج كرباتهم وضوائق العيش عنهم، واشتهر بتواضعه الشديد معهم، ومقاسمته إياهم غنائمه التي يحصل عليها من غزواته وغاراته. (ينظر: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه الفنية، عبد الحليم حفني، مرجع سابق، ص١١٥).

(٢) ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م، ص٧٩.

(٣) ذكر أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان يوصي معلم ولده ألا يعلمهم قصيدة عروة هذه؛ لأنها تدعوهم للتمرد والاغتراب عن أوطانهم.

(٤) ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق: إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص٥٨ – ٦٠.

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر ... وشدت لطيات مطايا وأرحل
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلى متعزل
ولي دونكم أهلون: سيد عملس ... وأرقط زهلول وعرفاء جيئل
ولي صاحب في الغار يعدل صاحبي ... أبا الجون[1] إلا أنه لا يعلل
هم الأهل لا مستودع السر ذائع ... لديهم ولا الجاني بما جر يخذل
وإني كفاني فقد من ليس جازيا ... بحسنى ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب: فؤاد مشيع ... وأبيض إصليت وصفراء عيطل

نجد هنا أن الشاعر يصف الراحة بعد التعب، والأمل بعد اليأس، وكيف أصبح حال النسق الفردي المتمرد بعد خروجه عن النسق الجمعي وتخلصه من سلطته الخانقة والغير عادلة، فهو قد رأى في عالم الحيوان أصدقاء أوفى له من الإنسان، فأتى بصفات الوفاء عند الحيوان والتي أراد بعرضه لها الكشف عن مساوئ النسق المضاد/ الإنسان/ النسق الجمعي، فهجره لعالم الإنسان والتصاقه بعالم الحيوان وانطلاقه إلى الصحراء يوحي بقيمة الذات المتوحدة دون المجموع، فالذات قادرة على خلق سلطتها المضادة انطلاقا من العمل الخلاق في إطار المكان. حيث نجد أن انخراط الشاعر في واقع التجربة الحالية عزز في داخله الثقة بالنفس، وأعلى من شأن الذات، ومحا الانهزام والضعف في داخله، نجد من ذلك قوله: (وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى...)، (ولي دونكم أهلون...)، (وإني كفاني فقد من ليس جازيا...)، (ثلاثة أصحاب...).

والسعي من أجل الحياة بعزة وكرامة، وتفضيل الموت على حياة الخنوع والذل كانت الصورة البارزة والهدف الأسمى والغاية العليا عند الصعاليك، وهي السبب الرئيس في تمردهم على قبائلهم وخروجهم عن طاعتها، يقول عروة بن الورد في ذلك: [2]

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح ... عليه ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من حياته ... فقيرا ومن مولى تدب عقاربه
وسائلة: أين الرحيل؟ وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه

(١) كنية النمر.
(٢) ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، مرجع سابق، ص٤٨.

مـذاهـبـه أن الـفـجـاج عـريضـة إذا ضـنٍ عـنـه بـالـفـعـال أقـاربـه

(ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه)؟!!! هذا النص يمثل الفلسفة الخاصة بالصعاليك، والحرية المطلقة التي اتسموا بها، فالتمرد جاء من هذه الصورة والتي تمثل التمرد من شتى نواحيه، فكرا وروحا وعملا، فهم لم يجدوا الراحة والعطف والاحتواء من النسق الجمعي / القبيلة، ففضلوا حياة الحرية والبعد عن كل القيود والأعراف والقوانين التي تقيدهم وتحد من حريتهم، فعزتهم وأنفتهم وكبرياؤهم كانت حاجزا ورافضا لتقبل كل ما يقلل من شأنها، لذلك فالفجاج عريضة، وأرض الله واسعة، والرحيل أكرم وأعز وأشرف وأريح لهم من إقامة على الضنك والفقر والمهانة بين أهليهم.

الغـربة:

تأتي الغربة في معناها اللغوي كما وردت في معاجم اللغة بمعنى التغرب والاختفاء والرحيل بالبعد عن الأوطان، وهذا كذلك ما يتضمنه المعنى الاصطلاحي لها.

وقد عانى الصعاليك من الغربة وهم في قبيلتهم وبين أهلهم، مما اضطرهم للتمرد على النسق الجمعي / القبيلة والخروج عليها واتخاذ القرار بالرحيل، ونجد في الخطاب الشعري الآتي لعروة بن الورد ما يشير لغربته، يقول: (١)

تحـن إلى سـلـمى بجـرِ بـلادهـا وأنـت عـلـيـهـا بـالـمـلا كـنـت أقـدرا

تحـل بـواد مـن كـراء (٢) مضـلـةٍ تحـاول سـلـمى أن أهـاب وأحصـرا

وكـيـف تـرجـيـهـا وقـد حـيـل دونـهـا وقـد جـاورت حـيًـا بـتـيـمـن مـنـكـرا

نجد عروة في هذا الخطاب يصور حالة من الشوق والحنين للنسق الأنثوي / سلمى، وهو يرمز بهذا النسق لقبيلته التي ابتعد عنها، وقد جاء برمز الحبيبة وأضمر النسق الجمعي / القبيلة إيحاءٍ بمدى القرب والتلاحم بينهما، وقد ظهر النسق الفردي / الصعلوك متألما من الفراق (تحن إلى سلمى...)؛ لأنه كان أقدر على البقاء، لكن حالة الرفض له من قبل المجموع / القبيلة كانت أقوى من رغبة البقاء، ورفضه كذلك لفكر المجموع وعاداته والتي دفعته للتمرد الذي أدى لغربته ووحدته وانعزاله وحنينه لهم.

ثم إنه يصف الندم الذي سيلحق بقبيلته التي تخلت عنه نتيجة خسارتها له، يقول: (٣)

(١) ديوانا عروة بن الورد، والسموأل، دار بيروت للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م، ص٣٣.
(٢) أرض كثيرة الأسد.
(٣) ديوانا عروة بن الورد، والسموأل، مرجع سابق، ص٣٤ – ٣٥.

لعلك يوماً أن تسري[1] ندامة ... على بما جشمتني يوم غضورا

فغربت إن لم تخبريهم فلا أرى ... لي اليوم أدنى منك علماً وأخبرا

قعيدك[2] -عمر الله- هل تعلميني ... كريماً إذا اسود الأنامل أزهرا

صبوراً على رزء الموالي وحافظا ... لعرضي حتى يؤكل النبت أخضرا

أظهر الشاعر في هذه الأبيات الخسارة والندم اللذان سيلحقان بالنسق الجمعي نتيجة إبعادهم للذات المهمشة/ الصعلوك عنهم وتغريبهم له، إلا أنه ذكر أن الغربة ستلحق بهم نتيجة حاجتهم له ولصفاته وشمائله الحميدة، والتي سيحتاجونها ويتحسرون على فقدهم إياها، وقد جاء هنا بصورة معاكسة لحاله وحال قبيلته، فالانتفاء والاغتراب قد حل بقبيلته وليس به، فهو يعيش بواد مليء بالأسود والحيوانات المفترسة والتي رأى فيها بديلا عن قبيلته، حيث وجد الراحة والأمان والقيمة بينهم، والوفاء، وحتى إن حاولت سلمى/ النسق الجمعي/ القبيلة الضغط والتضييق عليه بنفيه لكي يستسلم ويرضخ لها؛ فهو لا يشعر بحاجته لها بل هي من ستبحث عنه وتعض أصابع الندم عليه:

تحل بوادٍ من كراءٍ مضلةٍ ... تحاول سلمى أن أهاب وأحصرا[3]

وبهذا نجد صورة الغربة في نص الشاعر هنا قد جاءت مضادة للصور المألوفة، حيث نرى أن الغربة قد أصابت أعاديه نتيجة فقدهم له وخسارتهم إياه، ونلمح في هذا النص صورة كبرى للأنا المتعالية والمتضخمة والمعتدة بنفسها، فهو يتميز بصفات جميلة عالية تجعل من الكل بحاجة إليه..

ونرى هنا أبا خراش الهذلي[4] وهو يصف قبيلته التي أعرضت عنه وهو ابنها والمقرب منها، وفضلت عليه من هو أيسر منه وأغنى، ويصف المرارة والألم والغربة التي وصل إليها، يقول:[5]

(١) تظهري.

(٢) قعيدك: قسم كأنه قال أذكرك، عمر الله: يريد بقاء الله.

(٣) أضيق عن ذلك.

(٤) اسمه خويلد بن مرة، أحد بني هذيل، ومن فرسان العرب وفتاكهم، شاعر مخضرم، أسلم وهو شيخ كبير يوم حنين، وكان ممن يعدو على رجليه فيسبق الخيل، ويروى عن الأصمعي وأبي عبيدة أنهما قالا لا نعرف أحدا مدح من لا يعرفه غير أبي خراش، حيث مدح بني رازم عندما أسروه وأطلقوا سراحه ولم يقتلوه، بينما أسر بنو بلال أخاه وقتلوه، حيث قال: (حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا.. خراشٍ وبعض الشر أهون من بعض)، وقد سلك بعض من شعراء الإسلام مسلكه. (ينظر: ديوان الحماسة، باب المراثي، الجزء١، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ص٣٢٦).

(٥) الغربة في الشعر الجاهلي، عبد الرزاق خشروم، مرجع سابق، ص١٤١- ١٤٢.

رأت رجلا قد لوحته مخامص[1] وطافت برنان المعدين[2] ذي شحم
غذي لقاح لا يزال كأنه حميت[3] بدبغ عظمه غير ذي حجم

تقول: فلولا أنت أنكحت سيدا أزف إليه أو حملت على قرم
فلا وأبيك الخير لا تجدينه جميل الغنى ولا صبورا على العدم

أبعد بلائي ضلت البيت من عمى تحب فراقي أو يحل لها شتمي
أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالطعم

مخافة أن أحيا برغم وذلة وللموت خير من حياة على رغم

جاء الشاعر هنا بالنسق الأنثوي / الزوجة التي تتحدث عن الغبن الذي حل بها بسبب زواجها من فقير، ولولاه لكانت زوجة سيد ثري ذا حسب ونسب وجاه، إلا أن الشاعر جاء بصفاته التي لا توجد في صاحب المال، والتي جعلت منه أفضل من صاحب الغنى.

وهذا النكران له من أقرب الناس إليه أشعره بالغربة والمرارة والألم، (أبعد بلائي، تحب فراقي، يحل لها شتمي...)، حيث نجد شعور الصدمة والألم والاستنكار لديه، وتفضيله الموت بكرامة على الحياة بذل ومهانة، والغربة التي هو فيها أشد مرارة من الغربة الحقيقية بمغادرة وطنه، فغربته كانت في رفض النسق الأنثوي / الزوجة للنسق الفحولي / الزوج بسبب فقره وقلة ماله.

وقد يكون غرض الشاعر من ذكره للنسق الأنثوي / زوجته التعريض بقبيلته التي أرادت له البعد عنها، حيث قللت من شأنه لفقره وقلة ماله، وفضلت عليه الغريب الذي قد بانت وظهرت عليه علامات الغنى والثراء، فالشاعر هنا يذكر صفاته من نخوة وشجاعة وبسالة، وعزة وأنفة وكبرياء، وهذه الصفات لا تشترى بالمال، ولا توجد عند الغني الذي فضلته قبيلته عليه. والشاعر/ النسق الفردي قد أصبح في وحدة وغربة خانقة بسبب ما قام به المجموع من تغريب وإبعاد له، وفي ذكر الشاعر للنسق الأنثوي بدلا من القبيلة دلالة على القرب الشديد بينه وبين قبيلته، كما قرب الرجل من زوجته أو محبوبته، وهي صورة نفسية شعورية مضمرة. وقد صور تضحيته ووفاءه لها، إلا أنها قابلت كل هذا بالضدية والصد والنكران، وبعدم الاهتمام لكل ما قدمه لها.. لذا فهو يفضل الغربة والبعد والرحيل وربما الموت على الحياة في ذلة وانكسار (وللموت خير من حياة على رغم..).

(١) غيرته مجاعات.
(٢) يرن جنباه.
(٣) شديد.

الخوف:

كان شعر الفخر من الموضوعات التي أكثر الشعراء الصعاليك من ذكرها، وفيها ينسب الشاعر لنفسه صفات البطولة والشجاعة والقوة، والحق أن هذه الصفات كان لها وظيفة فنية تمثلت في محاولة الشاعر التغلب على الخوف الكامن في نفسه.(١)

ولعل في تصوير الصعاليك لحياتهم في شعرهم وهم متقشفين، قليلي النوم، متأهبين للقتال والسطو والإغارة دائماً، ما يوحي بما في أنفسهم وإن لم يفصحوا عنه من خوف أولا، وشقاء ثانيا، ورغبة في حياة طبيعية كغيرهم ثالثا، يقول عروة بن الورد: (٢)

أرى أم حسان الغداة تلومني ... تخوفني الأعداء والنفس أخوف
تقول سليمى لو أقمت لسرنا ... ولم تدر أني للمقام أطوف
لعل الذي خوفتنا من أمامنا ... يصادفه في أهله المتخلف

نرى الشاعر هنا يصور اللوم الذي انهال عليه غداة وعشيا من قبل النسق الأنثوي / أم حسان / سليمى التي قامت بردعه وزجره عن الخوض في السلب والنهب لإشباع حاجاته وحاجة أهله وأصدقائه الصعاليك، وقد أفصح الشاعر بالخوف المسيطر عليه نتيجة تلك الحياة التي يتعرض فيها لخطر الموت كل لحظة وحين، فهو يرغب بالبقاء والعيش بين أهله كغيره من الناس، إلا أن ظروفه القاهرة دفعته لذلك.

لكنه ما يلبث أن يخفف عن نفسه من الخوف الذي تملكه وتملكها، فالموت آت لا محالة وإن كان بين أهله وأحبابه (لعل الذي خوفتنا من أمامنا .. يصادفه في أهله المتخلف)، فالموت قد يأتيه مواجهة في موطن الغزو والإغارة، وينالة بشرف وكرامة وفخر، وقد يتخلف عن مهنته (الصعلكة) ويأتيه الموت غيلة على فراشه.. فالموت آت على أية حال، لذلك فهو لن يتخلى عن حياته التي ارتضاها لنفسه، وإن كثر عليه اللوم وسيطر الخوف. وهو يصور مجيء الموت وهو مستعد له أفضل من أن يأتيه على غفلة، وفي تصويره هذا محاولة منه للتغلب على ذلك الخوف المسيطر عليه وعلى أهله.

وهكذا نجد أن حياة الصعاليك محفوفة بالمخاطر دائما، فهم في غزواتهم وقطعهم للطرق معرضون للموت في أي وقت، إلا أنهم كانوا مضطرين ومدفوعين إلى هذا العمل بحثا عن رزقهم وتأمينا لرزقهم، فهم منبوذون من قبائلهم، ولا أحد سيقدم لهم العون إن احتاجوا له، لذلك ظهر الخوف المسيطر عليهم في

(١) ظاهرة الخوف في شعر تأبط شرا، عبد العزيز محمد الشحادة، مجلة جامعة الملك سعود، م٨، الآداب ٢، ١٩٩٦م، (ص ص٣٥١- ٣٧٢)، ص٣٦٠

(٢) ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، مرجع سابق، ص٨٧.

شعرهم عن طريق الصورة التي صوروا أنفسهم بها من شجاعة وقوة وسرعة، وهذا ما يظهر لنا في قول تأبط شرا[1]: [2]

وقالوا لها لا تنكحيه فإنه ... لأول نصل أن يلاقي مجمعا
فلم تر من رأي فتيلا وحاذرت ... تأيمها من لابس الليل أروعا
يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ... ويصبح من لا يحمي لها الدهر مرتعا
رأين فتى لا صيد وحش يهمه ... فلو صافحت إنسا لصافحنه معا
ولست أبيت الدهر إلا على فتى ... أسليه أو أذعر السرب أجمعا
وإني وإن عمرت أعلم أنني ... سألقى سنان الموت يبرق أصلعا
ومن يفر بالأعداء لا بد أنه ... سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

فنجده في هذه الأبيات يتحدث عن شجاعته في مواجهة الخوف، حيث يحاول الاستعلاء على هذا الخوف أو تجاهله من خلال ذكر أعماله البطولية، إذ نشعر في أبياته هذه وغيرها إحساسه بالخوف. وقد بدأت هذه الأبيات بالتحذير لامرأة من الزواج به، مع تبريرهم لذلك الرفض، إلا أن هذا الرفض يوحي بأن الشاعر جاء بصفاته هذه متحديا لهذه المرأة فهو الرجل الشجاع الذي لا يخاف الأعداء ولا الموت ولا ينام الليل تأهبا لأي شيء، وقد ألف الصحراء وحيواناتها التي ألفته أيضا، حتى أن هذه الحيوانات توشك أن تتصافح معه لطول عهدها به، وبهذا نجد أن النص بدأ بإمكان موته، وانتهى بأنه سيموت بسبب ذلك الطريق الذي اختاره لحياته.

وقد رسم الشاعر صورة جلية لفلسفته ونظرته الوجودية للحياة والموت، فالموت سيأتي بارقا أمامه، مهما عمر، لذلك يجب عليه ألا يترك أعداءه وشأنهم، بل لابد له من مقارعتهم وقض مضاجعهم حتى يأتي الموت وهو مرتاح النفس والبال، وقد عمل ما يجب عليه..

وفي البيتين الأخيرين حكمة جلية تظهر الفلسفة التي آمن بها الصعاليك، والتي ساعدتهم في

(١) تأبط شرا: هو ثابت بن جابر الفهمي، خال الشنفرى، وأحد الثلاثة الذين اشتهروا بأنهم أقوى وأعدى من عرفهم زمانهم، هو والشنفرى وعمرو بن براقة، وقد بلغ تأبط شرا من اعتداده بنفسه وبقوته أنه كان يغير وحده على رجليه ولا يهاب أحدا، واشتهر إلى جانب شدة بأسه وصرامته بالمهارة البارعة في التخلص من المآزق البالغة الخطورة، وتكاد قصص مغامراته تقارب الأساطير. (ينظر: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه الفنية، عبد الحليم حفني، مرجع سابق، ص١١٣).

(٢) ديوان تأبط شرا، عبد الرحمن المسطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣٥.

التغلب على الخوف والسير قدما في مواجهة حياتهم التي اقتحموها عنوة، أو التي أقحمتهم الظروف فيها، بسبب رفضهم لأفكار المجموع وعاداته وقيمه، والتي حاولوا فيها رسم طريق ونهج يسيرون عليه، وتكوين مجموع خاص بهم يلتزم برؤيتهم وفلسفتهم التي ارتضوها.

كذلك نجد الشاعر تأبط شرا وهو يصف سيفه الذي أعده لتأمين حياته، يقول:[1]

وفي عنقي سيف حسام مهند ... ومرهفة زور شداد عيورها
سماحيج أشباهٍ على قدر واحدٍ ... تبيد أعاديها وتغلي قدورها

يصف الشاعر سيفه وقد هيأه وأعده لمواجهة أعدائه، فأعاديه كثر(أعاديها)، وهو متأهب ومستعد لضمان حياته المهددة، مما يوحي بإحساس الشاعر النفسي للخطر الهائل المحدق به من كل مكان ووجهة، وخوفه منه، واستعداده التام لمواجهته.

ونرى كذلك هذه الأبيات التي تحدث بها عن فراره واحتياله على من أسره من قبيلة لحيان، وكيف نجا من موت محقق، واستطاع الفرار إلى قبيلته بعد أن رأى الموت أمامه:[2]

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الخطب إلا وهو للقصد مبصر

فالشاعر هنا يشير إلى حكمته وعمله الصائب وحيلته بالفرار من الموت المحقق، وأن حزمه وعزمه كانا سببا في خروجه من مأزقه، وهذه الأبيات كانت وليدة الإحساس والخوف من المشكلة التي وقع بها.

ويقول تأبط شرا في رثاء الشنفرى:[3]

وأجمل موت المرء -إن كان ميتا- ... ولا بد يوما- موته وهو صابر
وخفض جأشي أن كل ابن حرة ... إلى حيث صرت لا محالة صائر
وأن سوام الموت تجري خلالنا ... روائح من أحداثه وبواكر

(١) شعر تأبط شرا، تحقيق: سليمان داوود القرعولي. وجيار تعيان جاسم، ط١، مطبعة الآداب، النجف- العراق، ١٩٧٣م، ص٩٦.
(٢) ديوان تأبط شرا، عبد الرحمن المسطاوي، مرجع سابق، ص٣٠.
(٣) المرجع السابق، ص٢٨.

نجد الشاعر هنا وهو في شدة حزنه وألمه لموت الشنفرى يقدم في أبياته فلسفته للحياة والموت، حيث يرى أنه لا بد ولا مفر من الموت، فهو يحوم حول الإنسان دائما، وهو النهاية الأكيدة للجميع، و"نلاحظ[١] أن مثل هذه التأملات والحكم تصدر ضمن سياق عام، هو رؤية الشاعر للموت من حيث هو أمر حتمي واقع، وإن مثل هذه الرؤية لجديرة أن تكون عند تأبط شرا، وهو الشاعر الذي يتعرض للموت ليلا ونهارا".

كذلك نجد هذه الظاهرة في قوله: [٢]

عاذلتي إن بعض اللوم معنفة ... وهل متاع وإن أبقيته باق
إني زعيم لئن لم تتركوا عذلي ... أن يسأل الحي عني أهل آفاق
أن يسأل القوم عني أهل معرفة ... فلا يخبرهم عن ثابت لاق
سدد خلالك من مال تجمعه ... حتى تلاقي الذي كل امرئ لاق
لتقرعني علي السن من ندم ... إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي

يطلب الشاعر من عاذلته الكف عن لومه، فالمال زائل كزوال الإنسان، ولن يبقى متاع ولو أبقاه، فهو يرى أنه لابد أن يستمتع بمتاعه وماله قبل أن يداهمه الموت الذي لا بد آت، وإحساس الشاعر هذا جاء بسبب طبيعة حياته التي يخاطر فيها ليل نهار، ويتعرض لشتى صور النهايات، فحديثه هذا جاء من إحساس عميق متراكم في نفسه بدنو الموت وقربه منه.

كذلك نجد ظاهرة بارزة في شعر تأبط شر وهي حديثه عن الجن والغول، وهي نتيجة الخوف وعدم الإحساس بالأمان، فهو دائما في خطر، وذكره لها يعطيه شعورا بالأمن وكذلك محاولة للاستعلاء والانتصار والتحدي لهذا الخوف، فهو حين يقتل الغول أو يضربها ويتعارك معها أو يتزوجها يوحي لنفسه وللسامع بقدرته السيطرة على جميع الأمور التي تقف أمامه، كذلك تغليف للخوف بالقوة والقدرة على التأقلم مع الواقع الذي يعيشه والذي يتعرض فيه لمخاطر كبيرة وكثيرة، و تعد الغول من الأساطير الرمزية في الشعر الجاهلي والتي كان لها الدور الكبير في التعبير عن الخوف والقلق بصورة خفية مضمرة، ومن هذه النصوص قوله: [٣]

(١) ظاهرة الخوف في شعر تأبط شرا، عبد العزيز محمد الشحادة، مرجع سابق، ص٣٦٤.
(٢) ديوان تأبط شرا، عبد الرحمن المسطاوي، مرجع سابق، ص٤٣.
(٣) ديوان تأبط شرا، عبد الرحمن المسطاوي، مرجع سابق، ص٦٧.

أتوا ناري فقلت منون أنتم فقالوا: الجن قلت عموا ظلاما

وقوله: [1]

أنا الذي نكح الغيلان في بلد ما طل فيه سماكي ولا جادا

وقوله أيضا: [2]

ألا من مبلغ فتيان فهم بما لاقيت عند رحى بطان

وأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها كلانا نضوين أو سفر فخلي لي مكاني

فشدت شدة نحوي فأهوى لها كفي بمصقول يماني

فأضربها بلا دهش فخرت صريعًا لليدين وللجران

فقالت عِد فقلت لها رويدا مكانك إنني ثبت الجنان

فلم أنفك متكئا عليها لأنظر مصبحًا ماذا أتاني

إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهر مشقوق اللسان

وساقا مخدج وشواة كلب وثوب من عباءة أو شنان

الأنا:

إن عالم الشاعر الجاهلي هو في الحقيقة بناء ثقافي متعدد الأنساق الجدلية، فالنص الشعري عند الصعاليك يتضمن في بنيته العميقة أنساقا مضمرة تعلي من شأن "الأنا"، وتجعل من صنيعها نسقا مهيمنا على الرغم من ثانويته أو هامشيته. ولا شك أن تفكيك الأنساق المتشكلة في فجوات النص وتأويلها من قبل المتلقي تكشف عن حالة الصراع بين نسق قائم ثابت، ونسق آخر متحرك متحول. [3]

والمجتمع العربي قبل الإسلام يتكون من جماعات صغيرة، تلعب القيم والعادات والتقاليد والأعراف دورا مهما فيه، إذ أن الأفكار والميول تكون جماعية، أي أنه لا توجد استقلالية فكرية للفرد، فهو ملزم بأداء الجماعة / نحن / القبيلة مقابل ضمور الأنا الفردية، فالفرد يذوب وينصهر في الجماعة حتى وإن

(١) شعر تأبط شرا، تحقيق: سليمان داوود القرعولي. وجيار تعيان جاسم، مرجع سابق، ص٨٠.
(٢) ديوان تأبط شرا، عبد الرحمن المسطاوي، مرجع سابق، ص ٧٤- ٧٥.
(٣) جماليات التحليل الثقافي، يوسف عليمات، مرجع سابق، ص٥٣

كانت على خطأ[١]، كقول دريد بن الصمة:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد [٢]

حتى وإن ذكر الشاعر ضميرا منفصلا (أنا) فإن شعوره بالذات يتضاءل ويضمر مقابل (نحن)[٣].

إلا أن شعر الصعاليك جاء فيه شعور (الأنا) / الذات المتعالية بارزا، مقابل تضاؤل شعور (نحن) / المجموع، وهذه صورة من صور التمرد على المجموع ومواجهته.

يقول الشنفرى: [٤]

أنا السمع الأزل فلا أبالي ولو صعبت شناخيب العقاب

ولا ظمأ يؤخرني وحر ولا خمص يقصر من طلاب

نجد الشاعر هنا يتحدث عن بطولته وقدرته على تحمل كل الصعاب، فلا حر ولا قر، ولا ظمأ ولا جوع يعيقه عن تحقيق هدفه، حيث حاول أن يضفي على نسقه هالة من الألق البطولي الخارق، وهذا يدل على تضخم ذات الشاعر/ الأنا المتعالية، فالذات المهمشة / الصلعوك تحاول إبراز صورتها القوية أمام النسق الجمعي / القبيلة وإشعارها بقيمتها وأهميتها.

وللشنفرى كذلك: [٥]

لا تحسبيني مثل من هو قاعد على عثة أو واثق بكساد

إذا انفلتت مني جواد كريمة وثبت فلم أخطئ عنان جوادي

نرى في هذا النص بروز الأنا المعتدة بنفسها من خلال الصفات التي وصف بها نفسه، حيث ذكر صفات الشجاعة والإقدام وإصابته الهدف بكل دقة، وهو هنا يحاول إبراز الصورة الكاملة له أمام النسق الكلي / القبيلة التي نبذته وجعلته مهمشا، واضطرته لحياة الصعلكة، فهو وإن كان صعلوكا في نظر

(١) ينظر: فحولة شعر الصعاليك (سلطة أم نص سلطة)، نبراس هاشم ياس، مجلة جامعة كربلاء، المجلد الثامن، العدد الثالث، إنساني، ٢٠١٠م، ص٢.

(٢) الأصمعيات، للأصمعي، تحقيق وشرح: أحمد محمود شاكر. وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥، ص١١٢.

(٣) ينظر: فحولة شعر الصعاليك (سلطة أم نص سلطة)، نبراس هاشم ياس، مرجع سابق، ص٢.

(٤) ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص٣٠.

(٥) المرجع السابق، ص٤٤.

المجموع / قبيلته، إلا أنه يحمل من الصفات التي قد تفتقر هي إليها.

كذلك تتجلى الأنا المتعالية في قصيدة عروة بن الورد، والتي يقول فيها: (١)

أقلي علي اللوم يا بنت منذر ... ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري
ذريني ونفسي أم حسان إنني ... بها قبل ألا أملك البيع مشتري

ذريني أطوف في البلاد لعلني ... أخليك أو أغنيك عن سوء محضر
فإن فاز سهم للمنية لم أكن ... جزوعا، وهل عن ذاك من متأخر؟

تقول: لك الويلات هل أنت تارك ... ضبوءا برجل تارة وبمنسر

بدأ الشاعر قصيدته بصوت العاذلة التي تلوم زوجها، وهذا النسق في حقيقته يمثل صورة المجتمع الجاهلي الرافض للمغامرة والمجازفة، حيث العاذلة في هذا النص جاءت معادلا موضوعيا لصورة المجتمع الجاهلي وثقافته الرافضة لأي خروج على أعرافها وعادتها، فالمجتمع الجاهلي / القبيلة تمثل السلطة والرقيب على الفرد، وتحيط به محاولة صد أي تمرد أو رفض قد يقوم به، لذلك فهي تقوم بنبذ هذا الرفض والتمرد خارجها لكي تحافظ على الكل والجمع مترابطا متماسكا.

وفي هذا النص تبرز صورة الأنا المتعالية، حيث نقرأ فيه فلسفة الشاعر الصعلوك تجاه الحياة، وأهمية العمل والفعل عنده، ورفضه الركون والاستسلام للقول (صوت العاذلة)، حيث جاءت تلك الصورة في قوله: (أقلي علي اللوم، ذريني ونفسي، ذريني أطوف في البلاد...)، وهو بهذا الرفض للرضوخ يعلي من شأن صوته ويلغي كل صوت مضاد لما يريده ويؤمن به، فالموت بكرامة خير له من حياة لا تصنع له قيمة ووجودا.

الضياع والتشرد:

إن حالة الضياع والتشرد التي وقع فيها الصعاليك كان منها في شعرهم ما هو ظاهر نلحظه بارزا في نصوصهم، وما هو مضمر نستشفه من خلال قراءة عميقة للنص، يقول عروة بن الورد: (٢)

هم عيروني أن أمي غريبة ... وهل في كريم ماجد ما يعير؟
وقد عيروني المال حين جمعته ... وقد عيروني الفقر إذ أنا مقتر

(١) ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، مرجع سابق، ص٦٧
(٢) ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، مرجع سابق، ص٧١- ٧٢.

وعـــيرني قـــومي شـــبـــابي ولمـــتي مـتى مـا يشـــأ رهـط امـرئ يـتـعـيرا!!
ولا أنـــتـــمي إلا لجـــار مـــجـــاور فـمـا آخـر الـعـيـش الـذي أنـتـظـر؟!

نجد هنا أن الشاعر يحمل مفاهيم مختلفة عن مفاهيم مجتمعه، وهو ما سبب له العزلة والضياع، فهو يريد أن يثبت وجوده وأحقيته بالحياة، وقد سعى لحياته هذه/ الصعلكة لكي يحصل على ما يريد وينشئ له فلسفته الخاصة بها، فـ(متى ما يشأ رهط امرئ يتعير) حتى وإن لم يكن فيه ما يدعوا لتعييره به، فالنسق الكلي/ القبيلة تحمل مفاهيم وقوانين صارمة خاصة بها تفرضها على النسق الفردي لكي تبقيه في حدودها وتحت هيمنتها وسيطرتها، وهذا ما رفضه النسق الفردي/ الشاعر/ الصعلوك، مما أدى به للتشرد والضياع نتيجة تمرده وخروجه على النسق الجمعي، في سبيل الحصول على مجموع يتناسق معه في الأفكار والقيم، ويبني وإياه فلسفة ومفاهيم خاصة بهم وتتناسب وفكرهم. فالصعلوك لا يعلم ما الذي ينتظره في حياته، فالضياع والتشرد محيطان به، فهو يعيش في حياة يجهل القادم منها، ولا يعلم نهايته معها، فالتشتت والضياع أصابه بحيرة وتيه يتخبط فيهما، جعله يجهل المصير الذي ينتظره، والنهاية التي قد تحل به.

الفقر والجوع:

عانى الصعاليك من الفقر والجوع وضيق الحال الكثير، حيث اضطروا للعيش معتمدين على أنفسهم، فكانوا يحصلون على ما يحتاجونه بالسطو والإغارة على القبائل، ولم تسلم منهم قبائلهم كذلك، وقد عانوا من الفقر والجوع في فترة صعلكتهم الكثير، وبرز ذلك في شعرهم كثيرا، يقول الشنفرى:[1]

وأم عـيـال قـد شـهـدت تـقـوتـهـم إذا أطـعـمـتـهـم أو تحـت[2] وأقـلـت
تخـاف عـلـيـنـا الـعـيـل إن هـي أكـثرت ونحـن جـيـاع أى آل تـألـت[3]
ومـا إن بـهـا ظـن بـمـا في وعـائـهـا ولـكـنـهـا مـن خـيـفـة الجـوع أبـقـت
مصـعـلـكـة لا يـقـصـر الـسـتـر دونـه ولا تـرتـجي لـلـبـيـت إن لـم تـبـيـت

نجد هنا أن الرجل في هذا النسق قد تحول إلى أم رؤوم تحنو على المجموع المتوحد وتحفظ كيانه وحياته، ونجد استطراد الشنفرى في توصيف صورة الأم في نسق الصعلكة يدل بطريقة إيحائية على وظيفة القائد/ المسؤول تجاه المجموع المتوحد، حيث تنعدم التفرقة واللامساواة ويصبح الجمع كلا واحدا.

(١) ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق: إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص٣٥.
(٢) أعطت قليلا.
(٣) أي سياسة ساست.

وفي قوله (أم عيال) يبرز نسق الصعلكة في تماسك وتكامل وحيوية ونشاط وفاعلية لا مثيل لها، ويندمج الفرد في المجموع ، و"تتحول[1] الهامشية إلى مركزية فاعلة".

وفي وصف الشنفرى رفيقه في الصعلكة الشاعر (تأبط شرا) بأم عيال بالتقتير قصد به الحرص، فالخوف من الجوع جعله يحرص على ادخار الطعام لوقت الحاجة، وتقديم جزء منه حتى لا يصل بهم الحال للبحث عن الفتات منه سدا للحاجة الماسة إليه، ولم يقصد به البخل، كذلك أبرز الجانب الإيجابي في حياتهم ممثلة بالتعاون والتآخي والحرص على بعضهم مهما بلغت بهم الحاجة، فالنسق الفردي في مجتمع الصعاليك هو في الأصل كلا متكاملا مع الجماعة المتوحدة..

ويصور السليك بن السلكة[2] الحاجة والجوع الذين أصاباه حتى أشرف على الموت والهلاك، ولم ينل الراحة والأمن والمال إلا بعد أن ذاق المرارة من الصعلكة، وعانى منها الكثير، يقول:[3]

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة ... وكدت لأسباب المنية أعرف

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني ... إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

المغامرة:

نتيجة لتمرد الصعاليك على النسق الجمعي / القبيلة، نلحظ الانبثاق النسقي لصورة الفرد الفاعل المهمش / الصعلوك، وفي هذه الأبيات نجد الشنفرى يعلي من قدر الذات وقدرتها:[4]

قتلنا قتيلا محرما بملبد ... جمار منى وسط الحجيج المصوت

جزينا سلامان بن مفرج قرضها ... بما قدمت أيديهم وأزلت

وهنيء بي قوم وما إن هنأتهم ... وأصبحت في قوم وليسوا بمنيتي

(١) جماليات التحليل الثقافي، يوسف عليمات، مرجع سابق، ص٦٨.

(٢) السليك بن السلكة: هو السليك بن عمير السعدي، واشتهر بالنسب إلى أمه السلكة، وكان من أغربة العرب؛ لأن أمه كانت أمة سوداء وورث عنها لونها، وكان مشهورا في الجزيرة العربية كلها، واشتهر بسرعة العدو، ومضاء العزيمة، وشدة البطش، والشجاعة والفروسية، وقد شمل نشاطه في الصعلكة أرجاء واسعة من الجزيرة العربية حتى وصل في غاراته إلى اليمن، وقد اشتهر بقوة شاعريته والتي اشتهر به في أنحاء الجزيرة. (ينظر: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه الفنية، عبد الحليم حفني، مرجع سابق، ص١١٤)

(٣) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت – لبنان، الجزء ٢٠، ص٣٩٢ – ٣٩٣.

(٤) ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص٣٧.

شـــفـيـنـا بـعـبـد الله بـعـض غـلـيـلـنـا وعـوف لـدى المـعـدى(١) أوان اسـتـهـلـت

يحاول الشاعر هنا تعزيز وجوده في المكان، والإعلاء كثيرا من شأن الذات، وقهر الخوف بالمغامرة والقتل والانتقام. فالصعلوك يسعى دائبا إلى إثبات ذاته ووجوده وحفظهما عن طريق إبراز قوته قولا بالتحدي للنظام القائم وإهماله له وتجاوزه قيمه ومرجعياته، وفعلا والتي تتمثل في قهر الخوف والمغامرة.

وعندما تتجرد النفس الإنسانية من هاجس الخوف والموت بفعل المواجهة والمغامرة، فإنها إذ ذاك تجذر سلطتها في الحياة، ويصبح بناء المستقبل الحافل بالحياة هدفا غائيا لها(٢)، حيث نجد ذلك في قول الشنفرى(٣):

إذا مـا أتـتـنـي مـيـتـتـي لـم أبـالـهـا ولـم تـذر خـالاتي الـدمـوع وعـمـتـي

ولـو لـم أرم في أهـل بـيـتـي قـاعـدا إذن جاءني بين العمودين(٤) حمتي(٥)

إن الشنفرى في هذا النص يقدم رؤية خاصة تعبر عن الفلسفة الخاصة بالذات المتصعلكة، والتي تمثل الموقف من الوجود والعدم، وهذه الرؤية جاءت بناءٍ على قوة العزيمة والإصرار والمغامرة، والتي كانت سمة بارزة وصورة جلية عند الصعاليك.

خاتمة:

في ثنايا قراءة الباحثة لعدد من الأنساق الثقافية في شعر الصعاليك برز فيها الحراك الثقافي للمجتمع وطبيعته الفكرية والثقافية والأخلاقية والسياسية وغيرها. فالنقد الثقافي يساعد الباحث المستكشف لطبيعة الثقافة لأي مجتمع للوصول إلى غاياته بطرق إيجابية ووسائل عدة.

وشعرنا العربي القديم يتضمن في بنيته العميقة أنساقا مضمرة تشكل ذلك الوعي الذي اتسم به المجتمع الجاهلي عامة والمجتمع الصعلوكي خاصة، حيث ينقل لنا الشعراء الصعاليك صورا مختلفة من الصراع، كصور الصراع مع العاذلة والمجتمع والعدو، وغيرها. كذلك قدم تساؤلات جدلية حول الحياة والموت، حيث كانت ومازالت هذه التساؤلات تشغل الفكر الإنساني.

(١) موضع العدو.
(٢) ينظر: جماليات التحليل الثقافي، يوسف عليمات، مرجع سابق، ص٧٠.
(٣) ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص٣٨.
(٤) العمودان: عمودا الخيمة.
(٥) الحمة: الموت.

كذلك ساعد التحليل الثقافي في الكشف عن جماليات النصوص، وخفاياها المضمرة في هذا الخطاب الفني، والتي ما كانت لتتجلى أمامنا لولا هذا النقد الثقافي.

من أبرز النتائج التي توصلت لها الباحثة ما يأتي:

- ارتباط التمرد في شعر الصعاليك بالحالة النفسية والاجتماعية للشاعر، ولجأ إليها لأسباب كثيرة داخلية وخارجية، منها: الفقر، التهميش من قبل النسق الجمعي / القبيلة، الشعور بالعزلة والوحدة، الرفض لقوانين القبيلة.
- جاءت الغربة عند الشاعر الصعلوك على صورتين، الأولى: الغربة المباشرة التي أصابت الشاعر، والتي عبر عن مرارتها، إلا أنه يعدها أفضل من شعوره بالغربة بين أهله وفي وطنه. والغربة الأخرى جاءت مضادة للصور المألوفة، فقد رأى الشاعر أن الغربة قد أصابت أعاديه نتيجة فقدهم له وخسارتهم إياه، وهنا تبرز صورة كبرى للأنا المتعالية والمتضخمة والمعتدة بنفسها، فالنسق الفردي هنا يتميز بصفات جميلة عالية جعلت من الكل بحاجة إليه، وأشعرتهم بالغربة نتيجة لبعده عنهم.
- تحدث النسق الفردي / الشاعر / الصعلوك عن نفسه ومغامراته كثيرا، والتي لها الدور الكبير في التعبير عن الخوف والقلق بصورة خفية مضمرة، حيث يحاول الاستعلاء على هذا الخوف أو تجاهله من خلال ذكر أعماله البطولية.
- تضمن النص الشعري عند الصعاليك في بنيته العميقة أنساقا مضمرة تعلي من شأن "الأنا"، وتجعل من صنيعها نسقا مهيمنا على الرغم من ثانويته أو هامشيته.
- تقرأ حالة الضياع والتشرد التي وقع فيها الصعاليك بصورتين: إحداهما ما نلاحظها بارزة في نصوصهم، والأخرى ما جاءت مضمرة نستشفها من خلال قراءة عميقة للنص. فالنسق الكلي / القبيلة تحمل مفاهيم وقوانين صارمة خاصة بها تفرضها على النسق الفردي لكي تبقيه في حدودها وتحت هيمنتها وسيطرتها، وهذا ما رفضه النسق الفردي / الشاعر / الصعلوك، ما أدى به إلى لتشرد والضياع نتيجة تمرده وخروجه على النسق الجمعي، وهذا في سبيل الحصول على مجموع يتناسق معه في الأفكار والقيم.
- وصف الشاعر / الصلوك الفقر والجوع بطريقة إيحائية دلت على وظيفة القائد / المسؤول تجاه المجموع المتوحد، حيث تنعدم التفرقة واللامساواة ويصبح الجمع كلا واحدا؛ فالنسق الفردي في مجتمع الصعاليك كلا متكاملا مع الجماعة المتوحدة.
- جاءت مغامرات الشاعر الصعلوك معلية من شأن الذات، وقاهرة الخوف لديها، ومحاولة إثبات وجودها عن طريق إبراز القوة بالتحدي للنظام القائم.

قائمة المصادر والمراجع

١. **الأصمعيات**، للأصمعي، تحقيق وشرح: أحمد محمود شاكر. وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م.

٢. **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت – لبنان، الجزء ٢٠.

٣. **الأنساق الثقافية في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدنيوري "دراسة تحليلية"**، عبد الله مطلق نهار الحربي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠١٣م.

٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد الزبيدي، دار الهداية، ج٩.

٥. **تحولات النقد الثقافي**، عبد القادر الرباعي، دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص١٥.

٦. **جماليات التحليل الثقافي**، يوسف عليمات، وزارة الثقافة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، عمان – الأردن.

٧. **دليل الناقد الأدبي**، سعد البازعي. وميجان الرويلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٥، ٢٠٠٧م.

٨. **ديوان تأبط شرا**، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٩. **ديوان الحماسة**، باب المراثي، الجزء ١، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

١٠. **ديوان الشنفرى**، جمع وتحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

١١. **ديوان عروة بن الورد (أمير الصعاليك)**، دراسة وشرح وتعليق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م.

١٢. **ديوانا عروة بن الورد والسموأل**، دار بيروت للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م.

١٣. **الرؤى المقنعة. نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي (البنية والرؤيا)**، كمال أبو ديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

١٤. **شعر تأبط شرا**، تحقيق: سليمان داوود القرعولي. وجبار تعيان جاسم، ط١، مطبعة الآداب، النجف – العراق، ١٩٧٣م.

١٥. **شعر الصعاليك منهجه وخصائصه الفنية**، عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

١٦. **الشعراء الصعاليك**، يوسف خليف، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٦م.

١٧. **ظاهرة الخوف في شعر تأبط شرا**، عبد العزيز محمد الشحادة، مجلة جامعة الملك سعود، م٨، الآداب ٢، ١٩٩٦م، (ص ص٣٥١ – ٣٧٢).

١٨. **ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر**، محمد أحمد العزب، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية – قسم الأدب والنقد.

١٩. **ظواهر من التمرد في الشعر الأموي**، محمد دوابشة، مجلة أكاديمية القاسمي، العدد ١٣، ٢٠٠٩م.

٢٠. **الغربة في الشعر الجاهلي**، عبد الرزاق الخشروم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دار الأنوار للطباعة، دمشق – سوريا، ١٩٨٢م.

٢١. **فحولة شعر الصعاليك (سلطة أم نص سلطة)**، نبراس هاشم ياس، مجلة جامعة كربلاء، المجلد الثامن، العدد الثالث، إنساني، ٢٠١٠م.

٢٢. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، ط١.

٢٣. **المعجم الوسيط**، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٢٤. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المكتبة الإسلامية، استانبول – تركيا، ج٢.

٢٥. **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، المركز الثقافي العربي، عبد الله الغذامي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٥م.

ضعف مهارة الكتابة لدى طلبة قسم اللغة العربية في كلية اللغات جامعة صنعاء

دراسة تشخيصية

د. إيمان عبد الله حسن مساعد
قسم اللغة العربية كلية اللغات جامعة صنعاء
eman7715080@gmail.com

ضعف مهارة الكتابة لدى طلبة قسم اللغة العربية في كلية اللغات جامعة صنعاء

د. إيمان عبد الله حسن مساعد

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تشخيص ظاهرة ضعف مهارة الكتابة لدى طلبة قسم اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة صنعاء. وتم اختيار العينة بأسلوب المسح الشامل لعينة البحث التي بلغ عددها (٨٠) طالبا وطالبة. أما أداة البحث فقد كانت الاختبار، إذ تمت صياغة اختبار مكون من قطعة شملت الأخطاء اللغوية التي حصرت من أوراق الاختبارات والأبحاث والتقارير التي أنجزها الطلبة، ثم تحليلها في جداول إحصائية.

وقد توصل البحث إلى أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستويات الطلبة في الأخطاء الإملائية، أما في الأخطاء النحوية فتوجد فروق دالة إحصائيا لصالح الذكور بنسبة (٦٥ %)، وفي الأخطاء الأسلوبية توجد فروق دالة إحصائيا لصالح الطالبات بنسبة (٧٠ %). كما توجد فروق دالة إحصائيا في الأخطاء الإملائية تعزى إلى المستوى الدراسي لصالح المستوى الرابع مقارنة ببقية المستويات بنسبة (٧٥ %).

الكلمات المفتاحية: مهارة الكتابة، الأخطاء الإملائية، الأخطاء النحوية، الأخطاء الأسلوبية.

Abstract:

Poor Language Skills in Writing Among Students of Arabic Language Department, Faculty of Languages, Sana'a University – (A Diagnostic Study).

The research aims to study the poor language skills among the students of Arabic Language Dept., Faculty of Language, Sana'a University.

The sample was selected through a comprehensive survey. The sample consists of 70 male and female students. The research tool is a test, which consists of one paragraph includes linguistic errors that were collected from exams, research papers and reports done by students, and then analyzed in statistical tables.

The research showed that there are no statistically significant differences in the students' levels in regard with spelling errors, while in grammatical errors, there are statistically significant differences in favor of males by 65%. In the other hand, there are statistically significant differences in stylistic errors in favor of female students by 70%.

There are also statistically significant differences in Spelling errors are attributable to the academic level in favor of the fourth level students compared to the rest of the levels by 75%.

أولاً: الإطار العام للبحث:

تعد الكتابة إحدى أهم نتاجات العقل البشري التي استطاع الإنسان من خلالها أن يخلد حضاراته وإنجازاته؛ فبها حفظت الأفكار والأحداث والعلوم، ونقلت إلى الأجيال المتعاقبة؛ لذا فإن تعلم الكتابة وإتقانها ضرورة من ضرورات الحياة؛ لما لها من أهمية بالغة ولاسيما في المجتمع المعاصر الذي تجاوز أمية القراءة والكتابة إلى الأمية الإلكترونية التي تتطلب بدورها إتقان مهارة القراءة والكتابة.

وتكمن أهمية الكتابة في كونها نتاجا لكل مراحل تعلم المهارات اللغوية والفكرية، وثمرة لما اكتسبه المتعلم خلال حياته من مهارات اللغة، فهو يقدم عصارة ما تعلمه في السطور التي يكتبها، وعلى هذا الأساس يسهل تقييمه؛ فشكل الكلمة ووضوح الخط وصحة الإملاء وسلامة القواعد النحوية وسلاسة العبارة ووضوحها واقتراب النص من الفكرة، كل ذلك ينم عن مهارات المتعلم اللغوية التي اختزلها في الكتابة. إن سطورا قليلة كفيلة بأن تكشف مستوى من تصدر عنه، سواء على المستوى الخطي (البنية السطحية) أو مستوى المضمون (البنية العميقة).

وللأسف الشديد يعاني معظم الطلبة الجامعيين من ضعف مهارة الكتابة في جوانبها اللغوية المختلفة، سواء كانت من ناحية الشكل أم من ناحية المضمون، ويبدو لأول وهلة عند مطالعة ما يكتبه الطلبة الجامعيون قصورا واضحا في القدرة الكتابية، إذ إن لقطعة صغيرة يكتبها الطالب أو الطالبة أن تكشف مساوئ جمة إملائية ونحوية وأسلوبية. والكارثة الكبرى عندما يكون هؤلاء الطلبة في طور التكوين الجامعي في تخصص اللغة العربية؛ إذ تغص إجاباتهم في الاختبارات والأوراق التي يعدونها بأخطاء متنوعة تكشف واقعا علميا مريرا وخللا في التكوين الأولي، الذي كان من المفترض أن يأخذ على عاتقه مهمة التأسيس ومنح الطلبة مدماكا قويا يمضون به نحو التخصص ليتجاوزوا التعلم إلى الإبداع المعرفي.

لقد كانت سنوات التدريس الجامعي وأقل منها بقليل في الميدان التربوي كفيلة باستيعاب تفاصيل كثيرة عن كتابات الطلبة، ودافعا مهما للالتفات نحو دراسة هذه الظاهرة، وهذا كان السبب الأول للتفكير في موضوع هذا البحث.

إننا بحاجة إلى الاعتراف بأن المشكلة كبيرة حقا، وأنه لا بد من تشخيصها أولا، ثم التفكير في حلول ناجعة تسهم على الأقل في التخفيف من هذه المشكلة. ولعل في الدراسات التي تلامس إشكاليات الواقع فرصة للتشخيص الأولي، من خلال البحث في الأخطاء الكتابية وأسبابها، ووضع مقترحات تحاول معالجتها تمهيدا للقضاء عليها، ومن هنا كان منطلق هذا الطرح المعنون بـ: ضعف مهارة الكتابة لدى طلبة قسم اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة صنعاء (دراسة تشخيصية).

١- مشكلة البحث وأسئلته:

تعد الكتابة نتاج إتقان المهارات اللغوية، فمن خلالها يمكن قياس المستوى الذي وصل إليه الكاتب نحويا وإملائيا وأسلوبيا، ولأن الأخطاء تكاد تمثل ظاهرة عامة في الكتابة لدى الطلبة في قسم اللغة العربية بكلية اللغات جامعة صنعاء، فإن مشكلة هذا البحث تتركز في سؤال رئيس هو: ما مظاهر الضعف اللغوية في مهارة الكتابة لدى طلبة قسم اللغة العربية في كلية اللغات جامعة صنعاء؟ ويتفرع منه الأسئلة الآتية:

س١/ ما مظاهر الضعف الإملائي لدى طلبة قسم اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة صنعاء؟

س٢/ ما مظاهر الضعف النحوي لدى طلبة قسم اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة صنعاء؟

س٣/ ما مظاهر الضعف الأسلوبي لدى طلبة قسم اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة صنعاء؟

س٤ / هل توجد فروق دالة إحصائيا في ضعف مهارة الكتابة لدى طلبة قسم اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة صنعاء تعزى إلى النمط اللغوي (إملائي، نحوي، أسلوبي)؟

س٥ / هل توجد فروق دالة إحصائيا في ضعف مهارة الكتابة لدى طلبة كلية اللغات بجامعة صنعاء تعزى إلى متغير النوع (ذكر / أنثى)؟

س٦ / هل توجد فروق دالة إحصائيا في ضعف مهارة الكتابة لدى طلبة كلية اللغات بجامعة صنعاء تعزى إلى متغير المستوى الدراسي؟

٢- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تشخيص جوانب الضعف في كتابات الطلبة، سواء كانت إملائية أو نحوية أو أسلوبية عن طريق ما ينتجه الطلبة، وهو تشخيص يحيل إلى وضع مقترحات تحاول الحد من هذه الظاهرة.

٣- أهمية البحث:

إن أهمية هذا البحث تكمن في جانبين، هما:

- الأهمية النظرية التي تتركز في: التشخيص لظاهرة الضعف اللغوي في الكتابة عند الطلبة تضاف إلى الدراسات البينية (العابرة للتخصص)؛ إذ يجمع هذا البحث بين التخصص الأكاديمي والتخصص التربوي.

- الأهمية التطبيقية التي تتمثل في: إمكانية الإفادة من نتائج البحث في إعداد مقررات تهدف إلى تطوير مهارة الكتابة لدى الطلبة في جامعة صنعاء، ولاسيما المواد المرتبطة بالمهارات اللغوية، وإمكانية إفادة أعضاء هيئة التدريس في الجامعة في حسن اختيار استراتيجيات تدريسية تنمي المهارات اللغوية ومنها

مهارة الكتابة لدى الطلبة، كما يمكن أن تفيد نتائج هذا البحث القائمين على إعداد المناهج الدراسية بالميدان التربوي في تبني برامج تطويرية تمكن الطلبة من إتقان مهارة الكتابة. كذلك تظهر أهمية هذا البحث في فتح آفاق لأبحاث مستقبلية لمعالجة تلك الأخطاء في ضوء استراتيجيات تعليمية حديثة، تفيد في تطوير الدرس اللغوي والكتابي في جميع فروع اللغة العربية، سواء أكانت في التعليم العام أم في التعليم الجامعي.

٤- حدود البحث:

اقتصر البحث على قسم اللغة العربية بكلية اللغات جامعة صنعاء، أثناء الفصلين الدراسيين الأول والثاني من العام الجامعي ٢٠٢١-٢٠٢٢م، وفي مهارات الكتابة (الإملائية والنحوية والأسلوبية) من خلال الكتابة البحثية والعلمية والإجابات في الاختبارات لدى الطلبة.

٥- مصطلحات البحث:

- الضعف والضعف: خلاف القوة، وقيل: الضعف بالضم في الجسد والضعف بالفتح في الرأي والعقل، وقيل: هما معا جائزان في كل وجه، وتضاعيف الشيء ما ضعف منه (اللسان، مادة ضعف).
- كتب: كتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا، وكتبه خطه والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة والكتبة: اكتتابك كتابا تنسخه، ويقال اكتتب فلان فلانا أي سأله أن يكتب له كتابا في حاجة، واستكتبه الشيء أي سأله أن يكتب له (اللسان: مادة كتب).
- مهر: المهارة الحذق في الشيء. والماهر الحاذق بكل عمل. والجمع: مهرة. ومهرت بهذا الأمر أمهر به: أي صرت به حاذقا، وقد مهر الشيء وفيه وبه يمهر مهرا ومهورا ومهارة (اللسان: مادة مهر).
- أما اللغوية: فمن اللغو أي السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة، واللغو واللغا واللغوي ما كان من الكلام غير معقود عليه اللغة من الأسماء الناقصة، وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم ويلغو ولغى يلغي لغة يلغو لغوا تكلم، واللغة: اللسن وحدها: أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وهي فعله من لغوت أي تكلمت، أصلها لغوة ككرة (اللسان، مادة لغو).
- والمهارة في الاصطلاح هي: الأداء السهل الدقيق القائم على الفهم لما يتعلمه الإنسان حركيا وعقليا مع توفير الوقت والجهد (أحمد اللقاني وعلي الجمل: ٢٢٩).

ويؤكد لبيب أن المهارات وسيلة مباشرة للتفاعل مع مواقف الحياة الحقيقية، على أساس أنها تعني السهولة والدقة في إجراء عمل من الأعمال، وهي إحدى الوسائل الأساسية التي يعتمد عليها المتعلم في المواقف الجديدة (لبيب رشدي، ١٩٧٦م: ١٠١). كما أنها تعني القدرة على تنفيذ أمر ما بدرجة إتقان مقبولة، وتتحدد درجة الإتقان المقبولة تبعا للمستوى التعليمي للمتعلم، والمهارة أمر تراكمي تبدأ

بمهارات بسيطة تبنى عليها مهارات أخرى، فهي قدرة عالية على أداء فعل حركي معقد في مجال معين بسهولة ودقة (عبد الله علي مصطفى، ٢٠٠٧م: ٤٣).

وتعرف المهارة اللغوية بأنها: القدرة على استعمال اللغة بجميع مكوناتها بدرجة عالية من الدقة والإتقان والأداء السريع (عبد الله علي مصطفى، ٢٠٠٧م: ٤٣). وتشمل المهارة اللغوية: مهارة الاستماع ومهارة القراءة ومهارة التحدث ومهارة الكتابة. وعليه يمكن تعريف مهارة الكتابة، بأنها: الأداء المتقن للكتابة المتميز بالسرعة والكفاءة.

تعريف إجرائي:

يمكن من خلال ما سبق من تعريفات أن يعرِف ضعف مهارة الكتابة إجرائيا بأنه: كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية والأسلوبية في الكتابة وقصورها، وعدم القدرة على إخراج نص كتابي بصورة صحيحة.

ثانياً: الإطار النظري والدراسات السابقة

١-الإطار النظري:

مرت الكتابة بمراحل عدة عبر تاريخها، كانت لدى الكاتب المبكر أعسر للاستعمال، فلكي يحصل على أسطح للكتابة كان يستخدم قطعا من الطوب الطيني المبتل بالماء وجلود الحيوانات ولحاء الشجر وورق البردي وأوراقا مجففة ورقائق من الشمع ملصقة على ألواح خشبية، توصل بعضها ببعض في الغالب، لتشكل لوحا مزدوجا ينطوي على نفسه، إلى جانب الأسطح الخشبية والحجرية. وكانت أدوات الكتابة تضم أنواعا مختلفة من المراقم وريش الأوز الذي كان يشق طوليا ويسنن مرة بعد مرة، وكانت الأحبار السائلة تخلط بطرق كثيرة (أونج، الشفاهية والكتابية: ١٩٩٤م: ١٤٨). وكانت مواد الكتابة هذه تتطلب مهارات آلية خاصة للتعامل معها، ولم يكن يتوافر لدى كل الكتاب كل هذه المهارات المتطورة بشكل يتناسب والإنشاء المسهب، وقد جعل الورق الكتابة أسهل من الناحية المادية (أونج، الشفاهية والكتابية: ١٩٩٤م: ١٤٩).

كان ذلك التطور المادي في أدوات الكتابة مرافقا للتطور في شكل الكتابة التي تطورت من نظام المقاطع إلى نظام الأبجدية، وكذلك في مضامينها تطورا يمثل ظهور الحضارات الأولى. وتفترض مصادر تاريخية كثيرة أن السومريين أول من استخدم الكتابة للتعبير عن الفكرة فأقدم الشواهد على الكتابة السومرية تمثلها الرقم الطينية الصغيرة التي تفشت عليها الكتابة التصويرية، وتعود إلى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد (سيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ١٩٩٣م: ١/ ١٠). ومع تطور الحضارات وتعقد أشكال الحياة صارت الكتابة ملازمة لكل شؤون الإنسان الذي اتجه إلى تعلمها وتعليمها وتطوير أشكالها وقواعدها، التي تمثل شرطا أساسيا للوصول بها إلى مرتبة المهارة.

ومع انتشار التعليم وتنوع المعارف وتفاوت مستويات الإدراك والاستيعاب لدى الملتحقين بالتعليم وقصر طرائق التدريس والبرامج التعليمية وضعف المقررات الدراسية، ظهرت مشكلات عدة في الكتابة، لاسيما ما يتعلق بالأخطاء الإملائية والنحوية والأسلوبية، يتضح ذلك في مزالق الكتابة التي يقع فيها الطلبة الجامعيين أثناء كتاباتهم الأبحاث والتكاليف وفي إجاباتهم الاختبارات.

فجذور الأخطاء الكتابية تبدأ من المراحل الدراسية الأولى، حيث تتظافر جملة من الظروف في تكوين المشكلة وتعميقها مع الوقت؛ فمقررات القراءة لا تحتوي تنويعا في النصوص، مما يجعلها لا تشتمل على أكبر قدر ممكن من المفردات العلمية والثقافية، فهي تتشابه في الموضوعات مما يعني تكرارا في المفردات، وهذا يسهم في محدودية الملكة اللغوية، وقصور القدرة الأسلوبية عند التلاميذ في المدارس، وتتفاقم المشكلة بالتقدم في المراحل التعليمية، فيعاني الطلبة من آثار هذا القصور في المراحل الجامعية.

ولنمط التعليم دور في ضعف الكتابة من خلال عدم تآزر المنظومة التعليمية في المدرسة، إذ لا يحاسب مدرسو المواد غير مادة اللغة العربية التلاميذ في الغالب على الأخطاء الكتابية في الاختبارات والواجبات والتكاليف المدرسية، فالمدرس لا يهتم بأكثر من إجابات التلاميذ عن أسئلة المادة العلمية.

ويأتي إهمال حصص القراءة الحرة وندرة المكتبات في المدارس، وعدم التشجيع على القراءة والإنشاء من ضمن الأسباب التي تؤدي إلى شيوع الأخطاء الكتابية، فالمعروف أن القراءة تعمل على إكساب القارئ وعيا بالكلمات في صورتها الإملائية والنحوية كما تكسبه أساليب إنشائية وتعبيرية ومجازات وصور متنوعة بحسب النصوص المقروءة، فالقارئ عندما يقرأ تلتقط عيناه الكلمات فيختزنها الدماغ، وعند الكتابة يستدعيها بصورتها الصحيحة إملائيا ونحويا، كما يستدعي الأساليب التعبيرية التي اعتاد عليها في النصوص، فيكتب كتابة صحيحة، ومع مرور الوقت تنمو لديه مهارة الكتابة التي قد تصل إلى مرتبة الإبداع.

تأتي وسائل التكنولوجيا لتزيد من دائرة المشكلة وتعميقها، فوسائل التواصل الاجتماعي قد فتحت الباب على مصراعيه لكل من أراد التدوين وضجت المواقع بالمدونات من كل فئات المجتمع على تفاوت مستوياتهم التعليمية، وضاقت بأخطاء الكتابة التي تتكرر باستمرار، فتترسخ الكلمات والعبارات بصورتها الخاطئة في الأذهان، حتى يظن أنها بصورتها الصحيحة، فيكتب الطلبة الكلمات بالشكل الذي عهدوها به، لاسيما أنهم لا يقرؤون إلا ما كتب في مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، وتكثر المحادثات الجماعية فيخطئ الناس ويمرر الخطأ دون اكتراث، ولهذا تترسخ الأخطاء وتبدو عادية، بل تبدو الكلمات الخاطئة وكأنها صحيحة.

ويأتي دور اللوحات الإعلانية والأوراق الرسمية في المؤسسات المختلفة التي تغص بالشائع من الأخطاء الكتابية لتسهم في تنميط الخطأ ليبدو نموذجا.

كما أن محاولة إتقان اللغات الأجنبية خلق جيلا يقلل من أهمية العربية، وممن يحاول استدراك الأخطاء الكتابية، ولا يبالي بالخطأ في الكتابة العربية، فالوعي الجمعي لا يستشعر وجود مشكلة بسبب ارتباط سوق العمل بإتقان اللغات الأجنبية وعدم الاكتراث باللغة العربية.

إن المسألة متشعبة ولا يمكن أن يلقي اللوم على طرف دون غيره؛ لأنها مسألة مجتمعية سببها الأول انعدام الوعي بالمشكلة وبأهمية إتقان الكتابة.

كل ذلك تظافر في خلق مشكلة عميقة لا يدركها إلا طلبة الجامعات عندما يقعون في مآزق الكتابة، إذ يكتشفون عجزهم في التعبير ويحتارون في شكل الكلمة الصحيح، وهذا للأسف بعد أن يكونوا قد قطعوا شوطا كبيرا من مراحل التعليم التي من المفترض أن تكون قد منحتهم الأساس المعرفي المناسب للكتابة الصحيحة سواء الوظيفية أو الإبداعية، فيقع الطالب/ الطالبة في مشكلة ضبط الكتابة، ويصرف همه إلى سؤال كيف يكتب كتابة إملائية ونحوية وأسلوبية صحيحة بدلا من سؤال كيف يفكر ويفند الأفكار وكيف ينظر أو يسأل أو يجيب أو يناقش، وبهذا يخسر طلبة كثر المراكز الأولى في التعليم، بسبب قصور الكتابة نحويا وأسلوبيا وإملائيا في أوراق الإجابات الاختبارات وفي أوراق التكاليف.

هذه المشكلة أيضا يعاني منها الأساتذة في الجامعات، إذ يضطر الأستاذ إلى بذل مجهود مضاعف للطلبة، فبدلا من التركيز على الجانب المعرفي، يصرف همه إلى إعادة تدريس القواعد للطلاب وتصحيح الأخطاء الكتابية لتكن النتيجة متدنية معرفيا وفي الأغلب معرفيا ومهاريا.

على أن الأخطاء في الكتابة لا تحمل طابعا واحدا بل تتعدد، فمن شكل كتابة الحرف إلى عدم توحيد نوع الخط إلى الأخطاء الإملائية والنحوية، إلى الأساليب الركيكة والأخطاء اللغوية الشائعة، وهنا تتداخل المشكلة وتتراكم بتراكم السنوات الدراسية سواء في التعليم العام أو التعليم الجامعي.

ولا تتلاشى أخطاء الكتابة بالتدريج في مستويات الدراسة، بل تثبت حتى تصير ظاهرة متفشية، والأخطر أن تظهر بوضوح في كتابات الطلبة المتخصصين في اللغة العربية الذين من المفترض أن يكونوا بمنأى عنها.

ولكي تتضح صورة مهارة الكتابة، يمكن الإشارة إلى أنها تشمل الإملاء والنحو والأسلوب:

الإملاء: لا يمكن فصل الإملاء عن الخط؛ فهو مهارة من مهارات الكتابة دون النظر إلى المكتوب فلا ينفك الإملاء عن الخط المرتبط بالتدوين منذ غابر الأزمان، ذلك التدوين الذي أخذ مراحل مختلفة تطورت بتطور الإنسان وحضارته، وفي العربية كانت الكتابة خالية من النقط والشكل اللذين وضعا فيما بعد لغرض التوضيح لغير العرب من الداخلين في الإسلام، لا سيما بعد فشو اللحن، فوصف المنقوط من الحرف بالمعجم وغير المنقوط بالمهمل وغير المشكول بالغفل (أحمد قبش،١٩٨٤م : ٧)، كما تطور الخط وظهرت فيه أشكال عدة لها مسمياتها كالنسخ والرقعة والثلث والكوفي وغيرها.

وقد تحدد للكتابة ثلاثة أنواع هي:

كتابة المصحف تكتب على ما رسم في مصحف الإمام كرسم كلمة الصلاة (الصلوة) والزكاة (الزكوة).

كتابة العروضيين: تكتب حسب الملفوظ بها دون التقيد بالقواعد كإثبات الحركات (الضمة والفتحة والكسرة والسكون والتنوين) وإثبات الحروف المحذوفة من كلمات مثل ذلك تكتب ذالك وهكذا تكتب هاكذا، هذه الكتابة مختصة بالكتابة العروضية لا يمكن تعديها إلى غيرها.

الكتابة الاصطلاحية: هي الكتابة السائدة التي وضعت الكتابة من أجل ضبطها وتثبيتها، وقد استمدت قواعد الإملاء فيها من علماء البصرة والكوفة ومن بعض كلمات المصحف الإمام والنحو (أحمد قبش،١٩٨٤م: ٨).

أما تعريف الإملاء: فهو إملاء قارئ وكتابة سامع أو إملال، لا فرق في ذلك من حيث اللغة (أحمد قبش، ١٩٨٤م:٨)، وللإملاء قواعد عامة تتمثل في لواحق الكلمة، كالتاء المربوطة والمفتوحة واللام الشمسية، والقمرية والتنوين وحروف المد، وفي الهمزة بأنواعها التي تصنف بحسب موقعها من الكلمة، وفي الحروف المحذوفة وفي زيادة الحروف.

النحو: "علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء، وهو قانون تأليف الكلام، وبيان ما يجب أن تكون عليه الكلمة (أحمد محمد عبد الراضي، ٢٠٠٧م: ٢٦) فالنحو يعني أول ما يعنى بالنظر في أواخر الكلم وما يعتريها من إعراب وبناء (فاضل صالح السامرائي، ٢٠٠٣م: ١/ ٥). والنحو يحيل إلى معاني الكلام، وبه يتم الوصول إلى المقاصد من القول فهو في الأصل علم قواعد العربية التي وضعها القدامى لضبط الكلام، وقد مر بمراحل تمثلت في جمع مفردات العربية ثم التقعيد ووضع أصول العلم، لتتوالى بعد ذلك المؤلفات والمتون والشروح، فالأسلوب هو نتاج الإحاطة بقواعد اللغة الإملائية والنحوية والتأليف بين الكلمات بصورة توصل الفكرة سواء بالطريقة التقريرية المباشرة أم بالتعبيرات المجازية.

الأسلوب: اللغة هي عبارة عن قائمة من الإمكانات المتاحة للتعبير، ومن ثم يمكن تعريف الأسلوب بأنه اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة؛ بغرض التعبير عن موقف معين، ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى، ومجموعة الاختبارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز من غيره من المنشئين (سعد مصلوح: ٣٧، ٣٨)

إن الكتابة تمثل نشاطا اتصاليا محمولا من المرسل (الكاتب) إلى المستقبل (القارئ) على مجموعة من الأسس والمبادئ العامة التي تمثل في جوهرها الغاية القصوى من استعمال اللغة (إبراهيم خليل وامتنان الصمادي والتعبير، ٢٠٠٩: ١٦) على أن هناك ما يميز لغة الكتابة عن لغة الكلام وفق أسس يسير عليها الكلام المكتوب تتمثل في النقاط الآتية) إبراهيم خليل وامتنان الصمادي ٢٠٠٩م: ١٦، ١٨، ١٩):

الإعداد والتخطيط أو التحضير: اختيار المفردات المترادفة الدلالة واختيار المراجع والمقالات المناسبة وتدوين الملاحظات إلى جانب الحفظ للمعلومات عند الطالب.

التصميم: تصميم يستعمل لوصف ما يتصل بالنسيج اللغوي للموضوع، ويتمثل في التراكيب والجمل والفقرات والربط بين الفقرة والفقرة؛ ليبدو الموضوع متسقا ثم البحث التجريبي؛ ذلك أن الكتابة تحتاج إلى عمل وصناعة وهذا يعني الرجوع إلى المراجع والمصادر والبيانات والوثائق ووقائع المؤتمرات والإحصاءات وكل ما يتصل بموضوع الكتابة.

التسلسل الاقتراني في الكتابة: ويتم في أي نوع من الكتابة؛ نثرا كانت أو شعرا سردا أو بحثا، إذ لا بد من التسلسل في عرض المادة، وأن يكون كل جزء منها مقترنا بما قبله أو ما يليه. ووسائل الربط والاقتران في اللغة متعددة: منها ما يكون على هيئة حروف، مثل: حروف العطف وأداة التعريف. ومنها أسماء، مثل: أسماء الإشارة، والضمائر التي تحيل اللاحق إلى السابق. ومنها ما يكون على هيئة روابط منطقية كأن يكون اللاحق نتيجة للسابق. ومنها ما يكون على هيئة متواليات زمانية كما هو الحال في القصص، إذ يأتي الحدث المتأخر بناء على حدث سابق.

التحليل: عملية تتم أثناء كتابة الموضوع، يقوم الكاتب بتحليل الفكرة الواحدة إلى أجزاء أو تحليل الموضوع إلى فروع مستخدما أدواته الذهنية المختلفة في تصنيف المادة، ومناقشة أجزاء المحتوى وإبراز ما يستحق العناية أو ما يجده صحيحا، واستبعاد غير الصحيح لأجل الوصول إلى نتيجة ما، وتقرير الحقيقة التي يريد، وهذا التحليل يكثر في كتابة الخواطر والمقالات، والتقارير والبحوث الصحفية.

الأسلبة: وهي أن يكون للكاتب أسلوب لافت للنظر في عرض مادته المكتوبة، والأسلوب مظهر فني ينشأ عن اختيارات الكاتب المختلفة، سواء في الألفاظ باستبدال كلمة أكثر دلالة أو وقعها الموسيقي أكثر عذوبة وأوفر جمالا بأخرى، أو يختار تركيبا نحويا بدلا من تركيب آخر كالتقديم والتأخير والحذف والتوكيد والذكر والتكرير واللجوء إلى الجمل القصيرة بدلا من الطويلة، واختيار التشبيهات والمحسنات البيانية والأسلوب هو الذي يميز عمل كاتب عن كاتب.

ومما سبق ندر أهمية مهارات الكتابة الثلاث، وتآزرها في النصوص لكي تخرج بصورة جيدة، إذ لابد من القدرة على التعامل مع المهارات اللغوية عامة أثناء الكتابة، وأي قصور في إحداها يعني وجود خلل في الكتابة، ينبئ عن ضعف في مهارة الكتابة.

وتتضح مظاهر ضعف مهارة الكتابة في الأخطاء التي يقع فيها الطلبة، والأخطاء الواردة عند تعلم اللغة، تنقسم إلى أخطاء الكفاية وأخطاء الأداء. فأخطاء الكفاية، هي الأخطاء العفوية غير المقصودة التي تعبر عن الفشل في الاستعمال الصحيح لنظام موجود سلفا، فهي الأخطاء التي لا يلام من يقع فيها (هـ دوجلاس براون، ١٩٩٤م: ٢٩٣). أما خطأ الكفاية فيحدث نتيجة عدم مقدرة المتعلم على إدراك قواعد اللغة، واستخدامها بشكل خاطئ (هـ دوجلاس براون ١٩٩٤م: ٢٩٣). ويمكن تصنيف الأخطاء

إلى أخطاء ظاهرة وأخطاء خفية، فالأخطاء الظاهرة هي أخطاء نحوية على مستوى الجملة، والأخطاء الخفية هي أخطاء صحيحة من ناحية نحوية على مستوى الجملة ولكن لا يمكن فهمها في السياق الاتصالي (هـ دوجلاس براون، ١٩٩٤م: ٢٩٧). ويمكن القول: إن الأخطاء تنقسم إلى أخطاء على مستوى الجملة وأخطاء على مستوى السياق، وتشمل كذلك الأخطاء الأسلوبية (هـ دوجلاس براون ١٩٩٤م: ٢٩٨). أما في حالة تضييق دائرة النص إلى الكلمة، فإن الأخطاء لا يمكن تصنيفها؛ لأنها ظاهرة، فالخطأ الإملائي يلازم الكلمة والخطأ الإعرابي يبدو جليا في الكلمة المعربة بعلامات فرعية.

الدراسات السابقة:

تناولت دراسات كثيرة مهارة الكتابة، وجوانب الضعف فيها، ومن أبرز هذه الدراسات:

١. دراسة أحمد محمد سيد إبراهيم: الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب قسم اللغة العربية بكليات التربية وبرنامج مقترح لعلاجها:

هدفت الدراسة إلى تحديد الأخطاء الإملائية الشائعة في كتابات طلبة قسم اللغة العربية بكليات التربية في جمهورية مصر العربية، وتحديد الأسباب التي تكمن وراءها، واقتراح برنامج لعلاجها.

ولتحقيق هدف الدراسة قام الباحث باختيار عينة من الإجابات التحريرية لعينة من طلاب وطالبات كليتي التربية من الفرقتين الثالثة والرابعة، وبلغت العينة في الكليتين (١٥٠) طالبا وطالبة. ثم قام بتصحيح الأوراق من حيث الإملاء، وصمم جدولا رصد فيه الأخطاء الإملائية، وصنفها بحسب القواعد الإملائية ووصف كل خطأ.

وقد توصل الباحث إلى أن نسبة الطلبة الذين وقعوا في أخطاء إملائية من العينة كانت عالية، بلغت (٧٥٪). وبناء على ذلك قام الباحث بإعداد برنامج علاجي لهذه الأخطاء واقترح تقديمه للطلبة، ومن ضمن أهدف البرنامج أن يتمكن الطلبة من التغلب على الأخطاء الإملائية الشائعة في كتاباتهم، وقد احتوى البرنامج على موضوعين هما التاء المفتوحة والتاء المربوطة، وكتابة الهمزة المتطرفة مع اختبار لكل موضوع.

٢. دراسة محمد لطفي محمد جاد: علاج بعض الأخطاء النحوية الشائعة في التعبير الكتابي الحر لطلاب المرحلة الثانوية الأزهرية:

هدفت الدراسة إلى استكشاف الأخطاء النحوية الشائعة في التعبير الكتابي الحر لدى طلاب وطالبات الصف الأول الثانوي الأدبي بالأزهر وإلى الطريقة التي يمكن من خلالها علاج تلك الأخطاء. ولتحقيق أهداف البحث قام الباحث بما يلي:

بناء وحدة تعليمية لعلاج الأخطاء النحوية الشائعة في التعبير الكتابي الحر لدى طلاب وطالبات الصف الأول الثانوي بالأزهر.

اختيار عينة من طلاب وطالبات الصف الأول الثانوي الأدبي بالأزهر تم تقسيمهم إلى قسمين:

عينة تشخيصية طبق عليها اختبارا لتحديد الأخطاء النحوية الشائعة في كتابتها.

عينة فعلية طبق عليها اختبارا قبليا، ثم طبق عليها الوحدة التعليمية العلاجية، ثم طبق عليه اختبارا بعديا لتعرف أثر الوحدة التعليمية في علاج الأخطاء النحوية في موضوعات التعبير الكتابي الحر.

وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج، أهمها:

انخفاض مستوى درجات كل من البنين والبنات في الاختبار القبلي قبل تدريس الوحدة، مما يدل على ضعفهم في توظيف القواعد اللغوية.

وجدت فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة بين متوسطي درجات البنين والبنات في الاختبار البعدي بعد تدريس الوحدة لصالح البنين.

ارتفاع متوسط درجات البنين والبنات في الاختبار البعدي بعد تدريس الوحدة مما يدل على تأثيرها الطيب في أداء البنين والبنات النحوي.

وقد أوصى الباحث بالاهتمام بكتب النحو والصرف المقررة، من حيث تنويع الأمثلة وربطها بالواقع المعاصر، والاهتمام بالإملاء وكتب البلاغة وضرورة وجود كتب للمعلم (دليل المعلم).

٣. دراسة يونس بن محمد بن عبد الله الكلباني: أسباب تدني التحصيل الدراسي في مهارتي القراءة والكتابة لدى طلبة مدارس المحافظات الوسطى بسلطنة عمان من وجهة نظر المعلمين ومديري المدارس:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أسباب التدني في التحصيل الدراسي في مهارتي القراءة والكتابة لدى طلبة مدارس محافظة الوسطى، في سلطنة عمان من وجهة نظر المعلمين ومديري المدارس، وتقديم المقترحات العلاجية لعلاج الضعف القرائي والكتابي لدى الطلبة، وتحديد أهم المهارات القرائية التي يجب معالجتها لدى تلاميذ الحلقة الأولى. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي في دراسته وبلغت عينة الدراسة (١٥) مديرا و(٥٥) معلما ومعلمة، تم توزيع الاستبانات عليهم بهدف جمع البيانات اللازمة لتحقيق الأهداف التي تسعى الدراسة للتوصل إليها.

ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث أداتي المشاهدة أو الملاحظة والاستبانة، وتوصل الباحث إلى أن أسباب تدني مستوى التحصيل الدراسي في مهارتي القراءة والكتابة لدى طلبة الحلقة الأولى في محافظة الوسطى الإهمال لدى بعض الأسر، وعدم متابعة الطلاب وترك العبء على المعلمين وانصراف بعض الطلبة عن لغتهم الأم، وقلق الطلبة من الاختبارات البسيطة التي يقوم بها المعلمون في الصف الدراسي، ومعاناة الكثير من الطلبة من أمراض جسيمة وكذلك ضعف البصر والسمع بسبب كثرة استخدام أدوات التكنولوجيا كالهاتف النقال.

وقد رأى الباحث أن من مقترحات علاج الضعف القرائي والكتابي لدى الطلبة: التعاون المشترك بين البيت والمدرسة، وضرورة التواصل المستمر؛ لمعرفة المستوى الحقيقي للطلبة أولا بأول واستخدام التعليم القائم على النشاط والحركة بصورة مستمرة، وإشراك الطلبة ذوي التحصيل الدراسي المنخفض في التفاعل بالحصة الدراسية والجلوس المستمر مع الطلبة ذوي التحصيل المتدني من قبل الأخصائية الاجتماعية وممرضة الصحة المدرسية ومعلمة الصعوبات ومعلمة المجال الأول، وعدم السماح للطلبة باستخدام الهواتف النقالة بصورة مفرطة؛ لما لها من تأثير سلبي عليهم، والحزم والتشجيع في آن واحد؛ وذلك من أجل رفع دافعيتهم للجد والاجتهاد، وعدم السماح لهم بالغياب بصورة متكررة. أما كيف يمكن الارتقاء بمستوى التحصيل الدراسي في مهارتي القراءة والكتابة بالحلقة الأولى من التعليم الأساسي، فعن مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة وإبلاغ أولياء الأمور بضرورة متابعة أبنائهم أولا بأول، وغرس قيمة التعليم في أنفسهم، وعدم إغفال الجانب المهاري في الأنشطة التي تقدم للطلبة وطرح الأسئلة المثيرة للتفكير من باب الحماس بينهم.

٤. دارسة حسين محمد علي ساقي: أسباب ضعف مهارة الكتابة والخط لدى طلبة كلية التربية الأساسية من وجهة نظر أساتذتها:

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى الأسباب التي تؤدي إلى ضعف مهارة الكتابة والخط لدى طلبة كلية التربية الأساسية من وجهة نظر الأساتذة فيها، ولتحقيق ذلك قام الباحث بدراسة استطلاعية تتعلق بالخط والكتابة الاعتيادية وإعداد استمارة لبيان أسباب ضعف الكتابة والخط لدى الطلبة، وتم توجيه أسئلة للتدريسيين؛ لبيان الحاجة لمثل هذه الدراسة ثم عرضها على مجموعة من الخبراء ذوي الاختصاص؛ لصدق الاستمارة، وكان الاتفاق على صدق الاستمارة بنسبة ١٠٠٪، ثم تصميم استمارة التقويم من أجل الكشف عن مستوى خطوط الطلبة بالاعتماد على خبراء، والاطلاع على مؤشرات الإطار النظري والخبرة الشخصية في هذا المجال على اعتبار أن الباحث مدرس الخط العربي منذ (١٥) عاما، ثم عرض الاستمارة على مجموعة من الخبراء والمختصين في مجال الخط العربي والتربية الفنية والتقويم والقياس لغرض التعرف على فقراتها، وتحقيقا للهدف الذي وضعت من أجله.

أما مجتمع البحث فقد تمثل في أساتذة كلية التربية الأساسية للعام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩، وبلغ عددهم (٤٥٣) عضوا تدريسيا موزعين على جميع الأقسام ووحدة الذكاء والعمادة. وقد تم اختيار عينة البحث من المجتمع الأصلي قصديا بنسبة (٢٠٪)، إذ اختيرت أقسام اللغة العربية والتربية الأسرية، والمهن الفنية والتربية الفنية، وذلك بسبب أنهم ضليعون في هذا المجال (مجال المهارة الكتابية والخط)، وتم توزيعهم كالتالي:

قسم اللغة العربية (٥٤)، قسم التربية الفنية (٢٩)، قسم التربية الأسرية والمهن الفنية (١٨)، وبذلك يصير مجموعهم (١٠١)، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

يعاني أفراد العينة من عدم ضبط شكل الحروف، ويرى الباحث أن السبب يكمن في قلة امتلاك الخبرات بقياسات الحروف وأنواع الخطوط.

يعاني أفراد العينة من مشكلة رسم الحرف:

هناك مشكلة لدى أفراد العينة تتمثل في كيفية رسم الحروف الاعتيادية

هناك مشكلة لدى أفراد العينة تتمثل في كيفية كتابة الجمل والتناسق بينها

وجود ضعف في نوعية الخط والالتزام بالقاعدة.

يعاني أفراد العينة من كتابة المقاطع والجمل وفق القاعدة الخطية والكتابة، كرسم الحرف وعلاقته بالسطر.

وعليه فقد توصل الباحث إلى جملة من التوصيات أهمها:

الاهتمام بدراسة الخط العربي بتخصيص جزء من دروس التربية الفنية في المدارس الابتدائية والمتوسطة بتعليم الكتابة الصحيحة إلى جانب الرسم، وإقامة دورات تعليمية للمعلمين على الخط العربي وتحسين الكتابة؛ من أجل إعداد معلمين قادرين على الكتابة الصحيحة، واستعمال التقنيات التربوية الحديثة بما تتضمنه من برامج في توضيح قواعد الخط العربي. وبناء على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج اقترح الباحث إجراء مجموعة من الدراسات ذات الصلة بالموضوع.

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال ما عرض من الدراسات السابقة يتضح أن هذه الدراسات التقت مع هذا البحث، في نقاط وافترقت معها في نقاط أخرى، نوجزها بنا يلي:

٥. دراسة إبراهيم: اقتصرت هذه الدراسة على الأخطاء الإملائية، وهذا يتخلف عن الحدود الموضوعية لهذه الدراسة التي تشخص الأخطاء في الكتابة عموما، كما اختلف في مجتمع البحث وعينته وحدوده المكانية، إذ كانت حدود دراسة إبراهيم المكانية هي كليات التربية في جمهورية مصر العربية، أما هذا البحث فقد اقتصر على قسم اللغة العربية في كلية اللغات جامعة صنعاء. ويلتقي هذا البحث مع دراسة إبراهيم في منهج تحليل المضمون، إذ كانت الأداة في بحثه أوراق الطلبة التي تم تصحيحها، ثم رصد الأخطاء الإملائية في جداول وتصنيفها بحسب القواعد الإملائية ووصف كل خطأ، وهنا تطابق مع هذه الدراسة التي تتجه نحو تحليل المضمون من خلال وضع اختبار مكون من قطعة تشتمل على الأخطاء الأسلوبية والإملائية والنحوية، ثم رصدها وتصنيفها في جداول، وتحديد عدد الأخطاء ونسبها المختلفة.

٦. دارسة جاد: تتجه دراسة جاد إلى علاج بعض الأخطاء النحوية الشائعة في التعبير الكتابي الحر لطلاب المرحلة الثانوية الأزهرية، فهذه الدراسة تنحصر في الأخطاء النحوية، وهو ما يتقاطع مع هذا البحث الذي يشمل الأخطاء الكتابية بما فيها النحوية. كما يختلف هذا البحث في أنه لا يسعى إلى علاج هذه

الأخطاء، بل يتجه نحو التشخيص فقط، ويلتقي هذا البحث مع دراسة جاد في أداة البحث المتمثلة في تحليل المضمون، إذ اتجه جاد إلى إجراء اختبار على عينتين لتحديد الأخطاء النحوية الشائعة في كتابتها؛ الأولى تشخيصية والثانية فعلية، ولكن هذه الدراسة تختلف في واحدية العينة وعدم تقسيمها.

٧. دراسة الكلباني: تلتقي هذه الدراسة مع البحث في التشخيص؛ فهي تتجه نحو معرفة أسباب تدني التحصيل الدراسي في مهارتي القراءة والكتابة، لكنها تفترق عنه في أنها تشمل تدني القراءة والكتابة، في حين يقتصر هذا البحث على ضعف الكتابة. وتتجه دراسة الكلباني إلى تقديم مقترحات علاجية للحد من ظاهرة الدراسة، وهذا لا يتفق مع هذا البحث الذي يسعى إلى التشخيص فقط، كما تختلف دراسة الكلباني في مجتمع الدراسة الذي يتكون من المعلمين والمديرين في مدارس الوسطى، وفي أداة البحث إذ اعتمدت على الاستبانة والمشاهدة والملاحظة، في حين يتجه هذا البحث نحو طلبة الجامعة (قسم اللغة العربية بكلية اللغات جامعة صنعاء)، ويعتمد على تحليل المضمون ممثلا باختبار وزع على مجتمع البحث.

دراسة ساقي: يلتقي هذا البحث مع دراسة ساقي في التشخيص لظاهرة الضعف في الكتابة، فدراسة ساقي تتجه نحو أسباب تدني مهارة الكتابة والخط لدى طلبة كلية التربية الأساسية، لكن هذا البحث يشمل الكتابة (الإملاء والأسلوب والنحو)، وتختلف دراسة ساقي عن هذا البحث في أداة البحث، إذ استخدم الباحث الاستمارة، وفي عينة البحث التي تكونت من أساتذة كلية التربية، في حين أن هذا البحث اعتمد الاختبار واتجه نحو الطلبة.

ثالثاً: منهجية البحث وإجراءاته:

منهجية البحث:

اعتمد البحث على منهجية تحليل المضمون؛ ولهذا كانت الأداة عبارة عن اختبار مستوحى من واقع الأخطاء الأكثر شيوعا في الكتابة بين الطلبة في قسم اللغة العربية، حيث تكون من قطعة اشتملت على ثمانية عشر خطأ، اختيرت بناءٍ على مسح شامل لإجابات الطلبة في الاختبارات النصفية والنهائية، وكذلك التكاليف الفصلية التي أنجزوها للمواد التي تم تدريسها من قبل الباحثة في قسم اللغة العربية بكلية اللغات، وقد توزعت الأخطاء في القطعة على ثلاثة مجالات بالتساوي هي الأخطاء الأسلوبية والأخطاء الإملائية والأخطاء النحوية بحيث أخذ كل مجال ستة أخطاء. وذلك من خلال النص التالي:

(فإن أذنتم لي في التحدث عن موضوع رئيسي لكل دارسي اللغة العربية، وهو الأدب العربي فسأقول: الأدب العربي وحده عاشت عليه أمم كثيره نحو خمس عشرة قرن، والآداب الغربية الكبرى آداب عاشت عليها أمم ليست أقل من الأمم التي عاشت على الأدب العربي عددا ومكانة، ومهما يكن الأستاذ بارعا، لن يستطيع أن يحيط بالأدب العربي ذو الشأن العظيم، أنني لن أحاول المقارنة بين الأدب العربي والآداب الغربية الحديثة. لأني سأسعى سعيا قادحا إن عرضت لهذه المقارنة التي لن نضفر منها

بشيء؛ فبينما نقارن بين الأدب العربي القديم والآداب الأوربية الحديثة، فإذا بنا قد ظلمنا الأدب العربي، لذا لا بد من أن نستأذن من التراث في أن نتأمله بعين زمنه وظروف إنتاجه.

ولنا أسوة في كثير من النقاد الذين عادوا إلى النقد بعد انقطاعه وانتهاء عصور الانحطاط، ودرسوا شعر ونثر العرب وفق رؤية الناقد المعاصر لهما، ولم يحاكمون الأدب العربي القديم بتة بل أصغو له في بيئته وتركوا عبئ المقارنة الغير منصفة لمن يدرك أهميتها، ولم يجتهدوا في البحث عن مكانة أدبهم بين الآداب الأخرى لأنهم يدركون ماذا ترك أجدادهم).

الأخطاء التي احتوت عليها كتابة النص السابق، هي:

أخطاء إملائية: كثيره، سأسعى، اصغو، عبئ، قادحا، نظفر

أخطاء نحوية: خمس عشرة، قرن، لن، أنني، ذو، يحاكموا

أخطاء أسلوبية: بالتحدث، فإذا بنا، نستأذن من التراث، شعر ونثر العرب، الغير منصفة، بتة.

مجتمع البحث:

تكون مجتمع البحث من ثمانين طالبا وطالبة (أربعين طالبا وأربعين طالبة) موزعين على المستويات الأربعة، كان لكل مستوى عشرون طالبا وطالبة (عشر طالبات وعشرة طلاب)

إجراء البحث: وزعت الأوراق على الطلبة في المستويات المختلفة، وبحسب ما هو مكتوب أعلى ورقة الاختبار طلب منهم قراءة القطعة واكتشاف الأخطاء الواردة في القطعة وتصويبها، ثم جمعت الأوراق وفرغ تصحيح الطلبة في جداول، وبحسب ما صححه الطلاب والطالبات في المستويات الأربعة صممت ثلاثة جداول بحسب مجالات الأخطاء الكتابية الثلاثة (الأسلوبي، الإملائي، النحوي)، واشتمل كل جدول على متغيري النوع (إناث / ذكور) ومتغير المستوى الدراسي (الأول، الثاني، الثالث، الرابع).

وبناء على تصويبات الطلبة تم تقسيم أنماط الأخطاء على النحو التالي:

خطأ لم يكتشف: وهو الخطأ الوارد في القطعة ولكن الطالب/الطالبة لم يكتشفاه؛ أي أنه ظل دون وضع خط عليه، بمعنى أن الطالب/الطالبة لم يتنبها له.

خطأ صحح بطريقة صحيحة: وهو الخطأ الذي اكتشفه وصححه الطالب / الطالبة، وأعادا كتابته بشكله الصحيح، سواء أسلوبيا أو إملائيا أو نحويا.

خطأ صحح بطريقة خاطئة: وهو الخطأ الذي حدده الطالب/الطالبة ولكن التصحيح كان خاطئا، أي أعيدت كتابة الكلمة بصورة خاطئة.

خطأ مكتشف ولم يصحح: وهذا الخطأ وضع الطالب/الطالبة تحته خطا، لكنهما لم يصححاه، بمعنى أن الطالب / الطالبة أدركا أنه خطأ ولكنهما لم يعرفا شكل الكلمة الصحيح.

خطأ غير موجود: هذا الخطأ ليس في القطعة، أي أن الكلمات صحيحة، ولكن الطالب / الطالبة وضعا خطا تحتها ظنا منهما بأنها خاطئة. وقد كانت نتائج تحليل الاختبار كما يلي:

جدول (١) يوضح الأخطاء الإملائية

الأخطاء الإملائية	المستوى	الطلاب								المستوى	الطالبات								
		خطأ لم يكتشف		خطأ صحح بطريقة صحيحة		خطأ صحح بطريقة خاطئة		خطأ مكتشف ولم يصحح		خطأ غير موجود		خطأ لم يكتشف		خطأ صحح بطريقة صحيحة		خطأ صحح بطريقة خاطئة		خطأ مكتشف ولم يصحح		خطأ غير موجود	
		عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
	الأول	٤٧	٣٥,٩٪	١٣	٢٠,٣٪	3	٧٥٪	–	–	8	٢٤,٢٪	27	١٩,١٪	11	٢٠٪	2	١٢,٥٪	20	٣٤,٥٪	18	٣٨,٣٪
	الثاني	21	١٦٪	14	٢١,٩٪	–	–	–	–	6	١٨,٢٪	43	٣٠,٥٪	13	٥٤,٥٪	–	–	16	٢٧,٦٪	14	٢٩,٨٪
	الثالث	35	٢٦,٧٪	21	٣٢,٨٪	1	٢٥٪	–	–	13	٣٩,٤٪	30	٢١,٣٪	11	٢٠٪	11	٦٨,٧٪	19	٣٢,٧٪	7	١٤,٩٪
	الرابع	28	٢١,٤٪	16	٢٥٪	–	–	–	–	6	١٨,٢٪	41	٢٩,١٪	20	٣٦,٥٪	3	١٨,٧٪	3	٥,٢٪	8	١٧٪
	المجموع	131	١٠٠٪	64	١٠٠٪	4	١٠٠٪	0	١٠٠٪	33	١٠٠٪	141	١٠٠٪	55	١٠٠٪	16	١٠٠٪	58	١٠٠٪	47	١٠٠٪

يتضح من الجدول السابق:

١. أخطاء إملائية لم تكتشف: كانت أعلى نسبة لدى طلاب المستوى الأول، إذ بلغت (٣٥،٩%)، يأتي بعدهم طلاب المستوى الثالث، بنسبة (٢٦،٧%)، ثم طلاب المستوى الرابع، بنسبة (٢١،٤%). وأخيرا طلاب المستوى الثاني، بنسبة (١٦%)، في حين بلغت أعلى نسبة الأخطاء الإملائية التي لم تكتشف عند طالبات المستوى الثالث، حيث بلغت نسبة (٣٠،٥%)، ثم طالبات المستوى الرابع بنسبة (٢٩،١%)، ثم طالبات المستوى الثالث، بنسبة (٢١،٣%). وأخيرا طالبات المستوى الأول، بنسبة (١٩،١%). وهنا تظهر نسبة الفروق بين الذكور والإناث في الأخطاء التي لم تكتشف إذ يتقدم الطلاب كلما تقدم المستوى التعليمي، وعلى العكس لا تبدو هذه النتيجة ثابتة عند الطالبات إذ تزيد الأخطاء لدى طالبات المستوى الثاني.

٢. خطأ صحح بطريقة صحيحة: حاز طلاب المستوى الثالث على أعلى نسبة في هذا البند، إذ بلغت (٣٢،٨%)، ثم طلاب المستوى الرابع بنسبة (٢٥%)، ثم طلاب المستوى الثاني بنسبة (٢١،٩%). وأخيرا طلاب المستوى الأول، بنسبة (٢٠،٣%)، وهذا يعني تفوق طلبة المستوى الثالث على طلبة المستوى الرابع والثاني والأول. أما بالنسبة للطالبات فقد كانت أعلى نسبة عند طالبات المستوى الثاني، إذ بلغت (٥٤،٥%)، تلتها النسبة عند طالبات المستوى الرابع، إذ بلغت (٣٦،٥%)، وتساوت النسبة عند طالبات المستوى الأول والمستوى الثالث، إذ بلغت (٢٠%). وبهذا تتفوق الطالبات على الطلاب في هذا البند، كما تتفوق طالبات المستوى الثاني على بقية المستويات.

٣. خطأ صحح بطريقة خاطئة كانت أعلى نسبة عند طلاب المستوى الأول، إذ بلغت (٧٥%)، يليها طلاب المستوى الثالث، بنسبة (٢٥%)، ولا تظهر هذه الأخطاء عند طلاب المستويين الثاني والرابع، في مقابل تقدم النسبة عند طالبات المستوى الثالث، إذ بلغت (٦٨،٧%)، ثم طالبات المستوى الرابع (١٨،٧%)، ثم طالبات المستوى الأول بنسبة (١٢،٥%)، ولا تظهر هذه الأخطاء عند طالبات المستوى الثاني. وبذلك تزيد نسبة الأخطاء التي يتم تصحيحها بصورة خاطئة عند الطلاب إذ يتقدمون في اكتشاف الأخطاء الإملائية، لكنهم لا يصححونها بالصورة الصحيحة. وتبدو النسبة مرتفعة لدى المستويين الأول طلاب، والثالث طالبات، مما يعني عدم إفادة الطالبات من الدراسة في القدرة على تصويب الأخطاء بصورة صحيحة.

٤. خطأ اكتشف ولم يصحح: يظهر الجدول عدم وجود أخطاء مكتشفة لم تصحح عند الطلاب، أما عند الطالبات فقد تفاوتت النسب، وكانت على الترتيب التالي: المستوى الأول، بنسبة (٣٤،٥%)، ثم المستوى الثالث، بنسبة (٣٢،٧%)، ثم المستوى الثاني، بنسبة (٢٧،٦%)، وأخيرا المستوى الرابع،

بنسبة (٥،٢%) لتحسب النسب بذلك لصالح الإناث على الذكور، ويحوز المستوى الأول على المرتبة الأولى في هذا البند، وهذا يعزى إلى عدم خبرة الطالبات في تصويب الخطأ.

٥. خطأ غير موجود: حاز طلاب المستوى الثالث على أعلى نسبة في هذا البند، إذ وصلت إلى (٣٩،٤%)، ثم المستوى الأول، إذ بلغت النسبة (٢٤،٢%) ثم المستويين الثاني والرابع، بنسبة (١٨،٢%). أما الطالبات فقد بلغت أعلى نسبة عند طالبات المستوى الأول، إذ بلغت (٣٨،٣%)، ثم المستوى الثاني، بنسبة (٢٩،٨%)، ثم المستوى الثالث، بنسبة (١٤،٩%)، وأخيرا المستوى الرابع بنسبة (١٧%). وتقارب النسب في المستويات الأول والثاني والثالث دليل على قصور في معرفة ما إذا كانت الكلمات صحيحة إملائيا، وهذا يعزى إلى عدم تمرس الطلبة على الكتابة، وضعف اطلاعهم القرائي.

جدول (٢) يوضح الأخطاء النحوية

الأخطاء النحوية	المستوى	الطلاب									
		خطأ لم يكتشف		خطأ صحح بطريقة صحيحة		خطأ صحح بطريقة خاطئة		خطأ مكتشف ولم يصحح		خطأ غير موجود	
		عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
	الأول	٤٦	%23,8	7	%33,3	–	–	١	%10	–	–
	الثاني	٤٥	%23,3	2	%9,5	–	–	٢	%20	–	–
	الثالث	٥٧	%29,5	4	%19	–	–	٥	%50	–	–
	الرابع	٤٥	%23,3	8	%38,1	–	–	٢	%20	–	–
	المجموع	193	٪١٠٠	21	٪١٠٠	0	٪١٠٠	10	٪١٠٠	٠	٪١٠٠
	المستوى	الطالبات									
		خطأ لم يكتشف		خطأ صحح بطريقة صحيحة		خطأ صحح بطريقة خاطئة		خطأ مكتشف ولم يصحح		خطأ غير موجود	
		عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
	الأول	٤٠	%25,3	٥	%23,8	1	%25	5	%23,8	4	%44,4
	الثاني	٥٢	%32,9	4	%19	1	%25	4	%19	–	–

	الثالث	٤١	٪25,9	6	٪28,6	–	–	٪28,6	6	٪44,4
	الرابع	٢٥	٪15,8	6	٪28,6	2	٪50	٪28,6	6	٪11,2
	المجموع	158	٪١٠٠	21	٪١٠٠	4	٪١٠٠	٪١٠٠	21	٪١٠٠

يتضح من الجدول السابق:

١. خطأ لم يكتشف: يتضح أن أعلى نسبة لهذا البند عند طلاب المستوى الثالث، إذ بلغت (29,5٪)، ثم طلاب المستوى الأول، بنسبة (23,8٪)، ثم طلاب المستويين الثاني والرابع، إذ بلغت (23,3٪)، أما عند الطالبات فتظهر أعلى نسبة عند طالبات المستوى الثاني، إذ تبلغ (32,9٪)، وتأتي طالبات المستوى الثالث في الترتيب الثاني، بنسبة (25,9٪)، وتأتي طالبات المستوى الرابع في المرتبة الأخيرة، إذ تبلغ نسبة الخطأ الذي لم يكتشف (15,8٪). وتبدو النسب متقاربة بين الطلاب والطالبات، كما تتقارب النسب بين المستويات باستثناء فارق قليل للمستوى الثالث، وعدم يعني معرفة الطلاب والطالبات في المستويات الأربعة بالأخطاء النحوية، يعني القصور في إدراك الجانب التطبيقي للنحو. وهذا يعزى إلى القصور في حضور التطبيقات للقواعد النحوية في الدرس الجامعي.

٢. خطأ صحح بطريقة صحيحة: كانت أعلى نسبة عند الطلاب في المستوى الرابع، إذ بلغت (38,1٪)، تلاه المستوى الأول، بنسبة (33,3٪)، ثم المستوى الثالث، بنسبة (19٪)، ويأتي المستوى الثاني في المرتبة الأخيرة، إذ بلغت نسبة الخطأ الذي صحح بطريقة صحيحة (9,5٪)، أما عند الطالبات فقد كانت أعلى نسبة في المستويين الثالث والرابع، إذ بلغت (28,6٪)، تلاهما المستوى الأول، بنسبة (23,8٪)، وأخيرا المستوى الثاني، بنسبة (19٪). وهذا التقارب في النسب عند الطلاب والطالبات وفي المستويات الأربعة يعني إدراك الطلبة عموما لطريقة التصويب النحوي بسبب المفاهيم النحوية التي يدرسونها.

٣. خطأ صحح بطريقة خاطئة: لا نجده عند أي من المستويات بالنسبة للطلاب، في حين تصل عند طالبات المستوى الرابع إلى نسبة (50٪)، وتتساوى النسبة عند طالبات المستويين الأول والثاني، إذ تبلغ (25٪)، ولا تظهر هذه الأخطاء عند طالبات المستوى الثالث. وهذا يتطابق مع نتيجة البند السابق الذي يتضح فيه إدراك الطلاب للصواب من خلال استرجاعهم للمفاهيم النحوية، بخلاف القصور الظاهر لدى الطالبات. مع ملاحظة تراجع المستوى الرابع

في طريقة التصويب، وهذا يعزى إلى عدم ربط الطالبات بين ما يقرأنه وبين ما يفدنه من مقررات النحو.

٤. خطأ مكتشف ولم يصحح: ظهرت أعلى نسبة عند الطلاب في المستوى الثالث، إذ وصلت إلى (50%)، وتساوت النسبة عند طلاب المستويين الثاني والرابع، إذ بلغت (20%)، ويأخذ المستوى الأول المرتبة الأخيرة، بنسبة (10%)، أما عند الطالبات فتتساوى النسبة في المستويين الثالث والرابع، إذ تبلغ (28,6%)، في حين تصل عند طالبات المستوى الأول، بنسبة (23,8%)، ويأتي المستوى الثاني في المرتبة الأخيرة، إذ تبلغ النسبة (19%)، وزيادة النسبة عند الطلاب وتقاربها في المستويات الأربعة عند الطلاب والطالبات يؤكد قصورا في توظيف القاعدة النحوية في تصويب النصوص.

٥. خطأ غير موجود: لا يظهر عند الطلاب، في حين تتفاوت نسب حضوره عند الطالبات، إذ تتساوى النسبة عند المستويين الأول والثالث، فتبلغ (44,4%)، يلي هذين المستويين المستوى الرابع، بنسبة (11,2%) في حين لا يحضر هذا البند عند طالبات المستوى الثاني، ما يعني تفوق الطلاب على الطالبات في المجال النحوي، وتساوي النسبة في المستويين الأول والثالث يعني قصور في إفادة الطالبات من المفاهيم النحوية وفي القدرة على توظيفها.

جدول (٣) يوضح الأخطاء الأسلوبية

الأخطاء الأسلوبية	المستوى	الطلاب									
		خطأ لم يكتشف		خطأ صحح بطريقة صحيحة		خطأ صحح بطريقة خاطئة		خطأ مكتشف ولم يصحح		خطأ غير موجود	
		عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
	الأول	٥٣	٢٣,٦٪	–	–	–	–	–	–	–	–
	الثاني	٥٥	٢٤,٤٪	١	٥٠٪	–	–	٤	٦٦,٧٪	٦	٤٠٪
	الثالث	٥٧	٢٥,٣٪	١	٥٠٪	١	١٠٠٪	٢	٣٣,٣٪	٧	٤٦,٧٪
	الرابع	٦٠	٢٦,٧٪	–	–	–	–	–	–	٢	١٣,٣٪
	المجموع	٢٢٥	١٠٠٪	٢	١٠٠٪	١	١٠٠٪	٦	١٠٠٪	١٥	١٠٠٪
	←	الطالبات									

		خطأ لم يكتشف		خطأ صحح بطريقة صحيحة		خطأ صحح بطريقة خاطئة		خطأ مكتشف ولم يصحح		خطأ غير موجود	
		عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
	الأول	٤٤	٢١,٣%	٤	٢٨,٦%	–	–	١٠	٦٢,٥%	٤	٢٨,٦%
	الثاني	٥٦	٢٧,٢%	٢	١٤,٣%	–	–	١	٦,٢%	٢	١٤,٣%
	الثالث	٥٦	٢٧,٢%	٣	٢١,٤%	–	–	١	٦,٢%	٣	٢١,٤%
	الرابع	٥٠	٢٤,٣%	٥	٣٥,٧%	–	–	٤	٢٥%	٥	٣٥,٧%
	المجموع	٢٠٦	١٠٠٪	١٤	١٠٠٪	٦	١٠٠٪	16	١٠٠٪	١٤	١٠٠٪

يتضح من الجدول السابق:

١. خطأ لم يكتشف: تظهر أعلى نسبة عند الطلاب في المستوى الرابع، إذ تبلغ (26,7%)، ثم المستوى الثالث، بنسبة (25,3%)، ثم المستوى الثاني، بنسبة (24,4%)، ثم المستوى الأول، بنسبة (23,6%)، أما عند الطالبات فقد بلغت أعلى نسبة لهذا البند عند طالبات المستويين الثاني والثالث، بنسبة (27,%)، ثم طالبات المستوى الرابع، بنسبة (24,3%)، ثم طالبات المستوى الأول، بنسبة (21,3%). وهي نسب متقاربة عند الطلاب والطالبات، ما يعني قصورا مشتركا بين الطلاب والطالبات وتقارب في هذا القصور في المستويات الأربعة.

٢. خطأ صحح بطريقة صحيحة: لم تظهر في هذا البند أخطاء عند طلاب المستويين الأول والرابع، في حين تساوت النسبة عند طلاب المستويين الثاني والثالث، إذ بلغت (5%)، أما عند الطالبات، فقد كانت أعلى نسبة في المستوى الرابع، إذ بلغت (35,7%)، تليها نسبة المستوى الأول التي بلغت (28,6%)، ثم المستوى الثالث، بنسبة (21,4%)، ثم المستوى الثاني، بنسبة (14,3%). وهذا يعني تفوق الطالبات على الطلاب في التصويب الأسلوبي، وهذا يعزى إلى القدرة التعبيرية للطالبات. وتبين النسب أنه لا علاقة للتقدم في المستوى بالتصويب الأسلوبي الصحيح، وهذا يعزى إلى قلة الاطلاع والقراءة عند الطلاب والطالبات.

٣. خطأ صحح بطريقة خاطئة: لم يظهر أي خطا في هذا البند عند طلاب المستويات الأول والثاني والرابع، في حين بلغت النسبة (100%) عند طلاب المستوى الثالث، ولم تظهر أية نسبة عند الطالبات، وهذا يعني اعتياد الطلاب على نمط الأساليب السليمة في الكتابة.

٤. خطأ مكتشف ولم يصحح: يأتي المستوى الثاني للطلاب في المرتبة الأولى، بنسبة (66,7%)، ثم المستوى الثالث، بنسبة (33,3%)، ولا تظهر الأخطاء عند طلاب المستوى الأول والرابع. أما

عند الطالبات، فقد تفاوتت النسب من أعلى نسبة عند طالبات المستوى الأول التي بلغت (62,5%)، مرورا بنسبة (25%) عند طالبات المستوى الرابع إلى (6,2%) عند طالبات المستويين الثاني والثالث. ما يعني القصور في الوعي بالأساليب السلمية في الكتابة عند الطلاب والطالبات على حد سواء، كما يعني عدم المعرفة بالأساليب الصحيحة عند الطلبة في المستويين الأول والثاني بصورة شبه متطابقة.

٥. خطأ غير موجود: تظهر أعلى نسبة عند طلاب المستوى الثالث، إذ تبلغ (46,7%)، تليها نسبة (40%) عند طلاب المستوى الثاني، ويأتي المستوى الرابع في المرتبة الثالثة، بنسبة (13,3%)، ولا يظهر أي خطأ عند طلاب المستوى الأول. أما عند الطالبات فتبلغ نسبة الخطأ الموجودة (35,7%) عند طالبات المستوى الرابع، تليها نسبة (28,6%) عند طالبات المستوى الأول، ثم نسبة (21,4%) عند طالبات المستوى الثالث، ويحوز المستوى الثاني على المرتبة الأخيرة، بنسبة (14,3%). وهذا يعني عدم دقة الكتابة الأسلوبية عند الطلبة عموما في المستويات عامة، وقلة تطويرهم بتطور مستوياتهم الدراسية.

رابعاً: النتائج والتوصيات:

النتائج:

من خلال الجداول السابقة وتحليل محتواها يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

١. يتقدم الطلاب في اكتشاف الجوانب الإملائية كلما تقدم المستوى العلمي، وعلى العكس لا تبدو هذه النتيجة ثابتة عند الطالبات؛ إذ تزيد الأخطاء لدى طالبات المستوى الثاني.

٢. تتفوق الطالبات على الطلاب في تصويب الأخطاء الإملائية بصورة صحيحة، ويتقدم المستوى الثاني في ذلك على بقية المستويات.

٣. يتقدم الطلاب في اكتشاف الأخطاء الإملائية، لكنهم لا يصححونها بالصورة الصحيحة. وتبدو النسبة مرتفعة لدى المستويين الأول طلاب والثالث طالبات، مما يعني عدم إفادة الطالبات من الدراسة في القدرة على تصويب الأخطاء بصورة صحيحة، وهذا يدل على أنه علاقة للمستوى بالقدرة على تدقيق الأخطاء الإملائية.

٤. انخفاض القدرة لدى الطالبات في تصويب الخطأ الإملائي.

٥. قلة تمرس الطلبة عموما على الكتابة الإملائية الصحيحة.

٦. هناك معرفة نظرية للقاعدة النحوية عند الطلاب والطالبات في المستويات الأربعة من إدراكهم للأخطاء النحوية، لكن هناك قصور في القدرة على التصويب النحوي، ما يعني غياب الجانب التطبيقي للنحو وهذا يعزى إلى القصور في حضور التطبيقات للقواعد النحوية في الدرس الجامعي.

٧. هناك أثر إيجابي ـ بصورة قليلة ـ لمعرفة المفاهيم النحوية في طريقة التصويب عند الطلبة عموما.
٨. قدرة الطلاب على التصويب النحوي بدرجة أكبر من الطالبات، وهذا يعزى إلى عدم ربط الطالبات بين ما يقرأنه، وبين ما يفدنه من مقررات النحو.
٩. وجود قصور في توظيف القاعدة النحوية في كتابة النصوص عند الطالبات بدرجة أكبر من الطلاب.
١٠. هناك قصور واضح في إدراك الأساليب الصحيحة عند الطلاب والطالبات، وفي المستويات الأربعة.
١١. قدرة الطالبات على التصويب الأسلوبي بصورة أفضل من الطلاب، وهذا يعزى إلى القدرة التعبيرية للطالبات. على أنه لا علاقة للتقدم في المستوى الجامعي بالتطور في القدرة على التصويب الأسلوبي الصحيح، وهذا يعزى إلى قلة الاطلاع والقراءة عند الطلاب والطالبات.
١٢. اعتياد الطلاب على نمط معين من الأساليب في الكتابة.
١٣. هناك قصور في الوعي بالأساليب السلمية في الكتابة عند الطلاب والطالبات على حد سواء، مما يعني عدم المعرفة بالأساليب الصحيحة عند الطلبة في المستويين الأول والثاني بصورة شبه متطابقة.
١٤. عدم دقة الكتابة الأسلوبية عند الطلبة عموما في المستويات عامة وقلة تطويرهم بتقدم مستوياتهم الدراسية.

التوصيات:

وفي ضوء النتائج السابقة توصي الدراسة بما يلي:

١. تكثيف النشاط القرائي لدى الطلبة من خلال توجيههم إلى ساعات مكتبية تدرج ضمن الجدول الجامعي.
٢. تفعيل الأنشطة الكتابية والبحثية واعتماد نسبة من درجات التكاليف والأبحاث لسلامة الكتابة وخلوها من الأخطاء اللغوية في كل المواد الدراسية.
٣. تصميم برامج تعليمية تتضمن استراتيجيات حديثة تفيد أعضاء هيئة التدريس في إعداد مقررات ذات صلة بمعالجة الأخطاء في المهارات اللغوية عامة، والمهارات الكتابية بشكل خاص.

المـــراجـــع

١. إبراهيم خليل وإمتنان الصمادي، فن الكتابة والتعبير، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٩
٢. أحمد قبش، الإملاء العربي، نشأته وقواعده ومفرداته وتمريناته، دار الرشيد، دمشق، ١٩٨٤م
٣. أحمد محمد عبد الراضي، إحياء النحو والواقع اللغوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٧م
٤. أحمد اللقاني وعلي الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرائق التدريس، ط٢، عالم الكتب، القاهرة.
٥. أحمد محمد سيد إبراهيم، الاخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب قسم اللغة العربية بكليات التربية وبرنامج مقترح لعلاجها، مجلة دراسات تربوية، مج ٤، ج١٦، يناير ١٩٨٩م
٦. ألكسندر سيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد الأرناؤوط، سلسلة عالم المعرفة ١٦٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م
٧. أونج التر، الشفاهية والكتابية، ترجمة: حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة ١٨٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٤م
٨. جمال الدين أحمد بن محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، المطبعة الميرية، مصر
٩. حسين محمد علي ساقي: أسباب ضعف مهارة الكتابة والخط لدى طلبة كلية التربية الأساسية من وجهة نظر أساتذتها، وقائع المؤتمر العلمي التاسع عشر (عدد خاص) كلية التربية الأساسية، جامعة المستنصرية، ٢٠١٩م
١٠. سعد مصلوح الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م
١١. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م
١٢. عبد الله علي مصطفى، مهارات اللغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان، ط٢، ٢٠٠٧م
١٣. لبيب رشدي، الوسائط التعليمية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦م
١٤. محمد لطفي محمد جاد، علاج بعض الأخطاء النحوية الشائعة في التعبير الكتابي الحر لطلاب المرحلة الثانوية الأزهرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٢م
١٥. هـ دوجلاس براون، تعليم وتعلم اللغة، ترجمة عبد الرحمن القعيد وعيد الشمري، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٩٤م
١٦. يونس بن محمد بن عبد الله الكلباني، أسباب تدني التحصيل الدراسي في مهارتي القراءة والكتابة لدى طلبة مدارس المحافظات الوسطى بسلطنة عمان من وجهة نظر المعلمين ومديرو المدارس، مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة، ٢٠٢٠م .

الحدث في بناء أخبار الشعراء الغزليين الأمويين في كتاب الأغاني

أ.د. رباب صالح حسن القريشي / العراق
الباحثة: زينب فرحان داوود
Email: drrabab03@gmail.com

الحدث في بناء أخبار الشعراء الغزليين الأمويين في كتاب الأغاني - أ.د. رباب صالح حسن القريشي - والباحثة: زينب فرحان داوود

الملخص:

تحاول هذه الدراسة الوقوف على الحدث وأنماطه في الأخبار الواردة عن الشعراء الغزليين الأمويين في كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني، ويأتي هذا الاختيار لأهمية تلك الأخبار في تتمة ما شاع من دراسات عن الغزليين في نتاجهم الشعري لتأتي هذه الدراسة في تسليط الضوء على الجانب السردي. من أخبارهم التي شاعت في أغلب كتب التراث واخترنا كتاب الاغاني. لما له من أهمية من جهة ولاحتوائه على أغلب أخبار الشعراء الغزليين بشقيهم العذري والصريح، وستخرج الدراسة ببعض النتائج.

الكلمات المفتاحية:

الحدث - الأخبار - الغزليين - الأموي - كتاب الأغاني

Abstract:

This study attempts to identify the event and its patterns in the news about the Umayyad ghazal poets in the book Al-Aghani by Abi Al-Faraj Al-Isfahani. From their stories that are common in most of the heritage books, we chose the Book of Songs. Because of its importance on the one hand, and because it contains most of the stories of the ghazal poets, in both their pure and explicit parts, and the study will come out with some results.

الحدث لغة:

الحدث (لغة): (حدث الشيءِ يحدث حدوثا وحداثة، وأحدثه هو، فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه والحدث: الأمرِ الحادث المنكرِ الذي ليس بمعتاد، ولا معروف في السنة، واستحدثت خبرا أي وجدت خبرا جديدا)[1].

ونجد الجوهري يعرف (الحدث) بأنه: (ما قدم وما حدث، لا يضم حدث في شيء من الكلام إلا في هذا

(١) لسان العرب، مادة (حدث).

الموضع، وذلك لمكان قدمٍ، على الازدواج. والحِدوث: كون شيءٍ لم يكن. وأحدثه الله فحدث، وحدث أمرٌ، أي وقع، والحدث والحِدثى والحادثة والحدثان، كلها بمعنى)[١].

وابن فارس فنجده يعرف (الحدث) بأنه: (الحاء والدال والثاء أصلٌ واحد، وهو كون الشيء لم يكن. والرجل الحدث: الطري السن. والحديث من هذا؛ لأنه كلامٌ يحدث منه الشيء بعد الشيء. ورجلٌ حدث: حسن الحديث)[٢].

أمّا الحدث اصطلاحاً:

فهو (تغير في الحالة يعبر عنه في الخطاب بواسطة ملفوظ فعل في صيغة يفعل أو يحدث والحدث يمكن أن يكون فعلا أو عملا وتعد الاحداث هي والكائنات المكونات الرئيسية في العمل الروائي)[٣]. إذ يعد الحدث أحد المكونات الرئيسية للأعمال السردية يرويها الكاتب وتتناول حادثة واحدة أو عدة حوادث مختلفة[٤]. ويعرف أيضا بأنه (الانتقال من حالة إلى أخرى في قصة ما ولا قوام للحكاية إلا بتتابع الاحداث واقعة كانت أو متخيلة وما ينشأ بينها من ضروب التسلسل أو التكرر)[٥].

فهو (سلسلة أفعال ووقائع، أو هو مجموع الوقائع تكون خط القصة على مستوى الفعل السردي)[٦].

و الحدث ايضا: (سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية)[٧]، إذ يعد العمود الفقري للسرد، والحدث الروائي يختلف عن الحدث الحقيقي، لأنه عندما يكتب الكاتب روايته، يختار من أحداث الحياة ما يراه مناسبا لكتابة روايته، كما يختار ويحذف ويضيف من مخزونه الثقافي، ومن خياله الفني ما يجعل الحدث الروائي شيئا آخر لا نجده في واقعنا الحي. الذي ينشأ عنه ظهور عدد من التقنيات السردية المختلفة كالاسترجاع والمنولوج الداخلي والوصف والتلخيص والقفز والمشهد

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ)، تحقيق: د. محمد محمد تامر وانس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م، حرف الحاء: ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) مقاييس اللغة، مادة (حدث) ج٢: ٣٦.

(٣) قاموس السرديات، جيرالد برنس: ٦٣.

(٤) ينظر: فن القصة، د. محمد يوسف نجم، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط٥، ١٩٦٦م: ٩.

(٥) معجم السرديات: ١٤٥.

(٦) علم السرد مدخل الى نظرية السرد، يان مانفريد، ترجمة: أماني ابو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، (دمشق-سورية)، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١١م: ١٠١.

(٧) المصطلح السردي، جيرالد برنس: ١٩.

الحواري[١].

ويعدِ الحدث أهم عنصر في السرد، حيث تنمو فيه المواقف، وتتحرك الشخصيات، وهو الموضوع الذي يدور السرد حوله. حيث يتم تصوير الشخصيات أثناء عملهم، ولا تتحقق وحدتها إلا إذا استوفيت بيانا بكيفية حدوثها ومكانها وزمانها وسبب إنشائها[٢]. (فهو العنصر الأساس ويجب أن يكون مثيرا وموقوتا وقد تسبب للقارئ بعض الألم أو الحسرة ولكن المتعة هدفها الاول)[٣]. وأن الحدث في السرد لا يستقر على موقف، لذلك يتغير مع تغير مسار السرد بحيث لا يغدو الحدث هو شغل الكاتب الأساس بقدر ما يمتزج البناء الفني مع مسار الحدث ليشكلا في النهاية الهيكل العام للنص[٤]. (لذا فإن الحدث ليس مجرد شيء عابر أنه يسهم في مجرى عملية السرد، مثلما يسهم في بدايتها ونهايتها)[٥]. والاحداث في العملية السردية احداث متنوعة ولا تحتوي الأهمية نفسها فكل حدث له مميزاته ودلالاته.[٦] ومن أهم العناصر التي يجب توفيرها في الحدث هو عنصر التشويق، وفائدته تكمن في إثارة ولفت انتباه المتلقي من بداية العمل إلى نهايته. وكذلك عنصر زمن الحدث الذي يتضمن مجموعة من الأزمنة هي: (زمن الحبكة، زمن القصة، زمن العمل الروائي نفسه، ثم زمن قراءته)[٧].

فهو (اقتران فعل بزمن وهو لازم في القصة لأنها لا تقوم إلا به)[٨]. (إن مصطلح السرد بالمعنى الدقيق يصف الفعل أو سياق الاحداث والوقائع التي يمر بها الشخوص)[٩]. و(تكمن جمالية السرد في ترتيب

(١) ينظر: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، د. آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت-لبنان)، ط٢، ٢٠١٥م: ٣٧.

(٢) ينظر: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (١٩٤٧م -١٩٨٥م)، شريبط أحمد شريبط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م: ٢١.

(٣) فنون النثر العربي الحديث أساليبه وتقنياته، أ. د عمر إبراهيم توفيق، ٢٠١٢م: ٧١.

(٤) ينظر: مكونات السرد في النص القصصي-الجزائري الجديد، عبد القادر بن سالم، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م: ٧١.

(٥) الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، ترجمة وتقديم: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ١٩٩٩م: ٤١.

(٦) ينظر: البنية السردية في الرواية، دراسة في ثلاثية خيري شلبي، عبد المنعم زكريا القاضي، تقديم: أ. د أحمد ابراهيم الهواري، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٩م: ٢٧.

(٧) ينظر: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (١٩٤٧م -١٩٨٥م)، شريبط أحمد شريبط: ٢٢.

(٨) فنون النثر العربي الحديث، د. حسني محمود-د. ابراهيم أبو هشهش-د. صالح ابو اصبع، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، ١٩٩٥م: ٢٣.

(٩) المصدر نفسه.

السارد لأحداثه)[١].

بأسلوب يسهم في تسلية القارئ وإدخال المتعة إليه [٢].(فالحوادث تنبع من الشخصيات وحين تقع فإنها تغير الشخصية فالناس والأحداث يرتبطون ارتباطا وثيقا)[٣].

أنساق بناء الحدث:

تتنوع أنساق بناء الحدث؛ فمنها: (التتابع، التضمين، التوازي، التأطير، الدائري، المكرر، التناوب، المتداخل، الحلقي وغيرها..)، وفي هذا السياق تحاول الباحثة بيان ما ورد من أحداث في أخبار الغزليين الواردة في كتاب الأغاني، ومن هذه الانساق:

١- نسق التتابع:

هو (مجموعة العلاقات بين التتابع الذي تحدث فيه الوقائع والتتابع الذي تحكي فيه. والوقائع يمكن أن تحكي حسب تتابع حدوثها)[٤]. و(إن ما يميز نظام الصوغ هذا، أن المتن فيه، يترتب في الزمان على نحو متوال بحيث تتعاقب مكونات المادة السردية جزءا بعد آخر، دون ما ارتداد أو التواء في الزمان)[٥]. (فكل قصة تتمثل في قول يتضمن تتابعا لمجموعة من الأحداث البشرية المهمة التي تكون حدثا متكاملا متوحدا، فإذا انعدم التتابع تلاشت القصة وتحولت إلى لوحة وصفية لا يربط بين عناصرها سوى التجاور المكاني، أو أصبحت قولا استدلاليا لو كان كل عنصر يتضمن الآخر، أو قولا غنائيا لو تجمعت عناصرها حول الاستثارة المجازية التصويرية، أما إذا افتقدت أحداثها خاصية التكامل والتوحد فإنها تصبح مجرد مجموعة من الوقائع المسلسلة التي لا تربطها ضرورة ولا يوحدها محور)[٦]. وهو (من الأنساق التي عرفت منذ زمن طويل وقد هيمن مدة طويلة على فن القص بمختلف أجناسه فقد كانت الأحداث تقدم للسامع بنفس ترتيب وقوعها أو سردها وبحسب ترتيبها الزمني)[٧]. ونجد بناء الاحداث المتتابعة

(١) اركان القصة، فورستر، ترجمة: كمال عياد جاد، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٠م: ١٠٥.
(٢) ينظر: بناء الرواية، إدوين موير، ترجمة: إبراهيم الصيرفي، الدار المصرية للتأليف والترجمة: ١٥.
(٣) اركان القصة، فورستر: ١١١.
(٤) المصطلح السردي، جيرالد برنس: ١٦٥.
(٥) المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، عبد الله ابراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠م: ١٠٨.
(٦) النظرية البنائية في النقد الادبي، د صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ٢٧٨.
(٧) الفضاء الروائي في ادب جبرا إبراهيم جبرا، د ابراهيم جنداري، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٣ م: ٧٩.

المتسلسلة واضحا وظاهرا في كتاب الأغاني ونجد أن هذا النسق بارزٍ بشكل كبير لأن السارد اعتمد على هذا النسق في طرائق عرضه للسرد.

ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع في كتاب الأغاني هذا الخبر: (حجت بنت محمد بن الأشعث الكندية، فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقاها مساء الغد، وجعل الآية ناشدا ينشد، إن لم يمكنه أن يرسل رسولا، يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدها. قال بديح: فلم أشعر به إلا متلثما، فقال لي: يا بديح، ائت بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أني قد جئت لموعدها؛ فأبيت أن أذهب وقلت: مثلي لا يعين على مثل هذا. فغيب بغلته عنى ثم جاءني فقال لي: قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج. فذهبت فنشدتها، فخرجت علي بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية، فأتته لموعده؛ وذلك قوله:

[من المتقارب]

وآية ذلك أن تسمعي إذا جئتكم ناشِدا ينشِدُ (١)

قال بديح: فلما رأيتها مقبلة عرفت أنه قد خدعني بنشدي البغلة، فقلت له: يا عمر، لقد صدقت التي قالت لك:

[من مجزوء الوافر]

فهذا سحرك النسوان، قد خبرني خبرك (٢)

قد سحرتني وأنا رجل، فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن وما أمنك بعدها، ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبلية. قال: وحدثها بحديثي، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني) (٣).

جاء تسلسل أحداث الخبر متتابعا، على النحو الاتي:

- حجت بنت محمد بن الأشعث الكندية.

- مراسلة عمر بن أبي ربيعة ومواعدتها في مساء الغد.

- تغييب عمر بن أبي ربيعة لبغلته.

(١) شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة المخزومي، محمد محي الدين عبد الحميد: ٣٠٩.
(٢) المصدر نفسه, (أهذا): ٤٧٢.
(٣) الأغاني، ج١: ٧٦-٧٧.

- انشاد بديح للبغلة.

- خروج بنت محمد الأشعث ومجيئها للموعد.

عمد السارد إلى تصوير الحدث المبني على نسق المتتابع بعملية السرد للأحداث التي تأتي لاحقا، فضلا عن ترتيبها على وفق خط زمني وسببي واحد، هذا مما جعله يسير في تراتب زمني من دون توقف، ويبدأ بمراسلة عمر بن أبي ربيعة لأبنة محمد بن الأشعث الكندية ومواعدتها، ومن ثم خداع عمر لبديح عن طريق تغييب بغلته وينتهي الخبر بمجيء ابنة محمد بن الأشعث إلى الموعد، وهكذا يستمر الراوي برواية الأحداث المترابطة بشخصية الشاعر الغزلي (عمر بن أبي ربيعة).

ونلحظ أن الأحداث تروى بصورة متوالية ومتسلسلة من دون أي تقديم أو تأخير، فالأحداث التي وردت في هذا الخبر قد ربطتها علاقة سببية، فلقاء عمر بن أبي ربيعة لأبنة محمد بن الأشعث الكندية لم يتم لو لا خداع عمر لبديح عن طريق تغييب بغلته وإنشاد بديح للبغلة، إذ ان فعل الانشاد هو الدليل الذي جعله عمر بينه وبين ابنة محمد للقاء.

ومن النماذج الأخرى لهذا النسق في كتاب الأغاني: (أن جماعة عذرة حدثوا أن جميلا رصد بثينة ذات ليلة في نجعة لهم، حتى إذا صادف منها خلوة سكر ودنا منها وذلك في ليلة ظلماء ذات غيم وريح ورعد، فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها، ففزعت وقالت: والله ما حذفني في هذا الوقت بحصاة إلا الجن! فقالت لها بثينة وقد فطنت: إن جميلا فعل ذلك فانصرفي ناحية إلى منزلك حتى ننام، فانصرفت وبقيت مع بثينة أم الجسير وأم منظور، فقامت إلى جميل فأدخلته الخباء معها وتحدثا طويلا، ثم اضطجع واضطجعت إلى جنبه فذهب النوم بهما حتى أصبحا وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به إليها، فراها نائمة مع جميل، فمضى لوجهه حتى خبر سيده. ورأته ليلى والصبوح معه وقد عرفت خبر جميل وبثينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثت بجارية لها وقالت حذري بثينة وجميلا، فجاءت الجارية فنبهتهما. فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس منتشرين ارتاعت وقالت: يا جميل! نفسك نفسك! فقد جاءني غلام نبيه بصبوحي من اللبن فرانا نائمين؛ فقال لها جميل وهو غير مكترث لما خوفته منه:

[من الطويل]

لعمرك ما خوفتني من مخافة بثين ولا حذرتني موضع الحذر
فاقسم لا يلفى لي اليوم غرة وفي الكف مني صارم قاطع ذكر[1]

(١) ديوان جميل (شعر الحب العذري)، جمع وتحقيق وشرح: د. حسين نصار، دار مصر للطباعة: ٨١.

فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت النضد وقالت: إنما أسألك ذلك خوفا على نفسي من الفضيحة لا خوفا عليك، ففعل ذلك ونامت كما كانت، واضطجعت أم الجسير إلى جانبها وذهبت خادم ليلى إليها فأخبرتها الخبر فتركت العبد يمضي إلى سيده فمضى والصبوح معه وقال له: إني رأيت بثينة مضطجعة وجميل إلى جنبها. فجاء نبيه إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرفهما الخبر وجاءوا بأجمعهم إلى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فإذا أم الجسير إلى جانبها نائمة. فخجل زوجها وسب عبده وقالت ليلى لأخيها وأبيها: قبحكما الله! أفي كل يوم تفضحان فتاتكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكل قبيح؛ قبحه الله وإياكما! وجعلا يسبان زوجها ويقولان له كل قول قبيح. وأقام جميل عند بثينة حتى أجنه الليل ثم ودعها وانصرف. وحذرتهم بثينة لما جري من لقائه إياها فتحامته مدة، فقال في ذلك:

[من الطويل]

أن هتفت ورقاء ظلت سفاهة تبكي على جمل لورقاء تهتف

فلو كان لي بالصرم يا صاح طاقة صرمت ولكني عن الصرم أضعف)[1][2].

حيث ان السارد يروي تفاصيل هذا الخبر بصورة متتابعة، فأبتدأ هذا الخبر بـ:

- حديث الجماعة من بني عذرة عن الحدث.
- رصد جميل لبثينة في أحدي الليالي.
- إدخال بثينة جميل داخل الخباء، والتحدث معه.
- منام جميل وبثينة معاً في الخباء.
- مجيء الغلام ورؤيتهما داخل الخيمة.
- توقيف الغلام من عند ليلى.
- تنبيههما من أجل خروج جميل.

فقد عمد الراوي إلى نقل الحدث على وفق نسق التتابع من دون خلق فجوات زمنية تنقل القارئ إلى أبعاد مختلفة في العملية السردية، إذ تعددت الاصوات داخل بنية الخبر السردي، فبدأ الخبر بحدث

(١) الأغاني، ج ٨: ٨٤-٨٥.
(٢) ديوان جميل، تح: د. حسين نصار، (بثن): ١٣٣.

استرجاعي وهو لقاء جميل ببثينة، ومن ثم مجيء الغلام الذي رأى بثينة نائمة وإلى جانبها جميل، وتأخير الغلام لأجل تنبيه بثينة وجميل عن طريق ارسال جارية تحذرهما، إذ تناوبت الأحداث بين ليلى وبثينة وجميل وصولا إلى أبيها وأخيها وهم يرون ماذا حل بابنتهم، بحيث حدث يتبع الآخر من غير تخطٍ لأي جانب من جوانب القصة، وهذا التناوب في الخبر ينماز بعملية المشاركة والحضور داخل بنية الخبر مما يسمح في صناعة المتخيلة السردية (١). فتحذير ليلى لبثينة وجميل وتأخير الغلام كان سببا في تخليص بثينة وجميل من الفضيحة.

ومنه أيضا: (خرج رجلٍ من بني كلاب ثم من بني الصحمة يبتغي إبلا له حتى أوحش وأرمل، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بواد، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيف، فأبصر امرأة وصبيانا يدورون بالخباء فلم يكلمه أحدٍ. فلما كان بعد هدأة من الليل سمع جِرجِرة إبل رائحة، وسمع فيها صوت رجلٍ حتى جاء بها فأناخها على البيت، ثم تقدم فسمع الرجل يناجي المرأة ويقول: ما هذا السوادِ حذاءك؟ قالت: راكب أناخ بنا حين غابت الشمس ولم أكلمه. فقال لها: كذبت، ما هو إلا بعض خلانك، ونهض يضربها وهي تناشده. قال الرجل: فسمعته يقول: والله لا أترك ضربك حتى يأتي ضيفك هذا فيغيثك فلما عيل صبرها قالت: يا صاحب البعير يا رجلٍ؛ وأخذ الصحمي هراوته ثم أقبل يحضر حتى اتاها وهو يضربها، فضربه ثلاث ضربات أو أربعا، ثم أدركته المرأة فقالت: يا عبد الله، ما لك ولنا؟ خ عنا نفسك، فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها وقد ظن أنه قتل الرجل وهو لا يدري من الحي بعد، حتى أصبح في أخبية من الناس، ورأى غنما فيها أمة مولدة، فسألها عن أشياء حتى بلغ به الذكر، فقال: أخبريني عن أناس وجدتهم بشعب كذا. فضحكت وقالت: إنك لتسألني عن شيء وأنت به عالم. فقال: وما ذاك الله بلادك؟ فوالله ما أنا به عالم. قالت: ذاك خباء ليلى الأخيلية، وهي أحسن الناس وجها، وزوجها رجلٍ غيورٍ فهو يعزب بها عن الناس فلا يحل بها معهم، والله ما يقربها أحدٍ ولا يضيفها، فكيف نزلت أنت بها؟ قال: إنما مررت فنظرت إلى الخباء ولم أقربه، وكتمها الأمر...) (٢).

يبدأ الراوي هذا الخبر باستهلال حدثي بقوله (خرج رجلٍ من بني كلاب ثم من بني الصحمة يبتغي إبلا له) وبذلك يهيء للقارئ أن يدخل إلى الأحداث الآتية ليتتابعها، وينتظر ماذا سيحدث إلى النهاية، فضلا عن أن البداية تعمل إلى بث عنصر التشويق وتدفق الأحداث بصورة متوالية ومنطقية، فنرى الراوي يدخل للأحداث عن طريق الشخصيات واتخاذها جسرا لسير الحدث وأدوات لتجسيد الحدث وتمثيله على أرض الواقع، فتبدأ أحداث هذا الخبر بخروج الصحمي الذي يريد الا بل فنزل ضيفا في منزل ليلى الأخيلية، ومن ثم نلاحظ مشاركة الحدث والحوار بشكل متتابع، وكان بعضها سببا لبعضها الآخر، إذ نسمع صوت ليلى

(١) ينظر: أركان القصة، فورستر: ٦٧.
(٢) الأغاني، ج ١١: ١٤٢.

وزوجها يتحاوران، فيأتي صوت زوجها وتعرضه لها ويتسلسل الحدث إلى استجابة الصحمي لنداء ليلى وتعرضه لزوجها دفاعا عنها بسبب تعرض الزوج لها فعمل السارد هنا على ربط الحدث بالحوار في بناء هذا الخبر لعرض الأحداث بصورة متسلسلة.

٢- نسق التضمين:

(التضمين أو الاقتباس هو جعل الشيء في باطن شيء آخر، وإيداعه إياه، ويقال: ضمن فلان ماله خزانته، فتضمنته هي، والخزانة مضمن فيها، وهي أيضا متضمنة والمال متضمن)[١]. يمكن للكاتب أن يختار مواضيع متنوعة لتضمينها في قصته، وهذا ما تتميز به الحكاية العربية القديمة والتفرع عن الإطار العام، وهذا ما يعرف بالاستطراد[٢]. (والتضمين السردي هو إقحام حكاية داخل حكاية أخرى)[٣]. وهو اشتراك صيغ الخطاب في تداخلها وتقاطعها[٤]. فهو النسق الذي يعتمد على أكثر من قصة إذ يجبر الشخصية المركزية على القيام بأحداث مختلفة، إذ تعمل قصة ما على استيعاب حوافز وتأثيرات قصة أخرى، وهكذا تتوالى القصص التي تتضمن مجموعة من المقاطع السردية والتي تحتفظ كل واحدة منها باستقلالية عن الأخرى بوساطة شخصية مشتركة[٥].

ويتجلى هذا النسق في كتاب الأغاني ومنه هذا الخبر: (قيل للمجنون أي شيء رأيته أحب إليك؟ قال: ليلى، قيل: دع ليلى فقد عرفنا ما لها عندك ولكن سواها، قال: والله ما أعجبني شيء قط فذكرت ليلى إلا سقط وأذهب ذكرها بشاشته عندي، غير أني رأيت ظبيا مرة فتأملته وذكرت ليلى فجعل يزداد في عيني حسنا، ثم إنه عارضه ذئب وهرب منه فتبعته حتى خفيا عني فوجدت الذئب قد صرعه وأكل بعضه، فرميته بسهم فما أخطأت مقتله، وبقرت بطنه فأخرجت ما أكل منه، ثم جمعته إلى بقية شلوه، ودفنته وأحرقت الذئب، وقلت في ذلك:

[من الطويل]

أبى الله أن تبقى لحي بشاشة فصبرا على ما شاءه الله لي صبرا)[٦][٧].

---

(١) لسان العرب، مادة (ضمن)

(٢) ينظر: المتخيل السردي، عبدالله ابراهيم: ٥٨.

(٣) معجم مصطلحات نقد الرواية، د لطيف زيتوني: ٥٧.

(٤) ينظر: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين: ٢٥٨.

(٥) ينظر: سردية الخبر في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب وذيله جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، تغريد خليل حامي: ٢٢٩.

(٦) كتاب الأغاني، ج٢: ٤٨.

(٧) ديوان مجنون ليلى، تح: عبد الستار أحمد فراج: ١٣٢.

لم يقتصر الراوي على سرد الخبر بسياق واحد، فقد حاول أن يبث روح التغيير ويكسر الرتابة في بناء الحدث، فادخل أو ضمن الحدث بقصة أخرى حتى يضفي على الخبر روحية جديدة، وهذا ما التمسناه من خبر المجنون إذ ينقل لنا هذا الحدث المبني على الحوارية عن طريق السؤال والجواب في قوله (قيل للمجنون أي شيء رأيته أحب إليك؟ قال: ليلى، قيل: دع ليلى فقد عرفنا ما لها عندك ولكن سواها، قال: والله ما أعجبني شيء قط فذكرت ليلى إلا سقط وأذهب ذكرها بشاشته عندي) ومن ثم ضمن السارد خبره هذا بخبر آخر نحو قوله (غير أني رأيت ظبيا مرة فتأملته وذكرت ليلى فجعل يزداد في عيني حسنا) فشخصية المجنون التي ذكرتها الأخبار ترى ليلى في كل مكان حتى يخيل إليها من داخل النص إلا عند استهلال الخبر فكان الراوي من خارجه متبعا تقنية الاسترجاع، ونجد أن الأحداث في أخبار المجنون هي أحداث مركزية لها مكانتها واهميتها في المجتمع آنذاك، مما دفع الرواة إلى تناقلها من جيل إلى آخر، فضلا عن أخذها مساحة واسعة من الأخبار في كتاب الأغاني (١).

ومنه هذا الخبر: (خرجت من تيماء في أغباش السحر، فرأيت عجوزا على أتان، فتكلمت فإذا أعرابية فصيحة. فقلت: ممن أنت؟ فقالت: عذرية. فأجريت ذكر جميل وبثينة؛ فقالت: والله إنا لعلى ماء لنا بالجناب وقد تنكبنا الجادة لجيوش كانت تأتينا من قبل الشام تريد الحجاز، وقد خرج رجالنا لسفر وخلفوا معنا أحداثا؛ فانحدروا ذات عشية إلى صرم قريب منا يتحدثون إلى جوار منهم، فلم يبق غيري وغير بثينة، إذ انحدر علينا منحدر من هضبة تلقاءنا، فسلم ونحن مستوحشون وجلون. فتأملته ورددت السلام فإذا جميل. فقلت: أجميل؟ قال: إي والله؛ وإذا به لا يتماسك جوعا، فقمت إلى قعب لنا فيه أقط مطحون وإلى عكة فيها سمن وربٍ فعصرتها على الأقط ثم أدنيتها منه وقلت: أصب من هذا، فأصاب منه؛ وقمت إلى سقاء فيه لبن فصببت عليه ماء باردا فشرب منه وتراجعت نفسه. فقلت له: لقد بلغت ولقيت شرا، فما أمرك؟ قال: أنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث ما أريمها أنتظر أن أرى فرجة، فلما رأيت منحدر فتيانكم أتيتكم لأودعكم وأنا عامد إلى مصر، فتحدثنا ثم ودعنا وشخص؛ فلم تطل غيبته أن جاءنا نعيه فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة:

[من الكامل]

صدع النعي وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول) (٢)(٣).

(١) ينظر: أخبار مجنون ليلى في الأدب العربي القديم من القرن الثالث الهجري إلى القرن العاشر الهجري: دراسة في تقنيات السرد، رسالة تقدمت بها الطالبة رواء جواد إبراهيم، اشراف: الاستاذ الدكتور عبد الستار جبر عداي، الى مجلس كلية الإمام الكاظم في اللغة العربية وآدابها، بغداد، ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م: ١٨٠.

(٢) الأغاني، ج ٨: ١١١.

(٣) ديوان جميل، تح: د. حسين نصار (بكر): ١٨٤.

يستهل الراوي هذا الخبر باستهلال حدثي قائم على تقنية الاسترجاع بدلالة الأفعال الماضية الواردة في بنية الخبر (خرجت / فقلت / خرج / سلم / قمت / إلى ما سواها) وينقل الخبر لنا إذ دارت بين السارد والعجوز محاورة فتبين ان العجوز اعرابية فصيحة عذرية ثم يضمن هذا الخبر بخبر آخر قائم على تقنية الاسترجاع نحو قوله (فقالت: والله إنا لعلى ماء لنا بالجناب وقد تنكبنا الجادة لجيوش كانت تأتينا من قبل الشام تريد الحجاز..) إذ دار الحوار بينهما على ذكر الشاعر الغزلي جميل وحبيبته بثينة، وكيف نزل عليهم وهم كانا وحدهما لأن جيوش قدموا من الشام تريد أخذ الحجاز، ولقد فرغت قبيلة عذرة من الرجال لأنهم سافروا جميعا، وبهذا الوقت جاء جميل والتقى مع بثينة والنساء الموجودات ودار التحاور بينهم، وينقل الراوي بقية الحدث عما فعلته بثينة من تقديم الطعام لجميل، والراوي هنا يقدم نفسه بأنه الشاهد على الحدث وهو من قرأ التاريخ وقدم لنا ما حدث في ذاك الزمان، ونلحظ أن الحدث لم يكن تحت وتيرة واحدة بل اختلف بين حديث الراوي مع شخصية العجوز من بني عذرة، وراحت تروي احداثا مع الجيش من الشام وكيف جري بهم، ثم ذكرت قصة جميل مع بثينة، وأن التداخل في القصص والترابط بينهما يخلق جوا جديدا في السياق الحدثي ومشاركة الراوي مع الشخصية وإظهار صوت الشخصية هذه من أهم سمات القصص العربية.

وعلى نحوه هذا الخبر: (كتب يزيد بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة، وهو عبد الواحد بن عبد الله النصري، أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومعبدا المغني مولى ابن قطن قال: فجهزنا وحملنا إليه، فلما نزلنا عمان أبصرنا غديرا وقصورا، فقعدنا على الغدير وتحدثنا وذكرنا المدينة، فخرجت جارية من بعض تلك القصور، ومعها جرة تريد أن تستقي فيها ماء، قال الأحوص: فتغنت بمدحي في عمر بن عبد العزيز:

[من الكامل]

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدي وبه الفؤاد موكل (١)

فتغنت بأحسن صوت ما سمعته قط، ثم طربت، فألقت الجرة فكسرتها، فقال معبد: غنائي والله، وقلت: شعري والله، فوثبنا إليها، وقلنا لها: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لآل سعيد بن العاص، وفي خبر جرير المغني: لآل الوليد بن عقبة، ثم اشتراني رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم، وشغف بي، فغلبته بنت عم له طرأت عليه، فتزوجها على أمري، فعاقبت منزلتها منزلتي، ثم علا مكانها مكاني، فلم تزدها الأيام إلا ارتفاعا، ولم تزدني إلا اتضاعا، فلم ترض منه إلا بأن أخدمها، فوكلتني باستقاء الماء، فأنا على ما تريان، أخرج أستقي الماء، فإذا رأيت هذه القصور والغدران ذكرت المدينة، فطربت إليها، فكسرت جرتي، فيعذلني أهلي

(١) شعر الأحوص الأنصاري، تح: عادل سليمان جمال: ٢٠٧.

ويلومونني. قال: فقلت لها: أنا الأحوص، والشعر لي، وهذا معبد، والغناء له،

ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين، وسنذكرك له أحسن ذكر ...) [١].

الحدث في هذا الخبر ينص على أن الاحوص ومعبد كانا في طريقهما إلى يزيد بن عبد الملك الذي كتب لهما بأنه يريد مغني له يطرب على صوته، وفي الطريق التقيا بجارية كانت صاحبة صوت جميل، ثم يضمن هذا الخبر بخبر آخر قائم على تقنية الاسترجاع عن طريق الحوار الذي دار بينهم عن الجارية وقصت لهما قصتها ومن يملكها (ثم اشتراني رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم، وشغف بي، فغلبته بنت عم له طرأت عليه..)، إذ تركت الجارية الأثر الطيب في قلب الاحوص ومعبد، ووعداها أن يذكراها عند أمير المؤمنين، وفي الخبر يقوم الراوي الملاحظ أو الشاهد بتعضيد الخبر، بما يشاهده من مواقف الشخصيات داخل المتن الحكائي، ونلحظ ذلك في الخبر الذي امامنا فشخصية الشاعر الغزلي (الاحوص) كانت شاهدا على الحدث وكل ما جري فيه، حتى بلغ النهاية وهو مشارك في الحوار والروي داخل البنية السردية للخبر.

٣- النسق الدائري أو المتداخل:

(هو أن تبدأ القصة عند نقطة نهاية أحداث الحكاية ثم تعرض ما سبقها، لتنتهي عند نقطة بدايتها مجددا) [٢]، أي أن يكرر الكاتب أو الشاعر المقطع أو الفكرة التي تبدأ بها الخاتمة سواء الرواية نفسها أو برؤية جديدة مختلفة (٣).

ونجد امثلة هذا النوع في كتاب الأغاني ما أورده في الخبر الاتي: (وذكر ابن أبي حسان عن الرياشي عن العباس بن بكار. عن ابن دأب: أن هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جمح كان أبوها من أهل مكة، فولدت له جارية لم يولد مثلها بالحجاز حسنا. فقال أبوها: كأني بها وقد كبرت، فشبب بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوه باسمها كما فعل بنساء قريش، والله لا أقمت بمكة. فباع ضيعة له بالطائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة، فأقام بها وابتاع هناك ضيعة حسنة، ونشأت ابنته من أجمل نساء أهل زمانها. ومات أبوها فلم تر أحدا من بني جمح حضر جنازته ، ولا وجدت لها مستعدا ولا عليها داخلا. فقالت لداية لها سوداء: من نحن؟ ومن أي البلاد نحن؟ فخبرتها. فقالت: لا جرم والله لا أقمت في هذا البلد الذي أنا فيه غريبة! فباعت الضيعة والدار، وخرجت في أيام الحج. وكان عمر يقدم فيعتمر في ذي القعدة ويجلس، ويلبس تلك الحلل والوشي، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج، ويسيل لمته،

(١) الأغاني، ج ٢١: ٨١-٨٢.
(٢) الفضاء الروائي في ادب جبرا ابراهيم جبرا، د. ابراهيم جنداري: ٨٧.
(٣) ينظر: الألسنية والنقد الأدبي (في النظرية والممارسة)، موريس أبو ناضر، دار النهار، بيروت، د. ط، ١٩٧٩م: ٨٥.

ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات، ويتلقى المدنيات إلى مر، ويتلقى الشاميات إلى الكديد يوما للعراقيات فإذا قبة مكشوفة فيها جارية كأنها القمر، تعادلها جارية سوداء فخرج كالسبجة. فقال للسوداء: من أنت؟ ومن أين أنت يا خالة؟ فقالت: لقد أطال الله تعبك إن كنت تسأل هذا العالم من هم ومن أين هم. قال: فأخبريني عسى أن يكون لذلك شأن. قالت: نحن من أهل العراق، فأما الأصل والمنشأ فمكة، وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا؛ فضحك. فلما نظرت إلى سواد بينيه قالت: قد عرفناك. قال: ومن أنا؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة، قال: وبم عرفتني؟ قالت: بسواد ثنيتيك وبهيئتك التي ليست إلا لقريش؛ فأنشأ يقول:

[من الخفيف]

قلت من أنتم فصدت وقالت أمبد سؤالك العالمينا

ثم ذكر الأبيات، فلم يزل عمر بها حتى تزوجها وولدت له) (١) (٢).

اعتمد الخبر على تقنية الاستباق بدلالة الجملة التي ختم بها الراوي الخبر (فلم يزل عمر بها حتى تزوجها وولت له) والخبر دائر عن قصة فتاة حسناء عشقها عمر بن أبي ربيعة وذكر اسمها في شعره، حتى قام أبوها بالسفر بعيدا عن مكة وعندما توفى والدها رجعت إلى مكة مع جارية لها سوداء، ورجعت المرأة الجميلة مع جاريتها إلى مكة والتقت بالشاعر عمر أبي ربيعة في مكة حينما خرجت لتعتمر كما ورد في هذا النص (وكان عمر يقدم فيعتمر في ذي القعدة ويجلس، ويلبس تلك الحلل والوشي، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج، ويسيل لمته، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات، ويتلقى المدنيات إلى مر، ويتلقى الشاميات إلى الكديد يوما للعراقيات فإذا قبة مكشوفة فيها جارية كأنها القمر)، ودار التحاور معه إذ منحت سمة الحوار الواقعية للخبر وجعلته صادق من لدن القارئ نحو قوله (فقال للسوداء: من أنت؟ ومن أين أنت يا خالة؟ فقالت: لقد أطال الله تعبك إن كنت تسأل هذا العالم من هم ومن أين هم. قال: فأخبريني عسى أن يكون لذلك شأن. قالت: نحن من أهل العراق، فأما الأصل والمنشأ فمكة، وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا؛ فضحك. فلما نظرت إلى سواد بينيه قالت: قد عرفناك. قال: ومن أنا؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة، قال: وبم عرفتني؟ قالت: بسواد ثنيتيك وبهيئتك التي ليست إلا لقريش).

(١) الأغاني، ج١: ١٥٣-١٥٤.
(٢) شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة المخزومي، محمد محي الدين عبد الحميد: ٣٠٠.

(ففي كل حكاية يجب أن يقع فيها تمثيل حدث ما وذلك؛ لأن الأحداث السردية لا يمكن أن تتحول إلى أشكال سردية إلا إذا تم تمثيلها أي جعلها منقولة ومروية من الراوي الذي يسعى إلى تصوير حدث ما وتمثيله)[١]. فالراوي في الخبر مشترك بين داخل النص وخارجه فضلا عن اعتماد أبي الفرج الاصفهاني على بناء أحداثه على وفق النسق الدائري إذ يبدأ الخبر بتشبيب عمر بن أبي ربيعة للحسناء وينتهي الخبر بزواج عمر بن أبي ربيعة من تلك المرأة الحسناء.

ومنه أيضا ما ورد في هذا الخبر: (كانت امرأة يقال لها أم ليث امرأة صدق، فكانت قد فتحت بينها وبين جارة لها من الأنصار خوخة، وكانت الأنصارية من أجمل أنصارية خلقت فكلم الأحوص أم ليث أن تدخله في بيتها يكلم الأنصارية من الخوخة التي فتحت بينها وبينها، فأبت؛ فقال: أما لأكافينك، ثم قال:

[من البسيط]

هيهات منك بنو عمرو ومساكنهم إذا تشتيت قنسرين أو حلبا...[٢]

فلما بلغت الأبيات زوج المرأة، سد الخوخة؛ فاعتذرت إليه أم ليث، فأبى أن يقبل ويصدقها. فكانت أم ليث تدعو على الأحوص)[٣].

هذا الخبر يروي قصة العلاقة التي جمعت بين الاحوص وجارة أم ليث التي فتحت نافذة صغيرة بينها وبين جارتها الانصارية وكانت تربطها بجارتها علاقة متينة بحيث كان الشاعر الاحوص يطلب من أم ليث ان تسمح له بالدخول لبيتها حتى يكلم الانصارية لكن حدث بأن ذكر الانصارية في شعره وبلغ الأبيات زوجها مما أدى إلى غلقت أم ليث النافذة بينهما، وفي الخبر اعتمد أبي الفرج الاصفهاني على بناء أحداثه على وفق النسق الدائري فالراوي خارج النص وهو يبدأ بالعلاقة بين الجارتين نحو قوله (قد فتحت بينها وبين جارة لها من الأنصار خوخة..) ولكنه ينتهي أيضا بالقصة نفسها (سد الخوخة)، فالفتحة أو النافذة التي كانت بينهما هي سبب الحوار والحكاية كلها.

٤- نسق التكرار:

فهذا النسق عرف بقوله: (هو عودة السرد تكرارا إلى حدث واحد والقصة تستخدم التكرار لتعبر عن حالات كثيرة، وتستخدمه أيضا للتعبير عن اختلاف وجهات النظر، فيتكرر النص مع بعض الاختلاف في

(١) سردية الخبر في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب وذيله جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، تغريد خليل حامي: ٢٢١.

(٢) شعر الأحوص الأنصاري، تح: عادل سليمان جمال: ١٠٠.

(٣) الأغاني، ج ٤: ١٧٢-١٧٣.

أسلوب التعبير أو مع اختلاف يسير في المضمون)[1]. و(السارد لا يكتفي بتقديم بعض الاحداث مرة واحدة، وإنما يعتمد نظاما يكررها أكثر من مرة، تبعا لعدد الشخصيات المشاركة في المادة الحكائية)[2].

و من الأمثلة على هذا النوع في كتاب الأغاني: (حج أبو الأسود الدولي ومع امرأته وكانت جميلة. فبينما هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة، فأتت أبا الأسود فأخبرته، فأتاه أبو الأسود فعاتبه. فقال له عمر: ما فعلت شيئا. فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها، فأخبرت أبا الأسود؛ فأتاه في المسجد وهو مع قوم جالس فقال له:

[من الطويل]

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم أقوام خلائق أربع ...[3]

فقال له: لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم. ثم عاود فكلمها، فأتت أبا الأسود فأخبرته، فجاء إليه فقال له:

[من الطويل]

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع ...[4]

ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مشتملا على سيف. فلما رآهما عمر أعرض عنها؛ فتمثل أبو الأسود:

[من البسيط]

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى صولة المستأسد الحامي)[5][6].

نقل في الاغاني أخبار عن شخصيات مختلفة ومنها شخصية أبي الأسود الدؤلي وزوجته، فقد افتتح الراوي رواية هذا الخبر وهو يخبر المتلقي عن الأحداث التي دارت بينهما، ونلحظ التكرار حاضرا في بنية الخبر

(١) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني: ٦١.
(٢) المتخيل السردي، عبدالله ابراهيم: ١١١.
(٣) ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعه: أبي سعيد الحسن السكري (ت٢٩٠هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، (بيروت – لبنان)، ط٢، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م ,(والخنى.. ذي القربى): ١١٨.
(٤) المصدر نفسه: ٣٤٧.
(٥) الأغاني، ج١: ١١٤.
(٦) ديوان النابغة الذبياني، د. جميل سلطان، دار الأنوار، بيروت، ١٩٧١م,(وتتقي.. مربض.. المستنفر): ١٤٢.

السردي، ففي المرة الأولى (فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها، فأخبرت أبا الأسود، فأتاه في المسجد ... فقال له: لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا ليوم) وفي المرة الثانية عاد عمر بن أبي ربيعة للتحدث مع زوجة أبي الأسود الدؤلي، ومن ثم هي الأخرى أخبرت زوجها فرجع أبو الأسود الدؤلي مرة ثانية لعتاب عمر بن أبي ربيعة لكن الأخير عاد مرة ثالثة للتعرض إلى زوجة أبا الأسود الدؤلي (ثم عاود فكلمها فأتت أبا الأسود فأخبرته فجاء إليه ...) إذ ان الحدث هنا في هذا الخبر يتكرر ثلاث مرات.

ويطالعنا في موضع آخر هذا الخبر: (أن ليلى هذه كانت جالسة في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة، فوجهت إليه مولى لها فجاءها به. فقالت له: يا ابن أبي ربيعة، حتى متى لا تزال سادرا في حرم الله تشبب بالنساء وتشييد بذكرهن؟ أما تخاف الله؟ قال: دعيني من واسمعي ما قلت. قالت وما قلت؟ فأنشدها الأبيات المذكورة. فقالت له القول الذي تقدم أنها أجابته به. قال: وقال لها: اسمعي أيضا ما قلت فيك...)[1].

الحوارية هي الصفة الطاغية على الاحداث في هذا الخبر، والمقصود بالحوارية هي أحدي المفاهيم الحديثة في النقد الأدبي، وظهرت على يد الناقد باختين، فهي تقوم على تعدد الاصوات في الخبر السردي[2]، وهذا ما نجده حاضرا في تحاور عمر بن أبي ربيعة وليلى، أما نسق التكرار الذي نلحظ في قوله: (فقالت له القول الذي تقدم له النصيحة أنها اجابت به) أي إنها تقدم له النصيحة بالابتعاد وعدم التعرض إلى النساء ومغازلتهن والاشادة بذكرهن في الاماكن المقدسة إلا إن هذا النصح كان من دون فائدة. ويتكرر النص مرة أخرى (قال: وقال لها: اسمعي أيضا ما قلت فيك ...)، وأن الاحداث المكررة في هذا الخبر الواحد ما هو الا خصيصة من خصائص السرد عند الاصفهاني، الذي أكثر من سرد الروايات المتعلقة بالشعراء الغزليين الذين ذاع صيتهم في العصر الأموي.

ومنه أيضا هذا الخبر: (كان عمر بن أبي ربيعة جالسا بمنى في فناء مضربه وغلمانه حوله، إذ أقبلت امرأة برزة عليها أثر النعمة، فسلمت، فرد عليها عمر السلام، فقالت له: أنت عمر بن أبي ربيعة؟ فقال لها: أنا هو، فما حاجتك؟ قالت له: حياك الله وقربك! هل لك في محادثة أحسن الناس وجها، وأتمهم خلقا، وأكملهم أدبا، وأشرفهم حسبا؟ قال: ما أحب إلي ذلك! قالت: على شرط. قال: قولي. قالت: تمكنني من عينيك حتى أشدهما وأقودك، حتى إذا توسطت الموضع الذي أريد حللت الشد، ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مضربك. قال: شأنك، ففعلت ذلك به. قال عمر: فلما انتهت بي إلى المضرب الذي أرادت

(١) الأغاني، ج١: ١١٩.

(٢) ينظر: المبدأ الحواري، ميخائيل باختين، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م: ٨٩.

كشفت عن وجهي، فإذا أنا بامرأة على كرسي لم أر مثلها قط جمالا وكمالا، فسلمت وجلست. فقالت: أأنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر. قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاك جعلني الله فداءك؟ قالت: ألست القائل:

[من الكامل]

قالت وعيش أخي ونعمة والدي لأنبهنِ الحيِ إن لم تخرجِ ...(١)

ثم قالت: قم فاخرج عني، ثم قامت من مجلسها. وجاءت المرأة فشدت عيني، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضربي، وانصرفت وتركتني. فحللت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم. وبت ليلتي، فلما أصبحت إذا أنا بها؛ فقالت: هل لك في العود؟ فقلت: شأنك. ففعلت بي مثل فعلها بالأمس، حتى انتهت بي إلى الموضع. فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي. فقالت: إيه يا فضاح الحرائر، قلت: بماذا جعلني فداءك؟ قالت: بقولك.

[من الطويل]

وناهدةِ الثديينِ قلت لها اتكي على الرمل من جبانة لم توسد ...(٢)

ثم قالت قم فاخرج عني. فقمت فخرجت ثم رددت. فقالت لي: لولا وشك الرحيل، وخوف الفوت، ومحبتي لمناجلتك والاستكثار من محادثتك، لأقصيتك؛ هات الآن كلمني وحدثني وانشدني.

فكلمت آدب الناس وأعلمهم بكل شيء. ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا لي البيت، فأخذت أنظر، إذا أنا بتورٍ فيه خلوق، فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها في ردني. وجاءت تلك العجوز فشدت عيني ونهضت بي تقودني حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجت يدي فضربت بها على المضرب، ثم صرت إلى مضربي، فدعوت غلماني فقلت: أيكم يقفني على باب مضرب عليه خلوق كأنه أثر كف فهو حر وله خمسمائة درهم. فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال: قم. فنهضت معه، فإذا أنا بالكف طريةٍ، وإذا المضرب مضربٍ فاطمة بنت عبدالملك بن مروان. فأخذت في أهبة الرحيل؛ فلما نفرت نفرت معها، فبصرت في طريقها بقباب ومضرب وهيئة جميلة، فسألت عن ذلك، فقيل لها: هذا عمر بن أبي ربيعة؛ فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه: قولي له نشدتك الله والرحم أن تصحبني، ويحك! ما شأنك وما الذي تريد؟ انصرف ولا تفضحني وتشيط بدمك. فسارت العجوز إليه فأدت إليه ما قالت لها فاطمة. فقال: لست بمنصرف أو

(١) شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة المخزومي، محمد محي الدين عبد الحميد، (أبي.. وحرمة.. إخوتي..): ٤٨٨.
(٢) المصدر نفسه: ٤٩٠.

توجه إ لي بقميصها الذي يلي جلدها؛ فأخبرتها ففعلت ووجهت إليه بقميص من ثيابها؛ فزاده ذلك شغفا. ولم يزل يتبعهم! يخالطهم، حتى إذا صاروا على أميال من دمشق انصرف وقال في ذلك:

[من الكامل]

ضاق الغداة بحاجتي صِدري ويئست بعد تقارب الأمر...) (١) (٢).

سارت أخبار صاحب الاغاني على عدة انساق من الاحداث ومن ضمنها نسق التكرار، ونلحظ هذا النسق في الخبر واضحا، فشخصية المرأة التي جاءت إلى عمر بن أبي ربيعة هي من قامت بتكرار فعلها مرات عدة، فقد نلحظ ذلك في (ففعلت بي مثل فعلتها بالأمس...) مع مراعاة بعض الاختلاف في أسلوب تقديم الحدث المكرر، كما نلحظ تكرار النص الخبري في قوله: (انصرف ولا تفضحني وتشيط بدمك)، وبهذا تكون البنية السردية للخبر المذكور سابقا هي بنية معتمدة على ميزة التكرير الذي منح الحكاية بعدا دلاليا يفتح الأفق للمتلقي في سبيل تعدد القراءات والرؤى في التأويل.

نتائج البحث:

١- من كل ما تقدم نلحظ اشتراك الأخبار برواة مشتركين، فمنهم داخل النص ومنهم خارجه.

٢- لم يخلِ كتاب الأغاني من أنساق بناء الحدث، فقد جاءت أغلب أخبار الكتاب بنسق متتابع مترابط في وحدته، وهذا الترابط مبني على أساس علاقة سببية فيما بينها.

٣- كان لنسق التضمين والنسق الدائري ونسق التكرار حضورا بارزا في بعض أخبار الشعراء الغزليين لرسم ما تحمله الشخصيات من غزل.

(١) الأغاني، ج١: ١٣٦-١٣٧-١٣٨.

(٢) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، محمد محي الدين عبد الحميد: ١٥٣.

المصادر والمراجع:

١ – أخبار مجنون ليلى في الأدب العربي القديم من القرن الثالث الهجري إلى القرن العاشر الهجري: دراسة في تقنيات السرد، رسالة تقدمت بها الطالبة رواء جواد إبراهيم، اشراف: الاستاذ الدكتور عبد الستار جبر عداي، إلى مجلس كلية الإمام الكاظم في اللغة العربية وآدابها، بغداد، ١٤٤٤هـ – ٢٠٢٢م.

٢ – أركان القصة، فورستر، ترجمة: كمال عياد جاد، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣ – الألسنية والنقد الأدبي (في النظرية والممارسة)، موريس أبو ناضر، دار النهار، بيروت، د. ط، ١٩٧٩م.

٤ – بناء الرواية، إدوين موير، ترجمة: إبراهيم الصيرفي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٥ – البنية السردية في الرواية، دراسة في ثلاثية خيري شلبي، عبد المنعم زكريا القاضي، تقديم: أ. د أحمد إبراهيم الهواري، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٩م.

٦ – تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٧م.

٧ – تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (١٩٤٧م – ١٩٨٥ م)، شريبط أحمد شريبط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨ م.

٨ – تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، د. آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت – لبنان)، ط٢، ٢٠١٥م.

٩ – ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعه: أبي سعيد الحسن السكري (ت٢٩٠هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، (بيروت – لبنان)، ط٢، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

١٠ – ديوان النابغة الذبياني، د. جميل سلطان، دار الأنوار، بيروت، ١٩٧١م.

١١ – ديوان جميل (شعر الحب العذري)، تح: د. حسين نصار، دار مصر للطباعة.

١٢ – سردية الخبر في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب وذيله جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، رسالة ماجستير تقدمت بها: تغريد خليل حامي، إشراف: أ. د. رائد حميد البطاط، قسم اللغة العربية – كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ذي قار، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

١٣ – شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط ٢، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م.

١٤ – شعر الأحوص الأنصاري، تح: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، مصر، ط٢، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

١٥ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ)، تحقيق: د. محمد محمد تامر وانس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

١٦ – علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، يان مانفريد، ترجمة: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، (دمشق – سورية)، ط ١، ١٤٣١هـ – ٢٠١١م.

١٧ – الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، د إبراهيم جنداري، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٣ م.

١٨ – فن القصة، د. محمد يوسف نجم، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٥، ١٩٦٦م.

١٩ – فنون النثر العربي الحديث أساليبه وتقنياته، أ. د عمر إبراهيم توفيق، ٢٠١٢م.

٢٠ – فنون النثر العربي الحديث، د. حسني محمود – د. إبراهيم أبو هشهش – د. صالح أبو اصبع، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط ١، ١٩٩٥م.

٢١ – قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٢ – كتاب الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٥٦هـ – ٩٧٦م)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت.

٢٣ – لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري (ت٧١١هـ)، تصحيح: أمين محمد – محمد صادق، دار إحياء التراث العربي، (بيروت – لبنان)، ط٣، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٢٤ – المبدأ الحواري، ميخائيل باختين، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م.

٢٥ – المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠م.

٢٦ – المصطلح السردي (معجم المصطلحات)، تأليف: جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.

٢٧ – معجم السرديات، تأليف: مجموعة من المؤلفين، إشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط١، ٢٠١٠م.

٢٨ – معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون ودار النهار للنشر، (بيروت – لبنان)، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٩ – معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م.

٣٠ – مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، عبد القادر بن سالم، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

٣١ – النظرية البنائية في النقد الادبي، د صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣٢ – النظرية البنائية في النقد الادبي، د صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣٣ – الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، ترجمة وتقديم: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ١٩٩٩م.

الديناميَّة السايكولوجية في ملحمة
(به رده قاره مان لشيركو بيكس)

آ.د. نزار شكور شاكر

جامعة السليمانية – كلية التربية الأساسية

Nzar.shaker@ univsul.edu.iq

الديناميَّة السايكولوجية في ملحمة (به رده قاره مان لشيركو بيكس) – أ.د. نزار شكور شاكر

الملخص:

يهدف البحث الحالي إلى تسليط الضوء على طبيعة الديناميةِ السايكولوجية في ملحمة (به رده قاره مان) لشيركو بيكه س، وذلك عبر قراءة تحليلية تهدف إلى هذا البيان، ولذلك لم يقسِم البحث على مباحث أو مطالب بحثية بعينها؛ بل جاء ترتيب فقراته على وفق ترتيب يؤلف بين محطات الموضوع بالتحليل والعرض وصولا إلى عرض أبرز النتائج، وقد أسفر البحث في الخاتمة عن بعض النتائج تفيد في بيان أن الدينامية السايكولوجية كانت تقوم على بعض الصفات والمزايا، أريد لها عن قصد أن توظف بهذا الشكل؛ كي تسهم في إعادة قراءة الملحمة الشعرية من منظار فني – جديد، فاعل، يستشعر به المتلقي ما ورد في سياق المرجع التاريخي من إضاءات.

الكلمات المفتاحية: الدينامية، السايكولوجيا، بيكه س

Abstract:

The current study aims at shedding light on the nature of the psychological dynamism in Sherko Bekas' Bardaqaraman epic through an analytical reading. Therefore, the study was not divided into specific sections or research requirements, rather the paragraphs arrangement was according to an order which combines the topic stations with analysis and presentation leading to presenting the most prominent results. The study concludes that the psychological dynamism was based on some characteristics and advantages and it was intentionally intended to be employed this way in order to contribute to the re-reading of the poetic epic from an artistic perspective - new, active, through which the recipient senses what was stated in the historical reference context.

Keywords:
Dynamism, Psychology, Beckas

مقدمة

شهدت الساحة الأدبية الكردية توظيفات مرجعيات تاريخية ارتبطت بتاريخ الكرد ولاسيما الحديث والمعاصر منها، وتعدِ ملحمة (به رده قارمان) الشعريةِ إحدى تلك الأعمال التي جسد فيها الراحل شيركو بيكه س مظهرا من مظاهر(الدينامية السايكولوجية) التي أخذت تقنياتها التطبيقية تسهم بشكل من الأشكال في مجال الصياغة الإبداعية لموضوع الملحمة، وتأتي أهمية البحث الحالي من أنه يسعى إلى الكشف عن طبيعة هذه الدينامية – السايكولوجية المركبةِ، وأثرها على مستوى التلقي الفاعل، وقد أسفر البحث في الخاتمة عن بعض النتائج، وجاءت المصادر والمراجع في ثبتٍ في نهاية البحث، آملين في أن نكون قد وفقنا في هذا العمل.

الدراسة:

سنشرع بقراءة نقدية – سايكولوجية تفيد في بيان الأثر المشوق للنص المدروس – نقطة الشروع – النابع من داخل النفس لكشف عناصر النص، ومعانيه الكامنة، وليس اللجوء إلى (إسقاطات) مسبقة لاتمت إلى النص بصلة تذكر، أو الركون التقليدي إلى مرجعيته التاريخية – الأخبارية فحسب، فـ ((الفكرة المركزية التي لابدِ أن ينطلق منها كل ناقد نفساني هي عدم تعنيف النصوص بإسقاطات وتأويلات مسبقة عليها، بل إن مهمته هي أن يجعلها مشوقة، وأن يعمل من أجل أن تمتد معانيها في دواخلنا، وأن يساعدنا على أن نكتشف عناصر معرفة جديدة انطلاقا من النصوص))[1]، ومن هذا المنطلق ليس اعتباطا أن يفتتح المبدع النص الملحمي – الشعري (به رده قارمان)[2] بمشهد حزين يبدأ مع حلول الليل، ليوجهنا منذ البداية إلى بعض الدوال النفسية:

حلِ الليلِ

وقد جلس قمرٍ حزين على قمة (سى كه وان)
كما الملكة [3]

(١) ملال، إيمان، النقد الفني في الخطاب النقدي العربي، مذكرة نيل شهادة دكتوراه في العلوم – في الأدب العربي، كلية الآداب جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٦ – ٢٠١٧، ١٢٥.

(٢) صخرة كبيرة احتمى بها الشيخ محمود الحفيد، وجرح وأسر هناك أثناء معركته ضد القوات الانكليزية في مضيق بازيان – السليمانية. ينظر بهذا الشأن: بيكه س، شيركو، ملحمة (به رده قارمان) ضمن: أنت سحابة.. فأمطرك – مختارات شعرية – ترجمة وتقديم: دانا أحمد مصطفى، السليمانية، ط١، ٢٠٠٤، ٤٢٢.

(٣) بيكه س، ٢١٦-٢١٧، سى كه وان: اسم لموقع جبلي في بازيان (المترجم).

فمن هذا الوقت المتأخر، ودلالته يبدأ الاستعداد لمسيرة التحول، لما هو واقع لا محال، نقرأ معا ما جرى في هذا السياق الذي شهد على نحو أسلوبي زخما من الفعل الحاضر المعدِ بفعل عملية التأهب للمستقبل:

الليل متأخر
وعاصفة ما على وشك الهبوب (...)

يعسكر جيش الشيخ (...)
إنهم يحفرون الخنادق (...)

لقد أحكموا مداخل الطرق (...)

يضعون أيديهم على مقابض خناجرهم

وأعينهم كأعين الصقور (...)

يسهرون على حراسة المضيق (...)

إنهم متوترون، يزرعون الأرض جيئة وذهابا (١)

ومن البديهي في هذا السياق المسترسل في الوصف أن يوظف النداء التعبوي من الجهة العليا ليربط على قلوب المرابطين هناك ليزيدهم إيمانا بقضيتهم العادلة ونضالهم المشرف، بوصفه مطلبا حاسما في هذا السياق الذي جاء بعد التحول عن النمط المألوف في الحياة اليومية، فالصحوة والانتباه والحذر هنا

ومن هذا المنطلق بات واجبا شرعيا وأصلا من أصول المنازلة الوشيكة الوقوع، ولذلك جاء على نحو مؤكد صدر بصيغة فعل الأمر الموجه صوب الجماعة الحاضرة (انتبهوا)، بعد الكشف عما ينطوي عليه الواقع الإعلامي من زيف وخداع، توالى عليه من توالى على مر العصور:

نادى الحاكم الشهم في الجميع
سيظل الذئب ذئبا
من (لندن) كان أم من (أسطنبول) (...)

نادى حاكم الأفق في الجميع

جوز فاسد

وعود ملك جزيرة النفاق

فواكه ساقطة

عهود السيد (ولسن)

سيف بسام

(١) بيكه س، ٢٢١-٢٢٣.

ضحكة (ميجرسن)

هي سم في دسم

انتبهوا..[1]

وسرعان ما أخذ المبدع يوسِع من هذا الفضاء السايكولوجي المتحول بالتدريج عن (المركز- الثبات) بفعل بياني ليشمل مستوى الظواهر الطبيعية التي تبدو بصورة وكأنها مهيأة لهذا التوظيف، وذلك لإعطاء زخم نفسيً للمشهد آنذاك من أكثر من زاوية يغلب عليها في النهاية الطابع ذاته، إذ سعى إلى تسليط الضوء على سايكولوجية بعض الموجودات في ذلك الزمان وفضائه الحاوي على النحو الذي يوحي إلى المتلقي ويشعره بطغيان الحالة النفسية على تلك الأجواء التي انتقلت من وضع إلى آخر عما كانت عليه قبل ذلك الحدث، ولاسيما بعد تلقيها ميدانيا خطاب الترقب والحذر على نحو ملموس (الدافع)، إذ يبدو أنه كان خطابا شاملا كانت له تداعياته أيضا على الجوانب السايكولوجية لمشهد الفضاء والليل المتنامي الذي يعدِ لخروج عن أطره في التعبير القائم هنا ضربا من العبث ذلك ((أن خزان الذاكرة يمدِ المرسل بفيض غزير من الأطر للتعبير عن موقف ما، ولكنه يختار منه ما يلائم المتلقي ويناسب مقتضيات الأحوال))[2]:

الليل متأخر

ونامت العاصفة

وظهرت الغيوم وكأنها مذعورة من أمر ما[3]

وميدانيا لنا أن نرصد ضمن تتابع بعض المخرجات المماثلة لهذا المشهد ذلك الشعور الذي شعرت به أيضا بعض مظاهر العمارة القائمة هنالك والمرتبطة بالحدث جوهريا، فمن صور المكان الجامع للمقاتلين نقرأ في إطار إضفاء العنصر الإنساني على المشهد المكاني (الحصن)، نقرأ في إطار التجسيد الاستعاري للحالة السايكولوجية السائدة بشكل عام هنالك:

الحصن الحجري

ذو أبراج الحراسة الأربعة

العابس (...)

(١) بيكه س، ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) مفتاح، د. محمد، دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٠، ٢٨.

(٣) بيكه س، ٢٣٢.

يفرك أسنانه (...)

لا هدوء في الحصن [١]

ومن البديهي في هذا السياق وتجاوبا مع نظام التحولات البنائية التي شهدها النص منذ البداية أن تبدو صورة البطل / الشيخ متوترة ترتقب فحسب من جانبها ما سيحدث بعد الخطاب، وذلك ضمن توظيف بعض الأفعال الحركية والصفات الدالة على ذلك السلوك العياني:

يزرع (الشيخ محمود) الأرض جيئة وذهابا
كأسد هائج

يده اليمنى في الحزام

والأصابع المتوترة لليد اليسرى تتلاعب بحبات سبحته المزركشة

يتوقف بين الفينة والأخرى أمام وتد الخيمة يتأمل [٢]

ومن أجل أن تكتمل الصورة من هذا المعسكر انتقلت العدسة إلى مساعدي البطل أيضا اللذين أسهما بإزاء صورة الشيخ في تكوين صورة لا تختلف كثيرا عن صورة البطل ولكن في نطاق السكون – والذهول اللذين لا يجديان نفعا مع تلك التطورات المتسارعة الحاصلة على الأرض آنذاك:

ويقف من هذا الصوب

(تايه رى فه رخه) و(سيد حسن)

إنهما وتدان لا يحركان ساكنا
مذهولان

وكأنهما يراقبان (به مو) [٣]

ولغرض تقليص هذا المشهد عمد المبدع كذلك ضمن هذا المستوى البنائي والمظهر النفسي القائم إلى الإسراع بتقديم الشحنة السايكولوجية الإيجابية التي قد تسهم ديناميكيا في القضاء على الشكوك والمخاوف في هذا السياق، وذلك بعد التذكير بالبطولات التي سطرها أصحاب القضية، وتقديم البراهين

(١) بيكه س، ٢٤٠.

(٢) بيكه س، ٢٣٢-٢٣٤ وينظر أيضا: ٢٣٥-٢٣٦. الشيخ محمود: زعيم كردي معروف، حكم السليمانية في العشرينيات (المترجم).

(٣) بيكه س، ٢٣٦:١. تايه رى فه رخه وسيد حسن: من القريبين إلى الشيخ محمود الحفيد، والأخير هو خال الشيخ محمود وقد استشهد في معركة بازيان (المترجم).

الدامغة عليها بما يسهم في تخفيف العبء النفسي الذي يقع على كاهل المقاتلين، أو تخفيف تنامي القلق لدى الجماعة الذي بدا وكأنه يجنح تدريجيا عن مفهومه في ضوء قراءة مفردات الواقع على نحو موضوعي مما استدعى بالضرورة قيام هذا الخطاب التوجيهي – المتعالي نوعا ما، الذي استمد مقوماته في مفارقة فنية– نفسية من عنصر القلق ذاته الذي بات يراود أفراد الجماعة، ليكون البطل هنا موجها ميدانيا فاعلا تطلبه المرحلة الراهنة:

بعد وقفة استدار الشيخ ونظر إليهما..
بعد غارة (طاسلوجه)
ومعارك (شيوه سوور)
التي دارت قبل الأمس

حين حطمنا فيها
هيبة (ميجرسن)

كما الجرة
حيث مسحنا الأرض بأنفه المتعالي
حيث جعلنا كبرياءه يرتطم بالصخر(١)

ولعل المقطع التحفيزي في أعلاه جاء بفائدة ثانية من باب التمهيد لغرض لاحق قائم في النص، ولاسيما وأنه قد أسهم في زيادة دينامية الموقف سايكولوجيا عن طريق طلب التحول عن الحالة التي أخذ يركن إليها المقاتلون شيئا فشيئا، بما يفيده النبأ الآتي اللاحق بوصفه مصدر إزعاج متعدد الجوانب (قدوم القوة العسكرية – قائد القوة بصفاته)، الذي سيشهد فيما بعد تحولا نوعيا في موازين القوى(الاحتلال) يستدعي الاهتمام والوقوف الجاد عنده، والاستعداد التام للقائه المرتقب على أرض الواقع، بقوة الإيمان بقضية الشعب المناضل، في مشهد سيشهد تباعا الصراع بين القوة بمفهومها الدارج، مقابل القوة النوعية:

يفيد الخبر القادم من الموصل
أن قوة (فرايزر) الثامنة عشرة
ذاك الديك المنفوش
الجنرال المزعج الأشيب
متوجهة صوب المنطقة

(١) بيكه س، ٢٣٧. طاسلوجة: مدخل مدينة السليمانية، شيوه سوور: وهو اسم سلسلة من التلول والوديان الممتدة من كركوك إلى قضاء جمجمال (المترجم).

لاحتلال هذا المضيق [١]

وعلى نحو أسلوبي قد نلمح أن هذه الدائرة أحيانا تأخذ بالنمو التدريجي من النقطة التي تنتهي عندها من جديد فعلى مستوى توافر المعادل النفسي إزاء القوة وقائدها المزعج قدِم المبدع قول (تايه رى فه رخه) الآنف ذكره، بما يفيد في بيان إمكانيات المقاتلين ومعنوياتهم على لسان القادة الميدانيين، بكل ثقة وعزيمة – بوصفه تحولا نوعيا – تستند على أصول حجاجية ثابتة بالبراهين والأدلة من أرض المنازلة، لا تأبه بالعدد والعدِة العيانية على نحو يؤكد توافر الكم من تلك القوة الكامنة التي أريد لها أن تترجم إلى أفعال ملموسة مما يعطي زخما معنويا للمقاتلين، بعد الالتفات إلى الوجه الآخر من القلق، وتوظيفه في سياق القول الآتي على سبيل التحدي ضمن ما يعرف بمصطلح التفاؤل الديناميكي واستثمار دافعيته واتجاهاته وفاعليته على مستوى النتائج [٢] في حقل العلوم النفسية:

بصوت منخفض وبهدوء:

-سيدي ولو كان (فرايزر)

رأسه في (كركوك)

وذيله في (بردى)

ولو كان مشاة الكهل وذئابه

يشبهون خلية نمل

وكان الألف منهم

يقابل المئة منا

إنما المضيق هذا

بلعوم عميق جدا
بلع الكثيرين من شاكلة (فرايزر)

غرق فيه

الكثير من شاكلة ذاك المزعج.. [٣]

(١) بيكه س، ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) ينظر: بؤكاني، ث. د. سابير، ئينسايكلؤثيديای زانستة دةروونييةكان، كوردي - عةرةبي - ئينطليزي، خانةی ضاب وبلاوكردنةوةی ضوار ضرا، سليمانی نؤبةتی ضاث: ١، ٢٠٢٠، ٢٦٩.

(٣) بيكه س، ٢٣٩ - ٢٤٠. بردى - ألتون كوبرى: قضاء واقع بين كركوك وأربيل (المترجم).

ومما لا شك فيه أن النهل من هذه العقيدة الراسخة هنا له مصدره السايكولوجي الذي أفضى إلى هذا القول الحاسم، الذي جاء من رحم حالة طارئة وملحة هي ذاتها التي يرتجى منها التحول المنشود عنها. بمعنى أن في عمق بؤرة التأزم نلمح حلا كامنا فيها وليس سواه (الاستبسال)، وليس هذا فحسب بل قد يلجأ المبدع إلى هذا الغرض المعنوي أيضا عن طريق توظيف تقنية (التسقيط) تجاه الطرف الغاصب من هذا المنطلق أيضا، فكما وجدنا حضور الفخر بالمآثر في الإنموذج المار ذكره، نقرأ أيضا تسليط الضوء على أعمال (فرايزر) المنافية للإنسانية ولقيم الحرية بوصف هذا التوظيف المقنن خطابا إعلاميا يستقي من الحجاج مصدره الذي يتعامل مع البعد السايكولوجي للشخصية صوب أبعاد جديدة من التحول الذي يسهم في تغيير النظر إلى مجريات الواقع المخيف نوعا ما ووطئه على المقاتلين.(١)

وعلى نحو غير مباشر سايكولوجيا لنا أن نطالع فاعلية شخصية الشيخ محمود التي أصبحت مصدر القوة ضمن مظهر التحشيد، وأثرها في ذلك الوقت على سير الأحداث، إذ كان مصدرا للتحول في الماحول الذي سرعان ما أظهر للعيان تداعياته:

صوت الشيخ، أنشودته

في التاريخ الخامد لذاك العهد

أيقظ السِفح من نومه بجوار الساقية

مدِ يده وأمسك بخاصرة الجبل، هدِها

مدِ يده وأمسك بكف التلال، هزها

صوت الشيخ، أنشودته:

وصل إلى مسمع الفرات

وفزه *(٢)

وفي سياق ما يتعلق (بالموقف) ومن الناحية الموضوعية – التاريخية ولاسيما في مجال صيرورة الأحداث دراماتيكيا نجد في النص بعض المرجعيات الإشارية ذات الإضاءات السايكولوجية من جانب التي قادت بعض الشخصيات إلى إبداء التحول في موقفهم المشين من القضية القومية مع مرور الزمن على النحو الذي ستؤول إليه الأمور من خيانة وغدر والثبات عليه، جاء في هذا الإطار في لقاء جمع مشير بالشيخ:

قبل سنة أو أكثر

---

(١) ينظر: بيكه س، ٢٤٣– ٢٤٥.

(٢) بيكه س، ٢٥٠–٢٥١. * كذا وردت اللفظة: راجع لطفا: بيكةس، شيركؤ، رووبار، انتشارات اريوحان، تهران، ١٣٩٤، ١٠٤. ماشاني، مجيد، فةرهةنطي سةرضاوة، عةرةبي – كوردى، لة بلاوكراوةكانى كتيبخانةي زانيار، سليماني، ٢٠٠٨، ٦٩١، ١٠٠٦.

وفي وقت متأخر من الخريف
ذهب مشير في زيارة إلى الشيخ للتبرؤ

كابن آوى مذعورا (...)
أهان الشيخ أمام أنظار رؤساء القبائل

ورؤساء الأفخاذ

مشير آغا، بتلك الطريقة

من يومها

حقد الآغا عليه، حقدا بحجم جبل مضيق بازيان (١)

ومع العودة إلى موضوع المعادل النفسي - إن صحت التسمية - نقرأ في الجهة المقابلة بعيدا عن نمطية الترقب والتحشيد، وبث المعنويات الذي أسهم في رسم أبعاد الموقف السايكولوجي من زاوية، وكأن أمرا مكروها سيحدث، نلمس لدى الطرف المقابل قريبا من صورة التخطيط الاستراتيجي - العملي الهادف إلى حسم الموقف في أقرب ما يكون لصالح ذلك المكون الهجين المواجه، الذي تجمع أواصره المصالح المشتركة، نقرأ:

يضع الجنرال وبضعة جنود أيديهم فوق مؤخراتهم (...)

يتمشون، يسيرون في الأرجاء
يرفعون الصوت تارة

ويركنون إلى السكون تارة أخرى (...)

عينا مشير كعيني الثعلب

حادتان وحذرتان (٢)

وتبقى عدسة الكاميرا هناك لتنقل إلينا بعض المشاهد التي تأتينا من هذا الجانب تشير إلى اقتراب النهاية ضمن حدود المفارقة التي لامفر منها بعد أن مكر الماكرون بسلوكهم الطرق غير الشرعية التي تدل على ما يحتجن في صدورهم من نوايا خبيثة تجاه أبناء الشعب الصامد، لنشهد في هذه اللوحة على نحو مبكر تحولا سايكولوجيا حاسما عما سبق ذلك من إعداد تمثل (بالفرحة بالنصر المرتقب) سرعان ما أذاعه القائد على من حوله لأهميته المعنوية، قبل مرحلة الصدام الدامي التي شهدها المضيق المأزوم، وما آل إليه أصحابه في النهاية:

(١) بيكه س، ٢٥١- ٢٥٣ (بتصرف).
(٢) بيكه س، ٢٥٤- ٢٥٥.

يفتح (فرايزر) ببطء وتمهل خارطة المنطقة
وهو على المنصة ينحني مشير ويلقي نظرة

يفهم منها ولا يفهم

يضع (فرايزر) إصبعه على طريق مكان ما

يهمس اسما في أذن الجرذ
يومئ مشير برأسه

ويضحك (الجنرال)

يلتفت إلى الضباط من حوله التفاتة انتصار [١]

وبنائيا أفادتنا بعض النصوص -من بعض القنوات- أن كشف محاولات التحول عن الطابع الذاتي التي قام بها الطرف الخارجي باتت غير مجدية مع الشيخ، مع القناعة التامة أن ما تقوم به هذه الجهة الداعمة للتغيير من مفاوضات سياسية هو عين الصواب وأنه يراعي متطلبات الشرعية وتحقيق النظام في هذا الأمر نقرأ خطاب (فرايزر) الحجاجي بهذا الشأن بعد أن ترك على مستوى التلقي شيئا ما يقف عنده المتلقي أشبه ما يكون بمراجعة فكرية لموقف الإنكليز سواء أكان من الشيخ نفسه أم غيره، قد يترتب عليها الثبات المشرف، أو التحول عنه (الإذعان) للطرف الخارجي، نقرأ عند هذه النقطة التي تكاد تقف عندها جميع التحولات:

-إلى الآن

يشبه الشيخ محمود وحشا بريا

أليفا وغير أليف
نحاول ترويضه ويأبى

نحن لا نفهم ما يبغي

صرنا جسرا
أوصلنا الحضارة من المحيط

إلى عشرات البلدان

لا نسمح له قطعا
أن ينشر الفوضى [٢]

(١) بيكه س، ٢٥٦-٢٥٧.
(٢) بيكه س، ٢٥٧-٢٥٨.

من هذه الزاوية تفيد بعض متطلبات هذا الموضوع الحيوي المرتبط بالدينامية من وجه الذي يقوم على دعائم الثبات والتحول البنائي النظر إلى الشخصيات الرئيسة في النص بمنظار الثبات أيضا على التحول السلبي أحيانا الذي لا يقتضي بالضرورة العدول عن ذلك الأثر المرسوم له، بما يعزز ما ينماز به من مزايا تؤهله لترك الانطباع حوله، ويسهم في تصوير أبعاد المشهد على نحو موضوعي أسفر عن حقيقة الشخصية شيئا فشيئا حتى الوصول إلى القمة حينما يتطلب الأمر ذلك القيام بهذا الأمر من وجهة سايكولوجية بحتة، أو لنقل مع توظيف الجانب السايكولوجي في هذا الصدد، فالثبات هنا بمفهومه الشامل العام يبدو ضروريا بالقدر الذي أسهمت صوره في مسيرة الدينامية السايكولوجية للشخصية كما جاء في أوصاف الشيخ محمود في الثبات على قيم الحق والعدل [١]، أو في أوصاف الجنرال (فرايزر) كما مر بنا من قبل [٢]، نقرأ من مظهر(التحول – الثبات) أنموذجا العلمية الفيزيائية – السايكولوجية الآتية:

بلغ مشير القمة والمرتفع
فتح جناحيه كما الغراب
واستنشق ملء صدره هواء الحقد الدفين [٣]

من زاوية أخرى وضمن إطار المسموح به من التحولات المنطقية والمعمول به في هذا السياق الأدبي وبإزاء ذلك السكوت والترقب (الزماني – المكاني) الذي كان حاضرا في سياق الملحمة الشعرية نأتي هنا لنشير إلى نقطة التحول عن تلك الحالة المستقرة نسبيا وتداعياتها بعد أن قطع تتابع الأحداث شوطا عظيما [٤] التي تقتضي بفعل العملية الإبداعية التحول وتصوير الحال الجديد من منظار سايكولوجي بالدرجة الأساس والا غدا الأمر بمجمله مغالطة تاريخية، وظلما ينال من الملحمة ووقعها العميق في النفوس ولاسيما بعد أن كان لها صدى يذكر كما سيبين في النهاية، وذلك بإتباع بعض الإجراءات، إذ أفادت من جانبها بعض الأساليب البلاغية – البيانية تصوير التحول النفسي الذي شهده المضيق وسهله (بؤرة النص) من منطلق التعاطف الصادق مع القضية بإظهار أسمى آيات الحزن المناسب للحال الراهن سريعا بعد أن عمل فن التشبيه البلاغي على تقريب الحال الجديد (الآني) للمضيق من حال تلك المرأة الحزينة البائسة التي احتبست فيها الآلام والأحزان:

يبدو المضيق الآن وسهله
وكأنه امرأة ذات ضفائر دخانية

(١) ينظر لطفا: بيكه س، ٢٦٨.
(٢) ينظر: بيكه س، ٢٤٣– ٢٤٥.
(٣) بيكه س، ٢٦٤.
(٤) ينظر: بيكه س، ٢٦٤– ٢٦٨

حزينة وممتدة

تستظل بسحب سوداء

تمتنع عن الهطول [١]

ونقرأ أيضا بعد أن كانت حزمة التحولات المتسارعة قد غادرت منطقة التوقعات الراهنة، وباتت أمرا واقعا لامناص منه أو لنقل أنها نجحت في استدراج المتلقي الفطن إلى استقبال هذه النتيجة بردة فعل سايكولوجي بعد أن تم التحقق من توافر اللحظة السايكولوجية الموظفة لهذا الغرض ((لحظة توقع القارئ، في سرد أحداث قصة لشيء ما، نتيجة استعداد ذهني لتلقي الحدث عبر سرد محكم، يؤدي بالضرورة إلى لحظة التحقق))[٢] ولاسيما ضمن ثنائية قائمة باتت تتسع -وللأسف- للضحك والألم معا على حسب الحال في إطار مفارقة أخذ كل طرف منها نصيبه من الظفر المخزي وضده، كما هو ثابت في الواقعة التاريخية، فما كان للحقيقة إلا أن تظهر بهذا الشكل السافر ضمن هذا المقطع:

وفي إحدى الدبابات

يتراءى (فرايزر) بناظوره ضاحكا

رابتا *على كتف مشيرآغا هموندي (...)

باصرا الجبال التي رفعت أيدي الأسر
وجبين السهول المتحطمة (٣)

ومن جانب معطيات المكان، بعد أن شهد عنصر الشخصية الأبرز فيه الخروج من المرجع التاريخي القديم صوب الواقع التاريخي الآني، بعد أن أعاد نفسه في ذلك الوقت، نقرأ أيضا ما أفاده توظيف الرمز الدال في هذا السياق الذي يمكن إدراجه على أنه محاولة ذكية ناجعة جاءت من المبدع لفك دلالة الرمز المتجدد مع الحدث من جديد المرتبط بالغدر والخيانة ضمن نظام فني، ويبدو أن ذلك كله جاء لغرض تعميق مجرى الدلالة في سياق التعبير ولاسيما وأننا نلمس أن التحول المرصود كان على مستوى الموضوع ذاته، وكذلك يجب أن يكون:

كان (الجنرال) (...)

---

(١) بيكه س، ٢٧٧.

(٢) علوش، د. سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة، دار الكتاب اللبناني، سوشبريس الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥، ١٩٤.

*ربت على كتفه: ضربه عليه ضربا خفيفا. معجم المعاني الجامع، عربي - عربي، (مادة ربت)، على الرابط الإلكتروني: www. almaany. com.

(٣) بيكه س، ٢٧٨- ٢٧٩.

غارقا في ذلك الخيال العميق
وعندما خرج منه

التفت فورا إلى (أفياليتس)
الابن الأسود للكورد

حينها ارتسمت على شفاه

ابتسامة صفراء

وكأنها لدغة زنبور

تحطم الأعماق [١]

وبإزاء هذه المنظومة من التحولات المتسلسلة، التي جاءت لتحقيق هدف مرسوم بعناية، لا نبتعد عنه إذا قلنا أن ثمة التفاتة إلى مظهر من التحولات التي أخذت طابعا ختاميا في هذا القسم من الملحمة مغايرا لما سبق بعض الشيء، إذ أراد المبدع لها في آن واحد أن تكون مفاجئة صادمة – ماكرة في سياقها النصي مترابطة بنائيا في وقعها النفسي المتعدد المظاهر(السعي – الخوف- التردد – الفرح الضمني) تكاد تقترب من ما يسمى بـ ((العلامة الدينامية)) [٢] كما سماها أحد الباحثين، ولا غرو في ذلك فهي تبدو الحدث الأعظم في سياق سرد الملحمة الشعرية أو تكاد تكون كذلك، بعد سقوط المضيق، نقرأ:

يسير مشير صاحب الفخ

وابن المضيق الأسود

شاما مواطئ أقدام الشيخ
لا ينفصم أنفه عن التراب

إلى أن يصل الصخرة

وفجأة يرتعد

يعود إلى الوراء خطوات

رافعا يده (لفرايزر)

صائحا:
أتريد الشيخ؟ [٣]

(١) بيكه س، ٢٨٢- ٢٨٣. بتصرف.

(٢) ينظر لطفا: اليبوري، أحمد، دينامية النص الروائي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٣، ١٠١.

(٣) بيكه س، ٢٨٥.

ومن الجدير بالذكر ان من أبرز التداعيات لذلك المصاب والخطب العظيم بوصفه حلقة أخيرة من حلقات الدينامية وهو يجسد في طياته بعدا نفسيا، ومظهرا تراجيديا معبرا جاء نتيجة جملة ثوابت وتحولات بناءة شهدها النص مظهر التعاطف الصادق المختزل مع رمز القضية الصادر من أرجاء كوردستان كافة عبر توظيف عنصر التفعيل السماعي لانبثاق موال غريب حزين – دافئ قريب من النفس لهذا الغرض القائم على المواساة الذي من المفترض له أي يكون حاضرا في الختام، مواكبا للأحداث بمعناه الإنساني، بوصفه من إنجازات الملمح السردي- الشعري إذ ((الفكرة أن التسريد يتنج معنى مختلفا عن ذاك الذي ينتجه تسجيل الأخبار، وهو يفعل ذلك بفضل شكل خطابي على الأحداث التي تتكون منها الإخباريات، بوسائل ذات طبيعة شعرية، أي أن الشيفرة السردية مستمدة من المجال الإنجازي للشعرية (poiesis) أكثر مما هي مستمدة من المجال الإنجازي للتعقل (noesis). هذا ما عناه بارت عندما قال: " السرد لا يري، ولا يحاكي... إن وظيفته هي أن يمثل وأن يكون مشهدا"))[1]، ففي الجنوب من البلاد الكردية:

عند سماعه
جنت مروج السفح جنونها
واهتزت الجبال في مكانها
حيث كان مـــــوالا لبازيان
لشيخ (برده قاره مان)[2]

ومن تداعياته التي انتقلت إلى الشرق من البلاد:

وعند سماعه
انحرفت الأمواج عن مسارها
وأمسكت فم خريرها

وأصبح جبل شاهو أرجوحة للأشجار
وأضحى الموال يرثي بحنان
مضيق بازيان
وشيخ (برده قاره مان)[3]

وفي الشمال أيضا انبثق فجأة مصدر صوتي جديد انتشر في المكان لم يؤلف من قبل مثيل له، في مظهر

(١) وايت، هايدن، محتوى الشكل –الخطاب السردي والتمثيل التاريخي، ترجمة: د. نايف الياسين، مراجعة: د. فتحي المسكيني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ط١، ٢٠١٧، ١١٥.
(٢) بيكه س، ٢٨٧.
(٣) بيكه س، ٢٨٨.

يوحي بأن التحولات من هذه النقطة – العتبة لما تليها باتت بالتدريج تأخذ طابعا رثائيا واكب النهاية التراجيدية للملحمة في تأكيد على أثر الصوتيات في تعميق هذا الموقف إذ لهما ((دور كبير في ترسيخ الحزن

في الذات والقلب، وإضفاء السوداوية على الشخصية والمحيط الذي يلفها؛ لأنها تساعد على تذكر الماضي، فتنكأ بالجراح، وتدمي القروح إدماء جديدا يعقب برءا مؤقتا، ولها دور في توسيع فضاء الخيال وتمديد رحابته أكثر حتى لا يحد بزمن ولا مكان)) [1]، نقرأ بهذا الشأن على مستوى حضور((البؤر التكرارية)) [2]

كما تسمى، التي وردت من قبل في الأنموذجين السابقين لهذا المقطع:

وفجأة غنى موالا جديدا من (لاوك) *
لم تسمعه حتى ذلك الحين

لا الغيوم الطائرة فوقه

ولا الأسماك السابحة تحته

عند سماعه

سقطت الجرة من أيدي السحابة الغريبة

ساكبة دموعا صيفية

وأقبلت الأسماك أشفاعا
وهي تصغي بشغف

إلى الموال على مقربة من الشباك

وكان الموال يرثي بحرارة
بازيان

وشيخ (برده قاره مان)[3]

(١) الكريوي، إدريس، بلاغة السرد في الرواية العربية، رواية علي القاسمي " مرافئ الحب السبعة " نموذجا، دار الأمان الرباط، ط١، ٢٠١٤، ١١٤.

(٢) حميد، عبد الكريم، ظاهرة التكرار في الشعر الحديث مع التركيز على شعر أدونيس والسياب – إشراف الدكتور كمال أبو ديب، بحث منشور في كتاب: أماسي الخريف بين كردستان والسويد، مطبعة دارسردم – السليمانية، ٢٠٢٣، ٦٩.

(٣) بيكه س، ٢٨٩–٢٩٠. بتصرف * اللاوك: نوع من أنواع المقامات الغنائية الكردية

على سبيل الخاتمة:

من عمق البؤرة النصية ومعطياتها نلمح ثمةٍ توظيفات لأبعاد دينامية – سايكولوجية فيها أحيانا يكمن الحلِ للتأزم في مظهره الوظيفي بعيدا عن العنصر الذي يقع في خارج هذا الإطار النفسي، ففي الوقت الذي نشهد فيه شدا وجذبا ملحوظين إنما هو صورة من صور الاتساع النفسي الذي يدور في دائرة واحدة قد تكون عناصرها متآلفة أو بالضد من ذلك على حسب الغرض الموضوعي والفني، ومن جانبها فقد أخذت بعض المعطيات النصية بالنمو من النقطة التي تنتهي عندها سواء على مستوى الثبات أم التحول المادي والمعنوي الحاضرين في هذا المجال، ولاشك في أن هذه الباقة الموحِدة في جوهرها تعدِ ذات إسهام على مستوى التلقي الفاعل.

ثبت المصادر والمراجع:

١-بيكه س، شيركو، ملحمة (به رده قارمان)، أنت سحابة.. فأمطرك - مختارات شعرية - ترجمة وتقديم: دانا أحمد مصطفى، السليمانية، ط١، ٢٠٠٤.

٢- حميد، عبد الكريم، ظاهرة التكرار في الشعر الحديث مع التركيز على شعر أدونيس والسياب - إشراف الدكتور كمال أبو ديب، بحث منشور في كتاب: أماسي الخريف بين كردستان والسويد، مطبعة دارسردم - السليمانية، ٢٠٢٣.

٣- علوش، د. سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة، دار الكتاب اللبناني سوشبريس، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥.

٤- الكريوي، إدريس، بلاغة السرد في الرواية العربية، رواية علي القاسمي " مرافئ الحب السبعة " نموذجا، دار الأمان الرباط، ط١، ٢٠١٤.

٥- مفتاح، د. محمد، دينامية النص (تنظيروإنجاز)، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ط٢ ١٩٩٠.

٦- وايت، هايدن، محتوى الشكل - الخطاب السردي والتمثيل التاريخي، ترجمة: د. نايف الياسين مراجعة: د. فتحي المسكيني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ط١، ٢٠١٧.

٧- اليبوري، أحمد، دينامية النص الروائي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٣.

٨-معجم المعاني الجامع، عربي - عربي، على الرابط الألكتروني: www. almaany. com

المذكرات الجامعية:

- ملال، إيمان، النقد الفني في الخطاب النقدي العربي، مذكرة نيل شهادة دكتوراه في العلوم - في الأدب العربي، كلية الآداب جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٦ - ٢٠١٧.

المصادر الكردية:

١- بۆكاني، ث. د. سابير، ئينسايكلۆثيديای زانستة دةروونييةكان، كوردي – عةرةبي - ئينطليزي، خانةی ضاب وبلاَوكردنةوةی ضوار ضرا، سليَمانی، نۆبةتی ضاث: ١، ٢٠٢٠.

٢-بيَكةس، شيَركۆ، رِووبار، انتشارات اريوحان، تهران، ١٣٩٤.

٣-ماشاني، مجيد، فةرهةنطي سةرضاوة، عةربي – كوردى، لة بلَاوكراوةكانى كتيَبخانةي زانيار، سليَماني، ٢٠٠٨.

قصيدة القناع في شعر عبدالعزيز المقالح
قراءة سيميائية:

أ.د خالدعلي الغزالي

قصيدة القناع في شعر عبدالعزيز المقالح – أ.د خالد علي الغزالي

الملخص:

لا تعني قراءة النص الشعري اعتماد الدلالات الظاهرة والسطحية، بل تهدف إلى المستور من الدلالات أو البنية العميقة للنص الشعري، مما يتطلب التفاعل مع النص وهندسة بنيته، كما أن النص الشعري يتضمن دلالات إيجابية معنوية، وأخرى سلبية لاسيما تلك النصوص ذات المنحى الاجتماعي والسياسي، تدعو إلى إيقاظ الأمة وتغيير بعض معالم الحياة، لذا فإن القراءة السيميائية لهذه النصوص تسعى إلى الكشف عن علامات وإشارات خفية كامنة في أعماق النص، وهي لا تظهر إلا بعد فك رموزه أو شيفراته.

يعد الشاعر عبدالعزيز المقالح رمزا من رموز الشعر اليمني المعاصر، ورائدا من رواد الشعر الحديث، أسهم في إذكاء روح الحداثة، والنضال ضد القيم السلبية في الواقع المعيش، وتأتي قصيدة القناع في شعره خير شاهد على صدق ما تم طرحه، وعليه تهدف هذه الدراسة إلى القراءة السيميائية لأنموذجين من قصيدة القناع، هما: (من حوليات يوسف في السجن، ومن تداعيات الليلة الأخيرة للمتنبي في مصر)، وفك علاماتهما وتحليلهما وفقا لآليات المنهج السيمائي. كما تتطرق إلى سيميائية العنوان والدلالة الضمنية لهاتين القصيدتين، وفقا للمنهج الفني التحليلي:

الكلمات المفتاحية:

المقالح، القناع، العنوان، السيميائية، الدلالة.

Abstract:

Reading the poetic text does not mean relying on the apparent and superficial connotations، but rather aims at the hidden semantics or the deep structure of the poetic text، which requires interaction with the text and the engineering of its structure، just as the poetic text includes positive، moral and negative connotations، especially those texts with a social and political orientation It calls for awakening the nation and changing some aspects of life، so the cinematic reading of these texts seeks to reveal hidden signs and signals lurking in the depths of the text، and they do not

appear until after decoding its codes or codes.

The poet Abdulaziz Al-Maqaleh is a symbol of contemporary Yemeni poetry، and a pioneer of modern poetry. He contributed to fueling the spirit of modernity and the struggle against negative values in living reality. The mask poem in his poetry is the best witness to the sincerity of what was presented.

Accordingly، this study aims at the cinematic reading of two examples of the poem of the mask: ((From the annals of Joseph in prison، and from the repercussions of the last night of Al-Mutanabbi in Egypt..))، deciphering its signs and analyzing it according to the cinematic of the title and the implied significance of these two poems، according to the analytical artistic approach.

التمهيد في أسس المنهج:

لا شك أن كل قراءة جديدة للنص هي محاولة إضافية تعمل على استنطاقه وتأويله، وهو عمل يرفد النص بعوامل تصب مضموناته التي قد تذبل بسبب آثار كثيرة متصلة بتاريخ النص وطرائق تلقيه.

وهذ أمر مرتبط بوسائل استنطاقه التي ينبغي أن تقوم على قرائن ينطوي عليها النص، وتأخذ في الاعتبار مكوناته وعلاقتها بالدوائر الإبداعية التي ينتمي إليها. ويعد ذلك من الأمور المنهجية الملازمة للبحوث التي تهدف إلى إعادة النظر في موروث الماضي عبر قراءات يتحقق بها ديمومة النصوص، وتنشط البؤر الدلالية الكامنة فيها. إذ كل نتاجات المعرفة ووسائلها من لغة وأسطورة وفلسفة وثقافة تتدرج على اختلافها في إشكالية واحدة، تؤكد أن المعرفة ليست اختيارا، بل قدرا ملازما للوجود الإنساني.

لذا، قيل: إن التفكير يحتاج إلى بناء مفاهيم للاشتغال من خلالها حتى يتسنى تجسير العلاقة الاصطلاحية بين الشيء في ذاته، والفكرة المجردة التي تمثل الصورة الذهنية التجريدية حول هذا الشيء. فالاشتغال على المفاهيم يجعلها قادرة على العمل الإجرائي المعرفي الذي يتيح لها الانتقال من القوة المحاكية إلى القوة التكوينية التي يتجاذب ويتقاطع في ضمنها الخاص والعام، الملموس والمجرد، الواقعي والرمزي ضمن دلالة توحيدية موجدة[1]. لأن كل إدراك يقتضي وجود مفاهيم أو معان أساسية يرتكز عليها، ودونها تكون المعرفة ناقصة.

ومن المؤكد أن النصوص الأدبية، بما فيها النص الشعري، تحتكم إلى نسق من الإشارات الواضحة والمضمرة التي تخضع للتأويل الدلالي السيميائي، بصفته نسقا موجها بوسائله وغاياته، وتتشكل معاييره وأعرافه في ارتباطه بحاجات الإنسان الجمالية والذوقية والمعرفية، وهو ما يؤكد بأن للأدب مفهوما مرتبطا بالتاريخ والمجتمع والثقافة. كون النص الإبداعي يتمثل في بنائه للنصوص السابقة عليه ويتجاوزها طارحا قوانينه الخاصة التي يعاد من خلالها توظيف ما يمكنه من النصوص القديمة[2]، وهذا يعني أننا لا نستطيع أن نفكر لحظة القراءة بأننا نقرأ النص فقط، كون صاحب النص يترك حتما فضاء فكره وثقافته، وكل ما تتموج به ذاته جلية أو خفية في نصه، بوصفه شبكة من منسوجات الوعي تنعكس فيها صور الحياة بكل أبعادها وأعماقها[3].

وعليه لا يمكن للكاتب أن يتنصل من معتقداته وأيديولوجيته حين يخط نصا أو يفرغ ما تراكم في ذهنه من أفكا ر أو صور على القرطاس[4]، لأن النص مجموعة من العلامات الداخلة تشكله وتكشف عن مرجعياته ومنطلقات فهمه. أي أن نماذج المكونات التي يستحضرها الكاتب من مخزونه الثقافي والمعرفي هي نصوص أخرى تتداخل مع النص الأصلي وتشكل النص الجديد[5].

ومن هنا يأتي اهتمام السيميائيات بموضوع المرجعية داخل أي نشاط رمزي يمكن أن يشكل سيرورة تقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها، وربطها بعمليات إنتاج العلامات، عبر علاقة مباشرة مع عالم الأشياء الواقعية، ومع العالم المدرك داخل تشكيلات أيديولوجية لثقافة ما[6]. وتنبثق أهمية المنهج السيميائي في قراءة النص الأدبي من النص نفسه "بوصفه شكلا من أشكال التواصل يربط بين النص والقارئ بعلاقة تفاعل، لأن القارئ ينشط على مستوى استنطاق الدال في النص مما يجعله يتفاعل مؤثرا في النص أو متأثرا به"[7].

ولكي تتم عملية القراءة المتفاعلة لابد من حضور طرفيها (النص: القارئ) حضورا حواريا تفاعليا، ينبثق عن ثراء النص ومستوى وعي القراءة والتأويل في حوار التواصل الفكري، حتى تكون الأحكام النقدية في مضمار النص موضوعية، ووفق رؤية واعية للتعامل مع آليات النقد دون استهجان أو مبالغة في الاعجاب.

وفي ضوء ما يكتسبه المنهج السيميائي من الخصوصية أصبحت القراءة النقدية قراءة إنتاجية تحاول تقريب القراءة من الكتابة، فيصبح القارئ كاتبا ومنتجا ثانيا للنص، لأنها تعد النص حامل أسرار كثيرة تستفز القارئ لفك رموزها، انطلاقا من فهم العلاقة الجدلية الموجودة بين الدال والمدلول، وبين الحاضر والغائب، استنادا إلى عملية البحث عن المعنى الغائب في دراسة الرموز التي تحول اللغة إلى نسق من العلامات المعبرة عن الأفكار[8]، وتجعل الدلالة تنحرف باللغة الاصطلاحية إلى لغة ضمنية عميقة.

ويعد التناص مدخلا سيميائيا بما يصنع من جيوب معرفية تتداخل بها النصوص، وتجعل خبرات الماضي مادة حاضرة في حياة المبدع والمتلقي معا، مكتسبة صفة المشاركة التي يتم بها الوعي وفهم الوجود. كون النص الأدبي ينحت مضامينه من مخزون المعرفة الخاصة، وخبرات الأسلاف، ومما يجده الكاتب مناسبا للتعبير به عن تلك الخبرات المشتركة بين البشر، لأنها مصدر الفن العظيم عند المبدع وسبب تذوقه لدى المتلقي[9]. وهو ما يجعل النص ممارسة سيميائية دالة توظفه "كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الأخبار المباشر، وبين أنماط عدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه"[10]، فضلا عما يحيط بالنص من آليات إجرائية، تعرف بالعتبات النصية، يمكن عبرها الدخول إلى أعماق النص واستنطاق أبعاده الدلالية، وما تحويه من إشارات تسهم في توجيه القارئ وتساعده على قراءة المضمون.

وتأسيسا على هذا الطرح المتعلق بالمبدأ التأويلي لمفهوم العلامة عند دي سوسير، وبيرس، ورولان بارت.

يحاول هذا البحث الوقوف على المعاني والدلالات العميقة في قصيدة القناع في تجربة الشاعر العربي اليمني عبد العزيز المقالح، وكشف أبعادها؛ إذ يعتبر القناع تقانة جديدة في الشعر العربي المعاصر، لجأ إليها الشعراء "لخلق موقف درامي أو رمزي فني يضفي على صوت الشاعر نبرة موضوعية من خلال شخصية من الشخصيات يستدعيها الشاعر من التراث أو من الواقع"[11]، فقد أضحى القناع هو الذات التي تنوب عن الشاعر ووسيلته للتعبير ليس فيما يتعلق بمهمومه الخاصة، بل بوصفة صوت الجماعة.

ومثلت قصيدة القناع للشاعر العربي المعاصر وسيلة للتخفيف من السمات الغنائية التي وسمت الشعر العربي في مختلف عصوره الأدبية، فضلا عن العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية، التي دفعت الشاعر العربي للبحث عن طرائق مناسبة لتفادي مظالم الساسة ولإدانة أفعالهم، باستعارة أصوات يتحدثون على ألسنتها، ويحملونها آرائهم دون أن يتحملوا عواقب هذه الآراء، ويمارسون مقاومتهم للطغيان والقهر والتخلف.

وتضمنت قصيدة القناع رموزا وعلامات إشارية بين صاحب القناع وتجربته من جهة، وعالم الشعر من جهة أخرى، وهذا ما جعل هذه القصيدة مليئة بالعلامات الدالة التي تحفز الدارس على الغوص في بنيتها، وسبر أغوارها العميقة سعيا للإمساك بظلالها الغائرة، وإيحاءاتها البعيدة.

إن اختيار الشاعر شخصيات عدة منها: الدينية، والأدبية، والتراثية، أتخذها أقنعة، وعبر من خلالها عن معاناته ومكابدته، وطموحه في تغيير الواقع، مستلهما حيوات وتجارب تلك الشخصيات.

ويعد استدعاء هذه الشخصيات محورا علاميا في شعر المقالح، اتسم بالقصيدة والوعي التام بأهمية هذا الاستدعاء في معادلة القناع، واستطاع استبطان مشاعر هذه الشخصيات في أعمق حالات وجودها التاريخي.

وسنقف على الإشارات الرمزية لقصيدة القناع، بوصفها آلية فنية استعملها الشاعر، من خلال شخصين هما: (النبي يوسف عليه السلام، والشاعر المتنبي)، وأنموذجين من قصائده.

إن التعامل مع النص الشعري للشاعر في هذا اللون من القصائد ومقاربتهما وفق المبدأ المحايد الذي تذهب إليه السيمياء، قد لا يبلور الغاية المقصودة، بل سيغلق الأبواب أمام القارئ لاسيما عند عدم الاتكاء على التحليل الموضوعي، بغية اكتشاف العلامات والرموز في بنية النص إذ أن رمزية القناع تستدعي الوقوف على الأنساق المساعدة، بهدف فك شفراتها، وهذا الاتكاء على ما حول النص والحاجة إلى الأنساق الثقافية هو العلامة الفارقة بين المقاربات السيميائية والمقاربات التي تعتمد على ما حول النص من المؤثرات، وسوف يتبلور عند تحليل النصوص والأنساق التي سترجع إليها لمعرفة الألفاظ والإشارات المتداولة في تجربة الشاعر التي خاضها، ونقاط الالتقاء والاختلاف مع الشخصيتين موضوع الدراسة.

النص الأول من حوليات يوسف في السجن.

بالنظر إلى نص الشاعر (من حوليات يوسف في السجن)، يطالعنا العنوان بوصفه حاملا لقصدية فاعلة، لكشف الباطن؛ لأنه خطابا سيميائيا فكريا يحمل مقاصد؛ لأن الاتجاه المرسوم للفاعلية المستحضرة يعتمد على قصدية المرسل، فالعنوان خطاب يعرف من خلال العمل الذي يتوجه به إلى المتلقي، ويحمل إشارات سيميائية أو يتعالق مع السياق في بنية دلالية[12]. إن السياق الإخباري للعنوان يهيئ المتلقي للعمل أنه بإزاء حديث طويل، ويمكن النظر إلى عنوان القصيدة (من حوليات يوسف في السجن) من زاويتين:

الأولى: داخل السياق، والثانية: من خارجه، ونحن نعول على المستوى السياقي؛ لأنه يشكل وحدة "مع العمل على المستوى السيميائي، ويملك وظيفة مرادفة للتأويل عامة"[13].

والعنوان من النظم السيميائية لما ينطوي عليه من دلالات ورموز تلجئ الباحث إلى تتبعها وفك شفراتها، ونحن ندرك ما ينطوي عليه عنوان القصيدة من شفرة يتوارى خلفها الشاعر وصولا إلى أبعاد مختلفة والكشف عما يحمله العنوان مرعاة لفك أسرار النص، وهنا قد نرى في العنوان انحرافا سيميائيا عن المعنى العام إلى الخاص، وهو الإيهام بإيراد معنى لتفادي فهم آخر. إن العنوان الذي بين أيدينا ينطوي إلى معان كثيرة وهو يكشف دلالات سنأتي على ذكرها.

فالبعد السيميائي لدال (الحوليات) يشير إلى المدة الزمنية التي مكث فيها يوسف في السجن إذ جاء في القصص القرآني أن يوسف عليه السلام – لبث في السجن بضع سنين، والبضع من ثلاثة إلى تسعة.

أما الدلالة الرمزية للنبي (يوسف عليه السلام) المكانة الدينية، والصبر على المكارة ومجاهدة النفس، والتضحية، وانتصار المسجون على السجان في نهاية المطاف، واليسر بعد العسر، والرخاء بعد الشدة.

والسجن يشير إلى الكبت ومصادرة الحرية، ووسيلة من وسائل القمع، السياسي والفكري، ويكاد يكون في العنوان نقطة الالتقاء، كونه المأساة التي ابتليت به الشخصية المستدعاة.

إن العنوان هنا يدخر لنا أسرارا وتأويلات وتكهنات كثيرة، فهو ينطوي على أبعاد في السياسة والقيم الاجتماعية والحياة تروم الكشف عنها وفك شفراتها لاحقا. ففي هذه القصيدة استعمل الشاعر قناع يوسف، إذ كان يتحفز لاستخدام أهم الدلالات الدينية الخاصة بالشخصية الدينية المصدرية (يوسف) عليه السلام – الذي أدخل السجن ظلما، كما هو معروف في القصص القرآني، وفي أحداث الغياب التاريخي، في سباق تجربته المتكاملة، التي بدأت من تآمر أخوته عليه، حتى دخوله السجن استطاع الشاعر على لسان القناع / يوسف التعبير عن همومه الذاتية والتماهي معه للتعبير عن قضايا وهموم معاصرة"[14] التزم الشاعر في القصيدة رؤية واقعية ثورية تلتزم ببعدين سيميائيين أساسيين هما:

١ – تصوير الواقع الرديء ونقله في صورة أدبية واقعية إلى الجمهور المتلقي، بغية جذب انتباههم إلى حجم المأساة ومشاركته في التخلص من الإشكاليات التي تعيق تطور الإنسان العربي عموما واليمني على حد سواء.

٢ – البعد الإيقاظي الذي يعني الحفاظ على المكاسب الثورية التي تحققت في العام 1973م والدعوة إلى الاستفادة من السنوات العجاف، وهنا كان الشاعر واقعيا ثوريا في نصه، الذي بدأ من لحظة التراجع الذي مني به تيار الثورة العربية، وفيها يقول: 1967:

حينما ابتاعني الحزن من وطني واشترى وجهي الخوف
كانت بلادي تسافر في القحط تنتظر المطر / الخبز
لست الوحيد الذي باعه أهله بدراهم معدودة كم فتى باعه أهله برغيف
وكم من فتاة بحفنة قمح.. تسلمها المشترون وغابوا مع الليل بعد رحيل النهار[15]

بدأت هذه الحولية التي تستند دلالتها إلى رؤية سياسية اجتماعية للواقع العربي عموما، الذي يسافر في القحط في انتظار المطر، وكما هو واضح فقد تحقق التناص كعلامة سيميائية مع قصة النبي يوسف عليه السلام – وشراء عزيز مصر له الواردة في قوله تعالى: (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)[16].

إذ ان المعنى السطحي الظاهر في هذا المقطع هو: تصوير الشاعر لمدى حزنه على واقع الأمة، وما سببه ذلك من إحباط لدى المفكرين وأصحاب الرأي.

أما المعنى الخفي والمستتر، فهو نشر الوعي التحرري والدعوة لمغادرة هذا الواقع وهذه الدلالات يمكن استشفافها من خلال كامل السياق الشعري، حيث تتضافر عدد من الإشارات الموحية والدالة، فقد استفتح المقطع بضمير المتكلم (أنا) ولا يستطيع المتلقي أن يجدد الجهة التي يصدر عنها الكلام بدقة، فقد استطاع الشاعر/ يوسف المعاصر، أن يخلق التطابق بينه وبين يوسف القناع، وتحول الشاعر إلى نبي يسعى إلى الخلاص من الليل والسجن.

القصيدة كما هو واضح كتبت في السبعينيات من القرن العشرين وهي تشير لمرحلة سياسية، واجتماعية، وتحدد طبيعة الأوضاع التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، لذا عبر الشاعر على لسان قناعه عن تجربته التي يعيشها على المستويين الوطني والقومي، فعلى المستوى الوطني تعثرات في حظ الثورة، وعلى المستوى القومي تعد نكسة 1967 م من التجارب المأساوية التي أثرت في حياة الأمة وغيرت كثيرا من المعادلات في المنطقة.

والنص ملئ بالعلامات الجزئية التي تكشف نقاط الالتقاء بين الشاعر وقناعه، فهذه الثنائيات الضدية في بنية المقطع (القحط، والمطر، والليل والنهار)، هي علامات الالتقاء بين عالم النبي يوسف وعالم الشاعر، إذ جعل الشاعر من النبي يوسف معادلا موضوعيا، مستثمرا دلالة التوحد والانقطاع في حياة النبي يوسف، عندما ألقي في الجب، لكشف تجربته هو والتعبير عن أزمنته الحاضرة، ممثلة في تصوير مأساته التي تؤرقه ممثلة في آثار الاستلاب السياسي والثقافي في مظاهر الحياة العربية من حول الشاعر، فالغياب مع الليل ترمز إلى تلف الأمة واستبداد الطغيان، إلى جانب رحيل النهار، أي دلالة انتهاء مرحلة النور وبدء مرحلة الظلام، لذا فقد عبر النص عن ضغط أصابع الزمن على خناق الشاعر، وفعل

الضغط لابد من أن يزيح النظر عما يفرج عن الذات التي تعاني الانكسار والوهن بحيث تبدو لا حول لها ولا قوة ومن أجل رصد تلك الحالة، فقد قاد الفعل الضاغط الشاعر إلى صورة دلالية لألفاظ وتراكيب تجسد الواقع الذي يعيشه، فكانت (بلادي تسافر في القحط، تنتظر المطر)، معوقات لأمانيه وطموحاته إزاء وطنه، بحيث غدا الزمن معها انحدارا إلى الموت الليل، وفي المقطع الثاني يروي القناع تجربته الجديدة المعاصرة التي كشفت عن غدر وكيد أخوته الذين ألقوه في غيابة جب المعركة الوطنية، بغية التخلص من أماله وطموحاته، والتفرد بالسلطة عبر وسائل القمع، وعلى الرغم من ذلك، فإن القناع الشعري (يوسف) يحيا من جب الموت يائسا، يقول: (١٩٦٨م)

حين جاءت إلى الجب قافلة ومن الجب أنقدني أهلها

ورأيت السماء ضحكت كأني من رحم الأرض جئت

وها أنذا في الجب / في رحم الرعب أصرخ في وحدتي

ليتهم تركوني هناك في الجب يشربني ماؤها ترتدني الطحالب والعشب يأكلني

والصوت المتوحش يشرخني

أه بين الجبال المحاطة بالموت والليل ترقد (صنعاء) فاتنتي ".[17]

إن الشاعر وهو يمنح الرمز الديني بعدا خاصا وكشفا جديدا، إذ جعل الشاعر (الجب)

معادلا رمزيا للوطن، فهو يخرج من غربة المكان، ليقع في غربة الروح، غربته في وطنه فهو يعيش هذه الغربة القاسية، ويرى ويسمع مآسي الوطن والأمة، من دون أن يستطيع التأثير فيها. لقد شحن الشاعر السياق الشعري بشحنة شعورية، استطاعت أن تجعل من (الجب) دلالة وظيفية تشير إلى الخوف والرهبة، وثبات الدلالة جاء متدرجا مع تدرج الصورة التراكمي الذي حمل إشارات عدة، تكفي لتعرية الواقع المعاصر الذي أضحى فيه مناخ الزيف يعشش في جميع جنباته، وعليه تكون الذات تعاني من السجن الموت الذي غيب المكان المحيط / صنعاء ونقلها إلى مصاف الموت فتحاول الخلاص متشبثة بقميص يوسف القناع للخروج من هذا السجن.

إن تثبيت هذه الدلالة، إنما هو التفات إلى الداخل، لذلك فالرمز ذو الدلالة الجديدة يشكل (إشارة خارجية الحالة داخلية) كما يقول تندال[18]، كما يكشف النص عن حالة شعورية حزينة نابعة من أعماق مظلمة معبرة عن إحساس مر باليأس، ولده الشعور بعدمية جدوى الحاضر.

هذه المعاني والدلالات أثرتها الصورة التجسيدية في: (آه بين الجبال المحاطة بالموت والليل ترقد صنعاء فاتنتي)، ومما عزز هذه الدلالات توالي الجملة الفعلية التي توافر لها النشاط الفاصل الذي يكتف الحركة والصوت في آن واحد، لإحداث الترابط، ويتجسد هذا في صورة ورأيت السماء ضحكت

أصرخ وحدي، فحركة الأفعال ترتبط بحركة أخرى هي حركة الصوت، وبهذا تكون الصورة ناشطة لإقامة الترابط النفسي المضمخ بالألم، الذي يشبه الصرخة في وجه الظلم العام الطاغي.

ثم يأتي التركيز على التوازن في استعمال الأفعال الماضية، والمضارعة، إذ بدأ بالفعل الماضي ليتضافر من حيث الدلالة مع رمزية (الجب) ثم التفت إلى استعمال الأفعال المضارعة، إن في هذا التحويل دلالة شعورية توحي بحالة ذهول ترتمي في دائرة الحركة لخلق التناغم والانسجام الذي يشير إلى صوت مكتف طافح بالتوجع (أه)، فقد كانت هذه الأفعال بمثابة مجسات لمواقع الألم في روحه، وناقلة لمدى قلقة وتأزمه.

ومن الملاحظ أ يضا أن الشاعر هنا لم يقل (تنام) بل قال: (ترقد) وهو فعل يدل على الاستغراق الجمعي، وامتداد الفترة الزمنية، وكأننا إزاء حالة مستشرية مستسلمة.

و في هذا ايحاء بضياع الحاضر والمستقبل للشاعر المتناظر مع ضمير المتكلم (أنا)، لقد كان التماثل بين الشاعر وقناعه مغري للشاعر، فيتحول في بعض المواقف إلى حد التطابق، كما يهدم الشاعر السواد ويحطم الظلام بالنبوة، فيصبح يوسف القناع ملاذا للشاعر؛ ليختبئ الشاعر فيه لا تنكرا عقليا، وإنما انصهارا وجدانيا بين الشاعر الذي يحمل مآسيه وبين النبي يوسف الذي يحمل مآسيه أيضا.

وهنا تجتمع المأساتان معا لتضاعف مأساة الشاعر، ولكنه على أمل كبير بالنجاح الذي تحقق ليوسف، ولكنه حقيقة يتحقق ليوسف النبي ولا يتحقق ليوسف / الشاعر.

وهنا يستلم الشاعر ويرضى بالخطيئة ما دامت ستنقذه من السجن / الموت.

إن الوحدتين اللغويتين (الموت / الليل) ترسخان لحظة الانطفاء والبأس والوهن.

هذا الشعور بالموت هو الذي يدفع الشاعر إلى الاستسلام بما يتناسب مع موضوعه فتوحي بعدم قدرته على التماسك ثم السقوط، لعدم قدرته على تحمل البلاء المعاصر (قمع وسجن، وموت)، بيد أن هذا الضعف يرصد العلامات والإشارات التي تؤكد أن هذا البلاء فوق الطاقة البشرية سعيا لكشف الدلالات التي يرومها الشاعر، وما يتعرض له وأصحاب الرؤى والأفكار في اليمن وبعض الأقطار العربية، هذه المعاني كشفها الشاعر في الحولية الثالثة، ليظهر شراسة قمع السلطة، يقول:

حصحص الحق

هل تستطيع القيود على شفتي أن تبلغها

أني قد قبلت الشروط من الآن سوف أراودها أنا عن نفسها واشق القميص

بأنفاسي الداميات الأظافر أعرف أن محاسنها ذبلت

والعيون تحاصرها

لكنها السنوات العجاف – هنا علمتني بالا أرد

لراغبة ظهر ودي لأسلخ

من ظلمات الزنازن روحي وانتشل الجسم من قسوة الاغتيال[19]

هنا انهيار في العزيمة، وهو ما لا يتفق مع الرمز الديني المتخذ قناعا، إن الذات الشاعرة معلولة بفقدان الحرية والاستلاب لبقاء القيود، فهو منكفئ على ذاته يعاني القهر والظلم، ومن خلال هذا المعطى يرتفع الشاعر عن الإشارة بوصفها جزءا من عالم الوجود المادي، إلى مستوى الرمز الذي يوحي، ويتحرك ويتنوع، على وفق الرؤية الخاصة للشاعر لتوليد البعد الخاص الذي ينشده.

ونلحظ أن الدلالة الرمزية لزوج العزيز، هي رمز للسلطة السياسية، ومن محمولاتها المضمونية إشارات عدة، منها الكبت والمكر والكذب والقسوة، إذ من المعروف في القصة القرآنية الموقف الرافض من النبي يوسف عليه السلام – لعرض زوج العزيز، حين راودته عن نفسها فكانت المفارقة بين الشاعر/ والقناع، إذ يعلن يوسف المعاصر في النص موقف الرضوخ لهذا العرض بغية إبرازه لإشارات تتعلق بسلبية الواقع السياسي للأمة، وسعيا لتعرية هذا الواقع.

إن دلالة شق القميص إعلان للرضوخ والاستسلام، وليس لدرتها كما هو في القصة القرآنية، زد على ذلك أن ارتكاب الخطيئة هنا لم يكن يتناسب ولو بنسبة بسيطة مع نوازع الغريزة لأن عاسنها ذبلت ولم تعد تمتلك مقومات الإغراء، بل أن الخوف من الموت هو الذي دفع يوسف المعاصر/ الشاعر إلى السقوط، والاستسلام "بسبب جزعه من السجن، وضيقة من تقييد حريته[20]. وهذا المنحى يخالف ما طلبه يوسف من ربه حين اختار السجن على الغواية.

هكذا استطاع الشاعر، بوساطة صوت قناعة، أن يتحدث عن صوته الخاص، وتصويره للواقع، إذا استطاع الإفادة من رمزية الشخصية الدينية، وتحميلها أبعادا ودلالات عدة، للتعبير عن معانة خاصة "وذلك لإحساس الشعراء بأن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته مع الفارق بينهما، حيث يحمل النبي رسالة سماوية، لكن كليهما يتحمل العذاب في سبيل هذه الرسالة، ويعاني عدم فهم الناس له"[21].

وقد لجأ الشاعر المعاصر لهذه الصورة ليربط الماضي بالحاضر، والواقع السياسي المعيش بالرمز الديني، لأن شخصية النبي يوسف وما ارتبطت به من إشارات ودلالات، بمثل علامة البشرى والفرج

بعد الشدة، واليسر بعد العسر والصبر على المكاره، إذ ينقلب ظلام اليأس إلى نور الأمل، هكذا عبر الشاعر من خلال قناعة، فحاول تصوير الصراع النفسي المحتدم في أعماقه، مع استيعابه العميق للرمز الديني، مما يدل على استيعاب واع لأبعاد الرمز، واقتدار التماسك العضوي بين الرمز والسياق" [22].

نلحظ أن البناء الشعري في النص متين وراسخ، إذ يرتبط المقطع السابق باللاحق، برباط فكري ورؤيوي، وفني، وتتجلى فيه جميع عناصر العمل الفني، والوحدة الموضوعية بأبهى تجلياتها، وهي من أهم الخصائص والسمات التي تميز الحداثة الشعرية.

إن مثل هذا التجانس الذي تنتهجه القصيدة، هو نتاج الوحدة الشعورية، المصاحبة للحظات الشعرية التي يحول انفعالها إلى قيمة تعبيرية جمالية قوامها صورة كلية تتألف من مجموعة مترابطة من الصور الجزئية، وفي هذا تحقيق للوحدة العضوية، لأنها ليست إلا وحدة الصورة، ووحدة الصورة، هي بالضرورة وحدة الإحساس أو هيمنة إحساس واحد على القصيدة كليا" [23].

النص الثاني: من تداعيات الليلة الأخيرة للمتنبي في مصر.

لم يقتصر الشاعر المقالح في تجسيد أفكاره ورؤاه على الشخصيات الدينية وحسب، بل جسد تنسيت أفكاره في أكثر من قناع، ويضيف أكثر من دلالة جديدة على أقنعته مع الاحتفاظ بالدلالة الأصلية للقناع المستخدم من ذلك الشخصيات الأدبية والتراثية، وهو في كل ذلك ينطلق من زاوية نظرة فنيه وفكرية، تدم الهدف المراد التعبير عنه. كما هو الحال في قصيدته بعنوان: (من تداعيات الليلة الأخيرة للمتنبي في مصر) يتماهى خلف شخصية المتنبي، ولكنه يجعل صوت قناعه أقوى من صوته بسبب قناعته بتشابه الظروف بينهما، وتجربته هنا تشبه تجربة المتنبي وخروجه منها بعد أن كتب قصيدته المشهورة (عيد بأية حال عدت يا عيد) التي هزت عرض كافور وعنوان القصيدة : (من تداعيات الليلة الأخيرة للمتنبي في مصر) يجسد أفكارها وعاطفتها بشيء من الدقة، إن دلالة التداعيات تبرز مدى تعدد الأفكار في النص التضخم لتستغرق مقاطع كاملة من مقاطع القصيدة، في تصوير واقع الأمة.

وهناك إشارات إزاء الهم القومي والنقد السياسي العام، ورثاء لعلاقة مواقع الذات بالوطن، كل هذا حقق دلالة التداعيات التي توحي بنسبتها إلى الليلة الأخيرة بأنها تداعيات سوداوية، قائمة، تجد أزمة

حادة للذات، يؤزر ذلك أن لفظ السواد ومشتقاته يطغى في القصيدة طغيانا لافتا، إذ يسهم في رسم عاطفة القصيدة والإحساس العام فيها، ويسودها إحساس كتيب قائم، لأن الشاعر يشكو التنكر الأليم له، مما جعل الذات تدخل في دائرة التداعيات السوداء المقلقة.

إن اختيار الشاعر لقناع المتنبي لم يكن جزافا، وإنما اختاره عن وعي عامد، فحين توحد بالمتنبي وكلاهما، شاعر، أفاد من قضية ارتحاله من العراق إلى الشام ومصر، وتجربته مع كافور الأخشيدي

فرمزية المتنبي تحمل أبعادا عدة، فهو يرمز إلى الرفض والثورة والاغتراب، والإدانة، وهذا التماهي بين الشاعر وقناعه، الذي صور من خلاله أزمة قناعه التي هي أزمته هو، وامتدادها من الماضي إلى الحاضر مع تشابه الظروف السياسية والتاريخية.

ففي المقطع الأول، يصور الشاعر حالة البؤس التي تصيب الحياة الاجتماعية في الواقع العربي في ظل الاستبداد، من خلال الإعراب عن ماهية جديدة للشعر والدم، أو الكلمة والثورة يقول:

الشعر شواطئ شاحبة، وشوشة
مصابيح مطفأة تتسلق جدران
الكون مرافئ يوقدها سرداب
الدم طيور بنهود صارخة في
وطن لا يمتلك الحب ولا يلد
الأمطار، ولا يصغي للشمس.

نلحظ في النص أن الشاعر يستقرئ الواقع الذي أصاب أصحاب الرأي والأفكار، وهو تغير ينبع من حركة الذات التي اصطدمت مع حركة الزمن التي وجدها غير قادرة على الإعمال لارتباطات نفسية متعلقة بالواقع، ولأجل تثبيت هذه الدلالة، فقد أقام الشاعر علاقات متشابكة بين المنظورات

الطبيعية واللحظة الشعرية، بحيث غدت فضاءٍ مشحونا بالضجر والضياع المهيمنين عليه، أي أن الشاعر حاول أن يرسم جوا يضع فيه حركة وجدانه، لتقديم تجربته الحسية، لذلك جاءت التراكيب اللغوية) شواطئ شاحبة، وشوشة مصابيح مطفأة) إذ شكل النسق الأول صورا لونية، لتكثيف فعل القمع الذي يمارس ضد أصحاب الكلمة، ويشكل النسق الثاني صورة صوتية، تشير إلى تلاشي الدور المناط بالمفكرين والمستنيرين، ويشكل النسق الثالث صورة بصرية التجسيم الحالة الظلامية التي ألغت الحالة الأصلية، ليحل محلها الكبت والعقم هذه الصور التي أسقطها الشاعر على المدركات الحسية، لتحمل إشارات دلالية إلى المتلقي لرسم صورة ملونة يستعمل فيه معظم حواسه.

ونلحظ في المقطع المفارقة الدلالية التي استطاعت أن تكشف عن الجانب الخفي للدم باعتباره دلالة للموت والفناء؛ حيث يفقد الحب وتغيب الأمطار وتتفي الشمس، ويسود الصمت مما يبعث القلق والرعب والإحباط، وتحريك مشاعر البأس خاصة وأن الدم مرتبط بالمأساة التي أدت إلى اختفاء مشاعر الحب والجدب وغياب الشمس، أبرزها في استخدام أداة النفي في ثلاث جمل فعلية مردفة بالمفعول مع غياب الفاعل، ويمكن توضيحها بالترسيمة التالية:

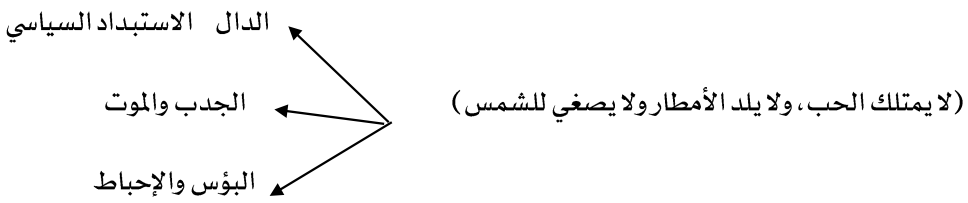

وإذا كانت الأمطار قد ارتبطت بالخصب والحياة من خلال الارتباط بالشكل الشمس وما يتعلق بها من دلالات رمزية وأسطورية فإن ما ينتج عنها يتحول عن هذه الدلالة إلى القطب المضاد، إلى دلالة الموت والجدب التي نتج عن الدم من حيث ارتباطه بمواطن الخوف والهلع واستدعائه لمشاعر القهر والحزن، خاصة وأن الشاعر قد مهد لهذا القهر بدال (جدران) وأفرغه عن معناة المعجمي، إشارة إلى الانسداد والحصار والسجن النفسي الذي يعيشه الشاعر ويمنع عنه التحليق في الأجواء الفسيحة والفضاء الرحب وتوطيد كينونته مع الآخرين وكلما كثرت الجدران كلما زادت دلالة الحصار والموت.

إن إيماءات هذه الصور والتراكيب في النصر (تنشر ظلالا مأساوية تعمق من حدة المفارقة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، فكأن ما استعمله الشاعر في بنية النص من مظاهر الطبيعة وبين محاصرة الحاضر للشاعر بمثابة إقامة توازن بين تجربته الشعرية لعلة امتداده إلى المستقبل، وفيه دلالة تومي إلى كشف أمور لخصت الوضع السياسي الداخلي، وتضفي مدى التشوه الذي يلحق الأفكار الثورية في ظل الاستبداد ومصادرة الحريات.

ويقدم الشاعر في المقطع الثاني تصورا موسعا عن ذلك الوطن المعوز المستبد يقول:

لماذا يتمزق في عنق الليل؟
ويبكي دمه تحت رصاص الأوغاد
ويحفر خارطة للحب وأخرى للموت

لماذا يتدحرج في المدن الكبيرة بطنا جائعة
ويسافر تحت قناع الخوف امرأة حبلى بالإثم!

تلحظ في المقطع تحول الشاعر عبر قناعه من أسلوب الإخبار إلى أسلوب الاستفهام الإنكاري، إذ تقوم بنية النص على تكرار أداة الاستفهام (لماذا) مما أتاح للذات الشاعرة إيضاح صور الواقع المرعب، فقد أدى الاستفهام إلى الوقوف بإزاء طرفين متناقضين، أظهر الاستفهام حدة التناقض بينهما، فالشاعر يبدأ بالاستفهام الإنكاري الذي يتطلب جوابه، إلا أن هذا الجواب لا يأتي، وإنما يستعيض عنه بجمل تبين حال الاستفهام وتقرره، وهذه العلة يكون الطرف الثاني سببها.

إن الاستفهام هنا عمل على إثبات الصفات، ولم يجعلها في موضع تساؤل ومما ساعد في إثبات هذه الدلالات ارتباط الاستفهام بضمير الغائب (هو) ومجيء لفظة (الليل) من الألفاظ التي تتواشج دلالاتها مع نظيرتها في عتبة النص، لرسم ملامح القتامة والسواد والظلمة، وعليه اتضحت دلالات الاستفهام المتكرر، الأول يشير إلى فعل التمزق مع قرب الخلاص، والثاني يوحي بالخنوع والاستسلام الجمعي، ويوحي بسيادة ازدواجية الأمل واليأس، واقتران الحب بالموت والربط البغيض بين الشقاء والتعاسة، ولعل دلالة فعل (الحفر) مما يجسد خلق ذلك التناقض.

ولعل تكثيف الاستفهام في التراكيب اللغوية السابقة يعزز من دلالاته الواسعة التي تنتجه صوب نقد الجمود الجمعي العام واستسلامها وقبوله بالتمزق والوهن، ولتثبيت هذه الإشارات التي آزرتها تضافر الأفعال المضارعة (يتمزق ويبكي، ويحضر، يتدحرج، يسافر) لتفضي إلى كشف مدى سلبية المجموع وإسهامه في تردي الواقع وموت حريته وإرادته. وضرورة التخلص من الزمن الحاضر، يضاف إلى ذلك حصره في (عنق الليل) رغبة في الخلاص وإنهاء سيطرة هذا الواقع المؤلم ثم البعد المنشود الخفي هو الإيقاظ الجماهيري.

ونلحظ جماليات الإيقاع الشكلي في المقطع بالتوازي بين الأسطر تاركا فيها بياضا يقابل فراغا زمنيا يملؤه الصمت المعادل لليأس والتلاشي بينه. إن الناص لم يكتف بدلالة الظلام وما توحي به من اضطراب و هيجان وموت وضياع، بل راح يؤكد على بعض الدلالات الأخرى: (يبكي يتدحرج، يسافر) والتي زادت الدلالة الكلية قوة واكتسبتها عمقا وثراء.

وفي المقطع التالي، يبدأ الاعتلاج الحاد بين الذات والواقع، يقول:

أخفيت قصيدتنا في الحلم، ولملمت حروف المطر القادم في ذاكرتي

وصحوت على صوت (الكلب) الخارج

من أحذية يثقبها (كافور) إذا جن الليل

ويرسلها باسم السلطان لكي تبحث عن صوت يتلفع بالحزن.

ويبحث في وجه الليل عن القمر الغائب

عبر مساحات باهتة ومعلقة

فوق شظايا الأرض، على مسمار من كلمات الصحف الصفراء

نلحظ أن المعنى الظاهر، هو مدى القهر والاستبداد المستشري، وللمفكرين، وجعل أفكارهم ورؤاهم في دائرة الحلم من دون الواقع إلا أن قراءة ثانية للنص، وسبر أغواره تكشف لنا المعنى الخفي الذي بريد الشاعر ايصاله إلى المتلقي، التحقيق أبعاد ينشدها.

يقدم الشاعر في هذا النص تراكيب لغوية مفردة ومتنوعة تصطف لتقف في خط متصاعد ينسج صورة مركبة، ففي صورته الأولى جسد (وللمت حروف المطر القادم في ذاكرتي) معتمدة الوجدان الشخصي والثانية تعتمد الوجدان الجمعي (أخفيت قصيدتنا في الحلم) والمزج بين الخاص والعام قاد الشاعر إلى رفد بنية النص بما يتواءم مع تجربته وانفعالاته، إن الانتقال من صورة إلى أخرى يشير إلى

حلول الشاعر في عالم يسكنه الخوف والرعب، وامتداد الوجدان على هذه اللحظات خلق ارتباطا وثيقا ينتظم ما أسميته الخاص والعام، الذي يكون طاقة رفض عارم (لصوت الكلب) وفي هذا دلالة تشير إلى عدم الاستقرار المكان والزماني، الذي أنضجته صورته يثقبها كافور إذا جن الليل تبحث عن صوت يتلفع بالحزن، ثم تأتي الصورة اللونية من كلمات (الصحف الصفراء)، لتوحي إلى زيف الأقلام المأجورة في كشفها للأصوات الداعية إلى الحرية.

ويلاحظ أن الأفعال الماضية المرتبطة بحركة الذات (أخفيت ولمت، وصحوت) لتكون محمولاتها الدلالية، لأن الذات المسلوبة تمارس أفعالا ناجمة عن الاستبداد والظلم، مما يجسد ذروة القهر والإذلال. إن مضمون الرموز والدلالات في النص، تتجه صوب توجيه الوخز اللاذع وكشف الهزات النفسية التي تسكن الشاعر.

أما حضور رمزية (كافور) الذي مارس الطغيان، تظهر نقطة الالتقاء بين الشاعر وقناعة وعمل تشابه الظرف التاريخي من حيث الزمان والمكان والسلطة، فكلاهما شاعران ثوريان، وكلاهما قضيا

ليلتهما الأخيرة في رعب وترقب، فالمتنبي / القناع غادر مصر في ليلته الأخيرة هاربا من قمع كافور، بينما المتنبي / المقالح طرد إجباريا تحت الضغط.

ونلاحظ الإلحاح في تحديد (الزمن الليلي) ليتواشج مع عنوان القصيدة، بمعنى أن الكلمة المحور التي هي العنوان تتحول إلى الجملة المنطلق لتناسب النص عبرتشكلات وتقابلات عدة تمر على الجملة الرابطة وتتلاقى هذه الآليات جمعيها في الجملة والهدف"[24]. ويعمق مدى بشاعة جرم **11** مفعل الشرطة لأنه وقت أمن وسكينه والخلود إلى الراحة.

وفي المقطع التالي، وبأسلوب الحكاية المحددة لظرف الحدث في إطار اليوم الواحد، تتوالى التداعيات الراسمة لأبعاد الأزمة، بين الذات والسلطة يقول:

في اليوم السابع

نامت، مصر و نام الليل ونام الهرم الأكبر، والصحراء

ونام أبو الهول، وصوت السد، وقبر الفارس نامت كل نواطيرها

لكن الشارع يستيقظ، يخلع أكفان النوم يغادر ساحته

يخرج من أعماق الرؤيا يتوسع يدخل في الفعل[25]

تقوم بنية الأبيات هنا على ثنائية (نام) و(استيقظ) فقد نامت كل مظاهر الحضارة في مصر بفعل الواقع السياسي، إلا أن المجموع العام يستيقظ، لنبذ مظاهر الجمود والتبعية والاستسلام. إن تكرار فعل النوم ومجيئه بصيغة الماضي يوسع دلالته ويكرس الاستسلام وشموليته وعمومه.

النتائج:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- استخدم الشاعر العتبات النصية (العنوان) كمفتاح سينمائي لقصائده القناعية، كما أن الدلالات المضمونية عند الشاعر تحتاج إلى استنطاقها وقرأتها بتأن، لسبر أعماقها.
- إن الرموز وبعض الفنون البلاغية التي استعملها الشاعر في هذه القصائد عملت على تضخم الدلالات المعمقة، لذا فهي تحتاج إلى تحليل بنيتها العميقة وفك شيفراتها من أجل فهمها.
- شكلت بنية القصيدة الاستراتيجية التي استخدمها الشاعر في بناء جسر التواصل مع المتلقي، مستثمرا ثقافته الدينية وثقافته الموسوعية.
- جاءت أفكار النصوص وصورها المختلفة بشكل متماسك متآزر، ينم عن امتلاك الشاعر للأدوات الفنية الناضجة، والملكة الشعرية المتقدة.

الهوامش والمصادر

(١) القرآن الكريم.
(٢) بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة، خليل الموسي، مجلة الموقف الأدبي العدد 336، 120.
(٣) بنية العنوان في قصيدة السياب، د.محمد عبدالوهاب، مجلة الأقلام، العدد السادس دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٩٩٩، ١٥.
(٤) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.سعيد علوش، مطبعة المكتبة الجامعية الدار البيضاء المغرب)، 1994. 39

(٥) توظيف الشخصية التراثية، د.محمد علي حيدر، أطروحة دكتوراة جامعة أسيوط، مصر (2009 : 113).

(٦) ديوان عبدالعزيز المقالح، دار العودة بيروت ط١.

(٧) المثل في التشبيه والاستعارة والرمز، مجلة الآداب العدد(12/ 1992 :85).

(٨) القناع في الشعر العربي الحديث، د.سامح الرواشدة، مطبعة كنعان الأردن، ط١، (1995 : 113).

(٩) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د.علي عشري زايد، /(د.ت) :77.

(١٠) تطور الصورة الفنية في الشعر اليمني الحديث، د.عبدالمطلب جبر، أطروحة دكتوراة، جامعة بغداد العراق(، 1997 : ٢١٤).

(١١) قضايا النقد الأدبي الحديث، د.محمد زكي العشماوي.. بتكمل ص 110، ص 111.

(١٢) أعمال ملتقى الأدب الجزائري، السينمائية والنص الأدبي ستكمل :... 60.

الحواشي

(1)- ينظر———: مدارات المنفتح والمغلق في ————التشكلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية، أرق سعيد، عالم الفكر، مجلد) 36(، عدد) 4(، أبريل يونيو 2008م، 217.

(2)- إشكالية القراءة وآلية التأويل، الدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط4، 1996م،

257. وهذا ما يلاحظ بسهولة في علاقة نص ابن طفيل مع منظومة النصوص المرجعية المتصل بها بصورة مباشرة أو موجهة.

(3)- ينظر: مدخل في قراءة البنيوية، د. عبد الملك مرتاض، مجلة علامات في النقد، جدة، ج29، ع8، سبتمبر 1998م 32.

(4)- ينظر: النص و التأويل، بول ريكو، تر: عبد الحي ازرقان، مجلة علامات، ع 11، 1998م ، 23.

(5)- ينظر: التناص نظريا وتطبيقيا، الدكتور أحمد الزغبي، مكتبة الكناني، أربد، الاردن، 1995، 15.

(6)- سيميائيات التواصل الفني. د. الطاهر روابنيه، عالم الفكر، الكويت، العدد) 3(المجلد) 35(. 2007م.268.

(7)- مناهج التحليل السيميائي، علي زغينة، محاضرات الملتقى الوطني الأول، السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر، 7-8 نوفمبر2001م، 135.

(8)- من الكلمة إلى الدلالة، نحو دراسة نصوصية، منير عياش، علامات في النقد، مجلد 16، عدد61، جمادى الأولى 1428 مايو 106. ، 2007

(9)- ينظر: سيمياء التناص حفريات الذاكرة واستنطاق الواقع، مداس أحمد، قراءات، جامعة بسكرة، بسكرة، العدد) 4(، سبتمبر

2012م، 12، 13.

(10)- ينظر: علم النص، جوليا كريستيفا، تر: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م 21.

(١١)بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة، خليل الموسي :1، مجلة الموقف الأدبي العدد، 336، : 120.

(١٢) بنية العنوان في قصيدة السياب د.محمد عبدالوهاب، مجلة الأقلام العدد السادس، دار الشؤون الثقافية بغداد 199م:، 15

(١٣) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.سعيد علوش، مطبوعات المكتبة الجامعية الدار البيضاء، المغرب، 1984م : 89.

(١٤) ينظر : توظيف الشخصية التراثية، د.محمد علي حيدر، ص 160

(١٥) ديوان المقالح: 546.

(١٦) سورة يوسف الآية : 20.

(١٧) العقل في التشبيه والاستعارة والرمز، إيليا حاوي، م / الآداب ع 12، 1962، 85.

(١٨) ديوان المقالح : 547

(١٩) ديوان المقالح :551، 552.

(٢٠) القناع في الشعر العربي الحديث، د. سامح الرواشدة، مطبعة كنعان الأردن ط1، 1995م : 113.

(٢١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زائد : 77.

(٢٢) تطور الصورة الفنية في شعر اليمن الحديث، د. عبدالمطلب جبران بغداد، 1997م 214

(٢٣) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي ص 110، 111.

(٢٤) أعمال ملتقى الأدب الجزائري السيميائية والنص الأدبي : 60.

(٢٥) ديوان المقالح : 60

هوية اللغة العربية والثورة المعلومية

إعداد: أ.د: حميد فؤاد،
أكاديمية مراكش أسفي المملكة المغربية
البريد الإلكتروني:
h.hamid1981@outlook.com

الملخص:

تنطلق هذه الورقة البحثية من إشكالية مفادها أن اللغة العربية شكلت على مر العصور رافدا حضاريا، حقق للإنسان العربي هويته وحضوره البارزين سواءٍ في الحياة العامة أو الحياة الخاصة، من ثمة نرصد مدى حضور اللغة العربية في الاستعمال اليومي التداولي خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي وبصفة عامة على مستوى الشابكة. الورقة تطرح إشكالية القيمة اللغوية للغة العربية في ظل المتغيرات المعلومية التي تشهدها الحياة المعاصرة. إذن السؤال منطلق هذه الورقة هو كيف التبس مفهوم القيمة اللغوية للغة العربية في الاستعمالات التواصلية على الشابكة؟

ولملامسة هذه الإشكالية تم اتباع خطةٍ استنباطيةٍ، كان المنهج الوصفي التحليلي سبيلا في هذه الورقة البحثية، حيث تم التوصل إلى مجموعة من النتائج المهمة نلخصها في كون اللغة العربية من أقدم اللغات التي حافظت على كينونتها رغم التحولات التي عرفها اللسانية التي شهدها المجتمع الإنساني، حيث ما تزال تحتفظ بخصائصها اللفظية والتراكيبية والصرفية والنحوية والأدبية والخيالية، إضافة إلى أنها استطاعت أن تجد لنفسها حضورا متميزا في مجتمع المعرفة؛ تمثل في التعبير عن مدارك العلم المختلفة.

الكلمات المفاتيح:

الهوية ، اللغة العربية، القيمة اللغوية، الثورة المعلومية

Abstract:

This research paper starts from the problem that the Arabic language has formed, throughout the ages, a cultural tributary that has given the Arab person his prominent identity and presence, whether in public life or private life. From there, we monitor the extent of the presence of the Arabic language in daily, deliberative use, especially on social networking sites and in general on social media. Network level. The paper raises the problem of the linguistic value of the Arabic language in light of the informational changes witnessed in contemporary life. So the question starting from this paper is: How is the concept of the linguistic value of the Arabic language ambiguous in communicative uses on the Internet?

To address this problem, a deductive plan was followed. The descriptive and analytical method was the path in this research paper, where a set of important results were reached, which we summarize in the fact that the Arabic language is one of the oldest languages that has preserved its identity despite the linguistic transformations that human society has witnessed. It still maintains its verbal, syntactic, morphological, grammatical, literary and imaginative characteristics, in addition to being able to find a distinct presence for itself in the knowledge society. It represents the expression of different understandings of science.

Keywords:

Identity, the Arabic language, linguistic value, the information revolution

تقديم:

يمكن القول إن اللغة في أحد مستوياتها صناعة للحضارة والهوية؛ إذ أكدت الدراسات التاريخية أن نجاح الأمم في ثوراتها ضد جميع أصناف التخلف والتدهور والتبعية ونزع رواسب العقم والجمود رهين بوجود لغة تشكل منطلقا للتفكير وتقصي الحقائق، من هنا اللغة هي الفكر، والفكر هو اللغة ومن ثمة يستحيل أن يتغير الفكر دون تغير اللغة. وقد أشار ابن جني في معرض حديثه عن اللغة في كتابه الخصائص بقوله " أما حدها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم."[1] لهذا اللغة هي الإنسان والوطن، والأهل، ونتيجة التفكير، هي ما يميز الإنسان من الحيوان، من ثمة فهي ثمرة العقل.

اللغة نظام صوتي، رمزي تستخدمه الجماعة في التفكير والتعبير والاتصال، إن اللغة تحمل المجتمع في جوفها؛ إذ هي الهواء الذي تتنفسه الجماعة، وهي النظام الذي يترجم ما في ضمائرها من معان، وأفكار لتستحيل بدورها إلى وسائل وأدوات تشكل حياتها وتوجه سلوك أفرادها، وتكشف عن طبقاتهم وجذور نشأتهم، وعن حدود عقلياتهم وميولاتهم الفكرية.

من هنا ننطلق من إشكالية مفادها أن اللغة عامة واللغة العربية خاصة شكلت على مر العصور رافدا حضاريا، حقق للإنسان العربي هويته وحضوره البارزين سواء في الحياة العامة أو الحياة الخاصة، لهذا نحاول رصد مدى حضور اللغة العربية في الاستعمال اليومي التداولي خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي وبصفة عامة على مستوى الشابكة.

لذا نحن بصدد معالجة إشكالية القيمة اللغوية للغة العربية في ظل المتغيرات المعلومية التي تشهدها الحياة المعاصرة. إذن السؤال منطلق هذه الورقة هو كيف التبس مفهوم القيمة اللغوية للغة العربية في الاستعمالات التواصلية على الشابكة؟

أولا. اللغة رافد فكري:

المتتبع لمختلف المعاجم والدراسات اللغوية يتبين أن اللغة واسعة العقد في بناء الفكر الإنساني ومن ثمة تحضى بالأهمية الكبرى في نشوء الأمم، لذلك تعد أداة تفاعل وتواصل بين أفراد المجتمع، كما أنها تمثل الجسر الذي ينصهر أبناؤه في بوتقة المحبة واللقاء والتفاهم، إنها مستودع تراث الأمة، والقنطرة التي بوساطتها يتم العبورمن الماضي نحو الحاضر، ثم من الحاضر باتجاه المستقبل ، لقد شكلت الخيط الذي ينقل تراث الآباء والأجداد، فالأبناء ثم الأحفاد ، وفي هذا الصدد يشير ماكس مورو قائلا: "باللغة وباللغة

---

١ – أبي الفتح عثمان بن جني، (الخصائص)، دار الكتب المصرية – القسم الأدبي–، تحقيق محمد علي النجار، الجزء الأول، ص:٣٣.

وحدها يندمج الفرد بالمجتمع، ويتلقى تراث الأمة الفكري، والشعوري، والأخلاقي، والاجتماعي كله، التراث المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء، والمفكرين السالفين، والمعاصرين." إلى جانب هذا اعتبر فيختة اللغة والأمة أمرين متلازمين ومتعادلين.

من هنا اللغة هي روح الأمة، وسر كيانها، وعنوان وجودها، وهي الرابطة العضوية الخفية القوية كأعظم ما تكون القوة.[١]

والحقيقة هي أن اللغة تؤدي جملة من الوظائف المتعددة، كما أن لها مهمة في حياة الفرد والمجتمع، تتبعها العلماء والباحثون، نذكر منها: أنها أداة التفكير، ووسيلة التعبير عما يدور في خاطر الإنسان من أفكار، وما في وجدانه من مشاعر وأحاسيس وعواطف.[٢] إذ بها يقضي حاجاته، وينفذ مطالبه، ويحقق مآربه في المجتمع الذي يحيا فيه، وبوساطتها ينقل تجربته إلى الآخرين. كما أنه يطلع على تجاريب أمته الحاضرة والماضية، وعلى تجاريب الأمم الأخرى وخبراتها. يضاف إلى ذلك أنها وسيلة المرء للتحكم في بيئته، لأنها أداة التفكير وثمرته كما أسلفنا القول، إنها تسهل عمليات التفاعل الاجتماعي، والانصهار الفكري بين أفراد المجتمع والأمة. إجمالا اللغة مستودع تراث الأمة لأن كل كلمة تحمل في طياتها خبرة بشرية متميزة.[٣]

ولما كانت اللغة نظاما من الرموز، فإنها تحقق وظيفتين متكاملتين: الوظيفة الاتصالية، والوظيفة التجريدية. فهي وسيلة الاتصال والتفاهم بين الناس، وذلك في نطاق الأفراد والجماعات والشعوب، كما انها أداة التعلم والتعليم، ولولاها لما أمكن للعملية التعليمية – التعلمية أن تتم، ولانقطعت الصلة بين المعلم والمتعلم، ولتوقفت الحضارة الإنسانية. لذا لا غرو أن تمثل الخزانة التي تحفظ للأمة عقائدها الدينية، وتراثها الثقافي، ونشاطاتها العلمية، وعلى أساسها تنشأ صور الآمل والأماني للأجيال الناشئة.[٤]

من هذا المنطلق أمكننا القول إن اللغات هي ذاكرة الإنسانية، وواسطة نقل الأفكار، والمعارف، من الآباء إلى الأبناء، ومن الأسلاف إلى الأخلاف، اللغة هي الأداة التي تمكن الموهوبين والعباقرة، في كل قوم من

١ – د. السيد محمود أحمد، (طرائق تدريس اللغة العربية) – جامعة دمشق – سنة ١٩٨٨م، ص ص: ٢١٢ – ٢١٣.
٢ – د. معروف نايف، (خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها)، ص ص: ٣١–٣٢–٣٣.
٣ – د. السيد محمود، (طرائق تدريس اللغة العربية)، ص ص: ١٦–٣٨–٣٩.
٤ – السيد محمود أحمد، (طرائق تدريس اللغة العربية)، ص ص: ٣٨.

إبراز مواهبهم، وإبداعاتهم، ليكونوا قادة الأمة ومفكريها وعلمائها.[1]

وإذا كانت اللغة العربية بصفةٍ عامةٍ صانعة الأمجاد، فإننا نتساءل لماذا فقدت حضورها، في ظل الزخم اللغوي الذي بفضله بدأت بعض اللغات تفقد حضورها في الجانب التواصلي، خاصة في زمن الثورة المعلومية، الأمر الذي سيتم توضيحه في ثنايا هذا البحث.

ثانيا. اللغة العربية والهوية:

تعيش اللغة العربية في عصرنا الراهن مجموعة من الإكراهات جراء اتهامها بالقصور عن مجاراة التطور العلمي والرقمي اليوم، مما يفرض معالجة الموضوع من ناحية علمية بعيدا عن الانفعال والتعصب، بغية وضع اللغة العربية في مسارها الصحيح، باعتبارها أداة علمية تواصلية تستطيع كباقي اللغات الأخرى استيعاب العلم واستثمار نتائجه التقنية والمعرفية. كما يمكنها المواكبة، كباقي اللغات الأخرى الثورة الرقمية لتصبح لغة رقمية متداولة بين مستعمليها في المعلوميات والأنترنت.

الحق أن هذه الوضعية تعود إلى تقسيم اللغات عند كثير من المهتمين إلى لغات علمية رقمية ولغات تواصلية عادية؛ أي لغات تنتمي إلى المجال العالم، ولغات تنتمي إلى مجال الحس المشترك. لهذا فاللغات العلمية، بوصفها كذلك، قادرة على مواكبة التطورات العلمية والرقمية المتسارعة، ويمكنها استيعاب العلم والمعرفة الرقمية إنتاجا وترويجا، كما يستطيع متكلمها الفعل في العالم ما دامت لغته تسمح له بذلك. في مقابل ذلك يرون أن لغات الحس المشترك ترتبط بالتعبير عن اليومي والمشترك بين جميع أفراد المجتمع المتكلمين بها بغض النظر عن مستوياتهم التعليمية المختلفة وانتماءاتهم الاجتماعية المتعددة. ومن ثم، لا يمكن لهذه اللغات أن تكون حاضنة للعلم والمعرفة الرقمية، فإذا أراد أصحابها ولوج عالم التقنية مثالا مالوا عنها إلى لغات العلم والتقنية بحسب زعمهم. من هنا، اعتبرت اللغة العربية في الصنف الثاني من اللغات.

بالعودة إلى التاريخ نلفي اللغة العربية، اللغة العالمية الأولى في مختلف العلوم والفنون، وذلك خلال عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، منذ القرن الثالث الهجري، بيد أن عالميتها ظهرت واضحة عندما كانت البعثات العلمية في مختلف الأقطار الأوروبية تؤم مراكز الإشعاع الثقافي، في قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، وفارس وبجاية، وتلمسان، والقيروان، وفاس وغيرها من مراكز العلم، للدراسة في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية؛ لغة التدريس والبحث، ولغة المصادر العلمية. لكن هذه المعطيات تدفعنا إلى التساؤل عن سبب هذا الضعف الذي يعثريها في زمننا الراهن.

---

١ – د. معروف نايف، (خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت / لبنان ـ الطبعة الخامسة ـ ١٩٩٨م، ص ص: ٣٣.

إن العودة إلى مسار عالميتها في قارات العالم القديم، في أوروبا ، وروسيا، وإفريقيا، نرى أنها دخلت إلى أوروبا من خلال جسور الاتصال، كان أهمها إسبانيا (الأندلس) وصقلية. ونشأت مراكز مختصة لدراسة اللغة العربية وتعليمها، في مراكز علمية في باريس، وأكسفورد، وروما، وقد تركت آثارها الواضحة في مختلف الجوانب اللغوية والحضارية في العالم، حتى العصر الحاضر، فكثير من المصطلحات وجدت طريقها إلى اللغة الإنجليزية.

المتأمل في دخول الأرقام العربية المغربية إلى أوروبا، يقف عند إسهام علمي أصيل في النهضة الأوروبية الحديثة. فاللغة العربية والحروف العربية، باتت تحتل في نظر جماهير هذه الشعوب مكانة الاحترام والقداسة، فأصبحت هذه العالمية تنفرد بها هذه اللغة من بين جميع لغات الأمم الأخرى ، حيث أصبحت لغة الثقافة، والإدارة والتجارة، والمراسلات، ووسيلة الاتصالات الدولية.[١]

اللغة العربية ومسار التحول:

عرف العالم مجموعة من التحولات مست مختلف الجوانب، بيد أن القرن السادس عشر شكل "مرحلة فارقة في تاريخ الحضارة الإنسانية، فقد شهد هذا القرن والذي تلاه بداية نهضة الحضارة الأوربية الحديثة، وبروز مايسمى بعصر النهضة، أو عصر التنوير، حيث نهلت أوربا الخارجة من العصور المظلمة، كثيرا من المعارف العربية والإسلامي، والتي أشرقت أنوارها في بلاد الأندلس."[٢]

الحق أن القرن السادس عشر الميلادي كان مرحلة مفصلية؛ كما أشرنا سابقا في تاريخ الأمة العربية؛ إذ أذنت شمس الحضارة العربية الإسلامية بالإضمحلال اللحظي، فتعرضت بلادهم لهجمات استعمارية، ونتيجة الضعف والهوان خضعت لسلطان المستعمر الأوروبي، الذي أمعن في نهب خيراتها وإذلال أهلها، واحتقار حضارتها، ولم تغيب عنهم فكرة نهضة الأمة العربية من جديد لدى عملوا ما في وسعهم على هدم وحدة الدين واللغة، لكونهما شكلا العمود الفقري للهوية العربية. ومما لجؤ إليه "هدم وحدة اللغة بتشجيع اللهجات العامية وإحلالها محل العربية الفصيحة. وبدأت تلك الدعوة في ثمانينات القرن الثامن عشر الميلادي، فأخذ دعاتهم يروجون لفكرة كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها عامة الناس، وطفق بعضهم يضع قواعد للهجة أبناء القاهرة، واقترح آخرون كتابة العربية الفصيحة بالحروف

١ – يمكن العودة في هذا الصدد لـ. د. خليفة عبد الكريم، (عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم) مجمع اللغة العربية – دمشق – ٢٠٠٣ – ص: ٥–٦–٧–١٢–٢٠–٢١.

٢ – د. عبد المجيد الطيب عمر، (منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة – دراسة تقابلية)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة أبحاث الحرمين العالمية، الطبعة الثانية، سنة ١٤٣٧هـ، ص:٧٥–٧٦.

اللاتينية."[1] هذه المعطيات تركت أثرا كبيرا انعكس على اللغة العربية، خاصة في بلدان المغرب الكبير، حيث تم منع استعمال اللغة العربية في المعاملات الرسمية، بأوامر جمهورية (فرنسا).[2]

اللغة العربية والإرادة السياسية:

الذي يؤسف له وهو أن هذه السياسة مازالت قائمة إلى حدود كتابة هذه الأسطر داخل هذه البلدان؛ إذ يمكن إيعاز هذا الأمر إلى بعض النخب التي تربت على يد المستعمرين وفية مخلصة، ليس لوطنها ولا لغتها، بل لثقافة الآخر ولغته، ومن ثمة دافعت باستامتة على تبني لغة المستعمر، لدرجة أن أصبحت لغة المستعمر لغة للتدريس والبحث العلمي في الجامعات والمعاهد العليا.

من هنا بدأنا نلفي ظاهرة ضعف اللغة العربية لدى النخب المثقفة، وهي ظاهرة أصبحت لا تثير أي استغراب، إذ هناك من يجاهر بعدم حاجته إلى معرفة أساسيات النحو، والصرف العربي. أمام هذه العناصر نتساءل: هل العلة تكمن في طبيعة اللغة العربية، وفي صعوبة قواعدها؟ أم أنه لا حاجة إلى الاهتمام بها، حيث أنها لغة جامدة، غير قادرة على مواكبة روح العصر؟ وهذه سهام من المستعمر، يراد بها أن تبقى الأمة العربية عالة على الأمم الأخرى، فكما أنه لن تفلح أمة تقاتل بما لا تصنع، وتأكل ما لا تزرع، وتلبس ما لا تنسج، فإنه لن تفلح أمة لا يتقن المثقفون والباحثون والمسؤولون منها لغتهم الأم، بل ومفتونون بلغات الغرب.[3]

إلى جانب ما تمت الإشارة إليه أعلاه، نشير في هذا الصدد إلى عامل آخر لعب دورا كبيرا في ضعف اللغة العربية، تعلق الأمر بالعامل النفسي الذي ولد لدينا أن اللغة العربية صعبة، متعددة، كثيرة القواعد مع اختلاف الآراء فيها، وأن الكتابة العربية بما فيها من مشاكل تشكل عائقا كبيرا، وسببا جسيما في ضعف الناس في استخدام صحيح اللغة. بيد أن تعقد الحياة في هذا العصر، وما يصاحبه باطراد من غلاء الأسعار، وازدياد اهتمام الناس بالسعي لتوفير قوتهم، وتحصيل معاشهم، يشكل عاملا آخر من العوامل العامة في ضعف العربي في لغته العربية، إذ لم يعد لديهم الوقت لارتياد المكتبات، وعز عليهم المال لشراء الكتب، واقتناء المقروءات، مع تفشي الأمية، وشيوع العامية من الأسباب الواضحة في ضعف اللغة لدى أبناء العربية، ورغم كل الجهود الحثيثة من الحكومات لمكافحة الأمية، فإن نسبة الأمية ما تزال كبيرة. ومن أسباب ذلك ندرة المعلم الجيد، إذ أصبحت مهمة تدريس العربية في شتى مراحل الدراسة، تسند إلى

---

١ – المرجع نفسه، ص: ٧٦.

٢ – انظر مقال موريس لوجلي، نص دورية ليوطي، ونص دورية وليام بونتي في كتاب "الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب"، ترجمة الدكتور عبد المعطي الدغيري، سنة ١٩٩٣م.

٣ – د.النعواشي قاسم صالح، (اللغة مرآة الفرد والأمة – أبحاث في اللغة)، مجلة النبأ – العدد /٧ أيار٢٠٠٤م، ص: ١-٢-٣.

مدرسين غير أكفياء. كما أن وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي تساهم في الضعف اللغوي القائم، حيث لاتهتم كثيرا باللغة العربية، ولا تضع في أهدافها العمل على السمو والارتقاء، باللغة الفصيحة السليمة.

الخلاصة، وهو أن المشكلة الأساس تتجلى في برامجنا التعليمية التي همشت اللغة العربية عن قصد وغير قصد، إذ نلفي الكثير من البلدان عزلوا اللغة العربية، فصارت بعض الجامعات تدرس مادة اللغة العربية لغير المختصين، والطالب الجامعي العربي الذي يدرس التاريخ، أو الفلسفة يجب التساهل مع لغته، لأنه لا يدرس في اختصاص اللغة العربية. إذن، في ضوء ما سبق نرى أن المشكلة ذات بعد فكري، وثقافي، يخص هوية المواطن العربي، ومشروعه المستقل، ووعيه بذاته. واكتشافنا لهويتنا، وذواتنا وسيله اهتمام باللغة.[1]

إن المجتمع العربي اليوم يعيش حالة من النكوص في برامجه التعليمية ولم يستطيع أن يجد الحل الأنجع أمام توالي الإصلاحات؛ نحو التجربة المغربية، التي نرى بأنها تحتاج إلى تغيير وتطوير وتجديد، ومن تلك الأمور التي تحتاج إلى أفق جديد، ونظرة جديدة، مايرتبط بقضايا التعليم والتربية، فما زالت مناهج التعليم تنتمي لحقبة ما قبل عصر المعلومات والاتصال وهي لم تعد صالحة – في جوانب منها على الأقل– حتى لسوق العمل، الأمر الذي يؤدي بالمتخرجين حديثا من الجامعات للالتحاق بقطار البطالة، أما مسؤولية الشباب تجاه أنفسهم، فيتطلب من كل شاب أن يعمل بجد واجتهاد من أجل مستقبله، ومستقبل أمته.

ويستلزم ذلك تأهيل الذات علميا وعمليا واكتساب المهارات الجديدة، والالتحاق بالتخصصات العلمية المتطورة، وعدم التوقف عن كسب المعرفة والعلم، فلا مكان اليوم لمن ليس لديه مؤهلات علمية راقية[2].

ثالثا. اللغة العربية في خريطة المعرفة:

تحتل اللغة موقعا بارزا على خريطة المعرفة الإنسانية، يزداد أهمية يوما بعد يوم. والشكل يبرز شبكة العلاقات التي تربط اللغة بفروع المعرفة المختلفة. وقد أسست اللغة في العقود الأخيرة علاقة وطيدة مع الهندسة، وذلك من خلال هندسة الذكاء الاصطناعي، التي تساهم فيها اللسانيات الحاسوبية (linguistics computational) بقسط وفير. كما تنفرد بمثل هذه الشبكة الكثيفة من العلاقات المعرفية. وإن موقعها الفريد هذا على خريطة المعرفة الإنسانية، يؤكد كونها ركيزة أساسية للمعرفة على

١ – عبد المولى محمد علاء الدين، (وجهة نظر في واقع اللغة العربية) – الحوار المتمدن – عدد ١٤٧٥ سنة: ٢/٢٨/ ٢٠٠٦م، ص:١٠ Almoula 62@ hotmail.com .

٢ – عبد الغني نعمان، (الشباب والتكنولوجيا) التجديد العربي– بتاريخ: ٢٠٢٣/١٠/١١ على الساعة ١٢ و١٠ دقائق بتوقيت غرينيتش ، ص :٢. www.arabrenwal.com

اختلاف أنواعها، وكذلك كونها وسيلة لاغنى عنها، لفهم تاريخ تطور الفكر الإنساني، وتحليل مظاهر حاضره، واستشراف مستقبله.

نسعى في هذا النقطة إلى معالجة مسألة في غاية الأهمية تتعلق بتكوين نظرة أشمل إلى اللغة العربية، وعلاقتها بفروع المعرفة المختلفة. من هنا نرى بأن اللغة العربية لها ما يميزها عن باقي اللغات الآخرى، نأتي في هذا الصدد على ذكر أربعة أمثلة:

الأول: العلاقة بين نظام الصرف العربي وتراثه الاشتقاقي، الذي لا تنافسه لغة أخرى من لغات العالم، وعلم البيولوجيا الجزئية القائم على لغة الجينات وعلم نفس الذكاء، فيما يخص التناظر بين توليد المشتقات صرفيا والتوليد البيولوجي، وتوليد المفاهيم.

الثاني: وجود العلاقة بين فنون الخط العربي، والفنون التشكيلية، وهندسة الديكور، والمعمار مما يتطلب توثيق علاقة اللغة العربية بفروع المعرفة المختلفة، وإعداد فريق من الباحثين من ذوي القدرة على عبور حواجز التخصصات النوعية وتعددها.

الثالث: ثراء اللغة العربية التي تتجاوز عدد كلماتها غير المكررة اثنا عشر مليون وثلاثمائة ألف كلمةٍ، بينما اللغة الإنجليزية وهي أثرى لغة بعد العربية لا تمتلك سوى ستمائة ألف كلمةٍ غير مكررة.

الرابع: أن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تعبر عن المعنى بدقة شديدة، مثال:

حضر غير أقبل غير جاء غير وصل وهكذا.

أ- سبل الارتقاء باللغة العربية:

ولتحقيق هذا المسعى وضمان فاعلية الجدل العلمي بين هؤلاء الباحثين ذوي التخصصات المختلفة، نرى ضرورة تمكينهم من خلفيةٍ عامةٍ مشتركةٍ، نبلور بشأنها موضوعاتٍ رئيسةٍ، على النحو الآتي:

- التوجهات العامة للسانيات الحديثة .
- فقه اللغة العربية وخصائصها.
- تراثنا اللغوي من منظور علم اللغة الحديث.
- فلسفة اللغة.
- هندسة النظم.
- تكنولوجيا المعلومات من منظور لغوي.

يتأسس إذن، على ضوء هذه المعطيات ارتقاءٍ للغةِ من كونها تابعِا علميا، وفرعِا معرفيا متخصصِا، إلى أن أصبحت نهجِا علميا عاما، يمكن تطبيقه على العديد من الفروع المعرفية.

وعليه نرى من وجهة نظرنا أنه لابد من اختيار أنسب المناهج اللغوية، والنماذج الحاسوبية والعمل على استقصائها بحثا متعمقا، يضاهي بين إمكانات هذه المناهج والنماذج، وبين خصائص منظومة اللغة العربية الشاملة، وكذلك منظوماتها الفرعية، ونقصد بها منظومات الصوتيات، والصرف، والنحو، والدلالة والمعجم، ومن ثمة صار الأمر في حاجة إلى اختيار أنسب النماذج اللغوية بغاية تلبية مطالب اللغة العربية تنظيرا وتعليما ومعالجة آلية.[1]

إن انخراط اللغة العربية في مجتمع المعرفة يقتضي القيام بنهضة لغوية شاملة، قادرة على تلبية مطالب ومقتضيات العصر، شريطة ألا يلقى ذلك على عاتق اللغويين فقط، بل لابد من وجود التقنيين، والفنيين، في مجال الحواسيب، والمتمرسين في مجالات الكتابة الإبداعية بهدف الوصول إلى صيغ ومصطلحات، ومفردات عربية سليمة دقيقة علمية وعملية، والعمل على تقريب الحاسوب، وليس الترجمة العربية فقط بل رعاية عبقرية الشباب، الذين لديهم إمكانات مذهلة في فهم التقنية، ولهم تجاربهم الهامة في عوالمها.

ب- كيفية الاهتمام باللغة العربية:

على هذا الأساس نرى بأنه لابد من تطويع تكنولوجيا المعلومات لصالح اللغة العربية، نظرا لأن هذه التكنولوجيا تؤثر على الطفل العربي، وتعد سلاحا ذا حدين، ففي الوقت الذي ينبغي فيه تشجيع الشباب على المشاركة في مجال تكنولوجيا المعلومات بمختلف فروعه، يجب علينا ألا ننسى الانتباه إلى ميل الشباب نحو استخدام اللغة الإنكليزية والفرنسية على حساب اللغة العربية. كما يجدر بنا تطوير البرامج التعليمية وعقد ندوات توعوية لأهالي التلاميذ والطلاب، تبين لهم أهمية الحفاظ على اللغة العربية و مدى الآثر السلبي على مجتمعاتنا في حال بقيت الأمور على حالها.

لعبت اللغة في مجتمع المعرفة دورا كبيرا، ويمكن إعاز هذا الدور لمحورية الثقافة في منظومة المجتمع، ومحورية اللغة في منظومة الثقافة. فقد تبين أن الثقافة أصبحت محور عملية التنمية في مجتمع المعرفة، وأكدت اللغة بفضل المتغير المعلومي كونها، محور منظومة الثقافة بلامنازع، ونتيجة لذلك، فقد أصبحت معالجة اللغة آليا بواسطة الحاسوب هي محور تكنولوجيا المعلومات، خاصة وأن اللغة هي المنهل الطبيعي الذي تستقي منه هذه التكنولوجيا أسس ذكائها الاصطناعي، والأفكار المحورية للارتقاء بلغات

١ – د. علي نبيل، (ثقافة اللغة – منظور عربي معلوماتي–) القاهرة، طبعة ١٩٨٨م، ص: ١٣–١٤–٣٨.

البرمجة. ويزداد إسهام اللغة في تحديد الأداء الكلي للمجتمع الحديث، سواء في داخله، أو بالنسبة إلى خارجه. ونقصد بالداخل هنا أنماط وحصاد نتاجه المعرفي والإبداعي، وكذلك الإنتاجية الشاملة لأفراده ومؤسساته، أما ما قصدنا بالخارج فهو العلاقات التي تربط المجتمع بغيره من المجتمعات. ولم يقتصر دور اللغة في مجتمع المعلومات على مجالي التربية والثقافة، فقد استحدثت اللغة لنفسها أدوارا جديدة، بعد أن تداخلت مع التكنولوجيا بصورة كبيرة ليبرز دورها الاقتصادي والسياسي.

والحق أن اللغة العربية تجمع بين كل خصائص اللغات الأخرى، على مستوى جميع فروعها اللغوية، كتابة وصوتا وصرفا ونحوا ومعجما.[1] فمثلا تجمع بين الجمل الإسمية والفعلية، ونكتفي بمطابقة جنس الفاعل (ذهب محمد وذهبت فاطمة)، وهو ما لا تلتزم به اللغات الأخرى. كما تتسم منطوقة اللغة العربية بتوازن دقيق، وتآخ محسوب بين فروع اللغة المختلفة. وبخصوص معالجة اللغات الإنسانية آليا بواسطة الحاسوب، أثبتت العربية جدارتها بوصفها لغة عالمية؛ إذ بفضل توسطها اللغوي، يسهل تطويع النماذج البرمجية المصممة للغة العربية، لتلبية مطالب اللغات الأخرى، وعلى رأسها الانجليزية.

تأسيسا على ماسبق إن ردم الفجوة الرقمية، التي تعانيها البلدان العربية رهين بإتاحة الفرص لتطور وانتشار اللغة العربية، وهذا لا شك يتطلب جهودا مكثفة، ومبرمجة من قبل جهات عدة، بعملية تنسيق، ومتابعة حثيثة وإعادة نظر مستمرة في قضايا أربع هي: "تطوير التعليم والتعلم بالعربية، وبناء صناعة المحتوى الرقمي العربي، وتمكين استخدام الأنترنت بالعربية، والاعتماد على المشاركة المفتوحة لتطوير ونشر العربية".[2]

رابعا. تأثر اللغة العربية بالثورة المعلومية:

تعتبر اللغة العربية ركنا أساسا من أركان الأمن الثقافي والحضاري والفكري للأمة الإسلامية في حاضرها وفي مستقبلها، إنها تشكل القاعدة المتينة للسيادة الوطنية التي تحرص عليها كل دولة من دول المجموعة العربية الإسلامية. وبالرجوع للواقع اللغوي الراهن في الوطن العربي، نلفي بأنه ليست هناك بقعة في العالم المعاصر تشبه البقعة العربية في غناها اللغوي، وتنوعها الحضاري والثقافي. ومن يتأمل الواقع اللغوي الراهن، يجد فيه استمرارا للواقع اللغوي التاريخي، الذي كان سائدا من فترة تكون اللغة العربية الموحدة في شبه الجزيرة العربية، التي اصطلح على تسميتها بالفصحى إلى جانب لهجات القبائل، إذ مازالت الازدواجية اللغوية على حالها، ومازالت هناك لغتان أو مستويان لغويان يتميزان من بعضهما بوضوح.

---

١ – د. علي نبيل، (ثقافة اللغة – منظور عربي معلوماتي –)، ص: ٥–٦.

٢ – د. علي نبيل – حجازي نادية، (الفجوة الرقمية – رؤية عربية لمجتمع المعرفة – سلسلة عالم المعرفة) – الكويت، العدد ٣١٨، آب ٢٠٠٥.

من هذا المنطلق نقف عند مستويين: المستوى الأول: شكل المستوى الرسمي الذي تمثله اللغة العربية الفصحى بقواعدها المعروفة، صوتا، ونحوا، وصرفا، ويوظف في التعامل الرسمي، والتعليم، والبحث العلمي، والكتابات الأدبية، والمحاضرات العلمية، والثقافية، والعبادات والإعلام... بيد أن المستوى الثاني: تمثل في طريقة استخدام اللغة في حياتنا اليومية، وذلك خارج نطاق التعامل الرسمي، ونستخدم فيه لهجتنا المحلية التي تعلمناها في البيت أو الشارع، وفي هذا المستوى تتم جميع عمليات التفاهم والتعامل الشفهي، وهو الذي يطلق عليه اسم اللغة.[١]

تتمثل اللغة العربية الفصحى اليوم في انحراف كبير ولحن ظاهر لامس مستوى النطق، إننا اليوم نتداولها بألسنتنا على غير قراءتنا للقرآن، بينما تظهر العامية ليس كتحول فقط، وإنما هي نتاج تفاعل بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى، كما أنها نتاج تطور اجتماعي في الأقطار العربية المختلفة، وصراع اللغات هو ضمن الصراع السياسي والاجتماعي. فالعامية قد أبان عن حقيقتها صاحب كتاب "**اللغة العربية الفصحى**"، بقوله: "إن العاميات العربية هي في هذا الواقع بعيدة عن الفصحى وليست قريبة منها، وهذا الابتعاد نتيجة طبيعة القرون الطويلة من الحكم الأجنبي الذي دفع الفصحى إلى الانزواء، وساعد اللغات الفارسية والتركية، والإنجليزية والفرنسية والإيطالية على السيادة، والتأثير في العاميات العربية، إذ نمت هذه العاميات في مناخ مشبع بالرطنات الأعجمية فزاد ذلك في انحرافاتها الصوتية، واختلافاتها الصرفية، وألفاظها الدخيلة وتراكيبها البعيدة، عن سنن العرب."[٢]

لعبت العولمة دورا مهما في الانفجار المعرفي، إذ تزايدت العلوم في جميع نواحيها رأسيا وأفقيا نتيجة للتقدم العلمي، مما أدى بدوره إلى ازدياد موضوعات الدراسة في المادة الواحدة، كما تفرعت الموضوعات وتشعبت مجالاتها، وظهرت علوم جديدة [٣] بالإضافة إلى أن عصرنا عرف تطورا سريعا مس وسائل الإعلام والاتصال فاق كل تصور، وانعكس ذلك على نواحي الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية جميعها، واتضح ذلك في أنماطها السلوكية.

أصبحت العولمة مصدر تهديد للهوية والسيادة الوطنية للدول والشعوب، ما يترتب عنه القضاء على الهويات والخصائص الثقافية والحضارية لدول وشعوب كثيرة، لا تستطيع مجارات العولمة والذوبان

١ – يوسف ظافر، (اللهجات العربية المحكية وتحديات العولمة)، المؤتمر السنوي الخامس/مجمع اللغة العربية بدمشق/اللغة العربية في عصر المعلوماتية ٢٠ – ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٦، ص: ٣ – ٤.

٢ – عمار ساسي، (اللسان العربي وقضايا العصر – رؤية علمية في الفهم والمنهج والخصائص والتعليم والتحليل –)، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، سنة: ٢٠٠٧، ص: ١١٢.

٣ – عبد الحافظ محمد سلامة، (مدخل إلى تكنولوجيا التعليم)، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، عمان، الطبعة الثانية، سنة: ١٩٩٨م، ص: ١٧.

فيها، لصالح اللغة الأقوى كثيرة، ونحن نرى من جهتنا ان العولمة ليست سلبيات كلها، وليست ايجابيات كلها، بل تحمل من هذا وذاك. فإذا أحسنت الدول النامية التعامل مع العولمة واستطاعت أن تتكيف معها وتواكبها وتتجنب سلبياتها، فإنها ستصبح بلا شك إيجابيات تعود بالنفع والفائدة على شعوب هذه الدول.

إن العلاقة بين اللغة وبين العولمة، هي علاقة ذات صلة بمستقبل هذه اللغة من حيث تطورها وبقائها أو تراجعها واندثارها. وبقاء هذه اللغة مقترن بالتنمية الشاملة المتكاملة المتوازنة المستدامة في شتى المجالات، سواء أكان في العلوم أم الآداب أم الفنون أم المعارف أم الصناعات والتقنيات التي يبدعها أهل هذه اللغة في المجالات كافة، فيرتقون في مضمار التقدم المادي والمعنوي، ويحتلون المكانة اللائقة بهم بين الأمم، فتكون لهم السيادة على لغتهم، لأن لهم السيادة على مقدراتهم ومكتسباتهم. اللغة إذا جزء لا يتجزأ من السيادة، والحفاظ على اللغة هو حماية لهذه السيادة. ولذلك فإن التحدي الأكبر الذي سيواجه اللغة العربية في المستقبل، هو الحفاظ على خصوصياتها وضمان استمرارها وإشعاعها، وحماية المكونات والمقومات والقيم التي تشكّل العناصر الجوهرية للكيان العربي الإسلامي الكبير.

والحق أن اللغات تتطور وتنحط، وتتقدم وتتأخر بحسب درجة الناطقين بها من الرقي الحضاري والتقدم الاجتماعي، ولهذا فهي ليست ظاهرة اجتماعية حسب، ولكنها مرآة تعكس درجة الوعي الحضاري لدى متحدثيها، كما أنها ليست من وجهة أخرى مجرد ظاهرة اجتماعية كما يراها علماء الاجتماع، وإنما هي "أداة تعبيرية طيعة حية تبلغ ذروتها حين يعمد الناطقون بها إلى التماس الجمال الفني في تعبيرهم بها، وفي التألق في انتقاء ألفاظها عبر نظامها الصوتي والتركيبي، ما يجعل من تعابيرهم لوحات فنية تروق سامعها، وتبهر قارئها"(١).

بيد أن اللغة العربية وضعها مختلف حتى وإن تراجع المشروع الإسلامي في فترات معينة على نحو ما نعيشه في وقتنا الراهن.

شكل التطور الرقمي التكنولوجي طفرة نوعية في استعمال اللغة؛ إذ تأثرت اللغة العربية في هذه الموجة من التطور، وذلك يعود لانتشار شبكة الإنترنت في العالم، الذي واكب اهتماما واضحا في العالم العربي؛ بسبب ظهور العديد من المواقع الإلكترونية العربية، ومن الأمثلة عليها المنتديات الرقمية، وما تبعها

١ – مرتاض عبد الملك، (التعدية اللغوية فخ جديد لتمزيق الهوية الوطنية)، مجلة العربي، عدد ٥٠٠، الكويت، ٢٠٠٠م، ص: ٢٧.

من اعتماد منصات التواصل الاجتماعي على استخدام اللغة العربية لجذب المستخدمين العرب لها؛ وأدى ذلك إلى تحول اللغة العربية لتصبح واحدة من اللغات الافتراضية، ولكنها لم تحصل على اهتمام مشابه لما حصلت عليه اللغات العالمية الأخرى، نحو اللغة الإنجليزية التي اعتمد عليها هذا التطور الرقمي كأسس. هذا الحضور دفعنا لطرح جملة من الأسئلة والتي نروم من خلالها مشاركة المتلقي الواقع الذي تحياه اللغة العربية، لنتساءل عن مدى مقدرة اللغة العربية في المحافظة على قيمتها عند الأفراد المتأثرين بهذا التطور الرقمي؟ أتستطيع اللغة العربية الاستمرار في مواكبة كافة مخرجات هذا العصر التكنولوجي؟ وكيف لها أن تظل ضمن اللغات الأولى عالميا كما كانت قبل هذا التطور الرقمي؟

لعب الإنترنت ولا يزال دورا مهما في الطريقة التي يكتب بها الناس، بينما في الوقت الذي مانزال نستخدم الكتابة الرسمية لأغراض عديدة، فإن نلفي معظمنا الآن لديه طريقة ثانية غير رسمية للكتابة والتي يطلق عليها اللغويون "التواصل عبر المواقع الاجتماعية – الواتساب – سناب شات – الفايسبوك...".

اللغة العربية في عالم الشبكة:

إن المتتبع لطريقة اشتغال بعض مستخدمي لغة التواصل عبر هذه المواقع يجد تعاملهم مع اللغة بطريقة تختلف عن المألوف في الكتابة الرسمية، ونتيجة لذلك ظهرت لغات تواصل عبر الإنترنت في جميع أنحاء العالم وتستخدم في كتابة البريد الإلكتروني ودردشة الإنترنت وتطبيقات المحادثة الفورية وحتى الألعاب متعددة اللاعبين على الإنترنت.

ومن خلال مقال على موقع شبكة الجزيرة الإلكتروني نقرأ أن "أقل من ٥٪ من لغات العالم الحالية التي يزيد عددها على سبعة آلاف لغة تستخدم كلغات رقمية على الإنترنت وفقا لدراسة أجراها قبل سنوات عالم اللغويات الرياضي الشهير أندراس كورناي، في وقت تساعد الإنترنت على القضاء على ٩٥٪ من اللغات الحية بحسب دراسة نشرتها مجلة بلوس ون PLOSOne، وتنقرض العديد من اللغات بسبب عدم قدرتها على الدخول للمجال الرقمي ومعاناتها مع الفجوة الإلكترونية."[١]

وبالعودة إلى استعمالات اللغة العربية على الشابكة أمكننا القول إن الكتابة في مواقع التواصل الاجتماعي باللغة العربية عرف انحرافات خطيرة، تهدد مستقبل هذه اللغة في حالة لم تتضافر جهود الباحثين والمختصين في العالم العربي؛ إذ نسجل مع بداية دخول الهواتف المحمولة وانتشار الشابكة، استخدام الحروف اللاتينية في بعض الأحيان لكتابة نصوص عربية في تطبيقات التراسل نتيجة غياب لوحة

١ – عمران عبد الله، (هل تقتل شبكة الإنترنت اللغة أم تحافظ عليها؟)، تم الاطلاع يوم: ٢٠٢٣/١١/١٩ على الساعة الثانية بعد الزوال بتوقيت غرينتش https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/

المفاتيح العربية في الهواتف وأجهزة الحاسوب القديمة. هذا الأمر خلق ألفة لدى المستعمل لهذه التقنيات حتى وإن توافرت لوحة مفاتيح بالعربية. وحتى في وقتنا الراهن يجري استخدام أرقامٍ بعينها تعويضا عن بعض الحروف العربية غير المنطوقة بالإنجليزية مثل العين والغين والحاء، إذ يستخدم بدلا منها الأرقام ٣ و٤ و٧ على الترتيب. وفي السياق نفسه تستخدم بعض الكلمات الإنجليزية في التراسل الفوري بالعربية، وأصبحت كلمات مثل "أوكي" و "هاي" تكتب بالحروف العربية في المحادثات بين المتخاطبين نظرا لقصرها وسهولة إضافتها مقارنة بكتابة جملة مطولة تعبر عن المعنى نفسه.[١]

لقد شكلت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بتغلغلها في كيان المجتمع، ونفاذها إلى قلب جماعته، واختراقها الحياة الخاصة لأفراده، قدرة على التشكيل وإعادة البناء وإحداث نوع من التأثير ربما لا نتخيله. فالأدوات لم تبق مجرد أدوات، ولم تقتصر وظيفتها على تلبية الحاجات، وإنما تعدت ذلك لتصبح عاملا من العوامل التي تشكل السلوك والعادات لدى الفرد والجماعة على الشابكة.[٢]

إن التفكير بنهضة اللغة العربية رقميا من المعضلات الناتجة عن العصر التكنولوجي الحديث؛ لذلك لا يمكن إغفال المجهودات الجبارة التي تحضر بقوة في بعض المواقع الإلكترونية العربية، التي تساهم في الحضور الفعال لصورة اللغة العربية؛ بوساطة طرق تقديمها وتوفيرها محتويات رقمية باللغة العربية في مختلف المجالات الفكرية؛ وهو ما استتبع تشكل محتوى عربي يكافح من أجل تعزيز الوجود اللغوي العربي في ظل تقنيات عصر التكنولوجيا الحديثة.

خامسا. نتائج البحث:

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نحددها في الآتي:

- أن اللغة رافدٍ حضاريٍ وفكريٍ لا يمكن تجاهله بأي حال من الأحوال.
- الحديث عن الهوية العربية لا يتم بمعزل عن الحفاظ على اللغة العربية، والدفع باستمراريتها.
- غياب الإرادة السياسية لدى صانعي القرار في البلدان العربية؛ من أجل النهوض باللغة العربية ترتب عنه تهميشها.

---

١ – للتفصيل أكثر يمكن العودة للمرجع أعلاه.

٢ – **د. محمود النوبي أحمد سليمان، (**أثر شبكة الإنترنت الدولية في دراسة اللغة العربية وتلقي النص الشعري القديم خاصة) رابط الموضوع بتاريخ:١١/١٩/٢٠٢٣ على الساعة ١٣و ٥٤دقيقة بتوقيت غرينيتش.
https://www.alukah.net/spotlight/0/39209/#ixzz7JRGDSsVZ

- تأثر المجتمعات العربية بنتاج العولمة كان له وقع كبير في طريقة استعمالاها في العديد من المناسبات.
- اللغة العربية صانعة للمعرفة في مختلف العلوم.
- ضرورة انخراط المجتمع العربي والإسلامي في مجتمع المعرفة.
- اللغة العربية ركنٍ أساسٍ في تحقيق الأمن الثقافي والحضاري والفكري للأمة العربية خاصة، والأمة الإسلامية عامة.
- اللغة العربية من اللغات الصامدة التي ستبقى حاضرة في صناعة الحضارة رغم ما يمر به العالم العربي والإسلامي من انتكاسات.
- تعد اللغة العربية من أقدم اللغات التي تحتفظ بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وأدب وخيال، مع الاستطاعة في التعبيرعن مدارك العلم المختلفة.

خاتمة:

في الختام تجب الإشارة إلى أن اللغة العربية في زمن الثورة المعلومية تعيش مرحلة مفصلية دقيقة تحتاج منا بدل الجهد حتى يتسنى تحقيق حضورها الوازن كما كانت عليه في الماضي، لكن نقر في الوقت ذاته أن تحقيق هذا المسعى يتجاوز طاقة أي إنسان بمفرده مهما يكن تعمقه في فرعه من العلم، لذلك لابد للنهوض بهذه المهمة من فريق عمل وتحديد مستوى الخبرات التي يجب أن يتوافر في الأفراد المشاركين في هذا العمل. ونحن من جهتنا نؤمن بوجود أفراد يرغبون في المشاركة بمثل هكذا مشاريع قومية حضارية ترفع من شأن اللغة العربية في عصرنا الراهن، الذي ينتهي إلى إدخال الوطن العربي في الحركة العلمية العالمية، ومن ثم إخراجه مما هو فيه من اضمحلال علمي وتقني وذلك بغية الوصول إلى إضافة رافد الحضارة العربية إلى روافد الحضارة الإنسانية.

وهنا نؤكد على ضرورة انغماس هؤلاء الأفراد في ثقافة اللغة التي يريدون الاستفادة من إنتاجها العلمي، وهو انغماس يتأسس على الإتقان الحقيقي للغة العربية واللغة الأجنبية، الأمر الذي يتيح الفرص أمام انتقال الحضارة بعناصرها الايجابية عن طريق الترجمة والتعريب، مما يقتضي تبحرا في اللغة العربية التي تشكل الهيكل الحامل للعناصر المعرفية؛ إذ لابد من الرجوع إلى مقاييس اللغة عند صوغ المصطلحات ولابد من التأكيد على حسن الأداء النحوي في ترابط المعاني، كما وجب علينا الاعتماد على معطيات التقانة الحديثة لنصل إلى عمل جماعي، تتضافر الجهود فيه من أجل الإسراع في اللحاق بركب الحركة العلمية العالمية.

لائحة المصادر والمراجع:

١- أبي الفتح عثمان بن جني، (الخصائص)، دار الكتب المصرية - القسم الأدبي-، تحقيق محمد علي النجار، الجزء الأول.

٢- خليفة عبد الكريم، (عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم) مجمع اللغة العربية- دمشق -٢٠٠٣.

٣- السيد محمود أحمد، (طرائق تدريس اللغة العربية) - جامعة دمشق - سنة ١٩٨٨م.

٤- عبد الحافظ محمد سلامة، (مدخل إلى تكنولوجيا التعليم)، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، عمان، الطبعة الثانية، سنة: ١٩٩٨م.

٥- عبد الغني نعمان، (الشباب والتكنولوجيا) التجديد العربي-www.arabrenwal.com

٦- عبد المجيد الطيب عمر، (منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة - دراسة تقابلية)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة أبحاث الحرمين العالمية، الطبعة الثانية، سنة ١٤٣٧هـ.

٧- عبد المولى محمد علاء الدين، (وجهة نظر في واقع اللغة العربية) - الحوار المتمدن - عدد ١٤٧٥سنة: ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٦م، ص: ٠١Almoula 62@ hotmail.com .

٨- علي نبيل - حجازي نادية، (الفجوة الرقمية - رؤية عربية لمجتمع المعرفة - سلسلة عالم المعرفة) - الكويت، العدد ٣١٨، آب ٢٠٠٥.

٩- علي نبيل، (ثقافة اللغة - منظور عربي معلوماتي-) القاهرة، طبعة ١٩٨٨م.

١٠- عمار ساسي، (اللسان العربي وقضايا العصر- رؤية علمية في الفهم والمنهج والخصائص والتعليم والتحليل -)، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، سنة: ٢٠٠٧.

١١- **عمران عبد الله، (هل تقتل شبكة الإنترنت اللغة أم تحافظ عليها؟)، https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2019/8/14**

١٢- **محمود النوبي أحمد سليمان، (**أثر شبكة الإنترنت الدولية في دراسة اللغة العربية وتلقي النص الشعري القديم خاصة). رابط الموضوع: https://www.alukah.net/spotlight/0/39209/#ixzz7JRGDSsVZ

١٣- مرتاض عبد الملك، (التعدية اللغوية فخ جديد لتمزيق الهوية الوطنية)، مجلة العربي، عدد ٥٠٠، الكويت، ٢٠٠٠م.

١٤- معروف نايف، (خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت / لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٩٨م.

١٥- موريس لوجلي، نص دورية ليوطي، ونص دورية وليام بونتي في كتاب "الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب"، ترجمة الدكتور عبد المعطي الدغيري، سنة ١٩٩٣م.

١٦- النعواشي قاسم صالح، (اللغة مرآة الفرد والأمة - أبحاث في اللغة)، مجلة النبأ - العدد /٧ أيار٢٠٠٤م.

١٧- يوسف ظافر، (اللهجات العربية المحكية وتحديات العولمة)، المؤتمر السنوي الخامس /مجمع اللغة العربية بدمشق /اللغة العربية في عصر المعلوماتية ٢٠ - ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٦.

تصور تربوي مقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية في الحفاظ على اللغة العربية

د.آيات اسماعيل الزيدانين

تصور تربوي مقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية في الحفاظ على اللغة العربية -

د.آيات اسماعيل الزيدانين

ملخص البحث:

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم تصور تربوي مقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية في الحفاظ على اللغة العربية، حيث قامت الباحثة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي التطويري، إذ استخدمت المنهج الوصفي التحليلي من خلال الوصف الشامل وتحليل المعلومات ذات الصلة بموضوع هذه الدراسة. والمنهج التطويري من خلال تقديم تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية في الحفاظ على اللغة العربية. وقد توصلت الدراسة إلى وضع الأطر التنظيمية لتصور مقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية كمؤسسة مجتمعية تعليمية وتربوية في المحافظة على اللغة العربية من خلال تعليمها ونشرها بالاستعانة بمتطلبات تفعيل دور الجامعات الأردنية في الحفاظ اللغة العربية.

وقدمت الباحثة مجموعة من التوصيات أهمها بناء منظومة جامعية متكاملة للمحافظة على اللغة العربية من خلال تعليمها ونشرها، كما أكدت الدراسة على ضرورة تبني التصور المقترح للجامعات التي تسعى إلى الحفاظ على اللغة العربية من خلال تعليمها ونشرها.

الكلمات المفتاحية: الجامعات الأردنية، اللغة العربية

Abstract:

This study aimed to provide a vision for activating the role of Jordanian universities in achieving the Arabic language. The researcher used descriptive analytical developmental models ،where she used descriptive analytical models through comprehensive description and analysis of information related to the subject of this study.

The developmental approach is by providing ways to activate the role of Jordanian universities in the Arabic language. The study resulted in developing innovative frameworks for a model to activate the educational and pedagogical institution of Jordanian universities in preserving the Arabic language through teaching and disseminating it ،using the requirements of activating the role of Jordanian universities in the Arabic language. The researcher presented a set of recommendations ،the most important of which is building an integrated university system to preserve the Arabic language through teaching and disseminating it. The study also emphasized the necessity of adopting the proposed vision for universities that seek to preserve the Arabic language through teaching and disseminating it.

Keywords: Jordanian universities، Arabic language.

المقدمة:

يشهد العالم اليوم العديد من التقلبات والتغيرات فظهور الثورة التكنولوجية والعولمة والتطورات في مجال المعلومات والاتصالات وسائل الاتصال، عوامل أساسية تدعو إلى إبراز دور الجامعات كإحدى المؤسسات التربوية والاجتماعية؛ اذ تعتبر الجامعات من أهم المؤسسات التربوية التي تعنى باللغة العربية، والأساس في المحافظة عليها من خلال تعليمها ونشرها، والجامعة مؤسسة أكاديمية مستقلة منوطا بها العديد من الأدوار والمهام في المجتمع؛ من أجل إعداد جيل من الشباب القادر على حفظ التراث والقيم والهوية الثقافية وصيانتها ونقلها للأجيال القادمة.

ويعد التعليم الجامعي من أهم الركائز الأساسية التي تسهم في تأصيل هوية المجتمع وبلورة ملامحه في حاضره ومستقبله معا. وهو ضمان التطور السليم للأمة في مسيرتها نحو أهدافها في مختلف ميادين الحياة، وهو السبيل الأهـم في إعداد القوى البشرية المتخصصة التي تخطط لنمو المجتمعات وتقدمها. ومن هنا تظهر أهمية الجامعة كونها تتحمل جزءا كبيرا من مسؤولية حماية المجتمع من خلال ما ينبغي أن تقوم به من أدوار ومهام في صنع سياج أمني يحصن الشباب من كل فكر دخيل، ويعزز انتمائهم لدينهم وثقافتهم وأمتهم ووطنهم ولغتهم (العزيبي، ٢٠٢٢).

ويشير رسلان (٢٠١٥) إلى أن من مهام الجامعة الأساسية تكوين جيل منتمي لتراثه متمكن من مواجهة التحديات والتطورات والتغيرات قادر على التكيف والتعامل مع مجتمع ديناميكي متغير ومتقدم، وضرورة إكسابه مهارات التفكير الناقد وتحصينه من التيارات الفكرية الوافدة، وجميعها مسئوليات تقع في صميم دور الجامعة.

ومع تطور قنوات ووسائل الإعلام بشكل عام وتعدد مجالاتها واستخداماتها وتوفرها بين عامة الناس وسهول الوصول إليه، أصبح الحفاظ على دور اللغة العربية الفصحى بها عاملا صعبا لا يستهان به إطلاقا، خصوصا بعد ظهور شبكات ووسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا والتقنيات الحديثة بشكل كبير بين اهتمامات الأجيال المتتالية، فقد شكلت اللغة العامية المكسرة والمفردات الأعجمية الدخيلة حيزا كبيرا في نطاق منافذ الاستعمالات الإعلامية سواء أكانت المرئية أم المسموعة أم المقروءة، فلا ننكر هنا آن للغة العامية أهمية لدى بعد شرائح المجتمع غير المتعلمة في فهم ما تسير عليه مجريات أوضاع العالم، إلا أن ذلك الى يجب ألا يتجاوز نطاق المعقول خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تفشي استخدامها بشكل قد يسبب في تراجع مستوى النهوض بقوام اللغة العربية الفصحى التي تعد لغة رسمية في مجال الاتصالات الدولية بالعالم العربي (الإسماعيلي،٢٠١٥).

تتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات بقدرتها الفائقة على الاشتقاق وتوليد المعاني، والألفاظ، وقدرتها على التعريب، واحتواء الألفاظ من اللغات الأخرى، بجانب غزارة صياغتها، وكثرة أوزانها، وهذه السعة من الأوزان والتراكيب أكسبتها القدرة على التعبير بوضوح وسلاسة (متولي،٢٠١٠).

ومع أن اللغة مكون أساس في هوية جميع الأمم والشعوب والمجتمعات حيث إنها اللسان المعبر لها إلا أن اللغة العربية تمتاز فوق ذلك بأنها لغة الدين الإسلامي ولسانه الناطق به، لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، ولذلك فإن ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي ارتباط فهي وثيق، وهذا الارتباط بين اللغة العربية والدين الإسلامي يعطي مزيدا من الانسجام والتكامل بين الدين واللغة في تشكيل هويتنا الوطنية وبنائها البناء المتين (الحسين،٢٠٢٠).

وعلى الرغم من القدرة الفائقة التي تتميز بها اللغة العربية، إلا إنه ظهرت العديد من التحديات الداخلية والخارجية التي تقف أمامها لعل أبرزها ما يوجد في بعض المنتديات والصحف والمجلات الإلكترونية من وجود أخطاء إملائية ونحوية ولفظية يضاف إليها التعبير عن الأفكار وتداولها في كثير من المنتديات بعيدا عن اللغة العربية الفصحى باستخدام اللهجات بصفة أساسية سواء في المجالات الأدبية أو غيرها من المجالات مما يشكل عائقا أمام الأجيال في المحافظة على اللغة العربية (علي،٢٠١٤).

وإزاء ذلك، كان لابد من العمل على تفعيل دور الجامعات في المحافظة على اللغة العربية من خلال تعليمها ونشرها بين الطلبة وفي المجتمع ككل. فالجامعة مؤسسة تعليمية اوجدها المجتمع لخدمته وللحفاظ على قيمه وثقافته وهي أكبر صرح تعليمي يضم عدد طلبة؛ مما يجعل دورها أساسي في الحفاظ على اللغة العربية ومواجهة أي تحديات قد تؤدي إلى تهميشها.

وكان موضوع اللغة العربية محل دراسات عديدة، وقد رتبت هذه الدراسات تنازليا، فقد هدفت دراسة الموعد (٢٠٢٣) إلى تعرف أثر تدريس قواعد اللغة العربية باستخدام استراتيجية المنظم المتقدم في تنمية مهارات التفكير التأملي لدى طلاب الصف التاسع الأساسي في الأردن، واستخدم الباحث المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار(t)، ونتائج تحليل التباين المتعدد .(ANCOVA) وتكونت عينة الدراسة من (٤٠) طالبا موزعين بالتساوي على شعبتين أحدهما ضابطة، والأخرى تجريبية. ولتحقيق هدف الدراسة، أعد الباحث دروس لتوظيف استراتيجية المنظم المتقدم في المواقف الصفية، وأعد اختبارا في التفكير التأملي في قواعد اللغة العربية، تم التحقق من صدقه وثباته. وأظهرت النتائج أثرا دالا احصائيا في مهارات التفكير التأملي لصالح المجموعة التجريبية التي درست باستخدام استراتيجية المنظم المتقدم. وأوصت الدراسة في ضوء ذلك بضرورة اعتماد استراتيجية المنظم المتقدم في تدريس قواعد اللغة العربية.

وكما هدفت دراسة كل من كريم وجليدان (٢٠٢٣) إلى التعرف على واقع اللغة العربية في المدارس العالمية الثانوية بمدينة جدة من وجهة نظر معلميها، وارتباطه بالهوية الثقافية للطلبة من خلال ثلاثة محاور: اللغوي، الوطني، والديني. واستخدمت الدراسة المنهج المختلط، وتكونت عينتها من ٩ معلمين للمقابلة، و١٠٢ طالبا لتعبئته الاستبانة. وخلصت النتائج إلى ذكر المعلمين العديد من الإيجابيات مثل: تنوع استراتيجيات التدريس والمحتوى المتلائم مع احتياجات الطلبة، لكنهم اتفقوا على ضعف مستواهم اللغوي، وعدم تناسب مستواهم القرائي والكتابي مع مرحلتهم الصفية، أما نتائج استبانة الطلاب، فكشفت أن معظم الطلاب يدركون أهمية لغتهم الأم وميل لتعلمها، وعبروا عن حب وطنهم بشكل إيجابي، لكن نسبة كبيرة تحلم بالهجرة. وأخرى تجهل العديد من المسائل الدينية، مما يوضح أثر تهميش اللغة العربية على الهوية الثقافية لديهم. وتوصى الدراسة بإعادة النظر في الحد الأدنى لنصاب اللغة العربية في المدارس العالمية، تفعيل الرقابة عليها، وتطوير المناهج بما يتناسب مع مستوى الطلاب ويعزز دافعيتهم التعلم.

وهدفت دراسة أبو كليش وداود (٢٠٢١) إلى وضع استراتيجية مقترحة لتنمية المسئولية المجتمعية للجامعات في الحفاظ على اللغة العربية وهويتها الحضارية في ظل التحول الرقمي. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، فتناول البحث مفهوم المسؤولية المجتمعية للجامعات، وأهميتها، وأبعادها ومجالاتها، ومتطلبات تفعيلها، وكذا عرض أهمية اللغة العربية ومكانتها بين اللغات الأخرى، وعلاقتها بالهوية الإسلامية، واستكمالا للبحث تم عرض واقع اللغة العربية في العصر الحالي، وأهم التحديات المعاصرة التي تواجهها وختاما تم وضع الاستراتيجية المقترحة لتنمية المسؤولية المجتمعية للجامعات في الحفاظ على اللغة العربية وهويتها الحضارية في ظل التحول الرقمي.

وكما هدفت دراسة حدادي (٢٠٢١) إلى الكشف عن واقع الممارسات اللغوية للشباب الجامعي عبر مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيراتها على اللغة العربية، باعتبارها أحد المقومات الأساسية لهوية المجتمع العربي والجزائري، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج المسحي الوصفي على عينة من الطلبة بجامعة سطيف بلغ قوامها ١٠٠ مفردة، تم اختيارها بطريقة العينة القصدية لمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، وباستخدام أداة الاستبيان تم التوصل إلى مجموعة من النتائج، أهمها أن الدارجة بحروف عربية والدارجة الالكترونية هي أكثر اللغات استخداما عبر مواقع التواصل الاجتماعي لدى عينة الدراسة، التي تفضل استخدام الأيقونات والرموز المتوفرة على مواقع التواصل الاجتماعي لأنها تعبر عن الحالة الشعورية الآنية، وتعبر عن المعنى والشعور بشكل سريع ومختصر، وأنها تحقق الفهم رغم الاختلافات الفردية، كما أن استخدام اللغة الإلكترونية الجديدة أفضل من استخدام اللغة العربية الصرفة برأي عينة الشباب الجامعي، لأسباب تعود أكثر إلى كون أن اللغة الالكترونية الجديدة تمتلك خاصية الإيجاز، إلا أن لاستخدام اللغة الالكترونية أثر سلبي على اللغة العربية، يتمثل في كون أن هذا النوع من اللغة يقلل من قيمة اللغة

العربية ويطمس هوية الحرف العربي ويعزز من حالة ضعف الاهتمام بها. لذلك توصي الدراسة بضرورة مسايرة المجتمعات العربية للتطورات التكنولوجية، التي أتاحت العديد من الخدمات التعليمية، وتوجيهها واستثمارها في سبيل خدمة اللغة العربية وتطويرها وتحقيق عولمتها، خاصة مواقع الشبكات الاجتماعية، وغيرها من مواقع الانترنت، وهو ما يدعو إلى ضرورة تدريب وتأهيل المتعلمين والمعلمين من أجل الاستفادة من التطبيقات والتقنيات الجديدة في الحفاظ على اللغة العربية، وترسيخ الوعي المجتمعي بقدراتها وخصائصها، لمواجهة تحدياتها.

كما هدفت دراسة الضبياني (٢٠١٩ ، Al-Dhabani) إلى التعرف على دور الإعلام الجامعي في تعزيز اللغة العربية لدى الطلبة، من خلال المحاولة الجادة لتقديم خلفية نظرية عن الإعلام الجامعي وماهيته ودوره في تعزيز اللغة العربية لدى طلبة الجامعة. ولتحقيق ذلك اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي الكيفي كونه الأنسب لمثل هذه الدراسات، كما اعتمد الباحث على الملاحظة كأداة لجمع المعلومات وتنظيمها بهدف تفسيرها ومقارنتها والحكم عليها. وفي ضوء ذلك توصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات أهمها: يدعو الإعلام الجامعي باعتباره مستوى متقدم من مستويات الإعلام التربوي، إلى إتقان اللغة العربية والحفاظ عليها. بالإضافة إلى أن الإعلام الجامعي يهدف إلى تعزيز مكانتها في نفوس الطلبة والاعتزاز بها وافساح المجال للدفاع عنها. وكما أن الإعلام الجامعي يسهم في تعزيز اللغة العربية ونشر الوعي اللغوي واللغة العربية الفصحى لدى الطلبة بهدف الارتقاء بالعامية لديهم. وأن الصحافة الجامعية بأنواعها، والمسرح الجامعي والإذاعة التعليمية تعد من أهم وسائل الإعلام الجامعي التي تسهم في تنمية المهارات اللغوية لدى الطلبة وزيادة الثروة اللغوية والفكرية لديهم، وكما أنه يمكن للإعلام الجامعي بوسائله المختلفة أن يكون بمثابة الـ مدرس التطبيقي في التعامل مع اللغة العربية، توظيفا، ونطقا، وإبداعا، وإحياءٍ أو تجديدا.

التعقيب على الدراسات السابقة: من خلال استعراض الدراسات السابقة ذات العلاقة في موضوع الدراسة الحالية ومتغيراتها يتضح أن هناك تنوع في المواضيع والأهداف والمنهج المتبع والنتائج التي تم الوصول إليها، بتنوع الجوانب التي عالجتها كل دراسة من الدراسات السابقة، وكذلك يتضح الاهتمام من الناحية النظرية وضعف التطبيق من الناحية العملية.

أما أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة لقد شكلت هذه الدراسات مصدرا رئيسا لكثير من المعلومات المهمة، التي تم الاسترشاد بها في الدراسة الحالية من حيث اختيارها وتحديد مشكلتها ومنهجيتها والإجراءات الملاءمة لتحقيق أهدافها هذا بالإضافة إلى أن تلك الدراسات وجهت الباحثة نحو العديد من

البحوث والدراسات، ومكنتها من تكوين تصور شامل عن الأطر النظرية التي ينبغي أن تشملها الدراسة الحالية.

واختلفت الدراسة الحالية بحداثتها. وتميزت هذه الدراسة بسعيها لتقديم تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية في الحفاظ على اللغة العربية.

مشكلة الدراسة:

أن المتابع لواقع الجامعات الأردنية يلاحظ أنه يوجد هنالك تهميش للغة العربية خاصة في المجالات تدريس المواد العلمية، وأصبح الاهتمام باللغات الأجنبية في عملية التدريس أكثر من الاهتمام باللغة العربية، وهذا يعد ضياعا للهوية العربية التي ينتمي إليها الطلبة داخل الجامعات، وهذا لا يعني عدم الانفتاح وتعلم اللغات الأخرى، بل ينبغي ألا يكون الاهتمام باللغات الأخرى على حساب اللغة العربية، هذا وتواجه اللغة العربية اليوم العديد من الأخطار التي تتفاقم بازدياد، تأتي هذه الأخطار من هيمنة النظام العالمي ووسائله، إذ فرضت العولمة سياقا ثقافيا واحدا وتحارب التعددية الثقافية والمتمثلة بالجانب اللغوي ونظرا لهذه للتغيرات التي فرضتها التكنولوجية الحديثة والعولمة، فلا بد من العمل على إيجاد آفاق جديدة، واستراتيجيات حديثة ووضع الخطط واستشراف المستقبل، ولن يتم ذلك إلا من خلال تفعيل دور الجامعات في حماية اللغة العربية والمحافظة عليها من خلال تعليمها ونشرها. لذلك تأتي هذه الدراسة بغية تقديم تصور تربوي مقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية للحفاظ على اللغة العربية. وفي ضوء ما تقدم يمكن بلورة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما التصور التربوي المقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية للحفاظ على اللغة العربية؟

والذي ينبثق منه الاسئلة الآتية:

١. ما مفهوم اللغة العربية؟ وما أهم التحديات التي تواجهها؟
٢. ما دور الجامعات للحفاظ على اللغة العربية في ضوء أدبيات التربية؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية للحفاظ على اللغة العربية من خلال:

١. التعرف إلى مفهوم اللغة العربية وأهم التحديات التي تواجهها اللغة العربية.

٢. الوقوف على أهم أدوار الجامعات للحفاظ على اللغة العربية في ضوء أدبيات التربية.

أهمية الدراسة:

١. يؤمل أن تستفيد من هذه الدراسة وزارة التعليم العالي والقائمين على رسم السياسات، بما تقدمه من تصور يوضح مسارات تفعيل دور الجامعات للحفاظ على اللغة العربية، مما يشكل أنموذجا علميا استرشاديا لنجاح عملية تفعيل دور الجامعات الأردنية في ضوء إمكاناتها وظروفها.

٢. تعزيز الوعي لدى المسؤولين والقادات التربوية وأعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات الأردنية بالأهمية العظمى للمحافظة على الجانب الثقافي بما في ذلك اللغة العربية، من خلال التصدي للتحديات التي تواجهها ووضع الخطط الاستراتيجية للجامعات على المدى البعيد تتمثل في المحافظة على اللغة العربية وهويتها الحضاري.

٣. قد توفر آفاق علمية وبحثية لباحثين آخرين للخوض في مثل هذا المجال سعيا لإحداث التطور المنشود وإضافة معرفة جديدة للفكر التربوي والبحث العلمي.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج التحليلي التطويري، إذ استخدمت المنهج التحليلي من خلال الوصف الشامل للظاهرة وتحليل المعلومات ذات الصلة بموضوع الدراسة واستخدمت أيضا المنهج التطويري بتقديم تصور مناسب وخطة تنفيذية كاملة لتفعيل دور الجامعات للحفاظ على اللغة العربية من خلال تعليمها ونشرها؛ مما يشكل أنموذجا عمليا استرشاديا لنجاح عملية تفعيل دور الجامعات الأردنية للحفاظ على اللغة العربية من المخاطر التي قد تواجهها.

مصطلحات الدراسة:

- **الحفاظ على اللغة العربية إجرائيا:** مواجهة كافة التحديات والظواهر الثقافية التي يفرضها الواقع على المجتمع العربي، ويمثل وجود خطرا يهدد كيان اللغة العربية، مما يفرض على الجهات المختصة أدوارا لمواجهتها.

- **الجامعة:** "تلك المنظمة التي تحتوي عددا من المعاهد التعليمية العليا ويكون لديها غالبا كلية للفنون الحرة واثنتان أو أكثر من المدارس أو الكليات المهنية وتقدم برنامجا للدراسات العليا وتكون قادرة على منح الدرجات العلمية في مختلف المجالات الدراسية" (الزيود،٢٠٠٦، 120).

الإطار النظري:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للغة العربية وأهم التحديات التي تواجهها.

أولاً: مفهوم اللغة العربية

تعد اللغة العربية من أهم اللغات العالمية في العاصر الحالي؛ لما تتمتع به من جذور وماض عريق، فهي مفتاح لشخصية الأنسان العربي، وجوهر هويته، وهي اللغة التي نزل بهال القرآن الكريم، وتكفل الله سبحانه وتعالى بحفظها. قال تعالى﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ (يوسف،٢). وقال سبحانه وتعالى: ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر،٢٨).

تعددت مفاهيم اللغة؛ فلم يقتصر مفهومها في المعاجم اللغوية فحسب، بل عرفها علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم؛ لأن اللغة مرتبطة بشكل أو بآخر بكافة العلوم الأخرى، وتعني كلمة اللغة كما وردت في القواميس العربية ومنها لسان العرب لابن منظور بمعنى " اللسن وهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وهي فعلة من لغوت أي تكلمت، وفي التهذيب: لغا فلان عن الصواب وعن الطريق إذا مال عنه" (ابن منظور، ١٩٧٠، ٤٠٥٠).

أما في معجم الوسيط (مجمع اللغة العربية،٨٣٠) فوردت في نفس المعنى على أنها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، جمعها لغي، ولغات، ويقال: سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم، وورد للغة أيضا تعريفات في معاجم أخرى كمعجم المعاني، إذ ورد معنى اللغة وجمعها لغى ولغات، واللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ويقال: سمعت لغاتهم: أي سمعت اختلاف كلامهم.

وأوضح محمود (٢٠١٧) بأن اللغة هي القلب النابض، والمكون الرئيسي في تعبير الفرد عن ذاته ونقل الحضارات والعلوم المختلفة بين الشعوب، وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية. وقد تموت اللغة لموت من يتحدثون بها، أو هجرها أو بسبب هيمنة لغة أخرى عليها، وتعد المؤسسات التعليمية اليوم من أهم الصروح للحفاظ على لغة شعب ما، أو التحول عنها لصالح لغة أخرى.

وقد عرف مكتبي (١٩٩١،١٣) اللغة " بأنها كائن حي يعيش مع الإنسان و يخضع لمختلف مظاهر التطور التي يمر بها الانسان في بيئته الاجتماعية، فأي تغيير أو تطور يطرأ على حياة ذلك الكائن البشري يجب ان ينعكس على لغته التي لا تنفصل عنه لحظة من الزمن" .

وأوضحت أبو كليش و داود (٢٠٢١) إن اللغة هي أداة التفاهم والتواصل بين الأفراد والمجتمع، وهي وعاء الفكر، ولا يمكن للمسلمين أن يستعيدوا هويتهم الإسلامية وانتماءهم القرآني إلا باستعادة مقومات هويتهم الحضارية، ومن بين هذه المقومات اللغة العربية حيث إن اللغة قد تزدهر وتتبوأ مكانة رفيعة، بازدهار أمتها وقوة بأسها ورفعتها، فاللغة تقوى بقوة أبنائها وتضعف بضعفهم، وعلى مر العصور لولا أن القرآن الكريم حفظ اللغة العربية في الصدور وعلى الألسنة لعصف بها ما عصف بغيرها من اللغات الأخرى التي تراجعت مكانتها بتراجع مكانة أهلها، وهذا ما امتازت به اللغة العربية عن سائر اللغات، فهي اللغة التي نزل بها القران الكريم، إضافة إلى كونها لغة العلم والمعرفة والحضارة والتاريخ والتفاهم والتواصل والإعلام، وكونها تشكل ذاكرة الأمة وملامح ثقافتها التراثية والمعاصرة والمستقبلية.

وأضاف الخداوية (٢٠١٢) بأن أول علامات الوجود لأي أمة هي لغتها، فعندما تضيع لغة أمة تضيع حقيقتها، وبالتالي قدرتها على الوجود.

أما في الحديث عن مفهوم اللغة العربية فقد ذكر يونوس (٢٠١٦) أن اللغة العربية هي واحدة من اللغات السامية المعروفة بل وأقدمها، وهي الوحيدة من بينهم التي قدر لها أن تحفظ على مر العصور، وهي اللغة التي نزل بهال القرآن الكريم، بسبب حفظ الله عز وجل للقرآن الكريم، فهي اللغة الوحيدة التي تربط المجتمع بالدين وهذا هو سر خلودها، فاللغة العربية والدين الإسلامي متلازمان ولا يمكن الفصل بينهما. وأنه مع انتشار الإسلام والحضارة الإسلامية في شتى بقاع الأرض انتقلت اللغة العربية إلى العالمية، فأصبحت أحد اللغات الخمس الرسمية في هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الرسمية، وهي اللغة الأولى لـ١٨ دولة عربية، كما يلم بها نحو ٢٠٠ مليون مسلم من غير العرب إلى جانب لغتهم الأصلية.

وكما أضاف عفيفي (٢٠٠٦) أن اللغة العربية إحدى اللغات السامية، تلك اللغات التي امتازت من بين سائر لغات البشر بوفرة كلماتها واطراد القياس في أبنيتها وتنوع أساليبها، وعذوبة منطقها، ووضوح مخارج حروفها، كما أن اللغة العربية هي بمثابة ركن أساسي من أركان الشخصية العربية، ويحق للعرب الفخر والاعتزاز بها، فهي لغة القرآن الكريم، وهي لغة أهل الجنة.

إن كل أمة تدافع عن لغتها وتصونها وهو حق واجب لها فكيف إذا كانت هذه اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظها، ولسان هذا الدين الإسلامي الحنيف. ولو لم يكن

حرصنا على حماية اللغة العربية والدفاع عنها والإعلاء من شأنها إلا كونها لغتنا القومية ولساننا الذي نعبر به، وهويتنا التي نفخر بها لكان ذلك كافيا لبذل الجهود الحثيثة في سبيل الحفاظ عليها وصيانتها والدفاع عنها فإن كل الدول تحرص بقوة على تجنيد كل الوسائل للحفاظ على لغتها الوطنية من أي تأثيرات ضارة والدفاع عنها في مواجهة تأثير اللغات الأخرى" (خليل، ٢٠١٣، ١٥٩).

ثانياً: التحديات التي تواجه اللغة العربية

إن المتابع لتاريخ اللغة العربية يلاحظ بأنها واجهت العديد من التحديات عبر تاريخها الطويل منذ الجاهلية وحتى يومنا هذا، وبذل العرب جهودا جبارة لمواجهة هذه التحديات، وقد زادت هذه التحديات مع ظهور العولمة وتطور والوسائل التكنولوجية وظهور المؤسسات التعليمية التي تركز على تدريس اللغات الأجنبية.

على الرغم من الخصائص التي تنفرد بها اللغة العربية عن غيرها من اللغات والتي تتمثل في أنه أن الله سبحانه وتعالى تكلم بها وانزل بها كتابه العظيم، وهي لغة الدين الإسلامي ولسانه الناطق به، وعلاوة على رسوخها وثباتها عبر القرون إلا انها تواجه العديد من التحديات الداخلية والخارجية حيث تتمثل هذه التحديات بظهور العولمة الثقافية وانعكاساتها على اللغة العربية، واعتماد اللغات الاجنبية داخل مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي، والدعوة إلى هجر اللغة العربية لفصحى التي هي لغة القران الكريم بدعوى صعوبتها واستبدالها بالعامية وشيوعها في وسائل الاعلام المختلفة علاوة على هيمنتها على الحياة الاجتماعية. ومن هذه التحديات أيضا:

أولا: **عدم وجود هيئة لغوية موحدة في الوطن العربي للقيام بتعريب المصطلحات العلمية:** حيث أن زيادة سرعة التطور العلمي اليوم قد أدى إلى الضغط على اللغة العربية، في صعوبة استيعاب هذه المصطلحات العلمية الجديدة بنفس السرعة، إذ تقدر بخمسين مصطلحا يوميا، ومما زاد الأمر تعقيدا هو عدم وجود هيئة لغوية واحدة في الوطن العربي للقيام بهذه المهمة (العزري، ٢٠١٨).

ثانيا: **انتشار المدارس العالمية في أنظمة التعليم العربي:** إذ أدى انتشار المدارس الأجنبية والعالمية، التي بدورها تقلص من نفوذ وانتشار اللغة العربية بين أبناء جلدتها، إلى تفاقم المشكلة واتساع الفجوة بين اللغة العربية والتطور العلمي زايد (٢٠١١). وهو ما يوضح لنا أن اللغة هي أهم العناصر المتأثرة تأثيرا مباشرا بعولمة التعليم، وبالتغيرات التي تحدث في المؤسسات التعليمية.

ثالثا: ظهور العولمة: أكد الضبيب (٢٠٠١) أن اللغة العربية تواجه تحديات شرسة من قوى العولمة المختلفة، المتمثلة في المصالح المادية الناجمة عن الاتصال بالأجنبي والتأثر الإعلامي القائم على الصخب والضجيج والتبشير باللغة الإنجليزية على أنها اللغة العالمية التي هي لغة البشر. وكما أكد رمضان (٢٠١٥) بأنه في ظل العولمة ازداد ما تتعرض له اللغة العربية من محاولات تذويبها والقضاء عليها، حتي صار الشباب يتفاخر بتناقل الألفاظ والمصطلحات بلغة أجنبية، وصارت أسماء المحال التجارية تكتب باللغات الأجنبية، وغيرها من السلوكيات التي تنبئ بخطورة الأمر خاصة في ظل الانفتاح الإعلامي والثورة الهائلة في علم الاتصالات، ولكن ستبقي اللغة العربية ما بقي القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه.

إن الخطر المؤثر على اللغة العربية في ظلال العولمة يأتي من تهميشها تدريجيا الصعد مع الزمن لصالح الإنجليزية، على أن الأخيرة هي لغة عمل وتواصل على جميع بدءا بالنشر العلمي وتبادل الخبرات التقنية (التكنولوجية) مرورا بالتعليم العالي والتجارة والصناعة وغيرها، وصولا إلى التعليم الأساسي، وهذا يعني ضمور اللغة العربية واستخدامها في مجالات تقليدية محددة، وقد يزداد دور اللهجات العامية في تأثيرها على الفصيحة فتغدو لغات مستقلة عن بعضها، وقد تنضم العربية إلى اللغات الأخرى المهمشة على الرغم من أنها لغة العقيدة والحضارة والعراقة والأصالة(حدا،٢٠١٩). وأضافت الكسواني (٢٠١١) أن العولمة هي من أهم التحديات التي تواجه اللغة العربية والتي تعني سرعة تدفق اللغة الأقوى التي تملك مقومات القوة والهيمنة والسيطرة على اللغات الأخرى، خصوصا لغات الأمم التي تعاني من مخلفات عهود الاستعمار وتواصل بذل الجهود للتحرر من قيودها، والتي تخضع لضغوط شتى. ولو حاولنا معرفة تأثير العولمة على اللغة العربية قد نذهل بالنتائج، فنجد الانتشار الرهيب لبعض الكلمات الأجنبية على حساب اللغة العربية والأدهى من تلك انتشار الأسماء الأجنبية على واجهات المحلات التجارية كما أننا نلاحظ أن اللغة العربية يجرى إزاحتها من الحياة اليومية للغة الإنجليزية سواء في الكلام أو وسائل الإعلام بل حتى في لغة التعليم، وفي مجال التوظيف يفضل المتقن للغة الأجنبية، وقد نتج عن ذلك شيوع الكثير من المظاهر الغريبة سواء من ناحية الملابس أو الأكل أو السلع الاستهلاكية.

أما الضبيب (٢٠٠٦) فقد قسم التحديات التي تواجه اللغة العربية إلى قسمين، القسم الأول: وهو التحديات الداخلية وهي نابعة من المجتمع العربي وتتمثل في طغيان اللهجات العامية في مختلف أقطار الوطن العربي واستخدامها في مختلف الميادين، بالإضافة إلى البيت، الشارع، المدرسة، العمل فهي تكاد تستوي على مكان العربية الفصحى، وكذلك من أبرز التحديات نجد أن التعليم الذي يمثل العامل الأساسي في نمو وتطور كل فرد، فالمدرسة تمثل بداية حياة اللغة ولكن إذا كانت هذه البداية سيئة فإن كل ما يأتي بعدها سيكون دون المستوى، ولا ننسى الإعلام وما له من أهمية في المجتمع في وقتنا الحاضر فقد أصبح الإعلام بأنواعه مرئيا أو مكتوبا أو مسموعا يؤثر تأثيرا كبيرا على اللغة العربية. أما القسم الثاني: هو التحديات

الخارجية وتتمثل في العولمة والغزو الفكري الوافد إلينا من الأمم الأخرى، وهذا من أكبر التحديات لانها تتجاوز المجالات التجارية إلى مجالات أخرى تتأثر بالإقتصاد ومنها القضايا الاجتماعية والثقافية واللغوية وهي بدورها تروج للغات الأجنبية التي تكتسح الخصوصيات اللسانية واللغوية اكتساحا جارفا لتشكل بذلك خطرا محدقا بالهويات الوطنية.

المبحث الثاني: أهم أدوار الجامعات في تعليم ونشر اللغة العربية في ضوء أدبيات التربية:

للجامعات دور مهم في الدعوة إلى المحافظة على اللغة العربية من خلال تعليمها للطلبة ونشرها بمختلف الوسائل التكنولوجية الحديثة، وحفظها من اي تحديات قد تواجهها، وأن من أهم الغايات لتعليم ونشر اللغة العربية في الجامعات هو المحافظة على ثقافة الأمة العربية الإسلامية فاللغة العربية هي الجزء الأهم من ثقافة الأمة وهي لغة القران الكريم؛ فإذا اردنا أنا نحافظ على لغتنا وثقافتنا لا بد من إبراز دور وجهود الجامعات فهي الأقدر على مواجهة التحديات؛ وذلك لأنه تعد أكبر صرح تعليمي في المجتمع والمنوط بها حفظ اللغة العربية وعلومها.

وفي السياق ذاته تؤكد أبو كليش وداود (٢٠٢١) بأن الجامعات تمثل مظلة المجتمع وروحه، وأن العلاقة بينها وبين المجتمعات علاقة وثيقة وعميقة توثر كل منها في الأخرى وتتأثر به، ولعل ما يميز الجامعة عن باقي المؤسسات التعليمية أنها تتربع على هرم النظام التعليمي للمجتمع تلك المكانة التي تعكس أهميتها في تنمية المجتمع وتلبية احتياجاته المعرفية والثقافية والأكاديمية وهذا ما يمكن وصفه كمسؤولية مجتمعية للجامعات، فالجامعات ليست لتخريج الطلاب والمساهمة في بناء المستقبل فقط، بل لها دور أكبر من ذلك وهو تطوير المجتمعات والمحافظة على هويتها الذاتية والحضارية وقيمها وعاداتها، فلا يمكن للجامعات أن تقوم بدورها على أكمل وجه دون التنبه إلى أهمية التفاعل بينها والمجتمع المحيط بها، وبالتالي أصبح من أولويات الجامعات المساهمة في الحفاظ على اللغة العربية وهويتها الحضارية.

ولتقوم الجامعات بالدور المنوط بها بكل فاعلية واقتدار، عليها التطلع إلى المستقبل واستشرافه، والعمل على إصلاح السياسات التعليمية التي تتبعها الجامعة داخل الحرم الجامعي وخارجه، وربطها بسياسة الإصلاح الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، والعمل على توفير الخبرات والكوادر والكفاءات المتخصصة، وهذا يعمل على تحويل دور الجامعة من الدور التقليدي إلى دور أكثر تأثيرا في المجالات المختلفة (الأشقر، ٢٠٠٣).

هذا ويقع على عاتق الجامعة في سبيلها للمحافظة على اللغة العربية من خلال تعليمها ونشرها

القيام بإعادة النظر في رؤاها وأهدافها وبرامجها بما يحقق أهدافها المرحلية الجديدة، فالجامعات في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يمكنها من تأدية أدوارها المنوطة في التغير المجتمعي دون أن تتبنى

استراتيجيات تحقق بها دور التفاعل الحقيقي بين الفرد ومجتمعه، وقد أكد ذلك العديد من الباحثين والخبراء الذين وجدوا علاقة وطيدة بين التعليم الجامعي والتقدم والريادة المجتمعية وإحداث التغير التي من شأنها أن توقد روح الابداع والابتكار وتغذي وتوجه المهارات المختلفة لدى الطلبة، الأمر الذي سيشكل بالنتيجة مخرجات تعليمية قادرة على حفظ اللغة العربية من اي تحديات داخلية أو خارجية.

وانطلاقا من دور الجامعة كمؤسسة تعليمية أوجدها المجتمع لتنميته والحفاظ على هويته وثقافته، حددت الجارف (٢٠١٨) أهم الأدوار التي تضطلع بها الجامعة للحفاظ على اللغة العربية وهي كالتالي:

- وضع سياسة لغوية تفرض استخدام اللغة العربية داخل الجامعات ومتابعة تنفيذه، كما تفعل دول العالم الأخرى؛ إذ يتخذ مجلس الدوما الروسي، وأكاديمية اللغة الفرنسة، وأكاديمية اللغة الاسبانية قرارات تدعم استخدام اللغة القومية والحفاظ عليها.
- أن يتبنى اتحاد الجامعات العربية عقد مؤتمر لوزراء التربية العرب ورؤساء الجامعات في العالم العربي، لوضع خطة مشتركة لتعميم وتفعيل اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم الجامعي في الدول العربية.
- الاهتمام بالترجمة والتعريب وذلك من خلال وضع خطة طويلة الأمد لترجمة الكتب والأبحاث المتخصصة في الطب والهندسة والعلوم والتقنية إلى العربية تحدد فيها قائمة بالكتب المطلوب ترجمتها، والعمل على ربط مراكز الأبحاث والترجمة بالجامعات العربية بشبكة على الإنترنت. وإنشاء قاعدة معلومات للمترجمين والكتب المترجمة ومؤتمرات التعريب في العالم العربي، بالإضافة إلى تحديث المعاجم المتخصصة (ثنائية) اللغة ووضعها في موقع واحد على الإنترنت خاصة المعاجم ذات التخصص الواحد. وتحفيز أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا على الترجمة والتأليف وكتابة الرسائل باللغة العربية وتعريب المصطلحات.
- مشاركة جميع الجامعات في العالم العربي في إثراء المحتوى العربي، لأن رفع مكانة اللغة العربية بين اللغات لأنها مسؤولية قومية، تقع على عاتق الدولة والمجتمع ومؤسساته والفرد.
- أن تعمل الجامعات على إقامة فعاليات للاحتفاء باللغة العربية، وتوسيع مشاركتها في اليوم العالمي للغة الأم، ونوادي اللغة العربية والترجمة والتعريب واللسانيات العربية.

- التوعية بالمخاطر التي تواجهها اللغة العربية في وسائل الإعلام الجامعي.
- التوسع في إنشاء جمعيات حماية اللغة العربية والتعريب واللسانيات العربية والمعجمية العربية بالجامعات.
- تطوير التعليم الجامعي من حيث المادة العلمية والمناهج وطرق التدريس والمهارات واستخدام التقنيات الحديثة خاصة في البرامج التي تدرس بالعربية.
- التقليل من انتشار فروع الجامعات الأجنبية في الدول العربية بوضع ضوابط صارمة كما تفعل الدول الأخرى أقله أن يكون للجامعة الأجنبية موقع عربي، وأن تدرس مثلا نصف المقررات المتخصصة باللغة العربية.

ومن خلال العرض السابق يتضح بأنه لا يجب على الجامعة أن ترفد طلبتها بالعلم والمعرفة فقط بل عليها ان تحدث فيهم روح التمسك والمحافظة على هويتهم وثقافتهم ولغتهم العربية، من خلال رفدهم بالقيم الإسلامية والمثل العليا والمقاييس السلوكية للمجتمع الذي ينتمون إليه واخلاق الفاضلة أيضا. وذلك من خلال عمليات التوعية والتنوير التي تضطلع بها الجامعة ازاء المجتمع. ومثل هذه العمليات يمكن ان تزرع عندهم القيم الايجابية اتجاه لغتهم وتحارب القيم الدخيلة والمتمثلة بالعولمة. وهنا يمكن ان تؤدي الجامعة الدور الكبير في بناء الانسان النموذج القائد المحافظ على هويته الثقافية المنتمي لمجتمعه القادر على مواجهة أي تحديات قد تؤدي غلى تهميش اللغة العربية.

المبحث الثالث: التصور التربوي المقترح لتفعيل دور الجامعات الأردنية للحفاظ على اللغة العربية:

لا بد من تصور يتمثل بشمولية المحافظة على اللغة العربية وحمايتها من التهميش والتحديات الداخلية والخارجية التي تتعرض له، من خلال تفعيل دور الجامعات الأردنية والدور الذي يمارسه كل من أصحاب القرار داخل الجامعة وأعضاء هيئة التدريس والقادة الأكاديميين في الجامعات من خلال قدرتهم على اتخاذ القرارات ووضع الخطط والبرامج، بالإضافة إلى قدرتهم على التأثير على الطلبة بحكم سلطتهم وخبرتهم التي يتمتعون بها؛ لذا جاء هذا التصور الذي تم بناءه من قبل الباحثة من خلال مراجعة الأدب النظري والدراسات السابقة التي تناول المفاهيم المتعلقة بالدراسة والقيام بتحليلها والتعرف على كافة الجوانب المتعلقة بها؛ لتوجيه الجامعة بأهمية دورها في الحفاظ على اللغة العربية، للخروج بتصور علمي يؤمل الأخذ به من قبل الجامعة، إذا يتطلب تفعيل دور الجامعات الأردنية للحفاظ على اللغة العربية مجموعة من المتطلبات الأساسية والتي تتمثل فيما يلي:

- نشر وتعليم اللغة العربية بين القيادات الجامعية وأعضاء بيئة التدريس والعاملين والطلبة.
- وضع خطة استراتيجية فيما يخص الحفاظ على اللغة العربية وترجمتها إلى خطط وبرامج ومشروعات.
- تشكيل وحدة إدارية تختص بمتابعة الأنشطة المعنية بالحفاظ على اللغة العربية على مستوى الجامعة.
- بناء نظام واضح للحفاظ على اللغة العربية يمكن من خلاله تقويم أداء الجامعات لدورها تجاه الحفاظ على اللغة العربية ومكانتها.
- تقديم الجامعة مجموعة من الحوافز والتسهيلات لأعضاء الهيئة التدريسية المساهمين في الارتقاء بدور الجامعة في الحفاظ على اللغة العربية ومكانتها.
- تدعيم الشراكة ما بين الجامعة والمؤسسات التعليمية الأخرى لتوسيع مجال الحفاظ على اللغة العربية.
- البحث عن مصادر تمويل جديدة وثابتة لدعم أنشطة الحفاظ على اللغة العربية.
- رفع الوعي بأهمية الحفاظ على اللغة العربية وتعزيز مكانتها وربطها بالمهام الأولية للجامعة.

فلسفة التصور المقترح:

تنبع فلسفة التصور المقترح من:

- تحسين صورة الجامعة في المجتمع من خلال دمجها بالمجتمع وقضاياه.
- المساهمة في حيوية الجامعة على المدى البعيد بتعزيز دورها في الحفاظ على اللغة العربية وتعزيز مكانتها والوقوف أمام التحديات التي تؤدي إلى تهميشها.
- الاهتمام بالمسؤولية الثقافية والاجتماعية والدينية للجامعات كوسائل وقائية لتجنب التحديات التي تواجه اللغة العربية.
- الجامعة جزء لا يتجزأ من المجتمع الأردني فهي أكبر صرح تعليمي لذا يقع عليها دور كبير في تحقيق أهداف المجتمع.
- الاستثمار في العلاقة بين الجامعة والمجتمع والمؤسسات التعليمية الأخرى.

أهداف التصور المقترح

١. الخروج بمقترحات وحلول لتفعيل دور الجامعة في الحفاظ على اللغة العربية من خلال نشرها وتعليمها ومواجهة التحديات التي تتعرض لها.

٢. زيادة الوعي لدى الموارد البشرية في الجامعات بأهمية الحفاظ على اللغة العربية.

٣. تضمين المناهج الدراسية المتطلبات التي تساعد في الحفاظ على اللغة العربية.

٤. توجيه الرسائل والدراسات واطروحات الدكتوراة، نحو البحث في تطوير إداء الجامعة للحفاظ على اللغة العربية.

٥. تبني التكنولوجيا الحديثة وخاصة في ظل التطور التكنولوجي الهائل وذلك من خلال عقد الندوات واللقاءات والمؤتمرات التي تنمي الهوية الثقافية وتساعد في الحفاظ على اللغة العربية من خلال تعليمها ونشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الإلكترونية.

٦. عقد الشراكات بين الجامعات ومؤسسات المجتمع المحلي؛ لعقد الدورات وورشات العمل والمؤتمرات المتعلقة بالحفاظ على اللغة العربية.

المبادئ الأساسية للتصور المقترح

يقوم التصور المقترح على مجموعة من المبادئ الأساسية، وهي:

- زيادة معارف ومهارات الطلبة حول مفهوم اللغة العربية ومكانتها في المجتمع الإسلامي؛ بهدف مواجهة التحديات التي تواجه اللغة العربية.
- الوصول بالجامعات إلى تحقيق الميزة التنافسية بالاعتماد على زيادة القدرات الإبداعية في الجامعة.
- التوسع في الأنشطة والندوات والدورات والمؤتمرات، التي تنمي مكانة اللغة العربية والهوية الثقافية لدى الطلبة واعضاء الهيئة التدريسية.
- توسيع نطاق استخدام اللغة العربية لتشمل جميع المستويات التعليمية.

عناصر التصور المقترح:

إن تفعيل دور الجامعات للحفاظ على اللغة العربية، هو مسؤولية كل فرد ينتمي إليها من إدارات وقيادات وهيئات تدريسية وطلبة وكذلك العاملين فيها وتحت لوائها. فيما يلي عدة عناصر يمكن من خلالها الحفاظ على اللغة العربية داخل الجامعات ومنها:

أولا: إدارة الجامعة

تعتبر إدارة الجامعة الوسيط المنظم الذي يساعد على تنمية الجانب الثقافي واللغوي لدى الطلبة، بحيث تقوم بتنميته مما تجعل منه فردا منتميا لثقافة مجتمعه ولغته، لذا يتضح دور إدارة الجامعة في تفعيل دور الطلبة وحثهم على المشاركة في الحفاظ على اللغة العربية من خلال ما يلي:

١. الإعلان عن برامج وانشطة شبابية وذلك من خلال توظيف الإعلام الجامعي لخدمة اللغة العربية وتطويرها، وجعلها لغة التداول والحوار.

٢. مد جسور التعاون بين الجامعة والمؤسسات التعليمية ومجمع اللغة العربية بغية تحقيق الاستفادة المتبادلة في الحفاظ على اللغة العربية.

٣. توفير الإمكانات المالية والمادية والبشرية لتعزيز مفهوم اللغة العربية وتفعيل دورها في الحفاظ على اللغة العربية.

٤. أن تتيح إدارة الجامعة الفرص لمقابلة أعضاء المجتمع المهتمين بالحفاظ على اللغة العربية مع المجتمع المحلي.

ثانيا: أعضاء الهيئة التدريسية

يعتبر أعضاء الهيئة التدريسية عنصر بشري اساسي لنجاح عمل الجامعة وتحقيق أداء متميز لها، فلم يعد مناسبا أن يقوم عضو هيئة التدريس بدور الملقن للمعلومات أو المقدم لها بل لابد من استخدام طرق أخرى مثل العصف الذهني والمناقشة، فتفعيل دور الجامعة في مشاركة الطلبة في الحفاظ على اللغة العربية يتطلب أن يكون عضو هيئة التدريس يسعى للحفاظ على الهوية الثقافية وناطقا للغة العربية الفصحى داخل قاعات التدريسية، فهو من سيسعى جاهدا إلى تنمية الهوية الثقافية لدى طلبته؛ وذلك من خلال:

١. تشجيع الطلبة لتنفيذ الأبحاث العلمية اللغوية والإبداع والابتكار كجزء من مهامهم الأكاديمية وأنشطتهم اللامنهجية.
٢. تشجيع الطلبة على تطبيق المهارات الحوارية والاستماع والمناقشة والنقد الإيجابي باستخدام اللغة العربية الفصحى بشكل صحيح داخل القاعات التدريسية.
٣. أن يقدم أعضاء الهيئة التدريسية في كليات الآداب دورات وندوات وورش عمل بالكليات المختلفة داخل الجامعات تؤكد على أهمية الحفاظ على اللغة العربية.
٤. عرض مجموعة من النماذج والتجارب العالمية لمحاورات شعرية ومناظرات مسجلة عن اللقاءات العلمية.
٥. تكوين الوعي الكامل لديهم بأهمية الحفاظ على اللغة العربية ومخاطر تهميشها.

ثالثا: الأنشطة الجامعية:

تعد الأنشطة الجامعية من العناصر الفعالة التي تساعد على انجاح التصور المقترح لتفعيل دور الجامعات في الحفاظ على اللغة العربية ، إذ أن الأنشطة الجامعية أكثر تفضيلا لدى الطلبة لكونها أنشطة لاصفية وغير إلزامية، وللأنشطة الجامعية التي يمارسها الطلبة داخل الجامعة، مكانة كبيرة في تنمية العديد من الجوانب التي لا يتسع وقت لتعليمها وإنجازها، وخاصة تلك الجوانب التي تتطلب المناقشة والحوار والعمل الجماعي، ويتمثل دور الأنشطة بما يلي:

١. تنمية الاتجاهات السلوكية للطلبة من خلال الحرية المنظمة التي تتيح لهم ممارسة الأنشطة المختلفة على نحو ينمي فيهم الإبداع والابتكار اللغوي.
٢. إقامة المنتديات والنوادي الطلابية والمسابقات الثقافية في الكتابة الإبداعية الشعرية والقصصية والمقالات والخاطرة الأدبية.
٣. أحياء المناسبات والفعاليات التي لها علاقة باللغة العربية كالاحتفال باليوم العالمي للغة العربية.
٤. تشجيع الطلبة من خلال الأنشطة الجامعية على صيانة الهوية الثقافية العربية الإسلامية وحثهم على الحفاظ على اللغة العربية.
٥. عقد المؤتمرات وندوات ولقاءات لمناقشة التحديات التي تواجه اللغة العربية والخروج منها بحلول للقضاء على هذه التحديات.

رابعا: الطلبة

إن الحفاظ على اللغة العربية يتطلب أن يكون لدى الطالب والوعي والإدراك بأهمية الحفاظ على اللغة العربية وأن يمتلك المهارات الأساسية اللازمة للتصدي للتحديات التي تواجه اللغة العربية وذلك يتطلب منه أن يقوم بما يلي:

١. توظيف المعرفة التي اكتسبها لإبراز دوره من خلال مشاركته في الحفاظ على اللغة العربية.
٢. تطبيق ما حصله من مفاهيم علمية وأنشطة في الحياة العامة.
٣. يعمل على تنمية نفسه ثقافيا، وذلك من خلال مشاركته في الأنشطة والندوات التي تشجع الطلبة على إبراز دورهم في الحفاظ على اللغة العربية.
٤. يتحاور مع الآخرين ويتبادل الرأي معهم ويحترم آرائهم ويشجع زملائه على المشاركة في الأنشطة التي تعزز من مكانة اللغة العربية.

الإجراءات التنفيذية للتصور المقترح: يعتمد التصور المقترح على مجموعة من الإجراءات اللازمة لتفعيل دور الجامعة في الحفاظ على اللغة العربية والتي يمكن توضيحها في الجدول الآتي:

الجدول (١). الإجراءات التنفيذية للتصور المقترح

المجال	إجراءات التنفيذ
١.تفعيل الأسس الإدارية للحفاظ على اللغة العربية	١. إعطاء طلبة الجامعات المزيد من الحرية في إبداء الرأي وطرح الأفكار ومناقشتها واحترام وجهات نظر الطلبة وتقبلها على مستوى الجامعة ككل. ٢. العمل على وضع خطة استراتيجية لمعالجة التحديات التي تحد من مشاركة الطلبة في الأنشطة الجامعية المعنية في الحفاظ على اللغة العربية. ٣. تعزيز الاتصال الإيجابي والتفاعل والحوار بين الجامعة والجامعات الأخرى على المستوى المحلي والمستوى الإقليمي والمستوى العالمي بما يخدم اللغة العربية. ٤. إنشاء مركز تدريبية تقوم بعمل دورات لطلبة الجامعات وأن يكون هذا المركز متخصص في نشر وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. ٥.تبادل الخبرات والدراسات حول القضايا التي تهم بالحفاظ على اللغة العربية على المستوى الإقليمي والمستوى العالمي والاستفادة من التجارب العالمية الأخرى.

٢. تفعيل العناصر البشرية داخل الجامعات	١. تشجيع أعضاء هيئة التدريس والطلبة على إجراء دراسات حول حفظ الهوية الثقافية واللغة العربية والعمل على الاستفادة من التجارب الأخرى وتوظيفها في الميدان التربوي، وإعلام الآخرين بنتائج هذه الدراسات. ٢. قيام الهيئة التدريسية داخل الجامعة بتوعية الطلبة بأهمية دورهم في الحفاظ على اللغة العربية. ٣. تشجيع أعضاء هيئة التدريس والطلبة على طرح وتقديم أفكارهم ومقترحاتهم من أجل الحفاظ على اللغة العربية وتعزيز مكانتها؛ وذلك من خلال قيام الهيئة الإدارية بتنظيم لقاءات دورية وعمل مجموعة من المناظرات المفتوحة على مستوى الجامعة. ٤. تشجيع الطلبة داخل الجامعة على الالتحاق بالدورات التدريبية التي يتم تنظيمها على مستوى الجامعة فيما يتعلق بمجال الحفاظ على اللغة العربية
٣.تفعيل البيئة الداخلية للجامعات	١.توظيف المرافق الجامعية لخدمة بعض فعاليات الأنشطة الثقافية، ودعوة الطلبة للانضمام لهذه الانشطة. ٢.إعداد برنامج لتبادل الزيارات الميدانية مع الجامعات الأخرى بين أعضاء هيئة التدريس والطلبة للاستفادة من التجارب الناجحة والأفكار الإبداعية في الحفاظ على اللغة العربية. ٣.إقامة حفل سنوي لإبراز الجهود الطلبية على مستوى الجامعة، والاحتفال باليوم العالمي للغة العربية من خلال عقد المؤتمرات والندوات، وتوظيف الإعلام الجامعي للإعلان عن هذه الانشطة. ٤.قيام وسائل الإعلام الجامعي المختلفة بعقد حلقات مناقشة بشأن التحديات التي تواجه اللغة العربية. ٥.الانفتاح على تجارب البيئات الجامعية العالمية الأخرى التي نجحت في الحفاظ على لغتها، ونقل تجاربها مع مراعاة الخصوصية الثقافية لكل مجتمع.

٤.تطوير التنظيم الجامعي والتعليمي	١.تأصيل مبدأ المشاركة في الحياة الجامعية، وحث منتسبي الجامعة على المشاركة في الأنشطة الجامعية المعنية بحفظ اللغة العربية والهوية الثقافية. ٢. قيام وزارة التعليم العالي بإصدار نشرة شهرية تعنى بنشر وإبراز الخبرات المتميزة للجامعات في الحفاظ على اللغة العربية. ٣. العمل على إزالة الصعوبات والتحديات التي تعوق عملية الحفاظ على اللغة العربية، أو على الأقل التخفيف من حدتها. ٤. تعاون القطاع التعليمي للجامعة مع أجهزة الإعلام لعقد لقاءات مع هيئات تدريسية، للوقوف على أهمية تعزيز مكانة اللغة العربية داخل الجامعات، وإفادة الجامعات الأخرى منها.

مرحلة المتابعة والمراقبة:

تتضمن هذه المرحلة مراقبة أداء الخطط التنفيذية للمشاريع، ومتابعة كفاءة إداء الخطط وذلك من خلال وضع مؤشرات الأداء لكافة الأهداف التشغيلية ضمن الخطة الاستراتيجية، وتحديد نواتج المستهدف لكل مؤشر من مؤشرات الأداء لمقارنتها مع كافة النتائج، وتحديد فجوات الاداء.

النتائج المتوقعة:

١. الاسهام في تفعيل دور الجامعات في الحفاظ على اللغة العربية من خلال نشرها وتعليمها.
٢. الحفاظ على اللغة العربية ومكانتها وزيادة القدرة على الحد من التحديات الداخلية والخارجية التي تهدد اللغة العربية.
٣. زيادة الترابط بين الجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى والمجتمع ككل من خلال الحفاظ على اللغة العربية.

التحديات المتوقعة التي ستواجه تنفيذ التصور:

١. انتشار الكثير من الأفكار العدائية للغة العربية وللدين الاسلامي عبر الكثير من مواقع التواصل الاجتماعي، والتي لها الدور الكبير في تشوش أفكارالطلبة، وتشجع على استخدام المصطلحات الأجنبية في الحياة العامة.

٢. انتشار الأمية العقائدية والثقافية بين معظم الطلبة، والجهل بالتحديات التي تواجهه اللغة العربية.

٣. انشغال أعضاء هيئة التدريس بتنفيذ الخطة الدراسية في مواعيدها المحددة قد يحد من فرصة مناقشة ومحاورة الطلبة ومشاركتهم في الأنشطة التي تعزز من مكانة اللغة العربية.

٤. الموارد المالية المتاحة التي قد تحد من تطبيق الأنشطة والفعاليات التي تزيد من مشاركة الطلبة في الأنشطة التي تعزز مكانة اللغة العربية.

٥. رغبة بعض الطلبة في استخدام المصطلحات الأجنبية في الحياة العامة.

٦. عدم تعاون الجامعات العربية مع البرامج التي تقوم الجامعة بتنفيذها بهدف الحفاظ على اللغة العربية والحد من التحديات التي تواجهها.

سبل التغلب على التحديات المتوقعة التي ستواجه تنفيذ التصور المقترح:

١. التوعية المستمرة لأعضاء هيئة التدريس من جهة وللطلبة من جهة أخرى بأهمية الحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيز مكانة اللغة العربية وانعكاسه على المجتمع الإسلامي ككل.

٢. توفير المخصصات المالية اللازمة لتنفيذ البرامج والأنشطة التي تسهم بزيادة وعي الطلبة وإبراز دورهم بأهمية الحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيز مكانة اللغة العربية.

٣. تنمية ثقة الطلبة بأنفسهم وإبراز دورهم ومكانتهم في الحفاظ على اللغة العربية من قبل أعضاء هيئة التدريس وإدارة الجامعة.

٤. إعداد برامج لتبادل الزيارات الميدانية مع الجامعات الأخرى بين أعضاء هيئة التدريس والطلبة للاستفادة من الافكار الإبداعية في عملية الحفاظ على اللغة العربية في المجتمع الإسلامي.

٥. إنشاء وحدات ذات طابع خاص داخل الجامعة تهتم بعقد المؤتمرات والدورات التدريبية والندوات للطلبة، والتي تستهدف توعيتهم بالتحديات التي تواجه اللغة العربية ووضع الحلول للتعامل معها.

٦. التنسيق ما بين الجامعة ومؤسسات التعليمية الأخرى، لإبراز مكانة اللغة العربية ويجب العمل على توجيه طاقات الطلبة توجها ثقافيا إسلاميا، واستثمار طاقاتهم في العملية التعليمية.

التوصيات:

١. تبني الجامعات الأردنية للتصور المقترح لها للحفاظ على اللغة العربية.

٢. تبني الجامعات الأردنية لاستراتيجية تهدف إلى الحفاظ على اللغة العربية ومواجهة التحديات التي قد تهمش اللغة العربية، من خلال تطوير أساليب التدريس، بما تشمله من مناهج وأنشطة، وتوظيف الإعلام الجامعي، وتشجيع الطلبة على الالتحاق بدورات تدريبية التي يتم تنظيمها على مستوى الجامعة فيما يتعلق بمجال الحفاظ على اللغة العربية والقضايا المتعلقة بالهوية الثقافية.

٣. زيادة الوعي بأهمية الحفاظ على اللغة العربية من قبل القيادات داخل الجامعة وأعضاء هيئة التدريس، وموظفي الجامعة من جهة، وبين الطلبة من جهة أخرى.

٤. أن تقوم الجامعات الأردنية بتعزيز مفهوم الحفاظ على اللغة العربية لدى طلبتها، من خلال تشجيع الطلبة على الالتحاق بالدورات التدريبية التي يتم تنظيمها على مستوى الجامعة والاستفادة من التجارب العالمية الأخرى فيما يتعلق بموضوع الحفاظ على اللغة العربية.

٥. العمل على استثمار وسائل الإعلام الجامعي، والتي هي من أهم الوسائل المستخدمة من قبل فئة الشباب؛ لتوجيه الشباب نحو الحفاظ على اللغة العربية والتمسك بالهوية الثقافية، بالإضافة إلى توجيههم من خلال هذه الوسائل إلى دورهم في حفظ اللغة العربية.

الخاتمة:

يتضح مما سبق بأن العالم العربي اليوم يعيش في تطور تقني وثقافي وتكنولوجي متجدد ومستمر، وهذا الأمر يمثل تحديا كبيرا أمام الهوية الثقافية العربية، كون أن هذه التطورات تحمل في ثناياها الجانب الإيجابي والسلبي، علاوة على ظهور العولمة والتي أدت إلى إزالة الحواجز بين الدول وتحويل العالم إلى قرية صغيرة، ومن هنا تبرز أهمية المؤسسات التعليمية وعلى رأسها الجامعات في بناء الفرد القادر على مواجهة كافة التحديات الثقافية والاجتماعية والفكرية، لذا كان لا بد من بناء تصور تربوي للتصدي لمثل هذه التحديات، في نهاية هذا البحث تأمل الباحثة بأن يسهم هذا التصور المقترح في تفعيل دور الجامعات في الحفاظ على اللغة العربية وهويتها الحضارية في ظل التحول الرقمي، كما تقترح الباحثة بتشجيع الباحثين والدارسين على إجراء المزيد من البحوث والدراسات حول دور الجامعات في النهوض باللغة

العربية وبيان دور كل من المؤسسات التعليمية والدولية والاقليمية ومنظمات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية في الحفاظ على اللغة العربية.

المراجع:

١. **القران الكريم**

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٧٠)، **معجم لسان العرب**، المجلد الأول، بيروت، لبنان، دار أحياء التراث العربي.

٣. أبو كليش، وداد وداود، السيد(٢٠٢١)، المسؤولية المجتمعية للجامعات في الحفاظ على اللغة العربية وهويتها الحضارية في ظل التحول الرقمي: استراتيجية مقترحة، **المجلة العلمية للعلوم التربوية والصحة النفسية**، ٣(٤)،١١٠-١٤٩.

٤. الاسماعيلي، محمد (٢٠١٥)، **لغة الضاد وأهميتها للإعلام العربي المعاصر**، مقال منشور في صحيفة البيان الإماراتية، مؤسسة دبي للإعلام.

٥. الأشقر، أشرف علي (٢٠١٥)، **أسس تربوية مقترحة لتنمية رأس المال الفكري لدى المعلمين بناء على متطلبات التنمية المستدامة**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

٦. الجارف، ريما(٢٠١٨)، مظاهر تهميش مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي للغة العربية، **مجلة الدراسات العربية الأوراسية**،٢ (١)، ٢٢-٩٣.

٧. حدا، ريمة (٢٠١٩)، التحديات التي تواجه اللغة العربية بدولة الجزائر في ظل تكنولوجيا المعلومات، **مجلة الناطقين بغير اللغة العربية**،٢(٣)،٥٥-٧٠.

٨. حدادي، وليدة (٢٠٢١)، تأثير استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على اللغة العربية لدى الشباب الجامعي، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، ١٤(١)،١٣٣٨-١٣٨٠.

٩. الحسين، فهد (٢٠٢٠)، دور الأسرة في العناية باللغة العربية لأفرادها تعزيزا لهويتهم الوطنية في ضوء آراء خبراء التربية الإسلامية في الجامعات السعودية، **مجلة كلية التربية ببنها**، ١٢٤(٥)،١٤٣-١٧٦.

١٠. الخداوية، زيدي(٢٠١٢)، اللغة العربية وترسيخ الهوية الوطنية في ظل التعدد اللغوي، **مجلة الممارسات اللغوية**، ١٥(٢)٣٣-٤١.

١١. خليل،عبد الرحيم (٢٠١٣)، الحفاظ على الهوية الوطنية في ظل التحديات المعاصرة في المملكة العربية السعودية: دراسة ميدانية، **مجلة كلية التجارية للبحوث العلمية**،٩(٥٤)،١٣٧-١٧٣.

١٢. رسلان، هيام حسين (٢٠١٥)، **تصور مقترح لدور جامعة الأزهر في تنمية ثقافة الحوار لدى طلابها**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر.

١٣. رمضان، محمد(٢٠١٥)، دور الجامعة في الحفاظ على الهوية الثقافية لطلابها في ضوء بعض الم تغيرات المعاصر، **مجلة بحوث التربية النوعية**،٣٧(٢)،١٦٤-١٨٧.

١٤. زايد، أمير(٢٠١١)، **التعليم وأبعاد الهوية الثقافية اللغة نموذجا**، مؤتمر ثورة ٢٥يناير ومستقبل التعليم في مصر٢٥-٢٦/ يناير ٢٠١١، جامعة القاهرة، مصر.

١٥. الزيود، ماجد (٢٠٠٦)، **الشباب والقيم في عالم متغير**، عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١٦. الضبياني، عامر(٢٠١٩)، **الإعلام الجامعي ودوره في تعزيز اللغة العربية لدى الطلبة**، المؤتمر الدولي الثامن للغة العربية، ١١-١٣ابريل ٢٠١٩، دبي، الامارات العربية المتحدة.

١٧. الضبيب، أحمد (٢٠٠١)، **اللغة العربية في عصر العولمة**، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.

١٨. الضبيب، أحمد(٢٠٠٦)، **اللغة العربية في عصر العولمة**، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، السع ودية.

١٩. عفيفي، اعتماد (٢٠٠٦)، الصعوبات اللغوية وطرق علاجها في تعليم العربية للناطقين بغيرها "دراسة تحليلية في ضوء المصادر اللغوية والتربوية"، **مجلة كلية التربية**، جامعة الأزهر، ١٢٩(٢)،

٢٠. العزري، عيسى (٢٠١٨)، أسباب تراجع اللغة العربية في الاستعمال وسبل مواجهتها، **مجلة الاستواء**،٧(٣)، ٢٣٧-٢٣٥.

٢١. العزيبي، ليلى(٢٠٢٢)، **تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات الليبية في مواجهة الانحراف الفكري المجتمعي في ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية**، المؤتمر العلمي الدولي المحكم الاتجاهات المعاصرة في ضوء تحقيقي الأمن المجتمعي في ضوء المقاصد الشرعية والتربوية، جامعة عمان العربية، دار الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.

٢٢. علي، عواطف حسن(٢٠١٤)، اللغة العربية في عصر الرقمنة: المشكلات والحلول، **مجلة كلية التربية**،٦ (٨)، ١٦٦ - ١٨٤.

٢٣. الكسواني، ناهد(٢٠١١)، **اللغة العربية والعولمة**، جامعة النجاح الوطنية تم الدخول إلى الموقع الا لكتروني ٢٢/١٠/٢٠٢٣ الساعة ٨ صباحا https://repository.najah.edu/server/a /pi/core/bitstreams

٢٤. كريم، منى وجليدان، أروى (٢٠٢٣)، **واقع اللغة العربية في المدارس العالمية وأثرها في الهوية الثقافية لطلاب المرحلة الثانوية في مدينة جدة**، مؤتمر الإبداع في التعليم والقيادة التربوية - جامعة دار الحكمة ٢٠-٢١ مايو ٢٠٢٣.

٢٥. متولي، ناريمان اسماعيل (٢٠١٠)،**اللغة العربية بين الانتماء والهوية والتحديات المستقبلية في عصر الرقمنة**،المؤتمر الحادي والعشرين: المكتبة الرقمية العربية، لبنان.

٢٦. محمود، أيسهم (٢٠١٧)، تعزيز الهوية الثقافية العربية في مدارس التعليم الأجنبي، دراسة ميدانية، **مجلة العلوم التربوية**،٢٥(٤)،٤٦ -١٢٣.

٢٧. معجم المعاني الجامع، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/٢٧

٢٨. https: rwww.almaany.com/ar/dict/a/

٢٩. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، تعريف وشرح ومعنى اللغة،830.

٣٠. مكتبي، نذير(١٩٩١)،**الفصحى في مواجهة التحديات**، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، بي روت، لبنان.

٣١. الموعد، عامر (٢٠٢٣)،**أثر تدريس قواعد اللغة العربية باستخدام استراتيجية المنظم المتقدم في تنمية مهارات التفكير التأملي لدى طلاب الصف التاسع الأساسي في الأردن**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق.

٣٢. يونس، محمد (٢٠١٦)، خصائص اللغة العربية ومشكلاتها، **مجلة التعليم**، ٢(٢)، ٧٩-٩١.

خصائص اللغة العربية وخصوصية العصر الرقمي الآلي

دكتورة زينب لوت

أستاذة جامعية بالمدرسة العليا للأساتذة مستغانم- الجزائر

zineblo@yahoo.fr

مقدمة:

اللغة العربية من اللغات السامية التي تعنى بالواقع الإنساني وبارتباطه العقائدي نحو الحضارة والدين والقيم الفكرية التي تركتها الكتب التراثية العريقة، من خلال الشعوب خلف عصور حملت كنوز البيان والتبيين وأسرار اللغة والبلاغة، فالإنسان مرتبط باللغة كارتباطه الوجودي نحو المنطق والفلسفة والتواصل العلمي المعرفي.

إن الكينونة اللغوية حاملٍ لا يندثر خلف تلك المدونات الهائلة للمعاجم العربية والبلاغة والأصول النحوية، غير أننا نعيش تراجع الألسن العربية على المستوى الإفريقي، بالقدر ذاته الذي نرى الجهود متضافرة في تعليمها واتساعها وتوسعها، في المجالات التواصلية والمعلوماتية وانتشارها الإفريقي يمنح أفقا حميدا من جهة، حيث لعب الانفتاح على حفظ القرآن الكريم قدرة على اكتساب مهارات النطق السليم بمخارج الأصوات والتجويد.

تهتم الشعوب عبر العالم باللغات التي تنتمي إلى أجناسها، رغم اضمحلال الكثير منها أمام هيمنة اللغات الأجنبية (الإنجليزية الفرنسية الألمانية الاسبانية) الأكثر شيوعا، التي تتسارع في فتح الدورات السريعة للتعلم وترسيخ كيانها وثقافتها؛ لكن تتقدم اللغة العربية أمامها حضاريا نشأة ونشؤا، وتتشكل قدرتها الإعجازية في القرآن الكريم الذي يحمي حِصونها، حيث يستعين أهل الخبرة على توظيف اللغة العربية لما لها من مكانة تاريخية وجذور ضاربة في الأصول الإنسانية، بتحفيز مجالات تعلمها وتطوير سُبل التعليم والتأصيل في المجالات المناسبة والهادفة، لذلك تترسب داخل العقل الإفريقي العريق، حتى تؤمن لوجودها التواصلي وبلوغ تأثيل منابعها التي تضج بالترادف وسحر المجاز ولذة التراكيب.

المحاور البحثية:

١- مكانة اللّغة العربية بين اللغات:

اللغة منطق الفكر والفكر تصور لغوي، يحمل أفق التفكير الإنساني التعبيري والصوري، الحديث عن اللغة العربية يحمل الكثير من الأبعاد التاريخية والحضارية، تمتد في مراحل زمنية عرفت الحروف ثم التنقيط والحركة والصوت والايقاع، لتبرز جودة تعابيرها وبيانها وبلاغتها، كما تميزت في العصر الجاهلي بالتاج الذي يرتديه الشاعر البليغ والحكيم واتسمت الأقوال بين الأقوام بالفصاحة وحسن التدبير والتسيير، "**نشأت اللغة العربية الفصيحة في شمالي الجزيرة العربية، ويرجع أصلها إلى العربية الشمالية القديمة التي كان يتكلم بيها العدنانيون، وهي لغة تختلف في كثير من مكوناتها وأساليبها وأصواتها عن العربية الجنوبية القديمة، التي نشأة في جنوبي الجزيرة وعرفت قديما باللغة الحميرية، وكان يتكلم بها القحطانيون**"(١) منابتها شريفة نقية ومرجعيتها قويمة يكفي أن يكون القرآن الكريم عربيا مبين.

ترسخ وجود اللغة العربية منذ أكثر من خمسة عشر قرنا، لم تندثر مثل باقي اللغات أو تتغير، متصلة بالفكر الحضاري للعرب وحلقة عبور بين الأمم، ذات هوية وأصول كما تميزت بالكثافة في مفرداتها ومرادفاتها التي تنتشر بالآلاف وكذلك تختلف تراكيب الجمل في نفس السياق والمعنى، تعدد الدال لدلالة واحدة مثل قولنا في كلمة (خبير): "عارف , عِلامة , نِحرير ، ثِقة , حِبر , طويل الباع , عالم , علامة , عميد , عِمدة , عماد , قريع , قطب , نقيب , نِحرير , واسع الاطِّلاع."؛ إن قولنا في اللغة العربية مقارنة بباقي اللغات يستمد جماليات عديدة كالإيجاز والمرونة وهي لغة الوحي والإيحاء، اشتهرت المعلقات التي تشهد سحرها وبيانها والرحلات الخيالية كرسالة الغفران (لأبي العلاء المعري) ومنامات الوهراني للشيخ (ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني)، وأدب جليل بالغ التأثير على الآداب العالمية تنوعا ونوعية، ما يجعلها تتميز بالكثير وتترتب بالمرتبة الثالثة انتشارا بين اللغات عالميا.

٢- التّراكيب والدلالة في اللّغة العربية:

تتنوع التراكيب في اللغة العربية في الدلالة الواحدة وتتصل بمحورية الجملة التواصلية لتؤدي رسالة تتعدد فيها الخطابات اللغوية، لكن تتوقف حسب مستويات الفهم وحدود المرسل إليه، في تكوين المعرفة اللغوية وخصوصية اللغة ذاتها من حيث الإمكانات وسعة المركبات "**لكل لغة منطقها الخاص،**

(١) – عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، (بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه) إشراف: بكري أحمد حاج، جامعة ام درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا اللغة العربية، قسم الدراسات النحوية واللغوية، (١٤٣١ هـ- ٢٠١٠م)، ص.٣٤.

يراعيه المتكلم بها ويستمسك به في كلامه، لأنه شرط الفهم والإفهام بين الناس في البيئة اللغوية الواحدة"[1] تقدير التراكيب يترتب حسب مستوى الاستعمال التقديري في النحو تقدير التراكيب يترتب حسب مستوى الاستعمال التقديري في النحو والصرف والاستعمال التواصلي والمجازي، كما يختلف

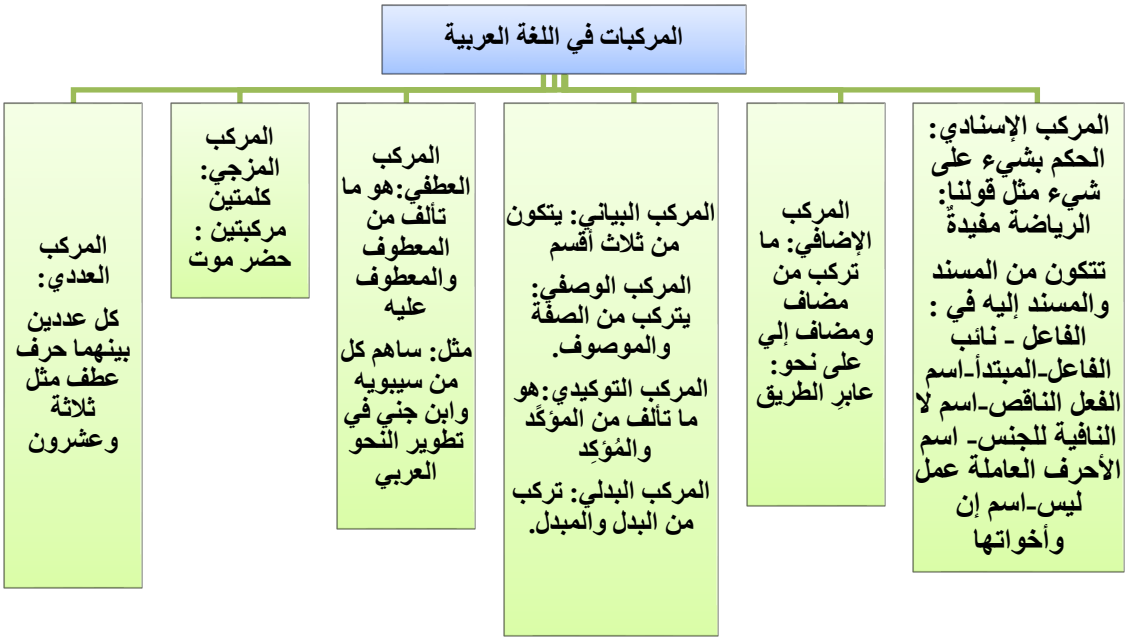

التركيب في سلم الخطاب ومقامه باختلاف أنواع المركبات:

تتأسس الجملة من روابط تركيبية بين العناصر اللغوية من أجل تحقيق الإنجاز الكلامي وتختلف أقسامه حسب الإسناد كما هو موضح في المخطط:

(١) -إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة أنجلوا المصرية، القاهرة مصر، ط/٣، ١٩٦٦، ص.١٢٣.

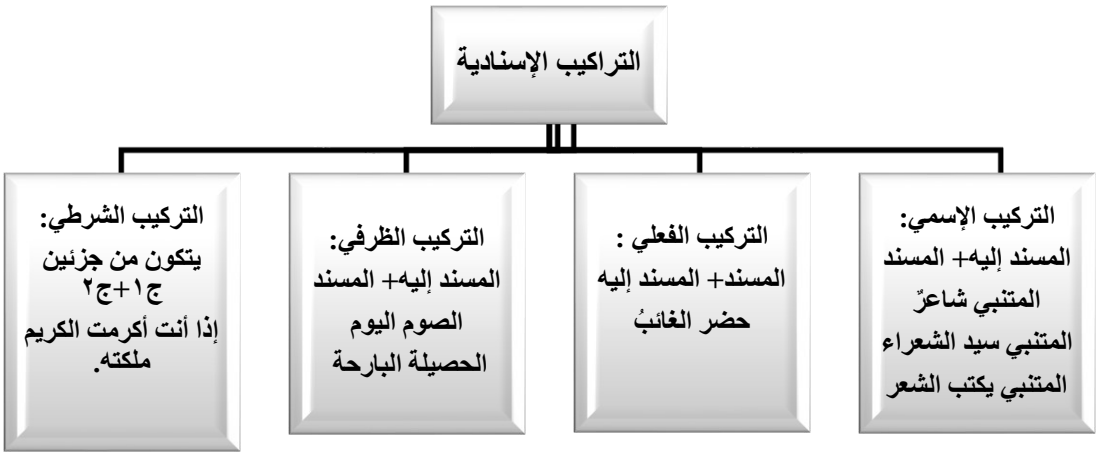

تساهم التراكيب في خلق مجالات للمعاني المدركة والمتاحة، كما تنجز عبر نظامها التركيبي مادة خصبة للتعلم الناجع والتأقلم مع مركباتها تصنيفا وتقديرا للمعاني في الكلام، علما أن النظام المعرفي هو أساس الإدراك المتزن.

٣- **الحلول والبدائل في تعلم اللغة العربية:**

تعلم اللغة العربية مرتبط بالناطقين بها وبغيرها من حيث الاستعمال وكيفية الأداء، كما يختلف التعليم من غاية لأخرى، تمارس قدرتها حسب تطلعات المتلقين ولكن يمكن اختزال هذه الحلول لتحقيق ممارسة إيديولوجية في التفكير اللغوي وفق مقايس عالمية أهمها:

١. حوسبة اللغة العربية في جميع المجالات العلمية والتقنية والاشتغال على قاموس لغوي في التواصل يحضر الاستعمال الهجين للغة.
٢. تقديم استراتيجيات تعليمية ترقى للتعلم السريع لألفاظ اللغة العربية لما لها من مقاربات اشتقاقية تساهم في توسيع الاستعمال وتسهيل وظيفتها مثل (الجلوس- جلس- مجلس -جلسة -...) هذه المقاربات الصوتية والكتابية تمنح سلاسة تحقيق الجوانب التعليمية الحديثة للغات.
٣. الاشتغال على دورات تعليمية للغة العربية من طرف محترفين في طرائق تقديم هذه المساقات باختزال المعارف وتكثيف التعلم.
٤. تعزيز نشر المخطوطات والكتب التراثية والمقالات بطريقة مركزة ومنظمة ومكثفة الجهود والاهتمام الدقيق بالتفاصيل التاريخية والحقائق بمرجعيات علمية حصينة.
٥. ترجمة المصطلحات العلمية في جميع التخصصات باللغة العربية.

٦.تنظيم مؤتمرات علمية ليس في تأريخ اللغة بل تعزيز الجهود العلمية في تأصيل ذاكرة لغوية عربية.

٧.تقديم الرؤية العملية في تجسيد مستويات منتظمة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتطوير مستمر لهذه الجهود عبر المسابقات العلمية التي تعنى باللغة العربية ودرجة استجابة البحوث في تطويرها ومنح القدرة الفعلية لذلك.

٨.استعمال الحكايات العربية وما تحمل من تشويق ومتعة، كوسيلة تعليمية تنقل الحركة والانتباه والإدراك. والمشاهد في اللغة وهي عملية تعتمد على التوصيف، تسهل النطق

٣-١- حوسبة اللغة العربية:

أضحت حوسبة اللغة العربية تنتهج معرفة حديثة بالآلة والتكنولوجيا المعلوماتية لإدماج الخبرة بالعلوم اللغوية **"لعلٍ أهمها: اللسانيات الحاسوبية (Computational Linguistics-CL) ومعالجة اللغات الطبيعية (Natural Language Processing-NLP) وتقنيات اللغات الطبيعية (الإنسانية) (Human Language Technologies-HLT) ومع تعدد هذه المسميات وتفاوت أساليب دراستها بين اللغوين والحاسوبيين، إلا أنها تدور جميعا في دائرة واحدة، هي دائرة ذلك العلم الذي توجه من خلاله أنظمة الحاسوب إلى فهم لغة الإنسان ومحاكاة الذكاء البشري"**[(١)]. تواجه اللغة العربية تحديات هائلة في عصر الرقمنة لابد أن تخوض غمارها، حيث تنتج العولمة عالما من التصورات الآلية للمعلوماتية والحوار الحضاري نحو أفق تجديد الثقافة الإنسانية من المحلية للعالمية، بانفتاح اللغة عبر ثقافتها الإنسانية ولعل اللغة العربية لها امتداد حضاري عريق الأصول والفصول.

(١) - محسن رشوان، المعتز بالله السعيد، مقدمة في حوسبة اللغة، مركز الملك عبد الله عبد العزيز الدولي، The arabic language المملكة العربية السعودية، الرياض، ٢٠١٩، ص.١٧.

(مخطط محاور حوسبة اللغة):(١)[١]

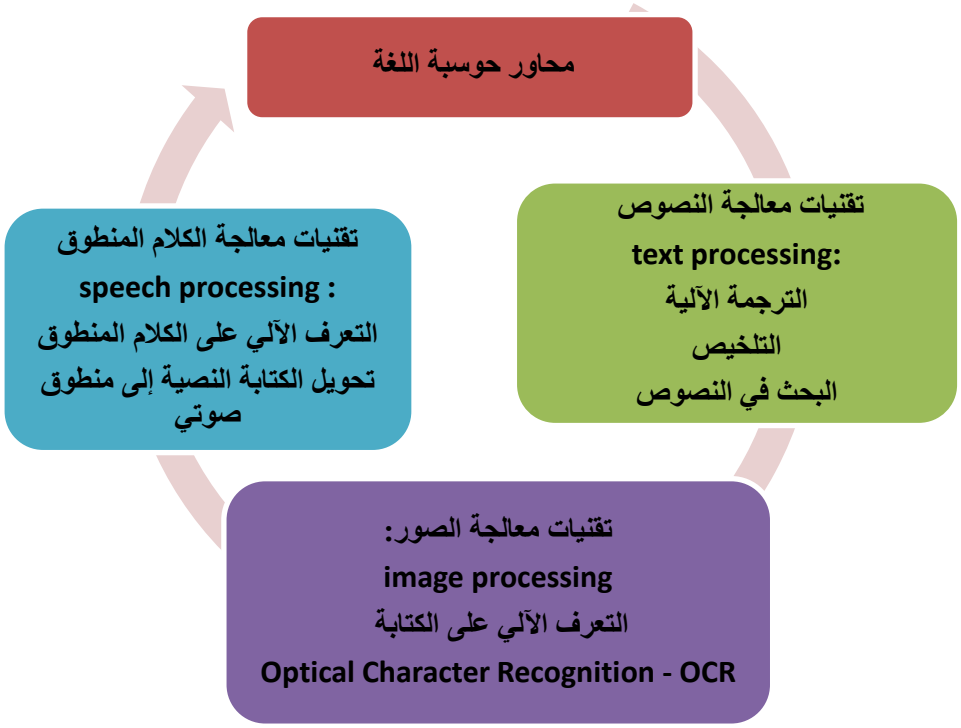

٣-٢- التوظيف الصرفي الآلي:

يحمل مضمون الصرف في اللغة العربية أهمية كبيرة، تساهم بهندسة مجموع البرامج الآلية وتوظيف العناصر الأساسية من خلال الألفاظ وتكوينها التركيبي الذي يمنح أكبر قدر من الاستعمال

" ويتم في هذه الدرجة تحليل الكلمة إلى عناصرها الأساسية (السابق والجذع واللاحق)، ووفقا لطبيعة اللغة الاشتقاقية يوجد للكلمة العربية-عادة أكثر من احتمال، إلا اننا نستطيع اختيار الاحتمال الأكثر مناسبة من خلال السياق " [٢] وتستخدم منهجية الإحصاء في انتقاء الكلمة المناسبة لتراكيب الكلام ومعانيه الوصفية للجملة، مقاربة دقيقة تترجم مدى قدرة اللغة في تكوين نماذج آلية ووظيفية داخل المكون الدلالي.

هناك أهمية لتحليل الصرفي في تحديد الوظيفة النحوية مثل اسم الفاعل (جالس) من الفعل (جلس) ويمكن أن يكون صفة أو فاعلا أو مفعولا به.

(١) - المرجع نفسه، ص.١٧.

(٢) المرجع نفسه،،ص.١٩.

يمثل الصوت القدرة الكلامية في أداء الملفوظات على المستويات النحوية والصرفية ولعل غنى اللغة العربية مولد لسمات متعددة من الألفاظ القابلة للاستعمال "**وينعكس كذلك التأثير الصرفي للسمات الإعرابية على حرية رتبة المكونات في الصورة الصوتية، فنلاحظ أن اللغات، مثل العربية، التي تملك صرفا غنيا للتعبير عن السمات الإعرابية المجردة، تملك رتبة المكونات حرية أكبر مما نجده في الإنجليزية التي تملك صرفا ضعيفا جدا للتعبير عن السمات الإعرابية المجردة يؤثر في المخرج**"(١)، وهو ما يميز اللغة العربية عن باقي اللغات العالمية، فهي بذلك أقرب للتكنولوجيا والرقمنة والتقدم العلمي كونها لغة وصفية بامتياز.

٣-٣- التدقيق اللغوي النحوي:

يرتبط النحو بالقواعد الصارمة التي تحكمه لكنه في نفس الوقت له أبواب وجوازات يمكن من خلالها مقاربة المفاهيم وملامسة الرؤى السليمة للتركيب اللغوي ويساهم الموقع الإعرابي على تعين وظيفة الكلمة في الجملة ومقاربة الفهم واستيعاب المعنى المدرك " **ويتم في هذا المستوى تعيين وظيفة الكلمة في الجملة من حيث موقعها الإعرابي، الأمر الذي يساعد على فهم المعنى (الدلالة)؛ إلا أن الارتباط القائم بين التحليل النحوي والمعنى يزيد الأمر صعوبة في اللغة العربية، نظرا لمونتها في ترتيب مكونات الجملة (كأن يتقدم الخبر على المبتدأ أو يتأخر الفاعل عن المفعول)**"(٢) على نحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٧٢]، تقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى.

كما يحدد (إبراهيم أنيس) أوجه التقديم والتأخير مع ضرورة الترتيب في المعنى حيث يقول: "**تخضع كل لغة لنظام معين في ترتيب كلماتها، ويلتزم هذا الترتيب في تكوين الجمل والعبارات، فإذا اختل هذا النظام في ناحية من نواحيه، لم يحقق الكلام الغرض منه، وهو الإفهام**(٣)" وهي مسألة مهمة في التدقيق اللغوي في النحو لما لها من تبصر عميق ودقة وتحقيق حول الجوازات اللغوية النحوية لتحقيق المعنى المراد ما جاء أيضا في سورة (مريم) قوله تعالى: ". فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا "(الآية: ٢٦) التقديم والتأخير في الأكل

(١) محمد الرحالي، تركيب اللغة العربية، مقاربة نظرية جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط/١، ٢٠٠٣، ص.٢٨.

(٢) – رشوان (٢٠١٩)، مرجع سابق،ص.١٩.

(٣) – إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨، ص ٢٩٥

والشرب شاملٍ في القرآن الكريم لصعوبة الحصول على الأكل مقارنة بالشرب حتى في آيات الذكر الحكيم للجنة يكون التقديم لغرض وجودي حتمي.

٣-٤- الترجمة الآلية:

تحتل اللغة العربية حسب الاستطلاع المستعمل في الشابكة حزيران ٢٠١٥المرتبة الرابعة من حيث مستعملي الترجمة الآلية:

(المخطط:[١])

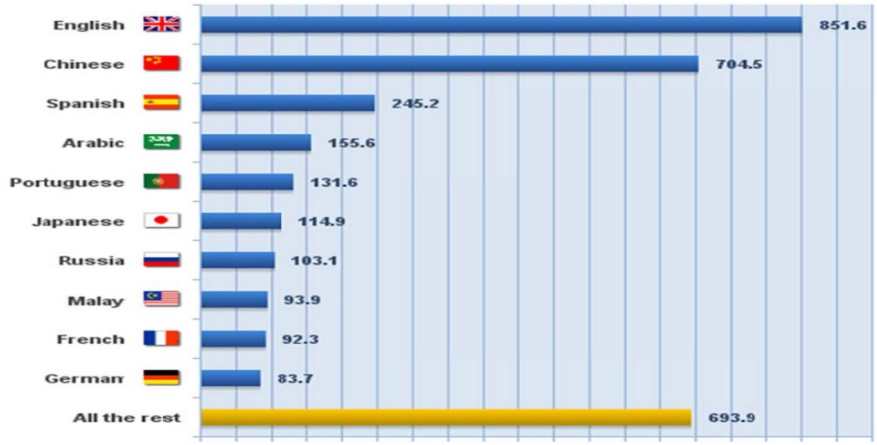

الشكل (1): اللغات العشر الأولى المستعملة في الشابكة

تمثل الترجمة الآلية من أهم العوامل المساهمة في تعلم اللغة وانتقالها واتساع استعمالها، "ويأتي برنامج المترجم العربي إلى العربية في مقدمة برامج الترجمة الآلية وقد طورته شركة عربية في لندن.

وأصدرت الشركة برنامجا مصغرا منه هو برنامج (الوافي) وهو متداول في الأسواق وظهر منه ثلاث إصدارات: الوافي١، الوافي ٢، الوافي الذهبي، وهو من أشهر برامج الترجمة الآلية في الوطن العربي ، يعد نظام سيسران SYSTRAN من أوائل نظم الترجمة وهو يترجم من الروسية إلى الإنجليزية وقد طوِر النظام برنامجا للترجمة من الإنجليزية إلى العربية إلا انه غير ذائع"[٢] وهناك مواقع متعددة

(١) – مروان البواب، الترجمة الآلية ، محاضرات ألقيت في مجمع اللغة العربية بدمشق تاريخ : ٢٠١٥/١٠/٢٨، http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/lectures2018/albawab2015.pdf، ص.٠٢.

(٢) –د. علي يحي السرحاني، الترجمة الآلية، كتاب المؤتمر الدولي اللغة العربية نظرة معاصرة، (١-٢٠١٥) رئيس التحرير: الدكتور محمد بشير، قسم اللغة العربية جامعة كيرلا، الهند، ص. ١٦٦

للترجمة ســاهمت في تقريب اللغات بين بعضــها البعض بما تحمل من حمولة فكرية وعلمية وأدبية، كما سهلت الفهم السريع لما يحيط اللغة من مفاهيم ومن بينها:

WWW.Translate.googel.com

WWW.Tarjim.com

WWW.ajeeb.com

أما **أفضل ١٠ مواقع لترجمة النصوص الطويلة**:

A. **Word Reference**
B. **Deepl Translat**
C. **Collins Dictionary**
D. **PROMT Online**
E. **Cambridge**
F. **translate.com**
G. **Babylon**
H. **Reverso**
I. **Translate Dict**
J. **yandex**

تفيد الترجمة الآلية وبشـكل كبير على عملية تحويل المعاني المدركة إلى مسـتعملة ومركبة وفق سـياق الجمل كما أنها أفضـل ناقل للمعرفة ومنتج لها، اختصـار الزمن وتسـهيل فرص التعلم عبر الترجمة الآلية التي قد تحتاج إلى التنقيح والتدقيق لكن دورها يبقى مهما في التفاعل والتقارب الإنســاني ومعايشــة بيئة اللغة بما تحمل من أنظمة.

٣-٢-تكيف تداولية اللغة العربية:

اللغة العربية من اهم اللغات العالمية تملك حمولة مفردات[١] تعنى بجميع الوظائف الصـوتية والتركيبية النحوية والصـرفية لذلك تنتج علوما متفرعة وقوانين محكمة في ضـبط التعلم وتكيف المادة التعليمة بما يناسب توظيفها وتسيرها.

٣-٢-١- العامل الصوتي:

(١) – بحسب المصادر والمراجع ومعاجم اللغة العربية، فإن عدد كلمات اللغة العربية يبلغ ١٢,٣٠٢,٩١٢ كلمة دون تكرار، ومقارنة باللغة الإنجليزية فإن عدد كلمات اللغة العربية يعادل ٢٥ ضعفا لعدد كلمات الإنجليزية التي تتكون من ٦٠٠ ألف كلمة.

الصوت عاملٍ مهم في نقل صورة الألفاظ ومنح الكلام الشفوي قدرة التواصل، عبر مستويات الإدراك **"لا تكاد تعدو اللغة في مظهرها عن أن تكون أصواتا إنسانية يحللها عالم الأصوات اللغوية ويصفها، كما يشرح لنا كيفية صدورها، وأعضاء النطق التي تساهم في إخراجها، وقد استطاع المحدثون بعد تجارب كثيرة ودراسات مستفيضة ورحلات طويلة، أن يجمعوا لنا الكثرة الغالبة من تلك الأصوات الإنسانية، وأن يصفوها وصفا دقيقا، ويسجلوا منها نماذج منطوقة فوق أشرطة وأسطوانات، ثم رمزوا لكل منها برمز خاص اصطلحوا عليه وقام لديهم بمثابة رسم عالمي، وهكذا نظروا إليه نظرة عالمية"**[1] وقد ضبط العلماء الصوت ومخارج النطق وقسموا الجهاز الصوتي حسب درجته الفيزيائية وتباين موضعه كما في المخطط التالي:[2]

شرح أعضاء النطق وأجزائها المتباينة. وإن نظرة واحدة إلى الشكل الآتي لتوضح تلك الأعضاء.

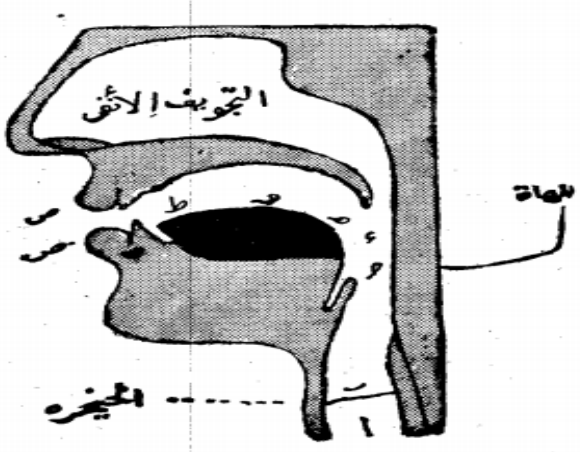

(شكل ٢)

(ا) القصبة الهوائية . (ب) موضع الوترين الصوتيين
(حـ) فتحة المزمار . (د) الحلق .
(هـ و ط) اللسان: أقصاه ووسطه وطرفه

ويعد السمع أبو الملكات حسب (ابن خلدون) لما له من علاقة بالفهم السليم والتلقي القويم، فالرموز الكتابية لا تعدوا تعابير يوصلها الصوت للأذن فتجد الاستقبال عند المرسل **"وأداة السمع الطبيعية هي الأذن وهي معقدة التركيب يقسمها علماء التشريح إلى ثلاثة أقسام: الأذن الخارجية، وتتركب من صيوان الأذن وصماخها وتنتهي الأذن الخارجية بما يسمى عادة بطبلة الأذن، ثم يلي هذا**

(١) – إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص.١٢٤.

(٢) – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط/٥، ١٩٨٥، ص.١٦.

الأذن الوسطى التي فيها عظيمات ثلاث صغيرة تسمى عادة بالمطرقة والسندان والركاب أما الأذن الداخلية ففيها أعضاء السمع الحقيقية لانتشار ألياف العصب السمعي بأجزائها وفي الأذن الداخلية السائل الذي يسمى السائل التيهي وفيه تنغمس الأعصاب السمعية "[1] والصوت بصفة عامة هو ذبذبات مصدرها الحنجرة بعد اندفاع الهواء من الرئتين إلى القصبة الهوائية بفعل الاهتزازات أثناء النطق في الأنف والفم أين تحدث التغيرات بين مختلف المصوتات تتسم بالسمات القياسية، ثم تنتقل عبر الموجات الهوائية الخارجية بدرجات صوتية مختلفة ومتباينة تصل إلى الأذن، كما أنه من سمات الكتابة في اللغة العربية تطابق المكتوب مع المنطوق وهي خاصية أخرى لا بد من الوقوف عليها.

٣-٢-٢- العامل الاشتقاقي:

أهمية العامل الاشتقاقي في تشكيل طاقة لغوية عند المتعلمين، إن حمولة المفردات في اللغة العربية ما يسمح باشتقاق نماذج مختلفة من المعاني والمواضع في الكلام " **واللغة العربية دون سائر اللغات الإنسانية تذخر برصيد وافر من المفردات تتسع إمكاناتها للتعبير عن المفاهيم المتجددة من خلال آليات ذكية مثل الاشتقاق والنحت لصياغة مفردات جديدة أما اللغات الأخرى فهي ذات رصيد محدود من المفردات وتقل بها إمكانية الاشتقاق والنحت، مما يجعلها تعتمد كليا على الاقتراض من اللغات الأخرى** "[2] يعمل الاشتقاق اللفظي في توسيع الاستعمال وليونة توظيفه كقولنا: مخرج الطوارئ قريب – مخرجات البحث كثيرة – خروج المحتل طويل المدى – خريج المعهد العالي – جلس المسافر خارج المحطة –...ما نلاحظه اختلاف اللفظ الواحد في شكل التوظيف وتغير المعنى ومقامات الفهم مما يسهل عملية استعمال العامل الاشتقاقي في تعلم الأجانب اللغة العربية وسرعة تداولها من خلال قرابة الأصوات وشكل الكلمة باختلاف حركاتها، ما يحيل المتعلم لاستيعاب الاختلاف بين المشتقات بالحركات البسيطة وإضافة حروف الزيادة.

٣-٢-٣- العامل التركيبي:

تراكيب اللغة العربية تنشأ بين وحدات تركيبية تكون أنواعا من المركبات كالمركب الإضافي والإسنادي والعددي والعطفي والمزجي والبياني، وتبني الجمل على التركيب بين (المسند /المحكوم به والمسند إليه / المحكوم عليه) مع إضافة عناصر أخرى يقتضيها السياق كالنعت والحال والصفة وظروف الزمان والمكان ...في حين يعمل التقديم والتأخير والزيادة والحذف على تقدير الكلام تحديد منزلته حيث أن جمالية اللغة "**لا تقدم المعنى كاملا فحسب، بل تقدمه في صور جمالية زاهية، تسترعي الانتباه،**

(١)-إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص.١٥.

(٢) -عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة دراسة تقابلية، تقديم: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، ومحمد أبو موسى، مركز البحث العلمي إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، سلسة أبحاث الحرمين العالمية، ط/٢، ١٤٣٨هـ، ص.٠٩.

وتكسر حاجز الرتابة، وتشد السامع، وتحقق متعة التواصل، وهي إضافة إلى ذلك كله، تحافظ على الذوق الرفيع والقيم الأخلاقية"[1] ويحقق **الترتيب** في التركيب عاملا مهما في التمييز بين المعاني حسب ما يقتضيه قواعد النحو والبلاغة كذلك الاستبدال **والتعويض** على نحو: أخت عائدة رفيقتي – جارة عائدة رفيقتي حيث تدخل الوحدات في علاقة بحث يمكن استبدال عناصرها بالأخرى، كذلك **التلازم** هي رابطة تجمع بن صنف الكلمة بصنف آخر من الكلمة الأخرى تستدعي وجوب الثانية كالمضاف والمضاف إليه والفعل والفاعل والجار والمجرور ما يميز العامل التركيبي:

- **وضوح المعاني وإزالة الغموض في الاستعمال.**
- **النحو العربي أوسع الأبواب والأشمل والأكمل.**
- **القوانين الثابتة في ضوابط استخدام اللغة العربية.**
- **التطابق التام بين مكونات الجملة (التطابق بين الفعل وفاعله/الصفة والموصوف...)**
- **الإبانة والوضوح في استعمال اللغة العربية.**

٣-٢-٤- **الحقول الدلالية:**

يشير الحقل الدلالي لمجموع العلاقات المترابطة الدلالة لكلمات تنتمي لنفس الحقل حسب المفاهيم التي تتفق على انتمائها الوظيفي أو المتلازم للسياق اللفظي أو مجال التصنيف "الحقل الدلالي Semantic field أو الحقل المعجمي Lexical Field هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظ مثل: أحمر- أزرق- أصفر أخضر -أبيض ...الخ وعرفه ullmann fr بقوله (هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة) وLyons بقوله مجموعة جزئية لمفردات اللغة"[2]

"ويتفق أصحاب هذه النظرية -إلى جانب ذلك - على جملة مبادئ منها:

١-لا وحدة معجمية Lexeme عضو في أكثر من حقل.

٢-لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

٣-لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

(١) - عبد المجيد الطيب عمر (١٤٣٨هـ) مرجع سابق، ص.٢٦١

(٢) --أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتاب القاهرة، ط/٥، ١٩٩٨، ص.٧٩

٤-استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي"[١] وفق هذه المبادئ المتفق عليها تلتزم الوحدة المعجمية على خصوصية انتمائها إلى حقل معين حسب مجموعة المقاربات التي تنتج التوافقات اللفظية السياقية أو النحوية أو الصرفية النوعية ...الخ

كما اتسع مجال تقسيم الحقول الدلالية لتضم الكلمات المترادفة والمتضادة والأوزان الاشتقاقية الصرفية، أجزاء الكلام وتصنيفها النحوي، الحقول السنتجماتية Syntagmatic Fields حسب التلازم أثناء الاستعمال كقولنا (كلب- نباح / أشقر - شعر / يمشي - قدم)[٢].

يمارس الحقل الدلالي درجة من الوعي باللغة من حيث الاستعمال وطريقة التعلم، يشترك الفضاء الدلالي في خلق تلازم لفظي بين الحقل الواحد ويساهم ترتيب الوحدات الدلالية قدرة المتعلمين على اكتساب أكبر حجم من المفردات الدالة وسرعة توظيفها وتصنيفها في السياق الكلامي أو التركيبي.

٤- العوائق في انتشار اللغة العربية: تنتشر اللغة العربية ولكن تراهن في توسيع نطاق استعمالها بعض العوائق التي تحيل دون الاستعمال المثالي نذكر منها:

- **كتابة العربية بحروف أجنبية أو ما يسمى franco-arabe**
- **ضعف البيئة المعلوماتية مثل الشبكات وسعة تدفق الأنترنت.**
- **انتشار الأمية المعلوماتية ما يعيق انتشار اللغة العربية واستعمالها وتداولها.**
- **الاستراتيجيات التعليمية التي لا تساهم في ترسيخ جودة استعمال اللغة من حيث الموارد ومستويات التعلم.**
- **الانفتاح على العالم جعل اللغات الأجنبية أقرب للحوار والتواصل العلمي والمعرفي وتراجع مستوى استعمال اللغة العربية.**
- **أكثر المصطلحات المستعملة في الجامعات تكون باللغة الأجنبية في ظل غياب البديل الاصطلاحي في اللغة العربية.**
- **الحديث عن أهمية اللغة العربية واعتبارها تراث حضاري في حين تستخدم الدول المتطورة كل الإمكانات التكنولوجية في تسير لغتها وتعليمها وانتشارها عبر المحتوى الثقافي والعلمي والمعرفي.**

٤-١- اللّغة العربية والعولمة:

تتصل اللغة العربية بالخطابات المعاصرة ومثاقفة الواقع، لأنها تعيش وتمتد وفق التغيرات الفكرية والاجتماعية للإنسان وسط تكنولوجيا المعلوماتية والثقافة والاقتصاد مثل توحيد العملة

(١) -- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص.٨٠

(٢) -- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٨١

الأوروبية والسوق، والانفتاح على الثقافات والديانات، فالعولمة مفهوم يظهر جليا ضمن مصطلحات التطور الهائل الذي شهده العالم "**في عصر العولمة تزداد سرعة النقل والمواصلات، وتتسع السوق، وتزول الحواجز أمام انتقال السلع والخدمات والأشخاص والمعلومات والأفكار، ولكن لا أحد يعنى كثيرا بالتساؤل عن طبيعة هذه السلع والخدمات التي أصبحت تنتقل بهذه السرعة، نعم التقدم التقاني يخلب اللب، ويخطف الأبصار، ولكن التقانة، أي لطريقة الإنتاج، قبل أن نسأل عن طبيعة هذا الذي يجري إنتاجه**"(١) ولأن الأفكار تصنع ذهنية الإنسان فاللغة حاملٍ فكري ومنطق الفهم، تنفتح اللغة العربية على باقي اللغات في حوار حضاري مفتوح، تجعل القيم الإنسانية للمجتمعات في محورية الثقافة الكونية التي تختصر العالم في قرية واحدة، تتخلى عن محليتها وتندرج وسط العالمية التي تفرضها العولمة، لذلك تسعى اللغة العربية في دخول غمار تكنولوجيا العالم الرقمي digitization وتنضيد وجودها واستمرارية قوتها عبر ذلك.

ويمكن أ ن تكون العولمة جانبا إيجابيا إذا استعملت اللغة العربية في نطاق أوسع ضمن ثقافتها وتعاملها الحضاري مع العالم، حيث يمكنها إعادة إحياء التراث وتجسيد وجوده عالميا وفق تحديث اللغة التي تكسبه الأهمية والاحتواء التاريخي الخالد، كما يندرج المفهوم اللغوي ضمن الفنون في ترجمة المخطوطات والتحف النادرة واللوحات الفنية والتصاميم، عن حوار الديانات يعتمد أيضا على لغة الحوار وانتقاء العبارة الدالة والجدلية العلمية وفق منظور لغوي تستطيع اللغة العربية التجلي، علما أنها لغة القرآن الكريم والمعالم الكبرى في العلوم الإنسانية، تتمركز عالميا من خلال النماذج التي تصنعها في المحتوى التواصل بين القارات وما لها من إمكانيات بلاغية بيانية ونحوية بالغة الأهمية فلا يمكن الانطواء وسط تقدم العالم حولنا خلف مرجعية الضعف الاقتصادي والإقليمي بل التقدم نحو ممتلكات العقل العربي النادر فكرا وتصورا وعلما.

٤-٢- تأثير الازدواجية اللغوية في بناء الفكر اللغوي:

تعنى الازدواجية اللغوية بالعديد من التوجهات الفكرية والثقافية والأدبية فهي تسهيل نمط البحث والوصول إلى مجالات المعرفة التي تكتنزها كل لغة عبر التاريخ والإنساني، لكنها تمارس سيطرتها على ثقافة المستعمل للغة حسب ميوله بما تحتويه ثقافة المنتمين للغة الثانية وتأثيرها الذهني، من سلبيات الثنائية اللغوية تداخل الألفاظ أو استعارة المكملات اللفظية أثناء التواصل ما يفقد التركيب الكلامي ويلامس ظاهرة الكلام الهجين، من جهة أخرى قد يميل العقل للغة دون أخرى حسب تطلعات الفرد الذي تتحكم فيه ضرورة السفر والصفقات والاجتماعات الاقتصادية والعلمية كونها تستعمل مصطلحات لم يتح لها التعريب استبدالا معجميا، ميول المتحدثين للغة الاجتماعية المستعملة بين طبقة المثقفين وإهمال اللغة الأصل كونها لا توصل قدرا معرفيا وعلميا مناسبا للمقام الاجتماعي أو الأكاديمي

(١) – جلال أمين، العولمة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩، ص.٣٣.

وهذا ما يدعو إلى ضرورة تعريب المصطلحات العلمية والأكاديمية والاقتصادية التي لا تزال عالقة في لفظها الأجنبي لحد الآن.

٣- الكفاءة التعليمية في إتقان اللغة العربية:

إن بناء كفاءة علمية رصينة لا يتوقف على معرفة اللغة وإنما إنتاج معرفة الاستعمال بالمرجعية اللغوية وهو تسير عوامل نجاعة العملية التعليمية التعلمية عبر خصائصها المهمة والتي تميزها عن باقي اللغات الأخرى:

١. **مرونة الميزان الصرفي:** "إن معرفة الميزان الصرفي في اللغة العربية تساعد على اختصار الوقت لتعلم هذه اللغة، وتتيح الفرصة كاملة لاستخدام العقل والمنطق لاشتقاق مفردات جديدة يعبر بها المتحدث عنها المتحدث عما يدور في ذهنه بيسر وسهولة"(١) ما يعكس اتساع الصيغ الصرفية وثبات أبنيتها ودلالاتها في الاستعمال وحوسبتها.

٢. **الثروة اللغوية:** "أن عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل (٤١٢-٣٠٥-١٦) كلمة اعتماد على دراسة حاسوبية دقيقة فقد وجد عدد ألفاظ العربية يفوق الستة ملاين لفظا"(٢) وأكثر من ١٢ مليون وثلاثمائة ألف كلمة غير مكررة، خلق تراكيب جديدة ومبتكرة من خلال سعة الكلمات في اللغة العربية ومساحة توظيف هائلة للمركبات اللفظية.

٣. **دقة المعاني في الخصائص اللغوية:** من الجدير أيضا العناية بالمدونات وإعادة النظر في إنشاءها وتميز خصائص اللغة حسب المجالات التي **"من مزايا اللغة العربية التفصل والتقسيم وهما من أهم الخصائص وأكبر الأدلة على غزارة مادتها فقد جمعت ما لا يحصى من الألفاظ الدالة على أنواع الصفات وتفصيل الأصوات والحركات والسير والطيران وضروب الألوان وتقسيم عمر الإنسان والحيوان وأسماء الأعضاء وأنواع الروائح والحلى وأسماء الطعام وتفصيل السهام والقسي- والدروع والآنية وأوصاف المطر والرياح والسحاب وتفصيل الرمال والجبال والوهاد والنجاد والنبات وأنواع الأمراض والعاهات والحب والبغض والضحك والبكاء وغير ذلك ما يدل على البكاء وغير ذلك مما يدل على دقائق المعاني"** (٣) تلك الغزارة التي تتلازم مع حصول الأكاديميين والمهتمين باللغة العربية على سعة تكفي لتوظيفها وتصنيفها معجميا من خلال المستويات الصوتية والتقارب بين المفاهيم والأوصاف المتلازمة، فلا بد للنظر الدقيق لمسألة تجميع المفردات وترتيب المعجم.

(١) - عبد المجيد الطيب عمر (١٤٣٨هـ) ص.٢٥٨.

(٢) - عبد المجيد الطيب عمر (١٤٣٨هـ) ص.٢٥٩.

(٣) - حبيب عز الدبك، خصائص اللغة العربية، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م، ص.٠٨.

نتائج البحث:

١. اللغة العربية تملك خصوصية بين لغات العالم.
٢. يمكن توظيف اللغة العربية في مجال الحوسبة والرقمنة الآلية حسب قدرتها وطاقة المفردات وخصائصها (الصرفية -الصوتية- التركيبية).
٣. اللغة العربية تملك مكانة تحتاج للتطور في الاستعمال والاشتغال.
٤. دراسة العوائق الخاصة بتعلم اللغة العربية واستخدام الوسائل التعليمية الحديثة.
٥. تمكين اللغة العربية في تصدر ثقافات العالم واحتواء جميع مجالات التخصصات العلمية والأدبية.
٦. الاهتمام بالمعاجم الالكترونية كمورد للألفاظ وتسهيل مجال استعمالها.
٧. الاهتمام بالترجمة الآلية بما يتناسب بالمعاني والمصطلحات وسط السياق اللغوي.
٨. تقدير اللغة العربية حضاريا وفي التواصل والاتصال واحتواء مكانتها عوالم العلوم والعولمة في الانفتاح الحضاري المعاصر.
٩. تحصين اللغة العربية وإجلال مكانتها عند الناطقين بها وغير الناطقين وتحفيز تعلمها وإتقانها وانتشارها.

خـــاتمة:

شرف اللغة العربية متصلٍ بشرف نزول القرآن الكريم منزها معجزا فصيحا بليغا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة طه:١١٣]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الزمر:٢٧-٢٨].

ولأن العالم يتفاعل حول ثقافة حضارته ويتقدم حول كنه علومه ومنجزاته فاللغة هي لواء كلٍ بصير لتاريخه ومجده ومعالمه العلمية والأدبية، لذلك يحيط بالعربية غير الناطقين بها لتعلمها وإدراك عجائبها وخصائصها وخصوصيتها ما أردنا توليفه في هذه الدراسة.

إن تعلم اللغة العربية ليس حكرا على العربي نحو لسانه بل هي مسألة بلوغ التواصل نحو العالم ونقل صورة مثالية للناطقين بها وبغيرها تسهيلا وبسطا لمعارفها وسبل تعليمها وانتشارها عبر وسائل التكنولوجيا الآلية والانفتاح الحضاري وحوار الديانات الذي أضحى معبرا للغات والثقافات والأفكار وهي الحاملة لكل عوامل الانتشار في القارة الإفريقية وعبر العالم، بفضل الجهود والاهتمام الذي جعل للغة العربية يوما عالميا يحتفى به ولها العز وحسن المقام.

قائمة المراجع:

١. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط/٥، ١٩٨٥
٢. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨
٣. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة أنجلوا المصرية، القاهرة مصر، ط/٣، ١٩٦٦
٤. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتاب القاهرة، ط/٥، ١٩٩٨
٥. جلال أمين، العولمة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩
٦. حبيب عز الدبك، خصائص اللغة العربية، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م.
٧. عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، (بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه) إشراف : بكري أحمد حاج، جامعة ام درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا اللغة العربية، قسم الدراسات النحوية واللغوية، (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)
٨. علي يحي السرحاني، الترجمة الآلية، كتاب المؤتمر الدولي اللغة العربية نظرة معاصرة، (١-٢٠١٥) رئيس التحرير: الدكتور محمد بشير، قسم اللغة العربية جامعة كيرلا، الهند
٩. محسن رشوان، المعتزبالله السعيد، مقدمة في حوسبة اللغة، مركز الملك عبد الله عبد العزيز الدولي، The arabic language المملكة العربية السعودية، الرياض، ٢٠١٩
١٠. محمد الرحالي، تركيب اللغة العربية، مقاربة نظرية جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط/١، ٢٠٠٣.
١١. مروان البواب، الترجمة الآلية ، محاضرات ألقيت في مجمع اللغة العربية بدمشق تاريخ : ٢٠١٥/١٠/٢٨،
http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/lectures2018/albawab2015.pdf

دور وسائل الإعلام في تعزيز مكانة اللغـة العربية

إعداد:
د. محمد هادي أخرش
أستاذ الإعلام المساعد

مقدمة

عند تناول الدور المطلوب من وسائل الإعلام المحلية أو العربية فإنه يجدر الوقوف على العلاقة بين اللغة العربية والإعلام الذي يمكن أن يتولى نشرها؟ فاللغة في الأساس تعد سمة من سمات الإنسان الاجتماعى التى بها يتميزدون غيره من الكائنات الأخرى الموجودة فى الطبيعة، كما أنها وسيلته لكل ما أنجزه من تراث، وأبدعه من حضارة، فباللغة تمايزت المجتمعات البشرية، وبها تعارضت وتواصلت، وتتعاظم وظيفة اللغات وأهميتها يوما بعد يوم مع التقدم البشرى في الحضارة المعاصرة، حضارة الاتصال والتواصل، حتى أضحى دورها يفوق كل دور جوهري كان لها في السابق.

كما أن اللغة ليست مجرد رموز فقط، وليست مواصفات فنية وحسب، بل هي بالإضافة لكل ذلك، منهج فكر، وطريقة نظر، وأسلوب تصور، هى رؤية متكاملة، تمدها خبرة حضارية متفردة ويرفدها تكوين نفسى مميز، فالذي يتكلم لغة، هو في واقع الأمر يفكر بها، فهي في كيانها تحمل تجارب أهلها، وحكمتهم، وخبرتهم، وفلسفتهم.

واللغة العربية هى من بين اللغات لغة عتيدة، ولغة حضارة، ولغة حية، وهي لغة القرآن الكريم ووعاء العقيدة الإسلامية. ثم هي أداة الفكر العلمي في مرحلة ازدهاره «العصر الوسيط العربي الإسلامي»، فكانت لغة العلماء في العالم على مدى قرون ولغة الثقافة الخصبة المتنوعة، والفن الإنساني المبدع.

وانطلاقا من ذلك فقد هدفت هذه الورقة البحثية الى استقراء دور وسائل الاعلام فى نشر وتعزيز مكانة اللغة العربية باعتبارها وسائل اتصال جماهيرية ذات قدرات واسعة في الانتشار والتأثير على أفراد الجماهير المختلفة.

أهميـة اللغة العربية:

تعد اللغة العربية أقدم اللغات الفاعلة على وجه الأرض، ومع وجود اختلاف بين الباحثين حول عمر اللغة العربية؛ لكن من المؤكد أن العربية التي يستخدمها ملايين البشر أمضت ما لا يقل عن ألف وستمائة سنة، وقد تكفل الله سبحانه بحفظ هذه اللغة حتى يرث الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]، ومنذ عصور الإسلام الأولى انتشرت العربية في معظم أنحاء المعمورة، وبلغت ما بلغه الإسلام وارتبطت بحياة المسلمين فأصبحت لغة العلم الأدب والعلم والسياسة فضلا عن كونها لغة الدين والعبادة"

كما استطاعت اللغة العربية أن تستوعب الحضارات المختلفة؛ العربية، والفارسية، واليونانية، والهندية، المعاصرة لها في ذلك الوقت، وأن تجعل منها حضارة واحدة، عالمية المنزع، إنسانية الرؤية، وذلك لأول مرة في التاريخ، ففي ظل القرآن الكريم أصبحت اللغة العالمية، واللغة للكثير من البلدان والدول، ونزلت بها الرسالة الخاتمة.(١) فيما تظهر أهمية اللغة العربية كذلك من خلال ما يلي:

- أنها تمنح للأمة العربية هويتها الخاصة، وتبرز مكانتها بين شعوب العالم، فاللغة من أهم سمات الشعوب، حيث تقاس قوة الشعوب بانتشار لغتها وقوتها مع وجود أكبر عدد من الناس الذين يتقنونها.
- تستخدم العربية كلغة أساسية لتدريس الكثير من العلوم، ومن أهم هذه العلوم، العلوم الإسلامية مثل تعليم القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة والفقه، بالإضافة إلى تعليم الخطابة، والشعر، والأدب.
- أنها تسهم في فهم الدين بالطريقة الصحيحة، كما أنها تسمو بالأفراد وتمكنهم من تعلم دينهم دون وساطة من أحد.
- تعد اللغة العربية من أهم المرجعيات لباقي اللغات في العالم، فعند البحث سيلاحظ وجود العديد من الكلمات العربية والأرقام في بعض اللغات الأجنبية مثل اللغة التركية، والفارسية، والكردية(٢).
- كما أن للغة العربية مكانة رفيعة في قلوب المهتمين بها من اللغويين، والنحاة، والشعراء، والأدباء وغيرهم من أهل اللغة العربية، وتأتي هذه المكانة من كون هذه اللغة تحظى بالكثير من المميزات والخصائص والقواعد الدقيقة، إضافة لكونها غنية لغويا من حيث الألفاظ والتراكيب والأساليب، كما أنها تحتوى قواعد نحوية دقيقة فى النحو والصرف والقواعد تختلف عن باقي اللغات في العالم، وهو ما يزيدها أهمية في قلوب الباحثين والنحاة واللغويين، ومما طور من أهمية هذه اللغة عند أهلها أنها تملك نظاما صوتيا ثابتا عبر الزمن، يدرس هذا النظام في علم خاص يطلق عليه بعلم اللسانيات، وهو علم يجذب المهتمين بشكل كبير لما فيه من عجائب وغرائب.

(١) أهمية اللغة العربية، موقع العربية للجميع، المركز الإعلامي، https://www.arabicforall.net
(٢) الوليد حسن علي، "أهمية اللغة العربية في حياتنا"، mysite.kku.edu.sa. بتصرف.

ولعل مما يؤكد أهمية اللغة العربية هو قدرتها الكبيرة على التعبير في الكتابة واللفظ، ويكون هذا التعبير متوافقا في المعنى والمبنى، فهي تتيح للناطق بها إمكانية التعبير عما يدور في خلجات نفسه بأساليب متعددة ومختلفة (١)

خصائص اللغـة الإعلاميـة:

تتوافر في اللغة الإعلامية عدة خصائص مهما اختلفت أو تباينت في أسلوبها أو سلامتها، ويمكن تحديد أهمها في الآتي:

الوضوح:

تعد هذه الخاصية أو الصفة هي أبرز خصائص لغة الإعلام، ويرجع ذلك إلى طبيعة وسائل الإعلام من ناحية والى خصائص جمهورها من ناحية أخرى، فاذا كانت الكلمات غير واضحة في الراديو فقد المستمع المضمون المقدم ولم يستطع استرجاعه للتأكد منه أو للاستفهام عما غمض منه، وجمهور وسائل الإعلام هم فئات متنوعة ويميلون إلى السرعة في تعرضهم للوسائل وليس لديهم الرغبة من ناحية والوقت من ناحية أخرى للتركيز في المضمون المقدم، ولذا يجب أن تكون الكلمات، والجمل، والمعاني واضحة كل الوضوح حتى تحقق أهدافها.

المعاصرة:

ويقصد بها أن تكون الكلمات والجمل والتراكيب اللغوية متوافقة مع روح العصر، ومتسقة مع إيقاعه، فالجمل الطويلة، والكلمات العجمية، والجمل المركبة قد لا تكون مناسبة للغة الإعلامية إلا في موضوعات خاصة ومحددة.

الملاءمة:

ويقصد بهذه الخاصية أن تكون اللغة متلائمة مع الوسيلة من ناحية ومع الجمهور المستهدف من ناحية أخرى، حيث إن لغة الراديو هي لغة ذات طابع وصفي وهي لغة موجهة إلى حاسة السمع ولذا يجب أن تكون مفردات هذه اللغة ملائمة لهذه الحاسة، ولغة الصحافة تستهدف فئات اجتماعية، وتعليمية، واقتصادية معينة، وتتوجه إلى حاسة البصر فيجب أن تكون ملائمة كذلك.

(١) دعاء النابلسية، أهمية اللغة العربية، ومكانتها، موقع المرجع، أغسطس، بتصرف ٢٠٢٣ ، https://almrj3.com

شكل (١) يوضح خصائص وسمات اللغة الإعلامية

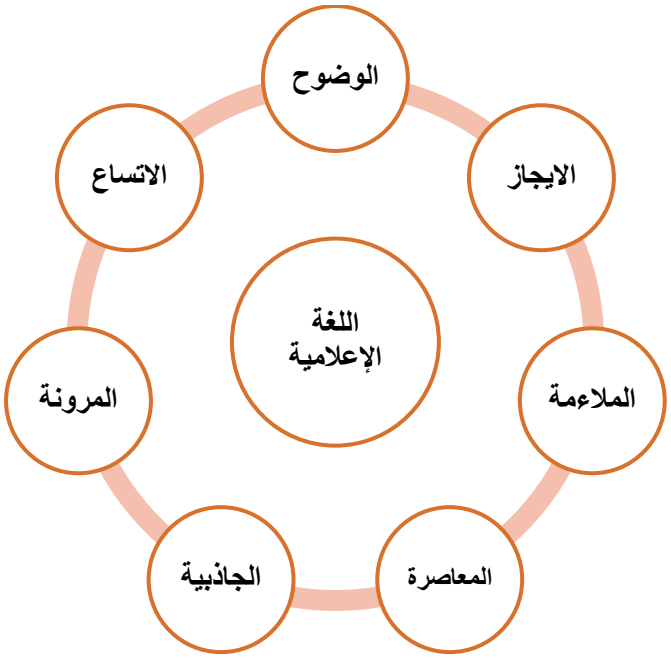

الجاذبيــة:

ويقصد بها أن تكون الكلمة قادرة على أن تحكي، وتوضح، وتصف الحدث أو القضية بأسلوب حي، ومشوق، وملفت للانتباه عن المعنى المطلوب، فلا وجود لجمهور يتوق إلى الاستماع أو المشاهدة أو القراءة لمضمون جاف خال من عوامل الجاذبية والتشويق.

الإيجاز:

وتأتي هذه الخاصية انطلاقا من طبيعة الوسيلة المحدودة من ناحية، حيث اعتمادها على الصوت بشكل أكبر، وطبيعة الجمهور غير القادر على الاستمرار في المتابعة طويلا من ناحية أخرى، إذ أن لكل وسيلة محدوديتها وحجمها، فمهما كان وقت البرنامج كبيرا فالموضوعات أكبر منه ولذلك لابد من الاختصار والإيجاز في الرسالة، وبالتالي يجب أن تكون اللغة هنا قادرة على الإيجاز وداعمة له، بعيدة عن الاطناب والاسهاب الممل، الذي قد يشتت ذهن المستمع ويصرفه عن متابعة البرنامج الإذاعي أو التلفزيوني.

١- المرونة:

ويقصد بها أن تكون اللغة قادرة على التعبير عن مختلف الموضوعات بسلاسة ودون تعسف، ويقصد بها أن تكون متعددة المستويات بحيث تستطيع مخاطبة أكثر من جمهور ومعالجة أكثر من موضوع وقضية.

٢- الاتساع والثراء:

ويقصد بالاتساع أنها لغة ثرية واسعة في معانيها ومفرداتها، إذ أن عدد المفردات كبيرا حتى تلبي الاحتياجات المختلفة، وأشار بعض الباحثين إلى أنها تضم أكثر من ١٢ مليون وثلاثمائة ألف مفردة غير مكررة، واللغة الإعلامية واسعة، وتتسع بشكل يومي وقد يكون الاتصال مع الثقافات الخارجية وضرورة الترجمة اليومية لكثير من المصطلحات تأثيره في زيادة حجم اللغة الإعلامية واتساعها.

٣- القابلية للتطور:

وهي صفة ملازمة للغة الإعلامية، فأسلوب لغة الإذاعة في الثلاثينيات غير مثيلتها في الخمسينيات والستينيات، وهذه بدورها تختلف عن ما كان في السبعينيات أو التسعينيات، ولغة وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة مختلفة عما سبقها، صحيح أن بها عناصر ضعف، لكنها أصبحت أكثر قدرة على التعبير وأكثر جاذبية.

اللغة العربية والإعلام:

لقد تمكنت اللغة العربية بما تحمل من خصائص أن تصبح لغة الاعلام اليوم باستعمالها أداة للتبليغ عبر مختلف القنوات الإعلامية المكتوبة منها والمرئية والمسموعة على حد سواء، مع الإشارة إلى دورها الإيجابي الذي أدته وسائل الإعلام في تقريب الهوة بين العامية والفصحى باستخدام ما يسمى اللغة الإعلامية.

وعلى الرغم من هذا الدور الإيجابي الذي قامت به على مستوى الاستعمال اللغوي في أجهزة الإعلام فقد اعترضتها عوائق من أهمها: وجود الأمية بنسب مرتفعة في البلدان العربية وبأرقام مختلفة، ومحدودية توزيع الصحف والكتب وغيرها من الوسائل المكتوبة لجهل الكثيرين بالقراءة، ولضعف التغطية الإذاعية والإعلامية وعدم شموليتها بعض المناطق العربية والتي بدأت بالتراجع بعد انتشار الصحون اللاقطة. وقد لعبت الاذاعة دورا ايجابيا في نشر الفصحى بين المستمعين العرب في كل مكان من الأرض العربية، كما استطاعت بعض برامج التلفزيون الموجهة إلى الأطفال الصغار تقريب الفصحى إلى ألسنتهم فيسرت عليهم التعامل بها فيما بينهم، وساعدت أجهزة الإعلام والاتصال في تحقيق التقارب بين مستويات التعبير اللغوية الثلاثة التي يمكن ملاحظتها في المجتمع العربي:

أما المستوى الأول: التذوق الفني والجمالي للأدب والفن.

والمستوى الثاني: العلمي النظري والتجريبي المستخدم في العلوم.

والمستوى الثالث: الاجتماعي المستخدم في الصحافة وأجهزة الاتصال بوجه عام.

فاللغة الإعلامية أهم مظهر للمحافظة على كيان المجتمع، فوحدة الأهداف والمبادئ تدعو إلى البحث عن دلالة شاملة للأشياء والأفعال، وعناصر الوجود المختلفة تتجسد في لفظ واحد مشترك سيدل على هذا الشيء، أو ذاك الفعل.

وهو ما يقودنا إلى حقيقة المستوى العملي العادي للغة الإعلام التي يشكل أحد مستويات التعبير اللغوي القائمة؟ إن هذه المستويات جميعها تحدد من حيث تقاربها مدى سلامة المجتمع من ناحية، ومن ناحية أخرى مستوى ضعفه فكريا.

إن الفرد في المجتمع المتكامل السليم، والمجتمع المشتت والضعيف هو في تقارب المستويات اللغوية في المجتمع الأول وتباعدها في الآخر، وإن تقارب مستويات التعبير اللغوي دليل على تجانس المجتمع، وتوازن طبقاته وحيوية ثقافته، ومن ثم تكامله وسلامته العقلية. فمما وقف عليه الباحثون في علم الاجتماع أن العصور التي يسود فيها نوع من التآلف أو التعادل بين المستويات العلمية والأدبية والعملية هي في الغالب حقب تاريخية تتصف بالرقي والتطور، ولكن إذا كان المستوى اللغوي بعيدا كل البعد عن الآخر فهو دليل على التفاوت الفكري والمعرفي بين طبقات المجتمع، مما يؤدي إلى حالة من التدهور والتراجع، لذلك تعمل وسائل الإعلام على تحقيق التقارب والتجانس بين فئات المجتمع، ولعل من إحدى النجاحات التي حققتها بعض وسائل الإعلام العربية هي صنع حالة تقارب فكري ووجداني بين الجماهير العربية والناطقين بها من خلال استخدام لغة الصحافة في نشرات الأخبار بصورة خاصة، وتهيئة الجماهير العربية لاستخدام اللغة الفصحى من خلال استخدام اللغة الفصحى في المسلسلات التاريخية.[1]

إن اللغة العربية تتمتع بميزات تجعلها اللغة المؤهلة بأن تكون لغة إعلام، حيث يرى الدكتور عبد العزيز شرف أن اللغة العربية لغة إعلامية تقوم على نسق الفن الإعلامي[2] الحديث مؤكدا على الصفات التي ينبغي أن تتحلى بها لغة الإعلام ومنها البساطة والمرونة.[3]

(١) علي الحاوري، إضافته العلمية عن وسائل الإعلام واللغة العربية، صنعاء، ٢٠٢٣

(٢) يقصد بنسق الفن الإعلامي هنا طريقة العرض والأسلوب الذي تأخذ به الرسالة الإعلامية، والتقليد المتبع الذي يتماشى مع اتجاهات المجتمع وميوله.

(٣) عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام ولغة الحضارة، القاهرة، مؤسسة مختار للطبع والنشر، ص ٨.

الشكل (٢) يوضح صفة اللغة الإعلامية باعتبارها لغة عربية

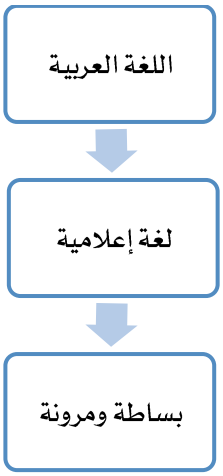

تحديات اللغة العربية في حقل الإعلام:

إن القارئ في الصحف قد يجد على صفحاتها دعايات إعلانية قد صيغت باللغة العامية المبتذلة وهذه الإعلانات التي قد كتبت باللغة العامية نراها منتشرة في كل مكان في الصحف والإذاعة والتلفاز وفي اللافتات البارزة على جوانب الطرق من قبل مؤسسات الإعلان التي لا شغل لها سوى الكسب المادي.

ويسهم هذا الواقع الذي تعيشه وسائل الإعلام في الإساءة إلى اللغة العربية، والترويج للأفكار والألفاظ التي تحرف كلماتها، وتغير معانيها، وقد أدى الابتذال واستخدام ألسنة الممثلين وغيرهم في التأثير على جماهير وسائل الإعلام، لاسيما الوسائل السمعية والبصرية بما يسمعون ويشاهدون، وانتشار الكلمات المحرفة والمصطلحات المبتذلة بين هذه الجماهير.

إن ما يحدث من ضعف واضح في التعامل مع اللغة العربية لدى بعض وسائل الإعلام التي لا تحترم قيم اللغة العربية ومفرداتها يعد مشكلة كبرى، حيث تمتلئ صفحات الصحف والمجلات بالإعلانات التي تصاغ بالعامية، وكذلك النشرات التوعوية وأغلب مجلات الأطفال، فضلا عن انتشار اللحن، والأخطاء النحوية، واستخدام الأساليب اللغوية الركيكة على صفحاتها، ويضاف لذلك استخدام مصطلحات أجنبية في بعض الأحيان من المقدم أو المذيع للبرنامج دون الأخذ بالاعتبار إلى ما يسببه ذلك من إرباك

وتشويش على إيصال الرسالة الإعلامية، وأثر سلبي على مكانة اللغة العربية، وقد يعود ذلك إلى ضعف إلمام المحررين بقواعد النحو والسرعة، وعدم الاهتمام بالأساليب اللغوية السليمة، وهناك ما يسمى في عالم الصحافة بالقوالب الجاهزة التي تصب فيها المادة الصحفية، وهذا ما نراه في كتابة خبر معين في كثير من الصحف وبطرق متشابهة، كما أن الـ بعض منهم يستخدم ألفاظا ومفردات أجنبية على الرغم من وجود لفظ عربي مقابل لها، وينشر إعلانات باللغة الإنكليزية أو الفرنسية أو سواهما.

شكل (٣) يوضح أبرز الأخطاء الواردة في اللغة الإعلامية

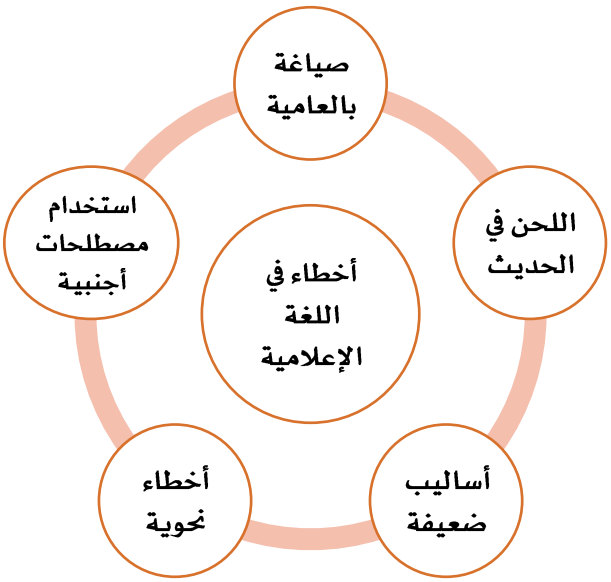

كما تأتي من التحديات التي تقف أمام الإعلام العربي صراع اللهجات المستعمرة أو التقليد الأجوف بين الإذاعات والفضائيات العربية، والتنافس المحموم لحيازة السبق في نشر عامية هذه الإذاعة أو تلك الفضائية بين أوساط الكثير من المستمعين أو المشاهدين، وقد زاد هذا التلوث اللغوي بظهور وانتشار المسلسلات والأفلام، وتطور هذا الأمر إلى برامج التراث والإعلانات، وبرامج المقابلات، ولا بد من الإشارة هنا إلى منافذ العامية في الإذاعة والتلفزيون التي تظهر لدى المذيعين والمذيعات، فأكثرهم قد لا يحسنون صياغة جملة فصيحة، وأخطر المواد تلك الموجهة للأطفال التي ترسخ العامية في نفوس النشء، وهي في

مرحلة تتشوقون فيها للمعرفة، ويسهل تأثرهم بما حولهم، وان مروراً أو تصفحا ولو لمرة واحدة في أحد مواقع أو منتديات شبكة الإنترنت تصيب المرء بالذهول من شدة التراجع اللغوي الذي تشكو منه هذه المنتديات وتلك المواقع.

وسائل الإعلام والارتقاء بالعربية:

في الوقت الذي لابد لوسائل الإعلام أن تساهم في الارتقاء بمستوى اللهجات العامية التي تقدم بها برامجها بحيث تصبح الألفاظ الفصحى وتعبيراتها أكثر تداولا على الألسنة تمهيدا لتعميم استعمال اللغة العربية الفصحى في جميع البرامج، إذ إن هذه اللغة الفصحى هي الأساس للثقافة العربية، وتعميم استعمالها يمكن مخاطبة جمهور أوسع،[1] فالفصحى في التلفاز يمكن أن تلقى نجاحا من جانب المشاهد العربي في الاستقبال، ذلك أن لغة التلفزيون هي لغة المشاركة، فالجمهور يشاهد لأنه يبحث عن المشاركة في أحداث ومشكلات من صنع الواقع أحيانا ومن صنع الخيال أحيانا أخرى، وقد أصبحت فرص المشاركة الاختيارية اليوم أعظم بكثير بسبب التقدم التكنولوجي في المرحلة التي نعيشها.

كما يرى اللغويون أن لغة الصحافة والإعلام قد حققت الحالة التعادلية[2] بين الخصائص اللغوية وبين شعبية الصحافة بالبساطة والسهولة والصحة، وبالابتعاد عن العامية في اللفظ، والسوقية في الفكر.

الشكل (٤) يوضح أبرز صفات لغة الإعلام التي تجعلها مفهومة وراقية

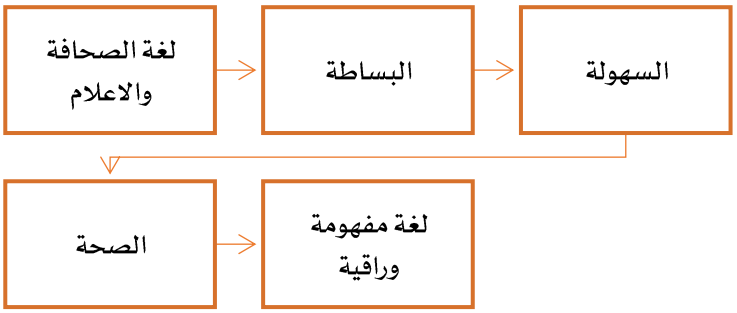

وتظهر قضيتي الفصحى والعامية بوصفهما من أهم القضايا في مجال الإعلام اللغوي في تحقيق الوظيفة التعادلية في اللغة بين الفصحى وتأثرها بالعوامل التاريخية، والاجتماعية، والنفسية، والجغرافية،

(١) محمد حسين أبو الفتوح، الوعي اللغوي بين قاعات الدرس وأجهزة الإعلام، جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية، المؤتمر السنوي – أكتوبر ٢٠٠٠ م، ص ١٤٩.

(٢) يقصد بالتعادلية هنا التوازن ما بين مفردات اللغة العربية وخصائصها الراقية وبين استخدام الصحافة للعبارات والكلمات السهلة والبسيطة

وبالتالى ظهور ما يسمى باللهجة العامية التى تبدو تحديا من تحديات لغة الإعلام العربى، وقد رأى عباس محمود العقاد: " أن أحد أسباب التشعب وظهور اللهجات كان أمرا مثيرا وملفتا في العصور الماضية، ولم تكن إلى جانب هذه الإثارة أسباب للتوحيد والتقريب توازيها في القوة والتأثير، ولكن هذه الأسباب توافرت في العصر الحاضر بعد شيوع الصحافة والإذاعة والصور المتحركة، وقد تحقق من أثر هذا التقريب أن أصبحت العربية الفصحى قريبة الفهم لغير المتعلمين، وقد دخلت في الفصحى أيضا مفردات نافعة من ألفاظ الحضارة يمكن إجراؤها مجرى المفردات الفصحى بغير تعديل، أو ببعض من التعديل".

الشكل (٥) يوضح أن اللغة العربية لغة تستوعب غير المتعلمين في خطابها

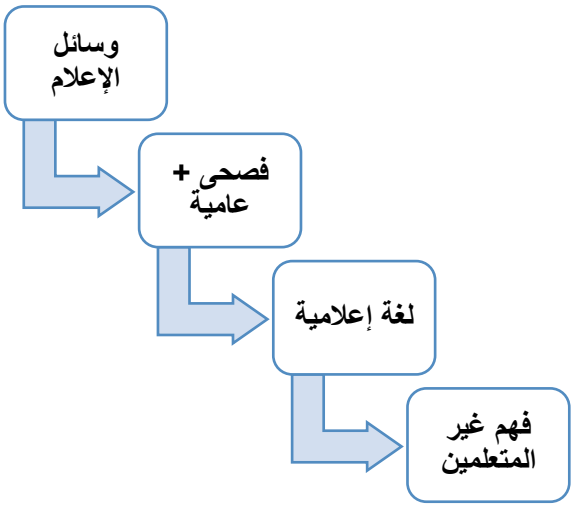

وسائل الإعلام ونشر اللغة العربية:

إن وسائل الإعلام قد تجعل الأشياء والألفاظ والتعابير واللغة مألوفة عند الجماهير، وقد نهضت بعض وسائل الإعلام الجماهيري في بعض المؤسسات والأنظمة العربية بمهمة تعميم اللغة العربية الفصحى ونشرها لما لها من تأثير في التعبير، والتوجيه، والإقناع، خاصة الوسائل المسموعة والمرئية (إذاعة وتلفزيون، وسينما) والتي تعتمد اللغة المنطوقة في هذا الزمن الذي يشهد محاولات بل وتصرفات مسيئة لدى جهات ومؤسسات وأنظمة عربية وغيرها للتضيق على نشر اللغة العربية، ومحاصرة انتشارها المطلوب بزعم صعوبة استيعابها وفهمها، وتارة بحجة أنها لغة المتخلفين والجامدين، وغيرها من الحجج والأعذار الزائفة، وغير المنطقية.

الشكل (٦) يوضح الأثر والدور الذي يؤديه الإعلام المسموع والمرئي في المجتمع

وحين يخصص التلفزيون بالذكر فذلك باعتباره وسيلة إعلامية مهمة، ذات شعبية جماهيرية واسعة على مختلف أنحاء العالم، وذلك في إطار تعميم العربية الفصحى، وبوصف التلفزيون من أكثر وسائل الاتصال الجماهيري انتشارا، ولما يتميزبه من خصائص فاعلة وإيجابية بين وسائل الإعلام الأخرى، ويملك قدرات كبيرة للوصول إلى الخلية الأساسية في البناء الاجتماعي ممثلا في الأسرة، كما أن البث التلفزيوني يتمتع بقدرات تكنولوجية عالية قادرة على اختراق الحواجز، وتخطي الحدود الجغرافية.

الشكل (٧) يوضح خصائص الإعلام التلفزيوني التي يتميز بها

كما ترجع أهمية وسائل الإعلام في الحياة اللغوية إلى عدة عوامل من أهمها:

١. طبيعة اللغة ووظيفتها، فاللغة في المقام الأول ظاهرة منطوقة مسموعة، والإذاعة تقدم اللغة منطوقة مسموعة واللغة أهم نظم الاتصال، ويتيح استخدام الصورة في وسائل الإعلام المرئية أن تقدم الرسائل الإعلامية بعناصرها اللغوية وغير اللغوية، فاللغة ضرب من ضروب السلوك، وليست مجرد معرفة، ووسائل الإعلام تؤثر في تكوين هذا السلوك اللغوي تأثيرا بعيدا.

٢. ولما كانت اللغة الإعلامية تتميز بخصائص عدة، فهي تختلف بطبيعة الحال عن لغة العلوم والدراسات المتعمقة، لأنها تتجاوز مخاطبة الفئات المتخصصة إلى الجمهور الواسع في المستويات المتفاوتة، لكن ذلك لا يمنع بأي حال من الحرص على مراعاة القواعد اللغوية المتعارف عليها، وعلى خصائص أخرى في الأسلوب وهي البساطة والإيجاز، والوضوح، والنفاذ المباشر، والتأكد، والأصالة، والجلاء، والصحة.

شكل (٨) يوضح القواعد اللغوية المهمة في مجال الإعلام

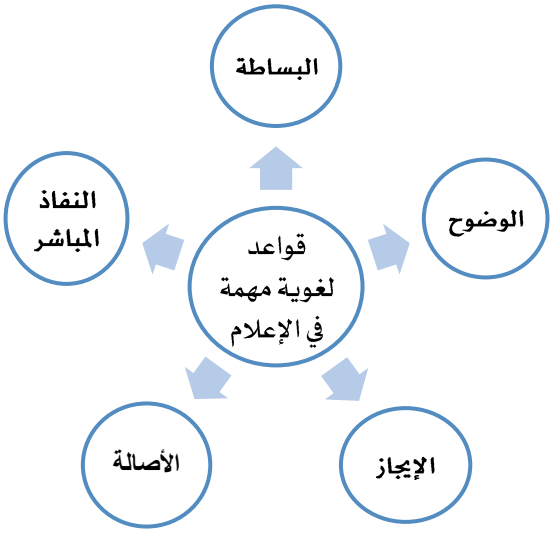

ويعد الإعلام بوسائله المختلفة من أقوى الوسائل لنشر للغة، والحفاظ عليها أو في الوقت ذاته للتفريط فيها والإساءة إليها، فكلما ازدهرت لغة من اللغات، إلا وكان من أقوى وسائل التطور الإعلام بمختلف قنواته ووسائطه، وكلما تراجعت لغة ما وتراجع دورها وضعف تواجدها إلا وكان من أسباب ذلك التراجع قصور وسائل الإعلام عن القيام بواجبها تجاه اللغة التي تستخدمها والتي تنتسب إليها.

شكل (٩) يوضح الارتباط بين قوة اللغة مع قوة وسائل الإعلام

وسائل الإعلام والتنمية اللغوية:

وتعود أهمية وسائل الاعلام في الجانب اللغوي إلى عدة عوامل منها: طبيعة اللغة ووظيفتها، كما يتيح استخدام الصورة في وسائل الإعلام المرئية أن تقدم الرسائل الإعلامية بعناصرها اللغوية وغير اللغوية، فاللغة صنف من أصناف السلوك، وليست معرفة فحسب، وتؤثر وسائل الإعلام في تكوين هذا السلوك اللغوي تأثيرا كبيرا.(١)

وعلى اعتبار أن الخاصية الأساسية للكتابة الصحافية أو الإذاعية هي سلامة اللغة، وبالتالي فإن النطق السليم للغة معيار مهم للحكم على نجاح الرسالة الإعلامية وتأثيرها على الجمهور.(٢) كما تعد اللغة المرتكز الأساس في العملية الاعلامية على تعدد قنواتها وتنوع وسائلها، وكلما كانت اللغة سليمة قوية كان الإعلام ناجحا في توصيل الرسالة إلى جمهوره، وإن فسدت اللغة الإعلامية فسد الذوق العام، وضعفت قوة الرسالة، وتعذر التواصل والتأثير في الجمهور.

في حين أن الأداء اللغوي لدى بعض الإعلاميين يعاني من قصور يؤثر على مستوى العمل الإعلامي الأمر الذي يتوجب بذل المزيد من الجهد الموظف لتطوير وتحسين الأداء اللغوي للإعلاميين، مع تطوير تعليم اللغة العربية في المؤسسات الإعلامية المتخصصة، من أجل ضمان مستوى أفضل وأرقى في الأداء اللغوي الإعلامي.

ويبقى لوسائل الإعلام دورها الفاعل والمهم في مجال التنمية اللغوية، إذ من الممكن أن تمثل الرسائل الإعلامية الوعاء الكفيل بنهضة المستوى اللغوي العام، على نحو يحقق الوحدة اللغوية في إطار المعاصرة والدقة، وهو أمر واقع حيث أصبحت وسائل الإعلام تقوم مع المؤسسات التعليمية بدور مهم في تشكيل ملامح الحياة اللغوية.(٣)

والأمر الواضح أن اللغة العربية الإعلامية بحاجة إلى تحديث وتطوير يقوم عليه الإعلاميون أنفسهم، وهو أمر يقتضي الاحساس بأهمية الرسالة الإعلامية التي يسعون إلى تطويرها.

(١) نادية بن ورقلة، دور الإعلام في تشكيل الواقع اللغوي في الوطن العربي، جامعة زيان عاشور، الجزائر، ٢٠١٨

(٢) انظر: نور الدين بليبل، الارتقاء بالعربية في وسائل الاعلام، كتاب الأمة، الدوحة، ٢٠٠١، ص٦٠

(٣) التربية والتعليم واللغة عند علال الفاسي للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، الرباط، ٢٠٠٠ م.

النتائج:

١. توصل الباحث من خلال هذه الورقة العلمية إلى عدد من النتائج، يأتي أبرزها فيما يلي:
٢. أن هناك علاقة إيجابية بين وسائل الإعلام واستخدامها للغة العربية، كونها تمثل لغة الإعلام بما تحمله من قوة في معانيها، ورقي في أساليبها، وتنوع في خصائصها.
٣. أن بعض وسائل الإعلام الجماهيري في بعض المؤسسات العربية وفي مقدمتها الإذاعة والتلفزيون أسهمت في دعم اللغة العربية الفصحى ونشرها لما لها من دور إيجابي في التأثير على أفراد الجماهير المستهدفة.
٤. وجود إساءات متكررة إلى اللغة العربية لدى العديد من الصحف والمجلات والإعلانات، والإذاعات والقنوات التلفزيونية، والكثير من مجلات الأطفال، حيث اللحن في العبارات والألفاظ، فضلا عن الأخطاء النحوية، واستخدام الأساليب اللغوية الركيكة في صياغتها وتقديمها.
٥. أن اللغة تمثل المرتكز الأساس في العملية الاعلامية مع تعدد قنواتها وتنوع وسائلها، وكلما كانت اللغة سليمة قوية كان الإعلام ناجحا ومؤثرا في توصيل الرسالة إلى أفراد الجمهور.
٦. أن لوسائل الإعلام دور فاعل ومهم في التنمية اللغوية، حيث يمكن أن تمثل الرسائل الإعلامية الوعاء الكفيل بنهضة المستوى اللغوي العام، بشكل يحقق الوحدة اللغوية في إطار المعاصرة والدقة.

مراجع الموضوع:

١. أنور الدين بليبل، الارتقاء بالعربية في وسائل الاعلام، كتاب الأمة، الدوحة، 2001م .
٢. الوليد حسن علي، "أهمية اللغة العربية في حياتنا "، mysite.kku.edu.sa. بتصرف.
٣. دعاء النابلسية، أهمية اللغة العربية، ومكانتها، موقع المرجع، أغسطس، 2023، https://almrj3.com
٤. عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام ولغة الحضارة، القاهرة، مؤسسة مختار للطبع والنشر
٥. نادية بن ورقلة، دور الإعلام في تشكيل الواقع اللغوي في الوطن العربي، جامعة زيان عاشور، الجزائر، 2018
٦. فادية المليح حلواني، لغة الإعلام العربي، مجلة جامعة دمشق, المجلد ٣١ العدد الثالث ٢٠١٥ .
٧. محمد حسين أبو الفتوح، الوعي اللغوي بين قاعات الدرس وأجهزة الإعلام، جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية – المؤتمر السنوي – أكتوبر ٢٠٠٠م.

٨. محمد البكاء، الإعلام واللغة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2010م
٩. يوسف عبد علي الوحش، اللغة الإعلامية، دار دجلة، العراق، 2016 م
١٠. التربية والتعليم واللغة عند علال الفاسي للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، الرباط، 2000 م
١١. أهمية اللغة العربية، موقع العربية للجميع، المركز الإعلامي، https://www.arabicforall.net
١٢. https://www.arabiclanguageic.org
١٣.

اللغة العـــربية والتنـــمية المستـــدامة

أ.د محمد عبد القادر العيدروس
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأحقاف – حضرموت
د. عبد الله عبدالقادر العيدروس
أستاذ الشريعة بجامعة الوسطية الشرعية – حضرموت

اللغة العـــربية والتنـــمية المستـــدامة - أ.د محمد عبد القادر العيدروس - و د. عبد الله عبدالقادر العيدروس

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي تحدث عن عظمة وحيه وأنه اختار العربية لتكون لغة تنزيله فقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٩٥]، والصلاة والسلام على أفصح الخلق قاطبة في كل شيء الذي قال عن نفسه: «أنا أفصح العرب ميد أني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر»[١].

أما بعد:

فإن اللغة العربية من أعظم لغات الدنيا، استحقت ذلك لما أنزل القرآن بها، وتحدث عن لغة نفسه في آيات عدة ليؤكد عربية لغة القرآن.

أسباب اختيار البحث:

في هذه الورقات سنتحدث عن بعض الخصائص التي قدمها القرآن الكريم للغة العربية كونه أهم مصادر اللغة العربية، بل إن اللغة لو لم يوجد غيره لكفاها مصدرا موثوقا، فقد كمل فيه الأسلوب والفكرة وأرخ للغة في تطورها، وبين منهجها ورؤيتها ووظيفتها بالنسبة للإنسان، وسيظل دائما ملهما للإنسان عامة وللغوي بشكل أخص، يجدد له الأفكار والمناهج ويرفع من إنسانيته ويبعد عنه كل سوء يمكن أن يحمله ويتلقاه عن الواقع الشيطاني على هذا الكون.

مشكلة البحث:

الموضوع طويل ومتشعب ويحتاج إلى دراسات ومناقشات مستفيضة من المختصين، لكن مشكلتنا نحن -المسلمين- في العصر الحاضر أنا ابتعدنا عن النص القرآني دراسة وتحليلا وبحثا ومنهجا، واكتفينا باجتهادات العلماء الأقدمين، وتوجهنا إليها بالبحث والدراسة والتقديس أكثر مما توجهنا إلى المصدر الرئيس القرآن، فخسرنا الكثير، وأصبحنا نتساوى مع كل الأفكار التي أنتجها البشر وألهوها لتكون هي المتصرفة في الإنسان، حتى ضقنا بما قدمه أسلافنا لجموده وتكرار أفكاره وعدم قدرته على حلول مشكلات

(١) شرح السنة ٤/٢٠٢.

البشرية التي تعقدت، فلا هناك أفكار ولا إبداعات ولا حرية، بل إعادة صناعة تختلف في الشكل عن القديم فحسب وتقدسه.

فذهبنا نستورد مناهج وأفكار في كل الاختصاصات من خارج البنية الفكرية الإسلامية، وهذا الأمر دائما ما يرافق كل أمة رأت في نفسها القداسة وفيما أنتجته الكمال فيطغى عليها العي، ولا حل لها غير الخروج من البنية الفكرية لها، وهذا الأمر ليس عيبا ولم ينكره الإسلام في الأمة بل جاءت النصوص لتبين أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيثما وجدها [1]، لكن هذا الأمر يكون طبيعيا ومفيدا متى ما كان المصدر المعصوم فاعلا في ذلك الإنسان، أما متى ما رفضت فاعليته فإن الفشل حينئذ يكون متراكما ولن يزداد المستورد إلا تخلفا وتبعية وتقديسا من جديد لكل ما هو مستورد، لأن الفكر وإنتاجه أصبح معدوما.

أهمية البحث:

إن أولى خطوات النهضة في الأمة إن أرادت ذلك هو العودة إلى النص "القرآن الكريم والسنة النبوية" بالدراسة والبحث والتحليل العميق في جميع الاختصاصات ومنها اللغة مستفيدة من وسائل الواقع ودراسات الماضي لكن غير مقلدة ومقدسة لشيء منها لا أفكارها ولا أفرادها.

وهذه الورقات نظرات عابرة في النص تبين جزءاً بسيطا مما قدمه القرآن الكريم للغة العربية جعلها لغة للفكر الناضج والهادي للإنسان في كل مكان، وأخرجها مما كانت عليه من حدود الزمان والمكان.

حدود الموضوع:

يقتصر الكلام في هذا البحث على القرآن وخصائص القرآن في تحقيق التنمية المستدامة للغة العربية.

الدراسات السابقة:

وجدت هناك العدد من الدراسات متعلقة باللغة والتنمية المستدامة فمن ذلك:

- اللغة والتنمية المستدامة ـ دور اللغة في التحول إلى مجتمع المعرفة والاقتصاد للدكتور محمد مراياتي، إلا أن هذا البحث اقتصر على النواحي الاقتصادية ولم يبين أثر القرآن الكريم في وخصائصه اللغوية في تحقيق هذه التنمية، بل تحدث عن النواحي اللغوية التي تحدثت عن الاقتصاد في الشعر والأدب، وأثر اللغة في ترجمة المعارف في نقل النظريات الاقتصادية وتطويرها.
- اللغة العربية ودورها في التنمية المستدامة للدكتور محمد أمين الضناوي وهو بحث نشر في مجلة

(١) سنن ابن ماجه رقم (٤١٦٩)، ٢/١٣٩٥.

الآداب والعلوم الإنسانية المجلد الثاني العدد السادس لعام ٢٠٢٠م قسمه الباحث على ثلاث نقاط الأولى في تعريف اللغة العربية لغة واصطلاحا وخصائصها وموقعها بين اللغات والنقطة الثانية تعريف التنمية المستدامة والنقطة الثالثة أبرزت أثر اللغة العربية في التنمية المستدامة مبينا فيه أثر اللغة والثقافة وتكوين الشخصية والتواصل والتعبير عن المشاعر والأفكار.

ويتضح من خلال هذا البحث أنه لم يتحدث عن مدى التطوير الذي حصل بالقرآن الكريم والنقلة النوعية التي أحدثها للغة العربية في شتى مجالات الحياة والمعرفة بل وإحياؤه للغة العربية بأفكار لم تكن على ذهن العربي قبل الإسلام.

خطة البحث:

يمكننا تقسيم الخطة على مبحثين:

المبحث الأول: واقع اللغة العربية قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: واقع اللغة العربية قبل بعثة النبي ﷺ
- المطلب الثاني: واقع اللغة العربية بعد بعثة النبي ﷺ

المبحث الثاني: أهم آثار القرآن على اللغة العربية وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ديمومة اللغة العربية واستمرارها.
- المطلب الثاني: توثيقها للتراث.
- المطلب الثالث: حمله لغة الرسالة.

الخاتمة: وتشتمل على:

النتائج والتوصيات.

ولا شك أن القصور بين؛ لأن الموضوع أكبر بكثير مما تحتمله ورقات معدودات، ومن أن يعالجه فرد واحد، لكن حسبي أني أحاول أن أحرك الساكن البحثي في اللغة، وأن ألفت إلى أهمية الرجوع إلى المصادر الرئيسة "القرآن والسنة والكلام العربي شعرا ونثرا" من جديد دراسة وبحثا وتحليلا لنستطيع أن ننتج نهضة لغوية في البحث وفي المنهج في جميع علوم اللغة.

فالتقويم والإضافة والإرشاد مهم في موضوعنا وأشكر كل من أهدى إلي نقصي وفي الختام أصلي على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المبـــحث الأول

واقع اللغة العربية قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: واقع اللغة العربية قبل بعثة النبي ﷺ
- المطلب الثاني: واقع اللغة العربية بعد بعثة النبي ﷺ

المطلب الأول

واقع اللغة العربية قبل مبعث نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم

اللغة التي سنتحدث عنها هنا هي اللغة التي يتكلم بها من يسكن في وسط الجزيرة العربية بشكل أخص كون أكثر القبائل العربية تعيش هناك، أما من في الجنوب وفي الشمال فدول وحضارات.

بيئة الجزيرة بيئة قاسية شحيحة في المياه وفي الزراعة وغالبها بدوية ترحل فيها القبائل خلف بهائمهم تبعا للمأكل والرعي والمشر، وما هناك استقرار إلا في مكة وكذا المدينة المنورة لما فيها من الزراعة وتوفر المياه.

تعد اللغة من أهم الأمور الخطيرة التي تؤثر على العربي في تلك البيئة، فبها يتواصل وبها يحفظ تراثه ومآثره، وبها تعرف الأجيال بعضها، وبها تنقل جميع المعارف والأفكار من التاريخ ومن الواقع، وبواسطتها تنقل كل تلك الأمور إلى المستقبل.

اهتم العربي بلغته أيما اهتمام، وارتقى فيها رقيا لم يرتق في غيرها مما يعرف من العلوم، بل ربما فاق في اهتمامه باللغة وما أنتج فيها غيره من الأمم، وكان دائما يجعل لغته مجالا للتنافس فيما بينهم في بيانها وفصاحتها وأسلوبها لتكون في كل لحظاتهم ملهمة للإبداع والتفكير، فلا تمر لحظة لا يفكر العربي فيها وفي الإنتاج منها، ولهذا كان فيهم الشاعر المبدع والخطيب المصقع يتمتع بمكانة اجتماعية وسياسية عالية، وله مركز متميز في السلم الاجتماعي آنذاك، يقول ابن رشيق: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج." [1]

هذه اللغة أصبحت بهذا الاهتمام في القمة في كل شيء، في البيان وفي الأسلوب وفي الفصاحة، وفي كل ما يتعلق بالتركيب واختيار المفردات والعلاقة فيما بينها، وما تقدمه تلك العلاقة من الخيال والمجاز، وأصبح من الصعب في مرحلتها المتقدمة على الجميع شعراء وخطباء وفصحاء أن يبدعوا أو ينتج أحدهم جديدا يستطيع به إبراز نفسه ولفت انتباه اللغوين له ويكون محط أنظارهم.

هذا النضج وهذا الرقي وهذه الصعوبة عند المنتسبين إليها في إنتاج الجديد جعلت أهل اللغة وقيادتها يتخيرون مما أنتج أفضله وأرقاه ليكون له شرف التعلق على جدران الكعبة، يقول ابن عبدربه: "إذ كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها، والمقيد لأيامها، والشاهد على حكامها، حتى لقد بلغ من

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٦٥/١.

كلف العرب به، وتفضيلها له، أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها على أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهبة امرئ القيس، ومذهبة زهير. والمذهبات سبع، وقد يقال لها المعلقات. " [1] هذا الأمر يكشف أمرين:

أولى الأمرين: أن اللغة قد بلغت القمة التي لا قمة بعدها، حيث أصبح أو كاد من الصعب أن ينتج فيها أفضل مما أنتج أو يبلغ أحد أرقى من القمة التي وصلت إليها، وهذا يشكل خطرا على أولئك الأقوام؛ لأن الوصول إلى القمة يعني بداية الخضوع للسنة الكونية التي إذا بلغ الأمر فيها القمة فإنه يبدأ بالانهيار، وانهيار اللغة يعني انتهاء كل ذلك التراث والتاريخ، وكل ذلك اللون الناصع من البيان والفصاحة وعمق ودقة الأسلوب، وكل تلك العلاقة بين قبائل الجزيرة في الواقع وفي التاريخ وكذا في نقل كل ذلك إلى المستقبل، ولابد من إنتاج وتطور ورقي من جديد، وهذا يعيد ترتيب كل شيء في الأمة التي تتكلم تلك اللغة.

وثاني الأمرين: إنما علق من تلك الأشعار على الكعبة يمثل نموذجا يحتذي به الجميع، وهذا حافز للجميع ليبدعوا أو ينتجوا مثل ما أنتج، أو حتى يستطيعوا القرب مما أنتج؛ لأن أي إنتاج مثل الموجود أو أحسن من الموجود سيعطي أملا للجميع أن اللغة لا زالت في خير، وأن القدرة على الإبداع والتطور لازالت موجودة، وأن المجتمع لا زال ولادا للمبدعين، وإذا لم يكن كل ذلك فإن على الجميع أن يبذل جهده لتظل اللغة تسير على نفس الوتيرة من الرقي أكثر مدة ممكنه.

لم يستطع الشعراء ولا الخطباء أن ينتجوا شيئا يطمئن المجتمع واللغة، والمحاولات المتكررة للشعراء والخطباء في الوصول إلى نفس إبداع المعلقات أو القرب منها لم توفق، وهذا يجعل العقلاء والحكماء واللغويين آنذاك يعيشون خوفا وإرباكا، فالقيمة الاجتماعية التي يغدقون بها على الشعراء، والأموال التي أنفقوها من أجلهم ذهبت جميعها درج الرياح.

هذه الحالة عاشها المجتمع وعاشها جميع عقلاء المجتمع آنذاك، وهم يدركون بدقة ما يدور حولهم، ويعلمون أن اللغة تنهار وتنهار معها كل القيم وكل التاريخ، ومع تلك المعرفة فإنهم لا يملكون حيلة لإيقاف هذا الانحدار، هذه المشكلة العويصة كانت محور تفكير كل عقلاء ذلك العصر وحكمائه ولغوييه، لكن الجميع موقن أنه لا يمكن أن ينتج أفضل مما أنتج، وواقع الشعراء والخطباء والمهتمين باللغة يعلمون ذلك، وهم في علمهم لا يملكون قدرة على التغيير، فأقصى ما يمكنهم هو المحافظة على وتيرة الموجود أطول وقت ممكن، لكن شبح الانهيار للغة وما يتبعه من تغيير جذري للمنطقة وفكرها وعلاقتها ببعضها وحفظ تراثها

(١) العقد الفريد ٦/١١٨.

ونقله بين الأجيال هو الحقيقة التي لا يمكن أن تغير، وهذه السنة الكونية ثابتة في كل شيء وهي في ذلك الواقع قد وصلت إلى لغة العرب.

المطلب الثاني

اللغة العربية بعد بعثة النبي ﷺ

نزول القرآن الكريم:

في هذا الواقع المتأزم لغويا بعد أن أيقن الجميع أن لغتهم تعيش أزمة حقيقة، هذه الأزمة ستؤثر على كل المجتمع في واقعه وفي تاريخه وفي مستقبله، وأنه لا أفق بينة لإيقاف سير سنة الانهيار على اللغة العربية، وأنه سيتم استبدالها بلغة ربما تسمى العربية لكنها ستختلف شيئا فشيئا عن الموجود، لتصبح في حقيقتها لغة جديدة، يظهر معرفة تلك الجدة بوضوح في الجيل العربي الذي سيظهر بعد مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة، فإنه بيقين سيجد غربة بينه وبين كل التراث والتاريخ والفكر لأجداده، وسيصبح التراث معزولا عن التطوير وعن التأثير، فالترجمة والاهتمام بها في الجزيرة يكاد يكون معدوما، فأكثر المجتمع كان أميا يعتمد في نقل ثقافته وتراثه على الحفظ، وهذا يؤكد انعزال التاريخ والتراث عن التطوير والتأثير في الواقع اللغوي الجديد، وسيبدأ بناء أفكار وثقافة جديدة تبدأ بسيطة ثم ترتقي شيئا فشيئا.

أنزل القرآن في هذا الجو المحبط والمتأزم على لسان نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويعد في الحقيقة الأمل اللغوي الوحيد الذي قدم للغة العربية في ذلك الوضع للأسباب الآتية:

- كانت لغة القرآن راقية بينت أن اللغة العربية لازالت قادرة على الإنتاج، وأن الإحباط والعي الذي حصل لأهل اللغة في المدة الماضية كان طارئا، وأن اللغة العربية ستواصل تطورها في بيانها وأسلوبها مثلما تعودت عليه الأجيال الماضية فهي ولادة بحق، فهذا القرآن يقدم رقيا جديدا في اللغة في صياغتها وفيما تحمله من أفكار.
- إن أرقى إنتاج لغوي وصل إليه العرب وجعلوه قدوة لهم واعتقدوا أنهم غير قادرين على مجاراته بل غير قادرين على الوصول إليه هو المذهبات المعلقة بأستار الكعبة فانغلقت عقولهم عن أن يأتوا بأي جديد؛ في هذا الوضع يأت القرآن الكريم بأسلوبه، ليقفز بهم قفزات لغوية فاقت ما عليه المعلقات، ويعني هذا لهم أن على الجميع أن يعيد تفكيره ورقيه ليكون القرآن حينئذ هو من يستحق أن يكون قدوة، وهذا يغير تفكير الحركة اللغوية آنذاك الذي ارتضت بالمعلقات قدوتها، ويجعلها ترتقي أكثر وتسبح في الأعماق لتنتج من الدرر اللغوية التي تتناسب مع المنتج والقدوة الجديدة، وهذا كله جعل الرؤى والتفكير والإبداع اللغوي ينحى منحى إضافيا جديدا لم يكن في أذهان السابقين دخل في كل أنواع الابداعات اللغوية.
- القرآن لم يقدم لهم نصا لغويا راقيا فحسب بل رافقه فكر لم يكن يعرفه أولئك الأقوام فالنص القرآني لم يكن يؤرخ أو يحلل للواقع أو يسطر نظاما اجتماعيا وسياسيا يتوافق مع ما هو عليه حال

الجزيرة آنذاك أو حال الدنيا، بل تجاوز كل ذلك ليقدم نظاما شاملا عادلا متوازنا في كل اختصاصات الدنيا، قادرا على البعث والتطوير في كل الأزمان والأمكنة، يحافظ على الإنسان وإنسانيته، ويجعله دائما يسير باتجاه الرقي والتنمية، ويبعد ويخفف عنه كل الخصائص غير الإنسانية فيه التي تجعله يركن إلى التقليد وإلى الطغيان وإلى التسلط وإلى الانحدار في إنسانيته حتى يصبح أسفل كل الكائنات التي من المفترض أن يكون أعلاها وسلطانا عليها، فقد ذكر القرآن ما وصل إليه الإنسان في ذلك العصر بقوله: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾[1] وبين ما يجب عليه أن يكون الإنسان قال تعالى: " ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[2] وقال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[3] وقال تعالى: " ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[4] وقال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[5] وَكَلَ هَذَا يعْنِي لِأَوَّلِكَ أَنَ الْقُرْآنُ قدم مواضيع جديدة راقية يَجَبَ أَنْ يعَالجَهَا النَصَ اللغوي، إلى جانب ما كان يعالجه آنذاك من أفكار محدودة في مجالات حياتهم آنذاك، من المنافرات والمفاخرات واللهو إلى جانب ما يمس حياتهم من القضايا مثل الحروب والتجارة والعلاقة بين القبائل... الخ

فنزول القرآن الكريم في ذلك الواقع كان منقذا لهم من كل الأزمات التي كانوا يغرقون فيها سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية ولغوية، ولهذا فإنا نجد عقلاءهم ومفكريهم يفرحون بالنص القرآني ويتلذذون بما فيه من لغة ورقي لغوي، ويعرفون حق المعرفة ما قدمه لهم هذا النص من إنقاذ لمجتمعهم وللغتهم ولفكرهم، حتى أنهم مع كفرهم به حسدا منهم وغرورا يجتمعون خلسة لسماعه من نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلا يقول ابن هشام: "أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم

(١) التين آية رقم (٥).
(٢) البقرة آية رقم (٣٠).
(٣) الاسراء آية رقم (٧٠).
(٤) الذاريات آية رقم (٥٦).
(٥) التين آية رقم (٤).

انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود: فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا. "[1] ويقول أيضا في وصف أبي الوليد لما ذهب لمحاورة نبينا للقرآن: "قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. "[2]

كان هذا هو الرأي الحقيقي للقوم في القرآن، بل ربما أعمق من ذلك، فهم يدركون حق الإدراك قيمة القرآن وما سيكون أثره على المنطقة والكون، فالوليد بن المغيرة ذهب إلى نبينا ليسمع منه القرآن فكان رده عميقا يقول البيهقي: "وروينا عن عكرمة مرسلا في قصة الوليد بن المغيرة أنه قال لرسول الله ﷺ: اقرأ علي فقرأ عليه ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ قال: أعد، فأعاد النبي ﷺ فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر، وقال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته. "[3].

(١) سيرة ابن هشام ١/٣١٥.
(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٩٤.
(٣) الاعتقاد ص٢٦٨.

المبحث الثاني

أهم آثار القرآن على اللغة العربية

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: ديمومة اللغة العربية واستمرارها.**
- **المطلب الثاني: توثيقها للتراث ومنع التزوير.**
- **المطلب الثالث: حمله لغة الرسالة.**

المطلب الأول
ديمومة اللغة العربية واستمرارها

الاستمرار والديمومة:

قدم القرآن الكريم خدمة جليلة للعربية خالفت بها جميع اللغات وفاقت عليها، هذه الخصيصة هو أنه أخرجها من سير سنة الكون عليها، التي ظن العرب أنه بسببها ستنتهي اللغة التي يتحدثون بها آنذاك وتخلق لتحل محلها لغة جديدة، تبدأ النضج والرقي من جديد ربما تسمى العربية لكنها تختلف في قواعدها وفي أسلوبها عما وصلت إليه العربية في ذلك العصر(١)، ولا يمكن أن يدركها المتكلمون إلا بعد مرور مئات السنين، لما تجد الأجيال بينها وبين لغة أجدادهم غربة وعي في الفهم، يقول فندريس: "إن اللغويين يدرسون اللغات التي تتكلم والتي تكتب، ويتتبعون تاريخها بمساعدة أقدم الوثائق التي كشف عنها، ولكنهم مهما أوغلوا في هذا التاريخ، فإنهم لا يصلون إلا إلى لغات قد تطورت وتركت خلفها تاريخا ضخما لا نعرف عنه شيئا. " (٢) فاللغة تقاس عمرها بمئات السنين لا بعشراتها مثل عمر الإنسان. ويقول أحمد مختار "ومن الحقائق العامة أنه وجدت -في الماضي- لغات معينة كانت يوما ما هامة ومنتشرة، ثم اختفت من الوجود نهائيا وبادت معالمها، اللهم إلا من بعض نصوص كتابية وكلمات قليلة افترضتها لغات كانت أكثر حظا، وهي تلك التي عاشت وازدهرت" (٣)

القرآن رفع سنة التغيير عن اللغة العربية فقد اعتاد الكون أن كل عمل يبدأ ضعيفا ثم لا يزال في التطوير حتى يبلغ القمة وتعجز البشرية عن الإضافة والتطوير له فيبدأ حينئذ بالانهيار، وهذه السنة سارية على كل الأمور المادية والفكرية لا يتخلف عنها شيء، وقد بينت سابقا أن العربية قبل مبعث نبينا قد بلغت هذا المبلغ، وعجز البلغاء والفصحاء عن الإضافة لها، بل بعد ذلك عن مجارات نصوص قمتها التي علقت على أستار الكعبة، مما يعني للجميع أنها بدأت بالانهيار حالها حال كل شيء فالسنة الكونية تلك لا ترحم شيئا

في هذه اللحظة بعث نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنزل النص القرآني الذي أبهر الجميع وأعاد للغوين والفصحاء والبلغاء وبقية قيادات المجتمع توازنهم؛ فالأمل في التطوير للغة لازال، والعربية لا زالت ولادة وبعيدة كل البعد على الانهيار، ذا الأمر كان حقيقة لكن سببه هو النص القرآني لا غير فهو من منع السنين عن التأثير في العربية واستطاع أن يرتقي ويقفز بها قفزات كبيرة لم يكن يتوقعها أحد في ذلك العصر.

---

(١) مصادر اللغة للشلقاني ص١٦

(٢) اللغة ص٢٩.

(٣) أسس علم اللغة ص ٧٢.

وأصبحت العربية بعد نزوله في قمة رقيها واستمرت على ذلك الرقي إلى يومنا وستستمر حتى يرفع النص القرآني من الكون الدنيوي، فهي اللغة الوحيدة على هذا الكون، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها التي لا تخلق ولا تنهار ولا تستبدل ولا يستطيع أحد مهما امتلك من القوة أن يغير فيها شيئا، فهي ثابتة في قواعدها وفي أسلوبها وفي مفرداتها تستطيع استيعاب كل الأفكار وتضيف إلى نفسها ما تحتاج إليه من ألفاظ، وتطور من دلالاتها دون أن يؤثر ذلك على استقرارها واستمرارها بنفس الوتيرة التي تركها عليه القرآن الكريم.

وتعد تلك الخصيصة من أخطر وأهم الخصائص التي قدمها القرآن للغة العربية وأصبحت بها لغة دائمة تتخطى الأزمنة والأمكنة دون تأثير.

هذه الخصيصة مهمة في التنمية للبشر على هذا الكون ويمكن إبراز ذلك في النقاط الآتية:

- **الغاء الغربة بين الأجيال التي تتكلم بها:** العربية بصفتها تلك اختلفت عن جميع لغات الدنيا فالتغيير اللغوي على مر السنين يجعل فهم اللغات التي طالها التغيير للمتحدثين بها صعبا، بل ربما لا يمكن ذلك خاصة في اللغات التي لا تحمل فكرا ولا حضارة يحرص المتكلمون بها على الحفاظ عليها ونقلها من جيل لآخر، بل من لغة لأخرى عن طريق الكتابة؛ فينشأ حينئذ لكل لغة تغيرت جيلا يختلف عن الجيل اللغوي السابق وكذا الجيل اللغوي اللاحق في كل الأمور، في الثقافة وطرق التفكير والعادات والتقاليد فتصبح الأجيال منفصلة عن بعضها لا تستطيع التلاقي ولا الاستفادة من بعضها في شيء، وهذا يؤدي إلى ضعف الأجيال اللغوية، وضعف عمقها الفكري والحضاري، وضعف إنتاجها العلمي والمادي، ومتى كانت هناك نهضة قد تحصل في جيل لغوي ما فإنها سرعان ما تنسى في الأجيال اللغوية اللاحقة بسبب التغييرات اللغوية التي لا يمكن للأجيال مراقبتها وقياسها، وهي سنة مفروضة تقف الأمم عاجزة عن تجاوزها، وتعد كتابة اللغات وحصر مفرداتها محاولة من اللغات الحية لتتجاوز هذه السنة، أو تخفف من تأثيرها بحيث تستطيع أن تتواصل الأجيال اللغوية فيما بينها عن طريق نقل تلك المفردات وترجمتها من جيل لآخر، فحينئذ تستطيع الأجيال اللغوية للغات من بعض التواصل، وتحافظ حينئذ على نقل بعض الأفكار، لكنها دائما ما تكون ناقصة ومبتورة، والكتابة لا تستطيع نقل كل شيء علاوة إذا كانت الكتابة تحتاج إلى ترجمات متعددة.

اللغة العربية تخطت كل تلك العراقيل، والغربة بين الأجيال التي عاشتها جميع لغات الدنيا واستطاعت أن توقف سنة التغير تلك بواسطة القرآن الكريم، فكان الجيل الذي يتحدث العربية جيلا

واحدا مهما تباعد في الزمان أو المكان، هذا الجيل متقارب في العاطفة وفي الثقافة، يشعر بالانتماء إلى بعضه، وتعد لغته جزءٍ رئيسا في هويته فهي ركن تماسكه مهما اختلفت رؤيته الدينية والفكرية.

هذه الخاصية أعانته على التماسك وجعلت إنتاجه اللغوي بما تحمله تلك اللغة من علوم وثقافات متراكما لا متناقضا، ولا متصارعا يلغي بعضه بعضا، بل يستفيد اللاحق من السابق ويبني على ما قدم من إنتاج.

هذه الخاصية جعلته قادرا على تسليم الأجيال اللغوية اللاحقة كل إنتاجه باقتدار دون قصور وبسهولة تامة لا تحتاج إلى ترجمات أو شروحات.

هذه الخاصية مكنته من اللقاء بكل لغات الدنيا وما تحمله من فكر وثقافة والاستفادة منها ودمجها في ثقافته ولغته لتصبح جزء منه؛ فطول زمان التداول ينقح كل المستورد ويضفي عليه من هوية العربية ما يبعد الغربة والشذوذ في الثقافة.

هذه الخاصية مكنت كل أفراد اللغة من الاطلاع والاستفادة من كل ما كتب بالعربية مهما بعد زمان الكاتب ومكانه عن زمان القارئ، فلا غربة بينهما ولا اختلاف في المزاج والروح فالبعد الزماني والبعد المكاني منسي.

هذه الخاصية تعطي المتكلم باللغة ثقة تامة في النفس فلغته ذات تاريخ ثقافي وفكري طويل متباعد في الزمان والمكان في الماضي وفي المستقبل، ومتى حصل لبعض الأجيال اللغوية انكسار ثقافي أو حضاري فإن أجيالا أخرى في الماضي وفي المستقبل تعوض ذلك الانكسار، فلا انهزامية قاتلة ولا احباط مدمر للمجتمع وثقافته وفكره وتاريخه، بل يظل المجتمع اللغوي حتى في أحلك ظروفه متماسكا قويا قادرا على تجاوز كل التحديات.

- **تخطي هجمات الإلغاء باللهجات العامية:** واللغة العربية في عصرنا تعرضت لهجمات عدة كان القصد منها إسقاطها وتدمير من يتكلم بها؛ هجمات من الداخل والخارج؛ فمن هذه الهجمات الدعوة إلى استبدالها بالعامية، وتعظيم اللغات الأخرى في الأجيال وفرض تدريسها، والإهمال المتعمد للغة العربية في تدريسها وفي بحثها، وتعميق نظرية الازدراء لأساتذتها، وفرض المناهج البحثية القاصرة لغيرها من اللغات عليها، وإهمال تاريخها البحثي المنهجي والتقليل بل ربما طمس كل إنتاجها البحثي والفكري، وغير ذلك من التحديات التي لو تعرضت له أي لغة لأدى إلى استبدالها وتفتيت وحدة متكلميها ونزع هويتهم وتركهم عالة على هويات الآخرين غير قادرين على استعادة قدرتهم وثقتهم، ويمنعون من أخذ هويات الآخرين فتصبح مجتمعاتهم تابعة

تتقاذفهم أهوية من سيطر عليهم، وهناك أمثلة في التاريخ وفي الواقع منها ما كان عليه الهنود الحمر السكان الأصليين في أمريكا.

لكن مع كل تلك التحديات التي تعرضت لها اللغة العربية فإنها قد تجاوزتها جميعها، وظلت الأجيال اللغوية متماسكة في هويتها وفي ثقتها بنفسها قادرة على الإنتاج الفكري والحضاري والبحثي من جديد وبسهولة تامة، فالعمق اللغوي الطويل في الزمان والمكان دائما يمدها بالقوة ويعينها على النهضة ويمنع التحديات من إسقاطها.

هذه الخاصية أدت إلى تراكم الإنتاج الفكري والثقافي والإبداعي في كل العلوم التي كتبت باللغة العربية، فكل إنتاج جديد يستفيد من هذا التراكم ليكمل ما عليه السابق، ويستفيد من تجاربه الطويلة فاشلة وناجحة فيتجاوزها، مما يعني توفير جهد علمي وزماني كثير، فالتاريخ الفكري والثقافي والإبداعي في كل الاختصاصات سهل الرجوع إليه وسهل الانتفاع به ومعرفته، والبناء عليه يكون سهلا لا يحتاج إلى ترجمات ولا إلى قواميس ولا إلى كل ما نجده في تراث اللغات الأخرى عند متكلميها.

هذه الخاصية أدت إلى كشف كثير من سنن التطوير عند الإنسان في مختلف الاختصاصات فتراكم التراث وسهولة الرجوع إليه، وسهولة استيعاب مراحل تطورات العلوم تجعل المفكرين والمبدعين من الأجيال قادرين على الاطلاع على التطورات في الاختصاصات والقواعد التي تحكم تلك التطورات، فالغربة بينهم وبين ما كتب في العلوم كافة بالعربية معدومة، مهما طال الزمان وتباعد المكان، وهذا ما لم نجده في غير العربية من اللغات نظرا لصعوبة استيعاب التراث، فالغربة بين الأجيال اللغوية عميقة.

المطلب الثاني
توثيقها للتراث ومنع تزويره

تعد اللغة العربية أقدر اللغات على حفظ التراث الذي كتب بها لزمن طويل دون تغيير أو تحوير وهذا الأمر يختص باللغة العربية فحسب دون غيرها من اللغات لما قدمه لها القرآن الكريم من خاصية الديمومة التي هي عليها.

وهذه الخاصية يمكن أن تفيد الإنسانية جمعاء وتفيد التراث الإنساني؛ لأنه يتعرض في طريقه الطويل إلى تزوير وتحوير تجعل مصداقيته للتعبير عمن كتبه تكاد تكون معدومة، والتحوير يدخله في الغالب لما يتعرض له من كثرة الترجمات، فإنه باللغة التي كتب فيها لا تمر عليه مائتا سنة أو أكثر حتى يحتاج إلى ترجمة جديدة، فالألفاظ والدلالات تتغير فلا تستطيع أن تنتقل بسلاسة بين الأجيال اللغوية في اللغة نفسها نظرا لهذا التغيير في اللغة، فيحصل بسببها غربة بين الأجيال اللغوية هذه الغربة تمنعها من قراءة تراثها وفهمه بشكل جيد، ولا يوجد أمام الأجيال اللغوية طريقة لفهم التراث وحفظه غير الترجمة، فيترجم التراث الفكري والعلمي واللغوي للغة ترجمات عدة بحسب الأجيال اللغوية للغة.

والترجمة هي نوع من التفسير يقول الجوهري "ويقال: قد ترجم كلامه، إذا فسره بلسان آخر. ومنه الترجمان، والجمع التراجم" [1] والتفسير بلا شك لا يعني النص المفسر بعينه بل ربما يزيد وينقص في اللفظ ويتبعه زيادة ونقصان في المعنى، ولهذا قسمت الترجمة في العرف على قسمين: ترجمة حرفية، وترجمة معنوية؛ يقول الزرقاني: "فالترجمة الحرفية هي التي تراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه وبعض الناس يسمي هذه الترجمة لفظية وبعضهم يسميها مساوية. " [2] ولا شك أن مثل هذه الترجمة تضر بالأصل كثيرا لأن اللغات تختلف عن بعضها في الألفاظ وفي الدلالات وفي القواعد وفي الأسلوب فيظهر النص المترجم حينئذ مشوها نظرا لهذه الاختلافات، وفي عصرنا هناك برامج في الحاسوب تفعل ذلك ونظرة واحد لنص مترجم بهذه الطريقة يبين مدى التشويه الذي يحصل في النص ومدى بعد تركيب النص عن لغته وكذا ما يتبعه من معنى.

أما الترجمة المعنوية أو التفسيرية فيقول عنها الزرقاني: "والترجمة التفسيرية هي التي لا تراعى فيها تلك المحاكاة أي محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه بل المهم فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة ولهذا تسمى أيضا بالترجمة المعنوية وسميت تفسيرية؛ لأن حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه

(١) الصحاح ٥/١٩٢٨, وتاج العروس ٣١/٣٢٧.
(٢) مناهل العرفان ٢/١١١.

التفسير وما هي بتفسير كما يتبين لك بعد. "[1] ومع أن هذا النوع من التراجم هو في الغالب أفضل من النوع الأول؛ لأن المترجم الخبير باللغتين في أسلوبها وقواعدها يحاول أن ينقل المعاني لا الألفاظ، وهو إذ يفعل ذلك إنما يعبر عن إدراكه لمعنى النص الذي يريد نقله إلى اللغة الثانية، وكيف سيكون كذلك في تلك اللغة، ولا شك أن الإدراك متباين في الأشخاص ومبني في التراجم على سعة الاطلاع في اللغتين وإدراك الأساليب والثقافات فيهما؛ فشخصية المترجم لها أثر حقيقي في نقل النصوص كما إن قدرة المترجم على الحيادية في نقل المعاني له أثر؛ إلى جانب ما يحمل المترجم من ثقافات وعلوم، فجميع تلك تؤثر في الترجمة إلى جانب أن التفسير نفسه ونقل المعاني لا يعني ترجمة حقيقة.

والأهم من ذلك أن اللغات ليست ألفاظا ومعاني فحسب، بل يقف خلف الألفاظ والمعاني روح القائل وحالته النفسية من غضب وفرح واستقرار وقلق وجهل وعلم وفكر، كل هذا ينعكس في اختيار ألفاظه وترتيبها والموسيقى التي تأتي في الألفاظ تبعا لذلك، ومهما كان المترجم بارعا فإنه لن يستطيع أن ينقل كل ذلك.

ولذلك ظهرت في ترجمات القرآن أخطاء نظرا للترجمة اللفظية أو المعنوية فمنها ما كانت بسبب المدلول؛ يقول وجيه عن ترجمة كلمة عبد "من الأخطاء الشائعة في ترجمات معاني القرآن الكريم والكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية ترجمة كلمة "عبد" بـ slave. ونرى أن البعض قد يخلط بين "عبد" وجمعها "عبيد" و"عبد" التي تجمع على "عباد" وهي المقصودة في الآية ﴿عِبدا إذا صلى﴾ (العلق: ١٠). وقد وقع بعض المستشرقين في أخطاء مماثلة عندما ترجموا كلمة "شعاب" جمع "شعب" على أنها "شعوب" جمع شعب فترجموا "شعابا" بـ "peoples". "[2]

ويقول في ترجمة المعاني وعدم القدرة على استيعاب القواعد بشكل جيد، ترجم جورج سيل معنى الآية:

﴿وإن كانت لكبيرة إلا

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]. كالتالي:

Though (this change) seems a great matter unless unto those whom God hath directed;

(١) نفسه ٢/١١١.
(٢) وقفة مع بعض الترجمات الانجليزية لمعاني القرآن ص ٢٩.

ويرجع السبب في هذا الخطأ إلى عدم التمييزبين "إن" الشرطية وإن المخففة من "إن" الثقيلة. والترجمة الصحيحة هي:

In truth it was a hard (test) save for those whom Allah (God) guided[1]" .

وهكذا فإن النص في ترجمته يتحمل كل تلك الأخطاء لكن ما يميز اللغة العربية هو:

- أن التراث الذي كتب ابتداء باللغة العربية يستطيع أن ينتقل بين الأجيال اللغوية للغة نفسها مهما تباعدت الأجيال دون الحاجة لأي ترجمة وهو بهذا يحافظ على مصداقيته بشكل كامل لأزمان طويلة، وتستطيع الأجيال اللغوية للغة نفسها أن تستفيد منه وترجع له وتضيف عليه وتقيم عليه تنميتها بسهولة ويسر.

- يستطيع أن ينتقل هذا التراث بكامله إلى اللغات الأخرى في كل عصورها وتستفيد جميع اللغات من هذا التراث في تنميتها الفكرية والعلمية والمادية وتستطيع أن تؤسس عليه وتطور به هذا التراث إلى جانب تراثها بيسر فهي لا تحتاج إلا إلى ترجمة واحدة فحسب، وفي الترجمة الواحدة تقل الأخطاء ويحمل النص حينئذ مصداقية عالية، ومتى ما كانت الترجمة ضعيفة أو بها من الأخطاء المغيرة فإن اللغة تستطيع أن تتجاوزها بإعادة الترجمة من جديد من اللغة الأم، فتستفيد الترجمة الجديدة ما حصل من تطور في الوسائل وفي العلوم، فيكون التراث الإنساني الذي كتب العربية حيا قادرا على الإفادة والتجدد غير غريب على كل العصور والوسائل الجديدة فيها، ويتجاوز جميع سلبيات الترجمات في اللغات الأخرى؛ لأنه لا يحتاج إلا إلى ترجمة واحدة من النص في اللغة الأم.
- إن الحياة في التراث العربي وقدرته على مجاراة جميع العصور في وسائلها وعلومها يستطيع أن يقدم نفس تلك الحياة وتلك المجاراة للتراث الإنساني عامة وذلك بترجمة جميع التراث الإنساني إلى اللغة العربية ومتى ما ترجم فإنه يستفيد الآتي:

١) يحافظ على نفسه من الضياع والتزوير؛ لأنه متى بقي في لغته فإنه يحتاج إلى ترجمات متعددة في كل الأجيال اللغوية للغة، لأن كل جيل يفتقد إلى التواصل مع الجيل اللغوي السابق له واللاحق نظرا للتغيير الذي يحصل في اللغة فيحتاج التراث حينئذ للترجمة ليستفيد منه الجيل اللغوي الجديد وهكذا، وفي الترجمة تغيير للفكرة وللأسلوب وللقاعدة وللمعنى الذي كتب به في الأصل، وكل ترجمة تعني تكرار ذلك التغيير مما يعني أن مصداقية التراث ذلك في التعبير عن كاتبه وتاريخه وفكره تكون غير صادقة، بل ربما معاكسة للنص الأول فترجمة

(١) نفسه ص٣٤-٣٥.

هذا التراث إلى العربية يمنع كل عيوب تكرار الترجمة تلك، ويحافظ على جزء كبير من مصداقيته.

٢) يعيد فيه الحياة الإنسانية: بقاء التراث الإنساني في لغته وترجمته إلى نفس اللغة أو أي لغة أخرى غير العربية يساهم في موته، وفي بعده عن التأثير؛ لأن مصداقيته تنعدم حينئذ وفاعليته وحياته لا تكون إلا بإعادة ترجمته، والحقيقة أن إعادة الترجمة تعني تزويره وإبعاده عن المصداقية وهذا يعني نهايته ووفاته.

أما بترجمته إلى العربية فإنه يعيد فيه الحياة بمحافظته على المصداقية، وبعده عن الترجمات المتكررة، فيظل هذا التراث الإنساني حيا يستطيع أن يتجاوز الزمان والمكان ويستطيع أن يتأثر ويؤثر في كل العصور اللغوية بالاستفادة من علومها ووسائلها واكتشافاتها، فيتطور تفسيره نظرا لذلك، ويقدم نموا للإنسان في كل العصور؛ لأنه حينئذ في كل عصر يستفيد من منجزات العصر وأفكاره فيقدم تفسيرات لا تنتهي.

٣) إن أي لغة متى أرادت الاستفادة من تراث لغتها فإن عليها أن تستعيد ترجمته من اللغة العربية إليها في أي عصر وجيل لغوي، فهي لا تحتاج إلا إلى ترجمة واحدة فقط، هذه الترجمة تتناسب مع الجيل ومع العصر، وتستفيد من كل إنجازات العصر وأفكاره، وفي الترجمة تلك تجد الأجيال اللغوية صدقا في ذلك التراث، وقدرة على الاستفادة منه، وسلاسة في فهمه، وإمكانية التأصيل والبناء الحضاري عليه، ولا تجد بينها وبينه أي غربة، وهذا الأمر لا يكون إذا بقي التراث اللغوي محفوظا ومكتوبا باللغة الأم، لأن ترجماته ستتكرر بتكرر الأجيال اللغوية وباختلاف اللغات الإنسانية التي أرادت الاستفادة من ذلك التراث، وسيجد ذلك التراث نفسه غير صادق وميت وغير قادر على الحياة ولا على التأثير والتأثر من مختلف منجزات العصر العلمية والفكرية وكذلك المنجزات في الوسائل.

ولا شك أن القدرة تلك في حفظ التراث وبقائه حيا يؤدي إلى تنمية الإنسان المستفيد من ذلك التراث، وكذا إلى تنمية التراث وبقائه حيا يؤثر ويتأثر بكل منجزات العصر، وتفسيراته دائما ما تكون متجددة.

المطلب الثالث
حمله لغة الرسالة

كانت اللغة العربية لغة أقوام تعيش في الجزيرة العربية لم تحمل تلك الأقوام فكرا شاملا ولا فكرا حضاريا جامعا، واللغة وظيفتها إذ ذاك هو التعبير عن الواقع الفكري الضيق والمتناقض، والواقع الاجتماعي المتردي الذي يحكمه الصراع من أجل البقاء، في بيئة قاسية قليلة الموارد في كل شيء، هذا الواقع غير المستقر والضعيف في البنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لا يمكنه أن يقدم رؤية وفكرا ينافس ما عليه الدول الكبرى آنذاك، حتى الدين الذي كان يعتقده ويمارس طقوسه هو دين يعبر عن ضعف الفكر، فهو لا يؤمن إلا بالمحسوس، ويجعل الانسان بعقله يخضع للمحسوس ذلك، واللغة آنذاك هي المعبرة عن ذلك، ولهذا وصلت إلى طريق مسدود؛ فالشعراء هم المفكرون والملهمون في ذلك المجتمع، وقد استنفذهم الواقع ولم يستطيعوا الانفكاك منه ليسبحوا في آفاق الفكر وينتجوا منه جامعة تعيد بنية الإنسان وفاعليته في المجتمع، ولهذا فإن كل شيء في ذلك المجتمع ينذر بالتهاوي والتفكك.

– القرآن الكريم أبعد اللغة العربية عن الجمود وعن قيود الواقع الذي تعيشه سواء كان الواقع سلبيا مثل عادات الثأر واستعباد الإنسان لأخيه على الحقيقة، أو كان إيجابا مثل الحديث عن الأخلاق كالنجدة والشجاعة والكرم.. الخ، لكنه في إبعاده للقيود منع السلبي منها بشكل قطعي وتبنى الايجابي ليكون فكرا إنسانيا عاما لا يختص بموقع ولا زمان ولا فرد، بل بالإنسانية عامة في كل أفرادها وأزمانها وأماكنها.

– القرآن الكريم أخرج اللغة العربية من كونها لغة قوم مرتبطين بمكان وزمان وأفكار تتناسب مع ذلك الزمان والمكان لتكون لغة لكل زمان ومكان لا ترتبط بالأفراد بل بالأفكار، فمتى قرب الفرد من فكرها كان منها ومتى ابتعد عن فكرها خرج من الانتماء الحقيقي للغة، وظل ارتباطه الشكلي بها لكنه دائما ما يشعر بضعف الارتباط بفكرها ودائما ما يقدم شذوذا فكريا خارجا عن السياق الفكري اللغوي للغة العربية قال تعالى: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النحل:١٠٣].

وهذا دائما ما نجده في واقعنا فيمن أراد فرض ثقافة الغرب الأدبية في الموسيقى والمنهج وطريقة المعالجات على مجتمع اللغة العربية، فإن المجتمع اللغوي العربي لا يشعر بانتمائه مهما حاول في تزيينه والصاق عبارة الحضارة أو العلم به؛ فالعزلة حتى عند أهل الاختصاص هي مصيره، والأمثلة كثيرة منها قصيدة التفعيلة التي لم تلق الانتماء الذي تلاقيه غيرها على الرغم أن الفارق شكل فقط وموسيقى خارجية لا غير، وكذلك كل الأفكار التي تقال باللغة العربية وهي في الحقيقة مخالفة للفكر اللغوي

العربي الذي قدمه القرآن الكريم، من النداء بالشذوذ في كل شيء، أو الحرية المطلقة التي تؤدي إلى التغيير الجذري للإنسان قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [سورة النساء:١١٩]، فتظل كل تلك المناداة غير قادرة على السير تترنح في مكانها وبين الشذاذ من مدعيها.

- القرآن الكريم أعطى للغة فكرا شاملا كاملا متوازنا هو الإسلام، يستوعب الإنسان في مختلف الأزمان والأماكن ويقدم له ما يحافظ على إنسانيته في كل لحظاته، ويبين له الرسالة التي من أجلها كان إنسانا ومن أجلها خلق قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦]. ولهذا فإن اللغة العربية بالفكر ترفع من شأن الإنسان وتقدم له مزيدا من الرقي في كل الاختصاصات التي يحتاج إليها مع الحفاظ والمراعاة لكل الاختلافات في الجنس وفي الأماكن والأزمان والوسائل، وما تقدم له تلك من عناصر إيجابية قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات:١٣]. فالإنسان مكرم ومفضل على كثير من مخلوقات الله قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء:٧٠]. محترم في فكره ودينه قال تعالى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الكافرون:٤-٦]، وقال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، وكل فرد فيه مسؤول عن تصرفاته قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٤]، الكون مشترك فيه الجميع قال تعالى: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٩]. والخلافة على هذا

الكون هي وظيفته بكل ما تحمله من معان الادارة والعدل وتثبيت الحق ودحض الباطل والمساواة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة:٣٠]. التفاضل يكون بينهم بالعلم والنفع قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزمر:٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة فاطر:٢٨]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة النساء:٩٥]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة المائدة:١٠٠]، وقال تعالى: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة النحل:٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة فاطر:١٩-٢٢]، الحوار والنقاش والحجة والبرهان والحكمة هي الوسيلة الأنجح للإنسان قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النحل:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ [سورة البقرة:١١١]، والآيات في ذلك كثيرة وأكثر منها ما ورد في حديث نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

- إن اللغات جميعها على هذه الدنيا وخاصة القوية دائما تطمح إلى الخروج من جغرافيتها لتؤثر على الآخر وهي إذ تفعل ذلك تنقل للآخر ما تؤمن به من أفكار وثقافات، وعلى قدر قوة من يقف خلف تلك اللغات يكون فرض تلك الثقافات بالقوة، وفي فرضها ذلك هي دائما لا تؤمن بالثقافات الخاصة للمجتمعات وما يتبع ذلك من هويات متعددة، فهي دائما ما تحاول إنهاء تلك الثقافات وطمسها، أو تركها ضعيفة تقبل في ضعفها بالتبعية للوافد وتقدس ذلك الوافد، وهذا الأمر بين في واقعنا، فالفكر الغربي بلغاته انجليزية وفرنسية وغيرها دائما ما يفرض ثقافته ورؤيته بلغته على جميع الشعوب، ولا يقبل بحوار لغوي أو فكري مع اللغات المحلية، بل يطلبها دائما تابعة ويتدخل في كل خصوصياتها، فالديمقراطية تفرض فرضا والعولمة والعلمانية كذلك، وجميع عادات وثقافات تلك اللغات تصدر وتقدم أنها النموذج الحضاري الراقي الذي يجب أن يحتذى، وأنه لا سبيل إلى التقدم ولا إلى التنمية ولا إلى التطور دونه، وجميعنا يدرك كيف أن اللغة الانجليزية تفرض على جميع الدارسين في العالم الاسلامي بما تحمله من عادات وثقافات بل ودين مخالف لعادات وثقافات ودين العالم الاسلامي، حتى التخصصات التي لا يمكن أن تستفيد من دراسة تلك اللغة من مثل تخصص اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتضخ من أجل ذلك لها أبواق إعلامية وملايين من الدولارات لا ينفق ربما نصفها على اللغة العربية التي تمثل الهوية، والفكر الاسلامي للدول الإسلامية وغيرها و"بريطانيا وفرنسا أصرتا على استخدام لغتيهما في مستعمراتها إلا إن معظم المستعمرات حاول بعد الاستقلال وبدرجات مختلفة وبنسب نجاح مختلفة إحلال لغات محلية أصلية محل اللغة الإمبراطورية" (١)

هذا الأمر تجاوزته اللغة العربية فلم تفعل هذا الفعل المشين، بل دائما ما تحاور وتنقل الفكر بالحجة، وترفض أن تكون بديلا، حتى أن ما تحمله من دين ترفض فرضه، بل تقدم تلك الأفكار وتناقشها مع اللغات المحلية التي لا تستمر في الرفض طويلا، بل نجدها تتبنى تلك الأفكار وتعبر عنها بما هو محلي، لا بسبب الفرض بل بسبب نضج الفكر وكماله الذي تعرضه اللغة، ولهذا بقيت اللغة التركية والايرانية والملاوية والهندية والأفريقية كما هي، بل والفرنسية والانجليزية كماهي، وتبنت جميعها على تفاوت في النسب ما حملته اللغة العربية من أفكار ورسالة إلى يومنا، وظلت ثقافة تلك الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم وكل خصوصياتهم وهوياتهم إلى يومنا، إلا ما تخلت عنه تلك الشعوب

(١) صدام الحضارات ص١٠٣

طواعية من مثل عبادة الأصنام وتعدد الآلهة والعبودية للإنسان وتأليهه.

- اللغات جميعها مهما مثلت القوة أو الصناعة أو التجارة فإن مصيرها إلى الانعزال إلى موضعها الأصلي وكل المناطق التي استخدمت تلك اللغة بسبب السيطرة التجارية أو الاقتصادية أو بسبب الفرض بالقوة ستعود إلى استخدام لغتها المحلية الأصيلة، بل ربما يظهر عداء لتلك اللغة لأنها دائما ما كانت تفرض نفسها وتحاول إحلال نفسها بديلا لغويا وثقافيا للغات المحلية، وهذا الأمر لا يكون في اللغة العربية فإنها ستظل في استقرار بل في رقي وانتشار نظرا لحاجة البشرية لما تحمله من أفكار، ولأنها إذ تنقل تلك لم تفرضها في الشعوب، ولم تجعل نفسها بديلا للثقافات والأفكار للغات المحلية، بل تقيم حوارا ونقاشا فكريا دون فرض، مما يجعل تلك الأفكار لقوتها تنساب لتعبر اللغات المحلية عنها، وتناقشها وتشرحها وتتبناها، وبنظرة سطحية للغة الفرنسية والايطالية والبريطانية كيف كانت في مستعمراتها وكيف هي اليوم، ويؤكد هذا الأمر أن الدين الاسلامي بما يحمله من مبادئ وأفكار يزداد قبوله في الكون، بينما الأديان الأخرى ينحدر قبولها، ويزداد الفارق في اللادينيين وهؤلاء في المستقبل سيعودون للدين ولن يجدوا غير الدين الاسلامي مناسبا لما هم فيه "فنسبة المسيحين في العالمين ارتفعت إلى حوالي ٣٠٪ في الثمانينيات ثم استقرت وهي الآن تنخفض فقد تصل إلى ٢٥٪ من سكان العالم بحلول عام ٢٠٢٥م ونتيجة لمعدل الزيادة السكانية المرتفع جدا فإن مسلمي العالم سيستمرون في الزيادة الكبيرة التي قد تصل إلى ٣٠٪ من سكان العالم مع نهاية القرن وتفوق عدد المسيحيين بعد سنوات قليلة." [١]
- أثرت اللغة العربية الفكر الإنساني بمفاهيم جمة منها: المساواة والعدل، ومنها الجوانب الإنسانية والفطرة، ومنها احترام الإنسان لإنسانيته فقد خلق مكرما، وأن الإنسان حر في فكره وتصرفاته واعتقاده، وأن الحوار هو الوسيلة الوحيدة للإقناع، ومنها الاعتراف بالمرأة شقيقة وشريكة للرجل وأن الكون مخلوق من ذكر وأنثى، وأن لكل نوع خصائص لا يطغى النوع في خصائصه على الآخر، ولا يطلب النوع الإنتاج من الآخر على حسب خصائصه، بل لكل منهما خصائص في حركته وفي إنتاجه، لكنهما يمثلان الإنسان في تكريمه، وأن التكريم الحق في الآخرة لا في الدنيا، وأن الدنيا للامتحان والعمل فحسب، وأن الانتاج المتعدي هو الأفضل، وأن العلم هو من القيم المهمة للإنسان، وأن التبعية في الفكر أو الاعتقاد مرفوضة في الفرد وفي الجمع، وأن الإنسان متى ما بلغ يكون مسؤولا عن جميع تصرفاته ومؤاخذا بها، وأن قيمة الإنسان فيما يقدم من نفع الإنسان والكون، ومفاهيم لا تحصى، وتظل تتنزل تلك المفاهيم وتتطور بما يخدم البشرية جمعاء وينميها، هذه المفاهيم لا تخلق بل تعيد بناء نفسها في كل عصر وزمان لتتناسب معه، وتكون

(١) صدام الحضارات ص ١٠٨-١٠٩

محفزة للإنسان على النمو والتطور والتنمية، وتبعده عن التراجع والانزلاق نحو الحيوانية أو أسفل، ولم تقدم لغة على هذا الكون ما قدمت اللغة العربية من نضج مفاهيمها وشمولها وعدالتها وتوزنها واستقرارها وتخطيها للزمان والمكان وفاعليتها باتجاه الإنسان والكون.

النتائج والتوصيات:

في ختام هذه الورقات نذكر أبرز النتائج والتوصيات:

- كان القرآن الكريم منقذا للعربية مما وصلت إليه من إيقان انهيارها.
- إن القرآن قدم للغة العربية خصائص رئيسة لا تعد ولا تحصى اقتصر البحث على الديمومة وعلى ما حملها من فكر.
- القرآن لما قدم تلك الخصائص كان الظاهر فيها للغة العربية لكن الأبعد هو ما ستقدمه للبشرية من نضج فكري وتوازن شامل وتنمية عامة.
- لا يمكن للغة العربية أن تنتج في الفكر والمنهج وتقدم الهداية للإنسان ولكل لغات الدنيا إلا بقربها من النص القرآني دراسة وبحثا وتحليلا.
- لا يمكن للأمة أن تعيد نهضتها وتكون هادية للبشرية في كافة الاختصاصات إلا برجوعها للنص المعصوم "القرآن والسنة" دراسة وتحليلا وبحثا، وتركها تقديس إنتاج الأفراد متقدمين ومتأخرين، مما كان متوجها للنص المعصوم أو غير متوجه، وتقديس الأفراد وإلصاق بهم صفة العصمة أو الحفظ، ومتى لم تفعل فإنها ستظل في غيها وفي جمودها وفي تعصبها ولن تقدم لنفسها ولا لغيرها أي هداية.
- ضرورة العودة إلى مصادر اللغة العربية وأهمها القرآن الكريم والسنة المطهرة كونهما هما مصدر الإشعاع والتنمية الفكرية واللغوية المستدامة في اللغة العربية.

المراجع:

- القرآن الكريم.
- أسس علم اللغة، تأليف: أحمد مختار عمر، نشر: عالم الكتب، الطبعة الثامنة ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسرِ وجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، نشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية.
- سنن ابن ماجه، تأليف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م.
- شرح السنة، تأليف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتوجتون، ترجمة طلعة الشايب، تقديم د/ صلاح قنصورة، الطبعة الثانية ١٩٩٩م،
- العقد الفريد، تأليف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تأليف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣

هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

- اللغة، تأليف: جوزيف فندريس Joseph Vendryes (المتوفى: ١٣٨٠هـ)، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، نشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.
- مصاد اللغة، تأليف عبد الحميد الشلقاني، الطبعة الأولى ١٩٧٧م والثانية ١٩٨٢م، نشر المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧ هـ)، نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.
- وقفة مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، تأليف: وجيه حمد عبد الرحمن، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

اللغة العربية وأهميتها في ضوء القرآن الكريم

د/أفراح حسن غرامة
دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحديد معنى اللغة، والتعريف بتاريخ نشأة اللغة العربية، وتكريم الله عز وجل لها باصطفائه لها لغة للقرآن الكريم والتشريع الإسلامي، كما يهدف إلى تحديد أهمية الحركات الإعرابية والسياق على فهم المعنى في القرآن، وكذلك أهمية اللفظ في فهم معنى الآيات القرآنية، قامت الباحثة بتتبع تاريخ نشأة اللغة العربية، وتتبع الآيات القرآنية التي تحتمل بعض ألفاظها أكثر من معنى، ثم دراسة تلك المواضع وتحليلها واستنباط ما فيها من معان، ثم نظم تلك المعاني في نسق واحد، وقد احتوى البحث على مبحثين: تضمن المبحث الأول معنى اللغة ونشأتها واصطفاء الله تعالى لها، وتضمن المبحث الثاني أهمية الحركة الإعرابية، وأهمية اللفظ والسياق في فهم معاني القرآن الكريم، وكانت أهم النتائج:

١. كرم الله تعالى اللغة العربية واصطفاها من بين عدة لغات لتكون لغة القرآن والشريعة الإسلامية.
٢. لكل من الحركة الإعرابية، واللفظ، والسياق أهمية في تحديد معنى الآيات وفهمها على الوجه الصحيح.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية – التكريم– الحركة الإعرابية – اللفظ– السياق.

Abstract

This research aims to determine the meaning of the language، introduce the history of the emergence of the Arabic language، and honor God Almighty for it by selecting it as a language for the Holy Qur'an and Islamic legislation. It also aims to determine the importance of syntactic movements and context on understanding the meaning in the Qur'an، as well as the importance of pronunciation in understanding the meaning of Qur'anic verses. The researcher traced the history of the emergence of the Arabic language، and traced the Qur'anic verses in which some words have more than one meaning، then studied those places، analyzed them، and deduced the meanings in them، then organized those meanings in one format. The research contained two sections: The first section included the meaning of the language and its origins. And God Almighty chose it. The second section included the importance of syntactic movement، and the importance of pronunciation and context in understanding the meanings of the Holy Qur'an. The most important results were:

- God Almighty honored the Arabic language and chose it from among several languages to be the language of the Qur'an and Islamic law.
- The grammatical movement، pronunciation، and context are important in determining the meaning of verses and understanding them correctly.

Keywords: Arabic language – honor – inflecti movement – pronunciation – context

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل بالعربية القرآن، فأسبغ عليها الشرف والبيان، وجعلها لنا اللسان، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، صلى **الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وعلى التابعين ومن تبعهم بالإيمان، وبعد:**

لقد حظيت اللغة العربية بما لم تحظ أي لغة أخرى، فقد تنزل بحروفها القرآن الكريم، وكان لهذا الفضل دور كبير في تعزيز قيمتها ومكانتها بين اللغات الأخرى، فهي وعاء الدين الإسلامي، ولا يتم فهم القرآن الكريم والسنة النبوية إلا بها، ولا نتمكن من فهم علوم الشريعة ومقاصدها بدونها، مما يزيدها شرفا ويزيد العرب فخرا وحق لهم أن يفخروا وقد امتن الله عليهم بذلك فقال جل شأنه: چ فاستمسك بالذي أوحِي إليك إنك على صراطٍ مستقيم (٤٣) وإنه لذكرٌ لك ولقومك چ [الزخرف: ٤٤]، وهذا ألبَحْث يلقيَ الضوء علىَ اللّغة العربية مَن حُيْث نشأتها وتفَرّعُهَا عنْ اللغَاتْ السَامية، ويبين أهميتها بتكريم الله عز وجل لها، كما يبين أهمية فهمها من حيث الحركات الإعرابية أو اللفظة في القرآن أو السياق القرآني في بيان معنى النصوص القرآنية.

أهداف البحث:

١- التعريف بنشأة اللغة العربية.
٢- بيان اصطفاء الله تعالى للغة العربية وتكريمه لها.
٣- توضيح أهمية الحركة الإعرابية في فهم معاني القرآن.
٤- بيان أهمية اللفظ في فهم معاني القرآن.
٥- بيان أهمية السياق في فهم معاني القرآن.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة في هذا المجال:

١- دراسة بعنوان " خصائص اللغة العربية الفصحى ومكانتها في الدين الإسلامي" للباحث هاشم الأشعري – وهي عبارة عن بحث منشور في مجلة البيان، تناول فيها الباحث خصائص اللغة العربية من النواحي التاريخية كأقدم لغة سامية، ومن النواحي الدينية والثقافية حيث إنها لغة مقدسة كتب بها القرآن الكريم والأحاديث النبوية وسائر علوم الإسلام وآدابه، وكذلك تناول خصائص

اللغة المعجمية والدلالية، وكذلك النحوية واللغوية (الخصائص الصوتية والصرفية)، ثم بين مقاييس اللغة الفصحى والعامية، وأشار إلى أن اللغة العربية الفصحى هي لغة القرآن الكريم.

٢- دراسة بعنوان: "أهمية اللغة العربية في فهم القرآن والسنة"، أعدها الدكتور محمود أحمد الزين، تناول فيها حكم تعلم لسان العرب وأشار إلى وجوبه حيث إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، واستدل على كلامه بتأكيد المفسرين على وجوب تعلم اللغة العربية، وبين أن القدر الواجب تعلمه من اللغة العربية ما يكفي لتعلم الكتاب والسنة، ثم ختم الباحث الكتاب ببيان مواضع يقع فيها الإشكال بسبب اللغة العربية، وأشار إلى ضرورة فهمها لفهم النص القرآني وأن من تكلم في بيان معاني القرآن والسنة دون أن يتقن اللغة فقد وقع في الخطأ.

ويختلف هذا البحث عن الأبحاث السابقة في عرضه لنشأة اللغة ثم تفرع اللغة العربية عن اللغات السامية وتفردها عن تلك اللغات، وبيان اصطفاء الله تعالى لهذه اللغة لتكون لغة القرآن الكريم وتكريمه تعالى لها، كما يختلف هذا البحث عن الأبحاث السابقة في دراسته لأهمية فهم الحركات الإعرابية في فهم معنى النص القرآني وكذلك أهمية اللفظ والسياق في فهم معاني القرآن الكريم.

منهج البحث:

١- المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع: تاريخ نشأة اللغة العربية، والآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ العربية، وكذلك الآيات التي تحتمل بعض ألفاظها أكثر من معنى.

٢- المنهج التحليلي: وذلك بتحليل ما تم التوصل إليه لبيان أهمية اللغة العربية وتفردها عن اللغات الأخرى، وكذلك تحليل المواضع التي تم تحديدها في القرآن الكريم والكشف عن معانيها في قواميس اللغة العربية وفي كتب التفسير، ثم بيان أهمية فهمها في سياق النصوص القرآنية.

المبحث الأول

نشأة اللغة العربية واصطفاء الله تعالى لها

المطلب الأول: تعريف اللغة العربية ونشأتها

تعريف (اللغة) لغةً:

أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[١]، والجمع: لغى ولغات، ويقال سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم[٢].

وفي الاصطلاح: اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[٣].

نشأة اللغة الإنسانية:

اختلف العلماء والمفكرين كثيرا حول موضوع نشأة اللغة وقدم كل فريق حججا لدعم نظريته، وسنستعرض أهم هذه النظريات استعراضا سريعا:

١- نظرية الإلهام والوحي والتوقيف: ويذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الله تعالى أوحى إلى الإنسان الأول وأوقفه على أسماء الأشياء، وقد ذهب إلى هذا الرأي طائفة من العلماء منهم الفيلسوف اليوناني هيراقليط المتوفى سنة (٤٨٠ قبل الميلاد)، وطائفة من العلماء في العصور الحديثة على رأسهم الفيلسوف دونالد، ومن علماء المسلمين أبو عثمان الجاحظ، وأبو الحسن الشعري، وأحمد بن فارس، وكذلك ابن حزم الظاهري، وعلماء هذا المذهب يعتمدون على أدلة نقلية، فاليهود والنصارى يستدلون بما ورد في التوراة من قولها: " وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية، وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم، ليرى ماذا يدعوها، وكل

---

١) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى، تحقيق: مكتب تحقيق لبنان، ط. الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (١/ ١١)، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط. الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٢/ ص ٨٣١، دار الدعوة.

٣) أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري، ص٩، نقلا عن ابن خلدون، ط الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م، دار ابن حزم.

ما دعا به آدم ذات نفس حية، فهو اسمها، فسمى آدم جميع البهائم، وطيور السماء وجميع الحيوانات البرية [١]".

واستشهد علماؤنا المسلمون بأدلة من القرآن الكريم منها:

أ. أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها، قال تعالى: چ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين چ[البقرة: ٣١]، "ويرى ابن جني أن الله تعالى علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية، والسريانية، والفارسية، والعبرانية، والرومية، وغير ذلك من اللغات، فكان هو وولده يتكلمون بها، ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه واضمحل عنه ما سواها [٢].

ب. أن الله تعالى ذم قوما في إطلاقهم أسماء غير توقيفية فقال تعالى: چ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان چ[النجم: ٢٣]، وذلك يقتضي أن باقي الأسماء توقيفية.

٢- أن اللغات جميعها توقيفية بدليل قول الله عز وجل: چ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم چ[الروم:٢٢]، فاختلاف الألسنة يراد به اللغات وليس الألسنة نفسها.

٣- نظرية محاكاة أصوات الطبيعة: ويرى أصحاب هذه النظرية أن أصل اللغة محاكاة أصوات الطبيعة كأصوات الحيوانات، وأصوات مظاهر الطبيعة التي تحدثها الأفعال عند وقوعها، ثم تطورت الألفاظ الدالة على المحاكاة وارتقت بفعل ارتقاء الإنسان وتقدم الحضارة، ورغم أن لهذا الرأي أدلته لكن يوجه له انتفاد أساسي؛ حيث إنه يعجز عن تفسير مبدأ كيفية حكاية الأصوات في آلاف الكلمات التي لا علاقة بين معناها وصوتها، فما العلاقة بين لفظ الكتاب ومعناه مثلا؟ [٣]

٤- نظرية الاتفاق والمواضعة والاصطلاح: ويرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة نشأت باتفاق بين الأفراد في المجتمع، كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء

---

١) نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، هاشم أشعري، ص ١٠١ بتصرف، التدريس، " مجلة علمية" المجلد الخامس العدد الأول، يونيو ٢٠١٧م

٢) نظريات أصل اللغة في كتاب الخصائص وموقف ابن جني منها، إيهاب حمادة، ص٢٠٤، مجلة جامعة المعارف العدد ٣.

٣) نشأة وتطور اللغة، حسن بربورة، ص٩، بتصرف، بحث منشور من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور- الجلفة - الجزائر، (العام الجامعي ٢٠١٠ -٢٠١١).

فيضعوا لكل منها اسم ولفظ يدل عليها، وليس لهذا الرأي أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي [١].

نشأة اللغة العربية:

قيل إن أمهات اللغات إنما نشأت من هجرة بعض طوائف أهل اللسان الأصلي إلى جهات متعددة متباعدة، فيدفعهم التقاطع إلى نسيان بعض الكلمات لعدم استعمالها في وطنهم الجديد أو على تحريفها على طول الزمن، ثم هم يرون في هذا الوطن ما لم يكونوا قد ألفوه من أنواع الحيوان والنبات والجماد فيضطرون إلى وضع كلمات جديدة لكي تدل على هذه الأشياء فيحدث من ذلك تباعد اللغة الفرعية عن اللغة الأصلية كلما تباعد الزمان والمكان [٢]

ويسجل التاريخ أن تطور اللغة بدأت منذ عهد نوح عليه السلام وذريته سام وحام ويافث، فنوح هو الأب الثاني بعد آدم عليه السلام، وعن أولاده تفرعت هذه الشعوب إلى سامية وحامية وآرية (يافثة) [٣].

ثم تفرعت اللغة العربية عن اللغات السامية، حيث إن السامية في نشأتها انقسمت إلى قسمين: شرقية وغربية.

"فالشرقية هي اللغات البابلية – الآشورية، أو الأكادية، والغربية: تنقسم هي الأخرى إلى شعبتين: شمالية وجنوبية، وفي الشمالية: الكنعانية والآرامية، أما الكنعانية: فهي لغة القبائل العربية التي نزحت على الأرجح من القسم الجنوبي الغربي من بلاد العرب واستوطنت فلسطين وسورية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط،، وكان ذلك حوالي الألف الثاني قبل الميلاد، وهي تشمل اللهجات التالية: الأجريتية، والكنعانية القديمة، والمؤابية، والفينيقية، والعبرية، وأما الآرامية: فيؤخذ من بعض الآثار الآشورية – البابلية أن قبائلها قد هاجرت من الجزيرة أيضا إلى أرض بابل وآشور فيما بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد [٤].

وكانت الشعبة الأساسية الجنوبية كانت تشمل أعظم اللغات وهي العربية الجنوبية والعربية

---

١) نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، هاشم أشعري، (ص ١٠٢ بتصرف)، التدريس، " مجلة علمية" المجلد الخامس العدد الأول، يونيو ٢٠١٧م.

٢) نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، هاشم أشعري، (ص ١٠٦ بتصرف)، نقلا عن محمد شرف الدين الجوهري، التدريس، " مجلة علمية" المجلد الخامس العدد الأول، يونيو ٢٠١٧م

٣) خصائص اللغة العربية ومكانتها في الدين الإسلامي, هاشم الأشعري (ص ٥٦)، مجلة البيان، المجلد ١٠، العدد ١، ٢٠١٨م.

٤) دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم الصالح، (ص ٣٤ بتصرف)، ط. الأولى ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م، دار العلم للملايين.

الشمالية، يقول صبحي الصالح عن الشعبة الجنوبية:

وهي التي تشتمل على اللغتين العربيتين العظيمتين: العربية الجنوبية والعربية الشمالية، والعلماء يطلقون على العربية الجنوبية اسم: "اليمنية القديمة"، أو "القحطانية"، ويلقبها بعضهم أحيانا "بالسبئية" تسمية لها بإحدى لهجاتها الشهيرة التي تغلب عليها جميعا في صراعها معها، وأهم اللهجات العربية الجنوبية أربع: المعينية، والسبئية، والحضرمية، والقتبانية، وكانت السبئية أقواها فغلبتها جميعا، أما اللغات السامية في الحبشة فقد تأثر معظمها باللهجات الحامية، وللحبشة السامية: لغات أهمها الجعزية، والأمهرية، والتيجرية، أما العربية الشمالية: فإننا لا نكاد نعرف شيئا عن نشأتها، والمراحل التي اجتازتها في عصورها الأولى، وهي قسمان: العربية البائدة التي لا يتجاوز أقدم ما وصلنا من نقوشها القرن الأول قبل الميلاد، والعربية الباقية التي لا تجاوز آثارها القرن الخامس بعد الميلاد، والمراد من العربية البائدة عربية النقوش التي بادت لهجاتها قبل الإسلام، على حين يقصد بالعربية الباقية هذه اللغة التي ما نزال نستخدمها في الكتابة والتأليف والأدب ١.

وعلى اختلاف لهجات العرب فقد كانت تلك اللهجات مفهومة فيما بينهم، كل منهم يفهم لهجة الآخر بالسجية العربية، يقول صاحب كتاب المفصل عن كلام العرب فيما بينهم أنهم:

"قد يتكلمون على مقتضى سجيتهم التي فطروا عليها، ومع ذلك فقد كانوا يتفاهمون ويدركون المعاني، ولو كانوا من قبائل متباعدة، ومن أماكن متنائية، قال ابن هشام في شرح الشواهد: كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها، ومن ههنا كثرت الروايات في بعض الأبيات"٢.

وتميزت اللهجة القرشية بأنها أقوى اللهجات العربية، وكانت أغزرها وأرقها واغناها، وقد قيل في وصف اللهجة القرشية: " لكن القرشية – باعتراف من جميع القبائل وبطواعية واختيار من مختلف لهجاتها- كانت أغزرها مادة، وأرقها أسلوبا، وأغناها ثروة، وأقدرها على التعبير الجميل الدقيق الأنيق في أفانين القول المختلفة، فاصطنعت وحدها في الكتابة والتأليف والشعر والخطابة، حتى كان الشاعر من غير قريش يتحاشى خصائص لهجته ويتجنب صفاتها الخاصة في بناء الكلمة وتركيب الجملة والنطق بالأحرف، ليتحدث إلى الناس بلغة ألفوها، وتواضعوا عليها بعد أن أسهمت عوامل كثيرة في صقلها وتهذيبها٣.

١) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، (ص ٥٢ بتصرف).
٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، (٣١٨/١٦)، ط. الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار الساقي.
٣) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص ١١٤، ط. الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م، دار العلم للملايين.

المطلب الثالث: اصطفاء الله تعالى للغة العربية وتكريمه لها:

من تشريف الله تعالى للغة العربية أن اختارها لتكون لغة القرآن الكريم من بين جميع اللغات التي تكلمت بها البشرية، وقد قيل: "أن الإسلام صادف – حين ظهوره– لغة مثالية مصطفاة موحدة"[١]، وفي حقيقة الأمر أن الإسلام لم يصادف هذه اللغة المثالية مجرد مصادفة ؛ بل أن الله تعالى قد هيأ اللغة العربية تهيئة عظيمة لتكون لغة القرآن الكريم فجعل فيها من الخصائص والمميزات ما ليس في غيرها، ففي الوقت الذي انتهت ومحيت فيه لغات شتى، نجد أن العرب كانوا يتبارون في أشعارهم ويتغنون بلغتهم العربية، ويتفننون في التعبير عن المعاني بعدة وجوه، بل كانت القصيدة الفائزة تكتب بماء الذهب وتعلق في الكعبة، لقد كانت ملكات اللغة عندهم أحسن الملكات وأوضحها في البيان، يقول ابن خلدون: " وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل: الحركات التي تعين الفاعل من المفعول ومن المجرور أعني المضاف ومثل: الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما نقدره بكلام العرب "[٢].

ثم أن الله تعالى كرم هذه اللغة باصطفائه لها لغة للقرآن الكريم، ووصفها فيه بأجمل ما توصف به لغة، فقال جل ثناؤه: ﭽ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﭼ [الشعراء: ١٩٢– ١٩٥]، فالبيان الذي وصفَت بهِ اللغة كما قال الصاحبي: " أبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان "[٣]، يقول المراغي: أي وإن هذا القرآن أنزله الله إليك، وجاء به جبريل عليه السلام فتلاه عليك حتى وعيته بقلبك، لتنذر به قومك بلسان عربي بين ليكون قاطعا للعذر، مقيما للحجة، دليلا إلى المحجة، هاديا إلى الرشاد، مصلحا لأحوال العباد "[٤].

ويقول وهبة الزحيلي: " أن القرآن هو المعجزة الدائمة على صدق نبوات الأنبياء وخاتم النبيين، وآية التكريم والإعزاز للعرب قاطبة، لنزوله بلسان عربي مبين، وأبلغ وأفصح ما في اللغة العربية من بيان، فهو

---

١) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، (ص ٥٩).

٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، تحقيق: خليل شحادة، (ص٧٥٣) بتصرف، ط. الثانية١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت.

٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (ص ١٩)، ط. الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

٤) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (١٠٤/١٩)، ط. الأولى١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م، مطبعة مصطفى البابي – مصر.

يتحدى البشرية كافة بأن يأتوا بمثله، ولن يستطيعوا، لأنه كلام رب العالمين[١]

والمبين: الموضح الدلالة على المعاني التي يعنيها المتكلم، فإن لغة العرب أفصح اللغات وأوسعها لاحتمال المعاني الدقيقة الشريفة مع الاختصار، فإن ما في أساليب نظم كلام العرب من علامات الإعراب، والتقديم والتأخير، وغير ذلك، والحقيقة والمجاز والكناية، وما في سعة اللغة من الترادف، وأسماء المعاني المقيدة، وما فيها من المحسنات، ما يلج بالمعاني إلى العقول سهلة متمكنة، فقدر الله تعالى هذه اللغة أن تكون هي لغة كتابه الذي خاطب به كافة الناس، فأنزل القرآن بادئ ذي بدء بين العرب أهل ذلك اللسان ومقاويل البيان، ثم جعل منهم حملته إلى الأمم تترجم معانيه فصاحتهم وبيانهم، ويتلقى أساليبه الشادون منهم وولدانهم، حين أصبحوا أمة واحدة يقوم باتحاد الدين واللغة كيانهم"[٢].

كما امتن الله تعالى على الناس تعليمهم البيان، فقال تعالى: چ الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الإنسان (٣) علمه البيان چ[الرحمن: ١-٣]، فقدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توجد بخلقه وتفرد بإنشائه، يقول النسفي في تفسير البيان:" عدد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من عمة الدين ما هو سنام في أعلى مراتبها واقصى مراتبها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه وهو سنام الكتب السماوية ومصداقا عليها، وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم اتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الإنسان من أجله عليه، ثم ذكر ما تميزبه من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير"[٣].

كما حظيت اللغة العربية بحفظ الله تعالى لها بدوام حفظ القرآن الكريم حيث يقول عز وجل: چ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون چ[الحجر:٩]، فمن حفظ الله للقرآن الكريم حفظ ألفاظه ومعانيه من التَّغْيِير وَالزِّيَادَة وَالنَّقْص، يقول السعدي في تفسير هذه الآية: "أي في حال إنزاله، وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين[٤]".

١) التفسير الوسيط للزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٢/١٨٥٢)، ط. الأولى – ١٤٢٢هـ، دار الفكر – دمشق.
٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١٩/١٩٠)، ط. ١٩٨٤هـ، الدار التونسية للنشر.
٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ٣/٤٠٩، ط. الأولى١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت.
٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (ص ٤٢٩)، ط. الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.

يتضح مما سبق أن اللغة العربية قد اكتسبت شرف عظيم باصطفاء الله تعالى لها دون غيرها، ووصفه لها بصفة البيان، وحفظه لها بدوام حفظ القرآن، وكفى به شرف.

المبحث الثاني
أهمية اللغة العربية في فهم معاني القرآن

المطلب الأول: أهمية الحركة الإعرابية في فهم معاني القرآن

تعريف الحركة: هي أثر التحرك وقد تكون مظهرا إعرابيا تحققه العوامل المعنوية أو اللفظية فتجلب للكلمات الداخلة عليها إحدى الحركات الثلاث الضمة أو الفتحة او الكسرة، وكل منها تمثل حالة إعرابية معينة: فالضمة تمثل الرفع، والفتحة تمثل النصب، والكسرة تمثل الجر والنصب في جمع المذكر السالم[1]

والإعراب: هو تغير العلامة التي في آخر اللفظ، بسبب تغير العوامل الداخلة عليه، وما يقتضيه كل عامل[2]

والإعراب وسيلة من الوسائل الدقيقة في تحديد معنى الكلمة والجملة، وفهم ما يريده المتكلم، كما أن للإعراب أهميته في إبراز معاني آيات القرآن الكريم، وما توحي إليه من دلالات، يقول صاحب كتاب المجتبي: " فلا يخفى على أحد أهمية علم الإعراب في توضيح المعنى الذي تنشده الآيات القرآنية، وبيان ما تقصده من دلالات، وقد نشأ هذا العلم وازدهرت مباحثه في كنف الحاجة إلى تفسير القرآن، وتوضيح معانيه وغريبه"[3]، فعلى سبيل المثال قول الله تعالى: چإنما يخشى الله من عباده العلماءُ چ [فاطر: ٢٨]، نجد أن الحركة الإعرابية للفظ الجلالة (الله) هي التي حَّددَتْ معنَّى الآية، وكذلكَ الحركة الإعرابية لكلمة (العلماء) في الآية، فلفظ الجلالة هنا منصوب، والعلماء مرفوع، أي أن فريقا من العلماء هم الذين يخشون الله تعالى، وبدون الحركة الإعرابية قد يلتبس المفهوم من الآية على القارئ، كما أن المعنى سيتغير إذا كانت

---

١) معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، (ص ٦٣)، ط. الأولى ١٤٠٥-١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة – دار الفرقان.

٢) النحو الوافي، عباس حسن، (١/ ٧٤)، ط. الخامسة عشرة، دار المعارف.

٣) المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد بن محمد الخراط، (١/١)، ط.١٤٢٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

حركة لفظ الجلالة الرفع ولفظ العلماء النصب، لأنه سيفيد أن الله تعالى هو الذي يخشى من العلماء وهذا شاذ.

وكذلك تغيير حركة لحرف اللام في كلمة (رسوله) من الضم إلى الكسر تفسد معنى الآية كاملة، في قوله تعالى: چ أن الله بريءٌ من المشركين ورسوله چ [التوبة: ٣]، فمدلول الآية برفع كلمة (رسوله) يفيد تبرؤ الله ورسولهَ مِّنَ ٱلمشركين، أما تغيير حَرَكَة (رُسوله)إلى الكسر يجعل معنى الآية أن الله يبرأ من رسوله - (عز وجهه تعالى أن يبرأ من رسوله)- وقد كانت هذه الآية سببا في تشكيل القرآن الكريم حيث إنه لم يكن مشكولا من قبل، بل كان العرب يقرؤونه بسليقتهم العربية، يقول الزرقاني: " واتفق المؤرخون على أن العرب في عهدهم الأول لم يكونوا يعرفون شكل الحروف والكلمات فضلا عن أن يشكلوها، ذلك لأن سلامة لغتهم وصفاء سليقتهم وذلاقة ألسنتهم، وذلك كان يغنيهم عن الشكل، ولكن حين دخلت الإسلام أمم جديدة منهم العجم الذي لا يعرفون العربية بدأت العجمة تحيف على لغة القرآن، بل قيل إن أبا الأسود الدؤلي سمع قارئا يقرأ قوله تعالى: چ أن الله بريءٌ من المشركين ورسوله چ، فقرأها بجر اللام من كلمة رسوله، فأفزع هذا اللحن الشنيع أبا الأسود وقَالَ: عز وجه اللهَ أن يبرَأ مَنْ رسُوله، ثم ذهب إلى زياد والي البصرة وقال له: قد أجبتك إلى ما سألت، وكان زياد قد سأله أن يجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله فتباطأ في الجواب حتى راعه هذا الحادث"[١].

كما أن الحركة الإعرابية في بعض الآيات قد تفيد معنيين مختلفين في الآية الواحدة، منها على سبيل المثال ما يأتي:

أ. قول الله تعالى: چ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين چ [المائدة: ٦]، قرئ بنَصْبَ لَفْظَ أَرْجلكم وَبَجرها، فَالنَصب يفُيد طَلْبَ غَسْلَهُا لأن العَطْفَ حينئذ يكون على لفظ وجوهكم المنصوب وهو مغسول، والجر يفيد طلب مسحها لأن العطف حينئذ يكون على لفظ رؤوسكم المجرور وهو ممسوح وقد بين الرسول أن المسح يكون للابس الخف وأن الغسل يجب على من لم يلبس الخف"[٢].

يقول صاحب التبيان: " چ وأرجلكم چ: يقرأ بالنصب، وفيه وجهان:

أحدهما: هو معطوف على الوجوه والأيدي؛ أي: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم، وذلك جائز في العربية بلا خلاف، والسنة الدلالة على وجوب غسل الرجلين تقوي ذلك. والثاني: أنه معطوف على موضع برؤوسكم، والأول أقوى؛ لأن العطف على اللفظ أقوى من العطف على الموضع، ويقرأ في الشذوذ بالرفع على الابتداء؛ أي: وأرجلكم مغسولة كذلك، ويقرأ بالجر،

١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن علي، (١/٤٠٨)،،ط. ١٤٢٢-٢٠٠١م، دار الحديث - القاهرة.

٢) المرجع نفسه، (١/١٣١)،،ط. ١٤٢٢-٢٠٠١م

وهو مشهور أيضا كشهرة النصب، وفيها وجهان: أحدهما: أنها معطوفة على الرؤوس في الإعراب، والحكم مختلف، فالرؤوس ممسوحة، والأرجل مغسولة، أي فامسحوا برؤوسكم واغسلوا بأرجلكم، والوجه الثاني أن يكون جر الأرجل بحرف جر محذوف مقدر: وافعلوا بأرجلكم غسلا، وهذا جائز في اللغة والقواعد، ويؤيد الغسل قوله تعالى: ﭽإلى الكعبين ﭼ لأن المسوح ليس بمحدود[1].

ب. قوله تعالى: ﭽ ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دُعوا ولا تسأموا أن تكتبوهُ صغيرا أو كبيرا إلى أجلهِ ذلكم أقسطُ عند الله وأقومُ للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكونَ تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناحٌ ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضارَ كاتبٌ ولا شهيدٌ وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﭼ[البقرة: ٢٨٢]، ﭽ ولا يضارِ ﭼ يضار فعل مُضارَعٌ يُحتملُ أنَه مَبْنِيٌ للمَعلومِ فأصلُه يَضارِرُ بكسر الراء الأولى، ويحتمل أنه مبني للمجهول فأصله يضارر بفتحها، وهو مجزوم على كل حال[2]، والمعنى بالمبني للمعلوم لا يتواطأ الشاهدان والكاتب في التوثيق فيضيعا حق الدائن أو المدين، والمعنى بالمبني للمجهول أن لا يضار المتداينين بالكاتب أو الشهيد.

المطلب الثاني: أهمية اللفظ في فهم معاني القرآن

يعرف اللفظ في المعاجم بأنه الكلام الذي ينطقه الإنسان، جاء في معجم اللغة العربية: "لفظ الشخص بالكلام: نطق به وتكلم[3]، قال تعالى: ﭽما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﭼ[ق: ١٨]، فيلفظ في الآية: أي ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به[4]، يَقُولُ ابنُ عاشورَ: وَاللَّفظُ: النُطقُ بكلمة دالة على معنى ولو جزء معنى، بخلاف القول فهو الكلام المفيد معنى[5].

---

١) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي (٤٢٢/١) بتصرف، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين أحمد مصطفى درويش، (٤٣٩/١)، ط. الرابعة ١٤١٥هـ, دار الإرشاد للشئون الجامعية.

الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية

٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (٢٠٢٢/٣)، ط. الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (٣٤٤/٢٢)، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.

٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠٣/٢٦).

وقد عني العلماء بالألفاظ لأنها أوعية المعاني والموصلة إليها، بل أن كثيرا من المتقدمين لم يهتموا بمعاني الألفاظ فقط، بل اهتموا أيضا بالأثر النفسي لها، يقول الأعشى: "ولما كانت الألفاظ عنوان المعاني وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحوها، وزينوها وبالغوا في تحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في النفس، وأذهب بها في الدلالة على القصد "[1].

دلالة اللفظ في القرآن:

تميز اللفظ في القرآن الكريم بغاية الدقة في اختياره، وفي صياغته، وفي معناه، بحيث لو وضع أي لفظ مرادف له في موضعه ما دل على المعنى المراد، وقد نقرأ عددا من الألفاظ في بعض الآيات فنظن أنها مترادفة، لكن لو دققنا النظر وبحثنا عن المعنى اللغوي لوجدنا أن كل لفظ في القرآن له استعماله الخاص في الآيات، سنذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

١- لفظ: (أجر - جزاء):

جاء لفظ أجر في القرآن في عدة آيات منها قوله تعالى:

- ﴿ يستبشرون بنعمةٍ من الله وفضلٍ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾[آل عمران: ١٧١].
- ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾[الأنفال: ٢٨]
- ﴿ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾[هود: ١١٥]

وجاء لفظ جزاء في آيات منها:

- ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾[التوبة: ٨٢].
- ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ﴾[الإسراء: ٦٣]
- ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾[السجدة: ١٧]
- ﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون " ﴾[الأحقاف: ١٤]

نلاحظ من هذه الآيات أن القرآن الكريم استعمل لفظ أجر في مجازاة المؤمنين فقط، ولم يستخدمه في مجازاة الكافر، أما لفظ جزاء فقد استعمله في مجازاة المؤمن ومجازاة الكافر، وعند الرجوع إلى الدلالات اللغوية للفظين نجد أن:

الجزاء: المكافأة والثواب، العقاب، ما يكافئ التصرف من خير أو شر[2]

الأجر: عوض العمل والانتفاع، أو ما يعطى مقابل شيء الأجر على قدر المشقة "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه" - ويأتي بمعنى: المكافأة والثواب[3].

---

١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، (٢/٢٠٣)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، حامد صادق قنيبي، (ص ١٦٣)، ط. الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (١/٦٥).

يقول ابن عاشور: والأجر: التعويض على عمل نافع للمعوض، ومنه سمي ثواب الطاعات أجرا[1]".

أي أن الأجر يكون في ثواب العمل في الدنيا والآخرة، ولا يقال إلا في النفع دون الضرر، أما الجزاء فيقال في النافع والضار، كما أن الأجر يكون في التعويض على عمل نافع للمعوض، أما الجزاء فيأتي في مكافأة أعمال الخير وأعمال الشر.

٢- لفظ (الرؤيا – الحلم):

استعمل القرآن الكريم لفظ رؤيا ولفظ حلم، وقد يتبادر إلى الأذهان أن الحلم مرادف للرؤيا، لكننا إذا تتبعنا لفظ حلم ولفظ رؤيا في آيات القرآن الكريم سنجد أن لفظ رؤيا يستعمل في سياق قرآني، ولفظ حلم يستعمل في سياق قرآني مختلف تماما عن ذلك السياق، وسيتضح الفرق من خلال الآيات الآتية:

قال تعالى:

- ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (٤) قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ [يوسف:٤-٥].
- ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ [الصافات ١٠٢].
- ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ [الأنبياء:٥].
- ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون (٤٣) قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ [يوسف:٤٤].
- ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ [الفتح:٢٧].

من خلال هذه الآيات نلاحظ أن لفظ الرؤيا يأتي في الرؤيا الصادقة، والتي غالبا تكون مع الأنبياء، أما الأحلام فقد استعملها فيما يكون ملتبسا يصعب فهمه وفي المواضع التي يبرر بها الكافرون كفرهم.

يقول ابن عاشور: وكانوا يعدون الرؤيا من طرق الإنباء بالغيب، إذا سلمت من الاختلاط وكان مزاج الرائي غير منحرف ولا مضطرب، وكان الرائي قد اعتاد وقوع تأويل رؤياه، وهو شيء ورثوه من صفاء نفوس أسلافهم إبراهيم وإسحاق – عليهم السلام –. فقد كانوا آل بيت نبوءة وصفاء سريرة، ولما كانت رؤيا الأنبياء وحيا، وقد رأى إبراهيم – عليه السلام – في المنام أنه يذبح ولد فلما أخبره ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ [سورة

---

١) التحرير والتنوير، ابن عاشور(٢٠ / ١٠٤).

الصافات: ١٠٢]، وإلى ذلك يشير قول أبي يوسف – عليه السلام –: ﴿ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق﴾ [سورة يوسف: ٦]، فلا جرم أن تكون مرائي أبنائهم مكاشفة وحديثا ملكيا[١].

أما تفسير أضغاث أحلام فقد فسرها ابن جرير بقوله: "يعنون أنها أخلاط، رؤيا كاذبة لا حقيقة لها"[٢]

وفي قواعد اللغة: الضغث: قبضة حشيش مختلطة الأخضر باليابس. وأضغاث أحلام: الرؤيا التي لا يصح تأويلها لاختلاطها[٣]، وقيل: أضغاث أحلام: ما كان منها ملتبسا مضطربا يصعب تأويله[٤].

ومن ذلك تتضح دقة ألفاظ القرآن الكريم في بيان أن لفظ رؤيا غير مرادف للفظ أحلام، فلفظ الرؤيا يستخدم في الخير والشيء الحسن الصادق، لفظ أحلام تستخدم في الشر والسوء.

٣– غيث– مطر:

جاء في القاموس: الغيث: المطر والكلأ[٥].

ورد لفظ غيث في عدة آيات منها: قوله تعالى:

- ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾ [الشورى: ٢٨].
- ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾[لقمان: ٣٤].
- ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾[الحديد: ٢٠]

كما ورد لفظ مطر في عدد من الآيات منها قوله تعالى:

- ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ﴾[النساء: ١٠٢]
- ﴿ ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ﴾ [الفرقان: ٤٠].
- ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾[الشعراء: ١٧٣]

---

١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٠٩/١٢).

٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير (١١٧/١٦).

٣) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، محمد علي السراج، (ص ٢١٣)، ط. الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، دار الفكر – دمشق.

٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد، (٥٥٢/١)

٥) لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، (١٧٥/٢)، ط. الثالثة ١٤١٤هـ، دار صادر – بيروت.

من خلال المقارنة بين الآيات السابقة نجد أن القرآن فرق بين المطر والغيث من حيث استعمالها في السياقات المختلفة، فكلمة الغيث تستخدم في مواضع الخير والرحمة والطمأنينة، أما المطر فلم يستخدمها القرآن إلا في موضع العقاب والأذى والعذاب، وقد أشار بعض اللغويون إلى هذا الفرق، ففي المعجم الوسيط عرف الغيث بأنه: " المطر أو الخاص منه بالخير ويطلق مجازا على السماء والسحاب والكلأ[1]"، وقال ابن فارس في تعريف المطر: " المطر، ومطرنا مطرا، وقال ناس: لا يقال أمطر إلا في العذاب[2].

ومثل ذلك كل كلمات القرآن الكريم التي يظن القارئ أنها مترادفة، لكننا بعد إمعان النظر وتتبع الآيات والرجوع إلى المعاني اللغوية للكلمة نجد أن كل كلمة في القرآن لها معناها الخاص، واستعمالها في سياق مخصص لها، بحيث لو تم استبعاد تلك الكلمة وجيء بكلمة أخرى ترادفها لما كان المعنى صحيحا.

المطلب الثالث: أهمية السياق في فهم معاني القرآن

يعرف السياق اللغوي بأنه: بناء نصي كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها[3]

والسياق القرآني: هو تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى[4].

فالسياق في القرآن الكريم يعد من أبرز القرائن التي تعيننا على فهم النصوص القرآنية وتفسيرها تفسيرا صحيحا، كما أن للسياق في الآية أهمية في تحديد المعنى المقصود من بعض الكلمات، وسيتضح ذلك من الآتي:

أولًا: دور السياق في تحديد معنى الآية:

يقول الله تعالى: خذ ذق إنك أنت العزيز الكريم [الدخان: ٤٩]، فهذه الآية إذا قرأها القارئ دون سياقها القرآني في السورة لظن أنها تكريم للمخاطب، ولكن المعنى يختلف عن ذلك تماما إذا كانت في سياق الآيات، حيث أن دلالة السياق في الآيات ذل هانة للكافر يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ

---

١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(٢/ ٦٦٧).

٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (٥/ ٣٣٢)، ط.١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر.

٣) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي،(ص ٢٠١-٢٠٢ بتصرف)، ط. الأولى ١٩٨٦م، صفاقس.

٤) أثر السياق القرآني على المعاني من خلال تفسير البحر المحيط، عاصم القطاونة وعبدالله الزيوت،(ص٣٤٣)، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية المجلد ١٥، العدد ٣، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.

(٤٣) طعام الأثيم (٤٤) كالمهل يغلي في البطون (٤٥) كغلي الحميم (٤٦) خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم (٤٧) ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم (٤٨) ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمترون حـ[الدخان: ٤٣-٥٠]، ويكون معنى الآية: " ذق هذا الذل والهوان اليوم، فإنك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم، وها هو ذا قد تبين لك أنك أنت الذليل المهين، فأين ما كنت تقول وتدعى من العز والكرامة؟ فهلا تمتنع من العذاب بعزتك١.

ثانيًا: دور السياق في تحديد معنى الكلمة:

وهو ما تم تناوله في المطلب السابق في كلمات الأجر والجزاء، الحلم والرؤيا، والغيث والمطر.

ثالثًا: دور السياق في تحديد معنى المشترك اللفظي:

المشترك اللفظي يراد به أحد معانيه التي تعينها القرائن وتناسب المقام٢.

فمثلا لفظ (عين) ورد في مواضع من القرآن الكريم، وله في كل موضع معنى مختلف عن الآخر، فعلى سبيل المثال قول الله تعالى:

١. چ وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم چ[يوسف: ٨٤]، فمن سياق الآية هنا يعرف أن المقصود بالعين - (المفرد من عيناه) - العين الباصرة.

چ "ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير چ[سبأ:١٢]؛ ومن خلال سياق الآية وبالرجوع إلى التفاسير يتبين أن العين هنا يقصد بها مكان صب النحاس، يقول ابن عاشور" وعين القطر ليست عينا حقيقة ولكنها مستعارة لمصب ما يصهر في مصانعه من النحاس حتى يكون النحاس المذاب سائلا خارجا من فساقي ونحوها من الأنابيب كما يخرج الماء من العين لشدة إصهار النحاس وتوالي إصهاره فلا يزال يسيل ليصنع له آنية وأسلحة ودرقا، وما ذلك إلا بإذابة وإصهار خارقين للمعتاد بقوة إلهية، شبه الإصهار بالكهرباء أو بالألسنة النارية الزرقاء، وذلك ما لم يؤته ملك من ملوك زمانه٣".

١) تفسير المراغي، مصطفى المراغي، (٢٥/١٣٥).

٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن علي، (١/١٣٥)،،ط. ١٤٢٢-٢٠٠١م، دار الحديث - القاهرة.

٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٢/ ١٥٩).

٢. چ لا تسمع فيها لاغية (١١) فيها عين جارية چ [الغاشية ١١-١٢]، "والمراد بالعين هنا: أي ينبوع الماء الْجَارِي[١].

رابعا: دور السياق في توجيه القراءات القرآنية:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على سبعة أحرف تيسيرا على الأمة، وتعدد القراءات يعد مظهرا من مظاهر الإعجاز في القرآن، وللسياق أهمية كبرى في توجيه المعاني وتعددها بتعدد القراءات، ومعرفة دلالة النص القرآني في كل قراءة، ويظهر ذلك من خلال معرفة المعنى اللغوي للكلمة القرآنية التي وردت فيها أوجه مختلفة للقراءة، ثم معنى السياق القرآني في كل قراءة منها، نذكر منها على سبيل المثال:

أ. قول الله جل ثناؤه: چ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون چ [المنافقون: ٢] فإن كلمة (أيمانهم) فيها قراءة أخرى وردت للضحاك بكسر الهمز (إيمانهم)، فيكون معناها في القراءة الأولى: (جمع يمين وهو الحلف)، وفي القراءة الثانية معناها (تصديقهم الظاهر)، ويكون معنى كل قراءة في سياق الآية مختلف عن الأخرى، يقول ابن كثير: چ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله چ أي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفات الآثمة، ليصدقوا فيما يقولون، فاغتربهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبلا فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى: چ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون چ ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرأها: چ اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً چ أي: تَصْدِيقَهُمُ الظَّاهِرَ جُنَّةً، أَيْ: تقية يتقون به القتل، والجمهور يقرأها: چ أيمانهم چ جمع يمين"[٢].

ب. قال تعالى: چ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم چ [سبأ: ١٩] فقد وردت في هذه الآية قراءات منها چ ربنا باعد بين أسفارنا چ، قرأ بعضهم چ بعد چ، ومعناها الدعاء والمسألة، وقرأت أيضا چ ربنا باعد بين أسفارنا چ وأيضا چ ربنا بعد چ عَلَى وجه الخبر أن الله تعالى فعل بهم هذا، يقول ابن جرير: "اختلف القراء في قراءة قوله: چ ربنا باعد بين أسفارنا چ فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة چ ربنا باعد بين أسفارنا چ على وجه الدعاء والمسألة بالألف. وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة چ بعد چ بتشديد العين على

١) تفسير المراغي، مصطفى المراغي (٣٠/ ١٣٣).
٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (٨/ ١٢٥)، ط، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م دار طيبة للنشر والتوزيع.

الدعاء أيضا، وذكر عن المتقدمين أنه كان يقرؤه ﭽربنا باعد بين أسفارنا ﭼعلى وجه الخبر من الله أن الله فعل بهم ذلك، وحكي عن آخر أنه قرأه ﭽربنا بعد ﭼ على وجه الخبر أيضا غير أن الرب منادى[1].

ويتضح مما سبق أن للسياق أهمية كبيرة في تحديد معنى الآيات، وفي تحديد معنى الكلمة إذا كانت من قبيل المشترك اللفظي، وكذلك في توجيه القراءات القرآنية وبيان معنى كل قراءة في السياق.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبشكره تدوم النعم، فبعد إتمام هذه الدراسة تم التوصل إلى النتائج الآتية:

١- اللغة العربية من أقدم اللغات السامية.

٢- كرم الله تعالى اللغة العربية واصطفاها من بين عدة لغات لتكون لغة القرآن والشريعة الإسلامية.

٣- للغة العربية أهمية في فهم معاني القرآن.

٤- الحركة الإعرابية تحدد معنى الآية، وتغييرها يغير المعنى.

٥- للألفاظ دور مهم في تحديد معنى الآية.

٦- هناك اختلاف بين الألفاظ المترادفة في القرآن، فكل لفظ يحمل معنى مغايرا للآخر.

٧- للسياق القرآني أهمية في تحديد معنى الآية.

٨- للسياق في القرآن أهمية في تحديد معنى الكلمة، وتحديد المعنى المراد من المشترك اللفظي.

٩- للسياق أهمية في توجيه القراءات القرآنية.

التوصيات:

١- الاستعانة بالقرآن الكريم في دراسة مدلولات الألفاظ في اللغة والتفريق بينها.

٢- الاهتمام بدراسة اللغة العربية وإتقانها.

٣- الاستفادة من وسائل الإعلام في خدمة اللغة العربية وتعليمها.

٤- توسيع دائرة الأبحاث العلمية لدراسة الألفاظ القرآنية لغويا والاستفادة منها.

٥- مراعاة السياق اللغوي بدقة للوصول إلى الدلالات الصحيحة في النص القرآني.

٦- ربط القراءات القرآنية بسياق الآيات وتحديد مدلول كل قراءة منها.

---

١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (٢٠/ ٣٨٨)، ط. الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.

المراجع:

١. القرآن الكريم
٢. أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري، ط الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م، دار ابن حزم.
٣. أثر السياق القرآني على المعاني من خلال تفسير البحر المحيط، عاصم القطاونة وعبدالله الزيوت، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية المجلد ١٥، العدد ٣، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
٤. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين أحمد مصطفى درويش، ط. الرابعة١٤١٥هـ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص - سورية.
٥. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط. ١٩٨٤ هـ، الدار التونسية للنشر.
٧. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي،، ط. الأولى١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، مطبعة مصطفى البابي - مصر.
٨. التفسير الوسيط للزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط. الأولى - ١٤٢٢هـ، دار الفكر - دمشق.
٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط. الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.
١٠. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.
١١. خصائص اللغة العربية ومكانتها في الدين الإسلامي، هاشم الأشعري، مجلة البيان، المجلد ١٠، العدد١، ٢٠١٨م.
١٢. دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم الصالح، ط. الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، دار العلم للملايين.
١٣. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، تحقيق: خليل شحادة، ط. الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار الفكر، بيروت.
١٤. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، ط. الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيق: مكتب تحقيق لبنان، ط. الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٧. لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن، منظور، ط. الثالثة١٤١٤هـ، دار صادر - بيروت.
١٨. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط الرابعة والعشرون،٢٠٠٠م، دار العلم للملايين.
١٩. المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد بن محمد الخراط، ط.١٤٢٦ هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
٢٠. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط. الأولى١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت.
٢١. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط. الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٨م.
٢٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط. الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٢٣. معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ط. الأولى ١٩٨٦م، صفاقس.
٢٤. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، ط. الأولى ١٤٠٥-١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة - دار الفرقان.
٢٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط.١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر
٢٦. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
٢٧. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، حامد صادق قنيبي، ط. الثانية١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط. الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار الساقي.
٢٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن علي، ط. ١٤٢٢-٢٠٠١م، دار الحديث - القاهرة.
٣٠. النحو الوافي، عباس حسن، ط. الخامسة عشرة، دار المعارف.
٣١. نشأة وتطور اللغة، حسن بربورة، بحث منشور من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور - الجلفة - الجزائر، (العام الجامعي ٢٠١٠ -٢٠١١).
٣٢. نظريات أصل اللغة في كتاب الخصائص وموقف ابن جني منها، إيهاب حمادة، مجلة جامعة المعارف العدد ٣.
٣٣. نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، هاشم أشعري، التدريس، "مجلة علمية" المجلد الخامس العدد الأول، يونيو ٢٠١٧م.

جماليات القبح الشكلي في قـص نجيب محفوظ
– المرأة انموذجاً –

أ.د علياء سعدي جبوري
كلية التربية – الجامعة المستنصرية

جماليات القبح الشكلي في قصص نجيب محفوظ – المرأة انموذجاً – أ.د

علياء سعدي جبوري

الملخص:

لم أرتبط بكاتبٍ مثلما ارتبطت بهِ، إنه عمود من أعمدة بنياني، وركن من أركان نشأتي.

نجيب محفوظ كاتبي الذي تعلقت به منذ الصغر، إذ علمني كيف أقرأ النفس الإنسانية من خلال منحوتات شخوصه.

حواسه الخمس، هي النوافذ التي دخلت منها قصصه ورواياته، حتى اكتملت فنيا، فقدم تطويرا لتكنيك علا بالرواية من مستواها المحلي إلى مستوى إنساني شامل، اذ اعتمد قلبه في جس نبض الحياة، وفي هذا الصدد قال محفوظ: "الإنسان إما أن يعرف الحياة معرفة عميقة، أو سطحية، عدد من أصدقائي يعرفون كل مترمربع من مصر، أما أنا فلا أعرف عنها إلا القليل، ولكن استطيع أن أسبر أعماق الشخصية المصرية وسط مجموعة كبيرة من الشخصيات، حتى ولو كانت من نفس الطبقة (كذا)، فالفرق بين شخصية وأخرى تكمن في المستويات الفوق سطحية، لا في مستويات الأعماق".

وقد رسم محفوظ أبعاد شخصياته اجتماعيا بقوله "كل شخصياتي لها جذر في الواقع فبدءاً من التفاصيل الحقيقية الصغيرة، أصل إلى بناء حياة كاملة".

يضع نجيب محفوظ متلقيه في أغلب قصصه أمام شكل اجتماعي برزه بطريقة خاصة، فالقبح ظاهرة عنده، فلا توجد رواية أو قصة أو أقصوصة إلا وترسم فيها شخصية قبيحة. على أن المتلقي يتلفت إلى المرأة في قصة ليجدها قد أخذت بعدا اجتماعيا قسمه الكاتب على أساس الهوية. وقد وقف البحث على ركيزتين يظللهما البعد الاجتماعي، هما:

١- القبح والهوية الاجتماعية، ويقسم إلى:

أ- القبح الأرستقراطي.

ب- القبح البرجوازي.

ج- القبح الشعبي.

٢- الأبعاد الاجتماعية وأثرها في رسم قبح الطلة.

أ- الملامح.

ب- الجسم.

Abstract:

Has not been associated with a writer as linked to, it is the basis of builders, and the corner of my upbringing.

Naguib Mahfouz, the authors of which concerned him since childhood, he taught me how to read the human psyche through his characters' sculptures.

The five senses, which are the windows of which entered his stories and his novels, even technically completed, provide a development of novel technique rose from the local level to

comprehensive human level, because his heart was adopted at the pulse of life, and in this regard, he said Mahfouz "Human either knows life deep knowledge, or superficial, a number of my friends know every square meter of Egypt, but I do not know them very little, but I know the Egyptian character depths amid a wide range of characters, even if they are from the same environment, the difference between the personal and the other is in the levels of ultraviolet superficial, not deep levels"

Mahfouz has been drawing his characters dimensions socially saying "all my characters have a presence in fact start from small real details, out to build a full life. "

Naguib Mahfouz puts the recipient in most of the story in front of a social form shown by a special way, Valqbh phenomenon has, there is no novel or story, but the character and paint ugly. That the recipient pay attention to the woman in the story finds a social dimension has taken his oath writer on the basis of identity. The research stood on two points Ihothma social dimension,

1. ugliness and social identity, divided into:

A- patrician ugliness.

B- ugliness bourgeois.

C- ugliness popular.

2. social dimensions and its impact in shaping the ugliness of the view.

A- facial details

B- the body.

مقدمة

لم أرتبط بكاتبٍ مثلما ارتبطت بهِ، إنه عمود من أعمدة بنياني، وركن من أركان نشأتي.

نجيب محفوظ كاتبي الذي تعلقت بهِ منذ الصغر، إذ علمني كيف أقرأ النفس الإنسانية من خلال منحوتات شخوصه.

حواسه الخمس، هي النوافذ التي دخلت منها قصصه ورواياته، حتى اكتملت فنيا، فقدم تطويرا لتكنيك علا بالرواية من مستواها المحلي إلى مستوى إنساني شامل، إذ كانت له حاسة شعرية ناعسة، تمكنت من التفريق بين حافة حادة، وأخرى ناعمة، فهو قد ارتبط ديالاكتيكيا بالجوهر، لهذا السبب أطرت مخيلته، شعرية اقتصرت في اللغة، وسعت لضخها بزخم شعري هائل، يضاعف إشعاعها، إذ فتحت بنية الداخل على الخارج، وقبضت على اللامرئي المحلق، لذا فقد أجاب الناقد العربي (علي شلش) عندما سئل عن أعظم ثلاثة روائيين عرب في رأيه فقال: (نجيب محفوظ، ثم نجيب محفوظ، ثم نجيب محفوظ)[١].

يضع نجيب محفوظ متلقيه في أغلب قصصه أمام شكل اجتماعي برزه بطريقة خاصة، فالقبح ظاهرة عنده، فلا توجد رواية أو قصة أو أقصوصة إلا وترسم فيها شخصية قبيحة.

ويضعه الدكتور مصري حنورة في خط المفكرين، معللا ذلك، بكون محفوظ "لا يكتب بحثا عن قيم جمالية، أو استعراضا لأساليب بلاغية، وإن هذا يتم دون عمد منه (...)، مشاغله هي قضايا مجتمعه وهموم الناس"[٢].

وقد لاحظت الفرق بين تركيز محفوظ والآخرين، في كونه ذا وعي حادٍ بشعرية الأشياء، فالأشياء عنده لا تمر بمنظور موضوعي من دون المرور بتلونات ذاته، فيحتفي بها احتفاءٍ خاصا، إذ تصبح ذات طقوس وحالات غيرية مبهرة، وهو بذلك يكون قد اعتمد القلب في جسِ نبض الحياة، وهذا الاعتماد ينبع من حاسية حدسية (ميتافيزيقية) لا تحس بالأشياء طبقا لعلائقها المنطقية، وإنما بصورة عفوية يكون تشكيلها على وفق الرؤية الداخلية"[٣].

وفي هذا الصدد قال محفوظ "الإنسان إما أن يعرف الحياة معرفة عميقة، أو سطحية، عدد من

---

(١) الواقعية الروائية في أدب نجيب محفوظ، د. أسعد أسكاف، مجلة الأقلام، العدد الخامس، آيار، ١٩٨٩، سنة ٢٤، ١٤٥.

(٢) نجيب محفوظ خلفية فكرية لفنه الروائي، د. مصطفى السيد: www.ialamport.com

(٣) رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، الدكتور عبد الكريم راضي جعفر، ٥.

أصدقائي يعرفون كل متر مربع من مصر، أما أنا فلا أعرف عنها إلا القليل، ولكن أستطيع أن أسبر أعماق الشخصية المصرية وسط مجموعة كبيرة من الشخصيات، حتى ولو كانت من نفس الطبقة (كذا)، فالفرق بين شخصية وأخرى تكمن في المستويات الفوق سطحية، لا في مستويات الأعماق "[١].

وقد وضع محفوظ طريقة رسمه الشخصية بقوله: "كل شخصياتي لها جذر في الواقع فبدءاً من التفاصيل الحقيقية الصغيرة، أصل إلى بناء حياة كاملة، أضيف إليها شيئا مني كلما اقتضى العمل ذلك، وغالبا ما تقرأ في الشخصيات التي أعيد كتابتها دون أن تتعرف إلى نفسها، ولو حدث أن تعرفت إليها، فإن ذلك يعني كارثة بالنسبة إلي، فالقدر الرومانسي يختلف عن القدر الحقيقي، والناس يضيعون بين الاثنين "[٢].

هكذا ابتدع الكاتب طريقته المحفوظية، عبر كيميائية خاصة لرواية مختلفة، نقلتها من المحلية إلى العالمية، ليستحق بجدارة وبانفراد عربي جائزة (نوبل) للآداب.

وعل الرغم من رفض الشاعر نزار قباني القاطع أن يفرض شعب مصر (الأستذة) بالإكراه على علماء ومثقفي العرب معللا: إن شمس الإبداع قد تطلع مرة من القاهرة ومرة من بلاد الشام ومرة من بلاد ما بين النهرين[٣]، إلا أنه أقر بالإبداع والتفرد لمحفوظ، وذلك عبر رسالة بعث بها نزار إلى الكاتب مهنئا إياه على الجائزة، قال فيها "فيا من زرعت مآذن سيدنا الحسين على ضفاف بحر الشمال، ويا من جعلت من الملاية اللف زيا قوميا لعام ١٩٨٨ ترتديه جميع الناس في العالم، كم نحن فخورون بك.... كم نحن كبيرون بك "[٤].

وإذ يقف البحث على البعد الاجتماعي للقبح في قص محفوظ، فإنه يأخذ شكله عبر الاشتغال على التعددية الشكلية لـ لمرأة القبيحة، بوصفها موضوعا لم يطرق بابه أحد من قبل – على حد علمي، فكان أن تمظهر في ركيزتين أساسيتين هما:

١- القبح والهوية الاجتماعية.

(١) الواقعية الروائية في أدب نجيب محفوظ، د. أسعد اسكاف، مجلة الأقلام، العدد الخامس، آيار، ١٩٨٩، سنة ٢٤، ١٤٥.

(٢) لقاء مع نجيب محفوظ، مجلة الأقلام، العدد آيار ١٩٨٩، السنة ٢٤، ١٢٥.

(٣) لعبت بإتقان وها هي مفاتيحي، نزار قباني: ١٥٤.

(٤) بعد أن هدأت الضجة نجيب محفوظ وجائزة نوبل، جميل الجبوري، مجلة الأقلام، العدد آيار ١٩٨٩، سنة ٢٤، ١٤٥.

٢- الأبعاد الاجتماعية وأثرها في رسم قبح الطلة.

١- الأبعاد الاجتماعية:

الأبعاد الاجتماعية أوتار يعزف عليها نجيب محفوظ في أغلب رواياته، فالكاتب يعمد إلى خلق نص يتسم دائما بالدينامية عبر التمازج والتداخل. فمن خلاله تظهر عوالم تتفاعل فيما بينها، منطلقا من طبقته - الطَبقة البرجوازية التي يصلها بوشائج مع الطبقتين الأخريين عبر "شبكة علاقات اجتماعية دقيقة ذات دلالات عديدة في الأبعاد الإنسانية والاجتماعية الطبقية والسياسية والاقتصادية"(١). فشخصياته انعكاس شامل، ومتماثل، لطبقات سكان المدن الكبرى في المجتمع المصري، وبالتحديد في الثلاثينيات حتى بداية الثمانينيات(٢).

ومن خلال التفاعل تنمو شخصيات محفوظ نموا دراميا متوازنا، فهو يشتغل عبر مكننة واقعية على ميلودراما ترفض رسم واقع مبتور، إذ يبحر في تكوينات الشخصية، مبينا مدى قدرتها على استشراف الواقع، وتحولاتها عند مواجهة مصدات المجتمع.

ولعل انتماء محفوظ إلى الطبقة البرجوازية، صاغ له مقياسا خاصا للجمال عن الطبقتين الأخريين، فهو ينظر بإعجاب ودهشة إلى الطبقة الارستقراطية الأعلى، في حين ينظر إلى الطبقة الشعبية نظرة استعلاء، فتدخل الأبعاد الاجتماعية في رسم الملامح، الأمر الذي يسوغ أن تكون دراسة القبح بحسب البعد الاجتماعي مقسمة على ثلاث طبقات:

- القبح الأرستقراطي.
- القبح البرجوازي.
- القبح الشعبي.

(١) نساء نجب محفوظ، نايف النوايسة www.jamaliya.com

(٢) ينظر: بداية النهاية لطبقة نجيب محفوظ، ضياء حسين . www.masress.com

١-١: القبح الأرستقراطي

يمكننا الاستضاءة بالمفهوم، من خلال الرجوع لجذر الكلمة، فكلمة أرستقراط تعني باليونانية: الحكم بوساطة خير المواطنين، أو سلطة خواص الناس. وهي الطبقة الذهبية.

ومن الجانب السياسي تعني: طبقة اجتماعية ذات منزلة عليا، تتميز بكونها موضع اعتبار، وتتكون من الأعيان الذين وصلوا إلى مراتبهم وراثيا[١].

"وكانت في مقدمة طبقات المصريين، الطبقة الأرستقراطية بشقيها الدنيوي والديني، وكانت هذه الطبقة تتمتع بنفوذ كبير جدا في البلاد، وتمتلك مساحات واسعة من الأراضي"[٢].

ولهذه الطبقة في قص نجيب محفوظ حضورٍ ماثلٍ، يتسم بنظرة حلمية، أكثر من كونها واقعية، فهو يصورها من وراء ستار هلامي، إذ ليس من السهولة التغور في خفايا طبقة ينتمي الكاتب إلى ما دونها.

إنها طبقة يحجبها عن الطبقتين الأخريين عند محفوظ جدار عازل، على الرغم من نفاذه إلى أعماق الطبقتين دونها، إذ تمثل له شكلا غير متغير الأبعاد، فهم أصحاب النفوذ، وناعمو الملمس، والمتعلمون، غير أن ترسيماته لشخوصها حقق توازنه الواقعي باستثمار شاعرية تركيز الكاتب، فلا غرابة من الإحساس بشخصيات هذه الطبقة، كونها من لحم ودم بعد التعمق في مدارج النفس البشرية، ومن ثم فلا مناص من رسم قبح خاص عند نسائها "منطلقا من نظرة طبقية لا من نظرة قيمية، وذلك كون الارستقراطيات وحدهن جديرات بالإعجاب، أما سيدات الطبقة العاملة فأرضيات"[٣].

وبذلك يكون محفوظ قد ربط قبح نساء هذه الطبقة بإفرازات سايكلوجية مشفوعة بمقتربات عديدة، فانحسر القبح عند (لبيب داود الناطورجي) في زاوية خاصة، إذ تقزز من طريقة أكل زوجه (فتحية)، فهو يرى أن الطعام أسٍ التعاسة البشرية: "فتحية ولبيب يتصفان بشهية جيدة، ولكن تناول الطعام كان من الخواص التي يتقزز منها، ويطالب بسببها تحطيم الكون، جعل يختلس إليها النظر، وهو يرفع الشوكة إلى فيه ويقارن بينها وبين القطط والكلاب. حقا إن الطعام أسٍ التعاسة البشرية"[٤].

هذه طريقة تفكيرية ذات إيديولوجية أحادية، إذا كان الأكل غريزة في الكائن الحي، فـ(لبيب) نفسه أكل لاستمرار حياته. فبقدر ما يكون النص محاولة لتقبيح (فتحية) بآلية تطابق تشبيهية، إذ شبهها

---

(١) ينظر: تعريف الارستقراطية: www.yulfson.com
(٢) تاريخ مصر. www.history..egypt.com
(٣) نجيب محفوظ خلفية فكرية لفنه الروائي، د. مصطفى السيد: www.islamport.com
(٤) الحب والقناع: الشيطان يعظ، ١٥٤.

(لبيب) بالقطط، والكلاب، فهي لا تنحرف عن نطاق الاعتيادية، فلا تشويه إذن في صورة (فتحية)، وهي رؤية اشتغل عليها محفوظ بقصدية، محاولا تضييق الخناق على نظرة (لبيب) غير المعقولة لفتاة ارستقراطية.

ولا يمكن للملكة زوج السلطان، أن ترسم بشعة في صفات جسمية، إلا في صفاتها المعنوية. يقول على لسان السلطان "الملكة الأفعى، الجباه التي تنحني وهي مثقلة بالنفاق والغدر، الألسن التي تلهج بالثناء وهي تنقع بالسم، الجسد الذي يذعن للحب وهو يتراقص فوق موجة من الفسق المضمر"(١).

يقف المتلقي على تقديم الملكة بكل جماليتها على الصعيد المادي، فيمكن له أن يتصور ملكة تتقن (البرتوكول)، فهي تنحني احترامِا، وتتقن فن الكلام وأصوله، وترسم أنوثتها بإتقان.

أما على الصعيد المعنوي، فيظهر للسلطان ما لا يظهر لغيره، فهو عبر جزئيات خارجية، قد سلط الضوء على دواخل قد خبرها هو وحده، إذ أطاحت بالملكة من آدميتها إلى صورة الأفعى في علاقة تشابكية، فكان استحضار (الجبهة) المنحنية ينسلخ بإيقاعية حركية تكمن في الصعود والهبوط الذي يشي بالغدر. و(النفاق) خصلة داعمة تثبت حدود التشبيه في إطار إنساني – حيواني.

بعدها يصبح الأمر متشاكلا بطريقة أكبر عند التلفت على عضو الأفعى الأهم – اللسان – مسهلا عملية إيصال الرسالة.

ويتحقق التشابه الكلي في حضورية الجسد، فجسد الملكة هو جسد الأفعى: (يذعن للحب متراقصِا)، في حين يضمر الغدر.

هكذا مرت صورة الملكة بموشور السلطان الخاص، الذي رأى فيها قبحِا داخليا، دعاه إلى الرحيل ومغادرة المملكة.

وعلى الرغم من سكن (جميلة هانم) المارون بشارع رأس الحكمة بزيزينيا في مصر، إلا أن ترسيمتها الشكلية تخرق قاعدة محفوظ لنساء هذه الطبقة "امرأة في الخمسين قد تجلت بها سمات شعبية في دسامة يديها وخشونة نبرتها"(٢).

القصة منذ البدء تحاول أن تثبت أركانا ارستقراطية: "في ذلك الوقت انتقلت جميلة هانم من حجرتها إلى الفرندا الخلفية المقابلة، بحيث جاءت جادة، حتى الابتسامة المغتصبة لم تحاول أن ترسمها فوق شفتيها

(١) (السلطان): المصدر نفسه، ١٩١.
(٢) أمشير: الشيطان يعظ، ٥٠.

المتلئتين "[١]. وهي صورة لطبيعة ارستقراطية تجلت في صورة مكان الشخصية وتصرفاتها، غير أن التلفتات إلى ملامح الشخصية، يضعها في الطبقة الشعبية، وهو أمر وشت به بقية القصة باسترجاعات قبلية عن أصول هذه الشخصية: "زوجة رجل تربية شوارع وهو اليوم أحد ثلاثة في حارتنا يرتزقون من توزيع الكيف... والمرأة عاهرة محترفة"[٢]، إذن فالمرأة من طبقة شعبية معدمة، وهو ما يبرر أصل دسامة اليد التي اعتادت العمل الشاق، وخشونة الصوت الذي جاء من أصول اعتادت على انفتاحية الصوت من دون تحفظ، وشفاه ممتلئة متوارثة تتساير مع غلاظة الأصول الخلقية التي اعتادت على الخشونة.

هكذا لم يشفع لجميلة خانم (القصر الأبيض في المارون) لتخرج من الدائرة الارستقراطية.

ويرتفع الفقر فوق جمال (الست وجدية) السيدة الارستقراطية، حتى يمتص ذلك الجمال، فسؤال مندوب وزارة الأوقاف عن الست وجدية لغرض الإعانة جعله يلتفت إليها واصفا "فرفعت إلي وجهها بارز العظام، مدبوغا بالتعاسة والكبر، محدقة بعينين كليلتين وهي تهمس: أنا وجدية"[٣]

يتحول الفقر إلى مظلة تهيمن على ملامح (وجدية) بمعنى أن أية محاولة للبحث عن رمق جمال تعد إخفاقا، فالوجه تحته الجوع، فهو (بارز العظام)، يتوطأ مع لفظة قسرية العمل (مدبوغ)، لتنفرش التعاسة والكبر على سطحه، فضلا عن العينين اللتين شكلتا متلازمة مع لفظة (كليلتين)، دلالة الانطفاء، ثم جاء العامل النفسي، إذ طغى الذل على داخلها، ليبرز الصوت (هامسا): أنا وجدية.

وعلى الرغم من انتماء (سمراء وجدي) إلى الطبقة الارستقراطية، غير أن تعرضها لحادثة إطلاق النار على وجهها، فرضت عليها واقعا أخر، بعيدا عن واقع طبقتها، فسمراء وجدي "متوسطة القامة، رشيقة كلاعبة في سيرك، بيضاء موردة من الأمام، ومن الناحية اليسرى تتبدى جمالا أنيقا نبيلا، إلا أن العارضة اليمنى مشدودة في تقلص مدبوغة باحمرار ضارب إلى السواد، وبها بقع منفرة ونتوءات كالدرن"[٤].

ينفتح النص على (كاركتر) كلي ومقطعي لسمراء وجدي فهي بمنظرها الكلي امرأة تحمل جمالا ارستقراطيا: (رشيقة كلاعبة في سيرك وبيضاء موردة)، فتتحرك الشخصية داخل حدود طبيعتها فلا غرابة إلى الآن.

(١) المكان نفسه.
(٢) المصدر نفسه، ٧٨ - ٧٩.
(٣) أسرة أناخ عليها الدهر: المصدر نفسه، ٢٦٨.
(٤) الحب تحت المطر، ١٥٥.

وبالتوجه إلى عارضتها اليمنى، تنتقل إلى ميدان خاص بعيدا عن صفات طبقتها وهو أمر يؤهلها إلى الانزلاق إلى طبقة أخرى، لتصبح "قوادة هاوية بيتها خلية للبنات، لها عليهن سيطرة أسطورية، وتسهر معهن في بيوت الأصدقاء، بدافع العبث واللهو لا المال"(١).

فالصراع مع ظروف الواقع، دفع بالشخصية إلى الانزلاق عن طبقتها، ليتحول في النفس إلى مصدِة جعلتها تجابه الناس بصورة (قوادة)، لتحاول حصر من تعرفهن في دائرة السقوط، لتكشف بذلك عن قبح داخلي وخارجي.

١-٢: القبح البرجوازي:

تمكن محفوظ من أن يقف على وضع خبره وعاشه، إذ صور وضع الطبقة الوسطى بتقنية عالية، "لكونه أحد أفراد هذه الطبقة الذي عاش الظروف التي مرت بها هذه الطبقة"(٢)، إذ عبر عن همومها وأحلامها وصور توجساتها، "فهو وليد حي الجمالية الشعبي ثم تنقل في أحياء القاهرة الأخرى منها (العباسية والحسين والغورية)"(٣).

ومثلما خبر القاهرة وأحياءها خبر الجمال فيها، إذ يحصر محفوظ جمال نساء هذه الطبقة في درجة وسطى، فهنِ يقتربن من خرافية جمال نساء الطبقة الارستقراطية، ولا ينزلن إلى المستوى الشعبي البحت، ففي هذه الطبقة يستطيع المتلقي أن يرى القبيح، والجميل، في آن معِا، من غير ما صعوبة، لذا فنظرة محفوظ للقبح في هذه الطبقة قد صبت في ممرين:

أ- المرأة القبيحة في الإطار الاجتماعي القديم.

ب- المرأة القبيحة في الإطار الاجتماعي الحديث.

أ- المرأة القبيحة في الإطار الاجتماعي القديم:

في محاولة لإلقاء الضوء على هذا الموضوع أقول: إن صورة المرأة في إطارها القديم، قد خضعت لتوليفة تعكس أدلجة خاصة، ومن خلالها نجد صدى لتخطيط مسبق، أرضيته واقعية، من لحم ودم، غير أن قالبه يفصح عن ألوان من الإضافات الشعورية.

(١) المصدر نفسه، ١٢٥.
(٢) الأدب العربي الحديث: الدكتور سالم الحمداني والدكتور فائق مصطفى، ٣٧٣.
(٣) رواية السمان والخريف، نجيب محفوظ.

www.3ash.net

إن هذا النوع من النساء عند محفوظ، ما هو إلا تناصات إنسانية واجتماعية في زمن خبره الكاتب في طفولته، لنساء غير متعلمات في الغالب، يصعب على محفوظ وضعهن في قالب الجمال المترفع.

والجمال هنا منزوع من خطوط المجتمع الذي غالبا ما يصرح الكاتب برفضه ومحاولة إدخاله في دائرة كاريكاتورية(*).

يتخير محفوظ لشخصية (خديجة) في ثلاثيته، وجها كاريكاتوريا، يجمع من صفات وجه الوالدين ما لا ينسجم مع تكوينة وجهها: "كانت خديجة في العشرين من عمرها فهي كبرى إخوتها فيما عدا (ياسين) كانت قوية ممتلئة والفضل لأم حنفي، أما وجهها فقد قبس من قسمات الوالدين على نهج لم يراع فيه الانسجام، ورثت من أمها عينيها الصغيرتين الجميلتين، وعن أبيها أنفه العظيم، أو صورة مصغرة منه، ولكن ليس إلى القدر الذي يغتفر له"(١).

التوليفة الشكلية تدفع بالشخصية إلى الانحسار في زاوية القبح غير أنها في إطار زمنية مجتمعها مقبولة الشكل، إنها (قوية ممتلئة ماثلة إلى القصر)، فهي صفات (موضة) آنذاك، وهو يغفر بعض الشيء لتنافر قسمات الوجه (عيني الأم الصغيرتين + الأنف العظيم المصغر عن أبيها ولكن ليس إلى القدر الذي يغتفر له)، الأمر الذي أدى إلى تنافر واضح يلفت وصفيا انتباه القارئ تعمده الكاتب.

وسوء الأخلاق ملمح من ملامح القبح في قص محفوظ أذهب ببقايا جمال حماة (سماحه الناجي): "سعد سماحه بعروسه ولكن تنغص صفوه بعض الشيء بإقامة حماته معها واحتلالها الصالة ليل نهار، كانت عجوز ضريرة، تشهد قسماتها العتيقة بجمال دابر، وكانت وقحة سليطة اللسان، قدت كلماتها من رصاص، فلم تعرف المجاملة، حتى في شهر العسل والمجاملات"(٢).

(اللسان) هو مختزل منظور (سماحة) إلى أجزاء الشكل الأخرى في حماته، فسرعان ما تتجه زاوية نظره إلى كلياتها الشكلية، فهي: (عجوز ضريرة + جمالها دابر)، أحيطت بهالة تقبيحية فيزيولوجية إضافية: (وقحة + قدت كلماتها من رصاص)، حتى تصبح أثقل حمل لديه، لاسيما بعد احتلالها الصالة ليلا نهارا، فتنغص صفو عيشه.

(*) نجيب محفوظ مع مفهومه لكاركتر المرأة الحديثة، لا يضع (أم حنفي) مثلا في الثلاثية ومفهومها لجمال المرأة إلا في إطار كاريكاتوري.
(١) بين القصرين، ٣٤.
(٢) المطارد: ملحمة كلكامش، ٢٢٩.

أما استنطاق القبح الكلي، فقد رسمت معالمه (نفيسة) في رواية (بداية ونهاية)، إذ سد شكلها كل منفذ للجمال: "كان لها هذا الوجه البيضوي النحيل، والأنف القصير الغليظ، والذقن المدبب إلى شحوب في البشرة، واحديداب قليل في أعلى الظهر، فلم تكن تختلف عن أمها إلا في طولها المماثل لطول شقيقها حسنين، كانت بعيدة عن الوسامة وأدنى إلى الدمامة"(١).

جاءت ترسيمة (نفيسة) محصورة في إطار الدمامة البحت، فالتلفت إلى (الشحوب في الوجه)، جاء قاعدة غيرحيوية، زرعت عليها قسمات الوجه، ليفصح الشحوب بسهولة عن معايب تلك القسمات، فالوجه مجموعة نافرة متضادة، فهو (بيضوي نحيل + ذقن مدبب). ويأتي الأنف علامة تتضاد مع ترسيمة الوجه (قصير + غليظ).

وإذ يتهيأ المتلقي بالإمساك بخيط جمال في (نفيسة)؛ إذ برزت علامة الطول مفترقا للطرق بينها وبين أمها، إلا أن المتلقي يتفاجأ بصفة تقبيحية أخرى، إذ إن طول نفيسة يقارب طول (حسنين) أطول إخوتها، ثم التلفت إلى (احديداب الظهر)، الأمر الذي ينقطع بالشخصية عن دروب الجمال مطلقا.

ب- المرأة القبيحة في الإطار الاجتماعي الحديث:

أما فكرة محفوظ عن هذا النوع من النساء، فيحاول فيه الإمساك بمنتصف العصا، إذ تحل موازنة بين الجميل والقبيح. إن المرأة هنا وإن كانت جميلة وتعجب محفوظ لكونها متعلمة وطريقة لبسها ترتفع عن الشعبية، فإنها لا بد أن يكون فيها منفذ للقبح، حفاظا على بيئوية الإطار، فـ(بهية) تنضوي تحت منظارين، فهي من وجهة نظر (حسنين) خطيبها وابن بيئتها: "الساقان البديعتان، والوجه البدري، ذو العينين الزرقاوين، نظرة هادئة رزينة توحي بالثبات لا بالخفة، جمال يبهر - وإن شابه شيء من ثقل الدم"(٢).

النص منلوج يتقلب في دواخل الخطيب (حسنين)، فيه من نظرات الإعجاب ما يأخذ منحى ماديا، وآخر معنويا. فالساقان تلازمان الطبيعة الحسية الجامحة التي تلازمت بالصفة مع (بديعتان)، في محاولة للتجسيد المغاير، ثم التلفت إلى صفة حسية أخرى: (الوجه) الذي يصلح لحصر الرغبة الحسية في دائرة جمالية.

وفي محاولة لإضافة معنوية، يعول (حسنين) على مفردة حسية أخرى: (العينين الزرقاوين)، يحاول التبحر فيهما بتفحص صفة (الرزانة) التي ترفع من شأن الفتاة، ثم الحكم النهائي: (جمال يبهر)، الذي

(١) بداية ونهاية، ١٧.
(٢) بداية ونهاية، ٥٦.

رفع (بهية) إلى مصاف المرأة الجميلة، فلم يعد للصفات الأخرى العارضة أهمية، فلا أهمية لثقل الدم مثلا.

أما من ناحية المنظور الخارجي، فـ(بهية) خارج بيئتها - من وجهة نظر أحد زملاء (حسنين) في الكلية العسكرية - يصفها بعد أن رآها مع حسنين) بالآتي: "أما علمتم؟ رئي الصندديد أمس وفي يده فتاة! وتساءل البعض من أي نوع؟ - النوع البيتي - جميلة؟ وتركز انتباه (حسنين) واشتد وعيه، أما المتحدث فقال: لها عينان زرقاوان ولكن يغلب عليها الطابع البلدي، ممتلئة أكثر مما ينبغي، قصيرة أكثر مما يستحب، دمها ثقيل برتبة لواء، دقة قديمة على وجه العموم. أين وجدتها؟، احذر أن تكون خطيبتك. واندفع قائلا بلا وعي: تقريبا كلا طبعا. - حبيبة؟، فقال مدفوعا بمشاعر الألم والخذلان التي تصطرع في نفسه: نوع من التسلية ليس إلا"[1].

دفعت وجهة نظر الزميل وجهة نظر (حسنين) إلى منطقة مشوشة، إذ أنزل صورة (بهية) من أبراجها العاجية، لتخلق في دواخل حسنين استيقافا وتفكيرا، فعلى الصعيد الطبقي، (بهية) ذات مستوى متدن فهي (من النوع البيتي).

أما على صعيد الهيأة العامة، فتشرح بمشرحة الزميل المستهينة، فعيناها الزرقاوان لم تشفع لتجميلها لكنها حطتها في دائرة (الطابع البلدي)، وبتشريح لجسمها وجده (ممتلئة أكثر مما ينبغي، قصيرة أكثر مما يستحب)، ثم الضربة القاضية التي مست ما شعر به (حسنين) سابقا من شخصية (بهية)، فقد صاغه الزميل بإطار كاريكاتوري (دمها ثقيل برتبة لواء).

هكذا نسفت صورة الجميلة بتسليط منظور خارجي، فكان الحكم في النهاية متوقعا: (دقة قديمة على وجه العموم)، الأمر الذي دفع بـ(حسنين) إلى إنكار أي صفة تربطه بفتاته، بوضعها على حافة السقوط بكونها: (نوع من التسلية ليس إلا).

ويتغير منظور (كرم يونس)، لزوجه (حليمة الكبش) من "شباب ذي جمال رائق"[2]، إلى "ها هي مقوسة فوق كرسيها، متشابكة الذراعين، تعكس عيناها نظرة قرف ممتعضة، وتنعقد فوق جبينها تكشيرة كاللعنة"[3].

(١) المصدر نفسه، ٢٦٧.
(٢) أفراح القبة، ٥٤.
(٣) المصدر نفسه، ٥٧.

تتشـظى صـورة جمال (حليمة) من وجهة نظر الزوج، بفعل ظروف عصـية يمر بها الزوجان. وفي استغراق ذهني يرسم الزوج صورة لزوجة تبدو ذهنية، أكثر مما هي حسية، فهو قد ركز على جزئيات تجعل المرأة مستلبة أكثر من كونها قبيحة

فجلستها ← مقوسة فوق كرسيها.

يداها ← متشابكة الذراعين.

عيناها ← نظرة قرف ممتعضة.

جبينها ← تنعقد فوقه تكشيرة كاللعنة.

نظرة الزوج تنمو نمواً دراميا، م بتدئا من العام إلى الخاص، فمنظر المرأة في جلسـتها يفصـح عن عدم الارتخاء، تسانده صورة اليد المنقبضة باستسلام.

بالتوجه نحو العينين يعرج الزوج على مركزية الموقف برؤية ذهنية لا حسـية، فمنظرها يفصـح عن (قرف وامتعاض)، أوصـلت فكرتي الاسـتلاب والامتعاض إليه، وما (الجبين) إلا خشـبة للمسـرح الذي أظهر التفاصـيل الذهنية، إذ (انعقدت عليه تكشـيرة كاللعنة)، لتنفذ مقصـدية زمنية في إيصـال الأفكار؛ لأن المرأة – الآن – في أسوء حالة نفسية شكلية.

والتفاوت الطبقي كان السـبب الأسـاس في تولد رؤية نافرة لـــ(سـوسـن حماد) المتعلمة، من قبل (خديجة)[1] لتي لم تر فيها العروس الصـالحة لولدها (أحمد إبراهيم شـوكت)، "ذهبت لزيارة بيتها كما تقضي العادة، قلت أرى عروس ابني، فوجدتهم يقيمون في بدروم في شـارع كله يهود على الضـفتين، وأمها لا تفترق في هيئتها عن الخادمات المحترفات، والعروس نفسـها لا يقل عمرها عن ثلاثين عاماً – أي والله – ولو كان بها بذرة جمال لعذرته، لماذا يريد أن يتزوجها؟ إنه مسحور سحرته بحيلة"[1].

وراء النص مرجعية أشـبه بالقانون، إذ من غير المنطقي في بداية القرن العشـرين أن يتزوج شـاب من طبقة ارستقراطية من شابة تنتمي للطبقة الشعبية، وإن كانت متعلمة بدرجة عالية.

لجأت (خديجة) إلى آليات السرد في دق أوتاد حكايتها، فأثثت المكان وصفيا: (بدروم، شارع كله يهود) و(أمها لا تفرق في هيئتها عن الخادمات المحترفات)، ثم تلجأ إلى آلية زمنية: عمر العروس: (والعروس نفسها لا يقل عمرها عن ثلاثين عاما). ثم الوقوف على سلبية الشخصية بالتلفت إلى الوصف الشكلي:

(١) السكرية، ٢٦.

(ولو كان بها بذرة من جمال لعذرته)، وهي رسالة تمررها خديجة محاولة خلق الدهشة من محاولة الارتباط، إذ حتى في النقطة الأضعف - الجمال - أخفق (أحمد شوكت) في طريقة اختياره، الأمر الذي يسهل الاستناد إلى قاعدة خديجة المنطقية: (إنه مسحور سحرته بحيلة)، بوصفها من أكثر الأمور مقبولية في زوج كهذا.

هكذا أضاءت خديجة مناطق معتمة عند المستمعين تجعل الرفض الحل الأنسب للزواج.

واضطراب (عمر حمزاوي) النفسي، دفع به إلى أن يرى حبيبته وزوجه (زينب) في منظور آخر. يقول: "الحموضة التي تفسد العواطف الباقية، ولاحت من ورائهم الشرفة الكبيرة المطلة على النيل من الدور الرابع، وتبدى عنق زوجك من طاقة فستانها الأبيض.. غليظا متين الأساس، واكتظت وجنتاها بالدهن (...) وضاقت عيناها الخضراوان تحت ضغط اللحم المطوق لهما"(١).

انفتحت (الحموضة) معادلا موضوعيا يشير إلى فساد العلاقة الزوجية، إذ شكلت حالة تذوقية غير مستحبة للحياة كلها بما فيها شكل زوجه، فـ(عمر حمزاوي) كأنه يرى (زينب) لأول مرة، إذ جاء النظر إلى (العنق)، ليراه غليظا متينا، ليموت فيها جزء أنثوي مهم، ثم التلفت إلى (الوجنتين) اللتين شدتا إلى القاعدة نفسها، ليكتظا بالدهن فيظهر عيبها خارجيا بدون تزويق، بالنظر إلى (العينين) تكون الزوج قد خسرت آخر معقل جمالي لها؛ إذ أمسيا جمادا يحوطهما الخمود، ومعه ينطفئ لونهما (الأخضر)، فلا أمل للبعث من جديد تحت قديد اللحم المطوق.

ولقد أقحم الكاتب عبارة (لاحت من ورائهم الشرفة الكبيرة المطلة على النيل من الدور الرابع)، في تدخل منه داخل منلوج الشخصية، حرصا على إبراز منظر يبعث على الهدوء والسكينة، فلا يوجد ما ينفر إلا تلك الحموضة النفسية.

هكذا خضعت صورة (زينب) إلى موشور نفسي، بدت في لحظة أغرب ما تكون عن زوجها.

١-٣: القبح الشعبي:

وقد اتجهت جهود نجيب محفوظ في هذا الإطار إلى تجسيد القبح في الطبقة الكادحة، إذ تبدو المرأة - هنا - مستلبة مشحونة بهم اجتماعي، لا تغادر مسارها الخطي.

وفي العادة هي ضحية تشعر بالعبودية، والكاتب "لم يخترع هذا النموذج بقدر ما كان التصاقا منه

(١) الشحاذ، ١٦.

بحياة العامة، والغوص في مشكلاتهم، وكشف معاناتهم"[١].

ويركز محفوظ على أجواء الشخصية، ليجد المتلقي أجسادا، تعوض انسحاقها، ومسخ آدميتها، بالاقتحام، إذ تعيش الشخصيات من هذا النوع حياة متوترة، في قتل الروح وتكفينها، مع التزام موقف اللامبالاة، سعيا وراء التوازن مع المحيط. والنساء هنا على نوعين:

أ- النساء العاملات.

ب- النساء المومسات.

أ- النساء العاملات:

ومنظور نجيب محفوظ لنساء هذا الطبقة في العادة، محصور في زاوية نظر واحدة، ألا وهي النساء السفليات، وهو ما عيب على الكاتب، لانبثاق رؤيته تلك من شرفة طبقية قيمية، فهو في العادة يمنح إعجابه بالفتيات الارستقراطيات ويمنعه عن نساء الطبقة العاملة[٢].

والمرأة في هذا الإطار مضطرة، مستسلمة، بعيدة عن دائرة المشاركة والتأثير. تبدو بسيطة المنظر، وتفتقد إلى النظافة في أحايين كثيرة، فهيئة (أم حنفي) خادمة بيت السيد (أحمد عبد الجواد) كانت موضع استهجان محفوظ، إذ يقول: "امرأة في الأربعين... بدينة في غير تناسق ولا تفصيل، نما لحمها نموا سخيا، فراعى في نموه السمنة فحسب، وأهمل اعتبارات الجمال، بيد أنها رضيت عنه كل الرضا، لأنها كانت تعد السمنة في ذاتها الجمال كل الجمال"[٣].

يحاول النص توجيه القارئ إلى بدانة مفرطة، فبدت حيوانية، أكثر مما هي إنسانة، فعبارة (نما لحمها نموا سخيا)، يحجم الرؤية فينظر إلى حيوان سمين من دون تفاصل ولا تناسق لاعتبارات الذبح، لتوضع نظرة (أم حنفي) إلى السمنة التي رأتها (الجمال كل الجمال) في قالب كاريكاتوري، فتخرج من دائرة الجمال نهائيا، بعد أن عولت على السمنة التي أظهرت قبحها بلا رتوش.

والخادمة مستلبة دائما، وقسمات وجهها شعبية، فعلى الرغم من كبر عمر (نور) - خادمة ياسين - وعلى الرغم من كونها (نوبية) إلا انها كانت هدف (ياسين) في التحرش: "سوداء في الأربعين، متينة

(١) الواقعية الروائية في أدب نجيب محفوظ، د. أسعد اسكاف، مجلة أقلام، السنة ٢٤، العدد آيار ١٩٨٩، ١٣٢.
(٢) ينظر: نجيب محفوظ خلفية فكرية لفنه الروائي، د. مصطفى السيد: www.islamport.com
(٣) بين القصرين، ٢١.

البنيان، غليظة الأطراف، ناهضة الصدر... ذات شفتين ممتلئتين، فيها قوة وخشونة وغرابة "[1].

يسخر المشهد عدستين، تعمل الأولى بنظام حصري لدواخل (ياسين) بانفتاحها على الخارج، إذ إن اندفاع الشخصية نحو طبقة دون طبقته، وبانحسار أكثر نحو خادمات كبيرات في السن، ثم استهواء القبح في القسمات الشعبية بالذات، أمر يعد في غاية الغرابة سببته عقدة عند الشخصية[*].

أما العدسة الخارجية فترتكز في بانودراما لونية، إذ يصبح سواد الوجه أرضية تفرش عليها معالم تلفت انتباه (ياسين) نحوهما، وقد سمح الاندفاع الحسي بالتلفت نحو القوة عند (نور): (متينة) البنيان، غليظ الأطراف، ناهضة الصدر). ومواكبة مع نزعة (ياسين) المازوخية، كان النظر إلى زاوية (الخشونة والغرابة).

ولا بد لـ(نعيمة) بياعة الكبدة، من أن تختفي تحت قشرة الاكفهرار والامتعاض الدائمين – وان ذهبا بجمالها – تفاديا من أعين رجال حارتها: "ولأنها ممتعضة دائما ومكفهرة ومتوثبة للشجار، فقد قست ملامحها، وبردت نظرتها، وطبعت بطابع الجفاف، فركضت الشيخوخة نحوها بلا رحمة، وحتى سحرها الذي أطاح برأس الضابط فقد بطل، وهذا ما بدا للأعين المستطلعة "[2].

خوف (نعيمة) من تذكيرها بالماضي[**3]، أدى إلى تقوقعها في قشرة الخشونة، فحاولت التحجر، عن طريق علامات جسدية تلمح، فعيناها افترش فيهما القلق ندبة حتى أوصلها إلى موت أي تألق بالبرود، ومن ثم تؤطر بالجفاف، وكان لا بد للوجه أن يتأثر بذلك القلق لتظهر سياط الزمن بمرارة على الوجه، معلنة الخمود العاطفي، فيموت مرح النفس الذي جذب الضابط سابقا، ليكون الحكم بالعزلة عن الأعين المتطلعة.

وعمل نفيسة (خياطة) يخجلها، ويقودها إلى الانكفاء، وعندها لابد من أن تذكر من حولها بأنها لم تكن خياطة إلا لموت والدها الذي كان موظفا في وزارة المعارف: "أهلا وسهلا حضرتك، الست نفيسة التي أرسلتك، الست زينب؟ فقالت الفتاة في حياء: نعم يا هانم وحضرتك العروس؟ فأومأت بالإيجاب مبتسمة، ثم جلستا وهي تقول: ست زينب تثني عليك جميل الثناء، وإني أتوسم فيك الخير، فابتسمت

(١) المصدر نفسه، ٣٨٢ – ٣٨٣ .
(*) عشق الأم للفاكهاني، وعشق الأب للعوالم، دفع ياسين إلى النظرة السفلية، فلا بد لمعشوقته أن لا تخرج من دائرة أرضية .
(٢) الخوف: بيت سيء السمعة، ١٢٢ – ١٢٣ .
(**) فهي قد عشقت ضابطا، فذهب بشرفها .
(٣) بداية ونهاية، ٦٩ .

نفيسة ابتسامة باهتة، وانفرطت شفتاها دون أن تنبس بكلمة: (لعلها قالت إني خياطة ماهرة، هذا حسن أ مدح أم ذم؟ لا أدري! ترى هل قصت عليها نبأ أسرتنا؟ كان أبي كأبيك، وكنت سيدة مثلك، انتظر العريس ولكنه لم يأت ولن يأتي) وسألت العروس في رقة وهي تعلم الجواب: لماذا ترتدين السواد؟ فأجابتها في حزن: توفي والدي منذ شهرين وكان رحمه الله موظفا في وزارة المعارف"[١].

حرض مديح العروس – دون قصد – نفيسة إلى الغوص داخل النفس، إذ استوقفتها جملة: (ست زينب تثني عليك جميل الثناء)، لتتلاعب في دواخلها أسئلة حائرة: (لعلها قالت إني خياطة ماهرة)، ثم الولوج في سؤال متضاد: (أ مدح أم ذم)، ثم الترحيل إلى فكرة متوجسة: (هل قصت عليها نبأ أسرتنا)، ففجرت في أعماقها استرجاعات متحسرة: (كان أبي كأبيك وكنت سيدة مثلك)، غير أن الاسترجاع ينقطع عند ذكر (العريس)، الذي أملت النفس به بالأمس – وإن كانت قبيحة الشكل – إلا أنها الآن ترضخ تحت وطأة ظروف جعلتها خياطة، فينتهي أمل الزواج بالانقطاع التام: (لن يأتي).

وافتقاد عنصر النظافة كان مؤشرا – في الأغلب – للمرأة العاملة، فبائعة (الدوم) كانت قذرة، لكن شهوة (ياسين) العمياء، لم ترِ إلا عينيها المكحولتين: "ليس حتما أن تقع بغيته على طراز زنوبة ميزة حسن واحدة تغني، كما أغنت عينا بائعة الدوم المكحولتان بحارة الوطاويط، اللتان شفعتا لنتن إبطها، وتلبد الطين على ساقيها، بل الدمامة نفسها اعتذار مقبول عند شهوته العمياء"[٢].

العينان (المكحولتان) هما المحرك الأساس للفعل، إذ وفرا مناخا صالحا لجذب ياسين، فتصبح قذارة بائعة الثوم: (نتن إبطها، تلبد الطين على ساقيها)، شيئا ليس ذا أهمية، والشهوة العمياء هي المجاوز لكل ذلك، لتعطل عند ياسين حاستا الشم والبصر، وتتوج العينان المكحولتان وسيلة للرغبة.

ب- المومسات:

في محاولة إلقاء الضوء على طبيعة ترسيم المومسات في قص محفوظ، أقول لا تكاد تخلو رواية أو مجموعة قصصية من هذا النوع من النساء، فهن – بحسبه – حقيقة قديمة، بدأت باندساسه بينهن في الحفلات التي كانت تقام بمنزله، أو بمنازل جيرانه، (...)، وحيث ارتبط هو بحفلات النساء التي طبعت في أعماق ذاكرته – منذ الصغر – أول المفاهيم للأنثى الراقصة أو العالمة[٣].

وعلى الرغم من محاولة المجتمع في استلاب المومس، إلا انها عند نجيب محفوظ تحاول رفض كل

(٢) بين القصرين، ٣٨٣.
(٣) ينظر: نساء نجيب محفوظ، إيمان محمد امباي.

الاستلاب بالتمرد على قوانين المجتمع.

ويعمد محفوظ في هذه الصورة بالذات إلى الترتيش، من خلال توجيه المتلقي إلى زوايا محببة منها، فضلا عن إبراز شخصيتها القيادية، فهي في بعض الأحيان تستطيع اللعب، بتغيير محيطها الاجتماعي، سواء أكانت قبيحة أم جميلة.

ولا شك في أن إصرار محفوظ على حضورية المرأة المومس في قصه، قد خلق انشطاراً في آراء المتلقين، فمنهم من عارض وبشدة ذلك الوجود، حتى وصفه الخط الإسلامي بأنه "وجه مصر الحالك، الغارق في الجناية، والذي تفوح منه رائحة الحشيش"(١).

في حين كان رأي الطرف الآخر، يحوم حول فكرة الهامش الإنساني، الذي حاول محفوظ توجيه النظر إليه، لكونه خاصية غير ملوثة، تحافظ على نقائها، وهي قد تفوقت في نموذجها على المرأة التي تهوى السير بجوار القطيع، فكان محفوظ كأي روائي يبحث عن الشخصيات التي تمتلك تفاصيل، وتملك ما تقول حتى ولو كانت امرأة منحرفة(٢).

وقد أعجبت الدكتورة (إيزابيلا كاميرا) المستشرقة الايطالية بنموذج هذه المرأة، إذ اكتشفت بأن محفوظ نقل من واقعه عنها وأضاف إليها من روحه، لتفتح للكاتب الباب في السوق الايطالية، بعد أن ترجمت رواياته، فتحقق له مبيعات لكتبه بأرقام مرتفعة، إلى درجة انتشار موضة اليشمك والملابس التي تشبه ملابس الراقصات المصريات بين الفتيات الايطاليات في فترة السبعينيات(٣).

أمام عاصفة الزمن، لابد لـ(جليلة العالمة) من أن تنحني، وإن كانت لا تزال (معلمة قد الدنيا). ففي حلقة حوارية لأحمد عبد الجواد وأصدقائه جاء ذكر جليلة "قال محمد عفت لأحمد عبد الجواد: عجوز وقارح، أنت وجليلة شخص واحد كلاكما عجوز وقارح - إني أرضى لو رشحوا جليلة فهي عند اللزوم تفرش الملاية للملك نفسه، وهنا قال عبد الرحيم باسماً: قابلتها أول أمس أمام عطفتها، مازالت كالمحمل ولكن الكبر أكل عليها وبال، فقال الفأر: صارت معلمة قد الدنيا، بيتها شغال ليل نهار، يموت الزمار وصباعه بيلعب"(٤).

(١) موجز يكشف حقيقة نجيب محفوظ، الشيخ سليمان الحراشي www.ahlaaladeeth.com
(٢) ينظر: نساء نجيب محفوظ، إيمان محمد امباي . www.aman.jordan.org
(٣) ينظر: المصدر نفسه .
(٤) السكرية، ٤٨ .

تشكل (جليلة) سمة تعاضدية مع زمن شباب الأصدقاء، وعلى الرغم من سيرورة الزمن، يعمد (محمد عفت) إلى إقحام اسم (جليلة) في الحديث، ليعقد علاقة مقارنة بينها وبين أحمد عبد الجواد، إذ جاءت في لفظتي (عجوز وقارح) في مقصدية لاسترجاع أيام مضت، فجاءت الموافقة ملتفة عند (أحمد عبد الجواد)، فقد أعلى من شأنها لتترشح في نظره رئيسة وزراء، فهي عند اللزوم (تفرش الملاية للملك)، إشارة إلى قوة إقناعها في أطر مختلفة.

غير أن رؤية عبد الرحيم، حتمت الوقوف عند زمانية حالية، إذ إن الزمن – وإن لم ينقض على جسم جليلة – لكنه انقض على جمالها، عبر وقوع السرد على أرضية موروثة: (أكل عليه الدهر وشرب)، فاستبدل السارد آخر المثل بلفظة (بال) التي صاغت فكرة أوقع أثرا، لتقع في دائرة زوال الجمال التام، وإن كانت جليلة هيكلا يقف لحدِ الآن في وجه الزمن.

ولا بد من تحجيم تمرد (بسيمة عمران / القوادة)، فكان السجن هو المصير المحتوم الذي قضى على جمالها وصحتها: "أمك انتهت يا صابر، من يصدق أن هذا الوجه هو وجه بسيمة عمران. أجل في استدارة البدر كان، ووجنة موردة كالتفاح، وأما الجسد الجسيم الهائل، فلم يكن يهتز هزة واحدة عند القهقهة، وقهقهتها كانت تهز المجالس – لعنة الله على المرض. فقالت وهي تجفف وجهها بكمها – رغم لطافة الجو – ليس المرض ولكنه السجن، والمرض جاء في السجن، أمك لم تخلق لذلك، وقالوا الكبد والضغط والقلب، الله يحرم عيشتهم، ترى ألا يمكن أن أرجع إلى ما كنت"[1].

لم تستطع (بسيمة عمران) الرضوخ إلى واقع لم تألفه، فتحاول مرة رفض صورة وجهها الحالي: (من يصدق أن هذا الوجه هو وجه بسيمة عمران)، ومرة بالدعاء على الأطباء الذين شخصوا حالتها: (الله يحرم عيشتهم)، ومن ثم محاولة الالتفاف على واقع مفروض بسؤال متأمل: (ألا يمكن أن أرجع إلى ما كنت) في محاولة لبعث ماضٍ أحبته.

هكذا كان السجن أقوى من تمرد (بسيمة عمران)، فأزال ما بها من صحة وجمال.

وعلى الرغم من دمامة مومس (كامل رؤبة)؛ غير أنها فضت شرنقة خجلة، لتدخله إلى عالم النساء الذي جهله: "كانت على الرغم من تأنقها وتزينها، أقرب للدمامة منه للحسن، ذات وجه مستدير غليظ، وعينين بارزتين، وأنف قصير أفطس، وشفتين ممتلئتين، ووجنتين متكورتين، وشعر جعد لامع"[2].

و"كان كلانا يأكل صاحبه ويزدريه، وولى الخوف، إذ لم يعد له مسوغ، وامتلأت الثقة، كانت المرأة

(١) الطريق، ٨.
(٢) السراب، ١٩٩.

سيدة الموقف، فوجدت فيها المرشد الذي ضللته حياتي كلها، وأعادت إلي الثقة والطمأنينة، لأنها أخلتني من كل مسؤولية، وأخذتني بالهوادة والرفق "[1].

تمكنت المومس من تحقيق حضور استثنائي، فعلى الرغم من دمامتها، تمكنت من تغيير سلبية (كامل رؤبة) إلى إيجابية، إذ عالجته من عقدة أوديب التي أسقطها على النساء كافة، بمن فيهن زوجه، فالمومس كانت مغايرة لصورة الأم قلبا وقالبا، فهي في ملامحها تقع في طرفي نقيض عن ملامح أمه، كما انها أدارت دفة مفهومه عن الأخلاق، بتقديم نموذج بعيد عن نموذج الأم الشريفة، فلم تعد هناك علاقة مشابهة بينها وبين أمه، لذلك: (لم يعد للخوف مسوغ)، ولابد أن يبتدئ كطفل صغير، بعد أن قطعت جذوره عن مرجعية أماتت رجولته طويلا.

٢- الأبعاد الاجتماعية وأثرها في قبح الطلّة:

يغلف محفوظ نساءه القبيحات في العادة بزوايا مشرقة، فلا بد من أن تحبب صورهن للمتلقي، إذ ينهض الكاتب بتدبر ذلك القبح بنثر تجميلات شكلية أو روحية، منطلقا من قاعدة قرآنية "ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"[2]، ليحتفي المتلقي – عند محفوظ – بالقبح الموجود في الشخصية الذي توازنه مجملاتٌ أخرى موجودة في الشخصية نفسها.

ويركز محفوظ في الترسيمات الجزئية على أهم ما يلفت النظر، ولكن ليس بالطريقة الكاريكاتورية التي تضخم ملامح شخصياته، بل يجعل من تلك الملامح نقطة ارتكاز تعرف بالشخصية، غير أن ذلك التعريف أبعد ما يكون عن تعريف الهوية: (الطول ١٧٠، العينان عسليتان، الشعر اسود)[3].

وتتوزع ترسيمات قبح الطلة إلى ثيمات، هي:

٢-١ الملامح:

يقوم محفوظ بتضييق عين الكاميرا، بالتركيز على جزئيات من وجه الشخصية، ففي الغالب تمنح هذه الملامح بعدا اجتماعيا في اقترانها بعلاقة تشابهية، الأمر الذي يخلق لدى المتلقي التلفت إليها.

(١) المصدر نفسه، ٢١٤.
(٢) التين: ٤.
(٣) ينظر: www.khammar.abdella.art

إنه الوصف المتميز، وليس المفصل أو الدقيق، إنه الوصف الذي يعطيك سمات الشخصية التي تطبع في الذاكرة مهما كان الزمن[١]. ومن أبرز تلك الملامح:

أ- الأنف:

يستأثر الأنف بوصفه بروزا في خريطة الوجه، وقد عمد محفوظ رسمه بطرق مختلفة، وفي الأغلب يندرج الأنف متصدرا ملامح شخصياته القبيحة الخاصة، فأنف (خديجة) صنفها في قائمة القبيحات: "ورثت عن أمها عينيها الصغيرتين الجميلتين، وعن أبيها أنفه العظيم، أو صورة مصغرة منه، ولكن ليس إلى القدر الذي يغتفر له، ومهما كان من شأن هذا الأنف في وجه الأب الذي يناسبه، ويكسبه جلالا ملحوظا، فقد لعب في وجه الفتاة دورا مختلفا"[٢].

ينهض جزء من النص على أساس التناظر بين الفتاة ووالدها، من ناحية الأنف في بعد مرآتي، إذ كان أنف (خديجة) مرآة محدبة لأنف الأب، فانعكاس صورته جاء مصغرا في وجه (خديجة) لكنه أخذ موضعا بارزا يلفت النظر لكبره، فهو انعكاس سلبي، إذ (لعب دورا مختلفا) في حين أنه ترسيمة إيجابية في وجه الأب، زاد من (جلاله).

وكان الأنف عند مومس (كامل رؤبة) القبيحة من السمات البارزة، إذ شكل مع غيره من ملامح الوجه مرآة عازلة عن وجه الأم، ليتجاوز كامل عقدة أوديب بالتعرف عن طريقها إلى عالم النساء: "كانت على الرغم من تأنقها وتزينها، أقرب للدمامة منها للحسن، ذات وجه مستدير غليظ، وعينين بارزتين (...) وأنف قصير أفطس"[٣].

يمارس الوجه بجزئياته سطوة على (كامل رؤبة)، إذ يقدم نموذجا مغايرا، يقوم بتسريح وجه الأم من حقل النموذج الأوحد للمرأة[*]. وبالتقاط جزئي لترسيمات وجه المومس نجده يتقاطع مع وجه عازل لها، فحلت عقدة (كامل رؤبة)، بالتوجه نحو صورة مناقضة، تسقط عن كاهل الشخصية عقدة الأم،

فوجه الأم مستطيل × وجه المومس مستطيل غليظ

عينا الأم واسعتان × عينا المومس بارزتان

---

(١) ينظر: المصدر نفسه.
(٢) بين القصرين، ٣٤.
(٣) السراب، ١٩٩.
(*) فوجه الأم: (وجه مستطيل، عينان واسعتان خضراوان، أنف دقيق مستقيم) ينظر: المصدر نفسه: ٨.

أنف الأم دقيق مستقيم × أنف المومس قصير أفطس

يكون الأنف بذلك من العوامل التي ساعدت الشخصية على تجاوز عقدتها.

ب- العينان:

هما نافذتا دواخل الشخصية، إذ يعدان أهم ملامح الوجه، وقد عمد الكاتب - في الأغلب - أن ينطق دواخل الشخصية من خلالهما، فبمجرد أن نظر (أحمد عبد الجواد) إلى عيني (جليلة وزبيدة) ماتت الرغبة ولزمه النفور: "ليس هناك شعرة واحدة بيضاء في رأسيهما، ولكن ما للشيب ورؤوس الغواني، وليس ثمة تجعدات كذلك، هل غلبت على أمرك؟ كلا إليك نظرة هاتين العينين، إنها تعكس روحا خائبا، رغم ما يكتنفه من لألاء براق، يستخفي حينا وراء الابتسام واللعب، ثم يبين على حقيقته، فاقرأ فيه نعي الشباب، إنه الرثاء الصامت. أليست زبيدة في الخمسين من عمرها، وجليلة جاوزتها بأعوام (...) ثمة تغ ييرا في قلبه ينذر بالنفور والتقلص، لم يكن كذلك حين جاء يجري لاهثا وراء صورة لم يعد لها وجود"[1].

الرؤية العيانية لـ(زبيدة وجليلة) أقلقت (أحمد عبد الجواد)، إذ جعلته يقلق من أن لا تطال قوانين الزمن الغواني، فالنظر في شعر رأسيهما بتعجب: (ليست هناك شعرة بيضاء واحدة في رأسيهما)، بدد تلك القوانين، فيجيب باستدراك يحاول إقناع نفسه: (ولكن ما للشيب ورؤوس الغواني). والنظر إلى التجعدات قد أسلم (أحمد عبد الجواد) إلى دوامة مرتكزها الحيرة: (هل غلبت على أمرك؟)، غير أن ثمة بارقة أمل أكدت سحق عجلة الزمن للجميع حتى للغواني، فنظرة إلى العينين كانت كفيلة بالنطق بالأعمار الحقيقية لـ (زبيدة وجليلة)، ليقتنص (أحمد عبد الجواد) منهما إشعاعا قرأ فيه: (نعي الشباب)، والانطفاء، فلا غرابة من أن تبدو الجلسة منفرة، ويخمد الحس حد الانطفاء.

وباستقراء لعيني (حليمة الكبش) من قبل زوجها (كرم يونس)، يقف من خلالهما على مركزية نفسية: "ها هي مقوسة فوق كرسيها، متشابكة الذراعين، تعكس عيناها نظرة ممتعضة، وتنعقد فوق جبينها تكشيرة كاللعنة"[2].

إن التلفت إلى عيني (حليمة) يشير إلى أنهما نافذة أخرجت ما في الدواخل من امتعاض، إذ فسرتا تصرفات وملامح خارجية أخرى، فمن نظرة عينيها، فهم الزوج أن جلستها هذه إنما هي جلسة احتجاج،

(١) قصر الشوق، ٨٢.
(٢) أفراح القبة، ٥٧.

وما تشابك الذراعين، وتكشيرة الجبين إلا تفسير لامتعاض الدواخل، وعندها يكون قد حل لغز الجلسة غير الاعتيادية.

وكانت العينان سببا في الكشف عن ماضي زوج (حمادة الحلواني) التي نطقت نظرة عينيها الثقيلة بالخبرة والمزاج: "ودعانا إلى شهود عرسه على مائدة عشاء في الأوبرج، وجدنا العروس في منتصف الحلقة الرابعة، ريانة الجسم حسنة الوجه لم يفلح ثوب الزفاف في مداراة ابتذالها، ونطقت نظرة عينيها بالخبرة والمزاج"(١).

إن الغطاء الشرعي (العرس) لم يفلح في أن يخرج العروس من شرنقة الابتذال، إذ كانت العينان فاضحتين لماضٍ سيء نطق بالخبرة والمزاج، فأكد بقوة سارية المفعول ابتذالها.

ج- الفم:

تعلق رسم الفم عند محفوظ بأصول طبقية، إذ إن الفم ذا الشفاه الغليظة خاص بالطبقة الشعبية حصرا، أما الفم الجميل ذو الشفاه المعتدلة، فهو من حظ الطبقة الارستقراطية، لذا لم يركز الكاتب على ذكر الفم - في الأغلب - إلا عند نساء الطبقة الشعبية.

والتلفت إلى دواخل الفم من أسنان وشفاه، وأصوات كان القبح والتشوه فيه من نصيب بعض نساء هذه الطبقة. و(أم أحمد) من هذه الطبقة وهي: "الخاطبة والماشطة وأخصائية التجميل والسعادة الزوجية (...)، شقت طريقها إلى سرايات الحي جميعا وبيوت الطبقة الوسطى (...) قوية سمراء، متحدية، في ملاءتها اللف ووجها السافر، وشبشبها الرنان، وصوتها الغليظ، ولسانها الذي لا يهمد"(٢).

يقوم النص على شبكة علائقية بين جزيئات شكلت شخصية، أسماها الراوي (أم أحمد)، فتتبع مجموعة الخيوط:

الأول: الشخصية (قوة متحدية).

الثاني: لون البشرة (سمراء).

الثالث: الملبوس (الملاية اللف) + (الشبشب الرنان).

الرابع: الفم (الصوت الغليظ) + (لسانها الذي لا يهمد).

---

(١) قشتمر، ١١٨.

(٢) أم أحمد: صباح الورد، ٥.

نجد أن القاعدة هي قاعدة شعبية، و(أم أحمد) في شخصيتها ولون بشرتها وملبوسها، هي امرأة من الطبقة الثالثة، وبالنظر إلى الخيط الرابع (الفم)، نجد فيه تأكيد الطبقية، إذ إن غلاظة الصوت ما هو إلا رمز لبدائية الحياة، يعاضدها (لسانها الذي لا يهمد)، لما في العبارة من إصرار على البدائية، إذ تشير حركته المتقدة إلى عشوائية تبتعد عن الترتيب، ومن خلال تلك الشبكة العلائقية، أصبحت (أم أحمد) تركيبة مميزة، تستطيع أن تشق طريقها إلى طبقات أخرى.

و(الأسنان الذهبية) مؤشر آخر ينحصر عند نساء الطبقة الشعبية: "ثم تساءل كمال: ماذا تجدين في الشراب يا عمتي؟ فافترفوها عن أسنان ذهبية وهي تقول: وهل تحسبني أشرب الآن، مضى ذاك الزمان، لا طعم لها اليوم ولا أثر"(١).

بدت الأسنان غرائبية في جوٍ ليلي، إذ إن لونها (الذهبي) الذي ظهر فجأة بابتسامة (العالمة) يستوقف المتلقي، ليتمعن في ترسيمة جليلة من جديد، لتضاف لها سمة تعريفية أخرى تجعلها أكثر التصاقا بطبقتها.

إن الشفاه الممتلئة، زادت مومس (كامل رؤبة) قبحا إلى قبحها: "وكانت على رغم تأنقها وتزينها أقرب للدمامة منها للحسن، ذات وجه مستدير غليظ وعينين بارزتين ثقيلتي الجفن، وأنف أفطس، وشفتين ممتلئتين"(٢).

(الشفاه الممتلئة) سمة حسية أشارت إلى خاصية العبث والحس، فهي لم تكن إلا إشارة إلى نساء هذه الطبقة عند محفوظ، وقد شكلت مع بقية ملامح الوجه توليفة حصرت المومس في دائرة القبح.

د- الشَّعَر:

لا يسلم الشعر أيضا من مميزات طبقية أيضا، فشعر نساء الطبقة الارستقراطية، جميل حلمي متطاير ومعطر، في حين إن فيه عناية غير مبالغ فيها عند نساء الطبقة البرجوازية، أما عند نساء الطبقة الشعبية فهو يتأطر بإطار شعبي في نمطين: مموج طويل فيه روائح شعبية كالقرنفل، أو غير مرتب وغير نظيف.

بمجرد أن يتقدم العمر بزوج (فؤاد أبو كبير)، تتغير صورتها جذريا، فتسلم نفسها إلى إهمال يغير صورة وجهها وجسمها وشعرها: "وخطر له وهو متربع على الكنبة قبل النوم، أن يتناول زوجته بنظرة:

(١) السكرية، ٢٠٧.
(٢) السراب، ١٩٩.

كانت الولية تسمع إلى الراديو بغير اهتمام، وجسمها مدفون في جلباب فضفاض، ومنديل رأسها معقود بإهمال، سمح لخصلات بيضاء مشعة أن تبرز فوق الحاجب والأذن بصورة تستحق الرثاء"[١].

فقدت الزوج معلوميتها، فجاءت النظرة متفحصة باحتقار يماشيها نعتها بـ(الولية)، ففي رصد أولي تكون حصيلته موت العاطفة، إذ جلست بقرب الزوج بغير اكتراث تسمع إلى الراديو، وفي حصر زاوية النظر نحو الجسم يجده الزوج قد حجب عنه بحاجز (جلباب فضفاض) وفيه موت الجسد والحس نهائيا، فجاءت لفظة (مدفون) مسايرة مع مقتضى الحال. والتركيز على: (منديل رأسها الذي عقد بإهمال) دليل اللامبالاة والتشظي الذي أكدته (الخصلات البيضاء المشعة)، الأمر الذي قاد الزوج نحو الانكفاء، والشعور بجوٍ جنائزي استحقت الزوج معه الرثاء.

وفي مقارنة عقدها (صادق صفوان) بين زوجتيه، يجد فرقا طبقيا يميز (ليلى) عن (إحسان) حتى في طريقة ترتيب الشعر: "وبعودتي إلى الواقع ورجوعي إلى الوعي، وجدتني أعيش بين ليلى وإحسان، كلتاهما ترتديان قميص النوم، ومتلفعتان بروب، الشعر مشعث، والوجه شاحب، على حين تبدت ليلى جميلة رغم كل شيء"[٢].

تكبر الفجوة بين (صادق) و(وإحسان)، فلم يجد الزوج فرقا بين الزوجتين، إلا في الأصل الطبقي، فكلتاهما: (ترتدي قميص النوم، تتلفع بروب، الشعر مشعث، الوجه شاحب) غير أن صورة (إحسان) كانت على النقيض من صورة (ليلى) التي (تبدت جميلة رغم كل شيء)، على الرغم من مطابقة الحال لكلتيهما، عندها ترجح كفة (ليلى) المنتمية إلى الطبقة البرجوازية، ويسدل الستار على (إحسان)، وإن ماثلت الأولى مظهرا.

وطريقة تسريح شعر نفيسة قد زادتها قبحا: "وجلست على مقعد قريب من الباب تنتظر، وكانت ترتدي ثوب الحداد، وقد أرسلت شعرها الأسود في ضفيرة قصيرة، فبدا وجهها العاطل من الزواق والحسن شاحبا بائسا"[٣].

تسريحة الشعر (ضفيرة قصيرة)، قد ساعد على إبراز وجه (نفيسة) بالتركيز على عطل الوجه من الزواق، ثم التعريج على القبح الكلي: خلو الوجه من الحسن، ثم التلفت إلى صفة (الشحوب)، التي

(١) كلمة في السر: بيت سيء السمعة، ٩٦ - ٩٧.
(٢) قشتمر، ٨٥.
(٣) بداية ونهاية، ٦٨.

وضحت سمة القبح عبربانوراما لونية، في حين جاءت لفظة (بائسا) تعبيرا عن تلازم حالة غياب الجمال الخارجي مع حالة غياب الجمال الداخلي بالانطفاء.

هكذا كانت طريقة تسريح الشعر مؤشرا لغياب الجمال الخارجي الذي أخرج مكنونات النفس من الداخل.

٢-٢ الجسم:

والجسم أيضا لم يخل من تلك النظرة الطبقية للكاتب، فنساء الطبقة الارستقراطية ذوات أجسام جميلة، رشيقة، في حين لم تسلم الطبقتان البرجوازية، والشعبية من الخشونة والغلظة.

ثمة إلحاح في إبراز جسم (أم حنفي) في غير طبيعته الإنسانية: "وهي امرأة بدينة في غير ما تنسيق ولا تفصيل، نما لحمها نموا سخيا، فراعى في نموه السمنة فحسب، وأهمل اعتبارات الجمال"(١).

اشتغل النص على الجسم في قالب التوالدات الوصفية، التي دلت على بوهيمية، فندت جمال المرأة: (نما لحمها)، جملة شعرية تنطوي تحت مظلتها دلالات تدور في إطار الحيوانية، وكأنما جاء التسمين من أجل الذبح، فابتعد عن القالب الإنساني في مراعاة (التنسيق والتفصيل)، ومن ثم موت الأنوثة والجمال.

ولا تبدو لـ(زينب الحنفاء) مزية جمالية عند (حسن كامل)، إلا جسمها البقري: "زينب الحنفاء هي فوق الأربعين على أحسن الفروض وليس بها من جمال فيما عدا جسمها البقري"(٢).

ليس لـــ(زينب الحنفاء) خصلة جمال واحدة، إذ لم يساعدها شكلها، ولا عمرها في الرواية لدخول هيكله، إلا من خلال منظور (حسن كامل) البوهيمي، الذي رأى في جسمها (البقري) ميزة جمالية يتيمة، فملاصقة الجسم للمسند اللفظي (البقري) ينحرف بالذوق إلى زاوية خاصة - وإن كانت السمنة آنذاك موديل العصر -.

وكان لطول (نفيسة) المماثل لطول شقيقها (حسنين) جانب آخر من جوانب القبح: "وكان لها هذا الوجه البيضاوي النحيل، والأنف القصير، والذقن القصير المدبب، إلى شحوب في البشرة واحديداب قليل في أعلى الظهر، فلم تكن تختلف عن أمها إلا في طولها المماثل لطول شقيقها حسنين"(٣).

(١) بين القصرين، ٢١.
(٢) بداية ونهاية، ١٤٩ - ١٥٠.
(٣) المصدر نفسه: ١٧.

الطول نسق علامي يتضام مع الأنساق العلامية الأخرى، الأمر الذي يقفل أية سمة جمالية لـ(نفيسة)، إذ أغلقت آخر المنافذ لها، بعد أن ماثلت في الطول أخاها (حسنين)، فهي في مقاييس الحسن ليس لها معيار وهي نسخة طبق الأصل من والدتها، إلا أنها انحرفت عن خط المشابهة تلك باكتساب سمة جديدة للقبح ألا وهي الطول الرجولي.

أ- الأطراف:

والأطراف تنطوي تحت مظلة إحساس محفوظ الطبقي، فضخامة الرجلين واليدين، سمة من سمات الطبقة الشعبية، وعلى عكس ذلك تكون نساء الطبقة الارستقراطية، أما الطبقة البرجوازية فنساؤها بين بين - بحسب زجها في الحدث. وقد خضعت يدي (أمينة)، و(عائشة)، و (أم حنفي)، لأصداء ظرفية، لخصت عن طريقها، الكثير من الأحداث: "تقاربت الرؤوس حول المجمرة، وانبسطت فوق وهجها الأيدي: يدا أمينة النحيلتان المعروقتان، ويدا عائشة المتحجرتان، ويدا أم حنفي اللتان بدتا كغطاء السلحفاة"(١).

النص جزء من مدخل للسكرية(*)، إذ لخصت الأيدي من خلال استعراضها مواقف قبلية، وأحداث أوصلت كل شخصية إلى ما وصلت إليه، فقد نجحت المصورة في تعريفنا بسيرورة زمنية طويلة على يدي أمينة (النحيلتين المعروقتين)، في حين لوحت يدا عائشة بالتوقف الزمني النفسي؛ إذ (تحجرت) اليدان، بعد فقدان زوجها وأطفالها، ليطغى الزمن النفسي على الزمن الفيزياوي، فيقتل معالم العمر، في حين وشت يدا (أم حنفي) بجهد وتعب، فبدتا (كغطاء السلحفاة) بالتقادم الزمني.

ومن خلال دسامة اليدين، تتمزق شرنقة (جميلة هانم) الارستقراطية، فتنزل إلى طبقة دونها: "ورغم رونق الأم الذي يعد فوق ما تتمنى امرأة في الخمسين، فقد تجلت بها سمات شعبية في دسامة يدها، وخشونة نبرتها"(٢).

يمر النص على ملامح الأم بعجالة، غير أنه يفصل جزئيات أخرى، فدسامة اليدين وطبيعة النبرة، أبعدتا الشخصية عن هلاميتها الارستقراطية، فيظل المتلقي في حيرة من تغيير مسار محفوظ لنمط المرأة

(١) السكرية، ٥.
(*) وهي الرواية الثالثة في سلسلة ثلاثية: الأولى بين القصرين، والثانية قصر الشوق.
(٢) أمشير، الشيطان يعظ: ٥١.

من هذه الطبقة، إذ إن دائرة الوصف هذه نسبها الكاتب إلى نساء الطبقة الشعبية ليمثل العودة إلى بداية الحياة.

وبسيرورة الأحداث يجد المتلقي التزام المسار الطبقي، إذ إن (جميلة هانم) ما هي إلا مومس قديمة.

وعلى الرغم من قذارة ساقي (بائعة الدوم) إلا انهما لم يستطيعا أن يوقفا رغبة (ياسين) الحسية: "ليس حتما أن تقع بغيته على طراز زنوبة، فميزة حسن واحدة تغني، كما أغنت عينا بائعة الدوم المكحولتان بحارة الوطاويط، اللتان شفعتا لنتن إبطيها وتلبد الطين على ساقيها"(١).

توقد الرغبة، كان قد أجاز الحسِ في مختلف الأشكال، فتجاوز (ياسين) عن رائحة إبط بائعة الدوم، وتلبد الطين على ساقيها، قد أمات الحسية الآدمية لتبقى الرغبة البوهيمية التي عملت جدارا صادرا للتقزز والاشمئزاز.

ب- الرقبة:

محفوظ على علم أن سياط الزمن من تجاعيد وخطوط، لا يمكن أن تزال عن الرقبة - ولو عن طريق أحدث عمليات التجميل - لذلك برز الكاتب في رسمها آثار الزمن وانعكاساتها على الشخصية، فكان الاضطراب النفسي-أو الحموضة - كما يسميها (عمر حمزاوي) - قد أظهرت له الأشياء ليس كسابق عهدها فقد تفاجأ من غلاظة عنق زوجه الذي بدا وكأنه لم يره قبلا: "الوجوه تتطلع إليك مستفسرة (...) ولكن ما أفضع الضجر؛ الحموضة التي تفسد العواطف الباقية: ولاحت من ورائهم الشرفة الكبيرة المطلة على النيل من الدور الرابع. وتبدى عنق زوجك من طاقة فستانها الأبيض غليظا متين الأساس"(٢).

يستخدم النص مرآة عازلة، عزلت شخصية (عمر حمزاوي) الداخلية عن الأخرى الخارجية، الأمر الذي أحدث انفصالا في التمركز. فعلى الرغم من إحاطة الشخصية الخارجية بالارتياح المادي: (لاحت من ورائهم الشرفة الكبيرة المطلة على النيل من الدور الرابع)(*)، والارتياح المعنوي بوجود أسرة محبة، إلا أن الشخصية الداخلية مضطربة، فقدت توازنها من تكالب الضجر والحموضة، فيتولد من ذلك العزل، صور ظهرت بأشكال مختلفة، فالخوف من السؤال: (الوجوه تتطلع إليك مستفسرة حتى قبل أن ترد تحيتك)، وتبدل نمط العاطفة: (الحموضة التي تفسد العواطف الباقية)، وانكسار صور قديمة: (تبدى

(١) بين القصرين، ٣٨٣.
(٢) الشحاذ، ١٦.
(*) فالشقة التي على النيل هي في عرف المصريين هوية لثراء صاحبها.

عنق زوجك من طاقة فستانها الأبيض غليظا، متين الأساس)، ليفاجأ الزوج باكتشاف سلبي، إذ بدا العنق وكأنه بناية، فيتبدد جمالها.

وتبدت آثار الزمن واضحة على رقبة (أم حنفي) وفي مناطق أخرى من جلدها، إلا أنها لم تستطع أن تنال من سمنتها المفرطة: "أما أم حنفي فبدا أن الأعوام تتراكم عليها، ولا تنال من جوهرها، ولم تكد تمس لحمها وشحمها، فتكاثفت كالغبار أو كالقشور فوق جلدها وحول رقبتها وثغرها"(١).

تشتغل صورة (أم حنفي) في ظاهرها بفعالية تتضاد مع ذبذبات الزمن، فتثبت صورتها القديمة، غير أن الصورة في إطار موضوعي، تتماشى إيجابيا مع الزمن، فمن الطبيعي أن يتعاضد كبر السن مع زيادة الوزن، إذ أشرت جملة: (ولم تكد تمس لحمها ولا شحمها) على زيادة في الوزن فخضعت لمنطق الزمن، في الوقت الذي ظهرت علامات أخرى عليها، إذ ظهرت التجاعيد (كالغبار أو كالقشور)، فوق جلدها وحول رقبتها وثغرها، ليركز النص على علاقة تشبيهية تقع في بؤرة اللا أهمية، إذ إن تشبيه تجاعيد (أم حنفي) بالغبار أو القشور، دلالة على تصلب زمني، ولا مبالاة واستسلام من قبل المرأة، ومن ثم حصر (أم حنفي) في دائرة الدونية.

٢-٣ العلامات الفارقة:

نادرا ما يلجأ نجيب محفوظ إلى هذه الفقرة بالذات، إذ مهما بلغت المرأة من درجات القبح عنده، إلا أنها تبقى جميلة، بإبراز صور من جوانب أنوثتها، غير أنه لجأ إلى العلامات الفارقة، في القليل من قصه، سعيا منه إلى المحافظة على واقعية كان هو رائدها. فـ (سمراء وجدي) جميلة وارستقراطية، إلا أن حادثة ما قد جعلتها مميزة بعلامة فارقة في عارضتها اليمنى: "متوسطة القامة، رشيقة كلاعبة سيرك، بيضاء موردة من الأمام، ومن الناحية اليسرى تتبدى جمالا أنيقا نبيلا، أما عارضتها اليمنى فمشدودة في تقلص، مدبوغة باحمرار ضارب للسواد، وبها بقع منفرة ونتوءات كالدرن"(٢).

تبدو صورة (سمراء وجدي) من الأمام واليسار اعتيادية في مستوى جمال النساء الارستقراطيات، غير أن عارضتها اليمنى، تغير مقياس جمالها فتفجر مفاجأة، انتقلت معها الشخصية إلى مركز تعريفي خاص، فأصبحت تتميز عن بنات طبقتها بعلامة فارقة، تشد عارضتها اليمنى النظر، بكثرة ألوانها، إذ اختلط لون الجلد مع اللون الأحمر + اللون الأسود، فضلا عن طريقة التشوه المرغمة للمكان، إذ شد الجلد بتقلص ملحوظ، ودبغ بألوان غير ألوان الجلد.

(١) السكرية، ٥-٦.
(٢) الحب تحت المطر، ١٥٥.

وأنف (زينب الحنفاء) المتآكل كان علامة فارقة، ميزها عن كل من يحيط بها في المبغى: "وطرق الغلام الباب، ففتح في شق عن حذر، فمرق منه الغلام وتبعه حسن، ثم أغلق الباب، وجد حسن نفسه في مدخل البيت، وقد انتشرت على الكنبات بأركانه فتيات، انتحت كلٍ برجل تشاربه وتداعبه، وعلى كرسي في الصدر جلس رجل ضرير ينفخ في الناي، على حين اتخذت المعلمة زينب الحنفاء مجلسها على أريكة عالية، متلفعة بملاءتها السوداء، وعلى وجهها برقع ذو عروس ذهبية كبيرة تخفي بها أنفها المتآكل"(١).

الشخصية (حسن)، تحاول الدخول إلى المبغى بعجالة وارتباك الغريب، لذلك مرت عين الكاميرا بعجالة أيضا على شخوص المكان، فلا ملامح للمومسات ولا لروادهن، ولا رجل الناي الضرير، غير أن التلفت إلى شخصية (زينب الحنفاء)، جاء بفعل الطابع الغريب الذي أحاط بالشخصية، إذ إنها انعزلت عن أجواء العبث الموجود بتصدرها منفردة على أريكة عالية، ثم طريقة لبسها اللافت للانتباه، إذ وضعت في هذه الأجواء برقعا ذا عروس ذهبية، وهو أمر يثير ذهول الداخل، إلا أن (حسن) كشف سبب وضعه، إذ أخفت زينب الحنفاء تحته (أنفا متآكلا) جعلها ذات سمة مميزة أدت إلى انتضائها تحت طابع غريب.

٢-٤ الرائحة:

وتصنف بحسب محفوظ أيضا تحت مفهوم الطبقة، فالروائح الفرنسية والشذى الجميل المصنع، لا يخرج عن دائرة الطبقة الارستقراطية، في حين ليس للطبقتين الأخريين في الأغلب الأعم إلا العطور المستخرجة من الطبيعة كالقرنفل، والطيب.

أما على صعيد الروائح الكريهة فهي في كل الأحيان تحصر في الطبقة الشعبية.

ركز أطفال (السكرية) على رائحة الخادمة (أم حنفي) بعد أن فاحت منها رائحة العرق وهي تركض خلفهم: "عثمان: أنت قبيحة كالجاموسة ورائحتك نتنة، أم حنفي: الله يسامحك عرقي سال من الجري وراءكم"(٢).

(أم حنفي) ذات حضور ظلي عند الأطفال فهي ليست أكثر من عائق لرغباتهم في اللعب، لذا كان التوبيخ نوعا من الصد والتعبير عن السخط، فقد ركز (عثمان) على صفتين: (أنت قبيحة كالجاموسة ورائحتك نتنة)، إذ عمد إلى إظهار ما هو ظاهر من هذا الظل، فالضخامة هي ما يلفت انتباه الطفل ويكدر

(١) بداية ونهاية، ١٦٠-١٦١.
(٢) قصر الشوق، ٢٦.

صفو لعبه، والرائحة الكريهة هي الأخرى منفرة بوجود رقيب، فما كان من الخادمة إلا التبرير: (عرقي سال من الجري وراءكم)، إذ اعتادت نمطية تلقي مثل هذه الكلمات(*).

-٥ الملابس:

يلتقط محفوظ ما يكمل الشخصية من بيئتها، فتظهر بنت بيئتها حقا، على أن هناك بعض التلفتات إلى غرائبية طريقة الملبوس، ومن ذلك لجوء (فردوس) إلى أناقة مبالغ فيها، تغطية على انعدام جمالها: "فردوس تكبر محمود بخمسة أعوام، لم تتم تعليمها، ذات ثروة محترمة، ولكنها سيئة الحظ، لأنها عاطلة عن الجمال لا حظ لها منه، رغم أناقتها المبالغ فيها، كما أنها تترك في نفس محدثها ما يثير السخرية، لتصورها أنها محدثة لبقة واسعة الاطلاع"(١).

تخف كفة علاقة (فردوس) بـــ (محمود) إذا ما وزنت بميزان الموضوعية، فهي فتاة تكبره بخمس سنوات، عاطلة عن الجمال، لم تتم تعليمها، كلامها يثير السخرية، غير أن محاولتها ترجيح كفة تلك العلاقة جعلها تلجا إلى أسلحة مضادة، منها: ثروتها + أناقتها المبالغ فيها + طريقة حديثها سعيا منها إلى إثبات حضورها. غير أن سلاحي الأناقة + طريقة الحديث، أرجعاها إلى المربع الأول، لتصبح فتاة تثير السخرية، فلا سلاح لها إلا الثروة.

وكان لكسر قالب نمطية ملبوس فتيات بداية القرن العشرين، من قبل بيت (الموظف الكبير)، رد فعل من قبل أهل الحي جعلهم يطلقون عليه بـــ (البيت سيء السمعة): "عرف بالبيت سيء السمعة، وأحيط بسياج من الرهبة، ومجرد جريانه على لسان صبي أو بنت كان جريرة تستحق من اجلها الزجر، وضربت حوله المقاطعة وكأنه وباء، وحتى اليوم لا يذكر إلا محوبا بسوء الظن (...)، وكانت ربة البيت وهي زوج موظف كبير امرأة متبرجة تتبدى في الطريق بكامل زينتها عارضة حسنا رائقا رغم بلوغها الخمسين (...)، وكانت أول امرأة في الحي ترى سافرة، فلا برقع أبيض ولا أسود، قد تصطحب بناتها معها فتمضي بهن سافرات كذلك"(٢).

بداية النص نقطة انغلاقية (عرف باليت سيء السمعة)، شكل بؤرة سوداء تذكر على لسان الراوي استرجاعيا، ليسترجع معها أسباب تلك التسمية، وكأن التبرج وطريقة اللبس هما سببين رئيسين لاكتساب ربة البيت وبناتها صفة الغيرية، إذ كسرن قالب النمطية بخرق العرف، عندها يحاط البيت

(*) لمزيد من الاطلاع، ينظر: بين القصرين: ٣٨٣، إذ وردت إشارة إلى نتن إبط بائعة الدوم، التي جذبت ياسين بكحل عينيها، وهو نص اعتمدته الباحثة في البحث قبلا.

(١) الربيع القادم: الشيطان يعظ، ١٢٥.

(٢) بيت سيء السمعة: بيت سيء السمعة، ٦٩.

(بسياج من الرهبة)، ولو بعد ثلاثين سنة صاحبها تبدل كثير من الأعراف، غير أن البيت إلى اليوم لا يذكر إلا مصحوبا بسوء الظن.

٢-٦ المكياج:

معروف أن شخصيات محفوظ لا ترسم إلا بملامح طبيعية، فهي إما قبيحة أو جميلة، أو بين بين، من دون التعريج في الغالب على طريقة معينة للتجميل، على أن مكياج (نفيسة) كان من الأمور الضرورية، فهو وسيلة تحاول أن تستقطب به الزبائن: "لماذا يتعلق بي؟ لست جميلة، وهيهات أن يغير هذا الزواق من الحقيقة شيئا، ولكن الدمامة نفسها سلعة لا بأس بها في سوق الخلاعة"(١).

(الزواق)، سلعة تمارس من خلالها عملها، وإن كانت على يقين من أنه لن يغير من قبحها شيئا بقدر ما كان يبرز قبحها، مواسية نفسها بلفت الانتباه، عن طريق القبح الذي أصبح (سلعة لا بأس بها في سوق الخلاعة).

هكذا كان المكياج عاملا ضروريا للفت الانتباه لـ(نفيسة)، فهي عن طريقه تتمكن من كسب رزقها.

وقد برز المكياج المبالغ فيه عند العجوز بنمط كاريكاتوري، إذ حاولت التقنع به لتبدو بصورة أصغر: "في ركن منعزل، امتاز بوفرة من حوى من الشابات والشبان، أقيمت مسابقة سرية لاختيار أقبح امرأة بين المدعوات، واتجهت أبصار المحكمات والمحكمين إلى امرأة اتخذت مكانها تحت صورة الفنانة وابنتها (لفجيه لوبرين)، وكانت عجوزا، إلا أنها تتصابى وتستعير من ألوان الجمال، ما تظن أنه يغني عما استرده الدهر من حياة شبابها، فبدت تحت طلاء الأصباغ في هيئة مضحكة"(٢).

المبالغة في طريقة وضع المكياج، اشتغل بطريقة ضدية عند العجوز، إذ حاولت به أن تسترد ما أخذه الدهر منها، إلا أنها أخذت بعدا غرائبيا حصرها في إطار كاريكاتوري ومكان منعزل تحت صورة بدت هي نقيضتها، الأمر الذي يحقق مفارقة على الصعيد الذاتي، إذ أيقنت العجوز بغرابة منظرها، فتتحقق المفارقة على الصعيد العام، إذ جاء الإجماع من الحضور على أنها أقبح امرأة.

هكذا رسم محفوظ فضاءات من صور المرأة القبيحة، إذ لم يكتف بالوقوف أمام قوالب جامدة، فسعى إلى اقتناص ضجيج تكويناتها الشخصية عبر طاقة ذاتية، أكدت حضور الكاتب الأبهى.

(١) بداية ونهاية، ١٦٤.
(٢) عبث ارستقراطي: همس الجنون، ٢٩١.

المصادر:

١- الكتب:

١- القرآن الكريم
٢- الأدب العربي الحديث، دراسة في شعره ونثره، د. سالم الحمداني ود. فائق مصطفى، وزارة التعليم العالي، (د. ت).
٣- أفراح القبة، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
٤- بداية ونهاية، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
٥- بيت سيء السمعة، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
٦- بين القصرين، نجيب محفوظ، دار القلم، ط١، ١٩٧٣م.
٧- الحب تحت المطر، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
٨- رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، د. عبد الكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٨م.
٩- السراب، نجيب محفوظ، دار القلم، ط٢، ١٩٧٧م.
١٠- السكرية، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
١١- الشحاذ، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
١٢- الشيطان يعظ، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
١٣- صباح الورد، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
١٤- الطريق، نجيب محفوظ، دار القلم، (د. ت).
١٥- قشتمر، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
١٦- قصر الشوق، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
١٧- لعبت بإتقان وها هي مفاتيحي، نزار قباني، منشورات نزار قباني، ط١، ١٩٩١م.
١٨- ملحمة الحرافيش، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).
١٩- همس الجفون، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، (د. ت).

٢- المجلات:

١- بعد أن هدأت الضجة، نجيب محفوظ وجائزة نوبل، جميل الجبوري، مجلة الأقلام، العدد ٥ آيار ١٩٨٩م.
٢- الواقعية الروائية في أدب نجيب محفوظ، د. أسعد اسكاف، مجلة الأقلام، العدد ٥ آيار ١٩٨٩م، السنة ٢٤.

٣- لقاء مع نجيب محفوظ، مجلة الأقلام، العدد ٥ آيار ١٩٨٩م، السنة ٢٤.

٣- الانترنيت:

١- بداية النهاية لطبقة نجيب محفوظ، ضياء حسين: www. masress. com
٢- تاريخ مصر: www. History. egypt. com
٣- تعريف الارستقراطية: www. yulfson. com
٤- رواية السمان والخريف، نجيب محفوظ: www. 3ash. net
٥- موجز يكشف حقيقة نجيب محفوظ، الشيخ سليمان الحراشي:
www. ahlahadeeht. com
٦- نجيب محفوظ خلفية فكرية لفنه الروائي، د. مصطفى السيد: www. islamport. com
٧- نساء نجيب محفوظ، إيمان محمد امبابي: www. amamJordan. org
٨- نساء نجيب محفوظ، نايف النوايسة: www. jamliya. com
٩- www. khammar- abdella. art

منزلة علوم الآلة في اللغة العربية
ـعلم النحو نموذجاـ

١ ـ عبد القادر بن فطة
abdelkader.benfetta@univ-mascara.dz
جامعة مصطفى اسطنبولي ـ معسكر.
٢ ـ بهلول محمد سيد أحمد
mohameds.bahloul@univ-mascara.dz
جامعة مصطفى اسطنبولي ـ معسكر.

منزلة علوم الآلة في اللغة العربية ـ علم النحو نموذجا ـ عبد القادر بن فطة - بهلول محمد سيد أحمد

١ـ مقدمة:

أتت اللغة العربية على العلماء بروح جديدة، هي روح التأليف والإبداع، وجاءت بأسس وضوابط لم يعرفها العرب من قبل، فهي تعني بقيام جبهة علمية متكاملة، ومن خلالها ظهرت علوم الآلة ومصطلحاتها

اقتبستها اللغة العربية من القرآن الكريم والسنة النبوية وسنة الفصحاء. والذي نلحظه توسع اللغة على مناطق واسعة بسبب الفتوحات الإسلامية فدعا ذلك إلى توجيه علوم الآلة وتأصيلها، فيها قيم علمية

رفيعة يقدمها العلماء إلى المتعلمين ويريدون الالتزام بها، لتكون قواعد ثابتة تسير عليها الأمة في بناء حضارتها.

فعلوم الآلة صدرت من رجال في فترة مبكرة من تاريخ الأمة الإسلامية، استطاع أصحابها أن يعالجوا مسائل علمية كثيرة عقلية وذوقية، فيعرفنا كل علم على ما اتصف به صاحبه من حسن التفكيروبعد النظر ورسم مضامين التخصص ومقاصده لتبقى هذه العلوم راسخة في أذهان المتعلمين كالخليل في العين وسيبويه في الكتاب وابن جني في الخصائص.

٢ـ أصالة علوم الآلة:

كان لنمو الفكر العربي واتساع أفقه لما يجري في الحيا ة، وتعدد تجاربه بعد أن عاش في المجتمع الإسلامي يختلف عما كان عليه في العصر الجاهلي، والاختلاف جلي شمل الجوانب العقدية والاجتماعية والمعرفية،

كان لهذا كله أثره في أن تتشكل ذخيرة علمية تتفق بما يتماشى مع الحياة الجديدة، ذلك لأن العرب اطلعوا على الثقافة الإسلامية، واستوعبوها استيعابا دقيقا، وقد تجلى ذلك في نتاجهم العلمي ومنه علوم الآلة، كان لأصحابها أبعد الأثر في التزامهم بأصالة اللغة العربية وسيرهم على أصولها، وكانوا ذا نباهة وتوفيق في انتقاء الموضوعات، ودرايتهم في تصريف الدراسات إلى أبعد غايتها فالخليل مثلا جمع بين الذكاء والعلم حتى صار مضرب الأمثال فيهما، فلم ينل عالم في زمانه مثل ما نال من ثناء، ونوه به مؤرخو العربية (كان الخليل ذكيا فطنا شاعرا، واستنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبطه أحد وما لم يسبقه أحد إلى مثله سابق.)[١] كما برع ابن جني في علوم اللغة العربية من الإدراك ما لم يبلغه إلا القليل ويتجلى ذلك في مؤلفاته

كالخصائص وسر صناعة الإعراب وأبحاثه التي يغلب عليها الاستقصاء والتعمق في التحليل، واستنباط

المبادئ والأصول. تميز بفطنته وحسن تصريف الكلام والكشف عن المعاني بوجوه الأداء ووضع أصولا في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني.

فعلوم الآلة تمثل وجها من أوجه اللغة العربية ومنحى تراثيا مشفوعا بالعبقريات تكونت طوال الحقب الماضية، تنبع من طموح ذاتي ينسجم مع الانتماء الديني والقومي مع معطيات الواقع العلمي والمد التراثي (هي لغة التخاطب العلمي والفكري حملت كل مصطلحات العلوم والفنون والأفكار غير العربية، وذلك حين أفسحت مجالا للغات الإنسانية أن تحل في أبنيتها ومقاساتها اللغوية عن طريق الاشتقاق والتعريب، فاستوعبت حقائق العصر العلمي واختزنت كل مظاهر العصر الحضاري.)[1] أكدت هذه العلوم على حتمية الرقي المعرفي يدفع التبحر في علم محدد والتخصص فيه توخي الدقة والضبط، فأجاد كبار العلماء وأبدعوا وأصبحوا عبرة يحتذى بها ففي علم النحو أسس أصحابه الأصول فصاروا رافد كل اتجاه منهم سيبويه (ه١٨٠) الذي وضع لنفسه منهجا علميا لم يكن فيه مجرد ناقل أو جامع بل تجاوز الأغاليط، ملتفتا إلى بلورة اللغة تركيبا وتوضيحا لغوامض معانيها، مستعينا بكياسته ما جعل كتابه "الكتاب" متناسقا ومنظما بعيدا عن الركاكة والاجترار، كما كان لابن قتيبة (٢٧٦) إسهام في خدمة المستويات اللغوية، فعكف على دراسة أسرار القرآن اللغوية لاستنباط القواعد، وعرف كيف يقترب من لغة القرآن بأسلوب علمي جمع فيه بين ثقافته الخاصة وذكائه بغية التوفيق بين العلوم اللغوية والشرعية فهو أشبه بعلماء الشريعة حتى أصبح مرجعا يعود إليه العلماء للاستشهاد بآرائه في التفسير اللغوي، وعبد القادر الجرجاني(٤٧١هـ) ثبت ملكته فلم يدع خبيئة تملكها بيئته اللغوية إلا اطلعها، ولا زاوية فيها إلا وسعها، ثم صنع للبلاغة نهجا كان منتهى طاقته يفيض باللطائف، أتاح له أن يكتسب نباهة طيعة، تتضح إبداعاته في كتابيه " دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" من خلال إحاطته بالمعاني والبيان من الوعاء اللغوي المعبر عن فهم حقائق اللغة، كل ذلك يؤشر حجم القدرة في دائرة هذا العلم مستفيدا من ربطه بمنطق اللغة، وابن المعتز(٢٩٦هـ) أدرك بوعي أن مجرى الجمال البديعي بدا ملتزما بهذا الزخم للفظ الذي فعل فعله في نفس أهل العلم، وكشف عن جمالياتها و أسرارها، ورسخ وظيفة المفردة الإيحائية القادرة على منح العمل الإبداعي وتبلوره.

أطال هؤلاء العلماء البحث في علوم الآلة فأتوا بما هو أدق وأنفع، فتعدد الاتجاهات وتوزيع الاهتمامات في ضروب هذه العلوم كانا دافعين من دوافع قوة التأليف وعمق المعالجة، ويبدو أن النزعة العلمية كانت سمة من سمات علماء العربية لازمتهم وهم يتنقلون عبر حياة هادئة، يقفون مواقف مستديمة وخصومة مستمرة مع أعداء علوم اللغة، ومجابهة صارمة، فطموحهم المشروع في تأصيل علوم الآلة، وتعلقهم بأهدابه تحول إلى طاقة متحركة استجاب لها أصحابها، و تنشط دواعي الإحساس بأهمية

التأليف، وبقدر ما تكون الأصالة متناسبة من جهة انتقاء المسائل العلمية تكون الاستجابة الحاصلة أقوى وأمد. فعلماء علوم الآلة حشدوا القوى الكامنة في ملكاتهم ووضعوها في المضمار المطلوب، ووظفوها في التخصص المقرر، استوعبوا دورهم العلمي والحضاري وهم يخضون غمار الإنتاج المعرفي.

التفوق في علوم الآلة حالة راقية أتقن أهلها استخدامها، وتمكنوا من الوصول إلى تهيئة الأجواء الملائمة لاستمالة واعية لدى القراء، وإزالة أسباب التنطع ودوافع الاستهجان ليسير رقي علوم الآلة في الدروب الآمنة التي عمق العلماء آثارها، فهي لا تنتهي عند حدود سرد المعلومات، إنما ضرورة التعامل وفق المعطيات العلمية الجديدة التي يقع عليها نظر أصحابها، مع التناول الدقيق والتخلص الخاطف من الشوائب الذي يحقق المقاصد وهو إسماع المتعلمين ما يريده المؤلف أو جعل كتاباتهم سائرة على الألسنة يستوعبوها أو يحفظوها، ولا تطويها الأيام و بقى منها إلا الوشل القليل. إن أصالة علوم الآلة في العربية ليست وهمية قائمة على الظن والخيال إنما هي علوم استقرائية اجتهادية، فالواقع يثبت رقيها وأصالته وتطورها على ألسنة أهلها (ولعل من أمارات الأصالة في هذه اللغة أنها أعطت العالم القديم نماذج من الاختصاصات الدقيقة، فالخليل بن أحمد وضع علن الذي أقام عليه معجم العين.)[1] فالعربية بنقائها وغناها متنت نضج علومها وجمعت ثمارها من سرتها، وأرخت لمراحل سحيقة من المعرفة.

فعلوم الآلة بنوعيها العقلية و الذوقية طبقا للقدرة التي أودعها الله في أصحابها، كما أنهما مكتسبتان تقومان على دعامة الإرادة، إنها جهود العلماء في الوصول إلى إخراج ما تكتنزه العربية إلى الوجود ووضعه في متناول القارئ. ولما كانت هذه العلوم ذات طبيعة وثائقية، تتجدد عنها الكتابة كلما اكتشفت مسائل جديدة ليتضح أصلها وتدرس مسيرتها وتطورها دراسة علمية شاملة لتفردها بنمط فريد شكل تركة معرفية تجذرت في تاريخ اللغة والحضارة، فهي متوغلة الجذور في جانبها الوظيفي للحفاظ على كلام الله وإتقان الفصيح، ومعبرا عن وحدة الصوت والدلالة والتركيب لتكون العربية قيمة مطيعة للواقع غير منطوية على نفسها مجرد تقليد للقواعد بحجة الحفاظ على أصالتها ورقيها.

تظل هذه العلوم بمثابة كيان حي للذهنية العربية تتخذ من روافدها قيمة جمالية حضارية، من أجل ذلك كانت دراسة علوم الآلة من الحقول البالغة الأهمية في الدراسات العلمية التي يمكن الاعتماد عليها في الكشف عن تاريخ العربية لأنها لغة التواصل الديني والإنساني والحضاري بين اللغات العالمية، وذلك ما اتسمت به من سمات النماء والتوليد الداخلي، والقدرة على احتواء الألفاظ الأعجمية التي أخرجتها من غرابتها، وكيفتها مع قواعد النطق العربي (تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، حسن نظامها...حتى أنه لا يعرف لها في أطوار حياتها لا طفولة لا شيخوخة، لا نكاد نعلم من شأنها إلا

فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى.)[1] إن اتساع لغة العربية، وتعدد أنماط التراكيب على نحو متميز يستعصي حصرها، فانسجام الجمال التعبيري والأنساق جعل العلماء يطمئنون على اللغة العربية وتثبيت علومها، ولعل من بديع القول أن منزلة علوم الآلة في اللغة العربية تكبر في مضامين اللغة وتعز في حركتها، تضبط الدقة المتناهية تحمل العطاء الصافي، وتؤدي جمالية التمكن وتمنح لكل تخصص براعته، ولغة القرآن تحمل روح هذه العلوم (لقد ظل القرآن الكريم المقدس على الدوام هو الحافز الرئيس للجهود المتصلة في الإنباه على اللحن والأخطاء الشائعة، حفاظا على صورة العربية كما نزل بها القرآن)[2]

إنها علوم الآلة التي تحدد مسيرة اللغة العربية وفق أصالتها لتنتقل من مرحلة إلى أخرى لتنال ما تستحق من اهتمام، فاكتملت ضوابطها وأصولها وثبتت بناء ورصيدا، فهي موطن خصب استقرت فيه مظاهر الارتقاء الحضاري وجملت في رحابها مدارس العلم، وأقبلت علها جموع النبهاء لينهلوا من كنوزها المعرفية كي يشبعوا رغباتهم، ويساعدهم على إتمام متطلبات الحياة العلمية. لقد حفظت لنا تراثا يوحي بنخوتها ويؤرخ لانتعاشها من نحو وصرف وبلاغة وصوت تتواصل فيها الجودة لتبقى حية في ذاكرة أبنائها.

٣- أهمية النحو لدى علماء الشريعة والنحو:

يجل النحاة النحو لما فيه من حاجة مرجوة يستكينون إليها، ويستلهمون توقد الذكاء وفيض الخاطر يقمعون به فلتات العجب وأخطاء الغرور، فكان لزاما من حكمة سامية وقدر جليل ومعرفة سابقة لسحق العدو الشامت بالرجوع إلى القرآن لما فيه من نعيم مطمئن وفضل كبير وعلم محتد. أدركوا أهمية الدلالة النحوية الواردة في القرآن الكريم، فاستظهروا مضامينها وتعمقوا في مقاصدها لتنشئة الذوق اللغوي وتعلم الأسلوب الرصين تجنبا للزلق في التأليف، وتحقيق المنهجية الذكية.

فدرجة الكمال لفصاحة كتاب الله أغنت العلم وأثرت المعرفة، وكونت شخصية المسلم وأبعدته عن الركود والنمطية، فلا عجب أن تكون هذه الدلالة ذات قيمة ساطعة في تاريخ الدرس النحوي ظلت مشعة إلى رؤية البارزة مشحونة بالدلالات الراقية التي تسبح في فلك الحقل النحوي. ولا شك أن هذه الدلالة المرموقة قصدها طلاب العلم من العرب والعجم ما يعكس مدى قوتها، نهلوا من رحيقها الذي رفع من معنوياتهم في تثبيت أعمالهم، وتأسيس جبهة علمية تفيض بالعلم والوقار في مواجهة الخصوم الذين كتبوا في الانتقاص من مقام النحو القرآني، والطعن في اتساع لغته.

١ـ٣ـأهمية النحو لدى المفسرين ـ مجالس التذكير لابن باديس نموذجا ـ

أوتي عبد الحميد بن باديس (١٩٤٠ هـ) بسطة في العلم وكياسة في العقل تنابعت عليه الأفكار، فلم يتوان عن الإبداع، امتص المعرفة النحوية من منبتها، وعثر على نفائسها من مهابة لغة القرآن وعظمتها، مد جسرا مع ملكة السلف للدخول في ظلال النحو القرآنية، وأضاف إلى ذلك ما وسعه نبوغه. بقي الرجل يرسف تحت ظل القرآن الكريم يوطد أفكاره ليسترد شرف النحو العربي بغية إنمائه وإنارة العقول، فاستوعب المعرفة النحوية، وهضم فلكها لإنارة النزعة العلمية في قرائح طلبة العلم. فسعيه في إحياء حركة هذا العلم أخذ منه وقتا طويلا ليستقر في المحاضر العلمية؛ وفي وقار واثق انطلق الرجل يلقي إنتاجه الضخم الذي أمكن من تطويعه وتيسيره وتعميمه في أنحاء العالم الإسلامي عن طريق تفسيره.

وقف الشيخ عند قوله تعالى:﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ﴾ الفرقان ٧٥ تبصر الرجل في اسم الإشارة (أولئك) وهو عند النحاة اسم مبهم يخص الحيوان والجماد والنبات، لابد أن يواكب لفظه لازمة حسية ويكون للمذكر والمؤنث، التصدير (بأولئك) في الآية إرهاص لما يأتي بعدها ويقصد بها (عباد الرحمن)، فـ الصفات التي اتصف بها هؤلاء خيرة ويستحقونها، هذا ما أبان عنه ابن باديس بقوله: (وعرف المسند إليه بالإشارة تنبيها على استحقاقه للمسند كان بما تقدم من صفات)[١] فالمسند إليه (أولئك) والمسند جملة (يجزون) تأمل الرجل في اسم الإشارة فوجد فيه بروقا مخصصة لعباد الرحمن وهم مهتدون بفيض إيمانهم الذي قذفه الله في قلوبهم، ولذا هم أرفع درجة، وأصحاب انفتاح ذهني، باح ابن الإمام بدلالة اسم الإشارة لإعلان التوبة لله وتمسكهم بشريعته للفوز بشفاعته. إنه إيذان بمرحلة تأمل في حصاد سنوات أفصحت عن هبائها. ولعل من الملاحظات التي اهتدى إليها النحاة ما ورد في اسم الإشارة الذي قد يطلق على غير العاقل قال تعالى:﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾الإسراء ٣٦ فاسم الإشارة يعود على الحواس الثلاث المذكورة والمشهور لدى النحاة للعقال إلا أن الله نزلها تنزيل العقلاء لعلاقتها بالعقل، فالآية الكريمة دليل كاف للاستشهاد بها على إمكانية إسناد هذا الاسم إلى غير العقلاء.

وفي الشعر قال جرير:[٢]

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقوام

فأولئ أضيفت إلى غير العاقل وهي الأيام.

حرص الإمام في آرائه النحوية ألا يلحق فيها ما يقلل من شأنها، لذلك نراه يحسن تقريب الفهم لإدراك شرف نظم القرآن هذا ما أشار إليه في دلالة الأفعال قال تعالى: ﴿ ووِرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ النمل ١٦ فالفعلان (عُلِّمْنَا ووأُوتِينا) اتصلت بهما نون العظمة ولم يقل أتيت وعلمت قال الإمام: (عبر سليمان عليه السلام عن نفسه بنون العظمة، ونوه بذلك الفضل المبين، ليتعظم بالسلطان، ولا يتطاول بفضل؛ فالأنبياء عليهم الصلاة السلام أشد الخلق تواضعا لله وأرحمهم بعباده.)[١] فابن باديس يرى أن العلم والإتيان كانا من طريق الوحي، فشرح الله قلب سليمان بالحكمة والعلم ليطلع على طبائع الموجودات ومميزاته، وأن الأمر عسير يكون شديد الإحساس بالمسؤولية التي كلف بها نبي الله عليه السلام، فالعلم اقتصر على منطق الطير (لا والاقتصار على منطق الطير إيجاز لأن إذا علم منطق الطير وهي أبعد الحيوان عن الركون إلى الإنسان وأسرعها نفورا منها، علم المنطق أكثر اختلاطاً بالإنسان حاصل له.)[٢]

فنون العظمة مع الفعلين كما يراها الشيخ ثمرة ناضجة تشهد ازدهارا باهرا في نشر عقيدة التوحيد، فسليمان عليه الصلاة والسلام عاصر أماكن طغى عليها الشرك كمملكة سبأ، وبفضل الله كانت في قبضته (إنما أراد تعظيم نعمة الله في عيون الناس، وتفخيم ملك النبوة في قلوب الرعية؛ ليملأ نفوسهم بالجلال والهيبة، فيدعوهم بذلك إلى الإيمان والطاعة، فينتظم الملك، ويهنأ العيش، وتمتد بهم أسباب السعادة إلى خير الدنيا والآخرة، وهذا هو الذي توخاه سليمان عليه السلام منى المصلحة بإظهار العظمة.) [٣] فنون العظمة المقترنة بالفعلين صورة جادة لشخصية سليمان عليه الصلاة والسلام التي رسمها القرآن دون شطط ولا تعسف.

إن نظرته المستوعبة للنص القرآني تقوم على الربط بين الجانب الإعرابي والدلالي، فما لبثت أن تمثلت في تفسيره لإثارة ذهن القارئ، وجلبه إلى رحابها ليودع فيه نباهته المتدفقة، ومن هنا كانت لمسة إلهامه، هذا ما وقف عنده الشيخ في تناوله لمعاني الحروف منها حروف الجر قوال تعالى: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ يوسف ١٠٨ فحرف الجر (عُلَى) هنا للاستعلاء والاستعلاء نوعان حقيقي ومجازي فالحقيقي مثل قوله تعالى: ﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ المؤمنون ٢٣ "فعلى" تفيد الحمل بالركوب الصادق مع حمل الأثقال. أما "على" في يوسف فللاستعلاء المجازي ويكون للتمكن قال ابن باديس: (واختيرت «على" لتدل على تمام التمكن)[٤] فالشيخ راض على

هذه الدلالة بثقة، فهو يسترسل عند إضافته لكلمة "تمام" ففيها القدرة على إنشاء الدلالة الإضافية، ليظهر جمالية معنى «على" حتى لا يعدم القيمة النحوية للحرف، إنها الممارسة الذوقية للآية وما تحمله من إيحاءات، إن دقته في و ضع الدلالة النحوية تتطلب دقة مماثلة للقارئ للوقوف على الفائدة. فارتباط حرف الجر "على" بكلمة «البصيرة" يجعل الدعوة إلى الله التي كلف بها الرسول صلى الله عليه وسلم تجري على وتيرة واحدة تحمل القانون الإلهي، وتعتمد على منطق يقيم التوازن بين صلاح المعاش والمعاد مما يجعل هذا الدعوة مؤثرة ومنيرة، إنه تحليل نفيس للتبادل بين القدوة والحجة.

وقف الشيخ على مشارف الدلالة النحوية لحروف العطف يستلهم منها الكثير من المعاني التي أودعها الله سبحان وتعالى فيها، وسعى إلى قطفها بعزيمة تملأ رغبته، فكياسته كللت بتتبع معاني الحروف لينتزع أثمن دلالتها التي تليق بعظمة كلام الله فطرق باب معاني حروف العطف من ذلك قوله تعالى: ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ﴾الإسراء ٢٦ استخلص الشيخ من هذه الآية الكريمة ثلاثة حقوق حق الأقارب لتثمين العلاقة وتعميق البهجة وتحقيق الأواصر الكبرى بالنفقة، ثم حق المسكين لاقتلاع أشلاء الحاجة، وإنقاذهم من لهيب الحرمان وهزم الضن قال تعالى:﴿ ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ الفجر ١٨ وختم هذه الحقوق بابن السبيل وهو المسافر فنصيبه من الزكاة المحافظة على كرامته من السؤال. ولعل لحرف العطف «الواو " أهمية في الجمع بينهم في هذا السياق، فالربط الذي حققه الحرف فيه نداء لحسم الداء الذي طال أمده في المجتمع العربي، ونخر كيان الفرد من جراء الشح والتنافر، ثم جاء الإسلام ليحرر الحقوق المغتصبة يقول الإمام: (وفي ذكرهما أيضا جمع ما بين القريب الدار والبعيد الدار والمسافر كل هذا ليعلم أن ذا الحق يعطى حقه على كل حال، وبقطع النظر عن أي اعتبار)[1] استطاع هذا الحرف «الواو" بدعم من الفعل " آت" في دحر الصدع، و تمتين الصف بين ثلاثة محاور تعد أحزمة واقية من سطو الهوى ألا وهي الإحسان إلى ذوي القربى، والصدقة لرفع البؤس، والضيافة لإثارة عواطف الإيثار.

بلغ ابن باديس ذروة الفهم وهذا دليل على الفضل الذي وصل إليه، كان عقله مستوعبا للحجج، يستنبط اللطائف النحوية استنباطا لبسط الفائدة هذا ما أبان عنه، وقف على مشارف الدلالة النحوية لآي القرآن يستلهم منها الكثير من المعاني، وسعى إلى قطفها بعزيمة تملأ رغبته، فكياسته كللت بتتبع هذه العلاقة لينتزع أثمن دلالتها التي تليق بعظمة كلام الله. ما يميزه هو التزامه بالاستقراء العميق، وتغلغله إلى دخائل الدلالة يتقلب في مناحيها ليستمتع ببدائعها.

٢-٣-أهميته لدى القراء-قراءة عاصم نموذجا-

غار عاصم أبو نجود (١٢٧ هـ) داخل العلاقة بين التغيرات النحوية والألفاظ الفرشية استهدى بالموجهات القوية كتاب الله والكلام العربية الفصيح وملكته، يستكشف بوعي إيحاءات ثمينة ينادي بها النص القرآني ،وعزو المزية إلى ترتيب الكلام داخل النص باستحداث المعاني بواسطة الألفاظ الفرشية. انتبه الشيخ إلى لطائف صرفية لن تنكشف إلا بالروية والفكر، وما يستدعيه من الالتفات إلى جزئيات النص لا إلى كلياته، فاستنباط العلاقة ليس جهدا سائبا ولا اعتباطيا؛ بل يتطلب مكونات القارئ المتمثلة في قدراته لحفر تربة النص بحثا عن الخبيء والدفين.

كان عاصم حلقة من إحدى مساهمات القراء في حلقات القرائية التي تتطلب وجود وسيلة علمية لتنظيم المعرفة النحوية النابعة من القرآن الكريم والكلام الفصيح. من هنا كان فرشه أدق استخداما واسترجاعا لأصول النحو، مبدأ التزم به في تحديد العلاقة بين التغيرات النحوية والألفاظ الفرشية ليجعل قراءته قراءة علمية جامعة، هذه إضافة إلى علم القراءات تدل على سعة في الاطلاع والعلم الذي يمتلكه مما داه إلى هذه النظرة الدقيقة حيث يعد اليوم أكثر انتشارا في العالم الإسلامي.

من التغيرات النحوية التي انفرد بها عاصم في فرشه قوله تعالى: (إلا أن تكون تِجرة حاضرة تديرونها بينكم) البقرة ٢٨١(قرأ عاصم بالنصب فيهما وقرأ الباقون برفعهما.)[١] النصب على أن (كان) ناقصة، اسمها مضمر التقدير (أن تكون التجارة تجارة حاضرة) التجارة الثانية خبر لكان وحاضرة صفة، قال عمرو بن شأس:[٢]

بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أي إذا كان اليوم يوما ذا كواكب، كما هو في قوله تعالى: (إلا أن تكون تِجرة عن تراضٍ منكم) التقدير (إلا أن تكون الأموال تجارة. أما الرفع فعلى أن (تكون) تامة بمعنى وقع أو حدث و(تديرونها) صفة للتجارة مثل قوله تعالى:(وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) البقرة ٢٧٩

وفي قوله تعالى:(إن نعف عن طائفة منكم تعذب طائفة) التوبة ٦٦(قرأ عاصم وحده فقط بالنون في الفعلين وقرأ الباقون بالتّاء.)[٣] قرأه بالبناء للفاعل ونون العَظَمة وضم الفاء، مع نصب (الطائفة) الثانية، فأسند الفعلين إلى الله سبحانه وتعالى، فتح النون في (نعف) من الفعل الثلاثي (عفا) وضمها في (نعذب)

من الرباعي (عذب). (لقيني شيخنا الأديب الحامل أبو الحكم مالك بن المرحل المالقي بغرناطة، فسألني قراءة من تقرأ اليوم على الشيخ أبي جعفر الطباع، فقلت: قراءة عاصم فأنشدني:[١]

لعاصم قـــراءة لغيرها مخالفه

إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفه

أما من قرأ بالياء والتاء فهي قراءة بقية السبعة فعلى ما لم يسم فاعله، لأن الفعل (عفا) يتعدى بحرف الجر.

وفي قوله تعالى: (فمكث غير بعيد) النمل ٢٢ (فمكث قرأه عاصم بفتح الكاف، وضمها الباقون.)[٢]

الفعل مكث يمكث على وزن فعل اسم الفاعل ماكث اللابث والمنتظر، ولا يأتي من الفعل فعل يفعل إلا على صيغة فَعيل وهو نادر ككرم كريم ونصر نصير، يؤكده قوله تعالى:(قال إنكم ماكثون) الزخرف ٧٧ وقوله تعالى: (ماكثين فيه أبدا) الكهف ٣

وفي قوله تعالى: (أو يذكر فتنفعه الذكرى) عبس ٤ (في فتنفعه قرأ عاصم بنصب العين فقرا الباقون برفعها.)[٣] (وقرأ عاصم (فتنفعه) نصبا.)[٤] علة النصب أنه في جواب الترجي (لعله يزكي) عبس ٣ هذا عند الكوفيين، أما البصريون فالترجي لا جواب له إنما ينصب بإضمار أن بعد الفاء قال تعالى: (لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموت فأطلع إلى إله موسى) غافر ٣٦-٣٧ قال مكي القيسي (٤٣٧ هـ) :(من نصبه جعله جواب (لعل) بالفاء لأنه غير موجب فأشبه التمني والاستفهام، وهو غير معروف عند البصريين. ومن رفعه عطفه على « يذكر »)[٥]

أتى عاصم لتعزيز العلاقة بين التغيرات النحوية والألفاظ الفرشية ما يؤكده من القرآن الكريم وفصيح شعر العرب، وترك توضيحه وإقامه لذوق القارئ وطبعه السليم. إن استملاح عاصم لهذه التغيرات شهادة قوية لفهمه لمعاني القرآن الكريم، فجاء فرشه مفيدا، شائقا حاملا لدلالات راقية، هذا لا يتقنه إلا النبهاء والأذكياء ممن ملكوا ناصية اللغة، ومهدوا أساليب استخدامها. يتبين بوضوح أن عاصما

ساهم بهذا الجهد في تأكيد أصالة النحو العربي ودعم صموده، ويسر استيعابه لأهله وطلبته، وهو صنيع علمي تراثي جليل.

٣-٣. أهميته لدى النحاة. ألفية ابن معطي نموذجا.

أسهب يحيى بن عبد المعطي الزواوي الجزائري (٦٢٨ هـ) في إظهار ضوابط النحو العربي من خلال ألفيته "الدرة"، ووظف ملكته في التعامل معها فهي مبنية على القوانين تحكم الأحكام، وألغت مبدأ التبعية قصد تطوير الدرس النحوي، وجعله منارا يبعث شعاعه لكشف فلسفة هذا العلم وحل عقده، وسلك المسلك الذي اتبعه نحاة عصره في الأخذ عن البصريين والكوفيين وانتقاء بعض آراء البغداديين كما تناول مسائل كثيرة اعتمادا على آرائه الخاصة منها:

منع ابن معطي تقدم خبر مادام على اسمها منفردة عن بقية أخواتها جاء في ألفيته:[١]

ولا يجوز أن تقدم الخبر على اسم ما دام وجاز في الآخر

لعله لم يجد شاهدا قرآنيا تقدم خبر مادام على اسمها، أو انعدم الشاهد الشعري يحتوي على هذا التقديم صريحا، ما أورده النحاة من شواهد عبارة عن تخريجات منها قول مزرد بن ضرار:[٢]

وأحبسها ما دام للزيت عاصرٌ وما طاف فوق الأرض حافٍ وناعلِ

(عاصرٌ) اسم مادام مؤخر، و(للزيت) جار ومجرور متعلق بخبر محذوف مقدم. وهناك شاهد آخر قال الشاعر:[٣]

لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم

(منغصة) خبر تقدم على الاسم (لذاته) يرى ضرورة الترتيب، لكن الشواهد الشعرية خالفت رأي ابن معطي مما دفع النحاة إلى نقده وقد خالفه النحاة في توسط الخبر ومنهم ابن مالك بقوله:[٤]

وفي جميعها توسط الخبر أجز، وكل سبقه دام حظر

وعد رأيه خارجا عن القياس منافيا للإجماع (وقد وقع في ذلك ابن معط رحمه الله فضمن ألفيته منع توسيط خبر ليس ومادام، وليس له متبوع، بل هو مخالف للمقيس والمسموع.)[١]

وفي باب الندبة وضع شرطا زيادة ألف وهاء في الاسم المختوم بألف وهاء يقول:[٢]

جئت بـ «يا» فقلت: يا سعيداه وفي المضاف: يا عبيد اللهاه

الشاهد في (عبيد اللهاه) أصلها عبد الله، أضاف ألف المد آخر لفظ الجلالة والهاء بعدها، وقد خالفه ابن مالك تجنبا للثقل لأنه يستحيل الجمع بين ألف والهاء في الاسم مع ألف الندبة وهاء السكت قال السيوطي (٩١١ هـ): (إطلاق النحاة يقتضي جواز لحاق الألف بما في آخره ألف، وهاء، وبه صرح بعض المغاربة وابن معط في ألفيته وابن حاجب، فيقال في عبد الله: واعبد اللهاه، وفي واجهجاهاه، واجهجاهاه، ومنعه ابن مالك (٦٧٢ هـ)، لاستثقال ألف وهاء، بعد ألف وهاء.)[٣]

وفي النداء لابن معطي رأي في حذف أداة النداء، فقد اعترض حذفها في مواطن مع لفظ الجلالة، واسم الإشارة، والنكرة المقصودة يقول:[٤]

وأحرف النداء قد تنحذف كمثل: «ربنا» ومثل: «يوسف»

إلا عن اسم الله والإشارة فالحذف فيهما احذر اختصاره

لو قلت: «هذا» في النداء و«الله» وشبه هذا وقع اشتباه

رفض حذفها مع لفظ الدلالة حتى لا يختلط المنادى بالمبتدأ مثلا (الله ربنا) ظن أنه مبتدأ وخبر أو إذا لحقه الميم المشددة (اللهم) وهي عوض حرف النداء المحذوف (القياس ألا يحذف حرف النداء لكونه نائبا عن الفعل، لكنهم جوزوا في حذفه اختصارا لدلالة الكلام عليه.)[٥]

إذن حذف حرف النداء يشترط التعويض، ولا يجتمعان إلا في الضرورة يقول أمية بن أبي الصلت:[٦]

إني إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا اللهما

قال ابن الصائغ (٧٧٦ هـ): (لابن معط أن يقول لما وقع اللبس في بعض المواضع طرد الباب، لئلا يختلف الحكم. انتهى. قال والعلة في ذلك أنهم لما حذفوا (يا) عوضوا الميم، فكرهوا أن يقولوا الله بالحذف، لما فيه حذف العوض والمعوض.)[١]

أما اسم الإشارة فحرف النداء علامة عليه، وبدونه كانت الإشارة مطلقة، وعدم ذكره لاشتبه النداء بغيره وانتابه الغموض والاجحاف في المعنى، واحتج الذين جوزوا حذف الحرف مع اسم الإشارة في قوله تعالى: (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) البقرة ٨٤ التقدير(ياأولاء) أما مع النكرة المقصودة فحتى لا تضيع الدلالة ويقع اللبس مثلا لا يجوز القول(رجل) إنما (يا رجل). وخالف ذلك ابن مالك وأجاز الحذف مع اسم الإشارة واسم الجنس يقول:[٢]

وذاك في اسم الجنس والمشار له قل، ومن يمنعه فانصر عاذله

من النحويين من أجاز الحذف واستدل بقول الأعلم الهذلي:[٣]

فشايع وسط ذودك مستقنا لتحسب سيدا ضبعا تنول

التقدير (ويا ضبعا تنول)

ومما تفرد به أنه زاد الفعل (جعلت) مع الأفعال المتعدية إلى مفعولين السبعة وبإضافته أصبحت ثمانية يقول:[٤]

وهي ظننت مع حسبت خلت علمت مع جعلت مع زعمت

وجدت مع رأيت وهي كلها تلغى أخيرة وقد تعملها

تسمى أخوات ظن بأفعال القلوب، وهي ثلاثة أنواع أفعال الشك (ظننت حسبت وخلت) وأفعال اليقين (علمت رأيت وجدت) وواجد يحمل معنى الأمرين(زعمت)، وما أضافه ابن معطي(جعل) (وزادها

يحبى جعلت فهي ثمانية. وتجري مجراها الأفعال السبعة التي تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل إذا بنيت للمفعول.)[١]

واشترط ل(جعل) ثلاثة شروط (وجعلت، إذا لم يكن خلقا، ولا إلقاء، ولا أخذا في الفعل.)[٢] الشاهد للمعنى الأول قوله تعالى: (وجعل لكم من الجبال أكننا وجعل لكم سربيل تقيكم الحر) النحل ٨١، والثاني قوله تعالى: (ويجعل الخبيث بعضه علي بعض) الأنفال ٣٧أيَ أَلْقَى، وَالثَالِثُ مَا أَنْشَدَه سيبويه:(٣)

وقد جعلت نفسي تطيب لضغمةٍ، لضغمهماها يقرع العظم نابها

وهي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر (لأنها لما كانت تدخل على المبتدأ والخبر بعد استغنائها بالفاعل، وكل واحد من المبتدأ والخبر لابد له من الآخر، وجب أن يتعدى إليها.)[٤] وتؤثر في المفعول أو تتعلق به لتتعدى.

كما خالف النحاة في الأفعال الخمسة المعروفة يقول ابن مالك:[٥]

واجعل لنحو يفعلان النونا رفعا، (وتدعين وتسألونا)

وحذفها للجزم والنصب سمه كل (لم تكوني لترومي مظلمه)

إذا لحقت ألف اثنين أل ف اثنين، أو واو جماعة، أو ياء المؤنثة المخاطبة المضارع، ولن يسبق بناصب أو جازم. رفع وكان علامة رفعه ثبوت النون، وحذفها مع دخول الناصب والجازم علامة النصب والجزم. لكن ابن معطي ذكر ثلاث صيغ يقول:[٦]

ثم ثبوت نون يفعلون وتفعلان مع تفعلينا

علامة لرفعه المبين واجزمه وانصبه بحذف النون

لم يذكر (يفعلان وتفعلون) فقد عد (تفعلان ويفعلان وتفعلون ويفعلون) في اللفظ واحد.

لا شك أن آراءه لعلبت دورا متميزا في تنشيط الحركة النحوية حتى قصدها طلاب النحو واحتضنوها، وهي مسهبة وشاملة ملتزما بنباهته غير مأخوذة عن غيره، لم يستخدم مرجعية بصرية أو كوفية. هذه الآراء النحوية فرضت قوتها وهيبتها، دخل الحقل النحوي محرزا نصرا علميا، موفقا في تحقيق ما طمحت إليه عبقريته في تأصيل النحو العربي حكم منطق النحو العربي، وكان اهتمامه كبيرا به، واستطاع الإلمام بضوابطه. الذي توصل إليه امتاز برؤية شاملة انبثقت من إلمامه بالنحو العربي على أنها وسيلة للفهم واستنباط الأحكام، اهتدى بفطنته إلى الإبانة عن كثير من مسائله، وهذا ما نجده مبثوثا في ألفيته.

٤.خاتمة:

توسعت اللغة العربية نتيجة موضعها الحصين في صلب نص القرآن، وجذبت العلماء تجند قدراتهم للزيادة في إنتاجهم العلمي، فهي ثمرة انبثقت من الإعجاز القرآني فعجلت بزوال التعسف اللغوي للعرب، فكان الا نتقال من لغة غير منتظمة إلى لغة أكثر ثباتا وأقل تعقيدا، فظهورها ليس مجرد الزيادة في عدد أساليب اللغة العربية إنما إلى تغيير شامل وتشكيل جديد يعدل من خواص المنظومة اللغوية. فعلماء علوم الآلة أحضروا مهاراتهم العلمية التي تكونت لديهم عندما كانوا يعيشون تحت ضغط علوم الأعاجم الإغريق والفرس والهند، فلم يلبث اقترابهم من أصالة اللغة العربية طويلا حتى تمخض عنه زيادة هائلة من المعارف.

إن اهتمام العلماء بالنحو يعد شعاعا يجعل العقل مستعدا للتأمل في كتاب الله، وفتح الأذواق والأذهان على اقتناء معجم نحوي، واستجماع فوائد لطيفة لأنه يشكل التربة التي تتأصل منها المعارف النقية. لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من الظواهر النحوية إلا خاضوا فيها بالتأليف والشرح لضبط النحو العربي ضبطا سليماه.

نتائج البحث نورد ما يلي:

١. جاهد العلماء كثيرا لحماية صفاء اللغة العربية، ودرء الرطانة، كانوا متشددين لتمييز النفيس من الخسيس.

٢. تشكل علوم الآلة التربة التي تتأصل منها المعارف النقية.

٣. تجاوز التفاعل بين اللغة وعلوم الآلة عنعنة الضحالة إلى أفق إنساني أوسع، فهو تأصيل علمي دقيق لا يتردد أهل العلم في استعماله.

٤. تكشف أهمية النحو تمسك السلف والخلف به والالتزام بنظامه، إنه النور الذي بسط المعرفة ورفع الجهل.

التوصيات:

ـتعزيز اللغة العربية وتوظيفها في إعلام الناشئة بضرورة التواصل النوعي الفعال معه.

ـتوفير الحماية لعلوم الآلة بعد انتشار الأفكار المسيئة ضد القرآن الكريم.

ـتفعيل الإنتاج اللغوي في هذا المجال من أجل تكوين علاقات متينة مع التراث العربي الإسلامي.

ـ إقامة تفاعل إيجابي تعليمي مباشر مع الارتقاء النحوي يتمركز في شخصيتنا ودفعه لإعطاء سلطة للمرجعية الأصيلة.

المصادر والمراجع:

١ـ الأنباري (أبو البركات)، أسرار العربية، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العل العربي دمشق.

٢ـابن باديس عبد الحميد، مجالس التذكير، من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية دار البعث قسنطينة ط١ ١٩٨٤.

٣ـابن الجزري (أبو الخير محمد)، النشر، دار الكتب العلمية بيروت.

٤ـالجندي أنور، اللغة العربية بين حماتها خصومها، ط١ مطبعة الرسالة بيروت.

٥ـالزبيدي (أبو بكر بن محمد) (د.ت)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف مصر.

٦ـأبو حيان (محمد بن يوسف بن علي)، البحر المحيط. تحقيق: (أجمد عبد الموجود ومحمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت١٤١٣.

٧ـالموسى نهاد، اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول، ط ١ دار الشروق عمان الأردن ٢٠٠٨.

٨ـالمفضل الضبي، المفضلات، تحقيق: محمود شاكر عبد السلام هارون، ط٦ دار المعارف القاهرة.

٩ـابن مجاهد (أبو بكر) (د.ت) السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف مصر.

١٠ ـابن مالك (أبو عبد الله)، الألفية، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز العِيوني، مكتبة دار المنهاج الرياض.

١١ ـابن مالك، شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار الهجر.

١٢ ـابن معطي (عبد النور الزواوي)، الدرة الألفية، ط١ دار الفضيلة القاهرة ٢٠١٠.

١٣ـابن معطي، الفصول، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى الباب الحلبي وشركاه.

١٤ـالسامرائي إبراهيم، اللغة والحضارة، ط١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٧.

١٥ ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، همع الهوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨.

١٦-السكري (أبو سعيد الحسن)، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة القاهرة،

١٧-سيبويه (عمرو بن عثمان)، كتاب، ط١ المطبع الكبرى الاميرية ببولاق مصر، ١٤٠٨.

١٨-ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية ١٩٨٤.

١٩-علي موسى الشمولي، شرح ألفية بن معطي، ط١ مكتبة الخريجي الرياض ١٤٠٥.

٢٠ - ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله)، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار مصر للطباعة ط ٢٠ ١٤٠٠.

٢١ - القيسي (أبو محمد أبي طالب)، الكشف عن وجوه القراءات، تحقيق: محي الدين رمضان، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٢-القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢ مؤسسة الرسالة بيروت١٤٠٥.

٢٣ - الشربجي (محمد يوسف)، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، والتحديات المعاصرة، مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ٩٠ -السنة الثالثة والعشرون - حزيران "يونيو" ٢٠٠٣ -ربيع الآخر ١٤٢٤.

الهوامش:

١-الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص٤٧

٢ - الشربجي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، والتحديات المعاصرة، مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ٩٠ -السنة الثالثة والعشرون -حزيران "يونيو" ٢٠٠٣ - ربيع الآخر ١٤٢٤ص٩٥

٣-السامرائي، اللغة والحضارة، ط١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٧، ص ٣٣-

٤-الجندي أنور، اللغة العربية بين حماتها خصومها، ط١ مطبعة الرسالة بيروت، ص٢٥

٥-الموسى نهاد، اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول، ط ١ دار الشروق عمان الأردن ٢٠٠٨، ص ٤٦

٦-ابن باديس، مجالس التذكير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية دار البعث قسنطينة ط١ ١٩٨٤، ٢/ ١٧٧

٧-انظر ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار مصر للطباعة ط ٢٠ ١٤٠٠، ١/ ١٣٢

٨-ابن باديس، مجالس التذكير، ٢/ ٢٠٩

٩-ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية ١٩٨٤م، ١٩/ ٢٣٨

١٠-ابن باديس، مجالس التذكير، ٢/٢٠٩-٢١٠

١١-ابن باديس، مجالس التذكير، ١/١٢٧

١٢-نفس المرجع ،١/٢٢٠-٢٢١

١٣-ابن الجزري، النشر، دار الكتب العلمية بيروت، ٣٢/٢٣٧

١٤-سيبويه، الكتاب، ط١المطبع الكبرى الاميرية ببولاق مصر ١١٤٠٨/٤٧

١٥-ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ص٣١٦

١٦-أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: أحمد عبد الموجود ومحمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣، ٥/٦٨

١٧-القيسي، الكشف عن وجوه القراءات، تحقيق: محي الدين رمضان، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة بيروت،٢/١٥٥.

١٨-ابن الجزري، النشر،٢/٣٩٨

١٩-ابن مجاهد، السبعة، ص٦٧٢

٢٠-القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥، ص٨٠١

٢١-ابن معطي، الدرة الألفية، ط١ دار الفضيلة القاهرة ٢٠١٠، ص٤٥

٢٢-المفضل الضبي، المفضلات، تحقيق: محمود شاكر عبد السلام هارون، ط٦ دار المعارف القاهرة، ص ٩٨

٢٣-ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط٢٠دار مصر للطباعة ١٤٠٠، ١/٢٧٤

٢٤-ابن مالك، الألفية، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج الرياض، ص٩٠

٢٥-ابن مالك، شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار الهجر، ١/٣٤٩

٢٦-ابن معطي، الألفية، ص٥٤

٢٧-السيوطي، همه الهوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١ دار الكتب العلمية بيروت١٤١٨، ٢/٥١

٢٨-ابن معطي، الألفية، ص٥٣

٢٩-علي موسى الشمولي، شرح ألفية بن معطي، ط١مكتبة الخريجي الرياض ١٤٠٥، ١/١٠٤٠

٣٠-ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٣/٢٦٥

٣١-السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: غازي مختار طليمات، الهند١٣٦١، ٢/٢٥٢

٣٢-ابن مالك الألفية، ١٣٩

٣٣-السكري (أبو سعيد الحسن)، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة القاهرة، ١/٣٢٢

٣٤-ابن معطي، الألفية، ص٢٩

٣٥-علي موسى الشمولي، شرح ألفية ابن معطي،٥٠٤

٣٦ ـ ابن معطي، الفصول تحقيق، تحقيق/: محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى الباب الحلبي وشركاه، ص١٧٥

٣٧ ـ سيبويه، كتاب، ٣١٦/١

٣٨ ـ الأنباري، أسرار العربية، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العل العربي دمشق، ص١٥٩

٣٩ ـ ابن مالك، الألفية، ص٧٥ ـ ٧٦

٤٠ ـ ابن معطي، الالفية، ص ٢٣ ـ ٢٤

اللغة العَرَبِيَّة فِي زمَنِ العَوْلَمَةِ

قضايا وإشكالات

د. محمد يزيد سالم
جامعة باتنة- الحاج لخضر/ الجزائر
البريد الإلكتروني:
salemmohamedyazid@gmail.com

ملخص البحث:

سنحاول في بحثنا هذا بسط القول في واقع اللغة العربية في ظلِ تحديات العولمة، وكذا تقديم جملة من الاقتراحات التي قد تساعد العرب في القيام بمشروعهم الحضاري؛ وذلك انتصارا لأنفسهم ومستقبلهم ولغتهم وأمتهم، ومعلومٌ أن ذلك لن يتمِ إلا إذا استطاعوا التجذر في العلوم والتبحر فيها وتثبيت حضورهم القوي في مراكز النفوذ وصنع القرار.

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ الهوية؛ العولمة؛ المشروع؛ التحديات.

Abstract:

In this research، we will try to extend the saying about the reality of the Arabic language in the challenges of globalization، as well as present a number of suggestions that may help the Arabs in carrying out their civilizational project. And that is a victory for themselves، their future، their language، and their nation، and it is known، unless they are able to take root in the sciences and master them and prove their strong presence in the centers of influence and decision-making .

Key words: language، identity Globalisation، The project، The challenges.

أوَّلاً: اللُّغة العربية وأهميتها في تحقيق التَّواصل:

بداءة ينبغي التنويه أن اللغة- أية لغة- هي المرآة العاكسة لكل مناحي النشاط الإنساني في المجتمع الذي تنتمي إليه، أو قل- بعبارة أوجز وأدق تعبيرا-: اللغة هي الإنسان نفسه، وقد قيل:" إذا فتحت فاك عرفناك"(١)؛ أي أدركنا وضعك داخل مجتمعك وموقعك في بيئتك فكريا وثقافيا واجتماعيا، واستطعنا أن ننسبك إلى قبيل من الناس دون قبيل آخر.

فاللغة كما يقول" محمد مندور":" هي مستودع تراث الأمم، لا نزال نحن بعيدين عن استخراج ما في حناياها من حقائق إنسانية عامة وحقائق خاصة للشعب العربي والعقلية العربية كما رسبت بها خلال القرون المليئة بالأحداث، حتى ليصح القول بأننا لا نزال نعيش على ما خلقه علماء النحو والصرف بالبلاغة الأقدمون، وعندما يدعي بعضنا التجديد لا يعدو، في الحقيقة التطريز على ثوب خلق، حتى أصبحنا أشبه بمن يرقص في السلاسل وكم يذكرني سادتنا الباحثون في اللغة بفقير يصرف قرشا إلى مليمات ليقرقع بها"(٢).

وتبرز أهمية اللغة العربية في أنها احتضنت حضارة عريقة؛ حيث أمدتها بمختلف العلوم والمعارف، سواء في الطب أو الهندسة أو الكيمياء، أو الأدب...إلخ فصارت بذلك مفتاحا لمختلف الحضارات، مكنتها من أن تكون موضع اهتمام مختلف المراكز العالمية(٣).

كما تتميز اللغة العربية بأنها لغة القرآن الكريم وقد تنبه إلى خصوصياتها فصحاء القوم، منذ أن شغلهم بيانها وسحرها، ثم شغل بها أرباب البلاغة فاستوقفتهم أسرار بلاغتها وتميزها، ثم كانت لغة الحديث النبوي الشريف، وقد أوتي صلوات الله وسلامه عليه جوامع الكلم، وسحر البيان، وكانت لغة الأمثال والحكم والوصايا التي أوجز فيها العرب خلاصة تجاربهم، وسجلوا بواسطتها خلاصة معارفهم وتاريخهم، ثم كانت لغة الشعر الذي رآها العرب ديوانا لهم" الشعر ديوان العرب"، بل كان" علم قوم لم يكن علم أصح منه"، كما كانت لغة التباري والتفاخر بين فصحاء العرب، فكانت الأسواق والمجالس الأدبية ميدانا لذلك، يقول" فيليب حتى":" وهي لغة علوم الأوائل تفسيرا وحديثا وتاريخا ونقدا وبلاغة وفكرا

---

(١)- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، القاهرة، مصر، ١٩٩٩م، القسم١، ص٣١.

(٢)- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، القاهرة، مصر، إبريل١٩٩٦م، ص ٣٩٣.

(٣)- ينظر: عبد العزيز بن عثمان التويجري، في البناء الحضاري للعالم الإسلامي، منشورات المنتظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، (د ط)، الرباط، المغرب، ٢٠٠٠م، ج٤، ص٨١.

وعلماً منذ فتح الرشيد- هارون الرشيد- دار الحكماء، فكانت نافذة حضارية عريقة وعميقة، زادت من حيوية اللغة وعطائها في سياق علاقاتها المتداخلة مع لغات الدنيا، التي أطلِ منها العرب على كل حضارات الأمم المجاورة لهم والمتعايشة معهم، في ظل التغريب الفكري والانصهار الثقافي"[٤].

ولا يخفى على أحد أن العرب قد بلغوا في الماضي" مكانة أذهلت الغربيين بعد أن عربوا علوم الحضارات الأخرى ومعارفها وأراد الغربيون أن يحذوا حذو العرب ويقلدوهم وينقلوا علومهم ومعارفهم ويلحقوا بركب حضاراتهم فوجدوا أنفسهم لما طفقوا ينهضون عاجزين عن محاكاة العرب وبلوغ شأوهم في العلوم والكتابة والبيان"[٥].

وبذلك فقد استطاعت اللغة العربية أن تحمل" رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها، واستطاعت أن تكون لغة الحضارة الإنسانية اشتركت فيها أمم شتى، كان العرب نواتها الأساسيين والموجهين بسفينتها واعتبروها جميعا لغة حضارتهم وثقافتهم، واستطاعت أن تكون لغة الحقائق الرياضية والطبيعية ولغة الحكم والتشريع، ولغة التجارة والعمل ولغة الفلسفة والمنطق، ولغة التصوف، ولغة الأدب والفن"[٦].

هكذا بدأت اللغة العربية كلغة عالمية رحبة، منذ ارتهنت بحضارة صاعدة واعدة، تجاهلت كل فواصل الأجناس والأديان، فغلبت عليها سماحة الأخذ وبراعة العطاء ودقة التفاعل وعمق الجدل، فحاورت وتداخلت، فازدادت ثراءً وعمقا ورحابة و إنسانية، ثم كانت لغة الترجمة التي لم تعجز عن استيعاب الدخيل والمعرب من فارسي ويوناني وسرياني وهندي وغيرذلك، فاتسعت بذلك مساحة التلاقح الثقافي من خلالها، فكانت لغة المؤلفين والمصنعين والمبدعين من جبال البرانس غربا إلى الصين شرقا، وظلت لغة الضاد المتميزة التي تمكن من أصعب حروفها فسحاء القوم ونوابغهم، كما تبدت لغة جليلة وعظيمة في ثوب الحقائق العلمية، فاستوعبت النظريات التي تمكن منه أعلام الفكر العربي. أما عن الدور الريادي الذي تلعبه لغتنا العربية في تحقيق التواصل مع العالم فقد وضحه الأمين العام لجامعة الدول العربية السابق" عمرو موسى" في الكلمة التي ألقاها في المؤتمر السنوي التاسع(اللغة العربية في التعاون الدولي) المنعقد بتاريخ: ٢٠٠٢/١٠/٢٩ م، قال فيها:" نحن جزء من العالم ولا يجب أن ننفصل عنه، ولقد أصبح العالم اليوم كوني

(٤)- رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة، اللغة العربية والتفاهم العالمي، المبادئ والآليات، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٢٢.

(٥)- أحمد السيد محمود، شؤون لغوية، ١٩٨٩م، ص١٦. نقلا عن: عز الدين صحراوي، اللغة العربية وتحديات العصر، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، ع١، أفريل٢٠٠٤م، ص١٢٦.

(٦)- حمد فوزي محمود، اتخاذ العربية لغة تدريس العلوم في التعليم العالي، مجلة اللسان العربي، الرباط، المغرب، ع٢٤، ١٩٨٥م، ص٨٤.

الطابع، متعولم الآلية، إننا نشهد وقائع العالم ساعة بساعة، وننفعل بأحداثه، بل ونشارك فيه إن سلبا أو إيجابا، ومسؤوليتنا هي أن تكون مشاركتنا إيجابية، ودورنا فاعلا خلاقا نشطا ومتجددا، ومن هنا فلا يكفي أن يكون تعاملنا مع اللغة والنصوص والتراث، والرد فقط من منطلق الفخر أو التمتع بالماضي، بل علينا أن نطلق بها على نحو يمنحنا المزيد من المعرفة والقدرة، وأن نعي أن عملية الترجمة من العربية وإليها عملية ضعيفة غير مؤثرة لا تنقل إلينا من العمل ما يكفي، ولا تنقل عنا من الإسهام الحضاري ما يدفع عنا غائلة الاتهام العشوائي بالتخلف بل بالإجرام، وما يؤمن مشاركتنا في هذا العالم بحضور فعال مؤثر ولائق، إذ على مجتمعنا المثقف أن يبني الطريق أمام الناس حتى يتم ترتيب العلاقة فيما بيننا وبين الغير في إطار من العصرنة والتطور والنظرة المستقبلية لا السفلية"(٧).

ويضيف قائلا: "إن اللغة العربية التي استطاعت من خلال امتدادها التاريخي بمرونتها وقدرتها على التفاعل أن تستوعب الثروة الهائلة من الكلمات الأجنبية الموروثة من لغات الشعوب أثناء الفتوحات الإسلامية قادرة- بلا شك- على أن تطوع نفسها لتستجيب لمطالب الحياة الجديدة في مجتمع متحضر على درجة عالية من الرقي، ويدل ذلك على قدرة اللغة العربية على استيعاب الثقافات"(٨).

ثانيا: اللُّغة العربية في العصر الحديث: الواقع والمأمول

شكل القرن السادس عشر الميلاد مرحلة فارقة في تاريخ الحضارة الإنسانية جمعاء، فقد شهد هذا القرن والقرن الذي تلاه بداية نهضة الحضارة الأوربية الحديثة، وبروز ما يسمى بعصر النهضة، أو عصر التنوير حيث نهلت أوروبا الخارجة من ظلمات العصور كثيرا من المعارف العربية والإسلامية، والتي أشرقت أنوارها في بلاد الأندلس، وفي هذا القرن بالذات أذنت شمس الحضارة الإسلامية العربية بالأفول، حيث ضعف شأن العرب والمسلمين، وتضعضع سلطانهم نتيجة تعرض بلادهم للحملات من الصليبيين، الذين ظلوا يتحسبون لاحتمال نهضة الأمة مرة أخرى، فوضعوا نصب أعينهم كل ما يمكن أن يكون سببا لتوحيد الأمة العربية والإسلامية ونهضتها في مرحلة لاحقة، فأدركوا تمام الإدراك أن أفضل وسيلة لسد الطريق وهدم تماسك الأمة، هي هدم وحدة اللغة والدين(٩)، وقد استخدموا في سبيل تحقيق تلك المهمة أساليب خبيثة، وطرق ماكرة، فأثاروا النعرات الطائفية والشعارات العنصرية بين الشعوب العربية والمسلمة،

(٧)- رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة، اللغة العربية والتفاهم العالمي، المبادئ والآليات، ص٢٣.

(٨)- المرجع نفسه، ص٢٤.

(٩)- يقول "صموئيل هنتنغتون" عن علاقة اللغة بالدين: "اللغة والدين هما العنصران المركزيان لأية ثقافة أو حضارة، وإذا كانت هناك حضارة آخذة في الانبثاق، فإنه ينبغي أن توجد اتجاهات نحو انبثاق لغة عالمية وديانة عالمية". ينظر: صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: د/ مالك أبو شهيوة و د/ محمود خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ليبيا، ١٤٢٩هـ/١٩٩١م، ص١٣٣.

وحاولوا هدم وحدة اللغة بتشجيع اللهجات العامية المحلية، وإحلالها محل العربية الفصيحة الصحيحة، وبدأت تلك الدعوات في ثمانينات القرن الثامن عشر ميلادي، فأخذ دعاتها يروجون لفكرة كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها عامة الناس، إلا أن كل تلك المحاولات باءت بالفشل ولله الحمد والمنة[١٠].

إن الحديث عن واقع اللغة العربية في عصرنا الحديث، يوحي لدى الكثير منا أن اللغة العربية باتت قاصرة عن أداء مهامها والتعبير عن مستجدات العصر، وغير قادرة على دخول ميدان المنافسة مع اللغات الأجنبية الأخرى التي يروجون لها، لكن الأمر أصعب مما يتصور هؤلاء" إذ لو دقق الناظر في أحوال لغات الأمم الكثيرة والمختلفة لعثر على أن اللغة العربية تتصف بما لا تتصف به غيرها من اللغات؛ بالثبات والاستقرار والصمود، لذلك عندما نتحدث عن اللغة العربية في هذا المجال يتراءى لنا أن هذه اللغة المتميزة لم تخضع للتغير والتحول والتبدل الذي أثر في اللغات الأجنبية الأخرى، مثل ما حدث في اللغة الإنجليزية على سبيل المثال"[١١].

وعلى الرغم من كون التطور سنة جارية على كل اللغات، وأكثر مظاهر هذا التطور يكون في الدلالات" إلا أن العربية ظلت محتفظة بكل مستوياتها (اللغوية / الصرفية / النحوية / الدلالية) وما تطور منها كان في إطار المعاني الأصلية وعلى صلة بها، والمحافظة على الأصل الدلالي مع تطور الزمن له فائدة لا يستهان بها، فتواصل الفهم بين الأجيال للنصوص القديمة وتراث الأمة أمر له من الأهمية بمكان، ويزداد إدراكنا لأهمية الاستقرار اللغوي الذي تتميز به اللغة العربية إذا ما تأملنا التغير السريع الذي يلاحق اللغة الإنجليزية – لغة الحضارة المعاصرة – فنصوص الإنجليزية القديمة التي مر عليها قرابة ثلاثة قرون أصبحت صعبة الفهم على الإنجليزي المعاصر[١٢].

وقد عبر" أرنست رينان" عن إعجابه بالخصائص العجيبة والدرر الفريدة التي تتميز بها اللغة العربية عن باقي اللغات، بقوله:" من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال سلسة أي سلاسة، غنية أيما غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول

(١٠)- لمزيد من التفصيل ينظر: عبد المجيد الطيب عمر ومحمد أبو موسى، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، دراسة تقابلية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة أبحاث الحرمين العالمية، ط٢، المملكة السعودية، ١٤٣٧هـ، ص٧٥-٧٦.

(١١)- ونوغي إسماعيل، مجد اللغة العربية وراهنها، ضمن كتاب: العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص ٨٤٩.

(١٢)- ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م، ص٢٣-٢٤.

أمرها تامة مستحكمة ولم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى"[١٣]. وأضاف قائلا:" ومن أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغيير يذكر، حتى أنه لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شيئا عن هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج، و بقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة"[١٤].

لكن رغم ذلك، فإن اللغة العربية تعيش اليوم اضطرابا ليس له مثيل، سواء على المستوى الفكري أو الثقافي أو الاجتماعي أو السياسي، إذ ليس لدينا" ثوابث فكرية نلتقي عليها ونعود إليها لتوحيد الرؤى، أو تقريب مسارات هذه الرؤى في الحاضر، ولرسم خطوط متناسقة متآلفة ذات خواص عربية مميزة للمستقبل، محرومون من التوافق والانسجام الثقافي والاجتماعي، ثقافات من أنماط غير متآخية، مولدة من أصول شتى، ونازعة إلى توجهات ومرام مختلفة، قوم يهرولون نحو التغريب بحجة التجديد والتنويع والتحضير، وقوم مشدودون إلى الموروث القديم، دون تبصر أو إدراك لطبيعته أو ظروفه الزمانية، ولا يحاولون فتح النوافذ لاستنشاق الهواء المتجدد، وأقوام – وهم الكثرة الغالبة – واقفون حيث هم، لا يدركون لأنفسهم موقعا أو مكانا في معترك الحياة الفائرة الثائرة، راضين قانعين بهذا التهميش إلى أن تهب الرياح فتزحزحهم – كلهم أو بعضهم – إلى يمنة أو يسرة، حسب قوة الرياح الدافعة إلى هذا الجانب أو ذاك، وحسب ما تنظمه من دعاوى أو إغراءات تدفع بغير الواثقين على واحد من القبيلين أو تقربهم من ساحته"[١٥].

" ونحن اليوم، والأمة العربية تقرع أبواب القرن الحادي والعشرين، وقد أثخنتها الجراح، وأثقلتها الحروب المصطنعة والهزائم المصممة، والاستسلام المهين أمام العدو، لنجد من واجبنا أن نعيد النظر في السياسات اللغوية في جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والتربوية، وليس ذلك لأنها تحدد هويتنا الحضارية فحسب، ولكن باعتبارها العنصر الأساس للتقدم العلمي والمشاركة المبدعة في بناء الحضارة الحديثة، وإن هذا الدور الفكري والعلمي الرائد الذي قامت به العربية في تاريخها الزاهر ولعدة قرون، هو الدور الذي تدعى

(١٣)- أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة، (د ط)، بيروت، لبنان، (د ت)، ص٢٥.
(١٤)- المرجع نفسه، ص٢٥-٢٦.
(١٥)- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، القاهرة، مصر، ١٩٩٩م، القسم١، ص٢٧.

إليه في هذا العصر من أجل نهضة علمية وفكرية تعيد للأمة العربية مكانتها بين الأمم، وتحررها من ربقة التبعية الفكرية وتنقذ كياناتها المتهافتة من الضياع والاندثار"[١٦].

وليس يخفى على أهل التدقيق و التحقيق أن اللغة العربية تتأثر تأثرا كبيرا بواقع أهلها، وقد ذكر ذلك قديما" ابن حزم الأندلسي "(ت٤٥٦ هـ) حين قال:" فإن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمو وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة"[١٧].

وهنا يجب أن نقر بوجود فجوة عميقة بين واقع اللغة العربية المعمول وأفقها المأمول" ولعل الفرق بين الموقفين يكمن في هذه الفجوة التي هي داء الحقيقة: كونها لا تحمل هدفا، وأن دعاة هذه الفجوة يحملون قناعة مضللة مفادها أن العجز والتخلف مضروب علينا بواسطة هذه اللغة، وكأننا بأنصار هذه الدعوة المغرضة – التي تحمل مقاصد خلفها ميول وأهواء – لا يرون أبعد من أنوفهم، بعد أن أعرضوا عن الحق وأقبلوا على الباطل، فتصوروا أن الأفكار والثقافات يمكن أن تستورد كما تستورد البضاعة الاستهلاكية، وأن اللغة الأجنبية هي النموذج المثال، ومن دونها نعيش في تخلف بينما هم في حقيقة الأمر يحلقون خارج السرب، وخارج نسيج النسق الثقافي المتجذر؛ لأن واقع الثقافة أكبر من جذر اللغة العربية واستئصالها، وأكبر من اكتساب لغة أجنبية لا تحمل سمات المجتمع، ولا تطبع خواصه"[١٨].

ومن أهم المخاطر التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث هو تسميتها بـــ" العربية المعاصرة"، وهذه التسمية تحمل في طياتها أمرين خطيرين هما[١٩]:

---

(١٦)- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والإبداع الفكري والعلمي في العصر الحديث، على الرابط التالي: www.arabicadmy.org

(١٧)- ابن حزم الأندلسي-(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت٤٥٦هـــــ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، (د ط)، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١، ص٣٢.

(١٨)- عبد القادر فيدوح، رهانات اللغة العربية في ظل العولمة، ضمن كتاب: العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص ٨٢٨.

(١٩)- ينظر: كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، ق١، ص٣٤.

الأول: تعني هذه التسمية تفكيك جسم العربية وتوزيع أوصالها على فترات الزمن المختلفة، بحيث يصبح لكل فترة "عربية مستقلة" من نوع ما، انقضى زمنها وأدت دورها في زمنها هذا الذي حددوه لها، فيمكن اطراحها جانبا، وحسبانها أثرا من الآثار انقضت فعاليته وانتهى التفاعل أو التعامل معه.

الثاني: أن هذا المصطلح "العربية المعاصرة" مصطلح غامض، غير محدد المفهوم، وقد يعني انتظامه لأنواع أو أشتات من الكلام المعاصر، في صورة لهجات ورطانات "عربية" تملأ السوق اللغوية في البيئة العربية.

ثالثا: اللُّغة العربية والعولمة:

تواجه اللغة العربية اليوم في عالم العولمة وما بعد العولمة تحديات جمة ومخاطر عدة تستهدف الناطقين بها أول ما تستهدف، وبدلا من أن "نقيم التماثيل من الثلج ثم نشكو أنها تذوب"، كما يقول المثل الألماني، وأن نقيم التماثيل من الصخر ثم نعجب أنها لا تنطق، ولا تتحرك، نرى أن اللغة ليس لها ما تفعله للدفاع عن نفسها، فهي رهينة أهلها وكل عبء أو تحد يطرحه العصر عليها إنما هو عبء وتحد مطروحين على أهلها أساسا، فاللغة كالسيف، لك أن تغمده وتناه التماسا للنجاة، وحين تصحو تسرف في التبرير وإلقاء اللوم على سيفك الذي هو لغتك، وكأنه هو المسؤول الأول عن انكسارك ونكوصك، ولك أن تشهره معلنا وجودك وكيانك ورصيدك المعرفي والثقافي / الحضاري.

وها هي العولمة بكل ما تحمله تطرح مشكلات وتحديات كثيرة أمام اللغة العربية كما تطرحها على غيرها من اللغات الأخرى الأجنبية، تحديات تتعلق بالهوية والتنمية، بما يستوجب على كل أمة من الأمم تأهيل نفسها ضد هذا التحدي بغية بناء مستقبلها العلمي والمعرفي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي (٢٠).

١- مفهوم العولمة:

حاول بعض الدارسين إعطاء تفسير واضح لظاهرة العولمة، فانقسموا بذلك إلى اتجاهات ثلاثة هي:

الاتجاه الأول: يفسر العولمة بأنها:

أ- ثورة سيكولوجية وتكنولوجية، ومعلوماتية عالمية.

(٢٠) - ينظر: هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٩-٢٠.

ب- العولمة عبارة عن تجلٍ لمجموعة من الظواهر الاقتصادية.

ج- العولمة جاءت كنتيجة حتمية للإمبريالية الأمريكية وهيمنتها.

الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أن العولمة كظاهرة عبارة عن عملية تاريخية جاءت كنتيجة للترابط والتداخل بين سياسات الدول الرأسمالية واقتصادياتها.

الاتجاه الثالث: يذهب أصحاب هذا الاتجاه- وهو الراجح- إلى أن العولمة عبارة عن قيم ومبادئ وأفكار تحوي في طياتها الهيمنة والاستكبار والسيطرة ونهب ثروات الشعوب؛ بمعنى أنها تحمل مفهوما برغماتيا / نفعيا بامتياز[٢١].

ويذهب الباحث " أحمد عبد السلام " إلى القول بأن مصطلح العولمة يفيد " مفهومين أساسين: ففي الجانب النظري تعني العولمة تطوير الأسس والأصول المهمة الكفيلة بتشكيل العالم المعاصر في وضع يحقق ويسير تنقل السلع بين المجتمعات، ومن الجانب العملي (التطبيقي) تشير إلى الاتصالات المتبادلة للنشاط الإنساني على المستوى العالمي، وإلى التنقلات التي لم يسبق لها مثيل لرؤوس الأموال والعمالة والتقنية، والمؤسسات، والمهارات، والخبرات، والأفكار، والقيم عبر الحدود القومية والدولية، وتتم هذه التنقلات بطريقة لا يتيسر للقوميات والدول توجيهها، والتصرف فيها بصورة مجدية "[٢٢].

ويذهب الباحث " عبد الكريم بكار " إلى أن العولمة عبارة عن:" ظاهرة من الظواهر الكبرى، وأنه يصعب وصف هذه الظاهرة ذات الأبعاد والتجليات المتعددة "[٢٣].

وقد استقر في عرف الدارسين أن المقصود بالعولمة في إطارها العام، هو ذلك " النظام العالمي الجديد القائم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات، والإبداع التقني غير المحدود، دون

(٢١)- ينظر: رشيد حليم، العولمة وظيفتها ومقامها في عصر العولمة، ضمن كتاب: العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص٨٦١.

(٢٢)- أحمد عبد السلام، العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ع٦٠، شوال- ربيع الأول ١٤٢٢هـ/ كانون الثاني حزيران ٢٠٠١م، ص١١٨.

(٢٣)- عبد الكريم بكار، العولمة، طبيعتها، وسائلها، تحدياتها، التعامل معها، دار الأعلام للنشر والتوزيع، ط٢، عمان، الأردن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١، ص١١.

الأخذ بعين الاعتبار الحضارات والقيم والثقافات والأعراف والحدود الجغرافية والسياسية السائدة في العالم قاطبة"[٢٤].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول العولمات وأقدمها في تاريخ الحضارات البشرية هي(عولمة اللغة)، لكونها نقطة النهاية في طبيعة الحياة الإنسانية القائمة على صراع الأفكار، والمصالح وسيادة الـ(أنا) على حساب الآخرين، فتصادم الحضارات عبر التاريخ التليد لم يكن دائما بدوافع اقتصادية، أو دينية أو قومية بحتة، وإنما كانت اللغة بوصفها روح الأمة- شانها في ذلك شأن الدين- الناطقة بها وهويتها، ومكمن عزتها وتاريخها، وحضارتها، وثقافتها، ومبادئها، وأفكارها، وقيمها أساسا حاسما في الصراع، أو الحوار بين البشر، والانتصار في اللغات إنما يمثل بداية لتاريخ الغالب، وإنجازا لرحلته الحضارية كلها، وتمكنه من فرض نفسه سيدا على العالم ككل، وعلى الجميع الاعتراف به، وبتفوقه واكتماله ونضجه، ونهاية لتاريخ المغلوب وجودا، وهوية، وثقافة، وحضارة، وقيما، ومعتقدا[٢٥].

ويقصد بعولمة اللغة" تجاوز اللغة مجالها الاقليمي والمحلي إلى بلدان أخرى ومناطق بعيدة جغرافيا، بحيث يتحدث بها أفراد ومجتمعات خارج نطاقها، وقد أدى هذا إلى تواصل أبناء هذه المجتمعات بلغات أخرى غير لغتهم الأصلية التي تعبر عن ثقافتهم وأرضهم ودينهم، ومن ثمة اختفت هوية المجتمعات اللغوية"[٢٦]. وبذلك فإن العولمة اللغوية تعتبر أخطر أنواع العولمة؛ لأنها تؤدي إلى هيمنة اللغة الإنجليزية والثقافة الأمريكية على غيرها من اللغات والثقافات.

وفاقا لما مضى، يمكن القول بأن العولمة عبارة عن ظاهرة حديثة نسبيا، تشير إلى محاولات تحجيم العالم ودمجه، من خلال محاولة التقليل من أهمية الحدود الجغرافية والسياسية، وتتيح إمكانية الاتصال والتواصل بين الأفراد والجماعات، نشأت في مجال الاقتصاد، وتعدته إلى المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية، وساعد على انتشارها ثورة تكنولوجية واجتماعية، ورغبة سياسية، وتمثل في أحد جوانبها هيمنة للقيم الغربية بصفة عامة، والأمريكية بصفة خاصة[٢٧].

٢- الفرق بين العولمة والعالميَّة:

(٢٤)- علاء الدين ناطوريه، العولمة وأثرها في العالم الثالث، التحدي والاستجابة، دار زهران للنشر والتوزيع، (د ط)، عمان، الأردن، (د ت)، ص٩-١٠.

(٢٥)- لمزيد من التفصيل ينظر: هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، ص٧.

(٢٦)- عصام عيد فهمي وعثمان أبو غربية، العولمة وأثرها على اللغة العربية، ص٤٣٠.

(٢٧)- ينظر: رضا عبد الواحد أمين، الإعلام والعولمة، دار الفجر، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧م، ص٥٥.

تختلف العولمة عن العالمية في كونها- أي العولمة- " تستغرق العالمية وتشملها؛ لأنها مفهوم مطاط يتضمن السيولة في مجالات الأفكار والمعلومات، والمنتجات السلعية بما فيها الصناعات الثقافية والقدرة على التأثير السياسي والمالي "(٢٨).

ثم إن " نشدان العالمية في المجال الثقافي طموح مشروع ورغبة في الأخذ والعطاء[...]؛ لأن العالمية إغناء للهوية الثقافية، أما العولمة فهي اختراق وتمييع[...] والعالمية تفتح على الثقافات الأخرى، واحتفاظ بالاختلاف العقائدي، أما العولمة نفي للآخر، وإحلال للاختراق الثقافي "(٢٩).

٣- سلبيات العولمة على اللغة العربية:

لعل من أظهر السلبيات التي تركتها العولمة على لغتنا العربية ما يلي(٣٠):

١- طغيان اللغة الإنجليزية على حساب اللغة العربية: يعد طغيان اللغة الإنجليزية في التحاور الحضاري والتبادلات التجارية، وإقصاء غيرها من اللغات- وعلى رأسها العربية- من أهم الآثار السلبية للعولمة، وقد شاع استعمال اللغة الإنجليزية في مواقف اجتماعية واقتصادية عديدة، وفي تخصصات علمية تقود الولايات المتحدة فيها، وفي العلاقات الشخصية بين الأفراد المنتمين إلى تلك اللغات، وقد بلغ من هيمنة اللغة الإنجليزية في المجال العلمي أن تمسكت كثير من الجامعات في الدول العربية بتدريس التخصصات العلمية والتطبيقية باللغة الإنجليزية، وقد صار التعليم باللغة الإنجليزية تقليدا علميا في أغلب الجامعات العربية.

وهنا ينبغي أن نشير إلى نقطة مهمة، وهي أنه قد مضى على بعض جامعاتنا العربية قرابة القرن من الزمان وهي تتخذ من الإنجليزية- وكذلك الفرنسية- لغة للتدريس والبحث العلمي، فنجد أنفسنا مضطرين اضطرارا لتكرار مجموعة من الأسئلة المهمة التي طرحها الباحث " عبد الكريم خليفة " من قبيل " ماذا أضافت هذه الجامعات والمؤسسات العلمية التي تتخذ من اللغات الأجنبية لغة للتدريس الجامعي والبحث العلمي؟ ماذا أضافت- هذه اللغات- من جديد إلى المعرفة الإنسانية؟ ماذا أبدعت من

---

(٢٨)- محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط١، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص٣٦٩.

(٢٩)- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، تقييم نقدي، ص٣٠١. نقلا عن: ممدوح محمد خسارة، العولمة الثقافية واللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٨، ج٢، جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ/نيسان ٢٠١٥م، ص٢٨٧.

(٣٠)- إذا أردت تفصيلا ومزيد بيان، ينظر: أحمد عبد السلام، العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية، مرجع سابق، ص١٣٤ وما بعدها. وينظر: هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، ص٢٢. وينظر: رشيد حليم، العولمة وظيفتها ومقامها في عصر العولمة، ص٨٦٢-٨٦٣. وينظر: صالح بلعيد، هموم لغوية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٢م، ص٣٧ وما بعدها.

نظريات؟ ماذا اخترعت من تقنيات؟ بل ماهي نسبة مساهمتها الأصلية في الفكر العلمي العالمي؟"[٣١].

وإذا كانت الإجابة عن هذه الأسئلة تبدو معروفة وبديهية، فإنها تؤكد حقيقة لا مراء فيها، وهي" أنه لا سبيل لأن تحقق هذه الأمة إبداعا علميا، أو مشاركة حقيقية في بناء المعرفة الإنسانية في ظروف تغييب اللغة الأم، لغة للتعليم والتعلم والبحث العلمي، ولغة للمعاملات الرسمية والإعلام"[٣٢].

٢- تشكيل خطر دائم على الهوية اللغوية والثقافية العربية: إذا علمنا أن النمط الثقافي المسيطر في العولمة هو النمط الغربي الأمريكي، فإن ذلك يقتضي تهميش غيره من الأنماط الثقافية، وقد تبين أن أسوء ما في العولمة هو أن يكون كل شيء متشابها في هذا العالم، ولو رجعنا إلى اللغة العربية لألفيناها تؤدي دورا أحادي الأنماط والممارسات التعبيرية، والخطابية، والتي تؤدي بدورها إلى تشكيل حلقة مفقودة بين العرب والمسلمين وتراثهم الزاخر بالمآثر.

٣- تشجيع العاميات على حساب اللغة العربية الفصحى: هنا نقصد بالعاميات اللغات التي يتحدث بها عامة الناس في حياتهم اليومية ومعاملاتهم، للتعبير عن أغراضهم المختلفة، وهذه الظاهرة شائعة في أكثر اللغات،" والعامية ليست صفة من صفات العربية كاللهجة، ولكنها لغة ثانية تعيش على حساب الفصحى وتزاحمها، احتلت مكانها على ألسن الكثيرين ويراد لها أن تحتل مكانها على الأقلام، وإن من أكبر المغالطات وأخطرها أن يدافع عن اللهجات وهي صفات بصدد الدفاع عن العامية، وإقناع الناس بها ودعوتهم إليها، وهي لغات، واللهجة عندنا لا تعني اللغة ولا تشكل خطرا على اللغة، وإنما هي صفة أو أوصاف صوتية تتصف بها لغة منطقة من المناطق"[٣٣].

والدعوة إلى العامية دعوة قديمة" لا تخلو من الغرض السياسي الدنيء، وهو محاولة عزل الأقطار العربية بعضها عن بعض[...] وهذه لا شك دعوة هدامة غرضها تفتيت وحدة الأمة العربية "[٣٤]. ومن ناحية أخرى" يعد نشر اللهجات العامية وسيلة غير مباشرة لمحاربة الإسلام عن طريق إفساد لغته التي هي

(٣١)- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، دار الغرب الإسلامي، (د ط)، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ص١٣.

(٣٢)- عبد المجيد الطيب عمر ومحمد أبو موسى، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، دراسة تقابلية، ص٧٨.

(٣٣)- مازن المبارك، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، (د ط)، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص٤٠-٤١.

(٣٤)- كاصد ياسر الزيدي، فقه اللغة العربية، دار الفرقان، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م، ص٧٢.

لغة الإسلام الرسمية في العقيدة والتشريع والتربية والنظام؛ لأن التشكيك في جانب من جوانب هذا الدستور، أو إحداث أي ضعف أو خلل فيه يؤثر تأثيرا كبيرا في كيان رسالة الإسلام ونظامه الخالد"[٣٥].

٤- خلق طبقة من أحادي اللغة في المجتمع العالمي: حيث إن هذه الطبقة تحاول استغلال معرفتها بهذه اللغة في الاتصال الثقافي والتجاري والمعرفي، واستغلال القوى اللغوية الناتجة عن معرفة اللغة العالمية بوصفها لغة أولى في التفوق على الآخرين في مختلف المجالات، حيث يستعمل أصحابها الأصليون المدة الزمنية التي يقضيها غيرهم في إجادة اللغة وتبيين المحتويات الدلالية للمعاهدات في هضم المادة العلمية، وكذا الاسهام في التقدم العلمي. ومعلوم أن هيمنة لغة واحدة على المشهد العالمي سيؤدي حتما إلى" تجاهل التنوع الثقافي واللغوي، وعدم احترام الخصائص الثقافية المميزة لمعظم سكان العالم، والهدف من هذه العملية تغيير أنماط الحياة والتقاليد والتحكم فيها لتصبح نسخة طبق الأصل من النمط الغربي، وصياغة العولمة لتمثل الثقافة العالمية التي ينبغي أن تقلد في جميع أنحاء العالم، وبذلك فقد أصبحت المعتقدات الدينية والثقافية مهددة في عالم العولمة".

٥- انتشار الممارسات الأجنبية الشائعة في الخطاب الاجتماعي والثقافي والفكري العربي: قد لا يكون واقعيا إنكار حدوث تطور في مفردات اللغة العربية وأساليبها، بيد أنه لا يصلح أن يكون معظم مظاهر هذا التطور من إملاء خارجي، ولا يحسن أن يشيع استخدام أساليب انجليزية أو فرنسية في أصوات وصيغ وقواعد نحوية عربية، كما لا يعقل أن يكون الخطاب العربي صدى للخطاب الغربي الحاقد.

٦- عدم قدرة وسائل الإعلام على مسايرة مستجدات اللغة العربية: هنا يجب الاعتراف بأن وضع اللغة العربية في وسائل الإعلام المختلفة غير مريح، فالإعلامي- بصفة عامة- يملك مستوى ضعيفا في اللغة، ونعرف أن لوسائل الإ علام دورا مهما في إطار تنمية اللغة، ومن الممكن ان تكون الرسالة الإعلامية كفيلة بالنهوض بالمستوى اللغوي على نحو يمكن من خلاله تحقيق ما يسمى بالوحدة اللغوية في إطار التراث والمعاصرة. وعليه" فلا معنى للعولمة ما لم تبن مشروعا لتنمية الحضارات والثقافات من خلال الحوار فيما بينها، من خلال وسائل الإعلام المعاصر يجمع ولا يفرق، يعمل على التوحيد ولا يعمق الاختلاف، وإذا كانت هذه الوسائل تشبع رغبة الناس في اكتشاف آفاق ثقافتهم وهويتهم"[٣٦].

(٣٥)- حسن ملا عثمان، طرق تدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١١.

(٣٦)- أحمد فتحي سرور، الإعلام المعاصر والهوية العربية، مجلة البرلمان العربي، السنة٢٦، ع٩٣، نيسان (أبريل)- أيار (مايو) ٢٠٠٥م.

٤- إيجابيات العولمة على اللُّغة العربية:

إنه وعلى الرغم من السلبيات التي أفرزتها العولمة على اللغة العربية إلا أنه يمكن الإفادة والاستفادة من معطياتها في النهوض بالثقافة العربية بصفة عامة واللغة العربية على وجهٍ أخص والانتقال بها إلى آفاق أرحب" ذلك أنها تتيح لنا اختزال الوقت والجهد حيث يمكن الوصول إلى العولمة والإفادة من المعرفة آنيا وكوكبيا، وأن ننشر ثقافتنا في الوقت الذي تنقل فيه إلينا ثقافة الغير"[٣٧]. ومن أهم الآثار الإيجابية للعولمة على اللغة العربية نذكر ما يلي[٣٨]:

١- تعليم اللغة العربية بالتقانات الحديثة(الفيديو/ الحاسوب/ الشابكة): فقد مكنت تقانات العولمة بعض المؤسسات التعليمية العربية من إنجاز برامج إلكترونية لتعليم اللغة العربية تعتمد على تلك التقانات، وهنا ينبغي أن نشير إلى ثلاثة إنجازات تحققت بفعل ذلك هي:

الأولى: سلسلة العربية للجميع: وقد وجهت هذه السلسلة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وقد تضمنت هذه السلسلة ستة برامج هي:

- وضع منهج علمي متكامل لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- تصميم موقع على الشابكة لتعليم ذلك المنهج بواسطتها.
- إنتاج أقراص مدمجة تتضمن المنهج.
- برامج تلفزيونية للمنهج.
- برامج إذاعية للمنهج.
- برامج دورات متخصصة لتدريب متعلمي اللغة العربية على تطبيق ذلك المنهج.

الثانية: مشروع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية: وهذا المشروع مثل سابقه عبارة عن سلسلة تعليمية للغة العربية، ويحتوي على نسخة ورقية وأخرى إلكترونية، وموجهة بشكل أساسي لتعليم الأجانب.

(٣٧)- شفيق الأخرس، العرب والعولمة ما العمل؟ ضمن كتاب: العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ص٤٥٤.

(٣٨)- ينظر: ممدوح محمد خسارة، العولمة الثقافية واللغة العربية، ص٢٨٩ وما بعدها.

الثالثة: مشروع برمجيات تعليمية في اللغة العربية: وهذا المشروع قام به المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجية في دمشق، وقد تضمن هذا المشروع برنامجا لتقديم المباحث النحوية بالوسائل السمعية البصرية مع تدريبات على المهارات اللغوية لمعرفة مدى استيعاب الطالب للمادة العلمية المعروضة أمامه، وقياس مدى كفايته اللغوية المكتسبة.

٢- حوسبة اللغة العربية: هنا يجب الإقرار بوجود جملة من التحديات التي تواجه اللسانيين العرب في سبيل إدخال العربية إلى عصر الهندسة اللغوية، بجعلها من اللغات الحاسوبية، ولرفع هذا التحدي يجب على اللسانيين العرب أن يستفيدوا مما تقدمه العولمة، وعليهم "أولا: أن يحبكوا اللسانيات الوصفية تنظيرا ونمذجة لا استجلابا للمفاهيم واستنساخا للأقوال، وثانيا: أن يتقنوا اللسانيات النفسية التي تجعل من ارتباط الاطرادات الملحوظة في نسق العربية باطرادات متوقعة في الإواليات الذهنية لمستعمل اللغة وسيلة إلى الإسهام في تصنيع الذكاء ومكننته، وثالثا: أن يوطنوا النفس على لزوم التعاون العلمي مع ذوي التخصصات المشاركة، منها الرياضيات اللسانية في جانبها المهتم بصياغة قواعد اللغة العربية صياغة صورية باستعمال اللغة الرياضية، ومنها البرمجة الحاسوبية بهدف تقريب تركيب العربية في لغات البرمجة الحاسوبية"(٣٩).

وهنا يجب الإشارة إلى الإشكالية التي تواجه المختصين في حوسبة اللغة العربية والتي تتعلق بالحرف العربي، إذ يجب النظر إلى هذه الإشكالية من جانبين" فمن الجانب اللغوي تتمحور هذه الإشكالية حول الحرف العربي على مستوى الخزن والمعالجة والإدخال والإخراج، كما تهتم الكلمة والجملة، وبصفة أعم معالجة اللغة العربية على مستوى الجذور والتراكيب، أما من الجانب التقني والني فالإشكالية تتمثل في توفر أجهزة ومعدات تتعامل مع الحرف العربي بصفة طبيعية، ونظم تأخذ بعين الاعتبار خاصيات اللغة العربية بما في ذلك من حروف وقواعد معالجة الكلمة والجملة، لنصل إلى مشكل المصطلحات وضرورة وضع مواصفات ومقاييس لكل ذلك"(٤٠).

بناء عليه، يمكن القول:" إن تطوير المحتوى الرقمي العربي يرتبط بطبيعة الأسس الإبستمولوجية الناظمة للدرس اللساني العربي، وقدرته على مواكبة التحولات المعرفية الحاصلة في هذا المجال، واستلهامها خلال عملية بناء نماذجه وموارده وفق مستلزمات التكامل الدائري للعلوم المعرفية، وإقامة الروابط

(٣٩)- محمد الأوراغي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، منشورات ضفاف، دار الأمان، ط٢، الرباط، المغرب، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص١٣.

(٤٠)- مجموعة مؤلفين، استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، تونس، ١٩٩٦م، ص٦.

والجسور من أجل تثبيت البراديغم الأمثل، الذي يمكن اللسانيات من الإندماج والتهجين مع البراديغمات العرفانية الأخرى"[٤١].

وقد بدأ التفكير الفعلي في توظيف الحاسوب لدراسة اللغة العربية في جامعة الكويت عام١٩٧٠م، وشهد عقد التسعينات صحوة قوية وعرف اهتماما متزايدا في استخدام اللغة العربية في البرامج الحاسوبية وتطبيقاتها، وفي تعليم للغة العربية وتعداد الكلمات والحروف، والتحليل الكمي، والتصنيف اللغوي، واستخدام معالج النصوص في تخوين القرآن الكريم في ثلث حجمه الأصلي، ينضاف إلى ذلك برامج السنة النبوية والأحاديث الشريفة، وغيرذلك من المواضيع المهمة[٤٢].

٣- حفظ اللغة العربية ونشرها عبر الشابكة العالمية(الأنترنت) وإغناء المحتوى الرقمي العربي: شكلت العولمة تحدّيا للغات العالم، وهو الكتابة على الشابكة العالمية التي تنافس بحدة الكتابة الورقية وهو ما يسمى بـــ" المحتوى الرقمي"، وقد استفادت لغتنا العربية بدورها من هذه التقانة العولمية من أشياء ستسهم- دون شك- في الحفاظ عليها وعلى تراثها، فلم يعد بدٍ للقلق عليها بعد تراجع النشر الورقي أمام النشر الإلكتروني، وتزخر الشابكة العالمية في وقتنا الراهن بمئات الآلاف من الكتب، والملايين من النصوص العربية، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

أ- المكتبات الإلكترونية: في هذا الشأن قامت بعض المؤسسات الدعوية أو الثقافية بوضع برامج (المكتبة الإلكترونية الشاملة) وهذه المكتبات تقوم بتخزين نحو عشرين ألف كتاب مرجعي في شكل أقراص مدمجة وتحميلها على الشابكة، وقد زودت هذه المكتبات ببرامج بحث يستخرج للقارئ الكلمة التي يريدها أو يبحث عنها من أي كتاب من الكتب التي تتوافر عليها المكتبة أو فيها مجتمعة.

ب- الموسوعات الشعرية: وهذه الموسوعات مخزنة في شكل أقراص مدمجة، تضم نحو أربعة ملايين بيت شعري قديم وحديث، معظمها مضبوط بالشكل، وقليل منها مقروء يمكن القارئ من الوصول إلى مبتغاه، انطلاقا من كلمة في البيت أو اسم الشاعر، كما أنها- أي الموسوعات الشعرية- مزودة بمعاجم لغوية تستعمل لشرح المفردات الغامضة.

(٤١)- علي بولعلام، المحتوى الرقمي العربي، الهندسة اللسانية وأفق الثورة الرابعة، ضمن كتاب: اللسانيات العربية: رؤى وآفاق، إشراف وتحرير: حيدر غضبان، تقديم: أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، الأردن، ٢٠١٩م، ج٣، ص٢٢٣.

(٤٢)- ينظر: عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي، اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، دار ابن النحوي للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، المملكة السعودية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص١٠٧.

ج- بنوك المصطلحات العربية: يوجد في العالم نحو(١٥٠) بنكا للمصطلحات، والبنوك الرئيسية فيها تخزن المقابلات العربية لمصطلحاتها، وهي تعد بالملايين.

لكن ورغم التحديات التي تواجه اللغة العربية في الشابكة العالمية، إلا أنه يمكن تذليل هذه الصعوبات مع مرور الزمن، ذلك أن" التحديات اللغوية الفنية على الشابكة تقل مع الزمن، وقد تم تجاوز أغلبها إن لم يكن كلها"(٤٣). أضف إلى ذلك أن" مستقبل اللغة العربية يرتبط باستخدامها المتزايد والجاد في شبكات المعلومات العالمية[...] ولن يمر وقت طويل حتى نجد العربية قد اتخذت مكانها في شبكات المعلومات"(٤٤).

٤- تنمية اللغة العربية وعصرنتها: استطاعت لغتنا العربية أن تولد من جذورها اللغوية، ومن كلماتها ما يصلح للتعبير عن هذه المرحلة الحضارية وعلومها، فإن صعب التوليد توجهت إلى التعريب اللفظي، ومن هذه المولدات التي أثرت العربية كلمات من مثل:(الجوال/ الخلوي/ الرسالة النصية/ التواصل الاجتماعي...)، ويمكن أن نعدد من الكلمات الجديدة في هذا العلم ما يزيد على سبعة آلاف مصطلح.

٥- ظهور الطاقات الفكرية والأدبية: بعد أن كانت دور النشر الحكومية تحجر النشر إلا على ما يوافقها ويوافق الأنظمة الحاكمة التابعة لها، فقد فتحت العولمة الباب على مصراعيه لكل الكتاب، وغالبا ما تكون كتابات هؤلاء الكتاب بلغة عربية فصيحة صحيحة.

رابعا: قدرة اللُّغة العربية على استيعاب تطورات العصر:

تواجه اللغة العربية في عصرنا الحالي تحديات جمة فرضتها العولمة؛ ففي ظلها -العولمة- يتجاذب اللغة العربية طرفان" هما: ضغوطات العولمة التكنولوجية، لا سيما وأن اللغة العربية تفتقر إلى سياسة لغوية تقنية تساعدها على الانتشار شأنها في ذلك شأن اللغة الإنجليزية، حيث أصبحت تكنولوجيا الاتصال الحديثة تعتمد في معظمها عليها، فأصبحت اللغة العربية بذلك عالة على اللغات الحديثة التي نالت المكانة العلمية بفضل الفكر العلمي والرياضي والمنطقي الذي سيطر على نخبها ومفكريها، وبالتطبيقات التقنية التي مست منظومتها الفكرية[...] أما الطرف الثاني فهو ضغوطات العولمة الايديولوجية التي تسعى إلى تهميش الثقافات الأخرى، وإلى إلغاء الحواجز اللغوية لصالح لغة الطرف

(٤٣)- مأمون حطاب، ندوة اللغة العربية والتقنيات الحديثة بالمجمع الأردني، ص١٧٠. نقلا عن: ممدوح محمد خسارة، العولمة الثقافية واللغة العربية، ص٢٩٧.

(٤٤)- عبد العزيز التويجري، اللغة العربية والعولمة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، (د ط)، ٢٠٠٨م، ص٢١.

المهيمن، والعمل على إلحاق الثقافات المحلية بمقوماتها اللغوية بثقافة العولمة أمر مخطط له، ففي العالم العربي أزيحت اللغة العربية من أكثر من موقع لتحل محلها اللغة الأجنبية"[٤٥].

ويبدو أن الغاية الأسمى للعولمة تتمثل في القضاء على اللغة العربية وإدخال ما ليس منها إلى أساليبها وتراكيبها، يقول (فلوريان كولماس): "إن تحويل لغة إلى وسيط مناسب للاتصال تتخذ شكلا من الأشكال الآتية: إما لغة غربية، أو تطويع لغة محلية لنموذج اللغة المشتركة عن طريق إدخال كلمات وتراكيب وأنماط من اللغات الغربية، أو تطويع المفاهيم الغربية بوضعها في تعبيرات محلية وبشكل خاص الترجمات"[٤٦].

ويرتبط مستقبل اللغة بالأمة، فاللغة ترقى بجهود أبنائها والجانب اللغوي جانب مهم من جوانب التنمية الشاملة في الأقطار العربية، ويتطلب التخطيط لمستقبل اللغة العربية الانطلاق من أبعاد الواقع العربي والنظر في موقع العربية بين اللغات العالمية، مع الإفادة الكاملة من التقنيات الحديثة في عصر المعلومات ورسم ملامح المستقبل في ضوء التجارب المحلية والوطنية والقومية في دول العالم، للأخذ بكل ما يتيح للغتنا العربية مكانتها المنشودة في علم متغير وقوي متنافسة وتقنيات متقدمة.

واللغة العربية تستهدف كل يوم بسهام بالغة التأثير من قبل ما تحمله لنا أذرع العولمة من ألفاظ دخيلة، وتعبيرات أجنبية وممارسات لغوية تحمل في طياتها بوادر العجمة والرطانة[٤٧].

وفي هذا السياق يرى البعض أن اللغة العربية لا ترقى إلى مستوى التطور العلمي والتقني بحجة "أنها متخلفة عن العصر موغلة في القدم، لا تؤدي بصفة كاملة غير المضامين القديمة التي تجاوزها الزمن فهي أعجز من أن تعبر عن مستحدثات الحضارة ومقتضيات التطور العصري الذي يعتمد بصفة أساسية على العلوم والتقنية"[٤٨]. لكن الحقيقة عكس ذلك تماما، فقد أثبتت اللغة العربية" قدرتها على الانتشار

(٤٥)- زهراء عاشور، اللغة العربية في ظل العولمة الثقافية، تساؤلات حول إشكالية الهوية اللغوية في عصر العولمة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، محرم ١٤٣٢هـ/ ديسمبر٢٠٠٩م، ع٣، ص١٥٤-١٥٥.

(٤٦)- فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة: د/ أحمد عوض، مراجعة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، شعبان١٤٢١هـ/ نوفمبر٢٠٠٠م، ص٧٣.

(٤٧)- ينظر: محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية، ربيع الأول ١٤١٩هـ/ تموز (يوليو) ١٩٩٨م، مج٧٣، ج٣، ص٤٤٩. وينظر: أحمد بن محمد الضبيب، المصطلح العربي في عصر العولمة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية، ربيع الأول ١٤١٩هـ/ تموز (يوليو) ١٩٩٨م، مج٧٣، ج٣، ص٦٩٠-٦٩١.

(٤٨)- عبد العزيز العاشوري، اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارة التعريب، مجلة المستقبل العربي، السنة٢٧، ع٤، أيار (مايو) ١٩٨١م، ص٧١.

والتوسع والتواصل الفكري الإنساني، ولكن الفرد العربي يعيش اليوم أزمة هروب من الذات، وينغمس في حالة تغريب عن أصالته ووجوده، فانعكست الأزمة سلبا عن الواقع اللغوي، ووصمت اللغة بالعجز والقصور عن مواكبة التطور العلمي والحضاري"[٤٩].

ويرى البعض الآخر أن عدم رقي اللغة العربية يرجع إلى لغتها- حسب ظنهم- فهي" لغة ميتة من ناحية العلوم الأخرى، وأدبها يعد أدبا ميتا؛ لأنه ليس أدب الشعب، عامة الشعب وملايينه، إذ هو يكتب بلغة لا يفهمها الملايين "[٥٠].

لكن الأخطر من هذا كله هو أن يتحول بعض المنتمين إلى هذه الأمة من النخب إلى مسخ لا هو بالغربية ولا هو بالعربي، وأن تنعدم لديه الغيرة على لغة القرآن التي تعتبر أبرز مقوم من مقومات الهوية لدى هذه الأمة.

وقد ظلت بعض النخب- وأي نخب- التي تربت على يد المستعمر" مخلصة وفية ليس لوطنها ولا لغتها، بل ظلت وفية للمستعمر وثقافته ولغته، وظلت مصرة على تبني لغة الاستعمار- الإنجليزية والفرنسية- لغة للتدريس والبحث العلمي في الجامعات والمعاهد العليا"[٥١].

لكن يرد على أمثال هؤلاء المسخ وعلى دعواتهم المشبوهة والمضللة" أن أهم ما يميز مجتمعنا عن بقية المجتمعات هي لغته التي صاغ بها أسلوبه وتجاربه في الحياة، وبها تشكلت شخصيته وفكرته ونظرته الخاصة للعالم، وعبر عن عواطفه ومشاعره، ووجوده، وكيانه فالعربية كانت دائما محل تقدير واحترام واعتزاز في نفوس كل أبناء الأمة الإسلامية، ولم ينهض بخدمتها ونشرها ونقلها عبر الأمكنة والأزمنة المختلفة أكثر مما نهض به العلماء من أصول غير عربية كسيبويه وأبي علي الفارسي وابن جني والزمخشري، وأبي علي القالي، وعبد القاهر الجرجاني، والفارابي اللغوي، والإستراباذي، وابن آجروم، وابن قوطية، وابن معط، والجزولي، والمكودي، وسواهم كثير"[٥٢].

---

(٤٩)- مها خير بك ناصر، اللغة العربية والعولمة في ضوء النحو العربي والمنطق الرياضي، مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع١٠٢، ربيع الثاني١٤٢٧هـ/نيسان٢٠٠٦م، ص١٠٠.

(٥٠)- سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، ط٤، القاهرة، مصر، ١٩٦٤م، ص٩٤.

(٥١)- عبد المجيد الطيب عمر ومحمد أبو موسى، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، دراسة تقابلية، ص٧٧.

(٥٢)- عبد العلي الودغيري، دور اللغة الوطنية في التنمية وتحقيق الأمن الثقافي، جامعة محمد الخامس، (د ط)، الرباط، المغرب، (د ت)، ص٤٧.

وقد اتخذ دعاة العولمة من الحتمية اللغوية" رهانا على التشكيك بجدوى استعمال اللغات القومية والوطنية، وتقوم هذه النظرة على عنصرية واضحة تتهم فيها اللغات العريقة بالمحدودية والفقر، وأنها لا تواكب العصر ومعارفه وتقاناته وترتكز هذه النظرة الدونية للغات الأخرى على وهن طبيعة اللغة العربية مثالا، وضعف قابليتها للتكنية اللغوية والأدبية والثقافية، بينما أثبتت اختبارات فرضية الحتمية اللغوية على اللغة أنها أكثر من إطار لصوغ الفكر، وعندما ننظر في بعض المسائل الدالة ندرك عقم هذه الفرضية مثل علاقة اللغة بالفكر، فاللغة العربية لغة الوحي والتقليد الثقافي العربي برمته"[٥٣].

وفي حديثه عن علاقة اللغة العربية بأهلها من جهة، وعن قدرتها على التعبير والاستيعاب والتطور الذاتي لما تنطوي عليه من عناصر القوة والتميز من جهة ثانية، يقول العلامة" إبراهيم السامرائي":" العربية إحدى اللغات الحية وهذا يقتضي أن نفهم، فنسلم بأنها لغة متطورة تخضع لما تخضع له اللغات الحية عامة، وهي إحدى اللغات السامية التي اندثرت معالمها وانمحت أصولها، فلم تبق إلا هذه اللغة القديمة؛ ولابد من الاستطراد قليلا فأقول: إنها اللغة الوحيدة بين المجموعة السامية التي ثبتت على مر العصور في حين لم تثبت تلك اللغات، وقد يقول قائل: إن العبرانية لغة قائمة وأنا أقول: إن هذه العبرانية ليست إلا مادة جديدة أعيد بناؤها بصورة قسرية جبرية لتكون اللغة مجاميع بشرية هي ليست لغتهم، ولابد لي من أن أدع هذا الاستطراد الموجز فأعود إلى العربية لأقرر أنها لغة حية، وأنها كانت خير وسيلة للإعراب عن حضارات مزدهرة وآية ذلك أن العلم القديم بفكره وفلسفته وسائر ألوانه لم يكن له من وسيلة غير هذه العربية السمحة، ولا أراني منساقا انسياقا عاطفيا حين أقرر أنها كانت سيدة لغات العالم القديم خلال قرون متلاحقة ابتداء من القرن السابع الميلادي"[٥٤].

ولأن اللغة العربية قد حافظت على سماتها وخصائصها وأساليبها على مدى القرون بعيدا عن كل المتغيرات التي لحقت بالحقب التاريخية المتعاقبة، فإنها أصبحت اليوم- بفضل العولمة- معرضة للاختبار والتنافس، باعتبار أن المدونات الإلكترونية أصبحت قادرة على احضار كل اللغات الأخرى إلى ميدان المنافسة، وهذا بطبيعة الحال" يضع اللغة العربية أما تحديات عديدة تأتي في مقدمتها تحويل اللغة والنهوض بها إلى مشروع تنموي تستثمر فيه الأموال والجهود، باعتبارها إحدى أدوات التنمية واكتساب المهارات العلمية والمعرفية والتدريبية، وضمن هذا المشروع التنموي يمكن أن تواجه اللغة متطلبات المرونة والتطوير والترقيم والاختصار والترميز التي يقتضيها العصر وتقتضيها التكنولوجيا الحديثة في المعلومات

(٥٣)- عبد الله أبو هيف، اللغة العربية وتحديات العولمة، ضمن كتاب: العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص٨١١-٨١٢.

(٥٤)- أبو عبد الله غلام الله، مستقبل اللغة العربية ورهاناتها في ظل العولمة، ضمن كتاب: العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص٦٨١.

والحواسيب والاتصالات، وتواجه اللغة تحديات هائلة أمام الأنترنت والعولمة وحوسبة التراث واقتصاديات الثقافة والتعليم، ودون أن يتحول النهوض باللغة العربية إلى مشاريع قومية عربية وقطرية وطنية، فإن القرن الحادي والعشرين وما سيرافقه من تطورات في أدوات الاتصال والعلم والثقافة قد يحمل مفاجآت للغة العربية لا يحسن الاطمئنان إلى نتائجها"(٥٥).

وقد أصبحت الدعوة- اليوم- ملحاحة بضرورة النظر إلى اللغة العربية على أنها لغة العصر، ولا مناص حينئذ من التركيز عن آلياتها والنظر إليها كلغة تستحق تحمل مضامين حياتنا، ولا يجب أن ننسى في هذا المقام، وجود تصور منطقي بأن البحث في الآليات الداخلية للغتنا العربية أضحى من الضرورات، لتصبح اللغة العربية لغة الحوار والمنطق والرقمنة، ويصبح مضمونها عاكسا لواقعنا وحياتنا، ولو أننا مازلنا نستعمل في بعض المجالات لغة أدبية عقيمة من العلمية، إلا أنه بات في إمكاننا البحث عن الطاقة الضرورية لتجديد آلياتها. وفي هذا الصدد يرى الباحث (حلمي خليل) أن الأخذ" بمبدأ التخطيط اللغوي قد يكون الخطوة الأولى على بداية الطريق لحل مشكلات حياتنا اللغوية، وهي مشكلات جديرة بأن تكون في مقدمة مشكلاتنا القومية والسياسية والاجتماعية، بل لعلي لا أكون مسرفا إذا قلت: إنها مشكلات خليقة بأن تهز كيان الأمة العربية هزا، سواء اليوم أو غدا"(٥٦).

ولا يخفى على أحد منا أن اللغة العربية "تتسم بملامح وسمات لغوية تؤهلها لاستيعاب كل المتغيرات المستحدثة والتباينات المختلفة في اللغات الأخرى، وبذلك فهي مهيئة- من داخلها- لأن تصبح لغة عالمية، وقد نجحت العربية في هذا الدور في عصور الازدهار والفتوحات، وكان أداة فعالة لنقل المعارف والعلوم، حتى قيل في المثل: عجبت لمن يدعي العلم ويجهل العربية"(٥٧).

ومازالت العربية اليوم على العهد، فهي قادرة على التعبير عن شتى فنون العلم، وأنها استوعبت كل ما نقل إليها من علوم الأمم الأخرى، وأنه ينبغي علينا أن نثبت أنها ليست مقتصرة على جانب الأدب والشعر فحسب، وإنما تقوم تقوم إلى جانبها وحدة اللغة في المتاب العلمي العربي.

ومن أهم الخصائص التي تر شح اللغة العربية لمصافي العالمية" التزامها بالقاعدة الذهنية فيما يخص

(٥٥)- إبراهيم بدران، اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، ضمن الندوة الدولية: مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، أيام: ١٠-١٢ شعبان١٤٢١هـ/ الموافق لـ:٦-٨ نوفمبر٢٠٠٠م، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠١م، ص٣٥٨-٣٥٩.

(٥٦)- ينظر: ونوغي إسماعيل، مجد اللغة العربية وراهنها، ص٨٥٤. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، قناة السويس، مصر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٣.

(٥٧)- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص٢٨٠.

التوازن اللغوي، فهي تجمع بين كثير من خصائص اللغات الأخرى "[٥٨].

إنه وعلى الرغم من تخاذل أهل العربية عن حمايتها من نوائب الدهر، إلا أنها" لم تختف – بفضل موروثنا الديني والأدبي – بل ظلت تسير في طريقها، مطوعة نفسها لمقتضيات ظروف هذا الطريق وزمانه، وأخذت بحكم طبيعتها العبقرية تكيف خطواتها، وتعدل من مساراتها، فتلبس لكل مساء لبوسه الملائم له، وتغير من ملامحها الشكلية وفقا لظروف الزمن وما ينظمه من تغيرات في مجالاته الحياتية المختلفة "[٥٩].

ويبرز هذا الوضع الجديد" مدى حدة الأزمة اللغوية التي تعيشها اللغة العربية تنظيرا واستخداما وتوثيقا، تعليما وتعلما، ولعل أزمة لغتنا العربية في عصرنا الراهن مرشحة للاتساع والتفاقم تحت ضغط المطالب الملحة لعصر المعلومات واتساع الفجوة اللغوية التي تفصل بيننا وبين العالم المتقدم "[٦٠].

خامسا: سبل مواجهة العولمة والارتقاء باللغة العربية:

تتعرض اللغة العربية في ظل العولمة لحركة تهميش وإزاحة متعمدة، وذلك بفعل الضغوط الهائلة الناجمة عن طغيان الإنجليزية، على المستويات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية، بالإضافة إلى ما يشبه "حرب العولمة" ضد الإسلام، وبالتالي ضد العربية – كما سبق وذكرنا –، وقد سعى المستشرقون بكل ما أوتوا من قوة إلى إضعاف اللغة العربية والتهويل من شأن مشكلة الفروق اللهجية بين الأقطار العربية، وإغفال نموذج الفصحى المرتبط من بالقرآن الكريم الذي يفهمه كل العرب، مما يدلل على اتفاقهم في لغة واحدة تعينهم على صنع تكتل لغوي ثقافي موحد، بدلا من الاستسلام للتغريب في ظل هيمنة الإنجليزية والأنترنت[٦١]. وترى الباحثة (مها خير بك ناصر):" ألا خوف على لغتنا العربية، كونها لغة حية / محصنة بقوانين تشكلها الداخلي والتي تساعدها على استيعاب ما تنتجه العولمة، وما تقدمه من مصطلحات، يمكن تطويعها ومنحها بعضا من خصائص اللغة الذاتية، واكسابها هوية عربية، فتضاف بذلك ألفاظ جديدة إلى العائلة اللغوية العربية، وتنمو المفردات، وتتطور الدلالة اللفظية، فينحسر الخوف من المصطلحات الجديدة بالتداول والاستخدام، واللغة العربية أثبتت عبر تاريخها بأنها قادرة على استيعاب العلوم بألفاظ عربية بأسلوب علمي قائم على القياس فما جاء قابلا للقياس دخل في حقل التداول المعجمي العربي"[٦٢].

(٥٨)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٥٩)- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، ص٣٣.
(٦٠)- وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية، ط١، ، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص١٩.
(٦١)- ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص٢٨١.
(٦٢)- سالم بن كرامة عميران اليمني، اللغة العربية في عصر العولمة، الأخطار وسبل المواجهة، ص٢٥٤.

لكنه ورغم كل التحديات التي تواجه لغتنا العربي، فإنها قد واجهت هذه التحديات بقوة وثبات وصمود، وسجلت انتصارات كثيرة في مواقع عديدة، فهناك مسلمون في كلٍ بلد إسلامي يصرون على تعلم اللغة العربية وعلى استخدامها، سواء أكان ذلك في بلادهم أم في بلد عربي يرتحلون إليه لدراسة الإسلام ودراسة اللغة العربية(٦٣).

وإذا ما أردنا الارتقاء باللغة العربية في معركتها ضد العولمة وجب علينا أن نقوم بما يلي(٦٤):

- إلزامية التعامل من اللغة العربية من كوننا أمة كان للغتها دور رئيسي في رسالتها الدينية والثقافية والعلمية والأدبية إلى الأمم كافة، ولم يسجل على هذه اللغة أي عجز وقصور في حمل هذه الرسالة المباركة.

- لابد من ربط اللغة العربية بقضية الانتماء والهوية لتستطيع مواجهة كل التحديات، ذلك أنه لا خريطة سياسية للعرب اليوم من غير نجاحهم في صياغة خطابهم العلمي والثقافي والسياسي باللغة العربية، وبشرط أن يكون العلم والثقافة في صميم التركيب العقلي للعرب على اختلاف مشاربهم، ومستوياتهم المعرفية والاجتماعية. إذ إن" الوقوف في وجه العولمة عامة، والعولمة اللغوية خاصة لا يتأتى إلا عن طريق مشروع عربي شامل، ومؤسس على أسس علمية سليمة تأخذ على عاتقها صيانة اللغة العربية من العامي والدخيل، وكذا تكريسها في المعاملات والممارسات الحياتية اليومية"(٦٥).

- عدم فصل المشكل اللغوي عن طبيعة المجتمع العربي سواء الثقافية أو الاجتماعية أو العلمية أو حتى الاقتصادية، فالمجتمع العربي الذي تتداول فيه اللغة العربية يعرف هو الآخر حالة شاذة من تاريخه على مختلف الأصعدة، وفي شتى الميادين التي لا يمتلك العرب لها مشروعا حضاريا علميا وتنمويا، إذ إن" مصير اللغة العربية يتراءى من خلال الأخطار التي تهددها بشكل حاسم، وأولها هو ذاك الخطر الثقافي[...]،

(٦٣)- ينظر: عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي، اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، ص٤١.

(٦٤)- ينظر: هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، ص٣٠-٣٤. وينظر: خديجة زبار الحمداني ومحمد ضياء الدين خليل إبراهيم، اللغة العربية والتحديات المعاصرة، العولمة أنموذجا، مجلة مداد الآداب، عدد خاص بالمؤتمر، ص ٣٥٦. وينظر: مهين حاجي زاده وشهريار نيازي، تحديات اللغة العربية ومشكلاتها في عصر العولمة، مقال منشور في شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ص١٦. وينظر: عبد القادر فيدوح، رهانات اللغة العربية في ظل العولمة، ص٨٣٩-٨٤٠.

(٦٥)- خديجة زبار الحمداني ومحمد ضياء الدين خليل إبراهيم، اللغة العربية والتحديات المعاصرة، العولمة أنموذجا، مرجع سابق، ص٣٥٦.

والخطر الثاني هو اللغة الأجنبية عند ما يرافقها لدى التلميذ في مراحل التعليم العام الشعور بأنها هي القادرة على حمل أعباء المعرفة العلمية، وبأن اللغة العربية تظل قاصرة عن أداء تلك الوظيفة "[٦٦].

- محاولة الحد من الاعتقاد الخاطئ الذي يحاول أكثر من طرف عربي الترويج له بأن استعمال اللغة الإنجليزية هو مفتاح النجاة عند العرب، وفي هذا مغالطة لسير الأحداث، فقد مضى على بعض جامعاتنا العربية أكثر من قرن من الزمان وهي تدرس الطب والصيدلة باللغة الإنجليزية، ورغم ذلك كله لم يتقدم العرب في مجال البحث العلمي بكل صنوفه.

- أن تقوم الحكومات الإسلامية والهيئات الخيرية والتعليمية بافتتاح المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز في مختلف بلاد العالم، لا سيما في البلاد الإسلامية من أجل نشر لغة القرآن الكريم وتقريبها إلى النفوس وقلوب المسلمين وعقولهم؛ لأن أمر تعلمها واجب شرعي، لكونها وسيلة لفهم كتاب الله وسنة نبيه.

- على المؤسسات تأهيل الأساتذة المحبين للغة العربية، والمتمكنين منها، ليقوموا بمهمة تدريسها على الوجه المطلوب، ولأن هذا النوع من الأساتيذ سيعمل بإخلاص لخدمة اللغة العربية ويقدم الغالي والنفيس في سبيل النهوض بها.

- رجع النظر في المناهج التعليمية، واختيار المناسب منها الذي يحقق الأهداف المرجوة، ويخدم القضية المنشودة، وهذا من دون شك يتطلب إعداد كتب مناسبة يقوم بتأليفها وإعدادها نخبة من المتخصصين في فقه اللغة العربية وعلوم التربية، ويجب أن يراعى في إعدادها متطلبات كل مرحلة.

- إلزامية أن تكون الأحاديث والنقاشات في الإذاعة والتلفزيون، ومختلف وسائل الإعلام في البلاد العربية باللغة العربية السليمة.

- إصدار قرارات تقضي بجعل اللغة العربية اللغة الرسمية ووحيدة الاستعمال في ميدان الإدارات العمومية، والجمعيات، والمقاولات، والمؤسسات والصحافة والتعليم؛ باستثناء أقسام تعلم اللغات الأجنبية. وفي هذا الصدد" يعمل مركز البحوث التقنية لتطوير اللغة العربية ببوزريعة بالجزائر على إخراجها- أي اللغة العربية- للدفع بمضمون اللغة العربية إلى مقامها الذي تستأهله ضمن اللغات العالمية

(٦٦)- عبد السلام المسدي، لغتكم تناديكم أيها العرب، مجلة الكويت، الكويت، ع٢٥٤، ديسمبر٢٠٠٤م، ص٤٣.

الكبرى، وهذا بالعودة إلى أصولها، وشحذ تلك الأصول بما استجد من بحوث علمية متطورة في اللغات الأجنبية"(٦٧).

- ضرورة استخدام الوسائل التكنولوجية في تعلم اللغة العربية، إذ إننا اليوم بحاجة إلى تغيير وتطوير وتجديد، من تلك الأمور التي تحتاج إلى أفق جديد ونظرة جديدة، ما يرتبط بقضايا التعليم والتربية، فمازالت مناهج التعليم تنتمي إلى حقبة ما قبل عصر المعلومات والاتصال، ولم تعد صالحة حتى لسوق العمل، ما يؤدي بالمتخرجين حديثا في الجامعات للالتحاق بقطار البطالة، أما مسؤولية الشباب تجاه أنفسهم، فيتطلب من كل شاب أن يعمل بجد واجتهاد من أجل مستقبله، ومستقبل أمته، كما يستلزم ذلك تأهيلا للذات علميا وعمليا، واكتساب المهارات الجديدة، والالتحاق بالتخصصات العلمية، وعدم التوقف عن كسب المعرفة والعلم؛ لأنه لا مكان اليوم لمن ليس لديه معرفة علمية.

- الاهتمام بلغة الأطفال والإعلاء من شأن أدبهم، والكتابة بلغة ميسرة يراعى فيها الجانب الوظيفي، إذ إنه يمكن "تعليم اللغة العربية الفصحى للأطفال قبل سن السادسة من العمر، وذلك باستغلال القدرة الفطرية للأطفال على تعلم اللغات[...] وإذا بدأت مرحلة التعليم لابد من زيادة حصص اللغة العربية في المنهاج الدراسي، كما يجب أن تكون اللغة العربية لغة التواصل الشفهي طوال اليوم الدراسي"(٦٨).

- عقد الندوات والمؤتمرات للتوعية بالمخاطر التي تواجه اللغة العربية في ظل لعولمة، وتقديم الرؤى والحلول المناسبة لذلك، وهنا نود الإشارة إلى أن السنوات الأخيرة شهدت "عشرات المؤتمرات التي تطالب بحماية اللغة العربية[...] وهنا يجب أن تطالب بالحماية ليس على المستوى الثقافي فقط، ولكن على المستوى السياسي والقومي أيضا؛ لأن اللغة العربية في حقيقة الأمر تدخل في إطار قضايا الأمن القومي العربي، وفي ظل دعوات مشبوهة لشرذمة العالم العربي، وتشويه تاريخه وضرب ثقافته تقف اللغة العربية في مقدمة هذه الأهداف فلا أحد يريد الآن للعرب أن يحميهم تاريخ واحد، ولغة واحدة، وعلى الأجيال الجديدة التي يجري الآن استنساخها أن تشكل في ظل واقع جديد بلا جذور، أو هوية أو انتماء[...] وهذه دعوات يجب أن نتصدى لها حتى لا يصبح العرب قوما بلا لغة ولا تاريخ"(٦٩).

---

(٦٧)- صالح بلعيد، الخليل بن أحمد عبقري العرب، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، كراسات المركز، ع١، الجزائر، ٢٠٠٦م، ص٧.

(٦٨)- عبد الله الدنان، نظرية تعليم اللغة العربية بالفطرة والممارسة، تطبيقاتها وانتشارها، مجمع اللغة العربية بدمشق، المؤتمر السنوي السادس: لغة الطفل العربي والواقع المعاصر، دمشق، سورية، المنعقد بتاريخ: ٢٤-٢٦ شوال١٤٢٨هـ/ الموافق لـ: ٥-٧ تشرين الثاني ٢٠٠٧م، ص٩.

(٦٩)- فاروق جويدة، المقال الأسبوعي، جريدة الأهرام، القاهرة، مصر، ٣٠ يوليو٢٠٠٤م، ص٥٩.

- السعي إلى بناء مجتمع المعرفة انطلاقا من لغتنا العربية، ذلك أن" تطور اللغة مشروط بتطور الحضارة، لكن ما قد يكون أهل بديهة هو عكس هذه المقولة، أي القول: إن تطور الحضارة مشروط أولا بتطور اللغة، بثورة لغوية، بتفجير للبعد اللغوي لعملية التغير والتطور الثقافية / الحضارية، ولن يتم هذا التفجير، إلا بالمغامرة الرائدة، بالجرأة لا على نقل الفكر من العالم فحسب، بل على اللغة أيضا، على بناها العميقة والسطحية، وعلى مكوناتها الصوتية، والمورفولوجية، والنظرية[...] جرأة تهدف في النهاية إلى إنجاز جوهري هو توسيع اللغة، وتوسيع اللغة ليس شرطا يخيف، بل إنه شرط أساسي لتطور اللغة في مراحل الصدام الحضاري شرط حققته العربية في عصر اصطدامها الأول بالحضارة العالمية، اليونانية والفارسية والهندية، فقد كان المترجم العربي في تعامله مع اللغة أكثر جرأة على بنيتها ونظامها"(٧٠).

- لمعالجة تحديات العولمة على اللغة العربية علينا أن نعمل على عولمة اللغة، ويقصد بعولمة اللغة العربية "سعة انتشارها لتكون لغة شائعة يتعامل بها أكبر قدر من الناس مقارنة بغيرها من لغات العالم"، ولن يتحقق ذلك" إلا بإجراءات داخلية وخارجية، إنه لا بد من تحديد نوع اللغة التي تراد عولمتها، وهي الفصحى في هذا الصدد، ولا محيد من محاولة تخليص العاميات من شوائب اللغات الأجنبية لما في ذلك من دعم للعربية الفصحى، وتقريب للعاميات منها"(٧١).

- يجب إعادة النظر في أساليب تدريس القواعد العربية، من أجل مواكبة التطورات العلمية والتربوية التي يشهدها العالم، لتتساوق اللغة العربية مع اللحظة التاريخية، ذلك أن" المناهج والمقاربات متكاملة من حيث الغايات والتوجهات، مستهدفة التطوير والتجديد والتحديث اللغوي وللتنمية التربوية والثقافية والاجتماعية الشاملة المستديمة، والتي تظل في نهاية المطاف هي الهدف المحوري الموجه لأي إصلاح تربوي أو اجتماعي حداثي يصلح إلى أن يكون في مستوى الاستجابة لمطالب المرحلة ورهاناتها المعرفية والحضارية"(٧٢).

- يمكننا أن نستثمر في الكثير من النواحي والميادين، خاصة منها الاقتصادية في نشر اللغة العربية، وايصالها إلى المنزلة التي تستأهلها، كما فعل أسلافنا من قبل، وقد" تهيأت لنا فرصة ممتازة عن اكتشاف النفط في العالم العربية، وما ترتب على ذلك من تهافت الشركات والدول الأجنبية على الاستثمار في قطاع النفط، وما يترتب عليه من الخدمات والصناعات الضرورية، فإذا نظرت إلى دول الخليج العربي - مثلا -

(٧٠)- إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمه إلى العربية وقدم له: د/ كمال أبو ديب، دار الآداب، (د ط)، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص٣٧(مقدمة المترجم).

(٧١)- أحمد عبد السلام، العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية، ص١٤١-١٤٢.

(٧٢)- مصطفى محسن، الثقافة وتحولات عصر العولمة، مدخل للنقد والاستشراف، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م، ص١٣٠.

وجدت أنها تحولت إلى مجتمعات متعددة اللغات، فيها العربية والإنجليزية والهندية والفرنسية والسيريلانكية، وغيرها من لغات الوافدين للعمل من هذه الدول "(٧٣).

حملا على ما مر يمكن القول: إن التحديات التي تواجه لغتنا العربية في وقتنا الراهن تستوجب من كل عربي غيور على لغته ودينه أن يقف عند سؤال يبدو في ظاهره سؤالا ثقافيا" وهو سؤال اللغة العربية التي هي قوام الأمة، وقوام أبنيتها التاريخية والحضارية والقومية، ليست أداة تخاطب اجتماعي فحسب، ولا مستودع الأفكار والرموز والقيم الجمالية فحسب، بل إنها – فوق كل ذلك – المستقبل، ومن لا لغة له، او من أضاعها في لجة الاستيلاب وأودعها في المتحف يصنع الآخرون مستقبله، ولذلك فالتفكير في اللغة العربية لا ينصرف حصرا إلى بيان اتصالها ببناء هوية الأمة وشخصيتها الثقافية والحضارية[...] وإنما ينصرف إلى بيان صلتها ببناء مشروع نهضوي في المستقبل "(٧٤).

المصادر والمراجع:

١- إبراهيم بدران، اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، ضمن الندوة الدولية: مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، أيام: ١٠-١٢ شعبان١٤٢١هـ/ الموافق لـ:٦-٨ نوفمبر٢٠٠٠م، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠١م.

٢- أحمد السيد محمود، شؤون لغوية، ١٩٨٩م.

٣- أحمد عبد السلام، العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ع٦٠، شوال- ربيع الأول ١٤٢٢هـ/كانون الثاني حزيران ٢٠٠١م.

٤- أحمد فتحي سرور، الإعلام المعاصر والهوية العربية، مجلة البرلمان العربي، السنة٢٦، ع٩٣، نيسان(أبريل)- أيار (مايو) ٢٠٠٥م.

٥- أحمد بن محمد الضبيب، المصطلح العربي في عصر العولمة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية، ربيع الأول ١٤١٩هـ/ تموز(يوليو) ١٩٩٨م.

(٧٣)- وليد العناني، مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة، (د ط)، يونيو ٢٠٠٨م، ص٥٢.

(٧٤)- أحمد بن نعمان وآخرون، اللغة العربية: أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، سلسلة المستقبل العربي(٤٦)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م، ص٧.

٦- أحمد بن نعمان وآخرون، اللغة العربية: أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، سلسلة المستقبل العربي(٤٦)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

٧- أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة،(د ط)، بيروت، لبنان،(د ت).

٨- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت٤٥٦هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة،(د ط)، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٩- حسن ملا عثمان، طرق تدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٠- حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية،(د ط)، قناة السويس، مصر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١١- حمد فوزي محمود، اتخاذ العربية لغة تدريس العلوم في التعليم العالي، مجلة اللسان العربي، الرباط، المغرب، ١٩٨٥م.

١٢- رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة، اللغة العربية والتفاهم العالمي، المبادئ والآليات، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٣- رشيد حليم، العولمة وظيفتها ومقامها في عصر العولمة، ضمن كتاب: العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م.

١٤- رضا عبد الواحد أمين، الإعلام والعولمة، دار الفجر، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧م.

١٥- زهراء عاشور، اللغة العربية في ظل العولمة الثقافية، تساؤلات حول إشكالية الهوية اللغوية في عصر العولمة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، محرم ١٤٣٢هـ/ ديسمبر٢٠٠٩م.

١٦- سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، ط٤، القاهرة، مصر، ١٩٦٤م.

١٧- شفيق الأخرس، العرب والعولمة ما العمل؟ ضمن كتاب: العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٨- صالح بلعيد، الخليل بن أحمد عبقري العرب، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، كراسات المركز، الجزائر، ٢٠٠٦م.

١٩- ـــــــــــــــــــ، هموم لغوية، منشورات محبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٢م.

٢٠- عبد السلام المسدي، لغتكم تناديكم أيها العرب، مجلة الكويت، الكويت، ديسمبر ٢٠٠٤م.

٢١- عبد العزيز التويجري، اللغة العربية والعولمة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، (د ط)، ٢٠٠٨م.

٢٢- عبد العزيز العاشوري، اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارة التعريب، مجلة المستقبل العربي، السنة٢٧، ع٤، أيار (مايو) ١٩٨١م.

٢٣- عبد العزيز بن عثمان التويجري، في البناء الحضاري للعالم الإسلامي، منشورات المنتظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، (د ط)، الرباط، المغرب، ٢٠٠٠م.

٢٤- عبد العلي الودغيري، دور اللغة الوطنية في التنمية وتحقيق الأمن الثقافي، جامعة محمد الخامس، (د ط)، الرباط، المغرب، (د ت).

٢٥- عبد القادر فيدوح، رهانات اللغة العربية في ظل العولمة، ضمن كتاب: العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٢٦- عبد الكريم بكار، العولمة، طبيعتها، وسائلها، تحدياتها، التعامل معها، دار الأعلام للنشر والتوزيع، ط٢، عمان، الأردن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١.

٢٧- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والإبداع الفكري والعلمي في العصر الحديث.

٢٨- ـــــــــــــــــــ، اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، دار الغرب الإسلامي، (د ط)، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

٢٩- أبو عبد الله غلام الله، مستقبل اللغة العربية ورهاناتها في ظل العولمة، ضمن كتاب: العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٣٠- عبد الله أبو هيف، اللغة العربية وتحديات العولمة، ضمن كتاب: العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٣١- عبد الله الدنان، نظرية تعليم اللغة العربية بالفطرة والممارسة، تطبيقاتها وانتشارها، مجمع اللغة العربية بدمشق، المؤتمر السنوي السادس: لغة الطفل العربي والواقع المعاصر، دمشق، سورية، المنعقد بتاريخ: ٢٤-٢٦ شوال ١٤٢٨هـ/ الموافق لـ: ٥-٧ تشرين الثاني ٢٠٠٧م.

٣٢- عبد المجيد الطيب عمر ومحمد أبو موسى، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، دراسة تقابلية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة أبحاث الحرمين العالمية، ط٢، المملكة السعودية، ١٤٣٧هـ.

٣٣- عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي، اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، دار ابن النحوي للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، المملكة السعودية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣٤- عز الدين صحراوي، اللغة العربية وتحديات العصر، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، ع١، أفريل ٢٠٠٤م.

٣٥- علاء الدين ناطوريه، العولمة وأثرها في العالم الثالث، التحدي والاستجابة، دار زهران للنشر والتوزيع، (د ط)، عمان، الأردن، (د ت).

٣٦- علي بولعلام، المحتوى الرقمي العربي، الهندسة اللسانية وأفق الثورة الرابعة، ضمن كتاب: اللسانيات العربية: رؤى وآفاق، إشراف وتحرير: حيدر غضبان، تقديم: أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، الأردن، ٢٠١٩م. ٣٧- فاروق جويدة، المقال الأسبوعي، جريدة الأهرام، القاهرة، مصر، ٣٠ يوليو ٢٠٠٤م.

٣٨- كاصد ياسر الزيدي، فقه اللغة العربية، دار الفرقان، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م.

٣٩- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، القاهرة، مصر، ١٩٩٩م.

٤٠- مازن المبارك، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، (د ط)، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٤١- مأمون حطاب، ندوة اللغة العربية والتقنيات الحديثة بالمجمع الأردني.

٤٢- مجموعة مؤلفين، استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، تونس، ١٩٩٦م.

٤٣- محمد الأوراغي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، منشورات ضفاف، دار الأمان، ط٢، الرباط، المغرب، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٤٤- محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط١، الجزائر، ٢٠٠٣م.

٤٥- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،(د ط)، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.

٤٦- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،(د ط)، القاهرة، مصر، إبريل١٩٩٦م.

٤٧- محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية، ربيع الأول ١٤١٩هـ/ تموز(يوليو) ١٩٩٨م.

٤٨- ممدوح محمد خسارة، العولمة الثقافية واللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٨، ج٢، جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ/نيسان ٢٠١٥م.

٤٩- مها خير بك ناصر، اللغة العربية والعولمة في ضوء النحو العربي والمنطق الرياضي، مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ربيع الثاني١٤٢٧هـ/نيسان٢٠٠٦م.

٥٠- مهين حاجي زاده وشهريار نيازي، تحديات اللغة العربية ومشكلاتها في عصر العولمة، مقال منشور في شبكة المعلومات الدولية(الإنترنت).

٥١- هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن،١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٥٢- وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.

٥٣- وليد العناني، مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة،(د ط)، يونيو٢٠٠٨م.

٥٤- ونوغي إسماعيل، مجد اللغة العربية وراهنها، ضمن كتاب: العربية الرهان والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٩م.

المراجع المترجمة:

٥٥- إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمه إلى العربية وقدِم له: د/ كمال أبو ديب، دار الآداب، (د ط)، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

٥٦- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: د/ مالك أبو شهيوة و د/ محمود خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ليبيا، ١٤٢٩هـ/١٩٩١م.

٥٧- فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة: د/ أحمد عوض، مراجعة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، شعبان١٤٢١هـ/ نوفمبر٢٠٠٠م.

أثر التدريس باللغة الأم في تجويد التعليم

(دور اللغة العربية في تجويد التعليم في الوطن العربي)

د. ابراهيم أحمد مسلم الحارثي
مدير عام دار المقاصد للدراسات والاستشارات التربوية والتدريب
عمان – المملكة الأردنية الهاشمية

مقدمة

الحمد لله العليم الرحيم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على النبي الأكرم وعلى آله وصحبه وسلم، الحمد لله الذي خصنا من بين خلقه فاختار لنا الإسلام دينا واللغة العربية لسانا، من غير حول منا ولا قوة، وإنما تفضل منه ورحمة، فله الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وبعد:

سبب اختيار موضوع البحث:

لقد اخترت البحث في موضوع أثر التدريس باللغة الأم في تجويد التعليم لما رأيت أنظمة التعليم في الدول العربية تفضل التدريس " باللغة الانجليزية في المشرق العربي، وباللغة الفرنسية في المغرب العربي " على التدريس باللغة العربية بحجج واهية لا يقبلها العقل السليم، ولا تستند إلى نتائج أبحاث أو دراسات تجريبية. بل على العكس من ذلك؛ فإن نتائج الأبحاث التجريبية الميدانية تؤكد على أن التدريس باللغة الأم الأساس الذي تبنى عليه عملية تجويد التعليم في جميع المواد الدراسية.

وكما هو معروف عند أهل الاختصاص أن اللغة الأمة وثقافتها وجهان لعملة واحدة، وإن لغة التدريس تحمل ثقافة أهلها شئنا أم أبينا، رغبنا في ذلك أم لم نرغب فيه، وهذا يعني إحلال الثقافة الغربية الصليبية مكان الثقافة العربية الإسلامية ؛الأمر الذي يعني تحميل الأجيال الصاعدة ثقافة أعداءنا ؛أي أننا نربي أبناءنا ليكونوا أعداءٍ لثقافتنا العربية الإسلامية؛ وبعبارة أخرى أعداءٍ لنا ولأجدادنا الصيد الذين نفتخر بهم ولتاريخنا وأمجادنا. وقد حصل هذا مع الأسف، ولابد من إيقاف هذه المهزلة، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

المشكلة الأساسية:

إن المشكلة الأساسية التي تواجه عمليات تجويد التعليم في العالم العربي؛ هي تهميش اللغة العربية وإعلاء شأن اللغة الأجنبية، وعدم الاهتمام بتأهيل معلمي اللغة العربية ، وعدم الاهتمام بتطوير المناهج والكتب المدرسية المتعلقة بتعليم اللغة العربية وتعلمها. وإهمال تربية الجيل على احترام لغته وثقافته وتاريخه، الأمر الذي نتج عنه جيل ضعيف الأنفة والعزة والكرامة والرجولة والمروءة ومكارم الأخلاق، أو خالي منها. وكما قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت أخلاقهم فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أهمية الموضوع:

إن قضية تجويد التعليم في العالم العربي قضية مركزية وأساسية، فالنظام التعليمي في أي دولة هو المسؤول عن تأهيل الكوادر البشرية التي ستستلم مقدرات الدولة العسكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وإذا كان هذا النظام مختلا أو ناقصا فإن منتجاته ستكون مختلة وناقصة؛ وسيحمل خريجو هذا النظام الاختلال والنقص في عقولهم وقلوبهم وأعمالهم إلى سائر مؤسسات الدولة ومفاصلها.

إن نهضة الأمة العربية بحاجة إلى جيل قوي مؤهل علميا وثقافيا وإيمانيا ومهنيا وأخلاقيا، وكل ذلك مربوطة بجودة النظام التعليمي، وجودة النظام التعليمي لا تتحقق إلا بأن تكونَ لغة التَدريس في المؤسسات التعليمية باللغة الأم، واللغة الأم في الوطن العربي هي اللغة العربية. ولهذا السبب لم يسجل التاريخ أن أمة نهضت بلغة غيرها . فلا بد من إصلاح النظام التعليمي الذي يعد ويربي ويؤهل الأجيال الصاعدة لنهضة الأمة. وإن أهم مكونات النظام التعليمي لغة التدريس التي تحمل تاريخه وثقافته وآماله وتطلعاته لمستقبل زاهر يرفع أيدي أعداء الأمة عن استلاب ثرواتها ومقدراتها ، واللعب في عقول أبنائها وخداعهم وتوظيفهم في المشاريع الثقافية المعادية للأمة ونهضتها.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى اطلاع من يهمهم أمر أمتنا العربية على نتائج الأبحاث والدراسات العالمية في مجال التدريس باللغة الأم وأثرها على تجويد التعليم، والاطلاع على خبرات بعض الدول التي عادت عن التدريس باللغة الأجنبية بعد عشرات السنين، وتبين لها منتجاته التربوية السيئة، واكتشفت أهدافه المخفية ورجعت إلى التدريس باللغة الأم،

الخلفية التاريخية لتهميش اللغة العربية:

إن قضية اللغة العربية في وطنها قضية عجيبة غريبة لا نظير لها عبر التاريخ. فاللغة والثقافة وجهان لعملة واحدة، وهما قوام الأمة ومصدر قوتها وبقاؤها.

ليس من المستغرب أن يحارب الأعداء ثقافة الأمة وهويتها ولغتها؛ ولكن المستغرب أن تحارب الأمة ثقافتها وهويتها ولغتها ، بل تحارب كيانها ووجودها. فكيف يحارب المرء نفسه؟! هذا ما يحصل في غالبية الأقطار في وطننا العربي هذه الأيام!

في عام ١٩٦١م عندما كنت طالبا في كلية العلوم في قسم الفيزياء في جامعة طهران، قرأت النظرية النسبية لأنشتين في كتاب عربي بعنوان" النظرية النسبية" مطبوع في بداية القرن العشرين، مؤلفه من

مصر الشقيقة وكان زميلا أو شريكا لأنشتين في أبحاثه . وكانت النظرية النسبية من أحدث المستجدات العلمية حينذاك وقد كتب المؤلف جميع معادلاتها بالأرقام العربية المشرقية وبالأحرف العربية[١].

وفي الخمسينيات من القرن العشرين عندما كنت طالبا في المرحلة الثانوية في مدرسة الحسين بن علي في مدينة الخليل في فلسطين المحتلة، كنا نقرأ المعادلات الكيميائية بالأحرف العربية في كتب سلسلة الواضح وغيرها التي كانت تأتينا من مصر، إذ لم يكن في ذلك الوقت كتب رسمية مقررة. (مثال على ذلك القانون الجزيئي للماء بالعربي كنا نكتبه "يد٢أ" ، ولحامض الكبريتيك "يد٢ كب أ٤"،[٢] وكانت المعادلات في العلوم والرياضيات تكتب من اليمين إلى اليسار بالأحرف العربية، أما الآن فإننا نقرؤها بالأحرف الإنجليزي H2O، H2SO4 ونكتبها من اليسار إلى اليمين، فكيف نسيت أمتنا أنها من أهل اليمين؟!).

الشاهد أن رموز العناصر في الكيمياء والفيزياء وعلوم الأحياء كانت بالأحرف العربية، وكذلك معادلات الجبر وسائر الرياضيات. ومازالت الرياضيات تدرس باللغة العربية في مصر والسعوددية وسوريا واليمن وبعض الدول العربية الأخرى. ومما يؤسف له أن بعض الدول العربية بدأت بفرنجة[٣] الرياضيات والعلوم في مدارسها.

وعندما أسست أول كلية طب حديثة في مصر عام ١٨٢٧م إبان حكم محمد علي باشا، في زمن الدولة العثمانية، كان التدريس فيها باللغة العربية، واستمر التعليم فيها باللغة العربية ما يقرب من مئة عام. ولكن التدريس باللغة الانجليزية لم يحدث في مصر إلا بعد الاحتلال البريطاني. ليعلم الجيل الحالي أن تغيير لغة التدريس في الجامعات إلى اللغة الأجنبية هو مطلب امبريالي لأعداء الإسلام ، وهي الدول المحتلة، فبريطانيا فرضت التعليم باللغة الانجليزية على دول المشرق العربي، وفرنسا فرضت التعليم باللغة الفرنسية على دول المغرب العربي، وإيطاليا فرضت التعليم باللغة الإيطالية على ليبيا والصومال ولكنها لم تفلح نظرا لقصر فترة الاحتلال. فالذي فرض على العرب التدريس بلغة أجنبية هم أعداؤهم من الصليبيين المحتلين، ولم يكن ذلك مطلبا وطنيا بأي حال، ولم يكن مطلبا فنيا كذلك، فكل أمم العالم تدرس بلغاتها القومية إلا الأمة العربية.

وما زال التدريس في بعض الجامعات السورية باللغة العربية في الطب والهندسة والفروع العلمية

---

(١) مما يؤسف له أني نسيت اسم المؤلف الذي كان مرجعا في علم الفيزيا في أوائل القرن العشرين، ومع تقدمي في السن ضعفت الذاكرة فأرجو المعذرة.

(٢) "يد" ترمز للهيدروجين، "أ" ترمز للأكسجين، "كب" ترمز للكبريت.

(٣) الفرنجة: مصدر مصنوع من (الفرنج) وترمز إلى إحلال الثقافة الغربية (ثقافة الفرنج) محل الثقافة العربية الإسلامية.

الأخرى. ويقال أنه بدأ التراجع عن ذلك في السنوات الأخيرة.

وتشير نتائج امتحانات الأطباء العرب الراغبين في استكمال تخصصاتهم في أمريكا أن الأطباء السوريين الذين درسوا الطب باللغة العربية حققوا نسبة نجاح أعلى من الأطباء العرب الذين درسوا باللغة الانجليزية في بلادهم .

وقد كان الطب يدرس في جامعات فرنسا باللغة العربية في القرون الوسطى، وكان مرجعهم كتاب القانون لإبن سينا.

وفي سنة ١٩٨٠ م كنت في دورة في جامعة لندن، شاهدت برنامجا تلفزيونيا عن تاريخ الرياضيات وكيف انتقلت الرياضيات الحديثة من العرب إلى أوروبا في القرون الوسطى ، بث هذا البرنامج على تلفزيون ال BBC، وكان مقدم البرنامج استاذ في تاريخ الرياضيات في جامعة لندن المفتوحة، وقد عرض مقدم البرنامج صورا لبعض صفحات كتب الرياضيات التي كان المتعلمون في أوروبا يقرؤون فيها ، كانت الرموز المستخدمة على الأشكال في تلك الصفحات بالأحرف العربية (أ، ب، س، ص،...الخ). وكان ذلك البرنامج حلقة من حلقات الدروس التي تصدرها جامعة لندن المفتوحة(١)

وفي مقابلة حديثة مع نعوم تشومسكي عالم اللسانيات الشهير وهو في أواخر حياته، قال: من الأخطاء التي كان علي أن لا أقع فيها ولا ينبغي أن يقع فيها غيري هو عدم تعمقي في تعلم اللغة العربية، وقال لقد استفادت اللغة الانجليزية كثيرا من اللغة العربية، ورغم أن اللغة الانجليزية هي اللغة العالمية في العصر الحاضر، فإن اللغة العالمية بعد حوالي عشرين عاما من الآن قد تكون اللغة الصينية أو اللغة العربية. وقد سبق أن كانت اللغة العربية هي اللغة العالمية لمئات من السنين، هذا خلاصة ما قاله نعوم تشومسكي.(٢)

ورغم ما ذكرنا سابقا نجد أن الحكومات العربية في الواقع!! تفرض على جامعاتها الرسمية أن تدرس الطب والعلوم الأخرى باللغة الأجنبية؛ رغم أن القانون النظري المكتوب على الورق فقط ! ينص على أن يكون التدريس باللغة العربية إلا في الحالات الاضطرارية. إلى أن وصل الأمر الآن إلى تدريس العلوم والرياضيات باللغة الأجنبية في المرحلة الابتدائية ، وأن تكتب المعادلات العلمية والرياضية من اليسار إلى

(١) (Open University of London)

(٢) لقد مكثت اللغة العربية حوالي سبعماية عام اللغة العالمية الوحيدة. الأمر الذي لم يتوفر لأي من اللغات غيرها.

اليمين بالأحرف اللاتينية في جميع الكتب الرسمية المقررة من بعض الحكومات العربية، وأن تحذف عبارات بسم الله الرحمن الرحيم ، او الحمد لله ، ونظائرها من الكتب الرسمية المقررة في تلك الدول.

وبدلت أرقامنا العربية الأصيلة بالأرقام الانجليزية تحت مقولة مزورة و/ أو جاهلة، مفادها أن أرقامنا العربية هندية، وأن الأرقام الأنجليزية هي الأرقام العربية زورا وبهتانا.(١)

وتشير نتائج اختبار tems العالمي لعام ٢٠١٨م أن البلدان التي تفوقت على غيرها في امتحان الرياضيات هي التي تدرس بلغاتها القومية وليس التي تدرس بلغة أجنبية.

منذ بداية القرن العشرين بدأ إخراج اللغة العربية من الجامعات بطريقة منظمة مدروسة تدريجيا .

ومنذ بداية القرن الحادي والعشريين بدأ إخراج اللغة العربية من سوق العمل، وبدأ فرض اللغة الأجنبية بلا أي مبرر منطقي على الصفوف الابتدائية ؛إلا خدمة لأهداف مخفية ؛إن إحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية في المراسلات والتخاطبات والاجتماعات الرسمية في سوق العمل؛ يعني ببساطة سد فرص العمل أمام المتعلمين باللغة العربية ، وفتح فرص العمل على مصراعيها أمام المتعلمين باللغة الانجليزية في المشرق العربي والمتعلمين باللغة الفرنسية في المغرب العربي.

حدود البحث

ذكرنا في البحث تجارب وأبحاث دولية ، أجريت على لغات قومية متعددة ، كما ذكرنا تجارب وأراء شخصية لخبراء تربويين عايشوا النظم التربوية في الوطن العربي وفي غيره من الدول ، كما ذكرنا نتائج بعض الدراسات المحدودة التي أجريت في بعض الدول العربية. ونأمل أن يكون هذا البحث حافزا لإجراء دراسات متعمقة في الوطن العربي، كما نأمل أن يتنبه المسؤولون عن النظام التعليمي في الوطن العربي إلى أهمية الاهتمام بتعليم اللغة العربية والتدريس بها، وأهمية إيقاف تهميش اللغة العربية؛ لأنها بوابة الدخول إلى نهضة الأمة العربية، وقد تبين من سرد الأحداث المتعاقبة للتدهور التدريجي والتهميش المتعمد للغة العربية، والإخراج القسري لها من النظام التعليمي والنظام الإعلامي وسوق العمل؛ أن هناك حربا لا هوادة فيها معلنة بوعي أو غير وعي على اللغة العربية في جميع مؤسسات الدولة في الوطن العربي بكامله. ونأمل أن يصل هذا الصوت إلى كل من له اهتمام بنهضة الأمة وخدمة اللغة العربية.

(١) راجع "أرقامنا العربية الأصيلة" للمؤلف ، كتيب المجلة العربية – ٢٤ ، العدد الرابع والعشرون ذو الحجة ١٤١٩هـ/ نيسان (ابريل) ١٩٩٩م.

اللهم هذا جهد المقل وعليك الاتكال ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما. وألهمنا رشدنا، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه. وخذ بأيدينا إلى كل ما يؤدي إلى إصلاح التعليم والمجتمع وأجيال الأمة في أرجاء الوطن العربي كافة.

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا، اللهم صلِ أزكى الصلوات على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

د. إبراهيم أحمد مسلم الحارثي

مدير عام دار المقاصد للدراسات والاستشارات التربوية

عمان – المملكة الأردنية الهاشمية

٢٠صفر الخير١٤٤٥هـ الموافق ٥ أيلول ٢٠٢٣م

الفصل الأول

تهميش اللغة العربية

ويتضمن خطورة التدريس باللغة الأجنبية، وخطورته على اللغة العربية، والإحلال الثقافي، وشرح معنى موت اللغة، والعلامات الداله على موت اللغة.

المبحث الأول: خطورة التدريس باللغة الأجنبية

أخطار التدريس باللغات الأجنبية في مراحل التعليم وإهمال اللغة العربية وإخراجها من مؤسسات التعليم والإعلام وسوق العمل.

والخلاصة التي نصل إليها أن هناك خطة محكمة يجري تنفيذها منذ بداية القرن العشرين، وتقوم على متابعة تنفيذها جهات معينة تهدف إلى إخراج اللغة العربية من حياة الشعوب العربية وإحلال اللغة الأجنبية محلها؛ الأمر الذي يعني إحلال الثقافة الغربية مكان الثقافة العربية الإسلامية، وإخراج جيل من الشعوب العربية يتبنى الثقافة الغربية الكافرة ويحارب الثقافة العربية الإسلامية وينظر نظرة دونية إلى تاريخنا وحضارتنا وديننا. ولا يمكن صد هذه الهجمة إلا بإحياء اللغة العربية وإعادتها إلى مكانتها في مؤسسات التعليم كافة، وفي سوق العمل، ووسائل الإعلام.

المبحث الثاني: موت اللغات

تشير الإحصائيات المتعلقة بموت اللغات في العالم أنه في أواخر القرن العشرين كان موت اللغات يتم بمعدل موت لغة في كل شهرين ؛ ثم أصبح موت لغة في كل شهر، ثم أصبح موت لغة في كل اسبوعين،أما الآن فقد أصبح موت لغة في كل أسبوع. وتشير بعض الدراسات أنه خلال الجيلين القادمين لن يبقى من لغات العالم الحالية (التي يزيد عددها على ٣٠٠٠ لغة) أكثر من ٤٠-٥٠ لغة يمكن التخاطب بها . نعم لقد ماتت مئات اللغات في القرن الماضي، وهناك عدد كبير من اللغات دخلت في مرحلة الخطر. ومن هذه اللغات اللغة العربية. هذا ما تقوله الدراسات العالمية .

ولكن هل يمكن أن تموت اللغة العربية؟ أليست هي لغة القرآن الكريم الذي حفظه الله، فهي محفوظة إذن بحفظ القرآن؟ ولكن ألم تمت اللغة العربية في الأندلس؟ ألم تمت اللغة العربية في صقلية

التي زارها الرحالة ابن حوقل وأحصى في "بالرمو" وحدها أكثر من ثلاثمائة "كتاب" لتحفيظ القرآن الكريم؟ ألم تمت في إيران، وفي الاسكندرون جنوب تركيا، وفي أجزاء كثيرة من إفريقيا مثل زنجبار دار السلام، ومناطق

كثيرة في نيجيريا (في مقاطعة "برنو" أي بر نوح[1]) ، وفي تشاد ومالي ومعظم سكانهما من القبائل العربية؟ واللغة العربية في طريقها للموت في جنوب السودان. إذن قد تموت اللغة في بلاد وتحيى في بلاد أخرى. قد يخرج من اللغة العربية في بضع عشرات من السنين بعض بلاد العرب، وقد تدخل بعض البلاد الإسلامية إلى اللغة العربية. فالعربية ليست لكم أب أو أم، إنما العربية اللسان كما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم –. واللغة العربية هي ملك للأمة الإسلامية، بل هي لغة الإنسانية جميعها ، لأنها اللغة التي تكلم بها سيدنا آدم عليه السلام، أبو الإنسانية كلها.

والعرب مكلفون أكثر من غيرهم من الأمم بالحفاظ على لغتهم العربية فهي اللغة الأم واللغة القومية التي شرفهم الله بها وخصهم من بين شعوب الأرض بهذا الشرف العظيم. وندب سائر الأمم أن تحبهم وتعرف قدرهم كما جاء في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أحبوا العرب لثلاث؛ لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي »[2].

روى أهل الحديث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال : هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء، فقام إليه معاذ بن جبل فأخذ تلبيبه ، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره مقالته ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نودي الصلاة جامعة ، وقال : أيها الناس ، إن الرب واحد والأب أب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي ، فقام معاذ بن جبل وهو آخذ بتلبيبه قال : فما تأمرنا بهذا المنافق يا رسول الله ؟ قال : دعه ، إلى النار ، فكان قيس ممن ارتد في الردة فقتل (٣)

المبحث الثالث: علامات موت اللغة.

يقول علماء اللسانيات ثمة علامات وشواهد إذا ظهرت في بلاد ما، كانت مؤشرا ودليلا على موت اللغة في تلك البلاد. ومن أهمها لغة التدريس في النظام التعليمي، واللغة المستخدمة في النظام الإعلامي. فإذا كانت البلاد تستخدم اللغة الأجنبية لغة للتدريس في مؤسساتها التعليمية، ولا تحترم لغتها الأم في نظامها الإعلامي المرئي والمسموع والمقروء؛ فاعلم أن لغتها الأم ستموت في الجيل القادم أو الذي يليه على أبعد

(١) في عام ١٩٨٧ حضرت في لاغوس – نيجيريا مؤتمرا حول الاستفادة من علوم الفضاء نظمته إحدى منظمات الأمم المتحدة والتقيت بعدد من اقليم "برنو" وهي كلمة أصلها "بر نوح" وتسكنها قبائل عربية ، وشكوا لي أن لغة التدريس في المدارس ليست عربية، وأنهم بحاجة ماسة إلى المدارس العربية.

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس.

(٣) رواه ابن عساكر، والمتقي الهندي في كنز العمال.

تقدير؛ إلا إذا أصلحت نظامها التعليمي والإعلامي وأعادت الاعتبار إلى لغتها القومية واستخدمتها في سوق العمل في مؤسساتها التعليمية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والسياسية ودوائرها الرسمية.

ولكن مما يبشر بالخير ويعطي الأمل في بقاء اللغة العربية واستمرارها لغة قوية وعالمية ؛ نتائج الأبحاث الحديثة التي تجري الآن في الجامعات البريطانية على وجه التحديد. فقد أشارت النتائج الأولية لهذه الأبحاث فيما يسمى بعلم اللغة الكوني ؛ أن اللغة العربية من أقوى لغات العالم إن لم تكن أقواها على الإطلاق. وأن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تقع في الجانب الأيمن من الدماغ ، وأنها قد تكون هي أم اللغات في العالم، وأنها مرشحة لأن تكون اللغة العالمية، وأنها من أقدم لغات العالم ، ولا ينافسها في ذلك إلا اللغة الصينية التي لها من العمر المدون ما يقرب من ٤٠٠٠ سنة، بينما العمر المدون للغة العربية ٢٠٠٠ سنة. وقد يكون السبب في ذلك أن العرب كانت أمة بدوية لا تقرأ ولا تكتب.

ولا يفوتني أن أنوه إلى أن قضية التدريس باللغة الأم لا خلاف على أفضليتها على التدريس باللغة الأجنبية بين الباحثين والمختصين في العالم، فهي ليست من القضايا الفنية المختلف عليها، ولكنها قضية سياسية بامتياز. وإن خضوع بعض السياسيين وأصحاب القرار للضغوطات الأجنبية وتواطؤ بعضهم أو جهلهم بالأضرار المترتبة على التدريس باللغة الأجنبية، وانهزامية بعضهم الآخر؛ هو الذي أوجد إشكالية التدريس باللغة الأجنبية وإهمال اللغة الأم، وأدخل الأمة في نفق الخلافات حول قضية بديهية واضحة. علما بأن أصعب أنواع الاختلاف هو الاختلاف حول البديهيات. كما قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل

وإنني أغتنم هذه المناسبة لأوجه نداء إلى أصحاب القرار السياسي وأصحاب القرار التربوي والتعليمي أن ينظروا إلى من حولهم في دول العالم ويستفيدوا من تجارب الأمم. كما أدعوهم إلى الاطلاع على نتائج الدراسات والبحوث العلمية ويوظفوها في إصلاح ما أفسدته السياسات التربوية غير الدقيقة من قبل. كما أدعوهم إلى الالتزام بالاتفاقات والمواثيق الدولية التي تختص بحقوق المواطنين بتعليم أبنائهم باللغة الأم.

الفصل الثاني

أثر التدريس باللغة الأم في تجويد التعليم

و يتضمن عدة مطالب: الآثار الثقافية للتدريس باللغة الأم، والآثار الاقتصادية والسياسية، والآثار الاجتماعية.

يقول بعض علماء التربية أن التدريس عبارة عن عملية اتصال وتواصل بين طرفي عملية التعليم لتحقيق مقاصد الرسالة التربوية. وإن لغة التخاطب بين الطرفين أي لغة التدريس هي وسيلة التواصل بينهما، فإذا كانت لغة التخاطب غير معروفة من أحد الطرفين؛ فإن عملية التدريس تفشل في تحقيق غاياتها. ولهذا فإن لغة التدريس هي قلب العملية التعليمية التعلمية. وبناءٍ عليه؛ فإن اللغة الأم هي القلب النابض لعملية التعليم والتعلم في المرحلة الابتدائية على الأقل، وبدونها تكون عملية التدريس عملية ميتة لا روح فيها. إن هذا ليس رأيا شخصيا، وإنما هو نتيجة توصلت إليها دراسات وأبحاث ميدانية أجريت في أصقاع الأرض، وأقرتها مؤتمرات دولية كما سنرى لاحقا.

وإن التعليم المؤسس على اللغة الأم هو الوسيلة الأكثر فاعلية في العملية التربوية للأطفال، بل هو الوسيلة الأساسية التي تمكن الأطفال من المشاركة النشطة في عملية التعلم، وتساعدهم في تطوير قدراتهم الغضة المتفتحة حديثا نحو مستقبل زاهر. وتقوي ثقتهم بأنفسهم واحترامهم لأنفسهم ولثقافتهم وحضارتهم، وتنمي عندهم الاعتزاز القومي والفخر بالانتماء إلى أمتهم.

ورغم وضوح هذه القضية، فإن كثيرا من أنظمة التعليم في الوطن العربي تتجاهلها لأسباب مختلفة وتفسيرات واهية لا يخفى بطلانها على كل ذي عقل سليم.

لقد ظهرت قضية اللغة الأم على المستوى الدولي بعد انعقاد المؤتمر العالمي للتربية والتعلم في داكار عام ٢٠٠٠م . وقد اتفق في ذلك المؤتمر على برنامج التربية للجميع[١] الذي يهدف إلى توفير التعليم الجيد لجميع الأطفال في العالم بحلول عام ٢٠١٥م . ومنذ ذلك الحين أجريت مئات الأبحاث العلمية الميدانية، وقد كشفت هذه الأبحاث عن أهمية الدور الذي يقوم به التعليم المؤسس على اللغة الأم في زيادة نسبة التحاق الأطفال بالمدارس، وزيادة نسبة استمراريتهم في التعليم، وتقليل نسبة التسرب، وتقليل نسبة الرسوب، إضافة إلى تحسين نوعية التعليم والتعلم في جميع المواد الدراسية الأخرى. ولذلك زادت مطالبة الأقليات

(١) (EFA) (Education for all)

العرقية بحقوق أطفالهم بالتعلم بلغتهم الأصلية التي تنص عليها اتفاقية حقوق الطفل التي اعتمدتها الأمم المتحدة، ووقعت عليها غالبية دول العالم، ومن بينها الدول العربية.

دور اللغة الأم في تحقيق أهداف التنمية في الألفية الثالثة:

وللأهمية أود أن أذكر مقتطفات من توصيات المؤتمر العالمي الذي عقدته اليونسكو في بانكوك عام ٢٠١٠م في الفترة من ٩-١١ تشرين ثاني (نوفمبر) تحت عنوان **" اللغة والتربية وتحقيق أهداف التنمية في الألفية الثالثة"**. وقد وضعت اليونسكو ثمانية أهداف أطلقت عليها اسم **" أهداف التنمية الألفية"**[١]، وتمثل هذه الأهداف الطموحات التي تتطلع إليها الإنسانية لجعل العالم أكثر أمنا وأكثر استقرارا من خلال نشر المساواة والعدالة. وقد اشترك في المؤتمر المذكور أعلاه مئات من الخبراء في التربية والتنمية والعلوم الاجتماعية، والأعمال الحكومية الرسمية. **وقد أجمع المؤتمرون على أن اللغة الأم لها دور أساسي في تحقيق أهداف الألفية الثالثة**، وقدموا تقارير حول مبادرات تصف أهمية اللغة الأم في تحسين الأوضاع المعيشية للشعوب الأسيوية. وقد نصت إحدى هذه التوصيات :

"حيث أن اللغة لأي شعب من شعوب الأرض تمثل هويته الثقافية وحضارته وتاريخه وقيمه وعاداته، بل تمثل وجوده؛ فإن إهمال اللغة يعني إهمال الشعب الذي ينطق بتلك اللغة. فاللغة تقع في قلب العملية التنموية، فهي مفتاح الشمولية؛ لأنها مركز النشاط الإنساني، وهي وسيلة التعبير عما في النفس، وهي الممثلة لوجود الشعب أو الأمة التي تنطق بها، وإن إقصاء اللغة أو تهميشها يعني إقصاء الأمة أو تهميشها. وإن الاعتراف بالأهمية الأساسية للغة بالنسبة لكل شعب من شعوب الأرض يؤدي إلى زيادة المشاركة الفاعلة لذلك الشعب في عملية التطور والنمو التي تسهم في تحقيق نتائج مستدامة ."[٢]

دور اللغة الأم في تحقيق العدالة الاجتماعية

ومن الدراسات التي أكدت على دور اللغة الأم في نهضة المجتمعات دراسة مزمل ورفقائه[٣]

والدراسة التي أجراها كارول بنسون[٤] تحت عنوان (العدالة التربوية والتعليم المؤسس على اللغة الأم) حيث أكدت نتائج الدراسة على :

(١) (Millennium Development Goals MDGs).
(٢) (UNESCO Bankok,2010)
(٣) (Mozammel etal.2005)
(٤) (Benson, 2005)

" **أن اللغة الأم هي الآلية الأساسية لإقامة العدالة التعليمية (التربوية) في المجتمع**. وأن أهم مظهر لها هو لغة التعليم أي اللغة التي تستعمل وسيطا لتعليم المواد الدراسية الأخرى. ولكي نجعل العملية التربوية شاملة لجميع طبقات المجتمع ذكورا وإناثا يجب أن يتم التعليم باللغة الأم."

"وقد أشارت دراسة أجراها البنك الأسيوي للتنمية عام ٢٠٠١م إلى أهمية التعليم باللغة الأم في إقرار العدالة الاجتماعية رغم وجود عوامل أخرى مؤثرة غيرها، إلا **أن عدم التعليم باللغة الأم من العوامل الأساسية في غياب العدالة في المجتمع.**" (١)

" وقد أفادت دراسات كثيرة أن التعليم باللغة الأم يزيد من الالتحاق بالمدرسة ويقلل من التسرب والرسوب والإعادة." (٢)

اللغة الأم أولاً

وقد دعمت اليونسكو في مؤتمر داكار عام ٢٠٠٠م في إطار العمل الذي أقرته تحت عنوان التربية للجميع استراتيجية التعليم متعدد اللغات المؤسس على اللغة الأم(٣)، ومما جاء فيه:

" وتعترف استراتيجية التعليم متعدد اللغات المؤسس على اللغة الأم (MLE) بأهمية أن يبدأ الأطفال تعليمهم في المدارس باللغة الأم (تحت شعار؛ اللغة الأم أولا) وهي اللغة التي يفهمونها، وبعد أن يكونوا أساسات قوية للغة الأم يبدؤون في تعلم اللغة الأجنبية."

المقصود بالتعلم "المؤسس على اللغة الأم" ، أو "اللغة الأم أولا" ، هو **عدم مزاحمة اللغة الأم بتدريس لغة أجنبية في المرحلة الابتدائية، وأن تكون هذه المرحلة خاصة باللغة الأم فقط**، ثم يبدأ تدريس اللغة الأجنبية في بداية المرحلة المتوسطة أو ما بعدها. شريطة أن تكون اللغة الأم هي لغة التدريس في سائر المواد الدراسية وسائر المراحل الدراسية.

"وقد أفادت دراسة أخرى، لسوزان مالون، أن التعليم متعدد اللغات المؤسس على اللغة الأم ينتج متعلمين ناجحين، قادرين على التحدث بلغتين (اللغة الأم– واللغة الأجنبية) وواسعي الثقافة بثقافتهم الأصلية والثقافة الأجنبية أيضا." (٤)

---

(١) (Asian Devdopnent Bank, 2001).
(٢) (Benson,2006)
(٣) (Mother tongue based Multi lingual Education)
(٤) (Malone, 2005)

وقد دعمت اليونسكو التعليم متعدد اللغات المؤسس على اللغة الأم باعتباره وسيلة فعالة لتحقيق العدالة الاجتماعية والتعليم للجميع في المجتمعات التي توجد فيها أقليات عرقية مهملة، وقد لخصت موقفها في النقاط التالية :

١. " تدعم اليونسكو التعليم باللغة الأم باعتباره الوسيلة الفعالة لتحسين جودة التعليم من خلال البناء على المعرفة السابقة والخبرات السابقة للمتعلم .

٢. تدعم اليونسكو التعليم ثنائي اللغة المؤسس على اللغة الأم أو متعدد اللغات المؤسس على اللغة الأم في جميع مراحل التعليم باعتباره وسيلة لترقية العدالة الاجتماعية والمساواة بين فئات المجتمع في التعليم.

٣. تدعم اليونسكو اللغة الأم باعتبارها مكونا أساسيا للتربية متداخلة الثقافات، لكي تشجع التفاهم بين الشعوب، واحترام الحقوق الأساسية للإنسان " (١)

وجاء في تقرير اليونسكو لعام ٢٠٠٣م:

" إن لغة التعليم التي تستخدم في النظام التعليمي هي التحدي المتكرر الذي يواجه تحسين جودة التعليم وإن الطلاب الذين يخسرون عادة هم الذين لا يتعلمون باللغة الأم". (٢)

" وقد أفادت دراسة للبنك الدولي عام (٢٠٠٥ م) أن التعليم المؤسس على " اللغة الأم أولا " يؤدي إلى :

١- زيادة عدد الخريجين من النظام التعليمي، ويحسن العدالة الاجتماعية والمساواة.

٢- يرفع مستوى النواتج التعليمية في جميع المواد الدراسية.

٣- يقلل الرسوب والإعادة والتسرب .

٤- يزيد من الفوائد الاجتماعية والثقافية .

٥- يقلل من المصروفات والكلفة المالية ." (٣)

(١) UNESCO,2003:30
(٢) (UNESCO,2003:14)
(٣) World Bank, 2005

وقد تبين من الدراسات التي قدمت في مؤتمر " تعليم وتربية الطلاب الأصليين " الذي عقد عام ٢٠٠٦م في داكا عاصمة البنغال :

" إن فشل المنهاج في التعليم ثنائي اللغة في تفعيل دور الطلاب في العملية التعليمية التعلمية في الغرف الصفية من خلال أنشطة ذات معنى بالنسبة لهم، ينتج عنه خبرات غير مفهومة للطلاب وغير مرتبطة بثقافتهم، الأمر الذي يجعل هذه الخبرات غيرذات معنى بالنسبة للطلاب، مما يفقدهم الاهتمام بالدراسة، ويؤدي إلى ارتفاع نسب التسرب المدرسي. " (١)

إن التعليم ثنائي اللغة الفاشل هو التعليم الذي تكون فيه اللغة الأجنبية هي لغة التدريس، الذي تنخفض فيه المشاركة المجتمعية.

هناك شكوى عامة من مديري المدارس وخبراء التعليم في كثير من الدول تتلخص في ضعف المشاركة المجتمعية مع المدرسة، وقد عد بعض التربويين هذه الظاهرة ناشئة عن عدم وعي أولياء أمور الطلاب بأهمية الدور التربوي للمدرسة وعدم وعيهم بأهمية المشاركة بين الأسرة والمدرسة في العملية التربوية لأبنائهم.

" لكن كومينز أشار في دراسته إلى أن عددا من الأبحاث الحديثة أشارت إلى أن الواقع يبرز شيئا آخر مهم، غفل عنه كثير من التربويين، ألا وهو عدم ثقة المواطنين في النظام التربوي ثنائي اللغة القائم حاليا في كثير من الأقطار، الذي تكون فيه لغة التدريس هي اللغة الأجنبية.

لقد فقد المواطن الثقة في المناهج المدرسية وفي جودة التعليم، كما فقد الثقة في مجموعة القيم والأخلاق التي يزرعها النظام المذكور في عقول الجيل. ويعود السبب في ذلك إلى تهميش اللغة الأم، فإن القلة القليلة من أولياء الأمور هي التي تستطيع المشاركة، أما الغالبية العظمي فلا تستطيع المشاركة لأنها لا تملك اللغة الأجنبية.

وقد أشار كومينز أيضا إلى أن التدمير المنهجي للغة الأم والثقافة القومية التي تقوم بها المدرسة ثنائية اللغة؛ ينتج عنه عوامل معيقة لنمو المجتمع. " (٢)

(١) Indigenous Children's Education Forum (ICEF), Miller, Jonathan B, ed. (2006) Many Languages, One Voice. Dhaka: ICEF Secretariat, CARE Bangladesh.

(٢) Cummins , 2000: 3

معضلة التدريس باللغة الأم

أفاد دوتشر كلينتون دوبنس رئيس البرامج العالمية في مؤسسة اللغويات في المملكة المتحدة **أن** الأطفال الذي يتعلمون باللغة الأجنبية يستلمون من النظام التعليمي رسالتين ضمنيتين هامتين:

الأولى أن التفوق والنجاح لا يمكن أن يكون باللغة الأم،

والثانية أن لغتكم الأم لا فائدة منها.

شهادتين من مسؤولين دوليين

أعرض فيما يلي باختصار مقالتين :

الأولى للمدير العام المساعد للتربية في اليونسكو، جوه دانيال، يقول فيه:

" لقد كشفت الدراسات أن الأطفال يتعلمون باللغة الأم أفضل من تعلمهم بأي لغة أخرى. ومن الأمور الواضحة أن اللغة والثقافة مرتبطتان معا. وإن الهوية الثقافية الصحية توازن بين وجهات النظر المختلفة لشخصياتنا. إن لغة التعليم تعبر عن قسم كبير من ثقافة المجتمع .

وإن المجتمع السليم المعافي يختار البدائل التي تنمي الثقة بالنفس عند أفراده وتنمي الإنسجام والتسامح والتوافق بين مكوناته.

إن سنوات كثيرة من البحث والدراسة أظهرت أن الأطفال الذين يبدأون التعلم بلغة الأم يتعلمون أفضل ويستمرون في التفوق أكثر، تنطبق هذه النتيجة على البالغين الذين يريدون الدراسة أو التعلم أو التثقف .

لقد أصبحت هذه النتيجة مقبولة عالميا ومطبقة على نطاق واسع رغم أننا نسمع أن بعض الحكومات في بعض الدول مازالت مصرة على فرض التعلم باللغة الأجنبية على أطفالها وطلابها. وقد يكون هذا الإصرار ناجم عن محاولة خاطئة للوصول للحداثة والتقدم ، أو عن رغبة في التعبير عن التميز لمجموعة اجتماعية مسيطرة .

وقد داومت اليونسكو في السنوات الأخيرة على نشر نتائج الأبحاث التي تؤكد على أهمية التعليم باللغة الأم. وإن الأحداث المثيرة للقلق في السنوات الأولى من هذا القرن تعد بمثابة منبهات تقدم دروسا للحكومات التي تسعى لتحقيق الرفاه والسلم الاجتماعي، والتي تريد تحويل مجتمعاتها إلى مجتمعات

منتجة. لعل هذه الحكومات تستفيد من نتائج الأبحاث المتعلقة بالتعليم باللغة الأم عوضا عن تمسكها بالتسلسلات الهرمية للتأثير والحكم." [١]

الثانية، للأستاذ ليون برخو \ مدير مركز دراسات ممارسات الإعلام وتأثيرها على المجتمع في جامعة بوشوينك \ دولة السويد، بعنوان؛ "**لصلحة من يجري تهميش اللغة العربية في بعض الدول الخليجية**" وقد نشرته جريدة "الاقتصادية" التي تصدر في الرياض في عددها رقم (٦٤٣٠) الصادر يوم ١٤٣٢\٥\١٧هـ الموافق ٢٠١١\٥\٢٠ م، ونظرا لأهمية الموضوع ومناسبته لموضوع هذا البحث أقتبس منه بعض المقتطفات بتصرف؛ يقول البروفسور ليون برخو[٢]:

" اللغة الأم هي ذاكرة وتاريخ وتراث وثقافة وهوية الأمة التي تنطقها. دونها تفقد الأمة ثقافتها وذاكرتها وتاريخها وتراثها وتخسر هويتها.

والعرب قبل أي أمة أخرى عليهم التزام قومي وديني وإنساني للمحافظة على لغتهم العربية؛ أما الالتزام القومي فلأنها لغتهم الأم قوميا؛ فهي ذاكرتهم وتاريخهم وتراثهم وهويتهم. وأما الالتزام الديني؛ لأن كتابهم السماوي وهو القرآن الكريم نزل بهذه اللغة، وأما الالتزام الإنساني ؛ لأن البشرية بعامة والمسلمين بخاصة بحاجة للغة العربية. وهذه ميزة إضافية تحتم عليهم التشبث باللغة العربية.

أي دولة عربية تخسر هذه اللغة معناه أنها خسرت كيانها:

أود التعريج أولا على ما تفعله السويد للمحافظة على لغتها القومية، التي لا دور سماويا لها كما دور اللغة العربية للمسلمين الذين يؤمنون بأن الله من خلال ملكه كلم نبيهم بلغة الضاد.

الدراسة بالمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية كلها باللغة السويدية ، فإن الأجنبي المقيم في السويد لا يفرض لغته ومناهجه الدراسية على المجتمع. على العكس تماما. إن أراد الأجنبي الإقامة في السويد، عليه تعلم اللغة السويدية وإرسال أبنائه وبناته إلى مدارس واسطة التدريس والتعبير فيها هي اللغة الأم، أي السويدية. كل هذا، والسويديون لم يحظوا بكتاب سماوي بلغتهم.

---

(١) Education today July-september,2003 , No.6,p.1

(٢) جريدة الاقتصادية التي تصدر في الرياض في عددها رقم (٦٤٣٠) الصادر يوم ١٤٣٢\٥\١٧هـ الموافق ٢٠١١\٥\٢٠م

كنت أمر مرور الكرام على التقارير التي تتحدث عن تهميش اللغة العربية في بعض الدول العربية، لأنني كنت أشك في نزاهتها. ولكن في زياراتي الأخيرة أصبحت على يقين بأن لغة الضاد في تراجع خطير. فالكثير من الطلاب الذين قابلتهم لا يتمكنون من التعبير، نطقا أو كتابة، عن أنفسهم باللغة العربية ويعبرون عن أنفسهم باللغة الإنجليزية.

ومما أثارني بل صعقني كان موقف الآباء والأمهات، حيث كانوا يتباهون بأنهم يرسلون أولادهم إلى المدرسة الإنجليزية الفلانية ــ ذات الاسم الرنان. والأفظع من هذا، فإنهم يقولون إنهم يحاولون الحديث مع الأبناء باللغة الإنجليزية.

الاستعمار اللغوي أبشع أنواع استعمار عرفه التاريخ البشري. والعرب بصورة عامة قاوموا الاستعمار في مصر والجزائر وغيرها.

كم يحز في قلبي أن أرى بعض الدول العربية الخليجية تقدم لغة الضاد هدية، من حيث تدري أو لا تدري، لاستعمار لغوي جلبته هي على نفسها. إن التطور الهائل الذي حصل في السويد والإنماء المستقبلي الذي تخطط له؛ لم يحدث على الإطلاق على حساب لغتها وثقافتها وقوميتها.

الأجنبي القادم إلى السويد هو الذي عليه أن يتأقلم وليس العكس. في دول الخليج، الأجنبي يأتي ومعه لغته وثقافته ويغرسها في المجتمع. وعلى المجتمع العربي أن يتأقلم معه.

وهذه الدول التي تتباهى بأنها جلبت كل هذه المدارس ذات الماركات العالمية تعتقد أن هذا جزء من الاستثمار الاقتصادي، ولا تدري أنه نوع من الاستعمار الأجنبي.

نصيحة من القلب ومن محب للعرب ولغتهم وتراثهم وقرآنهم: اجعلوا الدراسة والتدريس بالعربية إلزامية في كل المواد في المراحل الابتدائية والمتوسطة على أقل تقدير. إن لم تفعلوا ذلك وبسرعة فإن خسارتكم ستكون هائلة. فالاستعمار اللغوي أسوأ كثيرا من الاحتلال العسكري.

والله من وراء القصد."[1] انتهى كلام ليون برخي/الاستاذ في جامعة بوشوينك / دولة السويد،

إن معطيات البحث العلمي والمعطيات الأممية المتمثلة في قرارات اليونسكو وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بحق الطفل بالتعلم باللغة الأم أولا تحتم على وزارات التربية والتعليم في العالم العربي توفير البيئة المناسبة للطفل العربي لكي يتمتع بحقه الطبيعي في التعلم باللغة العربية والحصول على نوعية متميزة من

(١) ليون برخو / مدير مركز دراسة ممارسات الإعلام وتأثيرها على المجتمع \ جامعة بوشوينك \ السويد

التعليم الأساسي عالي الجودة في المرحلتين الابتدائية وما قبل الابتدائية، وبعد ذلك يصار إلى تعليمه لغة أجنبية أو أكثر. وإن الشعوب العربية في معظم الدول العربية محرومة مما أضحى شعب المورو في نيوزيلندا يتمتع به بعد ٤٠٠عام من الاستعمار الانجليزي.

إنني أطالب بأن تعامل الشعوب العربية معاملة شعب المورو في نيوزيلندا على الأقل.

إنني أدرك أن مجامع اللغة العربية ليس لديها قدرة تنفيذية لتفرض ما تقر وتعتقد.

- لكنني في الوقت نفسه أرى أن عليها مسؤولية تنوير المجتمع المحلي أولا والعربي ثانيا بالأخطار القادمة ومدى خطورتها على المجتمع ثقافيا وأخلاقيا واقتصاديا وسياسيا.
- كما أرى أن معظم الدول العربية تقر دساتيرها وقوانينها الأساسية بأن اللغة العربية هي لغتها الرسمية، ولكن الممارسات على أرض الواقع عكس ذلك، وإنني أدعو المسؤولين في الدول العربية أن يحترموا القوانين الرسمية المتعلقة باللغة العربية في بلادهم.

الجانب السياسي/الاقتصادي لمعضلة اللغة:

يثير السؤال السابق جملة من القضايا السياسية والاقتصادية ذات التأثير في القرارات الأساسية المتعلقة باللغة واستعمالاتها ووظائفها الاجتماعية والتعليمية والثقافية.

يرى أستاذ اللسانيات في جامعة شيكاغو ساليكوكو مافوين (Salikoko mufwene) أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تمر بها بعض المجتمعات اللغوية الصغيرة قد تغيرت بدرجة لا تسمح لتلك المجتمعات بالعودة إلى لغتها وثقافتها. فإذا تغيرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع لصالح ثقافة جديدة فإن الناس سيتبعون الثقافة الجديدة، ويتركون ثقافتهم؛ لأنها لا توفر لهم فرصا للعمل والعيش في مستوى اقتصادي واجتماعي معين. ويصبح طلب التمسك بلغتهم وثقافتهم الأصلية متناقضا مع مصالحهم المعيشية. وسينظر بعضهم إلى طلب العودة إلى اللغة القومية، أو التمسك بها، على أنه مطلب لصالح اللغة وليس لمصلحة من يتحدثون بها. إن المجتمع الذي يصل أفراده أو غالبيتهم إلى هذه النظرة يكون قد وصل إلى نقطة اللاعودة، وهي مرحلة الانتحار اللغوي الذي يتمثل في الانسلاخ من لغته الأم وثقافته والحضارة التي ينتمي إليها. وهو ما يمكن تسميته الانتحار الثقافي أو اللغوي.

الانتحار اللغوي

يرى بول لويس (Poul Lewis) محرر مجلة (Ethnologue) الصادرة عن المنظمة نفسها، أن العلاقة القوية بين اللغة والهوية الثقافية للأمة لا يمكن تجاوزها، فإذا وصل المجتمع إلى النظر إلى لغته نظرة

دونية، أو أنها لغة لا فائدة منها؛ فإن هذه النظرة ستنتقل إلى هويته الثقافية نفسها؛ أي إنه سيحتقر ثقافته

وتاريخه ولغته، ويحتقر نفسه ويفقد احترامه لذاته ، ويقود هذا الأمر إلى تعطيل المجتمع اقتصاديا ونفسيا، بحيث يمكن وصفه بحالة الانتحار المجتمعي، أو الانتحار الثقافي، أو الانتحار اللغوي، أو حالة انتشار المخدرات في المجتمع وسيطرتها عليه، لأنها جميعا تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي ضياع المجتمع. ومن الحقائق المقررة عند ذوي الخبرة أن الاستعمار اللغوي أبشع أنواع الاستعمار، وأن أخطاره على المجتمع أكثر فتكا من المخدرات ومن الاحتلال العسكري.

فعندما يتوقف الآباء عن نقل لغتهم إلى أبنائهم؛ فإن العلاقات بين الأحفاد والأجداد ستنقطع،

وإن تقاليدهم وقيمهم وعاداتهم وثقافتهم سوف تفقد . وسوف يشعر الأبناء والأحفاد بألم فقدانهم لثقافة آبائهم وأجدادهم، وسوف يلازمهم هذا الألم ويبقى عميقا في نفوسهم وقلوبهم. وسوف تشعر الأجيال القادمة أنها فقدت شيئا ما من كيانها الاجتماعي والثقافي.

ومن الشيء الذي يؤسف له أن كثيرا من المجتمعات تتخلى عن لغتها وثقافتها برغبتها، أي دون إكراه أو تهديد من سلطة خارجية. وهي تفعل ذلك لأنها تعتقد أن لغتها القومية لا مستقبل لها، وأن أبناءهم لن يستطيعوا الحصول على مؤهلات عالية بلغتهم القومية تؤهلهم للحصول على وظائف عالية في سوق

العمل مستقبلا. ولذلك لا يمكن مساعدة مجتمع للاحتفاظ بلغته القومية إذا تنازل عنها طواعية وبناء على رغبته الخاصة. والسبب في ذلك أن الناس وضعوا في مأزق اقتصادي لغوي اضطرهم على الاختيار بين الموت والحياة؛ لأن سد فرص العمل أمام الناس هو الموت.

وفي رأينا أن هناك واجبا إنسانيا على كل من عنده القدرة على إقناع الراغب في الانتحار بالعودة عن قراره الفاسد، وذلك بزرع الأمل في نفسه وإزالة أسباب اليأس والقنوط، وفتح آفاق مشرقة أمامه تساعده في الخروج من مثلث الإحباط والقنوط واليأس الذي يشكل الحلقة المفرغة التي يدور فيها. فإذا كانت هناك إرادة سياسية صادقة من السلطة الحاكمة في المجتمع على استخدام اللغة الأم في سوق العمل

وفي عالم الصناعة والتجارة والزراعة والتعليم، فعندها فقط تفتح أبواب العمل لمن يتحدثون بتلك اللغة، ويشعر الآباء بالأمان على مستقبل أبنائهم الوظيفي. وعندها فقط يمكن مساعدة المجتمع للاحتفاظ

بلغته القومية وهويته الثقافية. وهذا مما يحمل صاحب القرار السياسي في المجتمع القسم الأعظم من مسؤولية الحفاظ على اللغة الأم أو اللغة القومية.

يجب إعادة اللغة العربية إلى سوق العمل كما كانت قبل عشرين سنة على الأقل، وإعادتها إلى الإعلام بالتوقف عن استخدام اللغة العامية واللغة الأجنبية ، وإعادتها إلى المؤسسات التعليمية لتكون لغة التدريس في جميع المواد الدراسية بصفة عامة. هذا إذا أردنا إنقاذ اللغة العربية من الموت في بلادنا.

الفصل الثالث

دراسات وأبحاث دولية

يتضمن هذا الفصل عدة قضايا: منها الفترة المناسبة لتدريس اللغة االأجنبية، أثر التعليم المؤسس على اللغة الأم في تجويد التعلم في جميع المواد الدراسية ومن بينها اللغة الأجنبية.

لقد أجريت دراسات وأبحاث كثيرة لمعرفة الفترة المناسبة لتدريس اللغة الأجنبية وقد أفادت هذه الدراسات أن الفترة المناسبة هي بداية المرحلة المتوسطة.[١] ومن هذة البحوث والدراسيات:

تجربة تدريس اللغة الأجنبية في بريطانيا

وقد أجريت دراستان في بريطانيا: الأولى دراسة تجريبية تحت عنوان" **مشروع لتدريس اللغة الأجنبية في المدارس الابتدائية** "[٢] في عام ١٩٦٤م عندما مولت الحكومة البريطانية مشروعا لتدريس اللغة الفرنسية في المرحلة الإبتدائية لمدة عشر سنوات من ١٩٦٤ - ١٩٧٤م في ٣٥٪ من مدارس انجلترا وويلز، ووافقت المدارس المشاركة في التجربة على تدريس اللغة الفرنسية من سن ٨ سنوات إلى سنة ١٣ سنة (أي من الصف الرابع ابتدائي إلى الصف الأول متوسط). وقد قامت المؤسسة الوطنية للبحوث التربوية (NFER) بتمويل دراسة طويلة عبر السنوات العشر ١٩٦٤-١٩٧٤م لقياس اتجاهات الطلاب وأداءهم بقيادة الخبير التربوي "بيرستول" (Burstall).

وقد كشفت الدراسة أنه لا يوجد فوارق ذات دلالات إحصائية بين أداء التلاميذ الذين درسوا الفرنسية من سن الثامنة والتلاميذ الذين بدأوا بدراستها في المرحلة الثانوية. ولذلك أوصى الباحث أنه لا فائدة من توسيع المشروع أو استمراره. وبناء عليه أعلنت الوزارة فشل المشروع وأسدل الستار على تعليم اللغة الأجنبية في المرحلة الإبتدائية. (Kirsh, 2008, pp.4-5)

تجربة تدريس اللغة الأجنبية في اسكتلندا

والتجربة الثانية في اسكتلندا . فقد مولت حكومة الإقليم مشروعا لتدريس اللغة الفرنسية في فترة الستينات من المرحلة الابتدائية العليا واعتبر المشروع غير ناجح وفشل المشروع كما حصل في انجلترة وويلز. (Kirsh, 2008, p. 10)

(١) راجع: " كتاب اللغة العربية إلى أين في ظل التعليم باللغة الأجنبية" لكاتب هذا البحث.
(٢) foreign Language Learning in UK

وقد ذكر كيرش نقلا عن دراسة دريسكول أن الوقت المخصص لتدريس اللغة الأجنبية في المرحلة الإبتدائية في بريطانيا لا يتجاوز (٣٠) دقيقة في الأسبوع، وأشار أيضا إلى أن عدد المدارس التي يدرس جميع طلابها لغة أجنبية لا يتجاوز ٣٪ من مجموع المدارس الإبتدائية في البلاد. (Kirsh, 2008, p.7)

التشريعات الدولية المؤيدة للتدريس باللغة الأم

أيدت التشريعات الدولية حق الأطفال بالتعلم باللغة الأم ، ومنها المادة (٢٩-١ج) من اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل لعام ١٩٨٩م التي وقعت عليها معظم الدول العربية . وتنص هذه المادة على ضرورة أن يقوم النظام التعليمي بدعم تنمية احترام الطفل لوالديه ولهويته الثقافية ولغته القومية (اللغة الأم) وقيمه وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه."(١)

كما نصت اتفاقية منظمة العمل الدولية رقم (١٠٧) لعام ١٩٥٧م في مادتها الثالثة والعشرين على أن"" للأطفال الحق في التعلم بلغتهم الأم أولا." (٢)
ونص إعلان الأمم المتحدة لحقوق المواطنين الأصليين لعام ٢٠٠٦م في موادها ذات الأرقام ١٤ ، ١٧ ، ٢٢ على حقوق الطفل في التعلم باللغة الأم، وأن تكون لغة التدريس هي اللغة الأم.

أثر التعليم المؤسس على اللغة الأم في تجويد تعلم اللغات الأجنبية

إن دعوتنا لتعريب التعليم لا تعني مقاومتنا لتعلم اللغة الأجنبية، ولكن ما نقوله إن تعليم اللغات الأجنبية يجب أن يتم بعد تأسيس قوي للغة الأم، أي ألا يكون تعليم اللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية. وهذا ما ينسجم مع نتائج الأبحاث الميدانية.

فقد أشارت الدراسة التي قام بها مالون (Malone) إلى أهمية أن يبدأ الأطفال بالتعلم باللغة الأم لأنها هي اللغة التي يفهمونها، وهي اللغة التي يعرفها الطفل، ويبني على المعرفة السابقة التي يجلبها الطفل معه إلى المدرسة، ويشجعه على بناء الثقة بالنفس وبقدرته على التعلم، ، كما يمكنه من اكتساب الكفايات اللغوية واستعمالهما في تعلم اللغة الأجنبية في عمليتي التواصل والتعلم دون إجباره على التخلي عن خبراته وثقافته ولغته الأم. وبأهمية تكوين أساسات قوية فيها، حيث إن الأساسات القوية في اللغة الأم تشكل جسرا جيدا يعبر عليه المتعلم لتعلم اللغة الأجنبية. (٣)

(١) (Article 29-c,UN Convention on the Rights of the children ,1989)

(٢) ILO, No. 107, 1957

(٣) Malone, 2005

وقد أ شارت دراسة كومينزأن مستوى اتقان اللغة الأم يعد مؤشرا قويا على مستوى تعلم اللغة الثانية، فالأطفال الذين لديهم تأسيس قوي باللغة الأم يكونون قدرات قوية في تعلم اللغة الثانية.(١)

تشير معلومات اليونسكو إلى أن٥٠٪ من الأطفال الذين تسربوا خارج المدارس في العالم يعيشون في مجتمعات يتم التدريس في مدارسها باللغة الأجنبية. وتشكل هذه العقبة التحدي الكبير لتحقيق التربية للجميع. وهذه الممارسات غير المنتجة القديمة التي عفا عليها الدهر التي لا جدوى منها تؤدي إلى تدني مستويات التعليم والتعلم وارتفاع مستويات التسرب من المدرسة والرسوب والإعادة.(٢)

لقد بينت الأبحاث العلمية الميدانية أن النظام التعليمي الذي يركز على تعلم اللغة الأم أولا بحيث يكون الطلاب فيها أساسات قوية تشكل مفتاحا يساعد الطلاب في تعلم اللغات الأجنبية، وإن المستوى العالي لتعلم اللغة الأم يعد مؤشرا قويا على مستوى تعلم اللغة الثانية. وإن الطلاب الذين لديهم أساسات قوية في اللغة الأم يطورون قدرات قوية قرائية في اللغة الثانية. (٣)

أجريت دراسات كثيرة حول التدريس باللغة الأم على الصعيد العالمي؛ وتشير الأبحاث العلمية المعتمدة عالميا إلى أنه كلما طالت الفترة التي يتعلم بها الأطفال باللغة الأم أصبحوا أقدر على تعلم اللغة الأجنبية شريطة أن تدرس اللغة الأجنبية بالطريقة المناسبة. إن هذه الحقيقة واضحة في توصيات الباحث هيغ(٤)

كما هي واضحة في توصيات اليونسكو في تقرير عام (٢٠٠٣م) في الوثيقة المتعلقة بالتعليم متعدد اللغات.(٥)

أثر التعليم باللغة الأم على تجويد التعليم في سائر المواد الدراسية:

وقد أجري كومينزدراسة على الطلاب ثنائي اللغة أي الطلاب الذين درسوا اللغة الثانية بعد اتقانهم للغة الأم،

(١) Cummins,2000: 4
(٢) (Unesco,2007,P.1)
(٣) (Cummins, 2000) (UNESCO,2007,P.4)
(٤) (Hague,1996)
(٥) UNESCO,2003 C.Educotion in a Multi Lingual world

وقد كشفت هذه الدراسة عن تفوق الطلاب ثنائيي اللغة في جميع المواد الدراسية، عندما تكون المدرسة قد درست اللغة الأم بطريقة فاعلة ومؤثرة، وعندما يكون الطلاب قد طوروا قدرة عالية في القراءة والكتابة باللغة الأم.

وفي المقابل كشفت الدراسة عن تدني أداء طلاب المدرسة التي استخدمت اللغة الأجنبية وسيطا للتعلم وهمشت اللغة الأم بأن عدتها إحدى المواد الدراسية كما تدرس أي لغة أجنبية أخرى، وكان أداءهم أضعف في سائر المواد الدراسية، وكان نموهم وتطورهم الأكاديمي وقدرتهم على التعلم محدودا مقارنة بمن درسوا باللغة الأم.(١)

تقرير اليونسكو لعام ٢٠٠٧:

وجاء في تقرير اليونسكو لعام **٢٠٠٧م أن** التجارب التي نفذت في الفلبين وغينيا الجديدة والهند وتايلند والصين وعدد من دول العالم بينت أن غالبية المعلمين ومديري المدارس وأولياء أمور الطلاب أفادوا بأن الطلاب الذين ابتدأوا التعليم باللغة الأم تحققوا بالصفات التالية :

- ارتفاع مستوى الثقة بالنفس .
- المشاركة بفاعلية في النقاشات الصفية .
- أصبحوا يسألون ويستفسرون أكثر من غيرهم .
- أصبحوا يفهمون المادة الدراسية فهما أعمق .
- أصبحوا يقرأون بسهولة ويفهمون ما يقرؤون .
- تعلموا الكتابة بسهولة وأصبحوا قادرين على التعبير عن أفكارهم كتابة .
- تعلموا اللغة الثانية قراءة وكتابة بسهولة واستيعاب أكثر من غيرهم.(٢)

لقد أوضحت الخبرات المتراكمة حول العالم عبر العصور أن إنكار الحقوق اللغوية والإرث الثقافي للشعوب أو تجاهلها كان سببا أساسيا للصراعات والانقسامات .(٣)

الدراسات والتجارب المختلفة التي تدعم التدريس باللغة الأم

دراسة البنك الدولي عام ٢٠٠٥م

(١) (Cummins, 2000: 5)
(٢) (UNESCO,2007,P.7)
(٣) (UNESCO,2007,P.8)

وقد كشفت دراسة البنك الدولي عام ٢٠٠٥م على أن ٥٠٪ من الطلاب المتسربين كانوا من الطلاب الذين جرى تعليمهم بلغة أجنبية غير لغة الأم التي يتحدثون بها في بيوتهم.(١)

دراسة وزارة التربية والتعليم في نيوزيلندا

وكشفت دراسة حديثة أجرتها وزارة التربية والتعليم في نيوزيلندا أن أطفال طائفة المورو الذين تعلموا بلغة المورو حققوا نتائج أفضل من الطلاب الذين تعلموا باللغة الإنجليزية. علما أن شعب المورو هم السكان الأصليين في نيوزيلندا.

دراسة جامعة جورج ماسون في ولاية فرجينيا

وفي الولايات المتحدة أجرت وحدة الدراسات والأبحاث في جامعة جورج ماسون في ولاية فرجينيا التي راقبت نتائج الطلاب في (٢٣) مدرسة ابتدائية موزعة على (١٥) ولاية منذ عام ١٩٨٥م، وقد كشفت الدراسة أنه بعد (١١) سنة من التمدرس توجد علاقة مباشرة بين وقت التعلم باللغة الأم وبين التفوق المدرسي وأن الذين تفوقوا في المرحلة الثانوية كانوا قد تلقوا تعليمهم في المرحلة الابتدائية باللغة الأم في أربع مواد دراسية على الأقل من ست مواد. وقد بينت الدراسة أيضا أن التعليم باللغة الأم له قيمة معرفية وقيمة عاطفية.(٢)

اختبار tems العالمي:

وتشير نتائج اختبار tems العالمي لعام ٢٠١٨م ، الذي يجرى عادة في العلوم والرياضيات على مستوى العالم. أن البلدان التي تفوقت على غيرها في امتحان الرياضيات هي التي تدرس بلغاتها القومية وليس التي تدرس بلغة أجنبية.

تطبيقات قامت بها عدة دول

هناك أمثلة عملية كثيرة وتطبيقات قامت بها عدة دول في التعليم المؤسس على اللغة الأم، استخدمت فيها اللغة الأم وسيطا للتعلم في المرحلة الابتدائية ومن الدول التي طبقت هذا النوع من البرامج التعليمية: الصين، والهند ، وكمبوديا ، وبنغلادش ، وغينيا الجديدة، والفلبين ، وجزر سليمان ، وتايلاند ، وفيتنام. وقد

(١) (World Bank,2005)
(٢) Wayne,t.p. 2002

تبين أن استخدام اللغة الأم وسيطا للتعلم في المرحلة الابتدائية يعد مؤشرا قويا على جودة التعليم في تلك المرحلة .[١]

الدراسات الميدانية في الولايات المتحدة

وسوف استعرض على سبيل المثال لا الحصر بحثين علميين أجريا في بداية القرن الحالي على مدى واسع وعينة بحثية كبيرة بمنهجية علمية دقيقة في الولايات المتحدة الأمريكية .

الدراسة الأولى دراسة رامايرز وزملاؤه عام ١٩٩١م.(٢)

أجري رامايرز ورفقاه دراستهم التي استغرقت ست سنوات على ٢٣٥٢ طالبا موزعين على ثلاث مجموعات للمقارنة بين ثلاثة أنماط من ا لتدريس طبقت على الأقلية الناطقة باللغة الاسبانية:

١. إذ درست المجموعة الأولى باللغة الإنجليزية فقط ؛أي إن وسيط التدريس هي اللغة الانجليزية، وأعطيت لهم اللغة الأسبانية باعتبارها لغة أجنبية. وهذا يعني أن جميع المواد كانت تدرس باللغة الإنجليزية ماعدا اللغة الأسبانية .
٢. أما المجموعة الثانية، فقد درست باللغة الأسبانية لمدة سنتين ثم حولت إلى اللغة الإنجليزية أي أصبحت اللغة الإنجليزية بعد ذلك هي لغة التدريس لباقي مواد المنهج.
٣. أما المجموعة الثالثة، فقد درست باللغة الأسبانية لمدة ٤-٦ سنوات وكانت اللغة الأسبانية خلال هذه الفترة هي لغة التدريس لجميع المواد الدراسية. ثم حولت بعد ذلك إلى اللغة الإنجليزية.

لقد كشفت نتائج الدراسة أن المجموعة التي تفوقت على سائر المجموعات في جميع المواد الدراسية بما فيها اللغة الانجليزية هي المجموعة الثالثة وهي التي درست باللغة الأم. وإن بعض أفراد هذه المجموعة وصلوا إلى مستوى المتحدث الأصلي باللغة الإنجليزية، بينما تأخر أفراد المجموعتين الأولى والثانية ليس في اللغة الإنجليزية فحسب بل في سائر مواد المنهج المدرسي .

والدراسة الثانية هي دراسة ثوماس وكولير[٣]

(١) (UNESCO Bankok, 2010, p.15)
(٢) (Ramirez,et al, 1991)
(٣) Thomas & Collier, 1997,2002

أجريت هذه الدراسة في الفترة من عام ١٩٩٧-٢٠٠٢م وهي دراسة طولية استغرقت ما يقرب من ست سنوات. وتعد دراسة توماس وكولير أوسع دراسة طولية في العالم، حيث أجريت على (٢١٠,٠٠٠) مائتين وعشرة آلاف طالب موزعين في المدن والأرياف في الولايات المتحدة الأمريكية. حيث قسمت الدراسة إلى أربع مجموعات :

- المجموعة الأولى استخدمت فيها اللغة الأم "الاسبانية" وسيطا للتعلم، والانجليزية لغة ثانية.
- المجموعة الثانية استخدمت اللغتان؛ اللغة الأم واللغة الأجنبية "الانجليزية" وسيطا للتدريس. أي أن المواد الدراسية تدرس بالاسبانية ثم يعاد تدريسها بالانجليزية أو العكس.
- المجموعة الثالثة كانت تدرس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية وتدرس سائر المواد باللغة الأسبانية باعتبارها اللغة الأم في الصفين الأول والثاني أي إن اللغة الأم هي وسيط التعليم في هذين الصفين ثم يتم التحول الى التدريس باللغة الانجليزية أي تصبح اللغة الانجليزية وسيطا للتدريس في المجموعة.
- المجموعة الرابعة كانت تدرس فيها جميع المواد باللغة الإنجليزية، أي أن اللغة الانجليزية هي لغة التدريس، وتدرس اللغة الأم (اللغة الاسبانية) كمادة دراسية وكأنها لغة ثانية.

وقد كشفت نتائج الدراسة أن المجموعة التي تفوقت على سائر المجموعات في اللغتين الإنجليزية والاسبانية وفي سائر المواد الدراسية هي المجموعة التي استخدمت فيها اللغة الأم (الأسبانية) لغة التدريس في جمع مواد المنهج ودرست فيها اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

وقد كشفت نتائج الدراسة أيضا عن شيء مهم جدا وهو أن المجموعة التي تعرضت لمدة أطول في الدراسة باللغة الأم كانت الأفضل في تعلم المواد الدراسية الأخرى والأفضل في تعلم اللغة الإنجليزية باعتبارها اللغة الأجنبية.

أي إن العامل المؤثر في النتائج المدرسية لسائر المجموعات كان طول المدة التي تتعرض فيها المجموعة للدراسة باللغة الأم.[١]

وقد قام الدكتور سكوتناب- كانغاس بتلخيص عددا من الدراسات التي أجريت على أقليات عرقية أخرى في دول العالم فيقول:

(١)(Thomos & Colier, 2002)

" إن خلاصة مجموعة من الدراسات والأبحاث الكثيرة المقارنة التي أجريت على شعب الموري (الشعب الأصلي الذي كان يسكن نيوزلندا قبل احتلالها من الإنجليز) في قسم الموري في وزارة التربية والتعليم النيوزيلندية، أشارت بوضوح إلى أن التعليم باللغة الإنجليزية لشعب الموري كان الأقل فعالية وأقل فائدة من التعليم باللغة الأم لشعب الموري.[١]

إن من حق الشعوب الأصلية في البلاد التي اجتاحها الاستعمار الأوروبي في أمريكا وأفريقيا واستراليا ونيوزلندا أن تعلم أبناءها باللغة الأم، وأن تكون اللغة الأم هي لغة التدريس (وسيط التعليم medium of instruction) لجميع المواد الدراسية في المنهج المدرسي، وبعد ذلك تدرس اللغة الرسمية[٢] كلغة أجنبية أي باعتبارها مادة دراسية وأن يكون المعلم الذي يدرسها متقنا للغة المحلية (لغة الأم) للأطفال إضافة إلى اللغة الأجنبية ليبين لهم . وفقا لتوصيات هيج (Hague) المتعلقة بحقوق التعليم باللغة الأم للأقليات العرقية.[٣]

الدراسات العربية:

أما على صعيد الدراسات التي أجريت في الوطن العربي لم أجد دراسات جادة ذات مصداقية طويلة الأمد. أكتفي بخلاصة دراسة مسحية لعدد من الدراسات المحدودة ألقاها د. فتحي جروان الأستاذ في جامعة عمان الأهلية في المؤتمر التاسع والعشرين لمجمع اللغة العربية الأردني الذي عقد في الفترة من ٢٢-٢٠١١/١١/٢٤م تحت عنوان "التعليم الجامعي بغير اللغة العربية وأثره في الاستيعاب والإبداع" ، وقد أكدت نتائج الدراسات كلها على ضرورة تعريب التعليم الجامعي في جميع التخصصات. وتوصل في النهاية إلى هذه **الخلاصة:**

- ~~لم تظهر أي من الدراسات التي تمت مراجعتها وجود~~ علاقة ارتباطية أو سببية بين التعليم ~~الجامعي بغير اللغة العربية والاستيعاب والإبداع، بل إن النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات~~ أظهرت وجود علاقة إيجابية في الاستيعاب والأداء لدى الدارسين بلغة الأم(اللغة العربية) في المجالات الطبية والعلمية الأخرى، مقارنة مع الدارسين بلغة أجنبية، ولا سيما الإنجليزية. ولا

(١) May&Hill, 2003,P.14

(٢) اللغة الرسمية هي إحدى اللغات المحلية الأوسع انتشارا ، قد تتخذها الدولة لغة رسمية لها، أما اللغة الأجنبية فهي لغة المستعمر.

(٣) Skutnabb-Kangos,2004,P.4

~~يصح التعميم والافتراض بأن التعليم بغير اللغة العربية يمكن أن ينمي قدرات الطلبة على الاستيعاب والإبداع، ولا سيما مع تدني جودة التعليم الجامعي، وازدحام الفصول~~ [1].

تجارب بعض الدول في العودة إلى التدريس باللغة الأم:

رجعت كثير من الدول إلى التدريس باللغة الأم بعد أن كانت تدرس باللغة الإنجليزية لفترة طويلة، وذلك بناءٍ على نتائج البحث العلمي في في تلك الدول، وبعد أن تبين للحكماء في تلك الدول فشل التعليم باللغة الأجنبية في تحقيق ما ينبغي تحقيقه. و منها:

الفلبين:

اصدرت وزارة التربية الفلبينية القرار رقم ٧٤ في شهر تموز (يوليو) من عام ٢٠٠٩م للتحول إلى التعليم المؤسس على اللغة الأم مقتنعة بالأدلة الكثيرة التي نتجت عن الأبحاث الميدانية العلمية التي تقول بأن التعليم باللغة الأم ينتج متعلمين أفضل فهما وأسرع تعلما. وفي تصريح لوزير التربية والتعليم الفلبيني قال فيه: " إن هدفنا هو تخريج متعلمين يتمتعون بمهارات التعلم مدى الحياة بحيث يكونوا ماهرين في لغتهم الأم وفي اللغة الرسمية، وفي اللغة الأجنبية، ولهذا قررنا اعتماد التعليم المتعدد اللغات المؤسس على اللغة الأم. وقد بدأت وزارة التربية بترجمة كتب العلوم والرياضيات وغيرها من المواد من اللغة الانجليزية إلى اللغات الأم، فقد ثبت لدى الباحثين التربويين في الفلبين أن الطفل يتعلم القراءة والكتابة باللغة الأم بسهولة وأن ذلك يساعده في تعلم اللغة الثانية واللغة الثالثة بطريقة أسرع وأكفأ . هذا فضلا عن أن التعليم باللغة الأم يحسن قدرات الطفل المعرفية والفكرية.

ويطبق التعليم المؤسس على اللغة الأم حاليا في (١٠٤) مدرسة موزعة على (٦٠) مديرية تربية وتعليم في مقاطعات الفلبين المختلفة. وقد استخدم فيه (٨) لغات محلية، إذ يتم تعليم الطلاب في المرحلة الابتدائية باللغة الأم جميع المواد الدراسية، ثم يدخل تدريس اللغة الفلبينية باعتبارها اللغة القومية للفلبين في الصفوف المتأخرة للمرحلة الابتدائية ثم اللغة الإنجليزية بعد المرحلة الابتدائية. هذا مع العلم أن عدد اللغات المحلية في الفلبين يصل إلى ١٥٠ لغة.[2]

سنغافورة:

وفي سنغافورة شكلت وزارة التربية والتعليم لجنة لإدخال التدريس باللغة الأم في المدارس في غضون خمس سنوات. ويستدعي هذا القرار إجراء تعديلات جوهرية في المناهج وتخصيص الموارد المالية والكوادر

(١) فتحي جروان، ٢٠١١

(٢) (www.deped.gov.ph)

البشرية المؤهلة لتطبيق التعليم باللغة الأم.[١]

السويد :

نظرا لكثرة المهاجرين الجدد التي توافدوا على السويد ، قامت حكومة السويد بإدخال تعديلات على النظام التعليمي بحيث يسمح بتدريس الوافدين الجدد باللغة الأم، وذلك لأن اللغة الأم لها دور أساسي وهام جدا في تكوين الهوية الثقافية للفرد وتكوين احترام الذات بالإضافة إلى أن اللغة الأم توفر الأساسات التي يبني عليها الطفل قدراته التعليمية . وبعد التأسيس باللغة الأم يتعلم الطفل اللغة الثانية بسهولة كما تساعده في تعلم المواد الدراسية الأخرى. وقد حرصت وزارة التربية في السويد على تعليم أبناء المهاجرين لغاتهم الأصلية لأن ذلك يشكل ثروة للمجتمع السويدي عندما يزداد الأفراد الذين يتحدثون بأكثر من لغة.

وقد نصت التعليمات في مرحلة رياض الأطفال أن الأطفال الذين لغتهم الأم ليست اللغة السويدية ، يجب أن يعطوا الفرصة لتطوير لغتهم الأم إلى مستوى مقبول شأنهم شأن الطلاب الذين لغتهم الأم اللغة السويدية، بالإضافة إلى منحهم الفرصة لإتقان اللغة السويدية باعتبارها لغة الأغلبية .

كما نصت تعليمات الوزارة على ضرورة أن يستمر تعليم اللغة الأم في جميع المراحل الدراسية الابتدائية والمتوسطة والثانوية باعتبارها مادة دراسية خاصة بأبناء المهاجرين. ويجب أن يتم تعليم اللغة الأم بطريقة تقوي احترام الذات وتساعد في بناء شخصياتهم، إضافة إلى تمكينهم من تحصيل الاستفادة القصوى من عملية التعليم المدرسي.[٢]

هونغ كنج :

وبعد أن استقلت هونغ كنج من الاستعمار البريطاني الذي استمر أكثر من مائة سنة. صرح ريموند يونغ أمين عام وزارة التربية والتعليم والقوى العاملة في هونكنج أن الوزارة قررت استخدام اللغة الصينية لغة للتدريس بدلا من اللغة الإنجليزية، وقال إن نتائج الدراسات المسحية التي أجرتها الوزارة على المدارس والوالدين والطلاب أنفسهم والمجتمع . كانت إيجابية لصالح التدريس باللغة الصينية، وإن نتائج الطلاب في المدارس التي استخدمت فيها اللغة الصينية للتدريس أشارت إلى تحسن في أداء الطلاب في جميع المواد الدراسية وإن مستوى الطلاب في اللغة الإنجليزية لم يتراجع رغم تدريسها كلغة أجنبية أي باعتبارها مادة دراسية وليست لغة تدريس للمواد الأخرى. وقال إن التدريس باللغة الصينية يمكن أن يحسن مستوى

(١) Tuesday,January B1,2012 , www.chanelnewsaia.com)
(٢) www.modersmal.net

الثقة بالنفس والقدرة على التعلم مدى الحياة ويحفز مهارات التفكير العليا ويزيد الدافعية للتعلم ويقوي العلاقة بين المعلمين والطلاب، ويزيد من المشاركات الصفية.(١)

زيمبابوي:

بعدما حصلت زيمبابوي على استقلالها عام ١٩٨٠م أرادت أن تجعل التعليم باللغة الأم بعد أن كان المستعمر البريطاني قد أهملها ولم يعترف بها كلغة رسمية للبلاد. فأقرت قانون عام ١٩٨٧م يجعل التعليم في الصفوف الثلاثة الأولى باللغة الأم، وتدرس اللغة الإنجليزية كمادة دراسية وعدل القانون عام ٢٠٠٤م ليجعل التعليم باللغة الإنجليزية من الصف الرابع فما فوق.

- وقد أجريت دراسة مسحية عام ٢٠٠٨م لاستكشاف ما آل إليه الوضع اللغوي في البلاد. وقد تكونت عيّنة الدراسة من (٦٠) طالبا، و(٤٢) من الوالدين، (٢٥) مدير مدرسة ، (١٦٩) معلما. وقد اختيرت العينة من مناطق حضرية وريفية في مقاطعة ماسفينغو في زيمبابوي وقد وجد أن الطلاب والوالدين يفضلون التدريس باللغة الإنجليزية وقد عزا الباحث هذا التوجه من الطلاب ووالديهم بسبب جهلهم بفوائد التعليم باللغة الأم وبسبب متطلبات سوق العمل الذي يفضل المتحدثين باللغة الإنجليزية ولا يلقي بالا للغة الأم والمتحدثين بها. وإن القرار السياسي الذي أجاز التعليم باللغة الأم في الصفوف الثلاثة الأولى وجعل التعليم باللغة الإنجليزية من الصف الرابع فما فوق قرار سياسي خاطيء أدى بالناس أن ينظروا إلى لغتهم وثقافتهم نظرة دونية وعدم احترام. مما جعلهم ينظرون إلى أنفسهم نظرة دونية كذلك.(٢)

ورغم أن عينة الدراسة غير ممثلة للمجتمع بل هي صغيرة جدا لدرجة أن لا يتوافر فيها شرط من شروط التجربة العلمية. إلا أن السياسيين في زيمبابوي اتخذوها ذريعة لإلغاء قانون العودة للتعليم باللغة الأم.

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الإجراءات الخاطئة التي اتخذت لتطبيق قانون العودة إلى اللغة الأم هي التي أفشلت القانون . ومن أمثلة هذه الاجراءات الخاطئة:

- أن اللغة الانجليزية بقيت مزاحمة للغة الأم في المرحلة الابتدائية
- أن اللغة الانجليزية بقيت لغة التدريس في بقية المواد الدراسية.

(١) www.info.gov.hk,satday.jan.22 ,٢٠٠٠

(٢) The Journal of pan African studies, Vol.2,no.4,June 2008 PP.171–181,2008)

- أن لغة سوق العمل لم تغير وبقيت اللغة الانجليزية هي لغة سوق العمل مما أوصد الباب أمام المتعلمين باللغة الأم.

أضف إلى ذلك أن طول فترة الاستعمار الانجليزي الذي استمر مئات السنين مسح الهوية التقافية والأنا اللغوية والعزة اللقومية والشعور بالفخر والانتماء الحضاري القومي في زيمبابوي ، وزرع مكانها القناعة بالتبعية الثقافية للمستعمر الانجليزي والقناعة بالدونية اللغوية والثقافية لشعوبهم، وحل محلها الشعور بنظرة التبجل والاحترام للغة المستعمر وثقافته والافتخار بالتحدث بلغته ؛ لأن ذلك في نظرهم علامة على التمدن والتقدم والحضارة.

ويرى الخبراء أن النظام التعليمي الذي يعطي احتراما زائدا اللغة الأجنبية ويتيح للخريجين الذين درسوا بها فرص العمل، بينما يحرم من تعلموا باللغة الأم من فرص العمل وينظر إليهم وإلى اللغة الأم نظرة دونية، وينظر إلى التحدث باللغة الانجليزية نظرة احترام وتبجيل؛ فإنه لاشك سيؤدي إلى الانتحار اللغوي في ذلك المجتمع. .[1]

جنوب إفريقيا:

أجرت إدارة البحوث والدراسات الإنسانية في جنوب إفريقيا عام (٢٠٠٤م) دراسة على (٣٥٠٠٠) طالب من طلاب الصف السادس الابتدائي ممن يتعلمون باللغة الأم مقارنة بمن يتعلمون باللغة الانجليزية أي بغير اللغة الأم. وقد كشفت الدراسة عن أن ٨٠٪ منهم يعانون من ضعف في المهارات العددية الأساسية، ٤٠٪ يعانون من ضعف في مهارات القراءة الأساسية. كما كشفت الدراسة أيضا أن الطلاب الذين درسوا باللغة الأم تفوقوا على الطلاب الذين درسوا باللغة الإنجليزية في اللغة الانجليزية والرياضيات والعلوم ، وأن أقل من ١٥٪ممن درسوا باللغة الإنجليزية كانوا ماهرين في اللغة الإنجليزية مما يعني أن الأغلبية كانت تعاني من ضعف في مهارات اللغة الإنجليزية رغم أنها لغة التدريس بالنسبة لهم.

وعندما نشرت نتائج الدراسة عام ٢٠٠٥م اثارت ضجة كبيرة في الأوساط التعليمية في جنوب أفريقيا . ومما فاقم الوضع اكثر أن غالبية الدراسات التي أجريت في أنحاء متفرقة من العالم تفيد أن أداء الطلاب في المدرسة يكون أفضل إذا ما درسوا باللغة الأم في السنوات السبع الأولى من السلم التعليمي.

وقد أعلنت أكاديمية العلوم والآداب في جنوب أفريقيا رأيها بوضوح عام ٢٠٠٥م من أن التعليم باللغة الأم حق أساسي من حقوق الإنسان وهو حق غير قابل للنقاش. ويضاف إلى ذلك أن التعليم باللغة الأم أقل

(١) (Roy-Campbell,1996) (Jeffreys,1996,Hornby,1997)

كلفة مالية من التعليم باللغة الإنجليزية . لأن التعليم باللغة الإنجليزية يستدعي تدريب (٢٠٠,٠٠٠) معلما لمدة (٢٠٠) ساعة حتى يكونوا قادرين على التدريس باللغة الإنجليزية . وهذه الكلفة المالية غير واردة إذا ما تم التعليم باللغة الأم .

وقد نصت سياسة التعليم في جنوب أفريقيا عام ١٩٩٧م على أن يتم التعليم باللغة الأم في المدارس . وفي عام ٢٠٠٢ م طلبت الحكومة من الجامعات أن تغير سياساتها اللغوية بحيث تكون متممة ومكملة لسياسة التعليم في مدارس التعليم العام، وأن لا يكون أي تعارض بين السياستين . (١)

بابو-نيوغينيا

لقد أعادت بابونيو غينيا صياغة نظامها التعليمي بعد أن كانت تمارس التعليم باللغة الإنجليزية لعشرات السنين، اعتمدت خلالها اللغة الإنجليزية لغة رسمية ووسيطا للتدريس في نظامها التعليمي، منذ مطلع القرن العشرين حتى عام ١٩٩٣م. ولكن بعد هذه الممارسة الطويلة للتدريس باللغة الإنجليزية أدرك المسؤولون في النظام التعليمي في غينيا الجديدة الآثار السلبية لاستخدام اللغة الأجنبية وإهمال اللغات المحلية. وقد شرعت وزارة التربية والتعليم في تلك البلاد في بناء المناهج في المرحلة الابتدائية منذ عام ١٩٩٥م وفي عام ٢٠٠٥ م بدأت التدريس باللغة الأم لفئات المجتمع المختلفة علما بأن اللغات المحلية التي استخدمت في التدريس أكثر من ٤٠٠ لغة . (٢)

الأسئلة الغلط:

إن تدريس أبناء العرب بلغتهم من البدهيات المنطقية ، ولكن إذا خالف المرء الأمور البديهية فإنه يغرق في بحر اللامنطق، ومن أعجب الأمر الأسئلة الغلط التي تتداول بين من يتصدرون المناصب القيادية الثقافية والعملية التعليمية التعلمية في بلادنا ، هذه الأسئلة التي تتناول البدهيات مثل:

هل تصلح اللغة العربية لتكون لغة التدريس في الجامعات؟

هل تصلح اللغة العربية لتعليم العلوم والرياضيات؟

هل تصلح اللغة العربية لتكون لغة المراسلة بين الشركات؟

(١) http://myfundi.co.za

(٢) UNESCO,2007,P.6

بل هل تصلح أن تكون لغة المؤتمرات؟

بقي سؤال يودوا لو يسألونه بعد وهو، هل تصلح اللغة العربية أن تكون لغة للعرب؟

أم هل يصلح العرب أن يكونوا عربا؟

إن هذه الأسئلة وأمثالها إن دلت على شيء فإنما تدل على جهل أصحابها باللغة العربية من جهة وجهلهم بنتائج البحوث التربوية في العالم من جهة أخرى، والإنسان عدو لما جهل، أما إن كان من يطرحون هذه التساؤلات مدركين لما يقولون، ويقصدون من ذلك إقصاء اللغة العربية وإخراجها من دائرة المعاملات الحياتية وإحلال اللغة الإنجليزية أو غيرها مكانها، فهم لا يخرجون عن احتمالين اثنين لا ثالث لهما: الأول أنهم من أعداء الأمة العربية والثقافة الإسلامية، والثاني أنهم مستأجرون لأعداء الأمة من حيث يدرون أو لا يدرون.

الأسئلة الصحيحة:

أما إن كان من يطرحوا هذه التساؤلات يريدون الخير للأمة وللوطن ينبغي أن يسألوا الأسئلة الصحيحة التالية:

- كيف تجعل اللغة العربية لغة التدريس في الجامعات والمعاهد العليا؟
- كيف تجعل اللغة العربية لغة التدريس في العلوم والرياضيات والطب والهندسة والحاسوب؟
- ما الخطوات الواجب اتباعها لرفع مستوى تعليم اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة؟
- ما الذي ينبغي فعله لتصبح اللغة العربية هي لغة التخاطب بين الشركات ورجال الأعمال؟
- ما الأبحاث التي ينبغي إجراؤها لتحسين أساليب تدريس اللغة العربية؟
- ما الذي ينبغي فعله لرفع مستوى إعداد معلمي اللغة العربية وتأهيلهم مهنياِ قبل الخدمة وبعدها؟

هذه الأسئلة وأمثالها أسئلة صحيحة ينبغي أن نعمل جميعا للحصول على إجابات عملية مقنعة لها، ويجب أن تتضافر الجهود لحل المشكلات التي تعترض سبيلها. وإن لم نفعل هذا قبل فوات الأوان ؛ فإن الكارثة التي ستحل بالوطن العربي ستكون كارثة كبيرة لا يتوقعها كثير من الناس.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ الأمة العربية والوطن العربي ويحفظ شامنا ويمننا من كل سوء، وأن يرعانا وإياكم ويلهمنا ويلهم قادتنا وحكامنا وعلمائنا وأساتذتنا ومعلمينا سبل الهدى والرشاد، وأن يأخذ بأيدينا جميعا إلى الخير حيثما كان وأينما كان، وأن يصفي نياتنا، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم. وعلى الله قصد السبيل. والله من وراء القصد.

خاتمة البحث

لقد كشفت الدراسات والتجارب الدولية عن الأمور التالية:

١) ينبغي أن تخصص المرحلة الابتدائية لتعليم اللغة الأم؛ أي أن تخصص المرحلة الابتدائية للتعليم والتعلم باللغة العربية الفصحى، وأن لا تزاحمها لغة أجنبية، وهذا شأن الدول العظمى في العالم كله.

٢) إن الوقت المناسب لتعليم اللغة الأجنبية هو ابتداء من المرحلة الثانوية أو المرحلة المتوسطة،

٣) إن البدء بتعليم اللغة الأجنبية في المرحلة الابتدائية أو مرحلة التمهيدي مخالفة صريحة لنتائج البحوث الميدانية المعتبرة في العالم، وفي الوقت نفسه يشكل منازعة للغة الأم.

٤) إن سرعة تعلم اللغة الأجنبية في المرحلة المتوسطة فما فوقها ضعف سرعة تعلمها في المرحلة الابتدائية.

٥) إن تعلم اللغة الأم المسبق يسهم في سرعة تعلم اللغة الأجنبية.

٦) إن التدريس باللغة الأم في الجامعات والمراحل التعليمية المختلفة يزيد من جودة التعلم في المواد الدراسية الأخرى.

٧) إن تعلم اللغة الأم المسبق واتقانها يساعد في رفع جودة تعلم اللغة الأجنبية.

للاطلاع على نتائج بعض الدراسات التي ذكرت في هذا البحث:

راجع التجربة البريطانية في تدريس اللغة الفرنسية بصفتها لغة أجنبية، ودراسات رامايرز ورفقاه، Ramirez, J. David.، دراسة ثوماس وكولير، Thomas, Wayne, p. and collier, Virginia، اللتان أجريتا في الولايات المتحدة الأمريكية. راجع أيضا الدراسات العربية التي ذكرت في هذا البحث، رغم أنها قصيرة المدى، وقد أجريت هذه الدراسات في السعودية ومصر والأردن.

التوصيات:

أوصي بإجراءدراسات عربية تجريبية ميدانية واقعية طويلة الأمد على غرار تجارب رامايرز ورفقاه، ودراسة ثوماس وكولير التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية. تجربة تدريس اللغة الفرنسية في انجلترا وويلز التي أجريت تحت قيادة الخبير التربري ديفيد كريستال .Crystal, David . وكذلك تجربة تدريس اللغة الفرنسية في اسكتلندا التي استغرقت عشر سنوات أيضا.

هذه نهاية البحث والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المراجع العربية

١- الحارثي ، ابراهيم أحمد مسلم (٢٠١٢) ، اللغة العربية إلى أين في ظل التعليم باللغة الأجنبية، مكتبة الشقري ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

٢- الحارثي ، ابراهيم أحمد مسلم (٢٠١٤)، اللغة الأم كيف تحيا ومتى تموت ، مكتبة الشقري ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

٣- الحارثي ، ابراهيم أحمد مسلم (١٩٩٩)، "أرقامنا العربية الأصيلة" كتيب المجلة العربية – ٢٤ ، العدد الرابع والعشرون ذو الحجة ١٤١٩هـ/ نيسان(ابريل) ١٩٩٩م.

٤- إبراهيم مصطفى وآخرون، (–)، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

٥- ابن خلدون، المقدمة، المكتبة العصرية، لبنان.

٦- ابن منظور (–) لسان العرب – دار الحديث، القاهرة، جمهورية مصر العربية. الجزء الثامن.

٧- أوكامبو، فاليزنو، كوجانو (٢٢يونيو٢٠١٠)مفتاح النجاح العالمي، لماذا تأخرنا؟ www.inquirer.net

٨- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (٢٠٠٤) القاموس المحيط، بيت الأفكار الدولية، عمان – الأردن.ص١٥٧٥.

References

1. Asian Development Bank (2001) "Education in the CHT" TA 3328-BAN (final report #8), Dhaka.

2. Avert, S.(2010)"Global HIV and AIDS Estimates end of 2009" http://www.avert.org.

3. Bekele, D. (2006) Multilingualism in the Cyberspace, Technological challenges and solutions. Nairobi, may , 18th 2006.

4. Benson, Carol. (2005) Girls, Educational Equity and Mother Tongue-based Teaching. Bangkok: UNESCO Bangkok.

5. Collier, Virginia P. & Thomas, Wayne p.(2000) Reforming Education Policies for English Learners Means Better Schools for All. The State Educational Standards 3:1,30-36.

6. Crystal, David.(2000) Language Death. Cambridge University Press. Cambridge, CB2,2RU,UK.pp.18-20

7. Cummins, J. (2000) Bilingual children Mother Tongue: Why is it Important to Educations? : University of Toronto. http://www.iteachilearn.com/cummins/mother.htm.

8. Hague Recommendations Regarding the Education Rights of National Minorities & Explanatory Notes, oct.1996,The Hague, for The Use of The OSCE High Commissioner on National Minorities, Max van der Stoel, http://www.osce.org/hcnm/.

9. Indigenous Children's Education Forum (ICEF), Miller, Jonathan B, ed. (2006) Many Languages, One Voice. Dhaka: ICEF Secretariat, CARE Bangladesh.

10. Kishore Singh (2012) Languages and the realization of the right to Education. www.unesco.org/.

11. Malone, Susan (2005) "Advocacy Toolkit on Multilingual Education Booklet for Programmer Implementers" Draft. Prepared for the Multilingual Advisory.

12. OECD, (2010) Organization for Economic Cooperation and Development, 2010,"Investigating in women Girls : the Breakthrough Strategy for Achieving all the MDGs".

13. Ramirez, J. David., Yuen, Sandra D.,& Ramey, Dena R. (1991).Executive Summary : Final Report: Longitudinal study of structured English immersion strategy, early –exit , and late exit, transitional bilingual education programs for language minority children, Submitted to the U.S. Department of Education. San Mateo, CA: Aguirre International.

14. Ramirez, J. David., Pasta David J. Yuen, Sandra D., Billings, David K. & Ramey, Dena R. (1991). Longitudinal study of structured English immersion strategy, early –exit , and late exit, bilingual education programs for language minority children,(Vols 1-2) San Mateo, CA: Aguirre International.

15. Romaine, S. (2010)"Language and the MDGs" International Conference on Language, Education and MDGs, 9-11 Nov. Bangkok , Thailand. www.seameo.org/language.

16. Rankle & Associates. Inc (2007) www.business-in-Asia.com

17. Schaeffer, S. (2003) language development and language revitalization: an educational imperative in Asia. international conference on language development, language revitalization and multilingual education. Bangkok, Thailand.

18. Skutnabb-Kangas,Tove(2000) Linguistic genocide in education – world wide diversity and human rights? Mahwah, New Jersey & London: Lawrence Erlbaum Associates.

19. Skutnabb-Kangas,Tove(2002b) language policies and education: the role of education in destroying or supporting the worlds linguistic diversity. Keynote address at the world congress on language policies, 16-20 April 2002 , organized by the linguapax institution co operation with the government of Catalonia, Barcelona, catalonia,spain.http://www.linguapax.org/congres/plenaries/skutnabb.html.

20. Thomas, Wayne, p. and collier, Virginia p. (2002) a national study of school effectiveness for language minority students' long term academic achievement report: project 1:1. Fairfax Virginia: Verde, George mason university. http://www.crede.Ucsc.edu.

21. Thomas, Wayne, p. and collier, Virginia p. (2002) a national study of school effectiveness for language minority students' long term academic achievement. George mason university. CREDE(center for research on education, diversity & excellence)

22. http://www.crede.Ucsc.edu/reaserch/llaa/1.1final.html.

23. UN Convention on the Rights of the Child, General Assembly resolution 44/25 of 20 November 1989, http://www.crin.org/docs/resources/treaties /uncrc.asp, cited 18 December 2006.

24. UN Draft Declaration on the Rights of Indigenous Peoples, E/CN.4/Sub.2/1994/2/Add.1 (1994), http://www.idrc.ca/en/ev-30140-201-1DO TOPIC.html, cited 12 December 2006.

25. UN Programme (2011) " UNAIDS Terminology Guidelines".

26. UNESCO (2010). "UNESCO Short Guide to the Essential Characteristics of Effective HIV Presentation".

27. UNESCO Bangkok, (2010) Language Matters for the Millennium Development, Goals, Asia and Pacific Regional Bureau for Education.

28. UNESCO.(2003) Education in a Multilingual World UNESCO Education Position Paper. Paris: UNESCO.

29. UNESCO (2007) Programmer Implementers Booklet, promoting Multilingual (Education, Bangkok, Thailand, P.1

30. UNESCO 2003c. Education in a multilingual world. UNESCO education position paper. Paris UNESCO. http://unesdoc.unesco.org/images/0012/001297/129728e.pdf

31. UNESCO,(2007) " Booklet for Policy Makers" advocacy Kit for Promoting Multilingual education. Including the excluded. UNESCO Bangkok. Thailand.

32. World Bank (2005) "Education Notes: In Their Own Language.. Education for All". http://www.worldbank.org/education, cited 12 December 2006.

33. World Bank, 2005. "Education Notes" July. http://www. siteresources.Worldbank.org.

34. World health Organization, (2011). "Malaria" Fact sheet No.94.October. www.who.int/mediace/factshects/Fso94/en.

35. www.unicef.org/MOG/maternal.htm).

36. Education today, No.6,p.1 ,July-september,2003

همزة السلب في القرآن؛ دراسة دلالية

د. صدّام علي حسين صالح
أستاذ اللغويات المشارك في كلية التربية ردفان، بجامعة لحج،
إيميل: saddamsaleh485@gmail.com
هاتف نقال ٧٧٤٠١٢١٦٠، وتس ٧٣٤٦٠٦١٣٢

همزة السلب في القرآن؛ دراسة دلالية- د. صدّام علي حسين صالح

مقدّمة:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لطالما وقفت متفكرا في حال هذه اللغة الشريفة الكريمة وما فيها من الإرهاف والرقة والإحكام والدقة فأتعجب كل العجب من عظيم لغتنا وثرائها ومن غورها، ووسيع مذاهبها، وبديع ما أمدِ به واضعِها ومبتدئها، ومن عظيم ما وقفت عليه وأنا أقرأ كتاب الله الكريم أن الاستعمال القرآني لم يكتف في سلب الدلالة الإيجابية من خلال استعمال أدوات النفي أو النهي، وإنما تضمن السلب صيغا أخرى في اللغة حاول البحث دراسة صيغة وهي السلب بالهمزة، وبيان مواضعها، وتحديد دلالتها المرتبطة بها، وأسميت الدراسة: (همزة السلب في القرآن الكريم دراسة دلالية) فهناك أفعال كثيرة دخلت عليها همزة السلب وغيرت معناها، منها ما هو مألوف قد تناوله الأقدمون بالدراسة والتفتيش، كقسط وأقسط، وصرخ وأصرخ، وبعضها نحسب أننا أمطنا اللثام عنه، كمدد وأمدد، ووعد وأوعد، ومطر وأمطر وغيرها، وتهدف الدراسة إلى التعرف على ما تفعله همزة السلب؛ فهي تسلب المعنى الأول وتفرغه من مضمونه وتحوله إلى معنى جديد مخالف له، وقد تحول المعنى من الخير إلى الشر أو من الشر إلى الخير، "والذين لا يعلمون قياس النحو ولا يميزون بين دخول هذه الألف وخروجها، وما يحدث بذلك من المعنى فيهما يظنون أن هذا من الأضداد؛ وذلك أنه عندهم لفظ واحد، واقع على الشيء وضده، ولا يدرون أن دخول الألف، يخرج الكلمة عن لفظها بغير ألف، ويجعل لها مثالا على حدته، فتصير الكلمتان بمنزلة العدل والجور، في اختلاف اللفظين والمعنيين"[1]. كما تهدف الدراسة إلى حصر الألفاظ التي وقع فيها السلب بالهمزة وخلاف العلماء حولها.

وقد اتكأت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف المفردة القرآنية من كتب اللغة واستعمالها في فصيح الشعر وكلام العرب، والأحاديث النبوية، وكيفية استعمال القرآن لها، مبينا دقة الاستعمال القرآني وخصوصيته.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة تناولت فيها أهمية البحث وأهدافه، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه، وتمهيد مختصر عن همزة السلب، ومبحثين، المبحث الأول ما اتفق في دلالة الهمزة على السلب، والثاني ما اختلف في دلالة الهمزة على السلب. وختمت البحث بأهم النتائج التي وصلت إليها الدراسة.

الدرسات السابقة:

(١) تصحيح الفصيح وشرحه، ص: ١٣٣، أبو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ابن المرزبان (ت: ٣٤٧هـ)، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]، عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- همزة السلب (الإزالة) في القرآن الكريم والسنة والنبوية؛ دراسة وصفية دلالية، لمياء محمد، جامعة الأزهر، مجلة حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، المقالة٤١، المجلد ٣٦، العدد٢، ديسمبر ٢٠٢١م.
- السلب في العربية؛ دراسة صرفية لغوية، بحث منشور للدكتوره منى بنت علي الفلاح، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد ١١، العدد ٣، السعودية، ٢٠٠٩م.
- السلب في اللغة العربية، رسالة دكتوراه تقدم بها غانم عبد الحسن رداد، جامعة بغداد، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- مظاهر السلب في النص القرآني (المفردة القرآنية أنموذجا) رسالة ماجستير تقدمت بها سناء زكي علي، جامعة البصرة، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
- السلب ومظاهره في العربية، دراسة تطبيقية على رواية شجرة البؤس، للدكتور علاء إسماعيل الحمزاوي، جامعة المينيا، مصر.

تمهيد:

فطن علماء العربية الأوائل إلى ظاهرة السلب، ولكنهم لم يشروا إلى السلب بالهمزة، فقد ذكر الخليل (ت١٧٠ هـ) أن مادة قسط يقسط قسوطا فهو قاسط، معناها الميل عن الحق، وأن الإقساط تدل على عدل في القسمة الحكم[١]؛ فهو وإن لم يصرح بالسلب، ففي كلامه دليل على أن مصدر أقسط الإقساط وهي دالة على سلب الجور والظلم.

وأفرد ابن جني (ت٣٩٢ هـ) بابا في الخصائص وأسماه: (باب في السلب) وذكر فيه حروف النفي وهي: ما ولم ولا... ثم استعمال العرب ألفاظا من الأفعال ومن الأسماء الضامنة لمعانيها، في سلب تلك المعاني، وذكر (ع ج م) أينما وقعت في كلامهم فمعناها الإبهام، ومن ذلك العجم؛ لأنهم لا يفصحون، ثم إنهم قالوا: أعجمت الكتاب إذا بينته. ومثله تصريف (ش ك و) فأينما وقع فمعناه إثبات الشكو والشكوى، وقالوا: أشكيت الرجل إذا سلب الشكوى وإزالته، وذكر الحديث: "شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حر الرمضاء فلم يشكنا"[٢]؛ أي فلم يفسح لنا في إزالة ما شكوناه من ذلك إليه، وأنشد قول أبي زيد:

تمد بالأعناق أو تلويها * وتشتكي لو أننا نشكيها

أي لو أننا نزول لها عما تشكوه.

وذكر السلب بالتضعيف، ويفيض ابن جني -نقلا عن أستاذه أبي علي- في أمثلة كثيرة.[٣]

وذكر الزمخشري(ت٥٣٨ هـ) أن من معاني (أفعل) السلب، نحو: أشكيته وأعجمت الكتاب إذا أزلت الشكاية والعجمة.[٤]

---

(١) ينظر العين ٥/٧١. المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٢) صحيح مسلم ١/٤٣٢. رقم الحديث٦١٩، باب استحباب تقديم الظهر في أول الوقت في غير شدة الحر، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرح النووي والسيوطي]

(٣) الخصائص ٣/ ٧٧ ، ٧٨. المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

(٤) المفصل في صنعة الإعراب ص٣٧٣. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

ويذهب مذهبهم الجواليقي (ت٥٤٠هـ) بقوله: "أعجمت الكتاب؛ أي أزلت عجمته، وهذه الهمزة تسمى همزة السلب"(١).

ويذكر أبو البركات الأنباري السلب حينما تكلم عن الإعراب إذ قال :

وذكر أبو البركات الأنباري السلب في أثناء حديثه عن الإعراب وتسميته بذلك فقال: "والوجه الثاني: أن يكون سمي إعرابا؛ لأنه تغيير يلحق أواخر الكلم، من قولهم: (عربت معدة الفصيل) إذا تغيرت؛ فإن قيل: (العرب) في قولهم: عربت معدة الفصيل؛ معناه: الفساد؛ وكيف يكون الإعراب مأخوذا منه؟ قيل: معنى قولك: أعربت الكلام؛ أي: أزلت عربه، وهو فساده، وصار هذا؛ كقولك: أعجمت الكتاب، إذا أزلت عجمته، وأشكيت الرجل، إذا أزلت شكايته، وعلى هذا، حمل بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾؛ أي: أزيل خفاءها؛ وهذه الهمزة تسمى: همزة السلب"(٢).

وذكر أبو الفتح الخوارزمي(٦١٠ هـ) أن (خفر) بالعهد وفى به خفارة من باب ضرب، وأخفره نقضه إخفارا، الهمزة للسلب (٣).

وذكر أبو البقاء العكبري(ت ٦١٦هـ) أن الهمزة للسلب في مادة (ع رب) في قولهم: أعربت معدة الفصيل إذا عربت؛ أي فسدت من شرب اللبن فأصلحتها وأزلت فسادها؛ وذكر من ذلك عتب علي فأعتبته، وشكا فأشكيته (٤).

وقال ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ):

(١) شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ص٤٩. المؤلف: موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقى (ت: ٥٤٠ هـ) قدم له: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) أسرار العربية ص: ٤٤. المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)
الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) المغرب في ترتيب المعرب، ص: ١٤٩. لمؤلف: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزى (ت: ٦١٠هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٤) اللباب في علل البناء والإعراب ١|٥٣. المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

وسيق للسِلب كأشكيت الفتى * ومـــثل قـلــته أقلته أتى [١]

وذكر ابن عقيل (ت٧٦٩هـ) دلالة أفعل على السلب في نحو أشكيته وأقذيته، أي: أزلت شكواه وقذى عينه[٢]. وما ذكره ابن عقيل في الفعل أقذيته أنه بمعنى أزلت قذاه، هو خلاف ما ذكره سيبويه؛ فسيبويه ذكر أن أقذيت عينه؛ أي جعلتها قذية، وقذيتها بمعنى نظفتها[٣]، فالسلب جاء بتضعيف عين الفعل.

وقد تناوله علماء التفسير، في مطولاتهم، ومن خير من أولى له العناية ابن عاشور في التحرير والتنوير، فقد ذكر مواضع جاءت الهمزة فيها للسلب لم يذكرها من قبله.

ولم نجد عند المحدثين إضافات سوى ما ذكره أحمد مختار عمر حينما تكلم عن المعجم واشتقاقه ذكر السلب وفصل فيه؛ فذكر أن مادة عجم تقيد الإبهام والغموض وعند إضافة الهمزة يكتسب الفعل معنى جديدا من معنى الهمزة وهو السلب والنفي والإزالة، أي أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام، ومن هنا أطلق على نقط الحروف لفظ (الإعجام)؛ لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض. ومنه جاء لفظ (المعجم) بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين. وسبب تسميته إما لأنه مرتب على حروف المعجم (الحروف الهجائية) وإما لأنه قد أزيل أي إبهام أو غموض منه، فهو معجم بمعنى مزال ما فيه من غموض وإبهام. وقد فهم من هذا أن لفظ (معجم) يعد اسم مفعول من الفعل (أعجم) ويحتمل من ناحية أخرى أن يكون مصدرا ميميا من نفس الفعل، ويكون معناه الإعجام أو إزالة العجمة والغموض. وذكر السلب في شكى وأشكى، قذى وأقذى، وقسط وأقسط.[٤]

(١) الشافية في علم التصريف ٢|٢٢. المؤلف: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: حسن أحمد العثمان، الناشر: المكتبة المكية – مكة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

(٢) شرح ابن عفيل على ألفية ابن مالك ٤|٢٦٣. المؤلف: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

(٣) ينظر الكتاب ٤|٦٢ المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٤) البحث اللغوي عند العرب ١|١٦٤. المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثامنة ٢٠٠٣م.

المبحث الأول: ما اتُّفق في دلالة الهمزة على السلب:

مادة قسط:

ذكر الخليل (ت١٧٠ هـ) أن مادة القاف والسين والطاء فيها معنيان؛ القِسط بضم القاف وهو عود هندي يدخل في البخور والدواء. والثاني: قَسِط يقسِط قَسوطًا فهو قاسط، ومعناه الميل عن الحق. واستدل بقول الراجز: يشفي من الضِّغن قُسوطُ القاسط

وبقول العرب: (رجل قسطاء) في ساقها اعوجاج وميل.

ويضيف معاني أخرى للمادة وهي: الإقساط، وتعني العدل في القسمة والحكم، والقِسط الحصة، وتقسطوا بينهم الشيء أي اقتسموه بالسوية، والقسطاط أقوم الموازين.(١)

ويتضح من كلام الخليل أن مادة قسط الأصل فيها الميل، مستدلا بالبيت الشعري وقول العرب.

وقد جاء في القرآن الكريم الفعل الثلاثي (قسط) بمعنى جار، في موضعين، قال تعالى: ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا (١٤) وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴾ [الجن: ١٤، ١٥] فاسم الفاعل القاسطون من الفعل الثلاثي قسط؛ لأن قياسه أن يأتي اسم الفاعل منه على وزن فاعل. ومن ذلك ما رواه المفضل عن الأعمش عن يحيى وإبراهيم وأصحابه: ﴿ألا تقسطوا﴾[النساء: ٣] بفتح التاء.(٢) ومعنى تقسطوا بفتح التاء تجوروا من الثلاثي قسط، وقد خرج ابن جني القراءة بزيادة (لا) وقد ذكر ابن جني لها نظائر كما في قوله تعالى: ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ [الحديد: ٢٩] ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٠٩].(٣)

وجاءت الهمزة للسلب فحولت المعنى من الجور إلى العدل كما في قوله تعالى: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩] ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى ﴾ [النساء: ٣] ﴿أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [الممتحنة: ٨] ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ [المائدة: ٤٢] فقد جاء من (أقسط) المضارع بضم الميم (تقسطوا)، واسم الفاعل (مقسطين) جمع (مقسط) وهو قياس اسم الفاعل من الرباعي بإبدال ياء مضارعه ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره، والأمر (أقسطوا) بهمزة القطع.

---

(١) العين ٥/ ٧١.

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١/ ١٨٠، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) ينظر المصدر نفسه ١|١٨٠، ١٨١.

وذكر الفراء (ت٢٠٧ هـ): أن القاسطين هم الجائرون الكفار، والمقسطين هم العادلون المسلمون، مشيرا إلى قوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ [الجن: ١٥] وقوله تعالى:﴿إن الله يحب المقسطين﴾ [المائدة: ٤٢].(١)

وعلل ذلك الأخفش (ت٢١٥ هـ) بقوله: "لأنه من أقسط يقسط، والإقساط: العدل. وأما قسط فإنه جار قال تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ فـ(أقسط): عدل و(قسط): جار. قال تعالى: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾"(٢).

وكذلك المبرد (ت٢٨٥) ذكر أن (قسط) في الجور فهو قاسط، و (أقسط) في العدل فهو مقسط.(٣)

وذكر الطبري (ت٣١٠ هـ) أن معنى الجور من الثلاثي قسط يقسط قسوطا، ومعنى العدل من أقسط الحاكم فهو يقسط إقساطا، وهو مقسط.(٤)

ويؤيد النحاس (ت: ٣٣٨هـ) مجيء الهمزة للسلب؛ يقال أقسط الرجل إذا عدل، وقسط إذا جار، فكأن أقسط أزال القسوط.(٥) وذكر في قوله تعالى: ﴿ومنا القاسطون﴾ أن الأصل قسط إذا جار، ثم يزاد عليه

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣|١٩٣. المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.

(٢) معاني القرآن للأخفش ١| ٢٤٤. لمؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

(٣) ينظر: الكامل في اللغة والأدب ٣/ ٢٧٦. المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م. ونقل عن المبرد ابن هشام؛ ينظر: شرح أبيات المغني اللبيب ٧|١٨٤. المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، الناشر: دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة: (جـ١ - ٤) الثانية، (جـ٥ - ٨ الأولى)، عام النشر: عدة سنوات (١٣٩٣ - ١٤١٤هـ).

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن ٦/ ٧٧. المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٥) معاني القرآن ٢|١٠

الألف فيقال: أقسط إذا أزال القسوط أي عدل.[١] ونقل عن المبرد "قال محمد بن يزيد: قسط إذا جار وأقسط إذا عدل، مأخوذ منه أي أزال القسوط"[٢].

ويشير درستويه (ت٣٤٧هـ) إلى أن الهمزة للسلب في (أقسط) بقوله: "والذين لا يعلمون قياس النحو ولا يميزون بين دخول هذه الألف وخروجها، وما يحدث بذلك من المعنى فيهما يظنون أن هذا من الأضداد؛ وذلك أنه عندهم لفظ واحد، واقع على الشيء وضده، ولا يدرون أن دخول الألف، يخرج الكلمة عن لفظها بغير ألف، ويجعل لها مثالا على حدته، فتصير الكلمتان بمنزلة العدل والجور، في اختلاف اللفظين والمعنيين"[٣].

ومن مجيء قسط في الجور في كلام العرب قول القطامي[٤]:

أليسوا بالألى قسطوا قديما ... على النعمان وابتدروا السطاعا[٥]

وقول الفرزدق[٦]:

قومٍ هم قتلوا ابن هند عنوة ... عمرا وهم قسطوا على النعمان

ومن مجيء الهمزة للسلب في كلام العرب قول طرفة[٧]:

قسمت الدهر في زمن رخيٍ ... كذاك الحكم يقسط أو يجور

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٣. المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٢.

(٣) تصحيح الفصيح وشرحه ص: ١٣٣.

(٤) ديوانه، ص٢٦٤. ديوان القطامي، المؤلف: عمير بن شييم التغلبي (ت: ١٠١هـ)، دراسة وتحقيق: د محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

(٥) السطاع عمود البيت الذي في وسطه، فإذا نزع عموده سقط؛ أراد قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هند.

(٦) ديوانه ٢/ ٣٤٥. ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة النشر، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(٧) ينظر: أمثال العرب ١/ ١٢٣. المؤلف: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت: نحو ١٦٨هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ. وقد ورد في ديوان طرفة: قسمت الدهر في زمن رخي ... كذاك الحكم يقصد أو يجور. وعلى هذه الرواية بطل الاستشهاد.

وقول الحارث بن حلزة[١]:

ملك مقسط، وأفضل من يمـ ـشي، ومن دون ما لديه الثناء

ومعنى البيت، ملك عادل في حكمه، ويروى (ملك باسط)؛ أي قد بسط عدله في الناس، وأكمل من يمشي: يريد به ﷺ قلا ورأيا، ويروى (أكرم من يمشي) أي فعلا. ومن دون ما لديه الثناء: معناه الثناء منا عليه أقل مما فيه، وعنده من الخير والإحسان أكثر مما نصف.[٢]

وذكر الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ هـ) أن قسط : هو أن يأخذ قسط غيره، وذلك جور، والإقساط: أن يعطي قسط غيره، وذلك إنصاف، ولذلك قيل: قسط الرجل: إذا جار، وأقسط: إذا عدل. قال: ﴿أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ [الجن/ ١٥] وقال: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩].[٣]

وفرق الزمخشري (ت٥٣٨ هـ) بين مادة قسط الثلاثي بقوله: "هو قاسط غير مقسط: جائر غير عادل. وقد قسط علي قسطا وقسوطا. وتقول: الله يقبض ويبسط، ويقسط ولا يقسط، وأمر الله بالقسط، ونهى عن القسط".[٤]

ونقل الفيومي (ت٧٧٠هـ) عن ابن القطاع أن قسط قسطا وقسوطا جار وعدل فهو من الأضداد، وأقسط بالألف عدل والاسم القسط بالكسر والقسط النصيب والجمع أقساط مثل حمل وأحمال وقسط الخراج تقسيطا إذا جعله أجزاء معلومة[٥]. ولم يقل أحد إن قسط قسطا وقسوطا من الأضداد، فكل ما

(١) ديوانه، ص٧٢. ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، صنعه مروان العطية، دار الإمام النووي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) ينظر: فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال ١/ ٥٣٢. المؤلف: محمد علي طه الدرة، الناشر: مكتبة السوادي جدة - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، أعده للشاملة: رابطة النساخ، تنفيذ (مركز النخب العلمية)، وبرعاية (أوقاف عبد الله بن تركي الضحيان الخيرية).

(٣) المفردات في غريب القرآن ص: ٦٧٠. المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ. وتفسير الراغب الأصفهاني ١|٥٨٨. المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٤) أساس البلاغة ٢|٧٦. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/ ٥٠٣. المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)

=

وقفت عليه أن المصدر قسطا وقسوطا بمعنى الجور والظلم.

وذكر ابن منظور (ت٧١١ هـ) أن الهمزة في أقسط يقسط، فهو مقسط للسلب، كما يقال شكا إليه فأشكا ه. وأن الثلاثي المجرد قسط يقسط فهو قاسط، بمعنى عدل عن الحق وجار[١].

قال الفيروزآبادي (ت٨١٧ هـ): "قسط يقسط قسطا، وقسوطا: جار، وعدل عن الحق"[٢].

وذكر الزبيدي (ت١٢٠٥ هـ) أن الهمزة في الإقساط للسلب، كما يقال: شكا إليه فأشكاه[٣].

ولعل العرب لم تستعمل الفعل قسط في العدل إلا بزيادة همزة السلب، وكل الأفعال التي جاءت في هذا الباب من الثلاثي جاءت بمعنى الظلم، كما في قراءة ﴿ألا تقسطوا﴾ بفتح التاء[٤]، وكذلك جاء منه اسم فاعل من الثلاثي قاسط جاءت في موضعين كلها بمعنى الجور، قال تعالى: ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا (١٤) وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (١٥)﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "كثيرا المقسطون الذين يعدلون في حكمهم وما ولوا على منابر من نور على يمين الرحمن جل وعز"[٥].

الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

(١) ينظر لسان العرب ٧/ ٣٧٧، ٣٧٨. المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، ومذيل بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين].

(٢) القاموس المحيط ص: ٦٨٢. المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

(٣) ينظر تاج العروس ٢٠ / ٢٥. المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، الناشر: دار الهداية.

(٤) نسبت إلى يحيى بن وثاب، وإبراهيم النخعي. ينظر المحتسب ١/ ١٨٠، والكشاف ١/ ٢٤٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ١٣. المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

(٥) المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي ٨|٢٢١. المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

ونقل ابن منظور حديث علي، -رضوان الله عليه-: "أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين"؛ الناكثون: أهل الجمل؛ لأنهم نكثوا بيعتهم، والقاسطون: أهل صفين؛ لأنهم جاروا في الحكم وبغوا عليه، والمارقون: الخوارج؛ لأنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية.(١)

وقول القطامي(٢): ألبسوا بالأمس قسطا قديما ... على النعمان وابتدروا السطاعا

وقول الفرزدق(٣): قوم هم قتلوا ابن هند عنوة ... عمرا وهم قسطوا على النعمان

وما جاء من الفعل الرباعي بمعنى العدل ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ [النساء: ٣] ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩] ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ [الممتحنة: ٨].

وما جاء اسم فاعل بمعنى العدل كله جاء من الفعل الرباعي أقسط، قال تعالى: ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾ [المائدة: ٤٢]، و﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾[الحجرات: ٩]، و﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ [الممتحنة: ٨].

وجاء اسم الفاعل من أقسط في الحديث: "...وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق"(٤).

ومن مجيئه في الشعر قول الحارث بن حلزة(٥):

ملك مقسط، وأفضل من يمـ= ـشي، ومن دون ما لديه الثناء

وفي هذه المسألة إجماع اللغويين والمفسرين(٦) على أن قسط يقسط قسطا وقسوطا بمعنى جار، ودخلت عليها همزة السلب، فصارت أقسط يقسط إقساطا بمعنى عدل، وقد جاءت بهذا المعنى في القرآن

(١) ينظر لسان العرب ٧/ ٣٧٧، ٣٧٨.
(٢) سبق تخريجه، ص٩.
(٣) سبق تخريجه، ص٩.
(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٧، رقم الحديث ٢٨٦٥، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.
(٥) سبق تخريجه، ص٩.
(٦) ينظر: معاني القرآن ٢|١٠، وينظر: معاني القرآن للأخفش ١| ٢٤٤. وينظر: الكامل في اللغة والأدب ٣/ ٢٧٦، وينظر: تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن ٦/ ٧٧. وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٣. وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٢. وينظر: شرح أبيات المغني اللبيب ٧|١٨٤.

الكريم والحديث والنبوي وكلام العرب شعرا ونثرا.

مادة صرخ:

قال ابن فارس : "الصاد والراء والخاء أصيل يدل على صوت رفيع. من ذلك الصراخ، يقال: صرخ يصرخ، وهو إذا صوت. ويقال: الصارخ: المستغيث، والصارخ: المغيث، ويقال: بل المغيث مُصرخ; لقوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]"(١).

وذكر مجاهد أن معنى بمصرخكم: بمغيثكم(٢)، وتابعه عبد الرزاق(٣)، وأضاف الطبري معاني أخرى منها: بناصركم، بمغث عنكم، بنافعكم، بمنجيكم(٤)، وذكر مقاتل أن المعنى بمانعكم(٥).

وفسر أبو عبيدة بمصرخكم:" بمغيثكم، ويقال: استصرخني فأصرخته، أي استعانني فأعنته واستغاثني فأغثته"(٦).

وقد ألمح الطبري إلى معنى السلب إذ قال: " ويقال: أصرخت الرجل، إذا أغثته (إصراخا)، وقد صرخ الصارخ، يصرخ، ويصرخ، قليلة، وهو الصريخ والصراخ"(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة ٣|٣٤٨. المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) تفسير مجاهد ١|٤١١. المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبي النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣|١٥٩. المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، أعده للشاملة / أبو إبراهيم حسانين.

(٣) تفسير عبدالرزاق ٢|٢٤٣. المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(٤) تفسير الطبري ١٦|٥٦٠ - ٥٦٥.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ١|٥١٦. المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

(٦) مجاز القرآن ١|٣٣٩. المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.

(٧) تفسير الطبري ١٦|٥٦١.

ويذهب المنتجب الهمذاني أن الهمزة في مصرخ للسلب، قال: "والإصراخ: الإغاثة، يقال: استصرخني فلان فأصرخته، أي: استغاثني فأغثته. قيل: والكلمة من الصراخ، وهو الصوت الشديد من الفزع وغيره، والهمزة في أصرخته للسلب، كالتي في أشكيته، لأنك سلبته الصراخ حين أغثته "[١].

ويؤيد الزمخشري معنى السلب بقوله: "والإصراخ: الإغاثة"[٢]، وابن حجر العسقلاني، إذ ذكر أن المعنى: استصرخني فأصرخته؛ أي استغاثني فأغثته.[٣]

وصرح شهاب الدين القسطلاني أن الهمزة للسلب؛ والمعنى: أزال صراخي.[٤]

وكذلك الآلوسي صرح بأن الهمزة للسلب بقوله: "ما أنا بِمُصرِخكم أي بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب، يقال: استصرخني فأصرخته أي استغاثني فأغثته، وأصله من الصراخ وهو مد الصوت، والهمزة للسلب كأن المغيث يزيل صراخ المستغيث. وما أنتم بمُصرِخيّ مما أنا فيه، وفي تعرضه لذلك مع أنه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم إصراخه إياهم وإيذان بأنه أيضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج إلى الإصراخ فكيف له بإصراخ الغير ولذلك آثار الجملة الاسمية، والمراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار، وكذا يقال في التأكيد فكان ما مضى جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب استغاثتهم واستعانتهم به في دفع ما دهمهم من العذاب".[٥]

خلاصة القول: أن القرآن استعمل اسم الفاعل من الفعل أصرخ وهو (مُصرخ) بمعنى سلب الصراخ، والدليل ما ذكره مفسرو القرآن؛ فمنهم من ذكر المعنى ولم يشر إلى مصطلح السلب، ومنهم من صرح بمعنى السلب.

---

(١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٤|٢٣. المؤلف: المنتجب الهمذاني (ت: ٦٤٣ هـ)، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٥١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨|٣٧٧. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري٧|١٨٨. المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٧/ ١٩٨. المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

مادة وزع:

ذكر الخليل أن الوزع هو: كف النفس عن هواها.[١] مستدلا بقول النابغة[٢]:

وكان ضمران منه حيث يوزعه * طعن المعارك عند المجحر النجد

قال البغدادي في تفسير البيت: "ويوزعه: يغريه. في الصحاح: أوزعته بالشيء فأوزع به فهو موزع به أي: مغرى به. أي: كان الكلب من الثور حيث أمره الكلاب أن يكون"[٣]. والهمزة في البيت للسلب؛ لأن الكلب كان حيث أمره الكلاب، والأمر ضد الكف وكذلك الإغراء.

وقال ابن فارس: (وزع) الواو والزاء والعين: بناء موضوع على غير قياس. ووزعته عن الأمر: كففته. قال الله سبحانه: ﴿فهم يوزعون﴾ [النمل: ١٧]، أي يحبس أولهم على آخرهم. وجمع الوازع وزعة. وفي بعض الكلام: " ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن "، أي إن الناس للسلطان أخوف. وبناء آخر يقال: أوزع الله فلانا الشكر: ألهمه إياه. ويقال هو من أوزع بالشيء، إذا أولع به، كأن الله تعالى يولعه بشكره. وبها أوزاع من الناس، أي جماعات".[٤]

وقد جاء في التنزيل، قال تعالى: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾ [النمل: ١٧] ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ [النمل: ٨٣] ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ [فصلت: ١٩] فهذه الآيات جاء فيها الفعل مبنيا للمجهول من الثلاثي (وُزِع).

وقال تعالى: ﴿وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ [النمل: ١٩] ﴿قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ [الأحقاف: ١٥] وهاتان الآيتان من الفعل الرباعي (أوزع).

الوزع: الكف عما لا يراد، والوازع: الذي يكف غيره عما لا ينبغي، وفعله: وزع يزع وزعا، فإذا زيدت فيه همزة السلب فقيل: أوزع أي: أزال الوزع الذي هو الكف.

فقوله في الآية: ﴿فهم يوزعون﴾ مبني للمفعول من (وزع) أي يكفون أفراد القوات عن التقدم والتأخر حتى يكون السير منتظما. وقوله: ﴿أوزعني أن أشكر نعمتك﴾ أي: أبعد عني ما يمنعني من شكرك

(١) العين ٢/ ٢٠٧.
(٢) ديوانه ص٣٤.
(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ٣/ ١٨٩.
(٤) مقاييس اللغة ٦/ ١٠٦.

على نعمك. فصار أوزعني كألهمني وأغرني.[١]

فالوازع في كلام العرب هو الكاف، يقال منه: وزع فلان فلانا عن الظلم: إذا كفه عنه.[٢]

في اللغة يوزعون يكفون، وجاء في التفسير يكف أولهم ويحبس أولهم على آخرهم. وأصله من وزعته إذا كففته، وقال الحسن البصري حين ولي القضاء: لا بد للناس من وزعة. أي لا بد لهم من أعوان يكفون الناس عن التعدي.[٣]

قال ابن عاشور: وأوزع: مزيد (وزع) الذي هو بمعنى كف، والهمزة للإزالة، أي أزال الوزع، أي الكف. والمراد أنه لم يترك غيره كافا عن عمل، وأرادوا بذلك الكناية عن ضد معناه، أي كناية عن الحث على العمل. وشاع هذا الإطلاق فصار معنى أوزع أغرى بالعمل. فالمعنى: وفقني للشكر.[٤]

وخلاصة القول أن الوزع هو الكف عما لا يراد، والوازع: اسم الفاعل وهو الذي يكف غيره عما لا ينبغي، وفعله: وزع يزع وزعا، والمضارع منه المبني للمفعول هو (يوزع)، فإذا زيدت فيه همزة السلب فقيل: أوزع أي: أزال الوزع الذي هو الكف، فقوله في الآية: ﴿فهم يوزعون﴾ أي يكفون أفراد القوات عن التقدم والتأخر حتى يكون السير منتظما. وقوله: ﴿أوزعني أن أشكر نعمتك﴾ أي: أبعد عني ما يمنعني من شكرك على نعمك. فصار أوزعني كألهمني وأغرني. وكذلك استعملت العرب الفعل الرباعي أوزع بمعنى الإغراء كما في بيت النابغة.

مادة بلو:

قال ابن فارس : "هو بلو سفر وبلي سفر، إذا أبلاه التعب. وبلوته: اختبرته. والبلاء: الاختبار يكون بالخير والشر، يقال: أبلاه الله بلاء حسنا.[٥]

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري ٤/ ١٣. المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ١٨/ ٢٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١١٢، ٤/ ٣٨٣.

(٤) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ١٩/ ٢٤٣. المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٥) مجمل اللغة لابن فارس ص: ١٣٣.

وقال ابن قتيبة: "بلوته أبلوه بلوا؛ إذا جربته، وبلاه الله يبلوه بلاء. إذا أصابه ببلاء، يقال: اللهم لا تبلنا إلا بالتي هي أحسن، وأبلاه الله يبليه إبلاء حسنا؛ إذا صنع به صنعا جميلا"(١).

وقد جاء من الفعل الثلاثي بمعنى الاختبار في عدة آيات منها: قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ [البقرة: ١٥٥] ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ [محمد: ٣١] ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ [الأعراف: ١٦٣] ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾ [الكهف: ٧] ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ [الأنبياء: ٣٥]

وجاء من الفعل الرباعي قوله تعالى: ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم﴾ [الأنفال: ١٧]

يقول الطبري: "فإن معناه: وكي ينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم، ويغنمهم ما معهم، ويكتب لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٢). قال الزجاج: "ومعنى يبليهم ههنا يسدي إليهم"(٣).

وقال الراغب: ولكون البلاء متناولا للأمرين، قال تعالى، ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾، وقال: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾، وقالوا في الخير والشر معا: (بلاه)، فإذا أفردا قالوا في الشر (بلاه) وفي الخير: (إبلاؤه). وقال تعالى: ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا﴾، وأما قول الشاعر زهير بن أبي سلمى(٤):

رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم * فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

فمعناه: أعطاهما الله خيرا فيما يمنحهما به، وجعل لهما بدل المكروه محبوبا"(٥). والواضح من كلام الراغب أن مجيء الفعل الرباعي المبدوء بالهمزة في الخير كما في الآية وبيت زهير.

(١) أدب الكتاب لابن قتيبة ص: ٣٣٧.
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ١٣/ ٤٤٨.
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٤٠٧.
(٤) ينظر: ديوانه ص٥٠. اعتنى به وشرحه: حمدو صماس، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
(٥) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ١٨٥.

ونقل القرطبي عن ابن كيسان: "ويقال في الخير أبلاه الله وبلاه وأنشد بيت زهير، فجمع بين اللغتين، والأكثر في الخير أبليته وفي الشر بلوته، وفي الاختبار ابتليته وبلوته قاله النحاس"(١).

ويؤيد أبو حيان مجيء أبلاه في الخير بقوله: "يقال أبلاه إذا أنعم عليه، وبلاه إذا امتحنه، والبلاء يستعمل للخير والشر"(٢).

ويفرق ابن عاشور بين الفعل الثلاثي والرباعي؛ إذ يرى أن الفعل الرباعي يستعمل في موضع الخير، وهو مشتق من البلاء والبلوى الذي أصله الاختبار، ثم أطلق على إصابة أحدٍ أحدا بشيء يظهر به مقدار تأثره، والغالب أن الإصابة بشر، ثم توسع فيه فأطلق في الشر والخير كما في قوله تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ويرى أنه إطلاق كنائي شاع حتى صار بمنزلة الصريح، وبقي الفعل الثلاثي صالحا للشر والخير، والفعل الرباعي أبلى إبلاء يقال في الخير. ويرى أن الهمزة فيه دالة على الإزالة؛ أي إزالة البلاء الذي غلب في إصابة الشر(٣).

وهذا ما نراه راجحا؛ لإجماع المفسرين على أن البلاء في الآية بمعنى النعمة(٤). فإن قيل أن المصدر في الآية جاء (بلاء) ولم يقل (إبلاء)، نقول إن (بلاء) مع الفعل الرباعي يعد اسم مصدر، ومع الثلاثي يعد مصدرا.

مادة عتب:

قال ابن فارس: "العين والتاء والباء أصل صحيح، يرجع كله إلى الأمر فيه بعض الصعوبة من كلام أو غيره...والعتب: الموجدة. تقول: عتبت على فلان عتبا ومعتبة، أي وجدت عليه. ثم يشتق منها فيقال: أعتبني، أي ترك ما كنت أجد عليه ورجع إلى مسرتي؛ وهو معتب راجع عن الإساءة"(٥).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ١/ ٣٨٧. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) البحر المحيط في التفسير ٥/ ٢٩٦. المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

(٣) التحرير والتنوير ٩/ ٢٩٦.

(٤) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ٢/ ٣٠١. المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.

(٥) مقاييس اللغة ٤/ ٢٢٦.

وذكر الماوردي قول ثعلب: "يقال عتب إذا غضب، وأعتب إذا رضي"[١].

وعتبت فلانا: أبرزت له الغلظة. وأعتبته: أزلت عتباه كأشكيته.[٢]

وأصل العتب: الشدة، يقال: حمل على عتبة وعتب من الشر؛ أي شدة، ومنه ما دخل الشئ، أو الأمر من فساد، وما بالسيف عتب أي نبوة. وما في ذلك عتب؛ أي لا يشوبه فساد، ومن هذا قيل العتب – بالسكون – : الموجدة وعتب عليه – كضرب ونصر – ؛ أي وجد عليه، وأعتبه هو: أزال موجدته، فهو معتب – بالكسر – أي راجع عن الإساءة، والراضي لذلك مِعتب – بالفتح – واستعتب الغاضب: أي طلب أن يعتب وتزال موجدته.[٣]

والعِتبى اسم مصدر من أعتب وهي رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب. وفي المثل "ما ساء من أعتب"[٤]؛ أي من رجع عما أساء به، فكأنه لم يسئ. وقلما استعملوا المصدر الأصلي (إعتاب) بمعنى الرجوع استغناء عنه باسم المصدر، وهو العِتبى. والعاتب هو اللائم، والسين والتاء فيه للطلب؛ لأن المرء لا يسأل أحدا أن يعاتبه وإنما يسأله ترك المعاتبة، أي يسأله الصفح عنه، فإذا قبل منه ذلك قيل: أعتبه أيضا، وهذا من غريب تصاريف هذه المادة في اللغة، ولهذا كادوا أن يميتوا مصدر: أعتب بمعنى رجع، وأبقوه في معنى قبل العتبى، وهو المراد في قوله تعالى: فما هم من المعتبين أي أن الله لا يعتبهم، أي لا يقبل منهم.[٥]

العتب هو الشدة والأمر الكريه والغلظة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره، والعتبى الرضى، وأعتبته أزلت عنه عتبه.

وخلاصة كلام اللغويين في هذه المادة أن عتب معناه السخط وأعتب بمعنى الرضى فالهمزة للسلب.

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون ٥/ ١٧٧. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٩/ ٥٢٢.

(٣) مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن ٣/ ٩٦. المؤلف: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨ م.

(٤) يضرب لمن يعتذر إلى صاحبه ويخبر أنه سيعتب. مجمع الأمثال ٢/ ٢٨٨. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان.

(٥) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٧٣، ٢٧٤

قال تعالى: ﴿وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾ [فصلت: ٢٤] ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ [النحل: ٨٤] ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ [الروم: ٥٧] ﴿فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾ [الجاثية: ٣٥]

ففي الآيات جاء السين والتاء فيه لطلب ترك العتب؛ لأن المرء لا يسأل أحدا أن يعاتبه، وإنما يسأله ترك المعاتبة، أي يسأله الصفح عنه، فإذا قبل منه ذلك قيل: أعتبه[١].

ومعنى الآية الأولى: وإن يسترضوا وطلبوا العتبى، فما هم من المعتبين المرضين، والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل، يقال: أعتبني فلان أي أرضاني بعد إسخاطه إياي، واستعتبه طلبت منه أن يعتب أي يرضى[٢].

وفسر الزمخشري الآية: وإن يسألوه إزالة ما هم فيه، فما هم من المجابين إلى إزالته.[٣]

قال ابن عاشور "﴿ولا هم يستعتبون﴾: ولا هم بمزال عنهم المؤاخذة. وهذا استعمال عجيب جار على تصاريف متعددة في الفصيح من الكلام، وبعض اشتقاقها غير قياسي، ومن حاولوا إجراءه على القياس اضطروا إلى تكلفات في المعنى لا يرضى بها الذوق السليم، ... والمعنى: لا ينفعهم اعتذار بعذر ولا إقرار بالذنب وطلب العفو.[٤]

وذكر الشنقيطي أن المعنى: إن يطلبوا العتبى، (الرضى بزوال العتب) وهو المؤاخذة بالذنب، فما هم من المعتبين؛ أي: المعطين العتبى وهي الرضا عنهم؛ لأن العرب تقول: أعتبه إذا رجع إلى ما يرضيه ويسره، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي[٥]:

أمن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

أي: لا يرجع الدهر إلى مسرة من جزع، ورضاه. وقول النابغة[٦]:

(١) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٧٣، ٢٧٤

(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٦/ ٨٣٧.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٨٨.

(٤) التحرير والتنوير ٢١/ ١٣٣.

(٥) ديوان الهذليين القسم الأول شعر أبي ذؤيب وساعدة بن جؤبة ص١، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، الطبعة الثانية – القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٥م.

(٦) ديوانه ص٢٠.

فإن كنت مظلوما فعبد ظلمته * وإن كنت ذا عتبى فمثلك يعتب [1]

وقال الزحيلي: ولا هم يستعتبون معناه أنه لا يطلب منهم الإعتاب، وهو إزالة العتب بالتوبة والطاعة التي تزيل آثار الجريمة؛ لأنها لا تقبل منهم، ولا يعاتبون على ذنوبهم، وإنما يعاقبون عليها[2].

فالعاتب هو اللائم والمعتوب عليه هو من وقع اللوم عليه، وهو من الثلاثي وفعله عتب، ثم جاءت الهمزة للسلب، في الفعل أعتب، أي أزال اللوم. فالمعتِب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل. فجاءت الآيات من الرباعي بمعنى الرضى، وهو منفي عنهم في جميع الآيات.

المبحث الثاني: ما اختُلِف في دلالة الهمزة على السلب:

مادة خفي:

ذكر الخليل أنها الخفية من قولك: أخفيت الصوت إخفاء، وفعله اللازم: اختفى. والخافية ضد العلانية. ولقيته خفيا أي: سرا. والخفاء الاسم، خفي يخفى خفاء. والخفا، مقصور، الشيء الخافي والموضع الخافي، قال الشاعر[3]:

وعالم السر وعالم الخفا * لقد مددنا أيدينا بعد الرجا

والخفاء: رداء تلبسه المرأة فوق ثيابها، قال الشاعر[4]:

جر العروس جانبي خفائها.

ويجمع الخفاء جمع قلة على أخفيه. وكل شيء غطيت به شيئا فهو خفاء.

والخفية: بئر كانت عادية فادفنت ثم حفرت. والخفا: إخراجك الشيء الخفي وإظهاركه. وخفيت الخرزة من تحت التراب أخفيها خفيا، قال امرؤ القيس[5]:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٤٢٣.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢١/ ١١٨. المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

(٣) هذا البيت لم ينسب لقائل، وقد ورد أيضا في تهذيب اللغة ولسان العرب وتاج العروس بلا نسبة

(٤) هذا البيت غير منسوب أيضا صدره: جرت عليه الريح ذيلا أنبخا ...

(٥) ديوانه ص ٥١. ديوان امرئ القيس، المؤلف: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: ٥٤٥م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

خفاهنِ من أنفاقهنِ كأنما * خفاهنِ ودقٍ من سحابٍ مركبِ

يعني الجِرذان أخرجهن من جحرتهنِ. وخفا البرق يخفو خفوا ويخفى خفيا أي: ظهر من الغيم. والمختفي: النباش.(١)

والظاهر من كلام الخليل أن هناك معنيين لـ خفي؛ المعنى الأول: وهو ضد العلانية، والمعنى الثاني: وهو الظهور، كما في قوله: والخفا: إخراجك الشيء الخفي وإظهاركه. وكذلك استشهاده بالبيت: خفاهنِ من أنفاقهنِ كأنما... وخفا البرق ظهر.

وذكر ابن فارس أن الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادان. فالأول الستر، والثاني الإظهار.

فالأول خفي الشيء يخفى ; وأخفيته، وهو في خفية وخفاء، إذا سترته، ويقولون: برح الخفاء، أي وضح السر وبدا، ويقال للرجل المستتر مستخف. والأصل الآخر خفا البرق خفوا، إذا لمع، ويكون ذلك في أدنى ضعف. ويقال خفيت [الشيء] بغير ألف، إذا أظهرته. وخفا المطر الفأر من جحرتهن: أخرجهن. قال امرؤ القيس:

خفاهنِ من أنفاقهنِ كأنما * خفاهنِ ودقٍ من سحابٍ مركبِ

ويقرأ على هذا التأويل: ﴿أخفيها﴾ أي أظهرها.(٢)

والواضح من كلام ابن فارس أنه ذكر أصلين؛ الأصل الأول من (خفي الشيء يخفى) ويأتي منه الفعل الرباعي (أخفى) وهو بمعنى الستر والخفاء، والأصل الثاني من (خفا البرق خفوا) ومعناه اللمع والظهور، وخفيت الشيء إذا أظهرته. وهو يذهب إلى أن (أخفيها) من الأصل الأول بمعنى أسترها. وقراءة فتح الهمزة (أخفيها) من الأصل الثاني بمعنى أظهرها.

قال الأزهري: وجاء (خفيت) بمعنيين متضادين. وكذلك (أخفيت) فيما زعم أبو عبيدة. وكلام العرب الجيد: أن يقال: خفيت الشيء أخفيه؛ أي: أظهرته. والعرب تقول: إذا حسن من المرأة خفياها حسن سائرها. يعنون: رخامة صوتها وأثر وطئها الأرض.(٣)

(١) ينظر: العين: ٤|٣١٣، ٣١٤.
(٢) مقاييس اللغة ٢/ ٢٠٢.
(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٧|٢٤٢ – ٢٤٤. المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

لأن رخامة صوتها تدل على خفرها، وتمكن وطئها يدل على ثقل أوراكها وأردافها. وخفي الشيء الخفي واختفاه: أخرجه. يقال: خفيت الخرزة من تحت التراب. واختفى النباش الكفن.[١]

وقد تباينت أقوال اللغويين والمفسرين في قوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ [طه: ١٥]

فذكر الفراء فيها قراءتين ﴿أكاد أخفيها﴾ بالضم. وفي قراءة أبي ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها﴾. وقرأ سعيد بن جبير ﴿أخفيها﴾ بفتح الألف من الفعل خفيت. وخفيت: أظهرت، وَخَفيتْ: سترت.[٢] يقصد أن الثلاثي من الأضداد.

ونقل الفراء عن الكسائي والفقهاء قول الشاعر:

فإن تدفنوا الداء لا نخفه * وإن تمنعوا الحرب لا نقعد

والمعنى لا نظهره.[٣]

وذكر أبو عبيدة أن في الآية ﴿أكاد أخفيها﴾ موضعين؛ موضع كتمان، وموضع إظهار كسائر حروف الأضداد... ويقال: خفيت ملتي من النار، أي أخرجتها منها، وكذلك خفايا الركايا، تقول خفيت ركية، أي استخرجتها[٤].

وذكر الأخفش أن قراءة (أخفيها) بالفتح بمعنى: أظهرها؛ لأنك تقول (خفيت السر) أي: أظهرته، ويرى أن الضم أجود. ثم قال: وزعموا أن تفسير (أكاد) : أريد، وأنها لغة لأن (أريد) قد تجعل مكان (أكاد) مثل ﴿جدارا يريد أن ينقض﴾ [الكهف: ٧٧] أي: يكاد أن ينقض، فكذلك (أكاد) إنما هي: أريد. وقال الشاعر:

كادت وكدت وتلك خير إرادة * لو عاد من لهو الصبابة ما مضى[٥].

(١) أساس البلاغة ١|٢٦٠. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٦.

(٣) نفسه.

(٤) مجاز القرآن ٢|١٦، ١٧.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٠٢.

وعليه فمعنى: أكاد أخفيها، أريد أن أخفيها، ومنه قول العرب لا أفعل كذا ولا أكاد؛ أي لا أريد، وتابع الأخفش في هذا الرأي ابن الأنباري وأبو مسلم كما نقله عنهم الألوسي [1]. وعلى هذا الرأي يكون معنى أخفيها أسترها، فهو لا يرى أن ثمة سلبا للمعنى.

وشكك الزجاج في تفسير الآية: أكاد أخفيها من نفسي، بقوله: "فالله أعلم بحقيقة هذا التفسير، وقرئت: أكاد أخفيها - بفتح الألف - معناه أكاد أظهرها...وهذه القراءة الثانية أبين في المعنى، لأن معنى أكاد أظهرها، أي قد أخفيتها وكدت أظهرها" [2].

وذكر أبو البقاء العكبري في قراءة ضم الهمزة وجهين; أحدهما: أسترها; أي من نفسي; لأنه لم يطلع عليها مخلوقا [3]. والثاني: أظهرها ; قيل: هو من الأضداد. وقيل: الهمزة للسلب; أي أزيل خفاءها.

وقد نقل ابن جني وآخرون قولا لأبي علي الفارسي أن الهمزة من باب السلب وليس من باب الأضداد، ومعنى " أخفيها " أزيل عنها خفاءها، وهو سترها، كخفاء الأخفية (وهي الأكسية)، والواحد خفاء بكسر الخاء ما تلف به القربة، وإذا زال عنها سترها ظهرت [4].

ويعلل أبو علي الفارسي أن الهمزة للإزالة في الآية؛ لأن الخفاء هو الغطاء، وهو أيضا ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها، ثم تقول العرب: أخفيته، إذا أزلت خفاءه، كما تقول أشكيته وأعتبته، إذا أزلت شكايته وعتبه. [5]

وكذلك من أدلتهم أن سياق الآية الهمزة للسلب والإزالة؛ لأنه معلوم بأن الساعة مخفاة، وأكاد أخفيها معناه أظهرها وأبينها؛ لتجزى كل نفس بما تسعى، واستعمال لفظة أخفيها أبلغ من أظهرها؛ لأن استعمال (أظهرها) يتجه الذهن نحو الظهور فحسب، وفي استعمال أخفيها يتجه الذهن إلى معنيين هما: تذكير بخفائها، وإعلام بأنه يكاد يزيل هذا الخفاء.

والذي هو أولى أن المعنى أسترها من نفسي، أي لو كان ذلك يمكن، وأيد هذا أن معنى أخفيها أسترها

(١) ينظر: روح المعاني ٨|٤٨٦.
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٥٢.
(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٨٧. المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : ٦١٦هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.
(٤) ينظر: المحتسب ٢|٤٧، تفسير القرطبي ١١/ ١٨٤، والبحر المحيط ٧|٣١٩ ، وفتح القدير ٣|٤٢٥.
(٥) هذا القول منسوب لأبي علي الفارسي، ينظر: حاشية محمود في تفسير الزمخشري، ٣/ ٥٦.

من نفسي؛ لأنه تأويل أهل التأويل من الصحابة؛ وممن قال به ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح كما نقله عنهم ابن جرير مختارا هذا المعنى بقوله: "وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين، إذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم، فيما استفاض القول به منهم، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر"(١)، ولأن العرب إذا أرادت المبالغة في الكتمان، قالت: كتمته عن نفسي، قال المبرد: "هذا مستعمل في الكلام وجارٍ على الأفواه أن يقول القائل -إذا أراد أن يسترشيئا سترا شديدا-: أنا أسر هذا من نفسي، وأكاد أسره من نفسي. أي: أقارب ذلك، فيأتي على جهة المثل، وعلى المبالغة في ستر الشيء"(٢). ونظير هذه المبالغة قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حديث السبعة الذين يظلهم الله: "ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه"(٣). ويؤيده أن في مصحف أبي: ﴿أكاد أخفيها من نفسي﴾ وأيضا مجيء أخفى بمعنى الستر، في آيات أخرى منها ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾ [آل عمران: ١١٨] ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ [غافر: ١٩] ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ [إبراهيم: ٣٨] ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ [النور: ٣١].

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٦|٣٨.

(٢) نسبه إلى المبرد في التفسير البسيط ١٤|٣٧٣. المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ. وكذلك نسبه إلى المبرد في زاد المسير ٥/ ٢٧٦. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ. ونسبه الشوكاني إلى المبرد وقطرب، ينظر: فتح القدير ٣/ ٤٢٤. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ١١٠، باب الصدقة باليمين، رقم الحديث ١٤٢٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

مادة طوق:

قال ابن فارس: "الطاء والواو والقاف أصل صحيح يدل على مثل ما دلِ عليه الباب الذي قبله (يقصد مادة (طوف) التي تدل على دوران الشيء على الشيء، وأن يحف به). فكل ما استدار بشيء فهو طوق. وسمي البناء طاقا لاستدارته إذا عقد. والطيلسان طاق ; لأنه يدور على لابسه. فأما قولهم: أطاق هذا الأمر إطاقة، وهو في طوقه، وطوقتك الشيء، إذا كلفتكه، فكله من الباب وقياسه ; لأنه إذا أطاقه فكأنه قد أحاط به ودار به من جوانبه "(١).

وما يهمنا في الجانب اللغوي أن المادة تدل على القدرة، وذلك من قوله: لأنه إذا أطاقه فكأنه قد أحاط به ودار به من جوانبه. وهذا دال على القدرة.

﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ [البقرة: ١٨٤]، من طوقك الشيء: كلفك، أو التفعيل بمعنى السلب. مد: "يطيقونَه"، أيَ منَ يَطيقُ الصُوم إن أفطر بلا عذر أفدى نصف صاع، وكان في بدء الإسلام، وقيل: هو بحذف لا.(٢)

ومنهم من ذهب إلى أن المعنى لا يطيقونه ولا مضمرة ونظيره في القرآن: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ [النساء: ١٧٦]، معناه لئلا تضلوا وفي قراءة بعضهم ﴿وعلى الذين يطوقونه﴾ بتشديد الواو وفتحها؛ أي يكلفونه فلا يطيقونه.(٣)

وأيد أبو البقاء الكفوي حذف لا بقوله: "وحذف (لا) النافية يطرد في جواب القسم إذا كان المنفي مضارعا نحو: ﴿تالله تفتأ﴾ وفي غيره نحو: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية﴾ و﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ أي: كراهة أن تضلوا".(٤)

وقد استدل المؤيدون بأبيات شعرية جاءت فيها حذف لا النافية مع الفعل المضارع وهي:

---

(١) مقاييس اللغة ٣|٤٣٣

(٢) مجمع بحار الأنوار ٣/ ٤٦٨ . المؤلف: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

(٣) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية ص: ٢٥. المؤلف: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (ت: ٥٣٧هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣١١هـ.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ١|٣٨٨. المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

فحالف فلا والله تهبط تلعة * من الأرض إلا أنت للذل عارف (١)

آليت أمـــدح مغـــرما أبدا * يبقى المـــديح ويذهـــب الـرفـــد (٢)

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعـــوا رأسي لديك وأوصـــالي (٣)

المعنى: لا تهبط ولا أمدح ولا أبرح.

وخالفهم أبو حيان بقوله: "وتقدير: لا، خطأ لأنه مكان إلباس. ألا ترى أن الذي يتبادر إليه الفهم، هو: أن الفعل مثبت، ولا يجوز حذف: لا، وإرادتها إلا في القسم، والأبيات التي استدل بها هي من باب القسم، وعلة ذلك مذكورة في النحو". (٤)

وذهب الألوسي في أحد أقواله على أنه من أطاق الفعل بلغ غاية طوقه أو فرغ طوقه فيه، وجاز أن تكون- الهمزة- للسلب في كأنه سلب طاقته بأن كلف نفسه المجهود فسلب طاقته عند تمامه، ويكون مبالغة في بذل المجهود لأنه مشارف لزوال ذلك(٥).

وذهب بعضهم إلى أن الإطاقة أدنى درجات المكنة والقدرة على الشيء، فلا تقول العرب أطاق الشيء إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث يتحمل به مشقة شديدة، فالمراد بالذين يطيقونه هنا الشيوخ الضعفاء، والزمنى الذين لا يرجى برء أمراضهم ونحوهم، كالفعلة الذين جعل الله معاشهم الدائم،

وذهب كثيرون إلى أن الآية منسوخة إذ فهموا أن الإطاقة بمعنى الاستطاعة، وقدر بعض المفسرين كالجلال حرف نفي فقال: وعلى الذين لا يطيقونه فدية، ليوافق مذهبه، والآية موافقة له من غير حاجة إلى جعل الإثبات نفيا كما قلنا آنفا، وقال بعضهم: إن الهمزة في الإطاقة للسلب فمعناها الذين لا يطيقونه من غير تقدير حرف النفي. وهو قول منقول معقول، ويظهر بإرادة سلب الطاقة ; أي: القوة به لا قبله. والقاعدة أنه لا يحكم بالنسخ إذا أمكن حمل القول على الإحكام. (٦)

(١) البيت ورد منسوبا للقيط بن زرارة، في الكتاب ٣/ ١٠٥.
(٢) نسبه أبو حيان لأبي أحمد، ينظر البحر المحيط ٢|١٨٩.
(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه ١|١٣٧.
(٤) البحر المحيط في التفسير ٢/ ١٨٩.
(٥) روح المعاني ١/ ٤٥٦.
(٦) تفسير المنار ٢/ ١٢٦، ١٢٧. لمؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

ويبدو لي أن الهمزة في الإطاقة للسلب، والمعنى وعلى الذين سلبت منهم الطاقة فدية، على الرغم من أن كثيرين يرون أن الآية منسوخة؛ إذ فهموا أن الإطاقة بمعنى الاستطاعة؛ فعلى حسب القاعدة المذكورة سابقا أنه لا يحكم بالنسخ إذا أمكن حمل القول على الإحكام. ولا يجوز تقدير (لا) محذوفة، لأن الذي يتبادر إليه الفهم، هو: أن الفعل مثبت، ولا يجوز حذف (لا) وإرادتها إلا في القسم كما صرح بذلك أبو حيان.

مادة وعد:

قال ابن فارس: "الواو والعين والدال: كلمة صحيحة تدل على ترجية بقول. يقال: وعدته أعده وعدا. ويكون ذلك بخير وشر. فأما الوعيد فلا يكون إلا بشر. يقولون: أوعدته بكذا".(١)

قال تعالى: ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾ [الأعراف: ٨٦]

قال الفراء في تفسير الآية: "كانوا يقعدون لمن آمن بالنبي على طرقهم يتوعدونهم بالقتل. وهو الإيعاد والوعيد. إذا كان مبهما فهو بألف، فإذا أوقعته فقلت: وعدتك خيرا أو شرا كان بغير ألف كما قال تبارك وتعالى: ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ [الحج: ٧٢]".(٢)

فالفراء يرى أنهما إذا استعملا بغير قرينة دالة على الخير أو الشر، فيحمل الفعل (وعد) ومصدره (الوعد والعدة) على الخير، والفعل (أوعد) ومصدره (الإيعاد والوعيد) على الشر.

ويؤكد الأزهري أن كلام العرب وعدت الرجل خيرا ووعدته شرا، وأوعدته خيرا وأوعدته شرا، فإذا لم يذكروا الخير قالوا: وعدته فلم يدخلوا ألفا، وإذا لم يذكروا الشر قالوا: أوعدته فلم يسقطوا الألف. وأنشد:

وإني وإن أوعدته أو وعدته * لأخلف إيعادي وأنجز موعدي (٣)

ألا عللاني كل حي معلل * ولا تعداني الشر والخير مقبل

قال: وإذا أدخلوا الباء لم يكن إلا في الشر، كقولك: أوعدته بالضرب.(٤)

---

(١) مقاييس اللغة ٦/ ١٢٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٨٥.

(٣) البيت لعامر بن الطفيل، وهو في ديوانه ص ١٩١ لكن رواية الديوان: لأخلف إيعادي وأنجز موعدي. ديوان عامر بن الطفيل العامري، شرح أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق، د. محمود الجادر، ود. عبد الرزاق الدليمي، دار الشؤون الثقافية – بغداد، الطبعة الأولى عام ٢٠٠١ م.

(٤) تهذيب اللغة ٣/ ٨٦.

وسار على نهجهم الجوهري(١)، وابن الأثير(٢)، والزبيدي(٣).

في حين أن الزمخشري يرى أن الفعل وعد يستعمل في الخيروأوعد في الشر، وما جاء من الفعل وعد في الشر فهو من باب المجاز، كما في الآية ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ [البقرة: ٢٦٨]. وذكر شواهد شعرية عديدة في مجيء الوعد في الخير تؤيد مذهبه(٤).

وكأن الزمخشري يرى أن الهمزة في أوعد للسلب؛ لأنها تحول المعنى من الوعد بالخير إلى الوعد بالشر. ويبدو لي الزمخشري واهماً؛ لأن ورود الفعل (وعد) في الشر كثير في القرآن يستبعد أن تؤول على المجاز، من ذلك قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها﴾ [التوبة: ٦٨] ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [الرعد: ٣١] ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم﴾ [يونس: ٤٦] ﴿فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧)﴾ [غافر: ٧٧] ﴿وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ [غافر: ٢٨] ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون (٤١) أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون﴾ [الزخرف: ٤١، ٤٢] ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ [الأحقاف: ١٧] ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ [الحج: ٧٢]... وغيرها.

وما أوهم الزمخشري وجعله يحمل الفعل (وعد) في الشر على المجاز هو شيوع مجيء الفعل وعد في لغة العرب في الخيروأوعد في الشر، وما يؤكد هذا الشيوع ما نقله الزبيدي عنهم: "قالوا: إذا وعد خيرا فلم يفعله قالوا: أخلف فلان، وهو العيب الفاحش، وإذا أوعد ولم يفعل فذلك عندهم العفو والكرم، ولا يسمون هذا خلفا، فإن فعل فهو حقه، قال ثعلب: ما رأينا أحدا إلا وقوله إن الله جل وعلا إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا، وله أن يعذب"(٥).

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢/ ٥٥١. المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٢٠٦. المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

(٣) تاج العروس ٩/ ٣٠٧.

(٤) أساس البلاغة ٢/ ٣٤٤.

(٥) تاج العروس ٩/ ٣٣١.

وذكر الوا حدي المناظرة بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد: "قال أبو عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد: فما تقول في أصحاب الكبائر؟ فقال: أقول: إن الله تعالى وعد وعدا وأوعد إيعادا، فهو منجز إيعاده كما هو منجز وعده، فقال أبو عمرو بن العلاء: إنك رجل أعجمي، لا أقول: أعجم اللسان، ولكن أعجم القلب؛ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما، وعن الإيعاد كرما، وأنشد:

وإني إن أوعدته أو وعدته * لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فقال له عمرو بن عبيد: يا أبا عمرو، فهل يسمى الله مكذب نفسه؟ فقال: لا، فقال له عمرو بن عبيد: فقد سقطت حجتك"(١).

"قال ابن الخطبيب: كان لأبي عمرو بن العلاء أن يجيب عن هذا السؤال فيقول: إنك قست الوعيد على الوعد، وأنا إنما ذكرت هذا لبيان الفرق بين البابين؛ وذلك لأن الوعد حق عليه، والوعيد حق له، ومن أسقط حق نفسه فقد أتى بالجود والكرم، ومن أسقط حق غيره، فذلك هو اللؤم، فظهر الفرق"(٢).

مادة مدد:

قال ابن فارس: "الميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استطالة. تقول: مددت الشيء أمده مدا. ومد النهر، ومده نهر آخر، أي زاد فيه وواصله فأطال مدته. وأمددت الجيش بمدد. ومنه أمد الجرح: صارت فيه مدة، وهي ما يخرج. ومنه مددت الإبل مدا: أسقيتها الماء بالدقيق أو بشيء تمده به. والاسم المديد. ومد النهار: ارتفاعه إذا امتد. والمداد: ما يكتب به، لأنه يمد بالماء. ومددت الدواة وأمددتها. والمدة: استمدادك من الدواة مدة بقلمك. ومن الباب المد من المكاييل، لأنه يمد المكيل بالمكيل مثله"(٣).

قال الراغب الأصفهاني: "أصل المد: الجر، ومنه: المدة للوقت الممتد، ومدة الجرح، ومد النهر، ومده نهر آخر، ومددت عيني إلى كذا... وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه نحو: ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ [الطور/ ٢٢] ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين﴾[المؤمنون/ ٥٥]، ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾[نوح/ ١٢]، ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف الآية﴾ [آل عمران/ ١٢٥]،﴿أتمدونن بمال﴾[النمل/ ٣٦]، ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾[مريم/ ٧٩]، ﴿ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾[البقرة/

(١) التفسير البسيط ٥/ ٦٥.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٥|٤٨. المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

(٣) مقاييس اللغة ٥/ ٢٦٩.

[١٥]، ﴿وإخوانهم يمدونهم في الغي﴾[الأعراف/ ٢٠٢]، ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾[لقمان/ ٢٧] فمن قولهم: مده نهر آخر، وليس هو مما ذكرناه من الإمداد والمد المحبوب والمكروه، وإنما هو من قولهم: مددت الدواة أمدها[(١)]، وقوله: ﴿ولو جئنا بمثله مددا﴾[الكهف/ ١٠٩]"[(٢)]. أي فالفعل (مد) بدون همزة له استعمالان في القرآن الكريم؛ في الشيء المكروه، وفي مددت الداوة؛ أي زودتها المداد. والفعل (أمد) استعمل في الشيء المحبوب.

وقد اتفق مفسرو القرآن على مجيء أمد في القرآن على ما كان من جهة القوة والإعانة والخير، ومجيء (مد) على ما كان من جهة الشر، واختلفوا في آيتين جاء من الفعل مد ﴿والبحر يمده﴾ ﴿ولو جئنا بمثله مددا﴾ فمن المفسرين من جعلها من الزيادة ومنهم من جعلها من مددت الدواة أي جعلت في المداد.[(٣)]

ويرى الباحث أن الهمزة في (أمد) جاءت لسلب الشر، وتحويله إلى الخير، وما جاء خلاف ذلك في الآيتين فيحمل إما على مددت الدواة، وإما على أن الآيتين لا يحتملان خيرا أو شرا؛ لكونهما جاءتا في معرض الكثرة التي لا تنفع. فمهما كان المدد فلن تنفد كلمات ربي-والله أعلم-.

مادة مطر:

قال ابن فارس: (مطر) الميم والطاء والراء أصل صحيح فيه معنيان: أحدهما الغيث النازل من السماء، والآخر جنس من العدو. فالأول المطر، ومطرنا مطرا. وقال ناس: لا يقال أمطر إلا في العذاب.[(٤)]

(١) قال السرقسطي: مددت الدواة مدا، وأمددتها: جعلت فيها المداد. الأفعال ٤/ ١٣٨.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص: ٧٦٣.
(٣) ينظر: تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٩/ ٢٣٠، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان
الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م. ومعالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ١/ ٥٠٢. المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ. وتفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٢٩٣، اللباب في علوم الكتاب ٥/ ٥٢٠، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم ٦/ ٤٤. المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧م، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧م، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧م، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨م، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨م، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨م.
(٤) مقاييس اللغة (٥/ ٣٣٢)

قال أبو عبيدة: كل شيء في القرآن أمطر فهو من العذاب، وما كان من الرحمة فهو مطر.(١) وقول أبي عبيدة خالفه كثير من اللغويين؛ قال ابن دريد: "وأمطرت السماء لغة فصيحة لم يتكلم فيها الأصمعي لأنه جاء في القرآن: عارض ممطرنا".(٢)

وقال أبو البقاء الكفوي: "أمطر، فإنه في الخير والشر، ومطر في الخير فقط، وفي أمطر معنى الإرسال حتى يعدى إلى ما أصابه ب (على) وإلى من أرسل وأصيب بنفسه ومطر يعدى إلى ما أصابه بنفسه".(٣)

وقال الزمخشري: "مطرتهم السماء وأمطرتهم، وسماء ماطرة وممطرة، وممطار: مدرار، وواد ممطور ومطير، ووقعت مطرة مباركة ومطر وأمطار... ومن المجاز: أمطر الله عليهم الحجارة".(٤)

وقال جمال الدين الكجراتي: "أن أمطرت ومطرت لغتان في المطر، خلافا لمن زعم أن أمطر في العذاب".(٥)

وقال ابن عطية: "وليس كذلك وقوله تعالى: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤] يرد هذا القول؛ لأنهم إنما ظنوه معتاد الرحمة".(٦)

ولعل أبو عبيدة ومن تابعه حملوا الهمزة على السلب؛ لأن الفعل (مطر) فيه رحمة من الله لأن بنزوله تروى الأرض وتخضر، وجاء الفعل (أمطر) في العذاب؛ لكونه مبدوءا بالهمزة.

وما تبين لنا أن الفعل (أمطر) يأتي في الخير وفي الشر، فقد جاء في الشر في القرآن، قال تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾ [هود: ٨٢]، ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ [الفرقان: ٤٠]، ﴿وأمطرنا

(١) ينظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٢/ ١٩. المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت- ٣٧٥٠ هـ) ٣ ج، تحقيق علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود- زكريا النوني، الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ. وتفسير البغوي ٢/ ٢١٤.

(٢) جمهرة اللغة ٢/ ٧٦٠. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص: ١٨٧.

(٤) أساس البلاغة ٢/ ٢١٨.

(٥) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ٤/ ٥٩١.

(٦) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ١٩٧.

عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ [الشعراء: ١٧٣]، ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ [النمل: ٥٨].

وجاء في الخير، قال تعالى: ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾ [الأحقاف: ٢٤] فاسم الفاعل ممطرنا من الفعل أمطر، وجاء في الخير؛ لأنهم إنما ظنوه معتاد الرحمة.

وجاء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس السنة أن لا يكون مطر، ولكن السنة أن تمطر السماء، ولا تنبت الأرض"(١).

وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم في الدجال: "فيمر بالحي فيدعوهم، فيستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت"(٢).

فالفعل تمطر في الحديثين من الفعل الرباعي (أمطر) وهو نزول الغيث من السماء.

وقول الشاعر الوأواء الدمشقي(٣):

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وخلاصة القول أننا لا نستطيع أن نعد الهمزة للسلب، وإن جاء الفعل أمطر في الشر كثيرا في القرآن، وذلك لوجود آية ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ فممطر اسم فاعل من أمطر وجاء في معنى الخير وهو الغيث النازل من السماء، ولو كانت الهمزة في (أمطر) بمعنى السلب لقال: عارض ماطرنا. وكذلك يؤيده ما جاء في حديث رسول الله (أمطر) في الخير، وكذلك في الشعر.

نتائج البحث:

- لا خلاف بين علماء التفسير واللغة أن الهمزة في أقسط للسلب لأنها حولت المعنى من الظلم إلى العدل.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٤/ ٣٦٤، برقم ٨٧٥٤. المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة
الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٩/ ١٧٣، برقم ١٧٦٢٩.

(٣) ينظر: شرح مقامات الحريري ١/ ٨١. المؤلف: أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي (ت: ٦١٩ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ.

- أن القرآن استعمل اسم الفاعل من الفعل أصرخ وهو (مُصرخ) بمعنى سلب الصراخ، والدليل ما ذكره مفسرو القرآن؛ فمنهم من ذكر المعنى ولم يشر إلى مصطلح السلب، ومنهم من صرح بمعنى السلب.

- أن وزع معناه الكف والمنع، فإذا دخلت الهمزة عليه في (أوزعني) أزالت المنع وصار المعنى أزل عني ما يمنعني من شعر شكر نعمتك؛ أي ألهمني.

- في مادة مطر لا نستطيع أن نعد الهمزة للسلب وإن جاء الفعل أمطر في الشر، وذلك لوجود آية ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ فممطر اسم فاعل من أمطر وجاء في معنى الخير وهو الغيث النازل من السماء، ولو كانت الهمزة في (أمطر) بمعنى السلب لقال: عارض ماطرنا.

- استبعد البحث أن تكون (وعد) في الخير والهمزة تأتي في سلب معنى الخير إلى الشر، كما أشار إلى ذلك الزمخشري، وذلك لمجيء آيات عديدة من الثلاثي في معنى الشر منها النار وعدها الله الذين كفروا﴾. ولكن يمكن أن نقول إننا إن أطلقنا اللفظين فيحمل وعد على الخير وأوعد في الشر.

- يذهب البحث إلى أن همزة (أطاق) في قوله تعالى:﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ للسلب، ويضعف البحث أن الآية منسوخة، وذلك حسب القاعدة: أنه لا يحكم بالنسخ إذا أمكن حمل القول على الإحكام. ولا يجوز تقدير (لا) محذوفة، لأن الذي يتبادر إليه الفهم، هو: أن الفعل مثبت، ولا يجوز حذف (لا) وإرادتها إلا في القسم كما صرح بذلك أبو حيان.

- يرى البحث أن الهمزة في (أمد) جاءت لسلب الشر، وتحويله إلى الخير، وما جاء خلاف ذلك في الآيتين ﴿والبحر يمده﴾ ﴿لو كان البحر مدادا﴾ فيحمل إما على مددت الدواة، وإما على أن الآيتين لا يحتملان خيرا أو شرا؛ لكونهما جاءتا في معرض الكثرة التي لا تنفع. فمهما كانّ المدد فلن تنفد كلمات ربي-والله أعلم-.

- استبعد البحث أن تكون الهمزة في أخفيها بمعنى سلب الخفاء إلى الظهور، وذلك لأن أكثر مفسري الآية على غير ذلك، وكذلك لوجود الهمزة في أكثر من آية في القرآن غير دالة على السلب.

- أن هناك خلطا كبيرا بين السلب والأضداد بينها البحث في مظانها.

التوصيات: لا أقول إنني استوفيت كل الألفاظ التي دخل عليها همزة السلب، لعل من يأتي بعدنا فيكشف ما فاتنا، كما أن هناك سلبا بتضعيف عين الفعل وهي صيغة (فعل)، وسلبا بصيغة تفعل، وهي جديرة بدراسة مستقلة.

قائمة المصادر:

القرآن الكريم.

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٢. أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣. أسرار العربية، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤. إعراب القرآن للنحاس، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٥. أمثال العرب، المؤلف: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت: نحو ١٦٨هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

٦. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٧. البحث اللغوي عند العرب، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثامنة ٢٠٠٣م.

٨. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٩. تاج العروس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١٠. التبيان في إعراب القرآن، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١١. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
١٢. تصحيح الفصيح وشرحه، أبو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ابن المرزبان (ت: ٣٤٧هـ)، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]، عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٣. التفسير البسيط ١٤|٣٧٣. المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
١٤. تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٥. تفسير الثعلبي= الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.
١٦. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
١٧. تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ٢/ ٣٠١. المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.
١٨. تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٩. تفسير السمرقندي = بحر العلوم، تأليف: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت- ٣٧٥٠ هـ) ٣ ج، تحقيق علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود- زكريا النوني، الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ.

٤٠. تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤١. تفسير عبد الرزاق ٢|٢٤٣. المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٤٢. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٤٣. تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٤٤. تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٤٥. تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

٤٦. تفسير المنار، لمؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

٤٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

٤٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧م، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧م، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧م، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨م، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨م، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨م.

٤٩. تهذيب اللغة للأزهري، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣٠. الخصائص، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

٣١. الشافية في علم التصريف، المؤلف: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: حسن أحمد العثمان، الناشر: المكتبة المكية - مكة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٣٢. ديوان امرئ القيس، المؤلف: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: ٥٤٥ م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصْطاوِيْ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٣. ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه: حمدو صماس، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٤. ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، صنعه مروان العطية، دار الإمام النووي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣٥. ديوان عامر بن الطفيل العامري، شرح أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق، د. محمود الجادر، ود. عبد الرزاق الدليمي، دار الشؤون الثقافية - بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

٣٦. ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة النشر، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٣٧. ديوان القطامي، تأليف: عمير بن شييم التغلبي (ت: ١٠١هـ)، دراسة وتحقيق: د محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

٣٨. ديوان الهذليين القسم الأول شعر أبي ذؤيب وساعدة بن جؤبة، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، الطبعة الثانية - القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٥م.

٣٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٤٠. زاد المسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٤١. شرح ابن عفيل على ألفية ابن مالك، المؤلف: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٤٢. شرح أبيات المغنى اللبيب، المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، الناشر: دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة: (جـ١ - ٤) الثانية، (جـ٥ - ٨ الأولى)، عام النشر: عدة سنوات (١٣٩٣ - ١٤١٤هـ)

٤٣. شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، المؤلف: موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقى (ت: ٥٤٠ هـ) قدِم له: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٥. صحيح البخاري، باب الصدقة باليمين، رقم الحديث ١٤٢٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٦. صحيح مسلم، رقم الحديث ٦١٩، باب استحباب تقديم الظهر في أول الوقت في غير شدة الحر، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٧. طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، المؤلف: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (ت: ٥٣٧هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣١١هـ.

٤٨. العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٤٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٥٠. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٥١. فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، المؤلف: محمد علي طه الدرة، الناشر: مكتبة السوادي جدة – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م، أعده للشاملة: رابطة النساخ، تنفيذ (مركز النخب العلمية)، وبرعاية (أوقاف عبد الله بن تركي الضحيان الخيرية).

٥٢. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٥٣. الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٥٤. الكتاب، المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٥٥. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المؤلف: المنتجب الهمذاني (ت: ٦٤٣ هـ)، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٥٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٥٧. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٨. اللباب في علل البناء والإعراب، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٥٩. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٦٠. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، ومذيل بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين].

٦١. مجمع بحار الأنوار ٣/ ٤٦٨ ، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

٦٢. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٦٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٦٤. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٦٥. مجاز القرآن، المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

٦٦. مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان.

٦٧. مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، المؤلف: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م.

٦٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة

٦٩. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٧٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

٧١. معاني القرآن للأخفش، المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

٧٢. معاني القرآن للفراء، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٧٣. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، أعده للشاملة / أبو إبراهيم حسانين.

٧٤. المغرب في ترتيب المعرب، لمؤلف: ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي (ت: ٦١٠هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٧٥. المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٧٦. المفصل في صنعة الإعراب، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

٧٧. مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٧٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

معوقات تدريس اللغة العربية -كما يراها معلموها في المدارس الحكومية

إعداد
د. إدريس محمد صقر جرادات
د. عطا أبو جبين

معوقات تدريس اللغة العربية -كما يراها معلموها في المدارس الحكومية- د. إدريس محمد صقر جرادات د. عطا أبوجبين

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية – مديرية شمال الخليل –من وجهة نظر معلميها. وبالتحديد حاولت الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما أهم معوقات تدريس مواد اللغة العربية– من وجهة نظر معلميها – في مديرية شمال الخليل؟ حيث تفرع منه سبعة أسئلة بحسب مجالات المعوقات السبعة.

أما فرضيات الدراسة فكانت عشر نجملها فيما يأتي: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α = 0. 05) بين اتجاهات الطلبة نحو معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية كما يراها معلموها في مديرية شمال الخليل تعزى إلى متغير الجنس، أو العمر، أو سنوات الخبرة أو مستوى المدرسة، أو جنسها، أو المؤهل العلمي أو التخصص، أو الجامعة التي تخرج فيها، أو المادة التي يدرسها، أو الحالة الاجتماعية. وتكونت عينة الدراسة من ١٢٣ معلما ومعلمة، أما أداة الدراسة فكانت استبانة ضمت سبعين فقرة تستغرق مجالات المعوقات جميعها؛ وقد تم التأكد من صدقها وثباتها بالطرق العلمية حيث بلغت درجة ثباتها (٠،٨٤) حسب مقياس كرونباخ ألفا.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: تأتي المعوقات المتعلقة بمجال المجتمع المحلي في المقام الأول؛ حيث بلغت النسبة الكلية للمتوسطات (٢.٤٨) . ويأتي في المقام الأول معوق عدم متابعة الأهل بمتوسط(٢،٥٩). يليها مجال المعوقات المتعلقة بالطالب بنسبة (٢.٢١). وأعلاها معوق اكتظاظ الصفوف بالطلبة بمتوسط (٢،٥٧) يليها على التوالي بمتوسطات متقاربة المعوقات المتعلقة بمجال الاختبارات (٢،١٧) ثم الإعاقة (٢،١٦) ثم المعلم (٢،١٥) فالكتاب المقرر (٢،١) وأخيرا طرق التدريس (١.١٨).

أما فيما يتعلق بالنتائج المتعلقة بفرضيات الدراسة فقد أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α = 0. 05) بين معوقات تدريس اللغة العربية وبين متغيرات الدراسة: الجنس، أو العمر، أو سنوات الخبرة أو مستوى المدرسة، أو جنسها، أو المؤهل العلمي أو التخصص، أو الجامعة التي تخرج فيها، أو المادة التي يدرسها، أو الحالة الاجتماعية. وبناء على تلك النتائج خرجت الدراسة بتوصيات، ومقترحات لعلها تسهم في حل هذه الإشكالية.

مقدمة:

لقد ظهرت دعوات عالمية ومحلية كثيرة للاهتمام بالمعلم وإعداده، ويبدو ذلك من خلال الأبحاث العلمية والدراسات التربوية المتعددة، فعلى المستوى الدولي ذكرت الوكالة القومية للتدريس بالولايات المتحدة أن التحديات الموجودة بالمدارس الآن تتطلب أن يعد المعلمون إعدادا أفضل من ذي قبل؛ فمعلمو القرن الحادي والعشرين يواجهون كثيرا من المسئوليات والمشكلات التي تتعلق بالأجيال الجديدة، وكيفية إعدادهم للمشاركة البناءة في المجتمع (العالي 2002. : ٢١). ومهنة التعليم التي اختارها المعلم هي مهنة أساسية ولها دور فعال في رقي الأمة وتطورها ولكن عندما ننظر إلى أدوار المعلم التي كان يؤديها في العصور الماضية، نجدها في كل عصر تأخذ طابعا مختلفا، ففي السابق كان المعلم ملقنا للمعلومات وهو من يقوم بتحضير الدروس وشرحها دون تدخل من طلابه ,ولكن اليوم ونتيجة للتقدم السريع وتطوره اختلف دور المعلم كليا وأصبح له العديد من الأدوار المختلفة عن دوره السابق. ومن الملاحظ أن ثقافة التغيير والتأقلم مع متطلبات التطور المعرفي، وصلت إلينا متأخرة، حيث أننا بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في وعينا لحقيقة أن دخولنا في عصر اقتصاد المعرفة هو السبيل الوحيد لنجاحنا في مواجهة تحديات العولمة في عصرنا الحالي.

ولا شك أن اللغة العربية في الوقت الراهن تقف أمام تحديات تحتاج إلى تكاتف علماء اللغة، والمختصين بعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم تقنيات المعلومات، بالإضافة إلى جهود وزارات التربية والتعليم، والجامعات ومراكز البحوث والدراسات، ومجامع اللغة العربية، فعليهم العناية بهذه القضية، فاللغة القومية هي من المقومات الأساسية للشخصية العربية، والهوية القومية والانتماء في زمن تحديات العولمة (عبد المجيد، ٢٠٠٢: ١) إن إعداد المتعلم للعصر الجديد أصبح يمثل أولوية كبرى في كافة النظم التعليمية في البلدان المتقدمة والنامية على حد سواء؛ ذلك لأن التطورات التي حدثت وتحدث تباعا فرضت على المؤسسات التعليمية أدوارا جديدة، فلم يعد دور المتعلم تقليديا متلقيا للمعرفة فحسب بل تعدى ذلك ليشمل مجالات جديدة، فالمتعلم المستقبلي أو متعلم القرن الحادي والعشرين لابد أن يمتلك مهارات الحوار والنقاش، والنقد، والتحليل، والربط والاستنتاج، والبحث في مصادر المعلومات المختلفة، ومن ثم فقد تغير دوره من السلبية إلى النشاط المستمر، ولابد من امتلاك المهارات التي تساعده على مجاراة عصر العلم والتقنية، والتعايش مع الآخرين، والاتصال بهم، وقبولهم، والإفادة من تجاربهم مع امتلاك مهارات التفكير الناقد، والإبداعي، ومواكبة عصر التطورات الحديثة والمتلاحقة (الخليفة، ١٤٢٥ هـ: ٢٩٦)من هنا كان لابد من تذليل كل العقبات التي تعترض سبيل المعلم مهما كان تخصصه، وتأتي اللغة في سلم أولويات هذه العقبات، ولا شك أننا في عصر أصبحت فيه اللغات القومية هي سر نجاح الدول وامتدادها وتطورها وكما يقول أهل النسبية بان لغتي هي عالمي وحدود لغتي هي حدود عالمي وما من صراع سياسي إلا ويبطن في داخله صراعا لغويا وبخاصة أمام زحف اللغة الإنجليزية التي باتت تهدد كل لغات العالم بلا استثناء، وعلى الرغم كما يقول عبد السلام المسدي: لأول مرة في تاريخ البشرية يكتب للسان طبيعي أن يعمر سبعة عشر

قرنا محتفظا بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية فيطعها جميعا ليواكب التطور الحتمي في الدلالات دون أن يتزعزع النظام الثلاثي من داخله " (الموسى: ٢٠٠٧: ٥٠). من هنا كانت أهمية مواجهة العقبات والمشكلات التي تعترض معلم اللغة العربية في أثناء تدريسه لهذه المادة التي ترتبط ارتباطا مباشرا بالهوية العربية الإسلامية، ولذا نشأت مشكلة هذه الدراسة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

يشكل مبحث اللغة العربية أهمية كبيرة في للطلبة الراغبين في استكمال دراستهم الجامعية في تخصصات قريبة منه، هذه الأهمية تأتي من ضرورة إعداد طلبة قادرين على فهم الحياة العملية لاختيار مجال عملهم المستقبلي

بالإضافة إلى ذلك، فإنها توفر للطلبة الذين يرغبون في التخصص بهذا الفرع مستقبلا الأسس التي تمكنهم من اختيار تخصص الدراسة. أي أنها تهيئ جيلا قادرا على فهم الحياة العملية مع الحاجة إلى التعمق في التخصص. إذ أنها تعمل على تغير نظرة الطلبة إلى الحياة من السطحية إلى التخصصية التي يفكر فيها المرء بعمق لتحديد احتياجاته في الواقع العملي.

ومع كل الاعتراف بأهمية هذا المبحث، إلا أنه محاط بكثير من التساؤلات عن أسباب عدم اهتمام بعض الطلبة به، وعن أسباب تخوف بعضهم الآخر منه، وعن أسباب كثرة الشكوى منه دراسته وأسئلة امتحاناته، وعن أسباب الصعوبات التي يوجها معلم المبحث، خاصة إذا كانوا من غير المتخصصين. ومن هنا تظهر عدة معوقات تحيط بالمبحث سواء ارتبطت بالطلبة أو بالمعلمين أو ربما بأسئلة الامتحان، الأمر الذي يتطلب الدراسة والبحث، وتحديد الأسباب بدقة، وتفسيرها وتقديم الحلول والنصح للتغلب عليها.

- وتحديدا فإن الدراسة الحالية تحاول الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

١. ما أهم معوقات تدريس المواد اللغة العربية – من وجهة نظر معلميها – في مديرية شمال الخليل؟ ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما أهم معوقات تعليم مواد اللغة العربية التي تتعلق بالطالب ؟– التي تتعلق بالمعلم ؟التي تتعلق بالإدارة والإشراف التربوي؟– التي تتعلق بالكتاب المقرر والمنهج ؟– التي تتعلق بطرق التدريس؟– التي تتعلق التي تتعلق بالتجهيزات؟– لتي تتعلق بالطلبة ذوي الإعاقة؟– التي تتعلق بالمجتمع المحلي؟

فرضيات الدراسة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α = ٠.٠٥) بين اتجاهات **الطلبة** نحو معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية كما يراها معلموها في مديرية شمال الخليل تعزى إلى متغير الجنس أو العمر أو سنوات الخدمة، أو مستوى المدرسة، أو جنس المدرسة، أو المؤهل العلمي، أو التخصص أو الجامعة التي تخرج المعلم كمنها، أو المادة التي يدرسها، أو الحالة الاجتماعية؟.

أهمية الدراسة وأهدافها:

تكمن أهمية الدراسة في أنها:

١- تساعد مشرفي ومعلمي اللغات والمرحلة على التعرف على معوقات تدريس هذه المواد في كل مجال من مجالات الدراسة.

٢- قد تفيد المختصين في التعرف على معوقات تدريس هذه المواد في كل مجال من مجالاتها وفي وضع الحلول الملائمة للتغلب على بعض تلك المعوقات، أو إيجاد البدائل التي تحد من البعض الآخر من تلك المعوقات وبالتالي العمل على تحسين تدريس هذه المواد.

٣- قد تفيد القائمين على وضع وتطوير المناهج في وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية في تخطيط وتطوير المقررات الدراسية وفي الجامعات الفلسطينية، وفي وضع الاستراتيجيات التي تساعد على النهوض بتدريس هذه المواد.

٤- قد تفيد مديري ومديرات المدارس في كيفية تسهيل ومساعدة معلم هذه المواد على تدريسها.

٥- أهمية نفسية: تؤدي إلى الراحة النفسية للطلبة بمحاولة إزالة هذه المعوقات مما قد يسهم في زيادة إقبال الطلبة على دراسة اللغة العربية وإزالة المخاوف التي تكتنفهم من حيث صعوبة مادة اللغة العربية.

٦- أهمية عملية: حيث من المتوقع أن تسهم هذه الدراسة في طرح كثير من الحلول العملية المبنية على أسس مدروسة لتطوير المنهاج، ووضع خطط تدريبية للمعلم، وإعادة النظر في كثير من موضوعات اللغة وطرق التدريس...

مجتمع الدراسة:

يتألف مجتمع الدراسة من جميع معلمين ومعلمات اللغة العربية في مديرية شمال الخليل خلال الفصل الثاني من العام الدراسي (٢٠١١-٢٠١٢) والبالغ عددهم (١٢٣) معلما ومعلمة.

عينة الدراسة:

شملت العينة الأصلية (١٢٣) معلما ومعلمة، وقد تم اختيارها بالطريقة العينة العشوائية الطبقية، وقد شملت خصائص العينة الديموغرافية للدراسة وفقا لمتغيرات كل من الجنس، والعمر، وسنوات الخدمة ومستوى المدرسة وجنس المدرسة والمؤهل العلمي والتخصص ونصاب المعلم التدريسي والجامعة الذي تخرج منها المعلم أو المعلمة ولغة دراسته وحالته الاجتماعية. والجدول رقم (١) يبين متغيرات عينة الدراسة:

جدول (١)

خصائص العينة الديموغرافية

المتغيرات	العدد	النسبة المئوية	القيم الناقصة
الجنس			
ذكر	73	56. 9	
أنثى	50	32. 5	
العمر			
من٢١-٢٤ سنة	6	4. 9	
من٢٥-٢٩ سنة	15	12. 2	
من٣٠-٣٩ سنة	39	31. 7	
من٤٠-٤٩ سنة	42	34. 1	

٥٠ سنة وما فوق	21	17. 1	
سنوات الخدمة			
من١-٥ سنوات	30	24. 4	
من٦-١٠ سنة	15	12. 2	
من١١-١٤ سنة	29	23. 6	
من١٥-٢٠ سنة	28	22. 8	
٢١ سنة وما فوق	21	17. 1	
جنس المدرسة			
بنين	70	56. 9	
بنات	40	32. 5	
مختلطة	13	10. 6	
المؤهل العلمي			
دبلوم	33	26. 8	
بكالوريوس	87	70. 7	
ماجستير وما فوق	3	2. 4	
التخصص			
لغة عربية	115	93. 5	
لغات أخرى	8	3. 3	
نصاب المعلم			

نظري	82	65. 9	
عملي	27	20. 3	
نظري وعملي	14	10. 6	
الجامعة التي تخرجت منها			
جامعة البولتيكنيك	14	11. 4	
جامعة الخليل	43	35. 0	
جامعة القدس المفتوحة	9	7. 3	
جامعة القدس-أبو ديس-	5	4. 1	
جامعة بيت لحم	4	3. 3	
كلية فلسطين التقنية	7	5. 7	
كلية العروب	5	4. 1	
أخرى	٣٦	٤ .٢٤	
المادة التي يدرسها			
عربية	98	79. 7	
انجليزية	3	2. 4	
عربية وانجليزية	22	17. 9	
الحالة الاجتماعية			
متزوج	103	83. 7	
أعزب	13	10. 6	

أرمل	7	5. 7	
مطلق	٠	٠	

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: تم تطبيق الدراسة في الفصل الأول من العام الدراسي ٢٠١١ /٢٠١٢.

الحدود البشرية: تم تطبيق الدراسة على ١٢٣ معلما ومعلمة من معلمي اللغة العربية في مديرية شمال الخليل، كما تتحدد هذه الدراسة بكتب مبحث اللغة العربية في فلسطين للعام الدراسي ٢٠١١ /٢٠١٢، وبالأداة التي استخدمت في هذه الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

المعوقات: عرف ابن منظور العائق ب " عاقه من الشيء يعوقه: صرفه وحبسه والتعويق معناه إذا أراد أمرا صرفه عنه صارف، وفي معجم علوم التربية العائق هو صعوبة يصادفها المتعلم يمكن أن تعوق تعلمه، وفي هذه الدراسة يمكن تعريفها بأنها: مجموعة من الأسباب التي يؤدي وجودها إلى التأثير السلبي على فاعلية وكفاءة التدريس.

مديرية شمال الخليل: هي جزء من مديريات محافظة الخليل، التي تضم ثلاثة مديريات للتربية: شمال الخليل، الخليل، جنوب الخليل.

معلم اللغة العربية: هو ذلك الشخص المكلف من قبل وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية بتدريس هذه المباحث.

إجراءات الدراسة:

بعد تحديد مشكلة الدراسة والانتهاء من إعداد الاستبانة والتأكد من صدقها وقياس ثباتها قام الباحث بتوزيع نسخ الإستبانة على عينة الدراسة وتم جمع الاستبيانات التي أجاب عليها أفراد العينة وبعد ذلك تأكد الباحث من إجراء عملية التوزيع والجمع وأطلقت أرقام على الإجابات وأدخلتها إلى الحاسوب لتحليل البيانات إحصائيا للتوصل إلى النتائج والخروج بالتوصيات المتعلقة بموضوع البحث.

منهج الدراسة:

تحقيقا لأهداف الدراسة استخدم الباحثون المنهج الوصفي لتحديد معوقات تدريس مبحث من وجهة نظر معلميها ، نظرا لملاءمة هذا المنهج لطبيعة الدراسة، حيث أن المنهج الوصفي يهدف إلى دراسة الواقع ويهتم بوصفه وصفا دقيقا ويعبر عنه تعبيرا كميا أو كيفيا، لأن التعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، في حين أن التعبير الكمي يعطي وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى المختلفة، وبالتالي الوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم هذا الواقع وتطويره، الأمر الذي يجعل هذا المنهج أكثر استخداما في الدراسات الإنسانية.

أداة الدراسة: بناؤها وصدقها وثباتها:

تضمنت أداة الدراسة سبعة مجالات لتحديد المعوقات في كل منا عشر فقرات على النحو الآتي:

* المعوقات المتعلقة بالمعلم: (١٠) فقرات والمعوقات المتعلقة بالطالب: (١٠) فقرات. المعوقات المتعلقة بالإدارة والإشراف التربوي: (١٠) فقرات المعوقات المتعلقة بالكتاب المقرر والمنهج: (١٠) فقرات، المعوقات المتعلقة بطرق التدريس: (١٠) فقرات، المعوقات المتعلقة بالطلبة ذوي الإعاقة: (١٠) فقرات، المعوقات المتعلقة بالمجتمع المحلي: (١٠) فقرات.

ثبات أداة الدراسة:

تم التحقق من ثبات أداة الدراسة بفحص الاتساق الداخلي لفقرات الأداة بحساب معامل كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) على عينة الدراسة الكلية حيث بلغت قيمة الثبات (٠. ٨٤)، وبذلك تتمتع الأداة بدرجة جيدة من الثبات.

صدق أداة الدراسة:

قام الباحث بالتحقق من صدق أداة الدراسة، بعرضها على مجموعة محكمين من الأخصائيين التربويين وعلم النفس والذين أبدوا بعض الملاحظات حولها وقد تم الأخذ بهذه الملاحظات وتم تعديل الاستبانة بناء عليها، وعليه تم إخراج أداة الدراسة بشكلها الحالي.

متغيرات الدراسة:

تضمنت الدراسة عشر متغيرات مستقلة هي: الجنس وله مستويان (ذكر، أنثى)، والعمر وله خمس مستويات (٢١-٢٤ سنة، ٢٥-٢٩ سنة، ٣٠-٣٩ سنة، ٤٠-٤٩ سنة، ٥٠ سنة فأكثر)، و سنوات الخدمة ولها خمس مستويات (١-٥ سنوات، ٦-١٠ سنوات، ١١-١٤ سنوات، ١٥-٢٠ سنوات، ٢١ سنة فأكثر)، مستوى المدرسة وله مستويان (أساسية عليا و ثانوية)، جنس المدرسة (بنين، بنات)، والمؤهل العلمي وله ثلاث مستويات (دبلوم، بكالوريوس، ماجستير فأعلى)، التخصص (متغير نصي)، نصاب المعلم التدريسي وله مستويان (نظري و عملي)، الجامعة التي تخرجت فيها (متغير نصي)، الحالة الاجتماعية و له أربع مستويات (متزوج، أعزب، أرمل، مطلق)، أما المتغير التابع فهو تقدير معوقات تدريس مبحث اللغة العربية في مديرية شمال الخليل.

الإطار النظري للبحث:

لقد أظهرت نتائج كثير من الدراسات، وآراء علماء النفس ارتباط اللغة بالإبداع، والتفكير الإبداعي، فقد أكد فريمان (Freeman) أن التميز اللغوي والمعاناة الاجتماعية من خصائص المبدعين (Freeman,1995). كما أوضح جاردنر (Gardner) تمتعهم بمهارات لغوية عالية Gardner, (1983: 32). وذكر كل من ديفز Davis (1992) وبورش Burch (1986) أن من الخصائص اللغوية الإبداعية اللعب بالأفكار، ومرونة التفكير، واستخدام الصور الحسية، والطلاقة، وإعطاء بدائل متعددة وغريبة للفكرة الواحدة، وغزارة المحصول اللغوي(السرور،٢٠٠٢م: ٩٨-١١٦).

كما أكد ميريت (Merrit) أننا إذا أردنا أن نكشف عن منهج دولة ما، فعلينا أولا أن نفحص كتب القراءة في اللغة الأم المقررة في ذلك المنهج؛ لأنها تعكس واقع المنهج وطبيعته، ثم الفلسفة السائدة في تلك الدولة، والتي يفترض أن يكون المنهج مرآتها. . . وكتب القراءة بؤرة تلك المرآة. Merritt, J. p,1972, (143). ومعروف أن كتب القراءة هي الوعاء الحقيقي للغة.

إن علاقة اللغة بالفكر كما يرى علماء النفس ظاهرتان ملتحمتان، ولا يمكن التفريق بينهما، وذلك لأن الكلام الذي لا يعكس أفكارا مصدرها الأشخاص المتكلمون يمكن اعتماده لقياس مدى نمو وتقدم الفكر (بوشوك، ١٩٩٤م: ١١٩).

ويرى سوسيور أن العلاقة بين اللغة والفكر يمكن مقارنتها بالورقة؛ فإحدى صفحاتها هي الفكر، والصفحة الأخرى هي اللغة، وكما أننا لا نستطيع أن نعزل وجهي الورقة فإننا لا نستطيع أن نعزل بين اللغة والفكر، وإنما نرى نوعا من التجريد البحت للعنصرين النفسي والصوتي. (فضل، ١٩٨٥م: ٤٣).

ويرى السامرائي أن اللغة هي أداة الفكر، ويؤكد عدد كبير من العلماء بوجود علاقة عضوية بين اللغة والفكر، فقد عرفها ابن خلدون بأنها ملكة في اللسان للعبارة عن المعاني. ويرى مالنيوفسكي أن وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التواصل فحسب؛ بل هي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنظم، وهي جزء من السلوك الإنساني. (أبو جبين، ١٩٩٤م: ٧).

ويعد التفكير أحد الوسائل الأساسية في التحصيل المعرفي، كما أن عملية ارتقاء اللغة تؤدي إلى مهارات التفكير. وقد اعتبر واطسون زعيم المدرسة السلوكية أن الفكر هو اللغة (الزراد، ١٩٩٠م: ٧٥). ويضيف خاقاني بأن اللغة إحدى أهم أركان الشخصية الإنسانية، والتعاريف القديمة للغة التي كانت ترى أن اللغة مجرد أداة لنقل الأفكار والأحاسيس تعرضت في الآونة الأخيرة لهجمة عنيفة من قبل المدارس الحديثة التي تؤمن باندماج اللغة والفكر في تكوين الكيان البشري (خاقاني، ٢٠٠٥م: ٢).

ونحن نرى بأن اللغة العربية هي الوعاء الحقيقي لفكرنا وتفكيرنا وثقافتنا وتعكس مدى رقينا، أو انحطاطنا وكما يقول أهل النسبية اللغوية لغتي هي عالمي وحدود لغتي هي حدود عالمي، وما من صراع سياسي إلا ويبطن في جوفه صراعا لغويا.

كما نرى أن الضعف المتفشي في لغتنا اليوم يرجع في مصدره الأول إلى أن الطلبة من خريجي الدراسة الثانوية لا يكون هدفهم الأول والاسمي هو إتقان اللغة، ونشرها في صفوف المجتمع , فقد نجد من يلتحق بالدراسة الجامعية لأجل إكمال الحصول على درجة البكالوريوس فقط؛ وممن لم يقبل في قسم آخر، وكذلك عزوف الطلبة من يمتلكون قدرات عقلية عالية عن الالتحاق بقسم اللغة العربية, فالنظرة الاجتماعية القاصرة تدعي أن هذا القسم أقل شأننا من الأقسام العلمية الأخرى وأن الالتحاق به سيؤدي إلى مهنة ذات قالب محدد، لا تمت بصلة للعالم الخارجي

كما نلمس أيضا ندرة التحاق الطلبة ممن يمتلكون ذائقة فطرية للغة العربية، فوجود مثل هؤلاء الطلبة في القسم يمكن أن ينتج منهم مبدعين بطريقتين: إما أن نجعلهم يحتدون بنموذج مبدع في اللغة العربية، أو أن نعول على ما يقدموا من إبداع. وكلا الأمرين سيؤدي إلى كوادر علمية هي في أصل فطرتها مبدعة للغة العربية ومتقنة لها، وعارفه بفنونها.

كما أن تدريس اللغة العربية إذا ما قارناها بغيرها من العلوم تتم بطريقة تقليدية , فإذا ما أدخلنا التقنيات الحديثة في التعليم كاستخدام أنظمة الحاسوب , والأجهزة التقنية الحديثة، وهذا الأمر يقدم للمواد العلمية بطريقة جديدة , ومثيرة عند البعض, فعلى سبيل المثال ممكن أن تدرس علم العروض في

المختبرات الصوتية المعدة لهذا الغرض، فيحصل الطالب على مهارات علم العروض بإطار التقنية الحديثة، كما أننا بوسعنا تطوير أساليبنا التربوية بما يتلاءم والمستجدات الحديثة في طرق التدريس التي بقيت تقليدية إلى حد ما.

لقد كثرت الأسباب، والاتهامات، والتبريرات لما نعانيه الآن من ضعف لغوي ولسنا بصدد التعرض لها إلا بمقدار ما يتصل اتصالا مباشرا بهذا البحث ، فقد وجهت اتهامات صريحة طورا، وضمنية تارة أخرى إلى اللغة العربية، وحملها فريق من الناطقين بها، جهلا، وعدوانا مسؤولية ما نعانيه اليوم من عدم قدرتنا على مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي ، وتمادى في كيل الاتهامات لها؛ حتى وصفوها بالعجز، والتقصير، ونزعوا عنها الصبغة العلمية والمعاصرة، متذرعين بذرائع أوهى من خيوط العنكبوت، وأسقطوا عليها إحاطاتهم، وأسباب فشلهم، ناسيين أو متناسيين أن السر ليس في اللغة؛ وإنما في عجز أهلها وضعفهم، وليس أدل على ذلك ممن استطاعوا أن يبعثوا في لغتهم الحياة بعد ما يقرب من أربعة آلاف عام من موتها؛ لتصبح لغة علم وحضارة، يتفاخرون، بل يصرون على التحدث بها في المحافل الدولية والعالمية، وينشرون بها إبداعاتهم وبحوثهم العلمية. وعلى النقيض من تلك الفئة هب فريق آخر ثائرا، متعصبا، مدافعا، محاولا إثبات بطلان تلك الادعاءات. وفريق ثالث عوان بين ذلك.

ولم يلتفت الفريقان المتعارضان إلى السر العميق، والأسباب الكامنة وراء ذلك لمعالجتها، ودخلنا في جدل عميق بين متعصب للغة، مدافع عنها دون أن يقدم شيئا يذكر على الصعيد العملي، وينطلق من عاطفة قد يكون لها في كثير من الأحيان مردود سلبي، وآخر يثبت بالدليل القاطع عجزنا عن مسايرة الأمم الأخرى، وعجز لغتنا عن استيعاب مصطلحات العصر، والعلوم الحديثة والثورة التكنولوجية. . . ، ومن ثم يجد أسرع، وأسهل، وأنجع وسيلة للحاق بركب الحضارة هو الانسلاخ من اللغة العربية، واتخاذ لغة الحضارة والعلم والإنترنت، ولهم في ذلك أساليب، وأفانين، واقتراحات عجيبة غريبة لا مجال لذكرها.

لقد كانت لي تجربة طويلة في تدريس اللغة العربية؛ حيث درست هذه المناهج في الأردن، والسعودية، وعملت في المديرية العامة للمناهج في الأردن، وسلطنة عمان، فكانت خريطة مناهج اللغة العربية واضحة في ذهني تماما، وأصبحت أتلمس ما تعانيه من القصور والنقص، وكنت أحس بتلك النمطية التي سادتها على أقل التقديرات من بداية دخولي المدارس، فلم الحظ أي تغيير جذري يلمس على تطور مناهجنا وأساليب تدريسها، ولا أكون، مبالغا، أو متجنيا إذا قلت بأنه قد أصبحت هناك شبه قداسة للمنهجية المتبعة في معالجة قضايا اللغة المختلفة، ولا يستطيع أحد أن يحيد عنها، أو يفكر في تغييرها، واستمر الحال على ما هو عليه إلا من تغيرات طفيفة تتعلق بأمور شكلية فقط، كالإخراج والصور والتلوين، وتطوير بعض أساليب التدريس. . ، ولم يتم توظيف ما توصل إليه العلم الحديث من نظريات وأساليب في تدريس اللغات، ولم يقتصر الأمر على تدريس المبتدئين من الأطفال بل نرى أن تلك النمطية انسحبت المراحل

التعليمية المتقدمة كافة، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأن مناهجنا ظلت تدور في فلك واحد، وبخاصة في تدريس النصوص الأدبية، أو في تناول القضايا النحوية، والبلاغية اللتان هما مدار اللغة وفصاحتها وبيانها وعمودها الرئيس ابتداء من السكاكي، والجرجاني، وابن هشام. . . وانتهاء بعلي الجارم الذي لم نتخطاه حتى الآن. . . حتى الأمثلة، والشواهد النحوية، والبلاغية لم نتجاوزها إلا نادرا، حيث كانت البلاغة الواضحة قبلة كل المؤلفين، بحيث تتكرر تلك الأمثلة والشواهد في كل كتب البلاغة في العالم العربي، وإن اختلفت المسميات؛ فهل وصل بنا الجمود الفكري، والإنتاجي إلى حد اقتصارنا على تلك الأمثلة والشواهد، ولم يتطور أدبنا، وشعرنا، وصورنا البلاغية منذ ذلك العصر حتى الآن ؟! وأنا لا أقلل من الدور الذي أدته تلك الكتب المهمة؛ بل أين دورنا نحن في التطوير والتحديث؟! فأصبح طلبتنا يدرسون أمثلة وشواهد منفصلة عن واقعهم، ويحفظونها للاختبار فقط. . . وأصبح المدرس يكررها دون حتى أن يفكر في مضامينها، على الرغم مما اعترى الأدب والشعر من تطور في الشكل والمضمون، لم نجد إلا قلة قليلة من الشواهد الحديثة، والسبب الرئيس في رأيي هو أن تلك الأمثلة ناجزة، جاهزة؛ حيث أصبحت (كليشيهات) محفوظة ومكررة؛ حتى لم نغير في نمطية حل تلك الشواهد وحفظها والقياس عليها. . . (أبو جبين، ٢٠١١: ٧) ، ولا أشك في غياب ذلك عن كل مختص في اللغة، ولكنا لم نمتلك زمام المبادرة والجرأة في التغيير حتى الآن! على الرغم مما نرى من تطور هائل في كتاباتنا النقدية، والبلاغية المتخصصة والتي نقرأها اليوم، ولكنها مقدمة لفئة خاصة، ولشريحة ضيقة جدا تستطيع التواصل مع مضامينها العميقة، وكأن هؤلاء النقاد والأدباء يكتبون فقط لنظرائهم، ولم يلتفتوا مطلقا إلى تطوير القاعدة العظمى وكسر الهوة القائمة بين الناشئة والأجيال المتقدمة، مما سبب ذلك الانقطاع بين مناهجنا الدراسية، وكتبنا النقدية التي سيصطدم بها الطالب بعد تخرجه، ولا بد من الإشارة هنا؛ بل الاعتراف بعبقرية الناقدة والشاعرة نازك الملائكة، والتفاتتها الذكية في تناولها لبعض القضايا البلاغية ومعالجتها في كتابها المشهور قضايا الشعر المعاصر؛ كدراستها لظاهرة التكرار في الشعر العربي؛ حيث تناولتها بصورة مبتكرة جديدة، وأبدعت في إسقاطها على الشعر المعاصر، وكنت أتمنى أن تتطور تلك المحاولات، أو يقتنص الفكرة بعض علماء اللغة من بلاغيين ونقاد؛ فيضيفوا إليها، ويجددوا، ولكن الفكرة ظلت قابعة في كتاب الناقدة ولم تتعداه .

وأخيرا نستطيع القول بأن ما توصل إليه علماء اللغة اليوم مثل: لوزاناف، وتشومسكي.. . وغيرهم من نظريات علمية، وأساليب حديثة ومستجدات في تعليم اللغات تفرض علينا مراجعة كل مفاهيمنا وأساليبنا في تدريس اللغة، والاستفادة من هذه المعطيات، والنظريات التطبيقية في مجال اللغة العربية، ولا شك أن لغتنا قادرة بما تتمتع به من مرونة، وبما تزخر به من ميزات، وقدرات هائلة، لا توجد في غيرها من اللغات العالمية الأخرى؛ كالاشتقاق والنحت، والتعريب... على استيعاب تلك النظريات، والعلوم المختلفة، ويكفي دليلا على ذلك أن الحاسب الآلي قد قبل اللغة العربية بعد ثلاث محاولات، في حين لم يقبل اللغة الإنجليزية إلا بعد ست وعشرين محاولة !!(أبو جبين، ٢٠٠٧:)

الدراسات السابقة :

بالرجوع إلى الأدب التربوي نجد أن الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع نادرة جدا بالرغم من أهمية الموضوع، وعلى العكس من ذلك نجد دراسات كثيرة تتعلق بالقراءة والضعف القرائي وغيرها الكثير وطرق التدريس في حدود معرفتنا وعلمنا ومن خلال مراجعتنا للأبحاث المنشورة والمسجلة في بعض الجامعات العربية، والمجلات العلمية المتخصصة والمحكمة والشبكة الدولية للمعلومات، ولعل السبب في ذلك أن كثيرا من الباحثين يحجم عن هذه الدراسة لاعتبارات عدة أهمها أن اللغة العربية هي اللغة الأم والأساسية في الوطن العربي، ويعتقدون بأنه ليس هناك معوقات لدراستها ويبحثون بجدية كبيرة في معوقات دراسة اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية وغيرها. . ومن جهة أخرى يتناول الباحثون هذا الموضوع بالبحث والدرس لغير الناطقين باللغة العربية وهذا مجال واسع ورحب، ولكنه لا يدخل ضمن نطاق بحثنا للبون الشاسع بين الدراستين ولا يمكننا اعتبار دراسة تبحث في معوقات تدريس اللغة العربية للطلبة الأجانب بأنها دراسة سابقة لهذه الدراسة لاختلاف معطياتها بشكل واضح فلا يمكن مناقشة نتائج مثل تلك الدراسات مع هذه الدراسة، وعلى الرغم من ذلك فقد استفادت هذه الدراسة من منهجية بعض الدراسات في المجالات الأخرى كالتربية الإسلامية والدراسات الاجتماعية ولكن بقدر محدود جدا، مما يحد كثيرا من استخدام نتائج هذه الدراسات للمقارنة أو مناقشة نتائجها مع نتائج دراستنا الحالية.

ولعل الدراسة التي قام بها الباحثان (٢٠١٣) وهي بعنوان (معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص في جامعة الخليل لطلبة السنة الثانية والثالثة والرابعة) تعد من أقرب الدراسات في هذا المجال مع الاختلاف الكبير بينهما في مجالات كثيرة ستتضح في أثناء عرضنا للدراسة: فقد هدفت هذه الدراسة إلى تعرف معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص في جامعة الخليل لطلبة السنة الثانية والثالثة والرابعة. وبالتحديد حاولت الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما أهم معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص من فئة البكالوريوس ؟

وتفرعت منه أسئلة الدراسة الست.

أما فرضيات الدراسة فتكونت من ست فرضيات نجملها كالآتي: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α = ٠.٠٥) بين معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص وبين متغيرات الدراسة: العمر، والجنس، ومكان السكن، ومستوى السنة الدراسية، ومعرفة الطالب باللغة الانجليزية، ومعدله في الثانوية.

استخدم الباحثان المنهج الوصفي، وطورا استبانة لجمع البيانات، وتم التحقق من صدقها وثباتها بالطرق التربوية والإحصائية المناسبة، حيث بلغت قيمة معامل الثبات كرونباخ الفا(. 732,) وهذا المعامل يعد مقبولا في مثل هذه الأبحاث وتكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة تخصص اللغة العربية في جامعة الخليل(مستوى سنة ثانية و ثالثة ورابعة) والبالغ عددهم (٦٨) طالبا وطالبة وهم عينة الدراسة. وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

تأتي المعوقات المتعلقة بالمجتمع في المقام الأول حيث بلغت النسبة الكلية للمتوسطات (٢. ٤٤) . يليها المعوقات المتعلقة بعضو هيئة التدريس، وطرق التدريس بنسبة متساوية (٢. ٢١). ثم الأنظمة والتعليمات (٢. ١٧) ثم المساق المقرر (٢. ١٥)، وأدناها المعوقات المتعلقة بالطالب (٢. ٠٣). أما فيما يتعلق بالنتائج المتعلقة بفرضيات الدراسة فقد أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α = ٠. ٠٥) بين معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص وبين متغيرات الدراسة: العمر، والجنس، ومكان السكن، ومستوى السنة الدراسية، ومعرفة الطالب باللغة الانجليزية، ومعدله في الثانوية. وبناء على تلك النتائج خرجت الدراسة بتوصيات ومقترحات لعلها تسهم **في حل هذه الإشكالية.**

وهناك دراسة بعنوان (واقع اللغة العربية في الجزائر، الطور الإكمالي والثانوي (ملف خاص بتعليمية اللغة العربية في المرحلة الثانوية، دراسة ميدانية ، ٢٠١٢) للباحث جعفر يايوش وقد تم إجراء الدراسة على عينة عشوائية من طلبة الجزائر العاصمة حيث تكونت العينة من ٤٥٨ طالبا في مدرستين، كما تم استخدام استبانتين إحداهما للطلبة والأخرى للمعلمين، وأظهرت نتائج الدراسة أن نسبة ٨٣،٣٣ ٪ من المعلمين ترى أهمية الاستعدادات النفسية لمعلم اللغة العربية، كالثقة بالنفس والثقة بالقدرات... ، وتليها الاستعدادات الثقافية بنسبة ٥٠٪ ثم الاستعدادات الاجتماعية ٣٣٪.

وفيما يخص طرق التدريس فيرى ٦٦٪ من المعلمين أن الطرق الحديثة أفضل من الطرق القديمة كالطريقة الحوارية وغيرها، وأن نسبة ٧٥٪ تدعو إلى تغيير المنهج ونسبة ٥٨،٣٣٪ ترفض استعمال العامية في التدريس، ونسبة ٥٨،٦٦٪ ترى ضرورة الكتابة باستعمال الحركات الإعرابية. وأن عدم الكتابة باستعمال الحركات يعرقل سير الدرس وبخاصة عند احتمال حدوث التباس في مقاصد النص المقروء. ومن خلال الإجابة عن موضوعات الإعداد الجامعي للمعلمين ومدى مساهمتها في علاقة التكوين الجامعي بالمتطلبات التربوية يرى ٥٨،٣٣ من المعلمين أن موضوعات الجامعة كانت ذات فائدة لهم.

وهناك دراسة بعنوان: (اللغة العربية في منهاج المرحلة الثانوية في الجزائر (٢٠١٢). للباحث أحمد بلقاسم جعفري أظهرت نتائجها أن من أهم معوقات تدريس اللغة العربية ازدحام الغرف الصفية، وغياب الجانب التطبيقي، وقلة مهارة المعلم في تطبيق طرق التدريس.

ونذكر هنا فقط بعض أسماء الدراسات التي تم الاطلاع عليها للاستفادة من منهجيتها وإجراءاتها. . . عند التطرق إلى مثل هذا البحث، ومن أهمها في هذا المجال:

- **دراسة بعنوان معوقات تدريس مواد التربية الإسلامية بالمرحلة** الثانوية من وجهة نظر مشرفيها ومعلميها بمكة المكرمة، لابن عفيف، صالح بن أحمد (٢٠١٠)، وهذه الدراسة تتفق مع دراستنا في منهجية البحث مع الاختلاف في مجالات المعوقات.

- **دراسة بعنوان معوقات إبداع معلمة اللغة الانجليزية بالمرحلة الثانوية في** تدريس المادة من وجهة نظر المشرفات ومعلمات اللغة الانجليزية بمكة المكرمة الحربي، شيرين بنت غازي سليمان (٢٠٠٨)،

- **دراسة بعنوان: معوقات استخدام الطرق الحديثة لتدريس** مواد الدراسات الاجتماعية بمرحلة التعليم الأساسي في الأردن، للرواضية، صالح محمد (٢٠٠٣)،

- **دراسة بعنوان معوقات تدريس المواد الاجتماعية بالمرحلة** الابتدائية بمدينتي جدة ومكة كما يراها المعلمون، للسلمي، علي محمد (١٩٩٣)،

- **دراسة بعنوان معوقات التفكير الإبداعي في مادة الدراسات** الاجتماعية في سلطنة عمان، للمفرجي، خليفة علي (٢٠٠١).

- **دراسة بعنوان: واقع تدريس مقرر الجغرافيا** للصف الثالث المتوسط ومعوقاته بمدارس البنات بمكة المكرمة،- لمكي، (٢٠٠٨)،

التعليق على الدراسات السابقة:

لا شك أن الدراسات السابقة في هذا المجال نادرة جدا، مما يؤطر لهذه الدراسة ويميزها عن غيرها من الدراسات السابقة، وقد بينا رأينا في ذلك في أثناء عرضنا لمقدمة هذه الدراسات، ولعل من الأسباب الكامنة وراء ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى أن اللغة العربية في مجتمعنا هي اللغة الأم، (على الرغم من طغيان اللغة الإنجليزية في المشرق العربي، واللغة الفرنسية في المغرب العربي)، ولكن هذا لا يمنع من اتخاذ جميع السبل لتطويرها وتطوير أساليب دراستها والبحث في مشكلاتها وعوائق تدريسها، ولا يحق لنا أن نغفل هذا الجانب ونركن إلى ماضي لغتنا المشرق على الرغم من خسارتها الكبيرة في هذا العصر؛ من حيث تراجعها في جميع المجالات (التأليف، الانتشار، وجودها على الشبكة الدولية، الاختراعات، الأبحاث. . . .)، ومزاحمة اللغات الأخرى لها مما يجعلها تتنحى عن الجانب الريادي الذي حققته على مر العصور، ومن ناحية أخرى وعلى الرغم من قلة هذه الدراسات نجد أنها لا تتلمس الجوانب والمستجدات التربوية الحديثة التي غزت العالم اليوم، ونرى بأنها بقيت تركز كثيرا على تطوير الجوانب التقليدية في التدريس، ولم تتطرق بجدية إلى إدخال برامج لغوية محددة ومدروسة أو إدخال مهارات جديدة في التدريس ولم تأخذ في الاعتبار الكفايات الكلية

لإتقان هذه المهارة في الاعتبار؛ فاللغة اليوم تختلف جذريا عن السابق: فهناك مهارات الاتصال، وحالة المتلقي، واستخدام الحاسوب للتواصل بمهارة، والسرعة في القراءة مع الفهم. . . . . ، وكلها كفايات فرعية تصب في خانة الكفاية الرئيسية للغة، فلم تعد اللغة اليوم مقصورة على القراءة والكتابة، والسماع، والحديث. . . بل أصبحت بالمفهوم المعاصر أوسع من ذلك بكثيروتتطلب مهارات عدة لإتقانها والتعامل يها على جميع المستويات. إن الولوج إلى هذا الميدان يتطلب النظر من زوايا مختلفة ومن جوانب كثيرة ولا زلنا نرى نمطية أبحاثنا الجامعية في هذا المجال والتقليد الذي لا زلنا نتمسك به في دراساتنا وأبحاثنا، مما يدعونا إلى التجديد والنظر بروح العصر حتى نستطيع مسايرته والولوج فيه وسبر أغواره بقوة، ولا شك أن اللغة هي منفذنا الوحيد لذلك.

المعالجة الإحصائية:

- بعد جمع بيانات الدراسة، قام الباحث بمراجعة الاستبانة وتمهيدا لإدخالها للحاسوب، وقد تم إدخالها للحاسوب بإعطائها أرقاما معينة، أي بتحويل الإجابات اللفظية إلى رقمية، حيث أعطيت الإجابة عالية (٣) درجات، متوسطة درجتان، ومنخفضة درجة واحدة، بحيث كلما زادت معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية كما يراها معلموها قلت الدرجة والعكس صحيح. وقد تمت المعالجة الإحصائية اللازمة للبيانات، باستخراج الأعداد، النسب المئوية، المتوسطات الحسابية، الانحرافات المعيارية. وقد تمت الإجابة عن أسئلة الدراسة، عن طريق الاختبارات الإحصائية التالية: اختبار ت(t- test)، تحليل التباين الأحادي (ANOVA)، معامل الارتباط بيرسون (pearson correlation)، ومعامل الثبات كرونباخ ألفا (cronbach alpha)، وذلك باستخدام برنامج الرزم الإحصائية SPSS. وتم تفسير المتوسطات الحسابية لمعوقات تدريس حسب المقياس الوزني الآتي: ١ – ١. ٦٦: درجة منخفضة ١. ٦٧ – ٢. ٣٢: درجة متوسطة، ٢. ٣٣ – ٣ : درجة عالية أولا: المعوقات المتعلقة بالطالب

نتائج الدراسة:

للإجابة عن سؤال الدراسة الأول، استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية كما يراها معلموها في مديرية شمال الخليل حسب المجال الأول (المعوقات المتعلقة بالطالب)، في فقرات الدراسة مرتبة حسب الأهمية، وذلك كما هو واضح في الجداول رقم (٢).

جدول رقم (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية كما يراها معلموها في مديرية شمال الخليل في فقرات الدراسة بالنسبة للمعوقات المتعلقة بالطالب.

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
.١	اكتظاظ الصفوف بالطلبة وتأثير ذلك سلبا على تعلمهم	2. 57	588 .
.٢	اعتبار الحصول على العلامات هدفا قائما بذاته مما يدفع الطلبة إلى حفظ المعلومات ضمانا للنجاح دون الحاجة للبحث والاطلاع	2. 51	606 .
.٣	تدني دافعية بعض الطلبة للتعلم وعدم اهتمامهم بالتحضير المسبق للحصة	2. 50	592 .
.٤	التأثير السلبي لنوع التربية الأسرية للطالب على تعلمه-وجود نزاعات بين أفراد الأسرة	2. 42	587 .
.٥	ضعف المستوى العام للطلبة في فهم مادة اللغة العربية	2. 26	570 .
.٦	نظام الحوافز والعقوبات التي تساهم في تحقيق النظام والانضباط الصفي	2. 20	673 .
.٧	ضعف قدرة الطلبة على الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالنشاط العملي والبيانات والنتائج التي يتم الحصول عليها شفويا وكتابيا	2. 15	544 .
.٨	ضعف إمكانية الطلبة على تنفيذ مهارات عملية تتناسب والهدف العام للنشاط	2. 15	582 .

٩.	إتاحة الظروف المناسبة-إمكانات مادية ومعنوية لإتاحة الفرصة لممارسة عملية الاستقصاء	2. 06	591.
١٠.	ضعف معرفة الطلبة بالأهداف التعليمية التي عليهم تحقيقها	2. 01	580.
	الدرجة الكلية	2. 2829	. 25048

يوضح لنا الجدول رقم (٢) أهم الفقرات التي حصلت على درجة عالية في معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية كما يراها معلموها في مديرية شمال الخليل حسب المجال الأول (المعوقات المتعلقة بالطالب)، حيث جاء في مقدمتها: اكتظاظ الصفوف بالطلبة بمتوسط حسابي (2. 57)، يليها اعتبار الحصول على العلامات هدفا قائما بذاته بمتوسط حسابي (٢،٥١). يليها تدني الدافعية بمتوسط حسابي (٢،٥٠) ثم التأثير السلبي لنوع التربية الأسرية بمتوسط (٢،٤٦). أما بقية الفقرات فكما يظهر من خلال الجدول السابق فقد حصلت على درجات منخفضة ومتوسطة. وهذه النتائج تتفق مع نتائج دراسة الجعفري (٢٠١٢) التي أظهرت أن من أهم المعوقات ازدحام الغرف الصفية، ونتائج كثير من الدراسات السابقة وتكاد تكون قاسما مشتركا في معوقات تدريس هذه المادة بل في كل المواد الدراسية، وقد كثرت شكاوى المعلمين من هذه المشكلة المؤرقة مما يهيب بالمسئولين البحث العاجل لها إن أرادوا إصلاحا حقيقيا في هذا المجال

للإجابة عن سؤال الدراسة الثاني، استخرجت الأعداد، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو حسب المجال الثاني(المعوقات المتعلقة بالمعلم)، في فقرات الدراسة مرتبة حسب الأهمية، وذلك كما هو واضح في الجداول رقم (٣).

جدول رقم (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية بالنسبة للمجال الثاني (المعوقات المتعلقة بالمعلم).

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري

١.	كثرة أعباء المعلم وتعدد المباحث التي يدرسها	2. 57	588 .
٢.	التزام المعلم بضرورة وإنهاء المقرر في الوقت المحدد	2. 51	606 .
٣.	تشجيع اهتمام المعلم بالاستذكار الجيد وتنظيم الوقت	2. 50	592 .
٤.	التركيز على النواحي العقلية أكثر من النواحي الأخرى	2. 42	587 .
٥.	نظرة البغض إلى المتعلمين وحشو أدمغتهم بالمعلومات	2. 26	570 .
٦.	تفعيل نظام الحوافز والعقوبات لزيادة اهتمامه بالبحث والإطلاع	2. 20	673 .
٧.	المبادرة بعمل مسابقات علمية مرتبطة بمحتوى المادة	2. 15	544 .
٨.	التركيز على المادة النظرية دون الاهتمام بتطبيقاتها العملية	2. 15	582 .
٩.	استخدام معيار واحد لتقييم الطلبة- الامتحانات	2. 06	591.
10 .	ضعف التنسيق بين معلمي العلوم لتبادل المعلومات	2. 01	580 .
	الدرجة الكلية	2. 1553	. 28406

يوضح لنا الجدول رقم (٣) أهم الفقرات التي معوقات تدريس اللغة العربية بالنسبة للمجال الثاني(المعوقات المتعلقة بالمعلم)، حيث جاء في مقدمتها وبدرجة عالية: كثرة أعباء المعلم وتعدد المباحث التي يدرسها بمتوسط حسابي (2. 57)، والتزام المعلم بضرورة وإنهاء المقرر في الوقت المحدد بمتوسط

حسابي (2. 51)، وتشجيع اهتمام المعلم بالاستذكار الجيد وتنظيم الوقت بمتوسط حسابي (2. 42)، والتركيز على النواحي العقلية أكثر من النواحي الأخرى بمتوسط حسابي (2. 26)، ونظرة البعض إلى المتعلمين وحشو أدمغتهم بالمعلومات بمتوسط حسابي (2. 20)، أما بقية الفقرات فقد حازت على درجة متوسطة وهي: تفعيل نظام الحوافز والعقوبات لزيادة اهتمامه بالبحث والاطلاع بمتوسط حسابي (2. 15)، و المبادرة بعمل مسابقات علمية مرتبطة بمحتوى المادة والتركيز على المادة النظرية دون الاهتمام بتطبيقاتها العملية بمتوسط حسابي (2. 15)واستخدام معيار واحد لتقييم الطلبة-الامتحانات بمتوسط حسابي (2. 06)، وضعف التنسيق بين معلمي العلوم لتبادل المعلومات بمتوسط حسابي (2. 01).

للإجابة عن سؤال الدراسة الثالث، استخرجت الأعداد، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حسب المجال الثالث(المعوقات المتعلقة بالإدارة والإشراف التربوي)، في فقرات الدراسة مرتبة حسب الأهمية، وذلك كما هو واضح في الجداول رقم (٤).

جدول رقم (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية في فقرات الدراسة كما وردت مرتبة بحسب الأهمية بالنسبة للمجال الثالث (المعوقات المتعلقة بالإدارة والإشراف التربوي).

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١.	كثرة القوانين والتعليمات الرسمية التي تحد من حرية المعلم على الإبداع	2. 63	549.
٢.	الحكم على عمل المدرس من خلال نسبة نتائج الطلبة	2. 50	632.
٣.	تقييد معلمي اللغات من الشراء المباشر من الموازنة المدرسية	2. 24	682.
٤.	أساليب تقويم المعلم المستخدمة لا تراعي المرونة والأصالة في عمل المعلم	2. 22	566.

٥.	التعليمات المدرسية تحد من تنمية مهارة صنع القرار لدى الطلبة	2. 16	564 .
٦.	إهمال تقييم الجانب العملي والتركيز على ما يحفظه الطالب	2. 14	728 .
٧.	قلة اهتمام الجهات المختصة بإعداد المعلم وتدريبه أثناء الخدمة	2. 07	650 .
٨.	قلة تنويع وسائل تقويم الطلبة	1. 93	698 .
٩.	قلة تفعيل أنظمة الثواب والعقاب للطلبة بشكل يحفظ مكانة المعلم وهيبته	1. 93	781 .
١٠.	ضعف إعداد المعلم وتدريبه قبل الخدمة	1. 74	663 .
	الدرجة الكلية	2. 1772	. 34040

يوضح لنا الجدول رقم (٤) أهم الفقرات في معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية بالنسبة للاتجاهات نحو الاختبارات، حيث جاء في مقدمتها: كثرة القوانين والتعليمات الرسمية التي تحد من حرية المعلم على الإبداع بمتوسط حسابي (2. 63)، والحكم على عمل المدرس من خلال نسبة نتائج الطلبة بمتوسط حسابي (2. 50)، وتقييد معلمي اللغات من الشراء المباشر من الموازنة المدرسية بمتوسط حسابي (2. 24)، وأساليب تقويم المعلم المستخدمة لا تراعي المرونة والأصالة في عمل المعلم بمتوسط حسابي (2. 22)، والتعليمات المدرسية تحد من تنمية مهارة صنع القرار لدى الطلبة بمتوسط حسابي (2. 16)، و إهمال تقييم الجانب العملي والتركيز على ما يحفظه الطالب بمتوسط حسابي (2. 14)، وقلة اهتمام الجهات المختصة بإعداد المعلم وتدريبه أثناء الخدمة بمتوسط حسابي (2. 07)، و قلة تنويع وسائل تقويم الطلبة بمتوسط حسابي (1. 93)، وقلة تفعيل أنظمة الثواب والعقاب للطلبة بشكل يحفظ مكانة المعلم وهيبته بمتوسط حسابي (1. 93)، و ضعف إعداد المعلم وتدريبه قبل الخدمة بمتوسط حسابي (1. 74).

للإجابة عن سؤال الدراسة الرابع، استخرجت الأعداد، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية حسب المجال الثالث (المعوقات المتعلقة بالإدارة والإشراف التربوي)، في فقرات الدراسة مرتبة حسب الأهمية، وذلك كما هو واضح في الجداول رقم (٥).

جدول رقم (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية بالنسبة للمجال الرابع (المعوقات المتعلقة بالكتاب والمنهج) مرتبة بحسب الأهمية.

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١.	طول موضوعات الكتاب المقرر وعدم كفاية الوقت المتاح لتدريسها	2. 68	548.
٢.	اهتمام الكتاب بالمادة الدراسية يجعل إتقانها غاية في ذاتها	2. 21	631.
٣.	عدم وجود فلسفة واضحة من أهداف التربية وحاجات المجتمع	2. 20	649.
٤.	عرض موضوعات الكتاب بأسلوب مترابط ومتسلسل	2. 13	627.
٥.	مراعاة محتويات الكتاب على تنمية القوى الذهنية للدراسة	2. 10	633.
٦.	ندرة ربط موضوعات الكتاب بالحياة اليومية للطلبة	2. 07	655.
٧.	الاهتمام بطريقة تفكير الطلبة ومهاراتهم لمواكبة عملية التطور	2. 02	671.
٨.	قلة الأنشطة والأسئلة في الكتاب التي تساعد على تنمية التفكير لدى الطلبة	1. 89	655.
٩.	الاهتمام بتنمية النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية للطلبة	1. 89	704.

١٠.	تكييف محتوى المنهاج في ضوء حاجات المعلم وخصائصه	1. 87	701.
	الدرجة الكلية	2. 1057	. 28639

يوضح لنا الجدول رقم (٥) أهم الفقرات في معوقات تدريس اللغة العربية بالنسبة للاتجاهات نحو الاختبارات، حيث جاء في مقدمتها: طول موضوعات الكتاب المقرر وعدم كفاية الوقت المتاح لتدريسها بمتوسط حسابي (2. 68)، واهتمام الكتاب بالمادة الدراسية يجعل إتقانها غاية في ذاتها بمتوسط حسابي (2. 21)، وعدم وجود فلسفة واضحة من أهداف التربية وحاجات المجتمع بمتوسط حسابي (2. 20)، وعرض موضوعات الكتاب بأسلوب مترابط ومتسلسل بمتوسط حسابي (2. 13)، ومراعاة محتويات الكتاب على تنمية القوى الذهنية للدراسة بمتوسط حسابي (2. 10)،وندرة ربط موضوعات الكتاب بالحياة اليومية للطلبة بمتوسط حسابي (2. 07)، والاهتمام بطريقة تفكير الطلبة ومهاراتهم لمواكبة عملية التطور بمتوسط حسابي (2. 02)، وقلة الأنشطة والأسئلة في الكتاب التي تساعد على تنمية التفكير لدى الطلبة بمتوسط حسابي (1. 89)،و الاهتمام بتنمية النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية للطلبة بمتوسط حسابي (1. 89). وتكييف محتوى المنهاج في ضوء حاجات المعلم وخصائصه بمتوسط حسابي (1. 87).

للإجابة عن سؤال الدراسة الخامس، استخرجت الأعداد، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية حسب المجال الخامس (المعوقات المتعلقة بطرق التدريس)، مرتبة حسب الأهمية، وذلك كما هو واضح في الجداول رقم (٦).

جدول رقم (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية كما يراها معلموها في مديرية شمال الخليل في فقرات الدراسة كما وردت في المرتبة الأولى بالنسبة للمجال الخامس (المعوقات المتعلقة بطرق التدريس).

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري

١.	قلة اهتمام برامج التدريب بتدريب المعلمين على طرق التدريس المختلفة	2. 15	698.
٢.	ضعف خطة الجامعات في تأهيل المعلم على طرق التدريس	2. 14	657.
٣.	ضعف قدرة المعلم على استخدام التقنيات الحديثة في التدريس	1. 93	737.
٤.	ضعف اهتمام المعلم بمشاكل الطلبة-الفروق الفردية-	1. 74	734.
٥.	ضعف التسلسل في عرض المواد من العام إلى الخاص	1. 72	631.
٦.	قلة اهتمام المعلم بأهداف تدريس المواد	1. 72	719.
٧.	ضعف معرفة المعلم الطريقة المناسبة للتدريس من بين عدة بدائل	1. 70	689.
٨.	ضعف المعلم بالاستراتيجيات الضرورية للتعامل مع المفاهيم الحديثة	1. 69	642.
٩.	قلة اهتمام المعلم بنقل المهارة من الكتب إلى التطبيق العملي في الحياة اليومية	1. 67	686.
١٠.	يتبع المعلم طريقة تدريس واحدة مع الطلبة	1. 66	638.
	الدرجة الكلية	1. 8106	. 43340

يوضح لنا الجدول رقم (٦) أهم الفقرات في معوقات تدريس اللغة العربية بالنسبة للاتجاهات نحو الاختبارات، حيث جاء في مقدمتها: قلة اهتمام برامج التدريب بتدريب المعلمين على طرق التدريس المختلفة بمتوسط حسابي (2. 15)، وضعف خطة الجامعات في تأهيل المعلم على طرق التدريس بمتوسط

حسابي (2. 14)، وضعف قدرة المعلم على استخدام التقنيات الحديثة في التدريس بمتوسط حسابي (1. 93)، وضعف اهتمام المعلم بمشاكل الطلبة-الفروق الفردية-بمتوسط حسابي (1. 74)، وضعف التسلسل في عرض المواد من العام إلى الخاص بمتوسط حسابي (1. 72)، وقلة اهتمام المعلم بأهداف تدريس المواد بمتوسط حسابي (1. 72)، وضعف معرفة المعلم الطريقة المناسبة للتدريس من بين عدة بدائل بمتوسط حسابي (1. 70)، وضعف المعلم بالاستراتيجيات الضرورية للتعامل مع المفاهيم الحديثة بمتوسط حسابي (1. 69)، وقلة اهتمام المعلم بنقل المهارة من الكتب إلى التطبيق العملي في الحياة اليومية بمتوسط حسابي (1. 67)، و يتبع المعلم طريقة تدريس واحدة مع الطلبة بمتوسط حسابي (1. 66).

للإجابة عن سؤال الدراسة السادس، استخرجت الأعداد، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية حسب المجال السادس (المعوقات المتعلقة بالطلبة ذوي الإعاقة)، مرتبة حسب الأهمية، وذلك كما هو واضح في الجداول رقم (٧).

جدول رقم (٧)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية كما وردت بالنسبة للمجال السادس (المعوقات المتعلقة بالطلبة ذوي الإعاقة) مرتبة بحسب الأهمية.

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١.	قصور النظام التعليمي عن الاهتمام بالطالب ذي الإعاقة من حيث ميوله ومواهبه وقدراته	2. 53	657.
٢.	معاناة الطالب ذي الإعاقة من مواءمة التجهيزات والأدوات	2. 50	694.
٣.	مساندة الطالب ذي الإعاقة نفسيا وأكاديميا	2. 26	651.
٤.	النظرة للطالب ذي الإعاقة بأنه غير قادر على القيام بالأعمال المناطة به	2. 20	709.
٥.	تشجيع الطالب المعاق على التواصل مع أقرانه	2. 20	673.

٦.	إعطاء أهمية خاصة للأعمال التي يقوم بها الطالب ذي الإعاقة	2. 19	670.
٧.	العمل على دمج المعاق بالأنشطة العملية	2. 01	647.
٨.	تهيئة عناصر البيئة المادية المناسبة	1. 99	683.
٩.	تحفيز الطالب ذي الإعاقة على تقنيات الحاسوب	1. 92	685.
١٠.	تحضير برامج تقوية للطالب ذي الإعاقة	1. 87	735.
	الدرجة الكلية	2. 1659	. 31774

يوضح لنا الجدول رقم (٧) أهم الفقرات في معوقات تدريس اللغة العربية بالنسبة للاتجاهات نحو الاختبارات، حيث جاء في مقدمتها: قصور النظام التعليمي عن الاهتمام بالطالب ذي الإعاقة من حيث ميوله ومواهبه وقدراته بمتوسط حسابي (2. 53)، ومعاناة الطالب ذي الإعاقة من مواءمة التجهيزات والأدوات بمتوسط حسابي (2. 50)، مساندة الطالب ذي الإعاقة نفسيا وأكاديميا بمتوسط حسابي (2. 26)،والنظرة للطالب ذي الإعاقة بأنه غيرقادر على القيام بالأعمال المناطة به بمتوسط حسابي (2. 20)، وتشجيع الطالب المعاق على التواصل مع أقرانه بمتوسط حسابي(2. 20)،وإعطاء أهمية خاصة للأعمال التي يقوم بها الطالب ذي الإعاقة بمتوسط حسابي (2. 19)،والعمل على دمج المعاق بالأنشطة العملية بمتوسط حسابي (2. 01)، وتهيئة عناصر البيئة المادية المناسبة متوسط حسابي (1. 99)،وتحفيزالطالب ذي الإعاقة على تقنيات الحاسوب بمتوسط حسابي (1. 92)، وتحضير برامج تقوية للطالب ذي الإعاقة بمتوسط حسابي (1. 87).

للإجابة عن سؤال الدراسة السابع، استخرجت الأعداد، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية حسب المجال السابع (المعوقات المتعلقة بالمجتمع المحلي)، مرتبة حسب الأهمية، وذلك كما هو واضح في الجداول رقم (٨).

جدول رقم (٨)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية نحو معوقات تدريس اللغة العربية بالنسبة للمجال السابع (المعوقات المتعلقة بالمجتمع المحلي) مرتبة حسب الأهمية.

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١.	ضعف متابعة الأهل للواجبات البيتية	2. 59	613.
٢.	ضعف متابعة أولياء الأمور لأبنائهم في المواد العلمية	2. 58	627.
٣.	قلة اهتمام الأهل بمساعدة الطلبة على عمل الوسائل التعليمية	2. 43	588.
٤.	نظرة الأهل لمادة اللغة العربية أنها صعبة	2. 34	687.
٥.	ضعف تواصل المجتمع المحلي مع المدرسة	2. 32	728.
٦.	تخويف الأهل للطالب من مادة اللغة العربية	2. 26	688.
٧.	التأثير السلبي للأهل على الطلبة من خلال نظرتهم للمواد العلمية	2. 26	699.
٨.	اعتبار الأهل المواد العلمية غير مجدية في الحياة العملية	2. 07	650.
٩.	نفور الأهالي من تقبل المجتمع المحلي للتخصص في مواد اللغات	2. 05	625.
١٠.	ضعف علاقة المعلم مع المجتمع المحلي مما ينعكس على الأداء	1. 95	734.
	الدرجة الكلية	2. 2837	35882.

يوضح لنا الجدول رقم (٨) أهم الفقرات ف معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية كما يراها معلموها في مديرية شمال الخليل بالنسبة للاتجاهات نحو الاختبارات، حيث جاء في مقدمتها:

ضعف متابعة الأهل للواجبات البيتية بمتوسط حسابي (2. 59)، وضعف متابعة أولياء الأمور لأبنائهم في المواد العلمية بمتوسط حسابي (2. 58)، وقلة اهتمام الأهل بمساعدة الطلبة على عمل الوسائل التعليمية بمتوسط حسابي (2. 43)، ونظرة الأهل للمادة بأنها صعبة بمتوسط حسابي (2. 34)، وضعف تواصل المجتمع المحلي مع المدرسة بمتوسط حسابي (2. 32)، وتخويف الأهل للطالب بمتوسط حسابي (2. 26)، والتأثير السلبي للأهل على الطلبة من خلال نظرتهم للمادة بمتوسط حسابي (2. 26)، واعتبار الأهل لمادة اللغة العربية بأنها غير مجدية في الحياة العملية بمتوسط حسابي (2. 07)، نفور الأهالي من تقبل المجتمع المحلي مما ينعكس على الأداء بمتوسط حسابي (2. 05)، وضعف علاقة المعلم مع المجتمع المحلي مما ينعكس على الأداء بمتوسط حسابي (1. 95).

تحليل فرضيات الدراسة:

للتحقق من صحة الفرضيات تم استخدم اختبار ت (T- test) للفروق في درجة اتجاهات الطلاب نحو معوقات تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية كما يراها معلموها في مديرية شمال الخليل تعزى إلى متغير الجنس، العمر، أو سنوات الخبرة أو مستوى المدرسة، أو جنسها، أو المؤهل العلمي أو التخصص، أو الجامعة التي تخرج فيها، أو المادة التي يدرسها، أو الحالة الاجتماعية.

المقترحات والتوصيات: :

المقترحات:

١- توجيه طلبة الدراسات العليا لإجراء دراسات فيما يتعلق بمعوقات تدريس هذه اللغة.
٢- إجراء دراسات أخرى على معوقات تدريس اللغة العربية في المحفظات الأخرى، وفي العالم العربي.
٣- توجيه المعلمين وتشجيعهم على القيام بالبحوث الإجرائية لأهميتها في هذا المجال.

التوصيات:

١-توجيه اهتمام الطلبة المبدعين في الثانوية العامة لدراسة اللغة العربية، وتقديم التعزيز الملائم لهم من منح مجانية وتوظيف وعمل في الجامعة نفسها بعد استكمال دراساتهم العليا ومتابعتهم فعليا.

٢- إعادة النظر في مناهج اللغة العربية في المراحل جميعها، وتعيين مختصين لكل مرحلة من المراحل الدراسية لاختيار ما يلائمها .

٣-جعل اللغة العربية هي اللغة الأولى للتدريس في الجامعات العربية، لما لذلك من أهمية للتعلم بالقدوة، مع الاستعانة بالمصادر الأجنبية .

٤- إعادة النظر جديا في نصاب المعلم، والمناهج الدراسية، وطرق التدريس .

٦- توعية أولياء الأمور و المجتمع المحلي بأهمية اللغة القومية والوطنية والنضالية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك بث التوعية والندوات المخططة عند طلبة المدارس .

٧- تحفيز إبداعات الطلبة اللغوية في المجالات الأدبية المختلفة وبخاصة في وسائل لإعلام

٨-التجديد في طرق تدريس اللغة العربية والابتعاد عن الاختلافات المشتتة للطالب والاكتفاء بوجوه متفق عليها وبخاصة في النحو والصرف

المراجع العربية والأجنبية والمواقع :

١. ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط١، دار صادر، بيروت..

٢. - أبو جبين، عطا، جرادات، إدريس (٢٠١٣). **معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة جامعة الخليل.**

٣. أبو جبين، عطا محمد. (٢٠١١). **استراتيجيات ومهارات التفكير الإبداعي في اللغة العربية.** مكتبة الفلاح. الإمارات: العين.

٤. أبو جبين، عطا. (٢٠٠٧). **مهارات التفكير الإبداعي في اللغة العربية، مدى توافرها في كتب الصفوف الثلاثة الأولى ومدى تحققها لدى التلاميذ في فلسطين**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد الخامس: الرباط.

٥. أبو حسان، خالد أحمد صالح (١٩٩٨)، **معيقات استخدام الوسائل التعليمية التي تواجه مدرسي المدارس الحكومية في تعليم العلوم والاجتماعيات في مديرية شمال الخليل**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

٦. بن عفيف، صالح بن أحمد (٢٠١٠)،**معوقات تدريس مواد التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية**

٧. بوشوك، المصطفى بن عبد الله. (١٩٩٤م). **تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافاتها**. ط(٢). الرباط: أطلال العربية للطباعة والنشر.

٨. جعفري أحمد بلقاسم. (٢٠١٢). **اللغة العربية في منهاج المرحلة الثانوية بالجزائر**.

٩. الجامعة الإفريقية: أدرار. (أبحاث المؤتمر الدولي الأول لمجلس اللغة العربية: ٢٠١٢).

١٠. الحربي، شيرين بنت غازي سليمان (٢٠٠٨)، **معوقات إبداع معلمة اللغة الانجليزية بالمرحلة الثانوية في تدريس المادة من وجهة نظر المشرفات ومعلمات اللغة الانجليزية بمكة المكرمة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة

١١. خليفة، حسن جعفر (٢٠٠٣). **فصول في تدريس اللغة العربية**. ط (٢) الرياض: مكتبة الرشد.

١٢. الرواضية، صالح محمد (٢٠٠٣)، **معوقات استخدام الطرق الحديثة لتدريس مواد الدراسات الاجتماعية بمرحلة التعليم الأساسي في الأردن**، المجلة التربوية، جامعة الكويت، العدد. ٦٣

١٣. الزراد، فيصل محمد خير. (١٩٩٠م). **اللغة واضطرابات النطق والكلام**. السعودية: دار المريخ .

١٤. السرور، ناديا هايل. (٢٠٠٢م). **مقدمة في الإبداع**. الأردن، عمان: دار وائل للنشر .

١٥. السلمي، علي محمد (١٩٩٣)، **معوقات تدريس المواد الاجتماعية بالمرحلة الابتدائية بمدينتي جدة ومكة كما يراها المعلمون**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة a. المكرمة.

١٦. العالي، حصة يوسف. (٢٠٠٢) **إعداد المعلم أثناء الخدمة وتجربة مركز التأهيل التربوي**) الندوة التربوية الأولى: تجارب دول مجلس التعاون في إعداد المعلم: الدوحة: قطر

١٧. عبد المجيد، عواطف حسن علي. (٢٠١٢). **برامج إعداد معلم اللغة العربية تقنيا لمدرسة المستقبل.** المؤتمر الدولي الأول لمجلس للغة العربية. (٢٠١٣).

١٨. بن عفيف، صالح بن أحمد (٢٠١٠)، **معوقات تدريس مواد التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية من وجهة نظر مشرفيها ومعلميها بمكة المكرمة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١٩. عصيدة، مصطفى سليمان (١٩٩٦)، **معيقات استخدام الوسائل التعليمية في تدريس منهاج الاجتماعيات للمرحلة الأساسية في المدارس الحكومية في منطقة شمال الضفة الغربية من وجهة نظر معلمي هذه المرحلة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

٢٠. فارسي، فريدة محمد علي، (٢٠١٢) **إعداد المعلمين والمعلمات في مجال اللغة العربية.** السعودية: جدة

٢١. فضل، صلاح. (١٩٨٥م). ط(٣). **نظرية البنائية في النقد الأدبي**. دار الأفاق الجديدة: بيروت

٢٢. الكندري، عبد الله عبد الرحمن. (١٩٩٤). **تقويم كفايات معلمي اللغة العربية بمدرسة الكويت الإنجليزية.** المجلة التربوية، العدد ٩٣، مجلد ٩. ١٩٩٤.

٢٣. المفرجي، خليفة علي (٢٠٠١)، **معوقات التفكير الإبداعي في مادة الدراسات الاجتماعية في سلطنة عمان**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط، عمان.

٢٤. مكي، وداد بنت عبد الجواد (٢٠٠٨)، **واقع تدريس مقرر الجغرافيا للصف الثالث المتوسط ومعوقاته بمدارس البنات بمكة المكرمة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٢٥. الموسى نهاد. (٢٠٠٧). **اللغة العربية في العصر الحديث؛ قيم الثبوت وقوى التحول**. دار الشروق، الأردن

٢٦. يايوش، جعفر. (٢٠١٢). **واقع اللغة العربية في الجزائر** (ملف خاص بتعليمية اللغة العربية في المرحلة الثانوية) دراسة ميدانية. أبحاث المؤتمر الأول للمجلس الدولي للغة العربية (٢٠١٢).

27. *Freeman, J. (1995). *Conflicts in Creativity*. European Journal of High Ability, 6, 188–200.

28. *Gardener, H. (1983). *Frames of Mind*, New York: Basic Books Ch 2

29. *Merritt, J. (1972) The Reading Curriculum, London University of London.

30. http://www.edu.gov.sa/papers/?action=showPapers&id=1179*

31. http:/www.voice of Arabic.ne*

الملاحق

معوقات تدريس اللغة العربية كما يراها معلموها

حضرة المعلم/ة المحترم/ة

يقوم الباحثون بإعداد دراسة حول معوقات تدريس اللغة العربية كما يراها معلموها

وذلك لإجراء دراسة أكاديمية. ستجد مجموعة من المحاور، وعلى كل محور مجموعة من الأسئلة، لكل سؤال عدة بدائل، راجيا أن تختار البديل الأفضل بوضع إشارة + حول البديل المناسب.

*الجنس ذكر أنثى

*العمر ٢١ -٢٤ سنة ٢٥ -٢٩ سنة ٣٠-٣٩ سنة ٤٠-٤٩ سنة ٥٠ سنة وما فوق

*سنوات الخدمة من ١-٥سنوات ٦-١٠ سنة ١١-١٤ سنة ١٥ -٢٠ سنة و ٢١ سنة ما فوق

*مستوى المدرسة: أساسية عليا ثانوية

*جنس المدرسة: بنين بنات مختلطة

*المؤهل العلمي: دبلوم بكالوريوس ماجستير وما فوق

*التخصص اللغة العربية اللغة الانجليزية

نصاب المعلم التدريسي

الجامعة التي تخرجت منها:.....

لغة الدراسة:.....

*الحالة الاجتماعية: متزوج أعزب أرمل مطلق

أولا: المعوقات المتعلقة بالطالب:-

الرقم	الفقرة	عالية	متوسطة	منخفضة
١.	اكتظاظ الصفوف بالطلبة وتأثير ذلك سلبا على تعلمهم			
٢.	التأثير السلبي لنوع التربية الأسرية للطالب على تعلمه-وجود نزاعات بين أفراد الأسرة-.			
٣.	ضعف المستوى العام للطلبة في فهم مواد اللغات.			

			اعتبار التحصيل الدراسي هدفا قائما بذاته مما يدفع الطلبة إلى حفظ المعلومات ضمانا للنجاح دون الحاجة للبحث والاطلاع	٤.
			تفعيل نظام الحوافز والعقوبات التي تساهم في تحقيق النظام والانضباط الصفي.	٥.
			تدني دافعية بعض الطلبة للتعلم وعدم اهتمامهم بالتحضير المسبق للحصة	٦.
			إتاحة الظروف المناسبة-إمكانات مادية ومعنوية لإتاحة الفرصة لممارسة عملية الاستقصاء.	٧.
			تدني معرفة الطلبة بالأهداف التعليمية التي عليهم تحقيقها.	٨.
			ضعف إمكانية الطلبة على تنفيذ مهارات عملية تتناسب والهدف العام للنشاط	٩.
			ضعف قدرة الطلبة على الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالنشاط العملي والبيانات والنتائج التي يتم الحصول عليها شفويا وكتابيا	١٠.

ثانيا: المعوقات المتعلقة بالمعلم:-

منخفضة	متوسطة	عالية	الفقرة	الرقم

١١	المغالاة في طرح الأسئلة كثرة أعباء المعلم وتعدد المباحث التي يدرسها			
١٢	التركيز على النواحي العقلية أكثر من النواحي الأخرى			
١٣	نظرة البعض إلى المتعلمين وحشو أدمغتهم بالمعلومات.			
١٤	ضعف التنسيق بين معلمي المباحث لتبادل المعلومات			
١٥	تفعيل نظام الحوافز والعقوبات لزيادة اهتمامه بالبحث والاطلاع			
١٦	التركيز على المادة النظرية دون الاهتمام بتطبيقاتها العملية.			
١٧	استخدام معيار واحد لتقييم الطلبة-الامتحانات-.			
١٨	تشجيع اهتمام المعلم بالاستذكار الجيد وتنظيم الوقت.			
١٩	التزام المعلم بضرورة إنهاء المقرر في الوقت المحدد.			
٢٠	المبادرة بعمل مسابقات علمية مرتبطة بمحتوى المادة.			

ثالثا: المعوقات المتعلقة بالإدارة والإشراف التربوي:-

منخفضة	متوسطة	عالية	الفقرة	الرقم
			كثرة القوانين والتعليمات الرسمية التي تحد من حرية المعلم على الإبداع	
			قلة تفعيل أنظمة الثواب والعقاب للطلبة بشكل يحفظ مكانة المعلم وهيبته.	
			التعليمات المدرسية تحد من تنمية مهارة صنع القرار لدى الطلبة	
			إهمال تقييم الجانب العملي والتركيز على ما يحفظه الطالب	
			الحكم على عمل المدرس من خلال نسبة نتائج الطلبة.	
			ضعف فاعلية وسائل تقويم الطلبة	
			ضعف إعداد المعلم وتدريبه قبل الخدمة.	
			أساليب تقويم المعلم المستخدمة لا تراعي المرونة والأصالة في عمل المعلم.	
			قلة اهتمام الجهات المختصة بإعداد المعلم وتدريبه أثناء الخدمة.	
			تقييد معلمي العلوم من الشراء المباشر من الموازنة المدرسية.	

رابعا: المعوقات المتعلقة بالكتاب المقرر والمنهج: -

الرقم	الفقرة	عالية	متوسطة	منخفضة
٢١	كثرة موضوعات كتب اللغة وعدم كفاية الوقت المتاح لتدريسها.			
٢٢	عرض موضوعات الكتاب بأسلوب مترابط ومتسلسل.			
٢٣	قلة الأنشطة والأسئلة في الكتاب التي تساعد على تنمية التفكير لدى الطلبة.			
٢٤	ندرة ربط موضوعات الكتاب بالحياة اليومية للطلبة.			
٢٥	مراعاة محتويات الكتاب على تنمية القوى الذهنية للدراسة.			
٢٦	عدم وجود فلسفة واضحة من أهداف التربية وحاجات المجتمع.			
٢٧	اهتمام الكتاب بالمادة الدراسية يجعل إتقانها غاية في ذاتها.			
٢٨	الاهتمام بطريقة تفكير الطلبة ومهاراتهم لمواكبة عملية التطور.			
٢٩	تكييف محتوى المنهاج في ضوء حاجات المعلم وخصائصه.			
٣٠	الاهتمام بتنمية النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية للطلبة.			

خامسا: المعوقات المتعلقة بطرق التدريس-:-

الرقم	الفقرة	عالية	متوسطة	منخفضة
	قلة اهتمام المعلم باختيار الطريقة المناسبة للتدريس من بين عدة بدائل.			
	ضعف قدرة المعلم على استخدام التقنيات الحديثة في التدريس.			
	قلة اهتمام برامج التدريب بتدريب المعلمين على طرق التدريس المختلفة.			
	ضعف خطة الجامعات في تأهيل المعلم على طرق التدريس			
	ندرة اهتمام المعلم بأهداف تدريس المواد			
	تكرار المعلم لطريقة التدريس التي اتبعها مع الطلبة في العام الماضي.			
	ضعف المعلم باستراتيجيات الضرورية للتعامل مع المفاهيم الحديثة.			
	ضعف التسلسل في عرض المواد من العام إلى الخاص			
	قلة اهتمام المعلم بنقل المهارة من الكتب إلى التطبيق العملي في الحياة اليومية.			
	ضعف اهتمام المعلم بمشاكل الطلبة.			

سادسا: المعوقات المتعلقة بالطلبة ذوي الاعاقة :-

الرقم	الفقرة	عالية	متوسطة	منخفضة
٣١	قصور النظام التعليمي عن الاهتمام بالطالب ذي الإعاقة من حيث ميوله ومواهبه وقدراته.			
٣٢	معاناة الطالب ذي الإعاقة من مواءمة التجهيزات والأدوات.			
٣٣	النظرة للطالب ذي الإعاقة بأنه سلبي وغير مبالي ومتلقي.			
٣٤	العمل على دمج المعاق بالأنشطة العملية.			
٣٥	تشجيع الطالب المعاق على التواصل مع أقرانه.			
٣٦	تهيئة عناصر البيئة المادية المناسبة.			
٣٧	تحضير برامج تقوية للطالب ذي الإعاقة.			
٣٨	تحفيز الطالب ذي الإعاقة على تقنيات الحاسوب.			
٣٩	إعطاء أهمية خاصة للأعمال التي يقوم بها الطالب ذي الإعاقة.			
٤٠	دعم ومساندة الطالب ذي الإعاقة نفسيا وأكاديميا.			

ثامنا: المعوقات المتعلقة بالمجتمع المحلي :-

الرقم	الفقرة	عالية	متوسطة	منخفضة
	نظرة الأهل للمواد العلمية أنها صعبة			
	تخويف الأهل للطالب من المواد العلمية			

			ضعف متابعة أولياء الأمور لأبنائهم في المواد العلمية.	
			ضعف متابعة الأهل للواجبات البيتية	
			قلة اهتمام الآهل بمساعدة الطلبة على عمل الوسائل التعليمية	
			التأثير السلبي للأهل على الطلبة من خلال نظرتهم للمواد العلمية.	
			اعتبار الأهل المواد العلمية غير مجدية في الحياة العملية.	
			تخوف الاهالي من تقبل المجتمع المحلي للتخصص في المواد العلمية	
			سوء علاقة المعلم مع المجتمع المحلي مما ينعكس على الأداء	
			ضعف علاقة المعلم مع المجتمع المحلي مما ينعكس على الأداء	

شاكرين لكم حسن تعاونكم

تم تحكيم الاستبانة بعرضها على مشرفي اللغة العربية في مديرية تربية شمال الخليل

اللغة العربية والتعريب والترجمة

(Arabic language, Arabization and translation)

دعاء نعيم عبد منخي الكناني

العراق- مديرية تربية محافظة ميسان

Duaa Naeem Abd Mnkhee AL-Kanani

IRAQ/ Maysan Governorate Education Directorate

Duaanaeemabda@gmail.com

https://orcid.org 0009-0004-7013-7691

اللغة العربية والتعريب والترجمة - دعاء نعيم عبد منخي الكناني

(Arabic language, Arabization and translation)

ملخص البحث:

رغم كثرة الدراسات اللغوية والأدبية حول لغتنا العربية الفصيحة ألا أننا لم ننته إلى معرفة اللغة العربية، كما لم تمكننا هذه الدراسات من الإحاطة بلغة عريقة تجاوز عمرها آلاف السنين، وما نقدمه اليوم من بحوث لغوية تحوي على جزء يسيرمن المفاهيم التي يحتاج القارئ إلى معرفتها عن لغته العربية، فجاء بحثنا الموسوم بـ(اللغة العربية والتعريب والترجمة) ضمن لائحة الدراسات اللغوية في علم اللغة العربية، واتبعنا في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لتتبع أثر اللفظ المعرب والدخيل على اللغة العربية، والوقوف على مشكلة ذكر اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم، وما أثارته هذه القضية من خلاف كبيربين علمائنا قديما، ثم انتقلت إلى إيضاح الفرق بين التعريب والترجمة، وأيهما أفضل لمواجهة الألفاظ الأجنبية التي شاعت بكثرة في عصرنا الحاضر.

الكلمات المفتاحيّة: التعريب، نشأته، أثره على اللغة، الترجمة، مشكلاتها، الترجمة والتعليم.

Abstract:

Despite the many linguistic and literary studies on our classical Arabic language, we have not achieved knowledge of the Arabic language, nor have these studies enabled us to comprehend an ancient language that is more than thousands of years old. The linguistic research we present today contains only a small portion of the concepts that the reader needs to know about it. His Arabic language, so our research titled (Arabic language, Arabization, and translation) was included in the list of linguistic studies in Arabic linguistics, and in this research we followed the descriptive and analytical method, to trace the impact of the Arabized and foreign pronunciation on the Arabic language, and to find out the problem of mentioning the non-Arabic pronunciation in the Holy Qur'an. The great disagreement this issue raised among our scholars in the past, then I moved on to clarify the difference between Arabization and translation, and which of them is better for confronting the .

foreign words that have become widespread in our present era.

key words: Arabization, its origins, its impact on the language, translation ، its problems, translation and education.

مقدمة

الحمد لله الذي عرفني نفسه، وجعلني مسلما، وألهم ضمائرنا بالعلم والمعرفة، وجعل لنا لسانا يفصح عما يدور في أذهاننا، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد، وعلى آله الأطهار،

وبعد. .....

إن بحثنا الموسوم بـ(اللغة العربية والتعريب والترجمة) تناول جانبا مهما من الظواهر اللغوية التي ظهرت في علم اللغة منذ العصر الإسلامي إلى يومنا هذا، فقد شاعت ظاهرة التعريب في الدرس اللغوي العربي بعد انتقال العديد من المفردات الدخيلة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية, وهذا الخطر الذي أحاط بلغتنا، وهدد فصاحتها دفع طائفة كبيرة من علمائنا القدامى لتقييده ومنعه من الانتشار بكثرة بين صفوف المفردات العربية الفصيحة، كما دفعهم إلى توضيح الصفات البنائية والصوتية التي تدل على اللفظ الدخيل؛ لتنبيه الأجيال القادمة منه، والحذر من استعماله إلا عند الضرورة، والابتعاد عنه والاستعانة باللغة العربية الفصيحة في التعبير بدلا عن الألفاظ المعربة أو الدخيلة.

وقد قسمت هذا البحث على قسمين، تناولت في المبحث الأول مفهوم التعريب، وأوضحت الفرق بين مدلوله اللغوي والاصطلاحي، ثم ذكرت أسباب نشأة هذه الظاهرة، وما موقف العلماء منها قديما وحديثا، وذكرت أيضا شروط التعريب، والصفات التي تتوافر في اللفظ المعرب، وختمت هذا المبحث بالحديث عن التعريب وأثره على اللغة العربية في العصر الحديث.

أما المبحث الثاني، وهو بعنوان الترجمة، فبعد ذكر مفهوم الترجمة في اللغة والاصطلاح ذكرت أبرز الأسباب التي دعت إلى نشأة الترجمة، ثم أوضحت مشكلاتها وأثرها على علم اللغة، وما موقف البلدان الأوربية والعربية منها، وأخيرا ختمت هذا المبحث بالحديث عن أثر الترجمة في التعليم في عصرنا الحاضر. وجاء في نهاية هذا البحث أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال مسيرتنا في إعداد هذا البحث، ونسأل الله العلي العظيم التوفيق والسداد.

المبحث الأول
التـــعريب

أولًا: مفهوم التعريب:

التعريب لغة: لا يفرق علماء اللغة بين الإعراب والتعريب فهما بمعنى واحد، وهو الإبانة والوضوح، يقال: تعرب الأعجمي أي نطق بلغة واضحة فصيحة يفهمها العرب [١]، ولا يخرج الفيومي (ت٧٧٠هـ) عمن سبقه في إيضاح مفهوم التعريب إذ يقول: (عربته بالتثقيل بمعنى التبيين والإيضاح) [٢]، وما تقدم هو المفهوم المتفق عليه للتعريب في أغلب المعاجم.

التعريب اصطلاحا: وهو المعرب تسمية أطلقها علماء اللغة العربية على الألفاظ المقترضة من اللغات الأخرى بعد إضافة السمات العربية عليها [٣]، فكل لفظة أعجمية جرت على ألسنة العرب شعرا أو نثرا بعد إلحاقها ببناء الألفاظ العربية تسمى (لفظة معربة)، وهذه التسمية نلحظها بكثرة إلى جانب الألفاظ الأعجمية في المعجمات العربية والتفاسير القرآنية. وهناك مصطلح مصاحب للتعريب في جميع الكتب العربية وهو **الدخيل، ونعني به** : كل لفظة أعجمية استعملها العرب على هيأتها دون تغيير في بنائها. وقد كانت أكثر الألفاظ الدخيلة على العربية في العصر الجاهلية من اللغة الفارسية [٤]،ولم نلحظ أي شيء يذكر عن هذين اللفظين أو أحدهما في العصر الجاهلي، أو بداية العصر الإسلامي، فكان أول ظهور للفظة (المعرب) عند عالم اللغة المعروف الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) في كتابه (العين)، ثم كثر استعمالها في المعاجم التي ألفت بعد عصره، ولم يفرق العلماء قديما بين مفهومي المعرب أو الدخيل، فنجدهم يذكرون كلا اللفظين إلى جانب اللفظ الأعجمي دون التفريق بينهما، مثال هذا كلمة (الجوقة) أطلق عليها صاحب المخصص لفظة (دخيل)، لكن صاحب التاج سماها (معرب) [٥]، وبقي الحال هكذا حتى عصر الفيومي (ت ٧٧٠هـ) صاحب معجم (المصباح المنير) الذي أوضح الفرق بين المصطلحين، **فالمعرب** برأيه تسمية تطلق على الألفاظ التي دخلت إلى اللغة العربية وتلاعب بها العرب وألحقها بأوزانهم المعروفة في اللغة، أما **الدخيل** فهو: اللفظ الذي دخل إلى اللغة العربية وجرى على ألسنة العرب دون تغيير في بنائه، مثل كلمة (خاتون) وتعني المرأة الشريفة، وغيرها الكثير من الكلمات [٦].

وأكثر الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية في العصر الجاهلي كانت من اللغات الفارسية والسريانية واليونانية، ولكن في العصر الإسلامي كان أكثر الدخيل من التركية والفارسية، أما في عصرنا الحاضر فقد تأثرت العربية باللغات الأوربية وأكثرت الاقتراض منها [٧].

ثانيًا: نشأة التعريب وموقف العلماء منه:

لا نرى أن هناك أسباب ذات أهمية دعت إلى التعريب في اللغة العربية قديمًا؛ لأن لغتنا تمتلك من المفردات ما لا يمكن الإحاطة بعددها، وتمتلك من العلوم ما يمكنها من خلق المئات من الكلمات ومن هذه العلوم: الاشتقاق والزيادة والنقصان والتصريف وغيرها، علمًا أن العرب قديمًا كانوا في عزلة جغرافية عن المجتمعات المجاورة لاسيما بلاد فارس التي اقترضت منها العربية في العصر الإسلامي الكثير من المفردات[٨]، ويضاف إلى ما تقدم أن العرب هم أصحاب العلم والمعرفة والقرآن فما الأسباب التي تدفعهم إلى الاقتراض من اللغات الأخرى! ويعلل بعضهم أن سبب التعريب لبعض الألفاظ الفارسية وقع لإعجابهم باللفظ، وهذا سبب غير مقنع فعلماء العرب كانوا وما زالوا يفخرون بعروبتهم، ويدعون أن لغتهم العربية هي أفضل اللغات وأعلاها شأنا لا سيما بعد نزول القرآن الكريم بها الأمر الذي دفعهم إلى تقديس هذه اللغة، ويؤكد هذا القول موقف أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) الذي أنكر اقتراض العربية من اللغات الأخرى مدعيا أنه لو ورد لفظ متشابه بين اللغتين كالعربية والفارسية، فهذا لا يعني أن اللفظ فارسي واقترضته العربية، بل العكس الفارسية هي التي أخذت هذا اللفظ من العربية [٩]، والبعض الآخر يدعي أن الحاجة إلى التعريب ولدت للتعبير عن مسميات جديدة لم تكن موجودة في شبه الجزيرة العربية، مثل بعض أسماء الخمر كقولهم: (الإسفنط) وهو لفظ أعجمي نعني به: الخمر العتيق المزوج بماء زلال[١٠].

وقد كانت بدايات ظاهرة المعرب والدخيل في شعر العصر الجاهلي، فهذا الأعشى وهومن أشهر شعراء الجاهلية نجده قد أدخل في شعره بعض الألفاظ الأعجمية دون التلاعب بأوزانها، مثل قوله:

عليه (ديابوذ) تسربل تحته * (أرندج) إسكاف يخالط عظلما**

فكلمتي (ديابوذ، وأرندج) اقترضهما الشاعر من اللغة الفارسية، و(ديابوذ) تعني في اللغة العربية: ثوب ينسج على نيرين، أما الأرندج فتعني: جلد أسود. وعظلم لفظ عربي تعني عصارة بعض الشجر لونها أخضر[١١].

في العصر الإسلامي واجه علماء التفسير العديد من الصعوبات في فهم ألفاظ معينة وردت في القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم لم ينزل بلغة قريش خالصة، ومن هذه الألفاظ: اليم والطور وربانيون باللغة السريانية، والسراط والفردوس باللغة الرومية، ومشكاة وكفلين باللغة الحبشية [١٢]، ومقاليد وسجيل واستبرق باللغة الفارسية [١٣]، وقد شغلت هذه القضية علماء اللغة والتفسير قديمًا، فتضاربت آراؤهم حول وجود اللفظ الأعجمي في القران الكريم، **فانقسم العلماء على طائفتين هما:**

الطائفة الأولى: وشيخها أبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ)، وهومن أشد المنكرين لمجيء اللفظ الأعجمي في القران الكريم إذ يقول: (من زعم أن في القرآن لسان سوى العربية فقد أعظم على الله القول)[١٤]، ويزعم أن ما جاء في القرآن من ألفاظ أعجمية فهي ليست للعجم، وإنما ألفاظ من لغات أخرى دخلت على اللغة العربية، وجرت على ألسنتهم فعربتها بإلحاقها بأوزان لغتها فأصبحت عربية[١٥]،كما يرد على من آمن بوجود الأعجمي في التنزيل الحكيم بأن ما جاؤوا به من رأي فهو باطل لا صحة له؛ لأنه ينافي الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي صرحت بنزول القرآن بلسان عربي، كقوله تعالى: ((بلسان عربي مبين))[١٦]، و((إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))[١٧]، وهذا دليل قاطع بأن القرآن نزل باللغة العربية خالصة؛ لأنه معجزة إلهية تحدت المشركين من العرب إذ جاء بلغتهم ولم يتمكنوا من الإتيان بمثله[١٨]، وقد وافق الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، والطبري (ت ٣١٠ هـ) أبي عبيدة في رأيه منادين بفكرة توافق اللغات لا سيما أن رسم الحروف العربية يشبه إلى حد كبير الحروف الفارسية، فلا ضير أن يحدث التوافق بين لغتين وينطق كلاهما اللفظ نفسه[١٩]، ويؤكدان إنكارهما بدليل آخر هو أن اللغة العربية لغة واسعة وذات مفردات كثيرة لا يمكن الإحاطة بها والتمكن منها، فلا يحق لمن جهل أصل بعض المفردات أن ينسبها للأعجمية[٢٠].

الطائفة الأخرى : تزعم أن القرآن الكريم لم يخلِ من الألفاظ الأعجمية، وإن كان قد نزل على النبي العربي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووجود اللفظ الأعجمي لا يخرجه من كونه عربي لأن الألفاظ الأعجمية التي وردت فيه قليلة جدا، وأشهر القائلين بهذا الرأي ابن عباس (ت ٦٨ هـ)، فقد تطرق إلى الألفاظ الأعجمية الواردة في القرآن الكريم ونسبها إلى لغاتها، ومنها السريانية والرومية والحبشية والجورانية[٢١]. وتبعه السيوطي (ت ٩١١ هـ) في هذا الرأي لكنه لم ينسب الألفاظ إلى لغاتها واكتفى بقوله: أنها غير عربية الأصل[٢٢]. وأول من أطلق على هذه الظاهرة لفظ (التعريب) هو الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) في معجمه الصحاح[٢٣]، وهذا يعني أن جميع الجهود العلمية التي بذلت حول قضية (المعرب والدخيل) لم تشر إلى مصطلح (التعريب)، وركزت في بحثها على قولهم: أعجمي، ومعرب، ودخيل.

لم يتوقف البحث في هذه القضية التي كثرت الآراء فيها على الطائفتين السابقتين، فبرز أبو عبيدة القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) يحمل لواء طائفة ثالثة تنادي بالتوفيق بين الأمرين وحل النزاع بين الطائفتين إذ يرى أن الحروف أعجمية الأصل انتقلت إلى العربية، فنطقت بها وعربتها فصارت عربية، ويزعم أن رأي كلا الطائفتين صواب[٢٤]، ووافقه الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) مؤلف كتاب (المعرب) في هذا الرأي بقوله: (إن الألفاظ عربية؛ لأن العرب نطقت بها، ولكنها أعجمية الأصل)[٢٥].

الغريب في الأمر والذي يثير تساؤلات كثيرة أن العرب قديما عندما لاحظوا اللفظ الدخيل في الشعر الجاهلي لم يثر هذا ضجة كبرى في صفوفهم، ولكننا نرى علماء اللغة والتفسير في العصر الإسلامي مع نزول

القرآن الكريم أنكر بعضهم على القرآن الكريم؛ لاحتوائه على بعض الألفاظ الأعجمية [٢٦]، فكثرت أقوالهم وتضاربت آراؤهم في هذا الأمر. وما توصلنا إليه أخيرا أن البحث اللغوي أثبت وجود اللفظ المعرب والأعجمي في القرآن الكريم [٢٧].

ثالثًا: شروط تعريب اللفظ الأعجمي:

إن اللغة العربية رغم سعتها وكثرة مفرداتها ألا أنها اضطرت إلى اقتراض ألفاظ كثيرة من لغات أخرى، ولم يكن هذا الاقتراض تبع أهوائها بل فرض عليها؛ لأن العرب وهم الناطقون الأصليون باللغة العربية استعملوا بعض الألفاظ من اللغات الأخرى؛ لدلالة على أشياء دخلت إلى حياتهم من بيئة مختلفة، ولم يتوفر اللفظ المناسب لها في لغة العربية، فاضطرت اللغة إلى مجاراة أصحابها وإرضاء رغباتهم في التجديد، فكثف علماؤها الجهد والبحث لوضع قوانين صوتية وبنائية تحكم دخول اللفظ الغريب إليها، ولن تسمح هذه المقاييس بدخول كل الألفاظ إليها، فليس كل لفظ أعجمي تستقبله اللغة العربية وترحب به، بل تسمح بدخول الألفاظ إليها لسد نقص فيها، أو يعينها على عجزها، ومن هذه القوانين الخاصة بالتعريب:

أولا: الإبدال في حروف اللفظ الأعجمي: وينقسم هذا الإبدال على نوعين:

الأول: إبدال حرف مكان آخر: قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ): (اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة)[٢٨]، لا يشترط في الاقتراض بين لغتين أن تكون هاتان اللغتان متطابقتين في الحروف، فكثيرا ما تتوافر حروف في لغة لا وجود لها في اللغة الأخرى، فهذه الفارسية احتوت على حرف (ك)، لكن العربية افتقدت إلى مثل هذا الحرف، وربما يكون الحرف موجود في اللغتين ولكنه لم يجتمع بحرف آخر بهذا الشكل الذي توافر في اللفظ الدخيل، ولمعالجة هذا الأمر عمدوا في التعريب إلى إبدال الحروف القريبة من حروف لغتهم إلى آخر مشابه له في الرسم أو قريب في الصوت، وهذا يكفيهم لتعريب اللفظ دون إلحاقه بأوزانهم، وأمثلة هذه الألفاظ كثيرة منها: كرم ، وهو لفظ أعجمي من الفارسية معناه (الحر) عربوه بقولهم: (جرم) فأبدل الجيم مكان حرف الكاف ، ولا يعني هذا أن حرف الكاف غير موجود في لغتنا، لكن وجوده إلى جانب الراء الساكنة تفروا منه العرب؛ لثقله على لسانهم، فغيرته بحرف الجيم، وكذلك لفظة (سرد) الفارسي ومعناها (البرد) تعرب بإبدال السين بحرف الصاد فقالوا: (صرد) [٢٩].

الثاني: الإبدال في حروف الكلمة أو الزيادة أو النقصان: ومن هذه الألفاظ (سرط) اللاتينية التي تعربت إلى (صراط) اللفظ الذي ذكر في قوله تعالى: ((اهدنا الصراط المستقيم)) [٣٠]، ولكثرة اشتقاق هذا اللفظ في العربية لانشك بأنه أعجمي، لكنه حقا لفظ معرب من الأعجمية بإبدال السين إلى حرف (الصاد) وإضافة الألف بين الراء والطاء [٣١]. وقولهم: (أرندج) ويعني الجلد الأسود وهو معرب من الفارسية أصله (رنده) فأضيف على اللفظ همزة في أوله وقلبت الهاء إلى حرف الجيم [٣٢].

ثانيًا: إلحاقهم اللفظ الأعجمي بأوزان لغتهم العربية:

إذا صادف العرب ألفاظا أعجمية مشابهة للفظ العربي أدخلوها إلى معجماتهم وألحقوها بأوزانهم لتكون معربة، ولم يجتهدوا في تغيير شيء منها، مثل: (درهم) ألحقوه ببناء (هجرع)، و(بهرج)ألحقوه بـ(سلهب)[٣٣]، و(دينار) ألحقوه بـ(ديماس)، و(إسحاق) ألحقوه ببناء (إعصار)، و(يعقوب) ألحقوه بـ(يربوع)، و(جورب) بـ(فوعل)، وغيرها الكثير[٣٤].

وهناك ألفاظ بقيت على هيأتها الأعجمية، فلم يغيروا فيها، ولم يلحقوها بأوزانهم منها: خرسان، وخرم، وكركم، ويرى سيبويه أن هذه الألفاظ لم يغيروا فيها شيئا؛ لأن حروفها وبناءها جاء مشابها لحروفهم وبنائهم[٣٥]، لكن السيوطي (ت ٩١١هـ) يدعي أنهم ألحقوها بأبنيتهم، فلفظة (خراسان) على وزن (فعالان)، و(خرم) لحقت بلفظ (سلم)، وكذلك الأمر مع لفظة (كركم) التي لحقت ببناء (قمقم)[٣٦].

ومن الأسماء الأعجمية التي تفردت بها الفرس دون العرب، منها: الكوز، والإبريق، والطست، والخوان، والطبق، والقصعة، وغيرها[٣٧].

رابعًا: شروط معرفة اللفظ المعرّب:

لكل لغة أوزان صرفية وترتيب صوتي خاص بألفاظها، والعرب قديما لم يكن لها علم بهذه الأوزان الصرفية أو مقاييس النسيج الصوتي، بل تعتمد على دقة سمعها في تمييز ألفاظها العربية عن غيرها، وكأن هذه الأوزان والمقاييس قد طبعت في أذهانهم، فما بغضته من ألفاظ ليس لقاعدة ثابتة لديهم، وإنما آذانهم استغربته؛ لأنه لم يمر عليها سابقا[٣٨]، ومن هذه الشروط التي نتمكن من خلالها معرفة الدخيل والمعرب في اللغة العربية هي:

١- أن يخبرنا أحد علماء اللغة العربية بلفظة معينة، ثم يذكر إلى جانب اللفظ أنه أعجمي[٣٩].

٢- لو اجتمع حرف الجيم مع حرف القاف في كلمة واحدة مثل: (أجوق) وتعني: غليظ العنق، فهذا اللفظ أعجمي لاجتماع حرفي الجيم والقاف فيه، فحكم عليه بالأعجمية وكذلك لفظة (منجنيق) فهي أعجمية[٤٠].

٣- لا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية من ذلك قولهم: (الجصّ)، و(الصولجان)، وليس من أصول أبنية العربية أيضا أن يأتي حرف (النون) ثم تلحقه (الراء) مثل قولهم: (نرجس) و(نورج)،وكذلك (الدال) لا يأتي بعدها حرف (الزاي) مثل: (الهنداز)، و(المهندز)، وقد عربت إلى العربية بإبدال الزاي سينا، فقالوا: (المهندس)[٤١].

٤-لا يجتمع حرفين من الحروف الثلاثة الآتية: (الزاي، والذال، والسين) في كلمة إلا عدوها أعجمية، مثل لفظة: (ساذج)، فقد اجتمع في هذه اللفظة الحرفان (السين والذال).

٥- لا يأتي حرف (الطاء) مع حرف (الجيم) في كلمة عربية، فكلمة (طاجن) لفظة أعجمية لاجتماع الطاء والجيم فيها [٤٢].

٦- إن مجيء حرفي (الجيم والكاف) من صفات اللفظ الأعجمي لا العربي، مثل قولهم: (كذج) وتعني (المأوى).

٧- يحكم على اللفظ بأنه أعجمي إذا ورد فيه الحرفان (الخاء والعين)، قال أحمد بن فارس: (اعلم أن الخاء لا تكاد تأتلف مع العين إلا بدخيل)، مثل قولهم: (الخيعل) [٤٣].

٨-أن تأتي الكلمة خماسية أو رباعية وهي خالية من أحد الحروف الآتية: (ل، ر، ن، م، ف، ب) وتسمى هذه الحروف (بحروف الذلاقة) واستثنوا من هذا القياس كلمة (عسجد) فهي عربية [٤٤].

وهناك دليل آخر يرشدنا إلى أعجمية اللفظ الذي نريد معرفة أصوله وهو المنع من الصرف، وهذا الشرط النحوي اعتمده الكثير من العلماء في قولهم: (ماروت) لفظ أعجمي، والدليل منعه من الصرف، وهذا قول الصاغاني (ت ٦٥٠ هـ) الذي استدل على أعجمية اللفظة السابقة بمنعها من الصرف [٤٥].

خامسًا: التعريب في العصر الحديث وأثره على اللغة العربية:

إن الظروف السياسية والاقتصادية المتدهورة في العالم العربي، والاحتلال الذي عانت منه الشعوب العربية لسنوات طويلة دفعها إلى سبات عميق في جوانب الحياة جميعها، فأدى هذا إلى تأخرها في مختلف ميادين الحياة الحديثة، وبعدها كل البعد عن التطور والحضارة اللذان سطع نورهما في عصر النهضة الحديثة، ولم تكن اللغة بمنأى عن هذه الظروف العسيرة، فتأثرت بما تأثر به أصحابها، فنجدها قد عجزت عن مجاراة المصطلحات العلمية الحديثة التي تراكمت عليها بمرور الزمن، فالعربية قديما كان يرعاها فئة كبيرة من علماء اللغة الذين حافظوا عليها، وبذلوا جهودا كبيرة في مختلف ميادينها، فقيدوا الظواهر اللغوية البارزة بين القبائل العربية، ووضعوا المقاييس اللغوية العديدة للحفاظ على فصاحة اللسان العربي من اللحن الذي تفشى بها عند اختلاط العربية بأقوام أخرى، كما ألفوا المعجمات لجمع مفردات اللغة وحفظها من الضياع والاندثار، وإبعادهم الكثير من القبائل التي خالطة ألسنتهم العجم، والاستشهاد من القبائل العربية الأصيلة، وجمع مفردات اللغة منها، والتفريق بين الألفاظ الأصيلة والألفاظ المعربة والدخيلة.

لكن علماء اللغة في العصر الحديث واجهوا صعوبات كبيرة للحفاظ على لغتهم القومية الفصيحة، فنجدهم قد استعانوا بعلوم اللغة التي وضعها العلماء قديما منها (التعريب والاشتقاق والنحت) لمواجهة هذا العدد الذي لا يحصى من المفردات العلمية الحديثة، فتشتت جهودهم في الدفاع عن لغتهم، لضعف الرابط بين هؤلاء أدى إلى فشل العمل الفردي، حتى برزت مجامع اللغة العربية التي أخذت على عاتقها نصرة لغة القرآن، والحفاظ عليها من الاندثار فوحدت جهود علماء اللغة للنهوض بلغتهم، وأبرز هذه المجامع هو مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي تصدى للعديد من المصطلحات العلمية الدخيلة، وحاول إيجاد البديل لها في اللغة العربية عن طريق التعريب والاشتقاق من المعرب [٤٦]، لتمكين اللغة من اللحاق بركب الحضارة، وتذليل الصعوبات أمامها لتشارك في إظهار قدرتها على احتواء الاكتشافات العلمية والمجتمعية الحديثة، وتفعيل دورها لتكون لغة العلم والتدريس في المؤسسات العلمية اليوم، والاستغناء بها عن الألفاظ الحضارية الغريبة عن قواعدها ومقاييسها، فقد أخذت اللغات المعاصرة حيزا كبيرا من الاستعمال في حياتنا اليومية، فنافست العربية وحاربتها وحاولت ركنها جانبا، وكان وراء هذه الحرب اللغوية الكثير من علماء البحث اللغوي من خارج هذه الأمة وداخلها الحاقدين على موروثنا العربي، فسارعوا جاهدين للانتقاص من اللغة العربية والبحث عن أسباب مقنعة للتخلي عنها وحجتهم في هذا مواكبة حركة التطور التي يشهدها العالم اليوم ومدعين أن اللغة العربية الفصيحة هي لغة العرب القدامى وليس لغتنا اليوم [٤٧].

ونعني باللغة العربية الحديثة اليوم هي اللغة التي شاع استعمالها مع بداية ظهور عصر النهضة في العالم العربي، واستعملها الأدبيون والصحفيون في كتاباتهم العلمية والأدبية، لكن هذه اللغة وضعت العراقيل والصعوبات أمام من أراد الإلمام بها من العلماء أكبر من الصعوبات التي واجهت علماء اللغة قديما؛ لأن العرب قديما تمتعوا بعزلة جغرافية وقلة اختلاط بالعجم أمن لهم سلامة لغتهم، لكننا اليوم أمام تطورات تكنولوجية وعلمية ملحوظة وكبيرة، وكذلك توافر وسائل اتصال محلية وعالمية أدت إلى اختلاط العرب جميعهم صغيرهم وكبيرهم بأمم أخرى لا تتحدث اللغة العربية [٤٨]، ولم تكن المجامع العربية في غفلة عن هذه التحديات، فنجد القائمين عليها بذلوا جهودا ملحوظة في عقد الندوات والمؤتمرات وتنظيم اللجان العلمية واللغوية للعمل على تحديد المشكلات الخاصة باللغة الحديثة، وإيجاد الحلول المناسبة لها، **فانقسم أصحاب المجمع العربي على فريقين:**

الأول: يرى أن اللغة العربية الفصيحة هي أفضل اللغات، ويعيبها أن تعرب الألفاظ الأجنبية إليها، فهذا يرهقها، ويكثر اللفظ الغريب فيها، ويبعد أصحابها عن الاستعمال اللغوي الأصيل الخاص بالمفردات العربية، ودعا أصحاب هذا الرأي إلى ترك التعريب، وبذل جهود كبيرة لإيجاد المرادف المناسب للفظ الأجنبي في اللغة العربية، والاستعانة به للتصدي للدخيل والتقليل منه، وربما أصحاب هذا الرأي تغافلوا عن

الاقتراض الذي قامت به لغتنا العربية قديما من اللغات الأعجمية، فقد أدخلت الكثير من المفردات الأعجمية إلى معجماتها، فمنها ما عربته، ومنها ما تركته على حاله، وإن كانت العربية قد استعانت بالتعريب قديما فما الضرر من الاستعانة به اليوم .

الثاني: يرى أصحابه حق العربية في التوسع عن طريق التعريب والاشتقاق من المعرب، وكذلك ترك الألفاظ الأجنبية الدخيلة على حالها إن كانت متشابهة مع التركيب البنائي للغة العربية، فهم يرون أن لفظة (تلفون) الأجنبية، وتعني (الهاتف) يمكن استعمالها على هيئتها لأننا يمكن أن نشتق منها الفعل (تلفن) [٤٩].

وقد وافق المجمع العربي على طريقة (التعريب والاشتقاق منه) لمواجهة الألفاظ الأجنبية، وعد هذا العمل هو الحل الأمثل لهذه المشكلات التي تحدث اللغة في عصرنا الحديث مقتديا بمسار علماء اللغة العربية قديما، ولكن المجمع قيد التعريب ووضع له شروطا، وسمح به للضرورة فقط، وسبب هذا التقييد هو الخوف من كثرة الألفاظ المعربة، وكذلك الحرص على لغتهم العربية [٥٠].

المبحث الثاني
الترجمة

أولا: مفهوم الترجمة:

الترجمة لغة : الترجمان، والترجمان هو المفسر... يقال قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر [٥١].

الترجمة اصطلاحا: هي علم قائم بذاته نعني به نقل المعنى المفرد أو معنى النص من لغة إلى لغة أخرى لغرض الانتفاع منه، والتعرف على الثقافة والحضارة التي تمتع بها أصحاب اللغة المترجم عنها [٥٢]، وهذه المهنة لا يمارسها إلا من كان عارفا باللغتين، وممارسا لهما، ومطلعا على الثقافات والعادات الاجتماعية التي تخص كل منهما [٥٣]. وتعرف الترجمة أيضا بأنها: وسيلة للتقريب بين الشعوب، وتمهيد الطريق لتواصل الإنسان مع أخيه، والرغبة في تبادل الثقافات والمعارف بين بلدين وأكثر.

ويسمى من يقوم بهذا العمل المترجم، ومن شروطه أن يكون عالما باللغتين متقنا لهما متمكنا من القواعد والمقاييس التي تحكمهما، وأن يكون على إطلاع كامل على تاريخهما، ومتابعا جيدا للتطورات التي وقعت عليهما مع مرور الزمن، وهذا لا يكفي لعصمة المترجم من الوقوع في الخطأ؛ لأن مشكلات الترجمة كثيرة يواجهها كل من أراد الخوض في هذا البحر العميق [٥٤]، ولاسيما مشكلة الترجمة الحرفية، فقد كانت الترجمة سابقا تعتمد على نقل المعنى من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية عن طريق إيجاد اللفظ الذي يؤدي المعنى نفسه، ولكننا نلحظ أن كلمة (عين) في اللغة العربية لها معان كثيرة منها: العين الباصرة، وعين

الجاسوس، وعين الماء وغيرها، بينما نجد لها في اللغة الإنجليزية لفظة واحدة وهي (eye) ولا يمكننا أن نطلق على عين الجاسوس أوعين الماء هذه اللفظة الإنجليزية [٥٥]، وهذه من أهم مشاكل الترجمة التي اجهها العلماء قديما وحديثا، ويضاف إلى هذا أن اللغة العربية تحفل بالكثير من الظواهر اللغوية التي انعدمت آثارها في اللغات الأخرى، وهذا يجعل أمر الترجمة بين اللغة العربية واللغات الأخرى عسيرا جدا، ولم يقف علماء اللغة موقف المتفرج أمام هذه القضية المهمة والنافعة للعلم وأصحابه، فمن الضروري الاطلاع على علوم الأمم الأخرى والإفادة منها، لما شهدته هذه الأمم من تطورات عظيمة في مختلف جوانب الحياة، لأنها كانت تنعم بالرخاء والاستقرار الذي هيأ لها كل الوسائل اللازمة للإبداع والتطور، واكتشاف العديد من العلوم المفيدة أهمها: علوم الطب، والفلسفة والفن، وغيرها, عكس البلدان العربية التي عصفت بها الكثير من الحروب ومظاهر الاستعمار لسنوات طويلة، لذلك وضع علماء اللغة شرطين متلازمين للمترجم وجب عليه الاستعانة بهما في الترجمة، وهما: **الأول**: الفهم الدقيق للمصطلح الأجنبي المراد ترجمته، **والثاني** : أن يكون اللفظ العربي مناسبا للفظ المراد ترجمته ، وبعيدا عن الشذوذ [٥٦].

ثانيًا: نشأة الترجمة:

شغلت قضية الترجمة حيزا واسعا من جهود علماء اللغة قديما وحديثا؛ لما لها من أهمية كبيرة في توسع اللغة العربية وأثراها بالعديد من المعارف والعلوم المكتشفة لدى الأمم الأخرى، ويضاف إلى هذا سببا آخر هو هجرة أغلب القبائل العربية من الصحراء القاسية لتسكن في المدن، فدفعها هذا التغير إلى هجرة اللفظ الثقيل الذي يتلاءم مع حياتهم السابقة، والميل إلى اللفظ الرقيق الي يتناغم مع مدنهم ، فشجعهم هذا على الترجمة، لسد حاجاتهم الحضرية (٥٧)، وقد نشطت حركة الترجمة في عصر المأمون، فقامت الترجمة في هذا العهد مقام التعريب وحققت الغرض نفسه، وأشهر الألفاظ التي ترجمت كانت في الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والطبيعة وغيرها (٥٨)، وقد نقلت هذه الألفاظ عن اللغات الأجنبية منها: الفارسية واليونانية والسريانية، ولم يكن السبب وراء هذه الترجمة هو تخلف الأمة العربية أو جهلها في ميادين العلم، لكنها انشغلت مع بداية قيام الدولة الإسلامية في تعاليم الدين الإسلامي، فكان جل اهتمامها بلغة القرآن التي أخذت النصيب الأوفر من جهود علمائها، ورغم هذا لا يمكننا أن ننكر ما للعرب من آثار بارزة في علوم كثيرة منها: الطب والفلك والحساب والجبر وغيرها (٥٩).

أما الترجمة في العصر العباسي فقد افتقرت إلى الدقة في النقل، والضعف في التركيب النصية، وعدم مراعاة الاختلاف بين قواعد الإسناد الخاصة بتلك اللغات المترجم عنها؛ لأن مترجمي العصر اعتمدوا على الترجمة الحرفية أي: نقل الكلمة الأجنبية إلى اللغة العربية بعد إيجاد المرادف المناسب لها، وعدم الانتباه إلى علاقتها الإسنادية داخل النص، وما ينتج عنها من اختلاف في المعنى إذا اختلف الإسناد، وبقي هذا الضعف ملازما لعملية الترجمة حتى منتصف القرن الرابع الهجري (٦٠).

وفي الغرب تعد الفترة الزمنية التي وقعت بين الحربين العالميتين هي فترة إحياء لعلم الترجمة، فقد أنشأت المدارس الخاصة بالترجمة الفورية في طائفة من البلدان الأوروبية، فتجاوز عددها العشرات من المدارس، وأشرف عليها مجموعة من العلماء أشهرهم: (مالينوفسكي) الذي أبدى اهتماما نظريا بعملية الترجمة، وتبعه العالم (ج. ب. فينيه)، وهو عالم في علم اللغة والحضارة الإنجليزية، فقام بتوضيح طريقة الترجمة المعاصرة، ووضع المعاجم الخاصة بالترجمة ليعتمد عليها المترجمون في مسيرتهم العلمية، حتى أثمرت هذه الجهود عام ١٩٥٠م بظهور أول مشروع للترجمة الآلية [٦١].

وقد كانت بدايات انتقال علم الترجمة المعاصرة إلى البلدان العربية عن طريق الاستعمار الفرنسي لمصر الذي حمل معه العديد من مظاهر التطور الغربي، منها ظهور المطابع ، وانتشار الصحافة والاهتمام بالجانب التعليمي للبلاد، فأنشئت المدارس، وأرسلت مصر العديد من البعثات العلمية إلى البلدان الأوروبية؛ للاطلاع على ثقافتها، واكتشاف التطورات التي شهدتها في مختلف ميادين الحياة، ولم يقتصر هذا التطور على مصر فقط، بل تعداها إلى البلدان المجاورة لها، فهذا إبراهيم اليازجي وهو أديب لبناني نجده متقنا للغتين العربية والفرنسية، وقد نبه في مقالات مشهورة نشرها في مجلات عربية عن التداخل الحاصل بين اللغتين العربية والفرنسية، وميل العديد من المجلات إلى وضع المصطلحات الأجنبية بديل للكلمات العربية في مقالاتها، فأثار هذا الفعل جدلا مثيرا حول هذه الصحف، ودعوا إلى العمل على تحفيزها لنشر الثقافة العربية والابتعاد عن التأثر الغربي [٦٢]، ثم برز دور المجمع العربي المصري لحل هذه الأزمة، والسعي إلى وضع قواعد تسهل عملية الترجمة للإفادة منها بالاطلاع على علوم الأمم الأخرى والاقتراض منها, لكن المجمع المصري دعا في هذه الفترة إلى النقل عن اللغة الفرنسية أكثر من اللغة الإنجليزية، وأبرز من ناصر هذا المقترح هو(مصطفى الشهابي) إذ شجع على نقل المعربات بالنطق الفرنسي لا الإنجليزي [٦٣]،ثم توالت جهود الأدباء العرب بعد الأديب اليازجي للعناية بالترجمة ومراعاة الأساليب النحوية للغات المراد الترجمة عنها، وأشهر هؤلاء الأدباء: أحمد العوامري، والشيخ عبد القادر المغربي [٦٤].

ثالثًا: مشكلات الترجمة وأثرها على اللغة العربية:

اللغة العربية كائن حي يؤثر ويتأثر بما حوله من اللغات الأخرى، وهذا التأثير يكون عن طريق العطاء والأخذ من اللغات سواء كانت هذه اللغات متقاربة في الالفاظ وقواعد التركيب أو متباعدة عنها، فهذا الاختلاف لا يمنعها من الاقتراض. وهناك أصوات تعالت لتميز اللغة العربية عن غيرها، ودعت إلى حصر عدد الألفاظ التي اقترضتها اللغة العربية، وكان عددها لا يتجاوز ثلاثة آلاف لفظ، كما زعمت هذه الطائفة أن العربية كان عطائها أكثر من اقتراضها، ولم نجد من يؤيد هذه الدعوات، بل أتهمت بالغلو والمبالغة في تمييز العربية عن غيرها من اللغات [٦٥] ، لأن العربية تأثرت بطائفة كبيرة من اللغات الأجنبية، وأبرزها اليونانية، ولم يكن تأثيرها في الجانب الصوتي والمعجمي، بل كان مقتصرا على الجانب النحوي، فقد أنكر

العلماء الأوروبيون النحو العربي ونسبوه إلى اليونان، لكن كتاب سيبويه خير دليل على إبداع العرب في علم النحو وابتدائه، وهناك رأي آخر يرى أن العرب هم من ابتكر علم النحو، لكن اليونان هم أصحاب الفلسفة والقياس الذي لوحظ في علم النحو العربي قديما، وكذلك العلة والاستنباط في النحو، وأشد المجتهدين لتأكيد التأثير اليوناني على النحو العربي هو (إبراهيم بيومي مدكور)، فقد أعد مجموعة من البحوث، ونشرها في مجلة الأزهر منها: (منطق أرسطو والنحو العربي) تحدث فيه عن أغلب الجوانب النحوية الخاصة باليونان، لكنها توافرت في النحو العربي منها: القياس والعلة، ثم انتقل إلى كتاب سيبويه وادعى أن تقسيمه للكلمة على (اسم وفعل وحرف) ما هو إلا تقسيما معروفا في النحو الأرسطي[٦٦]. وكذلك السريانية فقد أثرت في النحو العربي من جهة الأبجدية النبطية التي استعان بها العرب في كتاباتهم، وأيضا الحركات الإعرابية التي ظهرت في العصر الاسلامي على يد أبي الأسود الدؤلي (ت٦٩ هـ)، فقد نسبت إلى اللغة السريانية. وللعبرية نصيب من التأثير فقد أثرت في ترتيب المعاجم العربية، وجعلتها على القافية تبعا لطريقتها في ترتيب معاجمها[٦٧]، وما تقدم يوضح لنا جزءا يسيرا من ملامح التأثر العربي بالترجمة عن اللغات الأخرى قديما.

أما تأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى، فلم يكن أقل شأنا، فقد ترجمت الكثير من المؤلفات العربية في الفلك والحساب والطب وعلم اللغة إلى اللغات الأوروبية، لكن علماء الغرب كانوا يواجهون عقبات كبيرة في محاولاتهم لترجمة المؤلفات الشعرية العربية ومؤلفات النظم والعروض، ولا سيما أن أهم الصفات الجمالية البارزة في الشعر العربي هو الوزن والقافية، ولم يتوفر هذان في اللغات الاجنبية، الأمر الذي أدى إلى تحول الشعر إلى نثر عند ترجمته[٦٨]، ومن المشكلات التي انحصرت بالمؤلفات العربية عند ترجمتها إلى الغرب أيضا هو فقدانها سمة الإعراب والعلامات النحوية التي تدل عليه، وكذلك عدم التمييز بين المذكر والمؤنث في الضمائر المستعملة في اللغة الأجنبية، فهناك اختلاف كبير بين ضمائر اللغة الإنجليزية والضمائر العربية، وعدم تطابقها، وعندما يترجم النص العربي إلى اللغة الأجنبية يهمل المترجم عملية التراكيب، فلا يحافظ على مكان اللفظ إن كان مقدما أو مؤخرا، وهذا العلم معروف عند العربية بـ(التقديم والتأخير)، وله أثر كبير في تغيير دلالة النص العربي[٦٩].

وأهم المشكلات التي تواجه المترجمين في العصر الحديث لا سيما في القرن التاسع عشر والقرن العشرين هي قضية (السوابق واللواحق) التي تتسم بها الكثير من المفردات في اللغات الأجنبية التابعة للهندو أوربية، فهناك علامات تحيط باللفظ الأجنبي المراد ترجمته منها: السوابق (The- an- a- most- more) وغيرها، وكذلك اللواحق (s- es- est- er) وغيرها. واللغة العربية من فصيلة اللغات السامية، ولا نجد فيها مثل هذه الرموز إلا قليلا، فمنها لواحق خاصة لا تتوافق مع اللواحق الأجنبية، وهي (ت- ت- ك- ن) وغيرها، وهذا الاختلاف يعد مشكلة عقيمة شغلت علماء الطائفتين الأوربية

والعربية، وأشهر علماء العرب الذي تناول هذه الظاهرة، وأشار إليها هو العالم المصري (رفاعة رفعت الطهطاوي ت١٨٧٣م)، فقد حاول الطهطاوي معالجة هذه المشكلة الفنية في كتابه المترجم (قلائد المفاخر في أخلاق بلاد أوروبا) فنجده يلجأ إلى التعريب مع الالفاظ التي تضم بعض هذه اللواحق أو السوابق ولا تتوافق مع اللفظ العربي[٧٠].

رابعا: الترجمة والتعليم:

ظهرت في السنوات الأخيرة من عصرنا هذا دعوة واسعة لجعل التعليم في الجامعات العربية باللغة الإنجليزية وخاصة التخصصات العلمية، لأسباب أهمها أن هذه العلوم من اكتشاف الدول الأوروبية الناطقة باللغة الإنجليزية، وأن محاولات المجمع العربي لإيجاد المرادف في اللغة العربية من أجل ترجمة هذه المصطلحات أو تعريبها تكللت بالفشل، وخاصة مصطلحات علوم الكيمياء والفيزياء، ويضاف إلى هذا أن أغلب الجامعات العالمية جعلت من اللغة الإنجليزية لغة رسمية في تعليمها، فما الضرر إذا لحقت الجامعات العربية بمن سبقها في هذا المجال [٧١]، لا سيما أن اللغة العربية اليوم عاجزة عن مواكبة حركة التطور التي حدثت في العالم مؤخرا بعد أن وقف علماء العربية موقف المتفرج، ولم يسعوا الى الاكتشاف والابتكار في الجوانب العلمية المختلفة للمحافظة على دور لغتهم وتفعيله [٧٢]، وهناك سبب آخر هو أننا إذا اعتمدنا على عملية التعريب أو الترجمة في نقل هذه المصطلحات العلمية من اللغة الأجنبية إلى العربية قد يؤدي هذا النقل إلى تحريف الكلمة وتغيير مدلولها الدقيق، فيؤدي هذا إلى ضعف النص وهجره، والسبب الذي يدفعنا إلى هذه النتيجة هو عملية الترجمة الحرفية التي تعني نقل المعنى من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، وأن أغلب المصطلحات المراد ترجمتها لا نجد لها مرادفا ملائما في العربية، فيضطر المترجم هنا إلى المجيء بلفظ مشابه في المعنى للفظ المراد ترجمته، وقد تحدث هذه المشكلة في الترجمة إلى العربية أو الترجمة عنها [٧٣]، وهذا ما حدث في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى منها: اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، فبعد الاطلاع على هذه النسخ القرآنية المترجمة، وضمها إلى بعضها يلاحظ القارئ الاختلاف الواقع على ترجمة آية معينة من مترجم إلى آخر، ولا يمكننا بسبب هذا الاختلاف إتهام المترجمين بالجهل أو عدم التمتع بالأمانة العلمية، وربما السبب في هذا الاختلاف هو تباين الدلالات التي تحيط باللفظ من مترجم إلى آخر، وكذلك اختلاف المفردات التي تمتلكها لغة دون أخرى [٧٤]، ومن أمثلة الألفاظ التي ترجمت وتغيرت بعض دلالاتها قولهم: (sky scrapper) وتعني في الإنجليزية (خادشة السماء)، لكنها ترجمت إلى العربية بقولهم: (ناطحة السحاب)، وكذلك كلمة (washing machine) وتعني بالإنجليزية (غسالة)، لكنها ترجمت إلى العربية بلفظة (آلة الغسل)، وأيضا كلمة منطاد الإنجليزية (balloon) فترجمتها في العربية تعني (المرتفع) [٧٥]، لذلك شجعت هذه الطائفة على ترك التعريب والترجمة وجعل التعليم باللغة

الإنجليزية؛ لأن عزل هذه اللغات عن محيطنا يجعلنا في دائرة ضيقة متخلفة عما يحدث في العالم اليوم من حركة تطور سريعة، لاسيما أن هذه اللغات الأجنبية هي لغة العلم والاكتشاف في يومنا هذا (٧٦).

وربما نلحظ سببا آخر دفع هذه الجهة التي عارضت التعريب والترجمة، وشجعت على استبدالهما باللغة الإنجليزية هو تأثرها بالبلدان الأوربية التي عدت الترجمة علما حديثا، وأولتها أهمية كبيرة، فقام مجموعة من علمائها بدراسة هذا العلم الحديث، ووضع مباحثه، وإيجاد الحلول المناسبة لمشكلاته، ثم تبنى هؤلاء العلماء الدعوة إلى جعل الترجمة مادة علمية أساسية تدرس لطلبة العلم في جميع مراحل التعليم، وقد ألفت كتب تدعو إلى هذا النهج منها كتاب (مدخل إلى نظرية الترجمة) للمؤلف (فيدوروف) عام ١٩٥٣م، والكتاب الآخر ظهر عام ١٩٥٨م بعنوان (علم الأسلوب المقارن بين الفرنسية والإنجليزية) للمؤلفين (فينيه، ودار بلنيه)، وناشد أصحاب هذه الكتب بإدخال الترجمة ضمن لائحة العلوم اللغوية، والتشديد على ضرورة تدريسها (٧٧).

وقد وقف المجمع العربي بوجه الدعوات التي استسلمت للحضارة الغربية، وشجعت على ترك اللغة العربية جانبا الأمر الذي قد يطمس آثار هذه اللغة العظيمة التي واجهت العديد من التحديات لسنوات طويلة، فلا يمكننا التخلي عن لغتنا القومية، فبرز طائفة من علماء العرب الذين حملوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن لغتنا العربية، والوقوف بوجه الحاقدين والداعين إلى عزلها، وقد شجع المجمع العربي هذه الطائفة واتفقا على الترجمة أولا، ثم التعريب عند الحاجة، وإن الترجمة الدقيقة لهذه العلوم لا تظلم مصطلحاتها، وا لاعتماد على الترجمة أمر نافع اللغة العربية، لأنه يظهر قدرتها على توليد الألفاظ المناسبة لهذه العلوم، فنحن اليوم نترجم كلمة (MICROSCOPE) الأجنبية بلفظة (المجهر) العربية، وكلمة (DENSIMETRE) الأجنبية بقولنا: (المكثف) العربية، وكذلك لفظة (FLORICU LTURE) بقولنا: (زراعة الأزهار)، ونحن نجد هذه المرادفات العربية ملائمة جدا للكلمات الأجنبية وتغنينا عن التعريب؛ لأن كثرة التعريب للمصطلحات العلمية قد يؤثر سلبا على اللغة العربية، فهذه الألفاظ المعربة قد تتزاحم مع المفردات العربية الأصيلة في الاستعمال، ويضاف إلى هذا أن هذه المعربات قد تحتوي على أصوات لا تتناسب مع اللفظ العربي الفصيح (٧٨)، وهناك أسباب أوضحها الداعمون للغة العربية ، والمشجعون على الترجمة أهمها:

١- جعل اللغة الأجنبية لغة للتدريس في الجامعات والمعاهد أمر مرفوض؛ لأنه سوف يعزل التعليم الابتدائي والثانوي عن التعليم الجامعي، لأن في هاتين المرحلتين تستعمل اللغة العربية.

٢-الدول العربية تستعمل اللغة العربية الفصيحة في صحفها وكتبها وقانونها ومؤسساتها الرسمية، فلماذا نجعل التعليم يشذ عن هذا الاستعمال، وعزله بلغة أخرى؟

٣- إن استعمال اللغة الأجنبية في التدريس سوف يزيد الأمور تعقيدا وصعوبة لدى طلاب هذه المراحل، لأن إتقان لغة أخرى لم تعتد على النطق بها من قبل أمر عسير جدا سوف يحرم المتعلم من التعبير عن أفكاره العلمية، ويقيده بما يحفظ من مفردات لهذه اللغة الدخيلة، فيؤدي هذا إلى فشله في اجتياز الاختبارات.

٤- في وطننا العربي عندما نرشح لغة غير اللغة العربية للتعليم، فهذا دليل واضح على الاستعمار الثقافي(٧٩).

الخاتمة:

١- إن مصطلح التعريب أو المعرب لم يكن معروفا في العصر الجاهلي رغم استعمال بعض الشعراء في الجاهلية ألفاظ دخيلة في شعرهم، وعرف هذا المصطلح في عصر الجوهري (ت ٣٩٨ هـ)، فقد ذكر لفظ (التعريب) في صحاحه أولا.

٢- لم يفرق العلماء في معجماتهم بين مفهومي (المعرب والدخيل)، وهذا اللبس واضحا ينتقده كل مطلع على إحدى هذه المعاجم، وبقي هذا الغموض حتى عهد الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) الذي أوضح الفرق الدقيق بين اللفظين (المعرب والدخيل) في كتابه (المعرب).

٣- إن الألفاظ الدخيلة تتعامل معها العربية بالتغيير كالزيادة والنقصان أو إلحاقها بأوزان لغتها ، فتسمى ألفاظ معربة، لكنها أحيانا تترك هذه الألفاظ على حالها دون تغيير فتسمى ألفاظا دخيلة وليست معربة.

٤- هناك ألفاظ أعجمية اختلف العلماء في أصلها الذي وردت منه، مثل هذا كلمة (اسفنط)، فالجوهري يذكر أنها فارسية وتعني الشراب، وذهب الأصمعي إلى أنها رومية أو يونانية وتعني عصير العنب، وأمثلة هذا الاختلاف كثيرة في كتبهم.

٥- لم يكن علماء العربية على دراية كافية بقواعد ومفردات اللغات الأخرى التي اقترضت منها اللغة العربية، فهذا الجواليقي يذكر في كتابه (١٥٠٠) كلمة، ويذكر إلى جانبها أنها أعجمية ، ولكنه في مواضع كثيرة لا يذكر اللغة الأصل التي اقترضت منها، ولم ينفرد الجواليقي بهذا الإخفاق بل أن هناك الكثير من المعجمات العربية التي اتبع أصحابها طريقة الجواليقي لإخفاء جهلهم بأصول الكثير من الكلمات الدخيلة على اللغة العربية.

٦- ما توصلت إليه الدراسات اللغوية قديما وحديثا أن القرآن الكريم احتوى على اللفظ الأعجمي والمعرب رغم كثرة الآراء التي دافعت عن القرآن، وحاولت عصمته من مجيء اللفظ الأعجمي فيه.

٧- لم تكن الترجمة حديثة الولادة في البلدان العربية، فقد ظهرت ترجمات كثيرة في الطب والفلسفة في القرن الرابع قبل الميلادي عن طريق فتوحات الإسكندر الكبير، وهي مأخوذة عن الحضارة اليونانية، وقد دخلت أولا إلى البلاد المصرية، ثم صدرتها مصر إلى بلاد وادي الرافدين.

٨- ازدهرت حركة الترجمة بعد العصر الإسلامي، ونشطت في الخلافتين الأموية والعباسية، لكن أغلب هذه الترجمات كانت ترجمة حرفية، فادى هذا إلى ضعفها في التركيب، وافتقارها إلى الأمانة العلمية، ووردت فيها الكثير من الأخطاء اللغوية.

٩- إن الترجمة بمفهومها العام تعني نقل المعنى من اللفظ الأجنبي إلى اللفظ العربي، وهذا النقل يختص بالألفاظ فقط دون الأساليب اللغوية الخاصة بكل لغة، ومثل هكذا نقل أحيانا قد يتسبب بتحريف معنى بعض الكلمات عند ترجمتها.

١٠- دعا المجمع العربي إلى ترجمة المصطلحات العلمية الأجنبية، وشدد على الترجمة الدقيقة، وترك التعريب من أجل إحياء الفصيح، وتفعيل دور اللغة العربية، وإظهار قدراتها على التجديد وتوليد الألفاظ التي تتلاءم مع مصطلحات العلوم المستحدثة.

١١- لا يحق لمن تعلم القراءة والكتابة في السنوات الأولى من عمره باللغة العربية أن ينكر فضلها عندما يكبر، ويتهمها بالعجز، لان عجز اللغة سببه الناطقون بها، لتخلفهم عن الابتكار والإبداع في مختلف الميادين لإحياء لغتهم.

الهوامش:

١-ينظر:لسان العرب، ابن منظور: ٢ /٧٨.

٢-المصباح المنير،الفيومي: ١٥٢.

٣-ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي: ١ /٢٦٨.

٤- ينظر: معجم الدخيل، د.ف. عبد الرحيم: ٧.

٥- ينظر: المعرب والدخيل في العربية، يحيى إبراهيم قاسم: (١٤،و١٦-١٧).

٦- ينظر: المعرب والدخيل في العربية: (٢٠ - ٢١).

٧- ينظر: معجم الدخيل : ٧.

٨--ينظر:دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح: ٣١٤.

٩-ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي: (١٠٠-١٠١).

١٠-ينظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: ١٠٩.

١١-لسان العرب: ١٥ /(٣٠٥ -٣٠٦)، (عظلم).

١٢- المولد في العربية، د. حلمي خليل: ١١٢.

١٣- المعرب والدخيل في اللغة العربية: ١٠.

١٤- من أسرار اللغة: ١١٠.

١٥- ينظر دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح: ٣١٧.

١٦- الشعراء: ١٩٥.

١٧- الزخرف: ٣.

١٨ ينظر: المعرب والدخيل في العربية: (٢٦ - ٢٧).

١٩- ينظر: المولد في العربية: ١١٨، وفقه اللغة في الكتب العربية: ١٠٤.

٢٠ -ينظر المعرب والدخيل في العربية: ٢٩.

٢١- ينظر: المولد في العربية: ١١٢.

٢٢- المولد في العربية: ١١٥.

٢٣- ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي: ٢٦٨.

٢٤- ينظر: المولد في العربية: ١١٨، ومن أسرار اللغة: ١١١.

٢٥- دراسات في فقه اللغة: (٣١٧- ٣١٨).

٢٦-ينظر: العربية والحداثة، محمد رشاد الحمزاوي: ١٥٩.

٢٧-ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها، د. إميل بديع يعقوب: ٢١٩.

٢٨- الكتاب، سيبويه: ٤ / ٣٠٣.

٢٩-ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها: ٢١٧

٣٠- الفاتحة: ٦.

٣١- ينظر: المولد في العربية: ١٢٠.

٣٢-ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها: ٢١٧.

٣٣- ينظر: المعرب من الكلام الأعجمي، الجواليقي: ٨.

٣٤-الكتاب، سيبويه: ٤ / (٣٠٣- ٣٠٤).

٣٥- ينظر: المعرب من الكلام الأعجمي: ٨، والكتاب: ٤ / ٣٠٤.

٣٦- ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ (٢٦٩- ٢٧٠).

٣٧- فقه اللغة وأسرار العربية، أبومنصور الثعالبي: ٤٣٠.

٣٨- ينظر: المعرب والدخيل في العربية: ٤٦.

٣٩- ينظر: المولد في العربية: ١١٩.

٤٠ -ينظر: من أسرار اللغة: ١١١، والمعرب والدخيل في العربية: ٤٠.

٤١- ينظر: المعرب من الكلام الأعجمي: ١٠.

٤٢-ينظر:من أسرار اللغة: ١١٢.

٤٣- ينظر: المعرب والدخيل في العربية: ٤٢.

٤٤-ينظر: من أسرار اللغة: ١١٢، والمولد في العربية: ١١٩.

٤٥- ينظر: المعرب والدخيل في العربية: ٥٠.

٤٦-ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها: (٢٢٠- ٢٢١).

٤٧- ينظر: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، عبد الكريم خليفة: ٢٤٣.

٤٨- ينظر: المولد في العربية: ٤٧٥.

٤٩-ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها: (٢٢٠- ٢٢١).

٥٠-ينظر: من أسرار اللغة: ١١٦.

٥١-لسان العرب: ١٥ / ١٢٠، (رجم).

٥٢-ينظر: الترجمة في العصر العباسي، د. نجيب غزاوي: ٨.

٥٣- ينظر:علم اللغة والترجمة، جورج مونان: ٤٣.

٥٤- ينظر: دلالة الألفاظ: (١٦٨- ١٦٩).

٥٥- ينظر: دراسات حديثة في اللغة والنحووأثر الترجمة في العربية، د. طالب عبد الرحمن: ٢٩.

٥٦-ينظر: دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر: ٣٢٥.

٥٧- ينظر:فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي: ١٠٨.

٥٨- ينظر: دراسات في فقه اللغة: ٣٢٠.

٥٩- ينظر: المولد في العربية: ٤٣٥.

٦٠- ينظر: المولد في العربية: (٤٣٥ - ٤٣٦).

٦١- ينظر: علم اللغة والترجمة، جورج مونان، ترجمة: أحمد زكريا إبراهيم: (٤٣، و٤٥)

٦٢- ينظر: العربية والحداثة، د. محمد رشاد الحمزاوي: ١٧٤.

٦٣-ينظر: العربية والحداثة: ١٧٦.

٦٤- ينظر العربية والحداثة: ١٨٠.

٦٥-ينظر:دراسات في فقه اللغة: ٣٤٨.

٦٦-ينظر: البحث اللغوي عند العرب: (٣٥٠- ٣٥١).

٦٧-ينظر: البجث اللغوي عند العرب: (٣٥٤ -٣٥٥).

٦٨-ينظر: علم اللغة والترجمة: ٥٢.

٦٩- ينظر: المولد في العربية: (٤٤٠ -٤٤١).

٧٠- ينظر: العربية والحداثة: (١٨٣ - ١٨٤).

٧١-ينظر:درسات في فقه اللغة: (٣٥٢ -٣٥٣).

٧٢-دراسات في علم اللغة: (٣٢٠ - ٣٢١).

٧٣-ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد: (٢٥٣- ٢٥٤).

٧٤- ينظر: دلالة الألفاظ: ١٧٩.

٧٥- ينظر: دراسات حديثة في اللغة والنحووأثر الترجمة في العربية: ٦٣.

٧٦-دراسات في علم اللغة: ٣٢٢.

٧٧- ينظر: علم اللغة والترجمة: ٧٧.

٧٨- ينظر: دراسات في فقه اللغة: ٣٢١.

٧٩- ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها: (٢٢٩- ٢٣٠).

المصادر والمراجع:

١- إبراهيم، د.أنيس، (١٩٦٦م)،من أسرار اللغة، ط ٣، الناشر: مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، مصر

٢- ابن منظور(ت ٧١١ هـ)، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الخزرجي المصري الإفريقي، لسان العرب، الناشر:من اصدارات وزارةالشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

٣- الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ)،أبومنصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠ م)، فقه اللغة وأسرار العربية، ط٢ ، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: د. ياسين الأيوبي، الناشر: المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان.

٤- الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ)، أبومنصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر،(١٤١٩هـ= ١٩٩٨م)،المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ط ١ ، وضع حواشيه وعلق عليه: خليل عمران المنصق، الناشر:دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥- الحمزاوي، محمد رشاد، (١٩٨٦م)، العربية والحداثة ، ط ١، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٦- الراجحي، د.عبده، (١٣٩٢ هـ= ١٩٧٢م)، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت، لبنان.

٧- الرحمن، د. طالب عبد، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥ م)، دراسات حديثة في اللغة والنحووأثر الترجمة في العربية، ط ١، الناشر: مكتبة الدكتور مروان الوطنية، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

٨- الرحيم، الدكتور. ف. عبد، (١٤٣٢هـ= ٢٠١١ م)، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ط ١، الناشر: دار القلم، دمشق، سوريا.

٩-السيوطي (ت ٩١١ هـ)،عبد الرحمن جلال الدين، (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م)، المزهر في علوم اللغه وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، وآخرون، الناشر:منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان.

١٠- الصالح، د. صبحي، (٢٠٠٩ م)، دراسات في فقه اللغة، ط ٣، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان.

١١- الفيومي (ت٧٧٠ هـ)، أحمد بن محمد بن علي المقري، (١٩٨٧م)، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان .

١٢-القرآن الكريم.

١٣-أنيس، د. إبراهيم، (١٩٧٦م)، دلالة الألفاظ، ط ٣، الناشر: مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، مصر.

١٤- بشر، د. كمال، (١٩٩٨ م)، دراسات في علم اللغة، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

١٥- خليفة، د. عبد الكريم، (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م)، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ط ٢، من منشورات مجمع اللغة العربية الاردني، عمان، الأردن.

١٦- خليل، د. حلمي، (١٤٠٥ هـ=١٩٨٥ م)، المولد في العربية (دراسة في نمواللغة العربية وتطورها بعد الإسلام)، ط ٢، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

١٧-سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، أبوبشر عمروبن عثمان بن قنبر، (١٤٠٢ هـ=١٩٨٢م)، الكتاب ط ٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الرفاعي بالرياض، السعودية.

١٨- عمر، د. أحمد مختار، (١٩٨٨م)، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثيروالتأثر، ط ٦، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، مصر.

١٩- قاسم، يحيى إبراهيم، (٢٠١٥ م)، المعرب والدخيل في العربية دراسة في تاج العروس للزبيدي، ط١، الناشر: عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن.

٢٠- كار، مريم سلامه،(١٩٩٨م)، الترجمة في العصر العباسي (مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة)، ترجمة: د. نجيب غزاوي، الناشر: منشورات وزاره الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق ، سوريا.

٢١- مونان، جورج، (٢٠٠٢ م)، علم اللغة والترجمة، ط ١، ترجمة: أحمد زكريا إبراهيم، مراجعة: أحمد فؤاد عفيفى، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

٢٢- وافى، د. علي عبد الواحد، (٢٠٠٤ م)، علم اللغة، ط ٩، الناشر: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

٢٣- يعقوب، د.إميل بديع، (١٩٨٢م)، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط ١، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

جهود معهد الشيخ عبد الله أويس في البحث اللغوي، كتاب "نخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب" أنموذجا

The Efforts of the Sheikh Abdullahi Uwais Institute in Linguistic Research، the book "Zakha`irul Anjab fi Ba'adhi Masa`ilil i`irab" as an Example

د/ بشير لون

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كنو-نيجيريا

blawan.ara@buk.edu.ng

٧٠٠٥٩٣٢٠٨٠٩ - ٥٩٥٣٣٥٧٠٧٠٨

جهود معهد الشيخ عبد الله أويس في البحث اللغوي، كتاب "ذخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب -أنموذجا- د/ بشير لون

ملخص البحث:

تعتبر المعاهد العلمية التقليدية النواة الأولى في نشر الثقافة العربية الإسلامية فيما يعرف اليوم بشمالي نيجيريا، ويتزامن تاريخ تأسيس هذه المعاهد تاريخ تأسيس الدولة الفودوية، وهو القرن التاسع عشر الميلادي، ولم تزل المعاهد تمارس نشاطها العلمي ويتزايد عددها منذ ذلك التاريخ إلى اليوم، فهذه المعاهد ليست مبان ضخمة، مقسمة إلى فصول ومكاتب، لكل فصل مقرره ومنهجه كما في المدارس الحديثة.

وإنما هي عبارة عن دهاليز أو حجرة جلوس الشيخ في منزله. وطريقتهم في التدريس عبارة عن قراءة الكتب العربية وترجمتها إلى لغاتهم المحلية. ولايزال الاعتناء بعلوم اللغة العربية والإسلامية فيها قويا جدا. وحديثا لمست الحاجة في بعض المعاهد إلى إيجاد كتب مقررة لكي تفي بهدفها المنشود، وذلك عن طريق إجراء بحث في فن من الفنون التي يقوم المعهد بتدريسه.

فهذا المقال يهدف إلى دراسة كتاب "ذخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب" -من حيث المنهج والمحتوى- كنموذج للبحوث اللغوية التي قدمها معهد الشيخ عبد الله أويس في إثراء الدرس النحوي والصرفي ،

وتتجلى إشكالية المقال في التساؤلات التالية:

ما منهج الكتاب؟ ما المسائل التي احتواها الكتاب؟

ما مظاهر الإبداع في الكتاب؟ ما القيمة العلمية للكتاب؟

وسيتكون المقال من مقدمة ومحورين وخاتمة. فالمقدمة تتناول الحديث عن المعهد ومؤسسه، والمحور الأول يدور حول التعريف بالكتاب وعرض محتوياته، أما المحور الثاني فيسعى إلى دراسة الكتاب من حيث المنهج مع ذكر مظاهر الإبداع فيه، والخاتمة عبارة عن ملخص البحث ونتائجه، وسينتهج الباحث المنهج الوصفي في معالجة الموضوع.

The Efforts of the Sheikh Abdullahi Uwais Institute in Linguistic Research، the book "Zakha`irul Anjab fi Ba'adhi Masa`ilil i`irab" as an Example

Abstract

Traditional scientific institutes are considered as the first nucleus in spreading Arab–Islamic culture in what is known today as Northern Nigeria. The date of the founding of these institutes coincides with the date of the founding of the Fodio`s empire، which is the nineteenth century AC. The institutes have continued to carry out their scientific activity and their number has increased since that date until today. These institutes are not huge buildings، divided into classrooms and offices، each class having its own course and curriculum، as in modern schools. Rather، they are corridors or the sheikh's living room in his house. Their method of teaching consists of reading Arabic books and translating them into their local languages. The interest in Islamic and Arabic language sciences remains very strong. Recently، there has been a need in some institutes to find prescribed books to fulfill their desired goal، by conducting research into one of the arts field that the institute teaches.

This article aims to study the book "Zakha`ririrul Anjab fi Ba`adh Mas`ilil `Iirab" – In terms of method and content – as a model of linguistic research presented by the Sheikh Abdullah Uwais Institute to enrich the grammatical and morphological lesson، the problem of the article is evident in the following questions: What is the book's methodology? What issues does the book contain? What are the manifestations of creativity in the book? What is the scientific value of the book? The article will consist of an introduction، two axes، and a conclusion. The introduction deals with the institute and its founder، and the first axis revolves around introducing the book and present its content. The second axis seeks to studying the book in terms of methodology with manifestations of creativity in the book، and the conclusion is a summary of the research and its findings. The researcher will adopt the descriptive approach in dealing with the topic.

المقدمة:

التعريف بالمعهد:

يقع معهد الشيخ عبد الله أويس في حارة ليمِنثي المجاورة لحارة مِدابِو التابعة لحكومة دال المحلية ولاية كنو، نيجيريا . وحارة ليمِنثي حارة مكتظة بكبار العلماء ، منهم الشيخ أويس بن أبِه والد الشيخ عبد الله .[1]

أسس المعهد الشيخ محمد أبه بن محمد طن غوربا[2] – والد الشيخ أويس، وهوَ الجد الأعلى للشيخ عبد الله– منذ عام ١٨٨٠م،[3] ومنذ ذلك الحينَ كان يُغشَاه طلاب العلم ليغترفوا من بحر علوم مؤسسه ومن بحر علم أبنائه وأحفاده بعد أن وافته المنية، ومنهم حفيده وخليفته الحالي الشيخ عبد الله أويس والذي يعد بحق المجدد لهذا المعهد المبارك؛ وذلك لما جاء به من نظام جديد يخالف ما كان معهودا في المعاهد التقليدية، ومن هذا النظام: إلقاء الدروس جماعيا، حيث يخصص الشيخ بعض الأيام والساعات للإلقاء درس في فن من الفنون، مثلا في النحو والصرف، وفي العروض والبلاغة، وفي التصوف وفقه الطريقة، وفي الفقه وأصوله، وفي الحديث ومصطلحه. وفي علوم القرءان والقرءات، وفي التفسير وعلومه خلاف ما كان عليه نظام المعهد وغيره

من المعاهد التقليدية من قبل، حيث يأتي الطلاب فيدرس كلٍ كتابه على حدة، فتجد في آن واحد يدرس أكثر من عشرة طلاب النحو من كتب نحوية مختلفة، فمثلا، واحد يدرس ألفية ابن مالك، وواحد مغني اللبيب لابن هشام، وآخر متن الآجرومية، وغير هذه من الكتب النحوية. وهكذا الأمر في سائر الفنون المدروسة في المعهد.

وكذلك جدد الشيخ في طريقة إلقاء الدروس، فبدلا من أن يقرأ كل طالب درسه ثم يترجم له ويعقب ذلك بالشرح، فالآن في بعض الدروس يقوم واحد من الطلبة بقراءة النص نيابة عن سائر الطلبة، ويشرح الشيخ. وتارة الشيخ هو من يقرأ النص بنفسه ويشرح، والطلاب يصغون إليه. فهذا النظام ساهم في اقتصاد الوقت، وفي تصنيف الطلبة حسب التخصصات والتفوق؛ فالذين يرغبون في الدروس اللغوية يحضرونها في يومها ووقتها، وكذلك الفقه، والحديث، وسائر الفنون المدروسة.

مؤسس المعهد:

سبق قبل قليل أن مؤسس هذا المعهد هو الشيخ محمد أبه بن محمد طِن غوربِا. ونسبته من جهة أبيه

(١) – بشير لون،موازنة بين العلامة بيروك عبد الله بن يعقوب السملالي والشيخ عبد الله أويس في شرح نظم المجرادية في الجمل. رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو،كنو. (٢٠١٤م)م ص:٧٢

(٢) – ولقب "طن غوربا" يلقب به من يتولى السفارة بين صكتو وكنو. وغوربا هي شجرة الأثل، لقب بذلك لبعد المسافة بين صكتو وكنو كما كان ثمر الأثل يسقط بعيدا عنها

(٣) – مقابلة مع الشيخ عبد الله أويس في بيته، بتاريخ:٢٢/٩/٢٠٢٣م

تنتمي إلى أسرة فلانية نزحت من منطقة برنو بزعامة رئيس لها يسمى: (حمايرو) لأسباب سياسية، وذلك في غضون القرن السابع عشر الميلادي، وألقت عصا تسيارها في مدينة كنو. وكان معظم أعضاء أسرة الشيخ علماء. ولما وقع الجهاد بين الشيخ عثمان بن فودى وملوك بلاد هوسا شاركت هذه الأسرة في الجهاد تناصر الشيخ عثمان بن فودي و أتباعه إلى أن انتصرت جماعة الشيخ. ولما بويع بالخلافة اشتغلت هذه الأسرة منصب (طن غوربا [1]) في كنو، وقد تولى هذا المنصب الجد الثاني للشيخ عبد الله ، وهو محمد طن غوربا ، ولكنه مع ذلك كان محبا للعلم وعزوفا عن الملك ، ولذا أوصى ابنه محمد أبه – الجد الأول للشيخ عبد الله – بأن يشتغل بالعلم ولا يقبل منصبا إماريا في حياته.[2] والآن يتولى التدريس في المعهد خليفته الحالي، وهو حفيده الشيخ عبد الله بن أويس بن محمد أبه بن محمد طن غوربا.

وأما نسب الشيخ عبد الله من جهة أمه، فقد أخبر الشيخ بأن أمه هي السيدة رابعة بنت العالم أبي بكر بن إسحاق بن محمد البشر بن محمد كبرنغ بن دابو دنبزو [3]، ودابو دنبزو هذا أحد قادة الفلانيين الذين جاهدوا في سبيل تجديد الإسلام ، وعاونوا الشيخ عثمان بن محمد بن فودى ، فقلده منصب (سركن بى) الذي توارثته أسرته إلى اليوم.(٤).

المحور الأول: التعريف بالكتاب وعرض محتوياته

١- التعريف بالكتاب:

كتاب "ذخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب" كتاب جمع بين النثر والنظم، وهو لم يزل مخطوطا في خمس وثلاثين صفحة تناول الكتاب سبع مسائل نحوية وصرفية على النحو التالي: مسألة الأفعال اللفيفات المفروقة، ومسألة أنواع الجمل، ومسألة العطف على اللفظ أو المحل، ومسألة مجئ "الحروف" اسما وفعلا وحرفا، ومسألة مجئ "أن وإن" اسما وفعلا وحرفا، ومسألة إضمار "أن" ونصب المضارع بها إذا جاءت جوابا مع الفاء أو الواو، ومسألة مجئ جواب الشرط غير صالح للجزاء حيث يقترن بالفاء أو إذا. وأطلق على كل مسألة لفظ "فائدة" تبعا لصاحب كتاب "تدريب الطلاب في قواعد الإعراب" وذلك لأنها تفيد

(١) – وهذا المنصب آن ذاك – كما ذكر الشيخ عبد الله في مقابلتي معه – يقلده رسول الأمير إلى دولة صكوتو، والآن صار مندوبا من مندوبي الأمير وهو الذي يترأس محافظة تارون (tarauni) (مقابلة بتاريخ: ١٥/١٠/٢٠١٣)

(٢) – بشير لون المرجع السابق، ص: ٧٣

(٣) – وبيت دابو دنبزو من البيوت الثلاثة التي تنتخب الأمير في إمارة كنو إذا خلا المنصب، وذريته هم الذين يتولون منصب الحاكم في حكومة محلية طنبتا، ولهم حق نصب أحدهم لإمارة كنو. راجع: غالي عبد الله ثاني، صور من أساليب الإنشاء الطلبي في شعر الشيخ عبد الله أويس دراسة بلاغية تحليلية لنماذج، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو لنيل شهادة الليسانس، سنة ٢٠٠٤م، ص: ٩

(٤) – المرجع نفسه والصفحة

الطلبة. وأصل الكتاب دروس إضافية ألقاها الشيخ في معهده عام ٢٠٠٥م. وهي مسجلة في الشريط بادئ الأمر، ثم قام بنسخها زميله محمد الأمين سليمان عام: ٢٠٠٧م فظهرت في شكل كتاب. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ أمين "..أما بعد فإعلام على أن المعهد الدهليزي العصري يقدم كتاب "ذخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب" وهي دراسة إضافية قدمها مؤسس المعهد العلامة الفقيه المحدث أبو الحسن الشيخ عبد الله بن مولانا الشيخ أويس بن محمد أبه رحمهما الله ورضي عنهما... وقد قمت بتحقيقها وتقديمها أمام إخواني الطلبة لتكون علا بعد نهل. فلا ننسى ولا نكاد ننسى بما قام به فضيلة الخادم الأكبر رئيس اللجنة التنفيذية الشيخ أحمد أبوبكر من تلفيق دراسات الشيخ تسجيلا مما أدى به إلى أن صار مخزنا يراجعه كل راغب إلى علوم شتى من علوم صاحب المعهد. فجزاه الله فيما قام به من هذا الاستدراك خير الجزاء"[١]

ويرجع الدافع الأساسي في جمع هذه المسائل في كونها تفوت كثيرا من طلاب النحو وحتى بعض الذين حذقوا فيه، فما بالك بالمبتدئين؛ لأن أكثرها لم تذكر في كثير من الكتب النحوية ملفقة في مكان واحد.

ومن الأهداف أيضا: تحفيظ المسائل النحوية وتخزينها في ذاكرة الطلاب، عن طريق عرضها بأسلوب عصري يمس الحياة التي تحياها الطلبة في بيئتها وذلك عن طريق اختراع الأمثلة التي تجعل المادة شيقة وسهلة التناول.

وفي مقدمة الكتاب قال الشيخ محمد الأمين: قمت بتحقيقها وتقديمها أمام إخواني الطلبة... لأن اجتياز هذه المهامه بمرة واحدة لا يجدي بوعي ما فيها من محتويات وديانها وبلاقعها وما إلى غير ذلك مما لا بد للطالب أن يعيها"[٢] وقال في مكان آخر حاكيا عن الشيخ عبد الله أويس: "ومرادي فيكم أن تكونوا في كل موضوع فني قد أحطتم بقواعده ومسائله ضبطا وحفظا، كمثل ألفية ابن مالك في النحو، وجامع الأمثال في الصرف، وكصحيح البخاري ومسلم في السنة. وهكذا في كل الميادين العلمية"[٣]

٢- عرض محتوى الكتاب:

كما سبق الحديث أن الكتاب حوى مسائل نحوية - وخاصة ما يتعلق بالإعراب وإن تخللت مسألة صرفية بالنسبة للأفعال اللفيفة كما سبق قبل قليل. تناول الكتاب مسائل الجملة فذكر أنها تتنوع إلى ثلاثة أقسام:

النوع الأول: جملة لا محل لها من الإعراب؛ اسمية كانت أو فعلية

(١) - ذخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب، ص:١-٢
(٢) - المصدر نفسه، ص:١
(٣) - المصدر نفسه، ص:٣

النوع الثاني: جملة اتفق النحويون على أن لها محل من الإعراب

النوع الثالث: جملة اختلف النحاة في كونها ذات محل من الإعراب أو العكس.

فذكر الجمل التي ترد في محل الرفع والتي ترد في محل النصب والتي ترد في محل الجر والتي ترد في محل الجزم. ثم ذكر الأقسام التي تندرج تحت كل صنف وأعقب ذلك بشواهد من القرآن الكريم ومن كلام العرب منثوره ومنظومه. ثم تحدث الكتاب عن العطف؛ العطف على اللفظ والعطف على المحل، فتعرض إلى الحديث عن مجيئ المعطوف على اسم إن، ومجيئ المعطوف على اسم لا، ومجيئ المعطوف خبرا لـ ما، ومجيئ المعطوف فيما أضيف إلى المصدر، ومجيئ المعطوف على اسم الفاعل، ومجيئ المعطوف على المجرور بـ من، ومجيئ المعطوف في نداء المفرد، ومجيئ المعطوف على نداء جاء ندبة، ومجيئ المعطوف على اسم مرخم.

ثم تخلص إلى الحديث عن الحروف التي ترد اسما وفعلا وحرفا، فذكر منها: من، والهاء، والهمزة، وهل، ورب، والنون، وعل، ولما، وبلى، وحاشا، وإلا، وعلى، والكاف، وخلا، ولات، وإلى، وها.

ثم تناول الكتاب مسألة "أن" مفتوحة الهمزة و"إن" مكسورة الهمزة حيث ترد كل واحدة منهما اسما وفعلا وحرفا. كما عالج موضوع إضمار أن ونصب الفعل المضارع بها إذا جاءت جوابا مع الفاء والواو. وذكر أن ذلك يقع في تسعة مواضع، وهي: الأمر، والنهي، والدعاء، والسؤال، والتعريض، والحض، والتمني، والترجي، والنفي. ومثل لكل منها. وأخيرا تحدث عن مسألة مجيئ جواب الشرط غير صالح للجزاء حيث يقترن بالفاء أو بإذا، وذلك في سبعة مواضع: أن تقع جملة اسمية، وأن تقع جملة طلبية، وأن تقع جملة مبدوءة بكلمة جامدة، وأن تقع جملة مبدوءة بـ ما، وأن تقع جملة مبدوءة بـ لن، وأن تقع جملة مبدوءة بقد، وأن تقع جملة مبدوءة بالسين أو بسوف.

فجل المسائل الواردة في هذا الكتاب أوردها الشيخ محمد بن علي المالكي المكي في كتابه المسمى: "تدريب الطلاب في قواعد الإعراب" في مباحث مختلفة[1] فمؤلف "ذخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب" سلك سبيله في جمع المسائل التي أوردها، إلا أن طريقة العرض وإيراد الأمثلة التوضيحية تختلف. وسيتحدث الباحث عن ذلك خلال حديثه عن مظاهر الإبداع في الكتاب.

المحور الثاني: دراسة الكتاب من حيث المنهج مع ذكر مظاهر الإبداع فيه

٣- منهج الكتاب:

يتمثل منهج الكتاب في عرض المسألة واستقصائها عن طريق الإتيان باستدراكات العلماء عنها ثم شرحها وإبداء الملاحظات عليها ثم تعقيبها بالتطبيقات. ولكي يتضح الأمر يمثل الباحث بمسألتين كما

(١) – راجع الجزء الثاني من الكتاب من المبحث الثالث إلى الخامس، ص:٢٤٨-٢٧٥

وردتا في الكتاب وهما: مسألة "الفعل اللفيف" التي أطلق عليها (الفائدة الأولى)، ومسألة العطف التي أطلق عليها (الفائدة الثالثة)

- **مسألة الفعل اللفيف**

في هذه المسألة بدأ الشيخ بإيراد أبيات ابن مالك كالآتي

إني أقول لمن ترجى شفاعته ... ق المستجير قياه قوه قي قين
وأن صرفت لوال شغل آخر قل ... ل شغل هذا لياه لوه لي لين
وإن وشى ثوب غير قلت في ضجر ... ش الثوب ويك شياه شوه شي شين
وقل لقاتل إنسان على خطإ ... د من قتلت دياه دوه دي دين
وإن هم لم يروا قولي أقول لهم ... ر الرأي مني رياه روه ري رين
وإن أمرت بوعي للمحب فقل ... إ من تحب إياه عوه عي عين
وإن أردت الونى وهي الفتور فقل ... ن يا خليلي نياه نوه ني نين
وإن أبى أن يفي بالوعد قلت له ... ف يا خليلي فياه فوه في فين
وقل لساكن قلبي إن سواك به ... ج القلب مني جياه جوه جي جين
وإن هم لم يعوا قولي أقول لهم ... ع القول ويك عياه عوه عي عين[1]

فهذه الأبيات تناولت الفعل اللفيف المفروق وعالجته من الناحية النحوية والصرفية، وقد تضمنت الأبيات عشرة أنواع منه وحسب استقصاء علماء اللغة لا يتجاوز الفعل اللفيف المفروق تسعة عشر صنفا، ولما اقتصر ابن مالك على الإتيان بعشرة منها أتى الشيخ بأبيات البدري التسعة تكملة للعدد المذكور، وهي:

وإن ترم تفسدن كيد الوشاة فقل ... ر الكيد مني رياه روه ري رين
وإن أردت سقوط العاذلين قلن ... ه يا أنيس هياه هوه هي هين
وإن أبى الحب ياتيني أقول له ... ت يا غزال تياه توه تي تين
وإن أرم قصد النفع قلت له ... خ نفع صب خياه خوه خي خين

(١) – المرجع نفسه، ص:٤٠ لم يقف الباحث على المنظومة، إلا أن الشيخ محمد بن علي بن حسين بن إبراهيم المالكي المكي أوردها في كتابه "تدريب الطلاب في قواعد الإعراب: تحقيق سليمان إبراهيم البلكيمي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة (بدون تاريخ) ص:٢٥٥

وإن بوصلي أبغي الخير قلت له ص من تعني صياه صوه صي صين
أما إذا رمت كتم السر قلت رشا ك ما أقَوَل كياه كوه كي كين
وإن أرم كتب شرح الحال منه أقل ح ما فعلت حياه حوه حي حين
وإن لإيمائه بالوصل أبغ أقل م إذ تصلني مياه موه مي مين
كذا أقول لحلاق الشعور فتى س شعر خلي شياه شوه شي شين[1]

وبعد إيراد الأبيات التسعة عشر، أورد الشيخ بيتين تضمنا جميع رموز الأفعال المذكورة وهي:

كن في هدى شرع سما صن عنه دوما من جحد
تهدي إلى رشد حلا قدرا له نصل خلد[2]
ج ج

وبعد التلخيص في البيتين شرع الشيخ في توضيح مضمون الأبيات بقوله:

الدرس في البيان على ما سبق.

اللفيف فعل ثلاثي من الأفعال السبعة عند علماء التصريف كما ذكر ذلك مولانا شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم نياس رضي الله عنه في "تحفة الأطفال" قال:

والأوجه السبعة في الأفعال فهاكها في البيت بالإجمال
صحيح مهموز مثال أجوف لفيف منقوص كذا مضعف[3]

وعلى هذا المنوال رتب ابن مالك رحمه الله أبياته العشر قائلا:

إني أقول لمن ترجى شفاعته ق المستجير قياه قوه قي قين

(١) – ذخائر الأنجاب، ص:٥، وهي موجودة في كتاب فرائد الفوائد الوافية لشرح ضابط الأفعال المركبة والحرفية، جمع مصطفى البدري، ص:١١، وكما أوردها الشيخ محمد علي المالكي في كتابه تدريب الطلاب في قواعد الإعراب، ص:٢٥٥

(٢) –ذخائر الأنجاب، ص:٥، وهي في كتاب تدريب الطلاب في قواعد الإعراب، ص:٢٥٤

(٣) – البيتان للشيخ إبراهيم انياس الكولخي، وهما من منظومته : "تحفة الأطفال في حقائق الأفعال"، وهما البيتا ١٦ و١٧، راجعهما في: "تقريب الرحال في حل رموز تحفة الأطفال في حقائق الأفعال"، للفقير إلى الله تعالى: عبد الله موسى دوظو، الناشر: المركز الثقافي الإسلامي-كدونا نيجيريا، ط/١، ٢٠٠٢م، ص:١١٢

وقوله: "ق" فعل أمر بصيغة المفرد مذكرا

وقوله: "قياه" فعل أمر بصيغة التثنية مذكرا أو مؤنثا

وقوله: "قوه" فعل أمر بصيغة الجمع مذكرا

وقوله: "قي" فعل أمر بصيغة المؤنثة المفردة

وقوله: "قين" فعل أمر بصيغة جمع الإناث

وعلى هذا فقس بقية الأبيات التي لابن مالك والبدري جزاهما الله ورحمهما.

وبعد هذا الشرح الوجيز نظم الشيخ الأفعال الواردة في أبيات ابن مالك والواردة في أبيات البدري مجردا الجميع، بصيغة المفرد مسندة إلى هاء الضمير. ومهد ذلك بقوله: "وقد جردت الجميع في تطبيقاتي بمجئ كل بصيغة المفرد مسندا إلى هاء الضمير فقلت:

رتب ابن مالك اللفيفات العشر ... وهي بحرف عند أمر تستطر
وقِ ولِي وشِ ودِ ورِ ... وأي ونِ وجِ وفِ وعِ
والبدري أكمل البقية ... إحاطة باللغة العربية
وري وهى وتى وخِ وصِ ... وكِ وحِ ومِ وسِ خذ نصا
ففاء كلمة ولامها حذف ... وعينها تبقى على ما قد عرف
مثل قِهِ لِهِ شِهِ ده رِه ... إه نه جه فه عه
ره هه ته خه صِه ... كه حه مه سه تم به
ها ها لفيفات أتت مفروفه ... لا غير في تي اللغة العربية
فراجع الأصول لترى المهارة ... من راسخين في العلوم القادة
فعشر أبيات من ابن مالك ... وتسعة للبدري فلتدرك[1]

وبعد إيراد هذه الأبيات التي تضمنت أبيات ابن مالك والبدري، وتطرقت أيضا إلى استقصاء اللغويين للفيف المفروق مما يدل على سعة باع المؤلف في الفن أتى بجدول رتب فيه الأفعال على صيغة الأمر وذلك

(١) – ذخائر الأنجاب، ص:٦

حسب الترتيب الهجائي. سالكا في ذلك نهج ابن جني[1] فقال:

"ملاحظة: لكي تتم فائدة هذا الباب رتبت هذه اللفيفات على الترتيب الهجائي لنشاهد الحروف التي لم تجئ بنية الفعل اللفيف المفروق بها، هل هي داخلة اللفيف المجموع أم فيهما معا"

حروف	ف المفروق اللفي	ف المقرون اللفي	حروف	ف المقرون اللفي	ف المفروق اللفي	ع بين اللفيفين
أ	وأى	–	ض	–	ضوى	
ب	–	–	ط	–	طوى	
ت	وتى	–	ظ	–	–	
ث	–	ثوى	ع	وعى	عوى	وعى – مفروق عوى – مقرون
ج	وجى	–	غ	–	غوى	
ح	وحى	–	ف	وفى	–	
خ	وخى	–	ق	وقى	–	
د	ودى	–	ك	زكى	–	
ذ	–	ذوى	ل	ولي	–	
ر	وري وري	–	م	ومى	–	

(١) –رتب ابن جني هذه الأفعال حسب حروف المعجم في كتابه "سر صناعة الإعراب"، تحت (فصل لإفراد الحروف في الأمر ونظمها على المألوف من استعمال حروف المعجم) راجع ج/٢، ط/١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ٢٠٠٠م، ص:٤٣٥

حروف	في المفروق اللفي	في المقرون اللفي	حروف	في المفروق اللفي	في المقرون اللفي	ع بين اللفيفين الجام
ز	–	–	ن	ونى	نوى	ونى – مفروق نوى – مقرون
س	وسى	–	ه	وهى	هوى	وهى – مفروق هوى – مقرون
ش	وشى	–	و	–		
ص	وصى	–	ي	–		

فبهذه الطريقة عالج الشيخ المسألة

- **مسألة العطف**

الفائدة الثالثة

في مواضع العطف على اللفظ أو المحل

هذه الفائدة جليلة القدر كثيرة الفوائد وإن كانت من المهامه التي ذكرت في المقدمة فشمر على ساق الجد، قلت:

مهامه فاشرعها بكل أسنة ونبل وبتار لصيد وحوشها

الموضع الأول: مجيئ المعطوف على اسم إن، نحو:

إن زيدا قائم وعمرا منطلق – تابعه على اللفظ بالنصب

وعمرو منطلق – تابعه على المحل بالرفع.

التطبيق

إن المدرسة بئروالطلاب عطاش – تابع على اللفظ بالنصب

والطلا بِعطاش – تابع على المحل بالرفع.

الثاني: مجيئ المعطوف على اسم "لا" نحو:

لا رجل في الدار وامرأة– تابعه على اللفظ بالنصب

وامرأةٌ– تابعه على المحل بالرفع

التطبيق

لا بخيل ممجدا ولا سخيا ممقوتا–تابع على اللفظ بالنصب

ولا سخيٌ ممقوتا– تابع على المحل بالرفع

الثالث: مجيئ المعطوف خبرا لـ "ما" نحو:

ما زيد قائما ولا قاعد– تابعه على المحل بالرفع

ولا قاعدا– تابعه على اللفظ بالنصب

التطبيق

ما زيد مصريا ولا عمرو يمنيا– تابع المحل بالرفع

ولا عمرا يمنيا– تابع اللفظ بالنصب

الرابع: مجيئ المعطوف فيما أضفته لمصدر. نحو:

عجبت من ضربك زيدا وعمرٍو وبكرا– تابعه على المحل بالرفع

وعمرو وبكرا– تابعه على اللفظ بالجر

التطبيق

فرحت من سخائك سعيدا وعامر محمودا– تابعه على المحل بالرفع

وعامرٍ محمودا– تابعه على اللفظ بالجر

الخامس: مجيئ المعطوف على اسم الفاعل. نحو:

زيد ضارب عمرو وبكرٍ– تابعه على اللفظ بالجر

وبكرا– تابعه على المحل بالنصب

السادس: مجيئ المعطوف على المجرور بـ "من" نحو:

ما من رجل في الدار وامرأةٍ– تابعه على اللفظ بالجر

وامرأةٌ تابعه على المحل بالرفع

التطبيق

ما من طالب في الفصل ولا طالبةٍ – تابع على اللفظ بالجر

ولا طالبة – تابع على المحل بالرفع

السابع: مجيئ المعطوف في نداء المفرد نحو:

يا زيد وعمرو – تابعه على اللفظ بالرفع

وعمرا – تابعه على المحل بالنصب

التطبيق

يا كتاب وقراء – تابع على اللفظ بالرفع

وقراءا – تابع على المحل بالنصب

استدراك

وهذا الوجه هو الوجه التاسع وإن كنت ذكرته في موضع الوجه الثامن تقديما وتأخيرا لوارد ورد لي أثناء هذا العمل يكون مسرا، وخاصة لنفس الجامع للفوائد، لأنه دائما ينشد عن من يأتيه بمثل هذه الذخائر من الأمداح لذلك وضعت الوجه الثامن مكان التاسع[1]

الوجه الثامن: مجيئ المعطوف على نداء جاء ندبة. نحو:

وا أمير المؤمنينا وقاعد الأعظم – بالرفع تابعه محلا

والقاعد الأعظم – بالنصب تابعه لفظا

التطبيق

وا رئيس جمهوريتنا ووزارة المعارف

ووزارة المعارف

النجدة النجدة فيما أصاب التقدم العلمي من ورطة قد وقع فيها.

التاسع: مجيئ المعطوف على اسم مرخم. نحو:

يا جعفِ وبكرا – تابعه على المحل بصيغة من ينتظر

(١) – هذا الاستدراك ليس من المؤلف، إنما هو ممن قام بتدوين المسائل وهو الشيخ محمد الأمين

وبكرٍ – تابعه على المحل بصيغة من ينتظر

يا جعفرُ وبكرٍ – تابعه على اللفظ بصيغة من لا ينتظر

وبكرِ – تابعه على المحل بصيغة من لا ينتظر

التطبيق

أحاول ذا التطبيق بالنظم مادحا لوالدة السبطين والآل محتدا

أفاطم والأخت الكريمة زينب بساحتكم متكفف يبتغي الجدا

أفاطم والأخت الكريمة رقية بساحتكم متكفف يبتغي الجدا

أتت أم كلثوم فريدة أهلها تجر بذيل العز يخضع فرقدا

علاكن لا يعلا علاه حقيقة بنات رسول الله حبي محمدا

أبا القاسم والإبرهام وطاهر ببابك خطي للرحال محمدا

وتقسم مشكورا على كل نعمة أتتنا من الوهاب من كل ما بدا

هنا منتهى المطلوب فامنن بمطلبي فحقق رجائي والمنى يا محمدا

وصل إلهي للنبي وآله وأصحابه والتابعين ذوي الهدى

حق قدره ومقداره العظيم

مظاهر الإبداع في الكتاب:

يتجلى الإبداع في الكتاب من ناحيتين؛ ناحية اختيار المسائل وجمعها في مكان واحد، وناحية عرضها وبسط القول عنها مع اختراع الأمثلة لها. أما من ناحية اختيار المسائل فإن المؤلف اختار مسائل صعبة يشكل إعرابها لدى الدارسين وخاصة في المعاهد التقليدية التي يجري التدريس فيها عن طريق الترجمة، ومعنى ذلك: يأتي كل طالب بالكتاب الذي يود أن يدرسه فيقرأه أمام الشيخ وهو يترجم له، فينحصر الدرس في كتاب واحد. أما هذه المسائل التي حررها الشيخ في هذا الكتاب فإنها موضوعات هامة وملتقطة من كتب نحوية مختلفة ومن أبواب متفرقة كما يثبت ذلك كل متخصص في الفن، وكما أكد ذلك من قام بتحقيقها وتقديمها بقوله: "وقد قمت بتحقيقها وتقديمها أمام إخواني الطلبة لكي تكون علا بعد نهل؛ لأن اجتياز هذه المهامه بمرة واحدة لا يجدي بوعي ما فيها من محتويات وديانها وبلاقعها وما إلى غير ذلك مما لا بد للطالب أن يعيها"[1] خذ على سبيل المثال مسألة العطف على اللفظ أو المحل، أوردها ابن مالك في ألفيته لكن مبثوثة في أبوابها غير ملفقة في مكان واحد؛ ذكر بعضها في باب إن وأخواتها، وبعضها في باب "لا" لنفي الجنس، وبعضها في باب إعمال المصدر، وبعضها في باب المنادى، فقام الشيخ عبد الله أويس بجمعها في مكان واحد وتقديمها إلى الطلاب بغية تسهيل صعابها.

(١) – ذخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب، ص:١

وأما من ناحية عرض المسائل فيظهر ذلك من أسلوب الشيخ في الشرح وإيراد الأمثلة التي بها تتضح المقاصد، ومحاولة استقصاء المسألة عن طريق الإتيان بما اتفق وما اختلف فيه نظما ونثرا. خذ على سبيل المثال عرضه لمسألة إعراب الجمل حيث قال: " أورد الشيخ في هذه الفائدة مسائل الجملة فذكر أنها تتنوع إلى ثلاثة أقسام:

النوع الأول: جملة لا محل لها من الإعراب؛ اسمية كانت أو فعلية

النوع الثاني: جملة اتفق النحويون على أن لها محل من الإعراب

النوع الثالث: جملة اختلف النحاة في كونها ذات محل من الإعراب أو العكس.

ثم ذكر أيضا أنها تنقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: التي ترد في محل الرفع

القسم الثاني: التي ترد في محل النصب

القسم الثالث: التي ترد في محل الجر

القسم الرابع: التي ترد في محل الجزم

ثم شرع في ذكر مسائل كل قسم فقال: "...القسم الأول وهو محل الرفع ترد الجملة فيه على تسعة أوجه، ستة منها باتفاق عند جميع النحويين وثلاثة باختلاف عندهم...مجيؤها في محل الرفع المتفق عليه عند جميع النحويين:

الأول: أن تقع خبرا للمبتدأ

الثاني: أن تقع خبرا لإن

الثالث: أن تقع خبرا لـ لا النافية

الرابع: أن تقع معطوفة عطف النسق

الخامس: أن تقع بدلا

السادس: أن تقع نعتا لمرفوع

الشروع في التطبيقات:

مجيئ الجملة خبرا لمبتدأ مفرد: زيد يقوم.

الشاهد من القرآن: "والله يعلم إنك لرسوله:

مجيئ الجملة خبرا لمبتدأ مثنى: زيدان يقومان.

الشاهد من القرآن: وهما يستغيثن الله ويلك آمن"

مجيئ الجملة خبرا لمبتدأ جمعا: زيدون يقومون.

الشاهد من القرآن: "ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون"

مجيئ الجملة خبرا لإن مفردا: إن زيدا ينام.

الشاهد في القرآن الكريم: "إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء"

مجيئ الجملة خبرا لإن مثنى: إن الزيدين يسافران إلى أبوجا غدا. لعل زينب وسلمى ينجحان أيام الامتحان لشدة اجتهادهما.

مجيئ الجملة خبرا لإن جمعا: إن الأموات ليعذبون ببكاء الحي عليهم.

الشاهد في القرآن الكريم: "ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" و قوله تعالى: "إنهم يكيدون كيدا"

مجيئ الجملة خبرا لــ لا النافية للجنس: لا عاقل يكره الولادة. لا بخيل يشكر. لا محسن يضيع.

مجيئ الجملة عطف النسق: معلمنا معلم نصوح وعلومه تتدفق كل لحظة.

جاري يبتكر إلى السوق وتجارته تتفوق.

مجيئ الجملة بدلا: تردد الناس في تسمية سياستنا العصرية هل يناسب أم يغير

مجيئ الجملة صفة لمرفوع: قال تعالى في القرآن الكريم: "من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه" لإعادة الضمير على "يوم".

فبهذا الأسلوب عالج الشيخ موضوعات الكتاب، وإن كان في بعض الموضوعات يمزج بين النظم والنثر كما فيما أسماه: (التطبيقات للجميع) وذلك عقب إيراد أنواع الجمل. أورد هذه القطعة، والأبيات:

- ظننت الأمير يأمر بإطلاق بعض المسجونين وأعلمته الرئيس يفد إلى ولايته آخر هذا الشهر، فقال إني ملئان فرحا وقام بخدمة الاستقبال ولا شيء يشغله من ذلك حتى غادر الرئيس الولاية.

أمولاي يا خير البرية ويا مأوى العفات بدون مرية
قصدتك والأماني ملء قلبي وأنت البحر فاملأ تي الركية
بكل روافد في تي وتلك فإنك قاسم في تي الخليقة

- قلت للضيوف الكرام كلوا أولكم وآخركم.
- أنا فرح بهذه الزيارة العطرة.
- ما عالم يبخل بعلمه إلا ألجم بلجام من نار يوم القيامة ثم طرح في النار.

تخاصم شخصان مما أدى بهما إلى مكتب الضابط وقالا جئنا لتقضي بيننا، فقال: إننا لا نقضي ولكن نصالح فإن تعذر فنرفع المشكلة إلى المحكمة فهناك القاضي فيقضي بينكما.

- كان عبد الرحمن غنيا وينفق الكثير من ماله للفقراء.
- وقف الغلام يبكي لضياع النقود التي أرسل بها.(١)

فبالرجوع إلى ما تقدم من ذكر منهج الشيخ وأسلوبه في عرض المسائل وبسطها، وفي إيراد الأمثلة يظهر إبداعه بوجه خاص والمعهد بوجه عام، في تناول المسائل النحوية والصرفية. كما تظهر قيمة الكتاب من خلال الموضوعات التي احتواها.

(١) – سكت الشيخ عن الثلاثة المختلف فيها، وهي: ١– الواقعة موضع المبتدإ، نحو: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. ٢– الواقعة في موضع الفاعل، نحو: يعجبني يقوم زيد. ٣– الواقعة في موضع نائب الفاعل، نحو قوله تعالى: "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض". ومنشأ الخلاف كما ذكر العلماء هو أن هشاما وثعلبا أجازا كون الفاعل ونائبه جملة مطلقا، أما الفراء وجماعة فقالوا: إن كان الفعل قلبيا ووجدا معلقا عن العمل صح وإلا فلا. راجع المسألة في كتاب تدريب الطلاب في قواعد الإعراب، ص: ٢٦٩

الخاتمة:

تناول المقال الحديث عن معهد الشيخ أويس وجهوده في البحث اللغوي ممثلا بكتاب "ذخائر الأنجاب في بعض مسائل الإعراب" الذي تم تأليفه بشكل جماعي. وتوصل المقال إلى:

- أن الشيخ عبد الله أويس تعمق في علوم اللغة، يشهد لذلك تناوله للمسائل المعروضة واستشهاده لها بالآيات والأحاديث.
- أن الطريقة التي سلكها الشيخ في تناوله للمسائل في الكتاب تساعد على حفظها وتخزينها في ذاكرة الطلاب
- أن البحث كشف عن مدى تأثر الشيخ عبد الله أويس بالشيخ محمد علي المالكي المكي في جمعه لمسائل الكتاب
- أن المعهد فريد من نوعه حيث اخترع طريقة فذة في إلقاء الدروس الجماعية للطلاب المتفوقين خلاف ما كان معهودا في المعاهد التقليدية.
- أن الكتاب جمع مسائل نحوية ذات الصلة بعضها ببعض، والتي لم تكن ملفقة في مكان واحد في الكتب النحوية.
- أن الكتاب قرب الفن وخاصة المسائل المذكورة حيث جمعها في مكان واحد مما جعلها سهلة التناول لدى الطلبة
- أن الكتاب يبشر بمستقبل باهر للدرس اللغوي ما دام أن أمثال هذه البحوث تصدر من المعاهد التقليدية.
- أن الكتاب اكتسب قيمته العلمية من الموضوعات التي تحدث عنها.

اللغة العربية وأهميتها في حفظ تاريخ العرب المسلمين

The Arabic Language and its Importance in Preserving the History of Arab Muslims

أ.م. د. نجلاء كريم مهدي

جامعة كربلاء – كلية العلوم السياحية –قسم الدراسات السياحية

محافظة كربلاء – العراق

Najlaa Kareem Mahdi

University of Karbala - College of Tourism Sciences - Department of Tourism Studies

اللغة العربية وأهميتها في حفظ تاريخ العرب المسلمين

أ.م. د. نجلاء كريم مهدي الجبوري

ملخص البحث:

إن عمق الصلة بين اللغة العربية والإسلام أضفى لها أهمية كبيرة؛ لإنها اللغة التي نزل بها كتاب الله عز وجل على رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما أنها عنصرا مهما للحفاظ على هوية العرب المسلمين، ومن هنا جاءت أهميتها في الحفاظ على تاريخ العرب المسلمين.

فمنذ العصور القديمة انتشرت اللغة العربية في أرجاء المعمورة وأصبحت اللغة الأم التي يتحدث بها أغلب سكان الأرض، فقد أصبحت المرآة العاكسة لتاريخ وحضارة العرب المسلمين

وارتبطت بمجمل حياتهم فهي لغة العلوم التي ابتكرها العرب والأدب والسياسة والثقافة فضلا عن كونها لغة الدين.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، تاريخ، العرب، الحضارة، العلوم.

Summary

The depth of the connection between the Arabic language and Islam has given it great importance، because it is the language in which the Book of God Almighty was revealed to His Noble Messenger Muhammad (may God's prayers and peace be upon him and his family)، and it is also an important element in preserving the identity of Muslim Arabs، and from here came its importance in Preserving the history of Arab Muslims.

Since ancient times، the Arabic language has spread throughout the world and has become the mother language spoken by most of the Earth's inhabitants. It has become a reflective mirror of the history and civilization of the Muslim Arabs.

It was linked to their entire lives، as it is the language of sciences invented by the Arabs، literature، politics، and culture، in addition to being the language of religion.

Keywords: Arabic language، history، .Arabs، civilization، sciences

المقدمة

انفردت اللغة العربية من بين جميع اللغات التي يتحدث بها سكان العالم المسلمون وغير المسلمون، بأنها لغة عالمية، إنسانية استوعبت جميع حضارات العالم العربية واليونانية والهندية والفارسية، فقد نزل بها القرآن الكريم وانتشرت بفضلها الرسالة الإسلامية، فهي المفتاح إلى الثقافة العربية والإسلامية، كونها أتاحت للشعوب كافة التعرف على حضارات الأمم.

فهي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون، وقد اتصلت بوساطتها كل الأجيال العربية جيلا بعد آخر ولمدة عصور طويلة، وقد نشرت الإسلام في ربوع المعمورة كما كان لها دورا كبيرا في نشر حضارته وثقافاته، وبها اتحد جميع العرب قديما وبها يتحدون اليوم من أجل أن يؤلفوا في هذا العالم أمة متوحدة تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانينها.

ان التعرف على أهمية ودور اللغة العربية في حماية التراث الثقافي، والهوية الحضارية، ومدى قدرة اللغة العربية في حفظ تاريخ العرب المسلون دفعنا للبحث في هذا الموضوع.

ولاتباع منهجية البحث العلمي فقد قسمنا البحث الموسوم "**اللغة العربية وأهميتها في حفظ تاريخ العرب المسلمين**" إلى مبحثين درسنا في المبحث الأول ماهية اللغة العربية، مفهومها، تعريفها وسماتها ووظائفها وتاريخها عبر العصور، في حين ضم المبحث الثاني أهميتها في المحافظة على تاريخ العرب المسلمون.

ولرصانة البحث فقد استعنا بالقرآن الكريم وبعض مصادر التاريخ التي لا غنى عنها للباحث.

المبحث الأول:

ماهية اللغة العربية ومراحل تطورها عبر العصور التاريخية

أولا: ماهية اللغة العربية:

ترجع أصول اللغة العربية إلى اللغة السامية[١] التي ترتبط ارتباطا وثيقا باللغة الآرامية [٢] والعبرية [٣] وقد انتشرت في العديد من أنحاء العالم، وفي شبه الجزيرة العربية، وتحدث بها أغلب سكان الوطن العربي، كما تحدث بها سكان المناطق المجاورة كجنوب السودان وإيران وتركيا وأثيوبيا وتشاد ومالي والسنغال والأحواز وأرتيريا.

(١) – اللغات السامية هي أحد فروع اللغات الأفروآسيوية . وهي فرع استقل تدريجيا ليشكل ما يفترضه اللغويون من لغة سموها اللغة السامية الأم .وتنسب هذه اللغة "للساميين" الذين ينسبون إلى سام بن نوح، علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١٩٥٩م ، ج١، ص٢٢٣.

(٢) – اللغة الآرامية : هي لغة سامية شرقية–أوسطية، انطلقت مع قيام الحضارة الآرامية في وسط سوريا وكانت لغة رسمية في بعض دول العالم القديم ولغة الحياة في الهلال الخصيب، كما تعد لغة مقدسة.، هو تعبير يشمل مجموعة من اللهجات والفروع الآرامية المكتوبة وغير المكتوبة، حيث يطلق على كل واحد منها تعبير "آرامية"، لكن الكثير منها لها أسماء "محلية" أيضا. ونشبه الآرامية بعنقود من العنب، حيث ان كل حبات العنقود هي آرامية لكن لكل حبة اسمها المحلي بالإضافة الى اسمها الآرامي. الشبلي ، أحمد ، مقارنة الأديان ، اليهودية ، ط٣، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٣، ص٤٦؛ الواسطي ، كاظم النصيري ، اهل البيت (ع) في الكتاب المقدس ، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٧.

(٣) – اللغة العبرية هي إحدى اللغات الكنعانية، ولهذا السبب تسمى "لغة كنعان، وسميت لأول مرة بالعبرية في مقدمة سفر حكمة يشوع بن سيراخ، كما تسمى بالعبرانية في العهد الجديد، فاللغة العبرية هي إحدى اللغات السامية الشمالية الغربية، وهي لغة القبائل العربية التي نزلت أرض ما بين النهرين. وإذا استثنينا اللغة المصرية القديمة فإنها أقدم اللغات السامية التي استطاعت أن توجد لنفسها شخصية مستقلة. مجمع الكنائس الشرقية، قاموس الكتاب المقدس، ط٦، مكتبة المشعل، بيروت، ١٩٨١م، ص٤٤؛ الشيرازي، محمد طاهر القمي (ت: ١٠٩٨ هـ)، كتاب الأربعين، تح: مهدي الرجائي ، ط١، مطبعة أمير، ١٤١٨ هـ، ص٣٥٨.

كما أنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحقاف:١٢].

فلغة العرب كما أشرنا سابقا هي لغة القرآن الكريم، لغة خالصة خالية من كل عيب، لا يخالطها لفظ عامي أو أعجمي، كما أنها ظاهرة إنسانية عامة، ميزالله بها الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى، وهي من نعم الله جل وعلا على بني آدم حيث قال تعالى في محكم كتابة الكريم: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الرحمن:٢-٤].

تعريف اللغة:

وقد عرفها العديد من العلماء ومنهم ابن سيده حيث قال " انها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وهذا حد دائر على محدوده محيط به لا يلحقه خلل إذ كل صوت يعبر به عن المعنى المتصور في النفس لغة وكل لغة فهي صوت يعبربه عن المعنى المتصور في النفس وأما وزنها وتصريفها وما تحلل إليه من الحروف وتتركب عنه فهي فعلة مركبة من ل، غ، و، ه "(١).

أما ابن منظور فقد عرفها: " اللسن، وحدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت أي، تكلمت، أصلها لغوة ككرة وقلة وثبة، كلها لاماتها واوات، وقيل: أصلها لغي أو لغو، والهاء عوض، وجمعها لغى مثل برة وبرى، وفي المحكم: الجمع لغات ولغون "(٢).

وقد ذكر ابن خلدون مميزات اللغة العربية بقوله: " الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظا وعبارة من جميع الألسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم " أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا "(٣).

امتازت اللغة العربية بمميزات اختلفت عن غيرها من اللغات الأخرى ، وقد انفردت عن باقي اللغات بعدة نواحي منها الناحية التاريخية ، والدينية والثقافية ، واللغوية ، والحديث يطول هنا عن خصائص اللغة العربية إلا أننا نوجز بعضا من تلك الخصائص فالخصائص اللغوية تتمثل بأنها لغة

(١) – علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨ هـ) ، المخصص ،تح: لجنة احياء التراث ، بيروت ، ج١،ق١، ص٦
(٢) – ابن منظور،جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، تح: عامر احمد حيدر، ط١، مط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ، ج١٥،ص٢٥٢؛ الزبيدي ، محب الدين أبو فيض (ت: ١٢٠٥هـ)،تاج العروس ، تح : علي شيري ، دار الفكر العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ،ج١،ص٥.
(٣) – ابن حنبل ، أحمد (ت: ٢٤١هـ) ، مسند أحمد ، بيروت ، ج ٢، ص٢٥٠؛ عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ) ، تاريخ ابن خلدون ،ط٤، دار إحياء التراث ، بيروت ، ج١، ص٥٥٦.

الضاد التي يعتقد العرب أنها اللغة الوحيدة التي تحتوي على حرف الضاد ، كما أنها تميزت عن باقي اللغات بأنها تحوي ٢٨ حرفا وتكتب من اليمين لليسار ومن الأعلى للأسفل، أما من الناحية التاريخية فهي تعد من بين اللغات السامية القديمة التي حافظت على أصالتها ذلك لأن سكان الجزيرة العربية ضلوا منحصرين فيها ولم تتعرض لغتهم للاختلاط ببقية الألفاظ ، فضلا عن أنها وكما ذكرنا سابقا كانت لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وكانت وسيلة لحفظ التراث العقائدي والثقافي للأمة العربية الإسلامية فضلا عن أنها كانت اللغة الطقسية لعدد من الكنائس المسيحية في العالم العربي [١].

أصل اللغة وتاريخها:

وعن أصل اللغة العربية وتاريخ تطورها فيرجح بعض العلماء أن يعرب[٢] كان أول من تكلم باللسان العربي، وقد سميت العربية على اسمه، وهناك العديد من الآراء التي تقول بأن أصل اللغة العربية يعود إلى العرب عامة ، في حين أن هناك العرب العاربة [٣]، والعرب المستعربة وهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، أما الأحاديث المتواترة فتؤكد أن نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام هو أول من فتق لسانه بالعربية المبينة، فعن محمد بن علي بن الحسين ، عن آبائه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **" أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل، وهو ابن أربع عشرة سنة "** [٤].وتذهب بعض الآراء للقول بأن العربية كانت لغة نبي الله آدم عليه السلام .

---

(١) – المصيلي ، عبد العزيز بن إبراهيم ، من خصائص اللغة العربية ، الجمعية العلمية السعودية للغة العربية ، الرياض ، ٢٠٠٨م ، ص ٨.

(٢) – يعرب بن قحطان بن عابر : أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى ، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعناهم .
وهو أبو قبائل اليمن كلها . وبنوه العرب العاربة . يقول رواة الاخبار في سيرته ولي إمارة صنعاء بعد موت أبيه ، وغزا" الآشوريين " في العرق وبابل ، ففاز بغنائم وافرة ، وعاد إلى اليمن فصفا له ملكها ، وحارب العمالقة ، وكانوا أصحاب الحجاز ، فغلبهم عليه . ويقال : إنه هو وأبوه أول من دعا العرب إلى الاحتفاظ بأساليب لغتهم بعد أن دخلتها لغات الأمم الثانية . قال وهب بن منبه :" يعرب أول من قال الشعر ووزنه ومدح ووصف وقص وشبب " مات بصنعاء بعد أبيه بنحو ثلاثين عاما ، ابن خلدون ، تاريخ ، ج٢، ص٣١؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٨، ص١٩٢.

(٣) – وهم قبائل كثيرة منهم: عاد، وثمود، وجرهم، وطسم وجديس، واميم، وجاسم، وقحطان، وبنو يقطن، وغيرهم

(٤) – ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تح: علي شيري ، ط١، دار إحياء التراث ، ١٤٠٨هـ، ج١،ص٢٢١؛ المناوي ، (ت: ١٠٣١هـ) ، فيض القدير وشرح الجامع الصغير ، تح: احمد عبد السلام ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٢٠٣.

إلا أن أغلب مصادر اللغة العربية والآثار والتاريخ تؤكد بأن اللغة العربية بجميع لهجاتها انبثقت من اللهجات التي تسمى بلهجات شمال جزيرة العرب القديمة ، أما لغة جنوب جزيرة العرب فتختلف عن اللغة العربية الشمالية التي انبثقت منها اللغة العربية ، ولا يربطها بالعربية سوى أنها من اللغات السامية والدليل أن التصرف في النص القرآني ، نشأ من الاختلاف في اللهجات لدى القبائل العربية ، التي ربما بلغ اختلافها حدا يجعلها كأنها لغة أخرى ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء : **" ما لسان حمير ، وأقاصي اليمن بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا "** (١).

يرى بعض العلماء أن التحدث باللغة العربية كلغة رسمية ابتدأ منذ الألفية الأولى قبل الميلاد

وأصبحت اللغة الرسمية في شمال شرق الجزيرة العربية وجنوب الشام، سميت اللغة العربية قبيل ولادة الإسلام ب (لغة مضر)، وقد استخدمت في شمال جزيرة العرب، بينما كانت تسمى اللغة العربية الجنوبية ب (لغة حمير) (٢).

المبحث الثاني

أهمية اللغة العربية في المحافظة على تاريخ العرب المسلمين.

كان للغة العربية فضلا كبيرا في الحفاظ على تاريخ العرب المسلمين ونجد ذلك جليا في أقوال العلماء العرب وحديثهم عن أهمية تلك اللغة التي حفظت تاريخهم من التشويه والانقراض والتدليس، **فاللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، ومالا يتم الواجب إلا به، فهو واجب "** (٣) ، فتعلم اللغة العربية واجب ، إذ على الفرد أن يتعلم قواعدها تعليما جيدا لكي يستطيع أولا إقامة الصلاة ومعرفة دينه جيدا ، وقد ذكر الخليفة عمر بن الخطاب قائلا: **" تعلموا العربية فهي من دينكم "** (٤) ، وقد أوصى أبا موسى الأشعري قائلا: **" أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فهو عربي "** (٥) وهذه دعوة لتعلم العربية وتعلم

(١) – العاملي ، جعفر مرتضى ، حقائق هامة حول القرآن الكريم ، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ،١٤١٠هـ ، ص٢٣٦.

(٢) – المصيلي ، من خصائص اللغة العربية ، ص ٨.

(٣) – المناوي ، فيض القدير ، ج٦، ص٥٠.

(٤) – البيهقي ، أحمد بن الحسن (ت: ٤٥٨ هـ) ، السنن الكبرى ، دار الفكر ، بيروت ، ج٢, ص١٨.

(٥) – ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥ هـ) ، المصنف ، تح: سعيد اللحام ،ط١، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ، ج٦،ص١٢٩.

السنة ، وإدراك فقه الأعمال ، وقد ذكر الإمام الشافعي أهمية اللغة العربية بقوله: **" ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب "** (١)

من النصوص السابقة يمكننا إدراك مدى أهمية اللغة في الحفاظ على هوية وتاريخ العرب المسلمين، كما كان للغة العربية أهمية بالحفاظ على وحدة الأمة الثقافية، كما تعد من أهم مظاهر حضارة العرب إذ ربطت حاضر الأمة العربية الإسلامية بتاريخها وتراثها الماضي، فلولا اللغة العربية ما احتفظ العرب بثقافتهم التي تعرفنا عليها من خلال أساطيرهم ومعتقداتهم وطقوسهم وأشكال المعارف والعلوم التي خلفها لنا السلف فاللغة العربية هي التي حفظت هذا الإرث من الاندثار والزوال، بل والأكثر من ذلك فقد نقلته للأجيال اللاحقة(٢).

لقد حرص العرب في الجاهلية على الاعتزاز بتاريخهم وتراثهم وحضارتهم فكانوا يعقدون الندوات الأدبية في الأسواق ليتباروا فيما بينهم بإلقاء الخطب والأشعار التي كانت مرآة عاكسة لتاريخهم ، وكانوا يحرصون كل الحرص على إجادة اللغة العربية في أشعارهم وخطبهم ، وقد دأبوا على الاستمرار بعقد تلك الندوات لنشر لغتهم وثقافتهم وتاريخهم بين القاصي والداني ، ومن أبرز تلك الندوات هي التي كانت تعقد في سوق عكاظ الذي يقع بين النخلة والطائف بأعلى نجد وكان يقام في ذي القعدة ، وينزله قريش وسائر العرب وبه كانت مفاخرة العرب ، وحمالاتهم ، ومهادنتهم (٣) .

لقد ارتكزت الحضارة العربية الإسلامية على اللغة العربية بصورة جلية، ذلك لأن اللغة العربية قبل نزول القرآن وقبل انتشار الإسلام كانت لغة شعر ونثر، لا تتجاوزهما إلى إبداعات أخرى أو فنون متعددة ، لكن نزول القرآن الكريم بالعربية دون غيرها من اللغات أهلها لأن تصبح لغة حضارة اعتمدت على العلوم والأفكار والأدب فكانت لغة تنتقل إليها حضارات الهند واليونان وعلوم العصر المنتشرة في القرن السادس الميلادي .

(١) – الراغب الأصفهاني (ت: ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داوودي، ط٢، قم، ١٤٢٧هـ، ص٣٤؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت: ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء، تح: محمد العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ ، ج١٠، ص٧٤.

(٢) – الدغيثر ، عبد العزيز بن سعد ، نشأة اللغة العربية وتطورها وثباتها أمام التحديات، بحث منشور على شبكة الانترنت ، تاريخ الولوج ٢٠٢٣/١١/٢٨م.

(٣) – اليعقوبي ، ج١، ص٢٧٠.

إن التطور الهائل للغة العربية بفضل هذه الثقافات العالمية المتعددة أدى الى أبداع علماء العرب من مختلف الأجناس ، والألوان فأحدثوا علوما رائعة أسست لحضارة عالمية متقدمة أصبحت رافدا زاخرا للحضارة الإنسانية العالمية المعاصرة والدليل على ذلك قول أحد المستشرقين: **" لولا الحضارة العربية والإسلامية لتأخرت الحضارة العالمية المعاصرة عدة قرون"**، فاللغة العربية تمكنت من استيعاب الحضارات العالمية السابقة عليها. وإبداع علوم وفنون جديدة أصبحت عماد ولسان هذه الحضارة(١).

فاللغة العربية كانت ولا تزال حافزا لإنتاج العلوم والمعارف ونشرها، فهي مفتاح حضارة الشعوب، إذ أنها أسمى اللغات وأكثرها انتشارا، كما أنها تعد من مقومات كينونة الأمة وشخصيتها، فقد سجلت وعلى مر العصور أفكارا وثقافة وتاريخ الامة، وقد أدى المسلمون العرب دورا كبيرا في نشر ثقافتهم ولغتهم فقد حرصوا على إنشاء علوم اللغة وذلك لإحيائها والحفاظ عليها (٢).

اهتم العرب المسلمين بلغتهم العربية وتحديد ألفاظها، فقد ألفوا العديد من المعاجم اللغوية والنحوية، وهذا ساهم بالتأكيد في رصانة اللغة العربية وتفردها عن باقي اللغات بالجودة والأصالة وبالتالي ساهم ذلك في جعل اللغة وسيلة وأسلوبا مهما في الحفاظ على تاريخهم (٣).

يرى العلماء أن اللغة العربية أصل الازدهار الحضاري والمعرفي، ومنطلق نهوض الأجيال، فكانت وما تزال وطنا للعلوم الإنسانية والطبيعية في كافة مجالاتها، وكانت حركة التعريب(٤) هي الأخرى وجها من وجوه النهوض الحضاري للأمة العربية، فقد شهد العصر الأموي أكبر عملية تعريب فقد كان للأمويين دورا في إرساء أسس التراث العلمي فقد أصبحت اللغة العربية آنذاك اللغة الرسمية للبلاد ، وبفضل اللغة العربية تطورت الحركة العلمية وساد الانفتاح الحضاري بين حضارة المسلمين وحضارات الغرب ، فضلا عن ازدياد حركات الفتوح الإسلامية في معظم أرجاء المعمورة مما أسهم في انتشار اللغة العربية في العديد من البلدان التي دخلت الإسلام وتمكنت من التعرف على تاريخه وحضارته ، كما كان لحركة الترجمة أثرا كبيرا في تعرف العرب المسلمين على نتاج الدول المتقدمة علميا فأصبحت كل العلوم مترجمة إلى العربية ،

---

(١) – يحيى، توين مرتضى، أثر العربية في ثقافة المسلمين، مجلة: إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، ماليزيا: دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، ٢٠٠٧م.

(٢) – يحيى، أثر العربية في ثقافة المسلمين.

(٣) – العمايرة، محمد حسن، الفكر التربوي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان، ٢٠٠٠م ، ص٢٩.

(٤) – التعريب يقصد به النقل الى العربية من لغة أخرى وهو مصدر الفعل عرب أي هذبه من اللحن ، ابن منظور، لسان العرب ، ج١، ص ٥٨٩.

حيث فتح المسلمون البلاد المعمورة بإيمانهم وعزيمتهم الراسخة ، فاعتنق الإسلام أمم كثيرة كانت لهم حضارات عريقة وديانات مختلفة ، فأدى ذلك إلى احتكاك المسلمين بهم ، وكانت نتيجته انتقال الفلسفة اليونانية والفارسية إلى العواصم الإسلامية ، ونشطت من خلالها حركة الترجمة والتعريب ، فترجمت كتب فلسفية كثيرة تحمل طابع الفلسفة اليونانية والرومانية والفارسية في طياتها ، وهذه الحركة قد تركت خيرا كثيرا ، حيث اطلع المسلمون من خلالها على العلوم الطبيعية والرياضية ، والفلكية ، وما وراء الطبيعة ، وشكل ما ورثوه عن طريق الترجمة فيما بعد النواة الأولى لإرساء قواعد هذه العلوم وإكمالها ، حتى تألق نجم العلم في المشرق الإسلامي ، وصار مركزا ومحطا يقصده رواد العلم والمعرفة من كل حدب وصوب [١] .

كما ساهمت حركة تدوين[٢] العلوم والمعارف على انتشار الإسلام بين الأمم الأخرى التي عملت على نقل تواريخ وحضارة أممهم الى العرب وبالعكس، كما ألف بعض العلماء كتبا عن تاريخ ومغازي الرسول والفتوحات الإسلامية ومن أبرز هؤلاء المؤرخين الزبير بن العوام [٣]، ووهب بن منبه [٤] وغيرهم.

(١) – السبحاني ، جعفر، رسائل ومقالات ، ط١، مؤسسة الإمام الصادق ، قم ، ١٤١٩هـ، ٤٧٩ .

(٢) – التدوين يعني التصنيف الذي معناه محاولة المؤلف أن يركن إلى وحدة الموضوع وقد وجدنا ذلك في قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لجابر بن عبد الله الأنصاري (اذهب فصنف تمرك أصنافا ثم اعلمني) أي أن التدوين لم ينقطع عند زمن معين ولا يحده عنوان وهذا يدل على أن التدوين هو من الفعل دون أي كتب ، انظر: الكوفي ، محمد بن سليمان (ت: ٣٠٠ هـ) ، مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع) ، تح: محمد باقر المحمودي ، مطبعة النهضة ، قم ، ١٤١٢ هـ) ، ج١،ص٨٦.

(٣) – الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي ، أبو عبد الله : الصحابي الشجاع ، ولد سنه ٢٨قبل الهجرة ، من العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سل سيفه في الإسلام . وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وله ١٢ سنة . وشهد بدرا وأحدا وغير هما. وكان على بعض الكراديس في اليرموك، توفي سنة ٣٦ هـ انظر: المزي ، جمال الدين أبي الحجاج (ت: ٧٤٢ هـ)،تهذيب الكمال ، تح: بشار عواد ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ، ج١٦، ص٤٠٤ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٤٣

(٤) – وهب بن منبه الا بناوي الصنعاني الذماري ، أبو عبد الله : مؤرخ ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات . يعد في التابعين . أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، ولد سنة ٣٤ هـ ، توفي سنة ١١٤هـ، انظر : ابن حجر ،شهاب الدين احمد (ت: ٨٥٢هـ) ، ط١، دار الفكر ، ١٤٠٤هـ ، تهذيب التهذيب ، ج١١، ص١٤٧؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ،بيروت ، ١٩٨٠م، ج٨، ص ١٢٥.

إن حركة التدوين بدأت تتسع في الشطر الأخير من عصر الصحابة ولكنها لم تنتشر بين المسلمين إلا في أوائل القرن الثاني حينما أمر عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث وتدوينه، وقال : "**انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) أو سنة ماضية فاكتبه فإني خفت ، دروس العلم وضياعه** [١] " ، نستشف من الحديث الآنف الذكر مدى أهمية عملية التدوين في حفظ تاريخ وتراث المسلمين .

ولا يخفى أن السرعة التي تحققت بها الفتوحات الإسلامية ، وامتداد الدولة العربية الإسلامية من جبال البرانس (الحدود الفرنسية الإسبانية) إلى حدود الصين، حاملة راية الإسلام، أشعر العرب بالانبهار والافتخار بسلامة نهجهم ، كما أشعرهم بأن لهم دورا رياديا في التاريخ العالمي، فأخذوا بجمع وتحقيق عناصر هذه التجربة الكبرى التي كان لهم شرف حملها وتبليغها للعالمين ، فكان ذلك مدعاة لعنايتهم بالتاريخ ، والذي شجعهم على ذلك تمكنهم وإجادتهم للغة العربية ، ومن هنا يمكن القول أن التاريخ العربي نما نموا طبيعيا جاءت به إلى الوجود حاجات المجتمع وتتجلى به خصائص خاصة [٢].

والمعنى المهم في هذا أن عملية التدوين التاريخي نشأت مستقلة تمام الاستقلال لا في موضوعها واهتماماتها ورجالها فحسب، ولكن حتى في تقويمها الخاص عن تواريخ الأمم الأخرى. نشأت في إطار الإسلام نفسه ومن أجله، أي على أساس فكري جديد ومنطق جديد، ولم يكن الإخباريون من العرب، عالة في ذلك على مؤرخين أي أمة، ومن خلال هذه القاعدة كان انطلاق عملية التدوين التاريخي عند العرب [٣].

عمد العرب للاهتمام باللغة العربية بسبب محاولة الأجانب الذين أضلهم الإسلام بالتفاخر على العرب بتاريخهم وأمجادهم فرد العرب عليهم بأن دونوا تاريخهم ليستطيعوا الوقوف بإزاء تفاخر الأجنبي بتاريخه، وقد أظهروا بفضل اللغة العربية لأبنائهم وغيرهم من الأمم أنهم، وإن كانوا حديثي عهد بالحضارة، إلا أنهم ليسوا أقل من الأمم الأخرى مجدا ومكانة [٤].

---

(١) – الحسني ، هاشم معروف ، دراسات في الحديث والمحدثين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٢٦.

(٢) – الخالدي ، طريف ، دراسات في تاريخ الفكر العربي الاسلامي ، بيروت، ١٩٧٧، ص٣٧؛ صبحي ، أحمد محمود ، في فلسفة التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب ، ص٨١.

(٣) – أدهم ، علي، بعض مؤرخي الاسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الكويت ، الكويت ، ١٩٧٤م ، ص٣٤.

(٤) – نصار،حسين ، نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، ط٢، منشورات اقرا ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص١٦.

فلولا اللغة والتي هي معجزة الله التي أنزلها في كتابه الكريم، لما استطاع العرب حمل راية الإسلام ونشرها في أرجاء العالم، فلغة القرآن الكريم وحدت العرب واستعربت جميع الشعوب التي كانت تقطن في شمال أفريقيا وغرب آسيا، فدخول تلك الشعوب للإسلام وحد لغتهم ودينهم وحفظ لهم تاريخهم وتراثهم.

كما اشترك علماء وأدباء شمال أفريقيا وغرب آسيا إلى جانب الفرس الذين دخلوا إلى الدين الإسلامي في شرح علوم اللغة العربية وآدابها، وحرصوا قدر المستطاع على احتفاظ اللغة العربية بجوهرها، ومرت دهور طويلة وما تزال لغة العرب محافظة على خصائصها من ألفاظ وتراكيب ونحو وأدب وصرف، فكانت اللغة العربية أساسا لكل اللغات الإعرابية التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية، كما كانت في الوقت نفسه أساسا للغات شعوب حميروبابل وآرام والحبشية[1].

مما لا شك فيه أن اللغة العربية أصبحت وبكل جدارة وسيلة للتعارف بين بني البشر ، هذا بفضل ثبات أصولها وجذورها وبفضل مميزاتها وخصائصها التي امتازت بها عن غيرها من اللغات ، وبذلك أصبح للغة العربية شانا كبيرا وقيمة عظمى في حياة الأمة العربية ، فهي التي نقلت ثقافة العرب ومنجزاتهم وحضارتهم وتاريخهم عبر قرون طويلة فبها اتحد العرب ، والتقت شعوبهم وتوحدت أهدافهم وجعلوا القرآن الكريم عنصرا جوهريا في تربية شعوبهم فكريا وخلقيا، فاللغة العربية شكلت جانبا مهما وأساسيا في حياة أبناء الأمة العربية وأصبحت من أهم مقومات حياتها وكيانها ، فضلا عن أنها حملت ثقافة العرب ورسالتهم ، وأصبحت سبيلا لمعرفة شخصية العرب ، وهي الأداة التي سجلت منذ أبعد العهود أفكارهم وأحاسيسهم . وهي البيئة الفكرية التي عاش فيها العرب، وحلقة الوصل التي ربطت ماضي العرب بحاضرهم ومستقبلهم، وقد مثلت خصائص الأمة، وكانت عبر التاريخ مسايرة لشخصيتها، تقوى الأمة العربية إذا قويت لغتها، وتضعف إذا ضعفت. لقد أصبحت اللغة العربية لغة تحمل رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها.

الخاتمة:

(١) – الدغيثر، عبد العزيز بن سعد ، نشأة اللغة العربية وتطورها وثباتها أمام التحديات، بحث منشور على شبكة الانترنت ، تاريخ الولوج ٢٠٢٣/١١/٢٨م.

١- يعود الفضل الكبير للغة العربية في الحفاظ على تاريخ وحضارة العرب المسلمين، ويكفي العرب فخرا أن كتاب الله عز وجل نزل باللغة العربية الفصحى، وقد تكرر الإقرار بنزول آيات القران الكريم بتلك اللغة لحكمة التبين والتدبر المحكم.

٢- شكلت اللغة العربية محورا أساسيا من محاور بناء الأمة الإسلامية، وعاملا مهما في بناء هوية العرب، فاللغة العربية هي التعبير الفعلي للقوة التي تستند إليها كل حضارة تريد لنفسها البقاء، ومن هنا لا بد لنا من تطوير اللغة العربية التى نزل بها وكرمها القرآن الكريم، والاستفادة منها في نقل العلوم وتقبلها لتضفي الجديد المتجدد على لغتنا العربية الجميلة.

٣- كانت اللغة العربية ولا تزال مظهرا من أهم مظاهر الحضارة الانسانية، وأقوى صلة ربطت حاضر الأمة العربية بتراثها الغابر، وماضيها المجيد كوسيلة مهمة للتعبير عن التراث الثقافي، وجزء لا يتجزأ من الإرث الثقافي والفكري للشعوب الأصيلة.

٤- حفظت اللغة العربية ونقلت عددا من أشكال التعبير الثقافي كأشكال المعارف، والمهارات التقليدية المختلفة، والمعتقدات، والأساطير، والطقوس، والقصص والحكايات الشعبية، وشكلت أهمية خاصة للتراث الثقافي، والحضارة العربية بوصفها إحدى مقومات الهوية العربية.

٥- أدت اللغة العربية دورا رياديا على مر العصور في الحفاظ على مقومات الأمة العربية وهويتها الحضارية، فكانت وسيلة أكثر تأثيرا لحفظ التراث الثقافي العربي من الاندثار والزوال، كما أصبحت أداة لنقل التراث والتعريف به على نطاق واسع، وتمريره للأجيال القادمة.

المصادر

-القرآن الكريم:

البيهقي ، أحمد بن الحسن (ت: ٤٥٨ هـ) .

١- السنن الكبرى ، دار الفكر ، بيروت .

ابن حجر ،شهاب الدين أحمد (ت: ٥٨٢ هـ) .

٢- تهذيب التهذيب ، ط١، دار الفكر ، ١٤٠٤ هـ .

ابن حنبل ، أحمد (ت: ٢٤١هـ) .

٣- مسند أحمد ، بيروت .

ابن خلدون عبد الرحمن (ت: ٨٠٨ هـ) .

٤- تاريخ ابن خلدون ،ط٤، دار إحياء التراث .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨ هـ).

٥- سير أعلام النبلاء، تح: محمد العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣ هـ .

الراغب الأصفهاني (ت: ٤٢٥ هـ).

٦- مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داوودي، ط٢، قم، ١٤٢٧ هـ .

الزبيدي ، محب الدين أبي فيض (ت: ١٢٠٥ هـ).

٧- تاج العروس ، تح : علي شيري ، دار الفكر العلمية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ .

ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد(ت: ٢٣٥ هـ) .

٨- المصنف، تح: سعيد اللحام ،ط١، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ .

الشيرازي ، محمد طاهر القمي (ت: ١٠٩٨ هـ) .

٩- كتاب الأربعين ، تح: مهدي الرجائي ، ط١، مطبعة أمير، ١٤١٨ هـ.

علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨ هـ) .

١٠- المخصص ،تح: لجنة إحياء التراث ، بيروت .

ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤ هـ) .

١١- البداية والنهاية ، تح: علي شيري ، ط١، دار إحياء التراث ، ١٤٠٨ هـ.

الكوفي ، محمد بن سليمان (ت: ٣٠٠ هـ) .

١٢- مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع) ، تح: محمد باقر المحمودي ، مطبعة النهضة ، قم ، ١٤١ هـ

المزي ، جمال الدين أبي الحجاج (ت: ٧٤٢ هـ).

١٣- تهذيب الكمال ، تح: بشار عواد ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣ هـ.

المناوي ، (ت: ١٠٣١ هـ).

١٤- فيض القدير وشرح الجامع الصغير ، تح: أحمد عبد السلام ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

ابن منظور ،جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١٣١١م) .

١٥- لسان العرب ، تح: عامر أحمد حيدر ، ط١، مط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ.

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت: ٢٨٤ هـ) .

١٦- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، بيروت .

المراجع:

أدهم ، علي.

١٧- بعض مؤرخي الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الكويت ، الكويت ، ١٩٧٤م

الحسني ، هاشم معروف .

١٨- دراسات في الحديث والمحدثين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ.

الخالدي ، طريف .

١٩- دراسات في تاريخ الفكر العربي الإسلامي ، بيروت، ١٩٧٧.

الدغيثر، عبد العزيز بن سعد .

٢٠- نشأة اللغة العربية وتطورها وثباتها أمام التحديات، بحث منشور على شبكة الانترنت ، تاريخ الولوج ٢٠٢٣/١١/٢٨م.

الزركلي ، خير الدين .

٢١- الأعلام ، دار العلم للملايين ،بيروت ، ١٩٨٠م.

الشبلي ، أحمد .

٢٢- مقارنة الأديان ، اليهودية ، ط٣، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٣.

صبحي ، أحمد محمود .

٢٣- في فلسفة التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب .

العاملي ، جعفر مرتضى .

٢٤- حقائق هامه حول القرآن الكريم ، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ،١٤١٠هـ .

علي ، جواد .

٢٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١٩٥٩م .

العمايرة، محمد حسن.

٢٦- الفكر التربوي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان، ٢٠٠٠م .

مجمع الكنائس الشرقية.

٢٧- قاموس الكتاب المقدس ، ط٦، مكتبة المشغل ، بيروت ، ١٩٨١م.

المصيلي ، عبد العزيز بن إبراهيم .

٢٨- من خصائص اللغة العربية، الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، الرياض ، ٢٠٠٨م .

الواسطي ، كاظم النصيري .

١- اهل البيت (ع) في الكتاب المقدس ، ط١، ١٩٩٧م .

يحيى، توين مرتضى.

٢- أثر العربيةِ في ثقافة المسلمين، مجلة: إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمةِ الإسلاميةِ، ماليزيا: دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، ٢٠٠٧م.

آليات تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها.

سليمة بوغرارة: طالبـة دكتوراه

جامعة عباس لغرور – خنشلة - الجزائر

البريد الإلكتروني: salima.bougherara@univ-khenchela.dz

الهاتف : ٠٦٦٢٩٣٦٣٤٩ // ٠٦٦٠٦٦٧٤٩٨

الأستاذة المشرفة: د- سهيلة لعور- أستاذة محاضرة – أ-

جامعة عباس لغرور – خنشلة - الجزائر

البريد الإلكتروني: souhila.laour@univ-khenchela.dz

آليات تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها – الباحثة سليمة بوغرارة: – د- سهيلة لعور

ملخص البحث:

اللغة العربية هي اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى :"وإنه لتنزيل رب العالمين ،نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين" الشعراء ١٩٥، بفضلها تبني الأمم صرحها ،وتقيم حضارتها وتمد جسور التواصل بين الناس وقد كان للفتوحات الإسلامية دور كبير في نشر الإسلام ومن ثم نشر اللغة التي جاء بها وهي العربية حيث أقبل أهالي البلاد المنفتحة على تعلم اللغة العربية مما جعل منها لغة عالمية لكن في ظل التطورات الحديثة وجب وضع مناهج وطرائق تدريس دقيقة ومنظمة من أجل تعليمها في المدارس والمعاهد للناطقين بغيرها وعليه يتبادر إلى أذهاننا العديد من التساؤلات منها :

وهل يمكن تطبيق المناهج الحديثة في تدريس اللغة للناطقين بها على غير الناطقين بها ؟

الكلمات المفتاحية : آليات ــ تدريس ــ اللغة العربية ــ الناطقين بغير العربية

مقدمة:

اللغة العربية من أعظم اللغات فهي التي نزل بها القرآن الكريم ببلاغته التي أبهرت جهابذة العلم والفصاحة وببيانه المعجز الذي سحر العقول قبل القلوب ومنذ تاريخ الفتوحات الإسلامية، بدأت العربية تحلق في آفاق المعمورة حيث اتجهت عناية المسلمين نحو نشر الثقافة العربية والدين الإسلامي وذلك لم يتم إلا عن طريق وسيلة للتواصل فكانت اللغة العربية هي الأداة الفعالة وحتى تعظم مكانة اللغة العربية وتنتشر في العالم أجمع وخاصة مع دخول الكثير من الأجانب للإسلام وجب وضع أساليب ومناهج متطورة تواكب التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل من أجل تلقينها لغير الناطقين بها لأن مناهج تعليم اللغة لغير الناطقين بها في العصور الأولى تختلف عن تلك المعتمدة في العصور الحديثة إذ كان لزاما بعد توسيع الرقعة الجغرافية الإسلامية وانتشار الدين فهم لغة الدين لأنها أداة الحوار والاندماج في الدين الجديد وأصبح الاهتمام بتعليم العربية لغير الناطقين بها أمرا ملحا بسبب تزايد أعداد المقبلين عليها على اختلاف دولهم

ولغاتهم وخلفياتهم الثقافية وحتى دوافع تعلمهم للغة العربية، أما في العصر الحديث وحتى تعظم مكانة اللغة العربية بشكل كبير وتنتشر بشكل واسع لتجوب العالم بأسره، فقد أولت الدول العربية الاهتمام الكبيرلغيرالناطقين بلغتها وسعت لنشرها كما أنها بحثت عن الطرق العلمية الحديثة ، ومن بين المحاولات الحديثة بعض ما قدمه العلماء في هذا الباب من سلاسل مبسطة في تعليم العربية لغير الناطق بها كسلسلة تعليم اللغة العربية (المستوى الأول القراءة والكتابة) للدكتور " عبد الله الحامد " وهي عبارة عن مستويات أنشأها مجموعة من العلماء بالمملكة العربية السعودية بسبب شكوى الدارسين من صعوبة تعلم اللغة العربية ،ودراسة للدكتور "رشدي أحمد طعيمة "كما ظهرت الكثير من المحاولات الرامية إلى نشر اللغة العربية للعرب وغيرالعرب من أجل إحياء ورفع المكانة العربية والثقافية للبلدان العربية لذلك حاول الباحثون رصد الطرق العلمية الحديثة ووضع مناهج خاصة بتعليم العربية للناطقين بغيرها.

وعلية تتبادر إلى ذهننا جملة من التساؤلات من بينها: ما هي آليات تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها ؟ ماهي الأسس التي تبنى عليها مناهج تعليم اللغة لغيرالناطقين بها ؟ هل استطاعت تلك المناهج تحقيق الغاية المرجوة وهل يمكن تطويرها لتواكب مستجدات التكنولوجيا الحديثة ؟

- **مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:**

أولا: مفهوم مناهج التعليم:

قبل التطرق إلى ضبط مفهومها يجب أن نعرج على معنى كل من المنهج والتعليم

المنهج: من الفعل نهج ، ينهج منهاجا والمناهج جمع منهج والمنهج في اللغة يعني الطريق الواضح ونهج الطريق بمعنى أبانه وأوضحه ونهجه بمعنى سلكه بوضوح واستبانة [١] فالمنهج هو الطريق الواضح والبين للوصول للغرض المطلوب وهو عملية فكرية منظمة أو أسلوب منظم يسلكه الباحث في سبيل إيجاد الحلول للمشاكل المطروحة أو هو " مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث مقدما لعملية المعرفة ــ التي سيقبل عليها ــ من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها "[٢] وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " [٣] .يتضح من الآية الكريمة أن لفظة منهاج تعني الطريق أو السبيل الذي يسلكه الإنسان من أجل الوصول إلى الغرض المقصود، أما كلمة منهج في اللغات الأجنبية الحديثة فتعود إلى الكلمة اللاتينية currer وتعني حلبة السباق التي يتنافس فيها المتنافسون للوصول إلى نقطة الفوز .

التعليم: من الفعل علّم ، يعلّم، تعليما.

أما في الاصطلاح فهو: عملية منظمة يمارسها المعلم بهدف نقل ما له من معارف ومعلومات إلى المتعلم وذلك عن طريق تلقينهم مجموعة من المعارف والحقائق والمفاهيم والمهارات المختلفة وإكسابهم العديد من السلوكيات والقيم الاجتماعية والأخلاقية.

أما كلمة منهج في اللغات الأجنبية الحديثة فتعود إلى الكلمة اللاتينية currer وتعني حلبة السباق التي يتنافس فيها المتنافسون للوصول إلى نقطة الفوز.

أما مناهج التربية والتعليم فإنها عبارة عن: "مجموعة من الخطط والنظم التي تؤلف وحدة كبيرة تهدف إلى نقل التلميذ من محطة إلى أخرى عبر سلسلة من الإرشادات والمعارف والمهارات التي تفيده في حياته في المستقبل وفي داخل المؤسسة التعليمية " ٤.

ثانيا: المفهوم القديم للمنهج:

تتأثر المناهج التربوية في كل زمان ومكان بالفلسفة السائدة في المجتمع، فكثير من الفلسفات كانت توجه التربية إلى وضع مناهج تسهم في إعداد الطفل للمستقبل بغية تحقيق الكثير من الأهداف التربوية

وبالتالي فإن الاهتمام انصب على المنهج في حد ذاته لا على التلميذ أو المتعلم حيث أنها لم تراع في الكثير من الأحيان ميولاته والظروف المتعلقة به ولا كونها موائمة لاهتماماته وجوانبه المختلفة نفسية اجتماعية ...وقد استمر المنهج على هذا النحو لسنوات طويلة فكان المنهج في ظل هذا المفهوم هو "مجموعة المواد

الدراسية التي يتولى المتخصصون إعدادها أو تأليفها ويقوم المتعلمون بتنفيذها أو تدريسها ويعمل الطلاب على تعلمها أو دراستها"[٥]

من خلال التعريف يتضح أن مفهوم المنهج يقتصر على تزويد المتعلمين بالمعلومات من خلال المقررات الدراسية التي أعدها المختصون ويحاول المعلمون نقلها للمتعلمين.

أما مناهج التعليم للناطقين بغير العربية فهي تراعي البيئة والعمر والفروقات الفردية إذ أن تعلم لغة الغير ليس بالأمر السهل والمرغوب أيضا عند الكثيرين وبالتالي لابد من مراعاة كل الجوانب عند بناء منهج التدريس وإيجاد الطرق المثلى لإيصال المعرفة إلى الجيل الجديد لذلك ظهر تساؤل وجب الوقوف عنده يتعلق بنقل اللغة إذ أنه هناك من يركز على نقل وتلقين اللغة أو المعرفة لأنها الشيء المراد والهدف المبتغى من العملية التعلمية وهناك من يرى أنه من الأجدر التركيز على الأسلوب أو طريقة نقل المعرفة وهذا بطبيعة الحال لا يتم إلا وفق مناهج مقننة محكمة وباعتبار المعلم المحور الرئيس في العملية التعليمية التعلمية وجب تسليط الضوء عليه .

اختلفت طرق تدريس اللغة العربية بين القديم والحديث سواء من حيث المنهج أو الطرق ويمكن تلخيص نتائجها كما يلي:

١ـ ضرورة البدء بالكلمة المسموعة قبل المكتوبة.

٢ـ استخدام قواعد اللغة العربية كوسيلة للفهم وتصحيح المعلومات الخاطئة.

٣ ـ استخدام مختلف الوسائل التي تساهم في مساعدة التلاميذ على فهم اللغة واكتسابها كالفيديوهات والصور.

٤ـ شرح المفردات الغامضة وتذييل الصعوبات .

مما سبق يتضح أن :

***الانتقادات الموجهة إلى المنهج التقليدي:**

وجهت الكثير من الانتقادات للمنهج التقليدي باعتبار أنه لا يتوافق مع التوجهات التربوية الحديثة التي نقلت مركز الاهتمام في العملية التربوية التعليمية إلى المتعلم ومن هؤلاء المنتقدين " عبد المجيد سرحان " الذي قدم جملة من الانتقادات نذكر منها: ٦.

١ـ اقتصار دور المدرسة بالاهتمام بالجانب المعرفي فقط.

٢ـ تحديد دور المدرس وهو إيصال المعلومات إلى أذهان الطلبة .

٣ـ إهمال الجوانب العلمية والتطبيقية للطالب .

٤ـ ازدحام المنهج بالمواد الدراسية .

٥ـ عزل المدرسة عن المجتمع لأن المدرسة لا صلة لها بمشكلات الطلبة والمجتمع وهي لا تجعلهم قادرين على مواجهة المشكلات في المستقبل .

ثالثا: المفهوم الحديث للمنهج :

يقول أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري بأن المنهج هو " مجموع الخبرات التربوية (الثقافية الرياضية الاجتماعية والفنية) التي تهيئها المدرسة لتلاميذها داخل المدرسة وخارجها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل في جميع النواحي الجسمية العقلية والاجتماعية والانفعالية وتعديل سلوكهم طبقا لأهدافها التربوية " ٧.

من خلال التعريف السابق يتضح أن المنهاج هو الموجه والمرشد لكل من الأستاذ والتلميذ وبالتالي فهو وسيلة لتوجيه التلاميذ من خلال المعلم الذي يلتزم في أغلب الأحيان بالتوجيهات الواردة فيه فهو يهدف إلى تعديل سلوكيات التلاميذ اللغوية وتلقين اللغة العربية للناطقين بها وبما أن اللغة العربية تعتبر الأداة المهمة والمحورية في المناهج الدراسية باعتبار أن المنهاج وسيلة لنقل الخبرات الثقافية، الاجتماعية ... وتطويرها من جيل إلى جيل كما يمكن القول أنه وسيلة لنقل التراث اللغوي للمتعلمين عن طريق اللغة لذا تعد اللغة جزءا من هذا التراث بل هي المنتج للتراث الذي ينتقل فيما بعد للمتعلمين عن طريق مهارات اللغة العربية الأساسية من استماع ، فهم، حديث، قراءة وكتابة

والاتجاهات الحديثة تؤكد على وجوب إيجابية المتعلم وحيويته في العملية التعلمية بوصفه العنصر الأساس كما أنها تتبنى استراتيجيات تدريس حديثة على الاتجاه القديم.

ويمكن أن نورد خصائص مناهج التعليم الحديثة كما يلي:

١ ـ يحتوي المنهج الحديث على مجموع الخبرات والأنشطة الصفية واللاصفية التي تقدمها المدرسة وتعمل على تقديمها بشكل منظم بغية تحقيق أهداف محددة منها: اكساب المتعلم مختلف المهارات الضرورية وزرع القيم الإيجابية نحو ذاته ونحو الآخرين وتطوير سلوكه وتعديله .

٢ ـ المنهج الحديث يعد أسلوب تعاوني تشاركي حيث أنه يشترك في وضع تلك الخبرات عدد من المعلمين والأكاديميين من مختلف التخصصات.

٣ ـ تراعي المناهج الحديثة المجتمع والقيم الاجتماعية المختلفة وتعمل على تعزيز مبادئه وتلبية حاجياته عن طريق انفتاح المدرسة على البيئة لمعرفة ما تواجهه هذه الأخيرة من تحديات ومشكلات فتفيد المدرسة من الوسط الخارجي وفي الوقت نفسه فإنها تعمل على إمداده بمخرجات بشرية تساهم في تطويره وإيجاد حلول لمشكلاته.

٤ ـ يعمل المنهج الحديث على تكوين شخصية قوية تتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها وتحترم الآخرين وتتقبل هو انتقاداتهم كما أنه يعمل على التنويع في طرائق التدريس تبعا لتعدد الفروق الفردية بين المتعلمين وتوفير بيئة تعليمية آمنة.

٥ ـ يضيف للمادة الدراسية أفكارا جديدة ويحث على العمل الإبداعي.

٦ ـ ربط المحسوسات بالملموسات أي أنه يعمل على ربط ما هو نظري بما هو تطبيقي من أجل تسهيل عملية الفهم والإدراك للمتعلمين وتحبيبهم في المادة المقررة .

- **آليات تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها:**

تعددت آليات وأساليب تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها لكن قبل التعرف عليها لابد من التعرف على معنى أساليب وطرائق التدريس.

أولا: مفهوم أساليب وطرائق التدريس:

طرائق جمع مفرده طريقة وتعني الخطة العامة التي تنظم من أجل عرض المادة اللغوية

أما التدريس فهو عملية أو لون من ألوان الخبرات التي تنقل للمتعلم وتستند في نموها إلى أصول معينة ويعرفها محمد عبد القادر أحمد بأنها: " الأسلوب الذي استخدمه المعلم في معالجة النشاط التعليمي ليحقق وصول المعارف إلى تلاميذه بأيسر السبل وأقل الوقت والنفقات " 8

وهناك العديد من المعايير التي يجب مراعاتها في عملية تدريس غير الناطقين باللغة العربية ومنها:

ـ أنه لا توجد طريقة تدريس هي الأفضل دائما ٩

ـ طريقة التدريس ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لتحقيق الغايات والأهداف التعليمية

ثانيا: طرق تدريس اللّغة الأجنبية:

طرق تدريس اللغة الأجنبية متنوعة وكثيرة ولكل طريقة مزايا وعيوب والمعلم هو الذي يمكنه اختيار الطريقة التي تلائم متعلميه على حسب المواقف التعلمية المختلفة، وسنعرض الطرق الشائع استخدامها في التدريس وهي كما يلي:

١ـ طريقة القواعد والترجمة:

تعد من أقدم الطرق حيث ترجع جذورها إلى تعليم اللغة اليونانية واللاتينية حيث ارتكزت أسسها على تعليم القواعد اللغوية ومن أبرز سمات هذه الطريقة ما يلي:

ـ الاهتمام بالقواعد النحوية والقراءة على حساب مهارتي الاستماع والكلام.

ـ استخدام لغة وسيطة من أجل التعلم وهي في الغالب لغة المتعلم.

ـ تهمل عنصر الأصوات.

ـ تقدم المفردات بطريقة منظمة يكون في شكل قوائم تحفظ وتستظهر.

ـ تدرس النحو بشكل تحليلي. ، تتجاهل كون اللغة وسيلة اتصال دور الطالب هو التلقي والمحاكاة.

من عيوب هذه الطريقة أنها تهمل مهارتي الاستماع والكلام، التعلم عن اللغة ولا تعلم اللغة نفسها ولا تراعي الفروق الفردية ولا تصلح للصغار.[١٠]

٢ ـ الطريقة المباشرة:

ظهرت كرد فعل على طريقة القواعد والترجمة التي تعرضت للنقد خاصة أنها لا تستند على أي أساس منهجي، فظهرت هذه الطريقة التي تسمى في الكثير من الاحيان بالطريقة الطبيعية لأنها ترجع تعلم اللغة إلى المبادئ الطبيعية من خلال التمثيل ، الحركة، الصور واستخدامها بأشكال عفوية في حجرات الدراسة، ومن أهم خصائص الطريقة :

ـ عرض اللغة الأجنبية للطلاب شفاهة من أجل التعرف على أصوات الحروف بشكل تلقائي إضافة

ـ الاكتفاء بقدر يسير من المفردات التي تمكن المتعلم من التحدث ويمكن اللجوء إلى الترجمة لمساعدة المتعلم على فهم مدلولات الكلمة

ـ يمكن توظيف الوسائل السمعية والبصرية.

هناك من يرى أن هذه الطريقة تعجل بتوليد المفاهيم حول طبيعة اللغة الجديدة بشكل مكثف من أجل مساعدة المتعلمين على فهم اللغة.

3 ـ الطريقة السمعية الشفهية :

تعتمد على الترديد، الاستظهار، المحاكاة وهذا من خلال استعمال الوسائل السمعية البصرية وتدريب الطلاب على تراكيب اللغة النحوية.

من أبرز خصائصها ما يلي:

ـ تهتم بترديد ونطق الألفاظ نطقا صحيحا

ـ تقدم النصوص على شكل حوارات

ـ تستخدم الوسائل بكثرة

ـ تعتمد على المفردات والتراكيب الشائعة.

لم تسلم هذه الطريقة من النقد ومما يؤخذ عليها ما يلي :

ـ اعتمادها بشكل كبير على مهارتي الاستماع والكلام وإهمالها للقراءة والكتابة

ـ ليس صحيحا أن الناطق الأ صلي هو أفضل معلم للغة الأجنبية لأنه غالبا لا يدرك مشكلات الطلاب مع اللغة التي يتعلمونها ولا يستطيع التنبؤ بأخطائهم ولا تفسيرها [١١].

٤ـ الطريقة التواصلية الاتصالية :

تهدف هذه الطريقة إلى جعل اللغة وسيلة تواصل وأداء لوظائف مختلفة كالأمر ، النهي ، الطلب ولا تنظر إليها باعتبارها مجموعة من التراكيب ومن أهم خصائصها :

ـ الاتصال هو الهدف الأساسي للغة .

ـ تهتم بالجانب الوظيفي للغة

ـ تغرس روح التنافس بين الطلاب من خلال العمل التعاوني وتقسيم الطلاب إلى مجموعات تتنافس فيما بينها.

ـ تشجع محاولات التواصل بين الأفراد مهما كانت خاطئة.

ـ تعلم اللغة عن طريق المواقف المختلفة كالتي تحدث في المقهى ، المطار ...

من أبرز الانتقادات الموجهة لهذه الطريقة :

ـ عدم مراعاة الفروق الفردية (الجميع يسمعون والجميع يرددون) ١٢

ـ الخلط بين اكتساب اللغة الأم وتعلم لغة ثانية.

ـ التركيز على الكلام وإهمال جوانب أخرى من اللغة.

٥ـ الطريقة الانتقالية :

ظهرت كرد فعل على الطرق السابقة خاصة طريقة القواعد والترجمة والطريقة المباشرة والطريقة السمعية الشفوية معا واستفادت هذه الطريقة من الانتقادات الموجهة للطرق السابقة ، وأقرت بأنه لا توجد طريقة مثالية وأن طرق التعليم تكمل بعضها البعض ومن خصائص هذه الطريقة ما يلي :

ـ لكل طريقة مزايا وعيوب ولا توجد طريقة مثالية تماما أو خاطئة تماما

ـ يمكن الاستفادة من كل الطرق في تدريس اللغة الأجنبية.

ـ الشيء المهم في عملية التدريس هو المتعلم وحاجياته وليس طريقة التدريس.

ـ المعلم حر في اختيار الطريقة التي تناسب طلابه وتناسب الموقف التعلمي الذي يجد نفسه فيه.

من خلال ما قمت بعرضه سابقا من طرائق مختلفة تهدف إلى تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

وعلى الرغم من أن كل طريقة لها مزايا وعيوب يتبن أن التنوع في طرائق التدريس إلا أن الكثير من المتعلمين لازالوا يشكون من صعوبة تعلم العربية .

كيف يمكن تطوير طرائق ومناهج تعلم العربية ؟

- وضع مناهج دقيقة منظمة وفق خطة مضبوطة ومحكمة بدقة تراعي الأهداف والنتائج المتوقعة من الدراسة
- ادراج الوسائل التعليمية الحديثة في المناهج الدراسية ذلك أنها تعتمد على العلاقات البصرية ، السمعية والحركية ووضعها في الكتب المدروسة.
- اختيار الألفاظ والتراكيب اللغوية التي تناسب قدرات المتعلمين وعرضها صوتا وصورة حتى يتم التدرب عليها.
- مراعاة حالات الطلاب النفسية ، الاجتماعية لأنها تؤثر على عملية الفهم والإدراك.
- يجب أن يكون المعلم متمكنا من اللغة العربية ملما بعلم النفس وعلم الاجتماع وأن يكون مستوعبا لمنهج اللغة العربية.
- يجب أن يكون المعلم على معرفة وعلم بالوسائط والأساليب الحديثة .
- الاعتماد على الطرق المحفزة المشجعة للتلاميذ وجذب انتباههم والعمل على تنشيط تفكيرهم وتشجيع التلاميذ المتأخرين من أجل اللحاق بأقرانهم .
- وضع برامج تعليمية يراعى فيها التقويم اللساني ن طريق دراسة النطق السليم للأصوات وفقا للقرآن الكريم للحد من مشكل تعلم النحو العربي.

خاتمـــة

في الأخير نصل إلى أن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يقودنا إلى الكثير من المشكلات المطروحة على جميع المستويات الصوتية، التركيبية، التداولية والدلالية ومن أجل تجاوزها ، على المتعلم أن يوظف ويستغل ما يملكه من قدرات حتى يتمكن من الإحاطة بالبنية اللغوية من جميع جوانبها وإضفاء اللمسة الإبداعية الخاصة به، والعمل وفق الطرائق التي يراها مناسبة لمستوى الطلاب وظروفهم وعلى الرغم من تعدد طرائق التدريس إلا أنه لكل طريقة مزايا وعيوب إلا أن الطريقة الأنسب هي التي تراعي الجوانب النفسية، الثقافية والاجتماعية للمتعلم لأنه لا يمكن عزل المتعلم عن العالم المحيط به لذا لابد أن تكون طريقة التدريس شاملة بناءة ومحفزة مشجعة لتعليم اللغة.

الهوامش:

١ـ ابن منظور لسان العرب، الدار العربية للتأليف والترجمة ، ج، ٢، د،ت، ص ، ٣٨٣.

٢ـ عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ص، ٧.

٣ـ سورة المائدة، الآية، ٤٨.

٤ـ وليد عبد اللطيف هوانة، المدخل في إعداد المناهج الدراسية، الرياض، دار المريخ، ١٩٧٧، ص. ٣٢.

5ـ جودت أحمد سعادة، مناهج الدراسات الاجتماعية ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠، ص، ٥٨.

٦ـ الدمرداش عبد المجيد سرحان، المناهج المعاصرة (الكويت، ١٩٩٧، ص، ١٢ـ ١٣.

٧ـ هشام الحسن وشفيق القايد، تخطيط المنهج وتطويره ،دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠، ص،١١

٨ـ محمد عبد القادر أحمد، طرق تعليم اللغة العربية، مكتبة النهضة المصرية، د س ، القاهرة، ص، ٦.

٩ـ http:/ www.startimes.com /f.aspx

١٠ ـ عبد الرحمن بن ابراهيم الفوزان ،إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، ط١ مؤسسة العربية للجميع، الرياض، ٢٠١١.

١١ـ محمد علي الخولي، أساليب تدريس اللغة العربية ،ص، ٢٥.

١٢ـ الفوزان ، المرجع السابق، ص، ٨٣

١١ ـ محمد علي الخولي، أساليب تدريس اللغة العربية ،ص، ٢٥.

قائمة المصادر والمراجع:

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ ابن منظور لسان العرب، الدار العربية للتأليف والترجمة ، ج، ٢، د،ت.

٣ ـ عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت.

٤ ـ وليد عبد اللطيف هوانة، المدخل في إعداد المناهج الدراسية، الرياض، دار المريخ، ١٩٧٧.

5 ـ جودت أحمد سعادة، مناهج الدراسات الاجتماعية ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.

٦ ـ الدمرداش عبد المجيد سرحان، المناهج المعاصرة ، الكويت، ١٩٩٧.

٧ـ هشام الحسن وشفيق القايد، تخطيط المنهج وتطويره ،دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠.

٨ ـ محمد عبد القادر أحمد، طرق تعليم اللغة العربية، مكتبة النهضة المصرية، د س ، القاهرة.

9 ـ عبد الرحمن بن ابراهيم الفوزان ،إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، ط١ مؤسسة العربية للجميع، الرياض، ٢٠١١ .

10 ـ محمد علي الخولي، أساليب تدريس اللغة العربية .

11ـ مواقع إلكترونية.

اللغة العربية وتحديات العصر آفاق وتطلعات

Arabic Language and Challenges of the Era: Prospects and Aspirations

أ.م. د. ألطاف إسماعيل الشامي
أستاذ اللسانيات المشارك بجامعة تعز

ملخص البحث:

مما لا يختلف فيه اثنان أن التحديات التي تواجه اللغة العربية أصبحت هماً يؤرق كلَ عربي غيور على لغته وهويته لاستفحال آثارها على لغة أبنائنا وفكرهم وتكوين شخصياتهم؛ لذلك تداعى علماء الأمة العربية، وأساتذة الجامعات، ومعلمو المدارس، والمهتمون لمواجهة هذه التحديات، فأقيمت المؤتمرات و الندوات وورشات العمل لمناقشتها واقتراح الحلول والمعالجات، وحذرت الصحف والمجلات من آثارها على الأمة العربية حيث أصبحت تهدد واقعها ومستقبلها، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه التحديات لا تزال قائمة، ولم نشهد خطوات ملموسة تحدِ من خطر تراجع استعمال العربية الفصحى وإهمالها على المستوى المحلي والعربي.

ويتناول هذا البحث التحديات التي تواجه اللغة العربية في وطننا العربي بهدف الوقوف على أسبابها وآثارها واقتراح سبل مواجهتها. ومن أبرز هذه التحديات العولمة، حيث برزت عولمة اللغة من خلال هيمنة اللغة الإنجليزية وإعلاء شأنها على حساب اللغة العربية؛ وظهرت آثار التغريب السلبية في هوية أبنائنا واتجاهاتهم، فضلا عن استشراء ضعف الطلبة في مهارات اللغة العربية الذي أصبح ظاهرة تدعو إلى الوقوف عندها بجدية وحرص؛ لأنها باتت تهدد الأمة العربية في هويتها وعقيدتها، وصلتها بتاريخها وحضارتها.

وتوصل البحث إلى ضرورة مواجهة هذه التحديات بتفعيل دور كلٍ من: الدولة، والجامعة، والمدرسة والمجتمع، والأسرة وانتهى إلى طرح توصيات منها: وضع استراتيجية لتمكين اللغة العربية من استعادة سيادتها ودورها الفعال في البناء الحضاري ابتداءٍ من إصدار القرارات الرسمية والتشريعات المتعلقة بذلك، وتنمية الوعي بأهمية دور اللغة العربية في تعزيز هوية الأمة العربية وتأصيل فكرها وثقافتها وانتهاءٍ بإشاعة العربية الفصحى في المدارس والجامعات والمؤسسات وبين أفراد المجتمع، وذلك بممارسة التعبير اللغوي السليم عن آرائنا وأفكارنا في حياتنا العلمية والعملية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، لغة العصر، تحديات العصر، العولمة، الهوية، الحضارة

Arabic Language and Challenges of the Era: Prospects and Aspirations

Abstract

There is no doubt that the challenges facing Arabic language have become a concern that worries every Arab who is jealous of his language and identity، due to their severe effects on our children's language، thought، and personality formation. Therefore، scholars of the Arab nation، university professors، school teachers، and those interested came together to confront these challenges. Conferences، seminars، and workshops were held to discuss them and propose solutions and remedies. Newspapers and magazines warned of their effects on the Arab nation، as they had become a threat to its reality and future. Despite this، these challenges still there، and we have not witnessed tangible steps to reduce the risk of decline in the use of the Standard Arabic language and its neglect at the local and Arab levels.

This research addresses the challenges facing Arabic language in our Arab world with the aim of identifying their causes، effects and proposing ways to confront them. One of the most prominent of these challenges is globalization، as the globalization of the language emerged through the dominance of the English language and the promotion of its status at the expense of the Arabic language.

The negative effects of Westernization have appeared in the identity and attitudes of our children، in addition to the widespread poor performance of students in Arabic language skills، which has become a phenomenon that calls for serious and careful attention because it has become a threat to the Arab nation in its identity، belief، and connection to its history and civilization.

The research suggested ways to confront these challenges by activating the role of: the state، the university، the school، the family، and society، leading to suggesting some recommendations including: developing a strategy to enable the Arabic language to regain its sovereignty and effective role in civilizational construction، starting with issuing official decisions، legislation related to that، and developing awareness of the importance of the role Arabic language in strengthening the identity of the Arab nation and rooting its thought and culture، and ending with circulating standard Arabic in schools، universities، institutions and among members of society، by practicing the correct linguistic expression of our opinions and ideas in our scientific، practical and social life.

Keywords: Arabic language، language of the era، challenges of the era، globalization، identity، civilization.

مقدمة:

تعدِ اللغة الركيزة الأساسية التي تقوم عليها هوية الأمم والشعوب، فهي تتسم بأن لها الحظ الأوفر في إبراز هوية الأمم ووجودها، وكشف حضارتها وفكرها وثقافتها، فاللغة على حد تعبير الرافعي هي " صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه "[١]. ويرى همبولت أن الإنسان ليس إنسانا، وأن الأمة ليست أمة إلا بفضل اللغة [٢]. مما يدل على أن العلاقة بين اللغة وأبنائها علاقة وجود وكينونة، فالوجود الإنساني والحضاري والثقافي لأي أمة لا يتحقق إلا باللغة.

وهذه العلاقة بين اللغة وأبنائها تنعكس في مفهوم الهوية، فاللغة من أهم مكونات الهوية وبنائها، وبينهما ترابط قوي وتفاعل مستمر، ويؤثر كل منهما في الآخر إيجابا وسلبا، قوة وضعفا، فإذا قويت الهوية قويت معها اللغة، وإذا ضعفت الهوية ضعفت اللغة كذلك، لأن اللغة هي على الدوام تعبير عن الهوية، وانعكاس لها في الواقع[٣].

وتؤكد الأبحاث العلمية أن اللغة ليست مجرد نظام من العلامات الدالة التي تصف العالم، وليست وظيفتها التواصل بين أفراد المجتمع فحسب، بل إن وظيفتها أعمق من ذلك بكثير" فهي تقوم بدور الوسيط الذي يتدخل في تصرفات الفرد وأنماط سلوكه وتكوين رؤيته وتصوره للعالم، وتحديد علاقاته بأفراد مجتمعه وبالآخر، فضلا عن تأثيرها في نشاطه ومعتقداته وحياته ووعيه، وعلى هذا الأساس فالإنسان لا يرى إلا ما تريه لغته، فكل جماعة لغوية تنظر إلى العالم من خلال لغتها، وتدرك أشياءه وحقائقه استنادا إلى لسانها"[٤].وهذا يعني أن اللغة تؤدي دورا رئيسا في توجيه فكر الإنسان، ورؤيته وإدراكه للعالم ومجرياته. ولا يقتصر دور اللغة على الفرد فحسب بل إنها تؤدي دورا مهما في حياة كل أمة، فهي الوسيلة التي تحفظ تاريخها وتراثها، والسلاح الثقافي الذي يحمي وجودها وكيانها، والأساس التاريخي المتين الذي لا يمكن أن يزول إلا بانسلاخ أبنائها من تاريخها.

ويرى الحصري أنه إذا أردنا أن يعين عمل كلٍ من اللغة والتاريخ في تكوين الأمة، فإن اللغة تكون روح الأمة وحياتها، والتاريخ يكون ذاكرة الأمة وشعورها، فلما كانت اللغة بمنزلة القلب والروح للأمة يترتب

(١)-وحي القلم: مصطفى الرافعي، مطبعة مؤسسة هنداوي، القاهرة ٢٠١٧م ،ج ٣، ص ٧٨٧

(٢)-الهوية وفلسفة اللغة العربية: الحسين الزاوي، منتدى المعارف، بيروت ٢٠١٤م، ص ٤٣.

(٣)-أبعاد العلاقة بين اللغة العربية والهوية الحضارية مقاربة لسانية اجتماعية: د. العياشي أدراوي، بحث منشور في مجلة ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها، المجلد الأول، العدد الثاني، ديسمبر٢٠٢٠م ص ٢٣.

(٤)- المرجع نفسه ص ١٩.

على كل أمة أن تتمسك بلغتها الخاصة تمسكها بحياتها [١]. فالتمسك بها أهم ركيزة لتحصين الهوية العربية والذات والشخصية.

وغنيٍ عن البيان أن للغة العربية مكانة متميزة عن غيرها من اللغات لكونها لغة القرآن الكريم فللقرآن الكريم فضل عظيم على اللغة العربية، فهو سر خلودها وقوتها، والحصن المنيع الذي يصدِ كل المؤامرات التي تحاك ضدها، وهو صمام الأمان لها، فقد كانت العربية الوسيلة التي حملت ديننا الإسلامي وحضارتنا إلى العالم أجمع؛ ولهذا حظيت باهتمام كبير، وعناية فائقة عن باقي اللغات، ولم يستطع الأعداء طمسها والنيل منها عبر الأزمان؛ لأن الله كتب لها البقاء قوية، تنبض بالحيوية والحياة الأبدية.

وتتميز لغتنا العربية بميزات وخصائص تنفرد بها عن باقي اللغات، فقد جمعت آيات الفصاحة والقوة على كافة المستويات الصوتية والدلالية والبلاغية والتركيبية، ولتفردها بهذه الخصائص أطلق عليها الأديب عباس محمود العقاد تسمية اللغة الشاعرة، وليس في اللغات التي نعرفها، أو نعرف شيئا عن أدبها لغة واحدة توصف بأنها لغة شاعرة غير لغة الضاد.

ويرى العقاد أن اللغة الشاعرة هي لغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه، ولو لم يكن من كلام الشعراء، وهذه الخاصية في اللغة العربية ظاهرة من تركيب حروفها على حدة، إلى تركيب مفرداتها إلى تركيب قواعدها وعباراتها، وإلى تركيب أعاريضها وتفعيلاتها في بنية القصيد [٢].

وقد شهد باحثون للغتنا العربية بأنها أغنى لغات العالم، وقادرة على التكيف مع متطلبات العصر فهي تتميز على المستوى الدلالي بثراء ألفاظها، وتعدد مرادفاتها، وسعة معانيها، وتتمتع بخصائص تركيبية جمالية متفردة، وهي معجزة الله الكبرى في كتابه المجيد، اختارها الله؛ لأن فيها من أسرار التعبير ولطائف البيان مالم تحظ به لغة غيرها.

وعلى الرغم من أن اللغة العربية كانت زاهية في عصور قد خلت، حيث إنها أدت دورا كبيرا في نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية، وأبرزت تفوق المسلمين وإبداعاتهم في مجالات علمية وأدبية شتى وكانت عاملا مؤثرا في اللغات الأوربية، فإنها منذ زمن غير بعيد صارت تواجه تحديات كثيرة، غير أنه في عصرنا الحاضر زادت هذه التحديات قوة وشراسة، وكانت آثارها أكثر فتكا وبطشا، وما هذه الحرب الشعواء على لغتنا العربية إلا لكونها لغة القرآن الكريم، ولأنها وحدت الأمة العربية لسانا ودينا وفكرا.

(١)-ماهي القومية؟ أبحاث ودراسات في ضوء الأحداث والنظريات" أبو خلدون (ساطع الحصري) دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٩م، ص ٤٨.

(٢)-اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٢م، ص ١٢.

والوقوف أمام هذه التحديات بعزم وقوة للمحافظة على لغتنا العربية والدفاع عنها واجب على أبنائها بالضرورة، فقوة اللغة تضمن للأمة العربية استمراريتها دون ضعف، ويحفظ لها دورها ومكانتها المشرفة بين الأمم. وهذا ما أكده ابن خلدون في فصل (لغات أهل الأمصار) حيث رأى أن غلبة اللغة بغلبة أهلها وأن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم [١].

إن اللغة العربية اليوم تتعرض للتهميش والإقصاء، والإهمال والازدراء من قبل أبنائها، وهذا يستوجب علينا الوقوف وقفة جادة إزاء هذا الوضع الذي ينذر بكارثة عظيمة ستقع علينا إن لم نتحمل مسؤولياتنا نحوها، ذلك أن أهم معايير الحفاظ على أي لغة وإعلاء شأنها أن يكون المجتمع كله متمسكا بلغته معتزا بها، يسعى من أجل تطورها وبقائها. فهل المجتمع متمسك بلغته فعلا في الزمن الحاضر؟ وهل يدرك مدى الأخطار والتحديات التي تهدد اللغة العربية؟ وإن أدرك ذلك هل هو مستعد لمواجهة تلك الأخطار؟ وماهي الوسائل التي سيلجأ إليها لحماية اللغة العربية، والحفاظ على مكانتها الأصيلة المتميزة؟

للأسف الشديد إن الواقع العربي يشهد على إهمال المجتمعات للغة العربية، بل يشهد على استهانة أفرادها بها، وتخليهم عنها طواعية، ويشهد أيضا على صمت الدول العربية إزاء ما يحدث للعربية الفصحى من تراجع في استعمالها وإهمال في المحافظة عليها. ونجد قول المتنبي منطبقا على هذا الواقع الأليم عندما قال:

ولكنّ الفتى العربيّ فيها غريبُ الوجهِ واليد واللسان

فبينما دول العالم تهتم بلغاتها وبنشرها، نقف نحن عاجزين أمام ما يحدث للغتنا، فتراجع استعمالها ليس إلا بسبب تثاقلنا وتكاسلنا، وشعورنا بالعجز وعقد النقص، وصدق قول القائل: لم أجد قوما يحاكمون لغتهم كما يحاكمها العرب. وصدق قول الشافعي:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

وهذا البيت ينطبق على اللغة العربية أيضا، فهناك عرب قد فقدوا الثقة والاعتزاز بعروبتهم، وأصبحوا يعيبون لغتهم، ويصفونها بأنها لغة متخلفة لاتجاري العصر، والحق أن العيب فيهم، وليس في اللغة.

إن اللغة العربية اليوم تعيش وضعا غير طبيعي بين أبنائها، فهي غريبة بينهم، تهفو إليهم لكنهم يقابلونها بالهجر والنكران، فتتسع الفجوة بينها وبينهم يوما بعد آخر؛ وتتسع التحديات التي تحيط باللغة العربية داخليا وخارجيا، فتحاصرها من كل حدب وصوب، فهل نقف متفرجين، ولا نحرك ساكنا إزاء هذا الوضع الكارثي؟!

(١) ـ مقدمة ابن خلدون: عبدالرحمن بن خلدون، ،ط١ ،دار يعرب ، دمشق ٢٠٠٤م، ج٢، ص ٥٧.

مما لا شك فيه أن هذه التحديات تتطلب منا القيام بواجبنا الديني والقومي تجاه لغتنا، دولة ومؤسسات أفرادا وجماعات، وذلك باقتراح السبل لمواجهتها وتوفير الوسائل لتجاوزها، وطرح الحلول والمعالجات للتغلب عليها، ومتابعة تطبيقها في الواقع، فما هي هذه التحديات؟ وكيف يمكننا تجاوزها والتغلب عليها؟ وكيف نرد للغة العربية بهاءها وإشراقها، ونعيد الثقة بها وبعظمتها لأبنائها ؟

أولا ـ التحديات المحيطة باللغة العربية:

تدور دلالة التحدي في معاجم اللغة حول معنى المباراة والمبارزة والمنازعة والتعمد لشيء ما، وقد عرف بعض الباحثين التحديات اصطلاحا بأنها "المتغيرات المعاصرة الناتجة عن التطور العلمي والتكنولوجي والعولمة، وهناك من أطلق على التحدي مفهوم الأزمة، فالتحديات مجموعة أزمات"(١).

وقد واجهت اللغة العربية تحديات كثيرة في الماضي منها هجمات المغول وإحراق مكتبة بغداد وواجهت حملة نابليون الفرنسية على مصر، ودعوته إلى نشر الفرنسية، وغيرها من التحديات، لكن اللغة العربية لاتزال ثابتة وشامخة شموخ الجبال.

وتتعرض لغتنا العربية الفصحى اليوم لكثير من التحديات والأزمات، فهي تعاني من الغربة بين أبنائها، ولا جرم أن تراجع استعمالها من قبل أبنائها، وما ترتب على ذلك من تأثير في هوياتهم وشخصياتهم، ما هو إلا مظهر من مظاهر الأزمة التي تعيشها الثقافة العربية في عصر العولمة وهيمنة الأقوياء على الضعفاء، ومما يؤسف له أن الأمة العربية تبدو عاجزة عن مواجهة التحديات والأخطار المحدقة باللغة العربية، فعلى الرغم من عقد المؤتمرات والندوات وورش العمل التي تتناول هذه التحديات وسبل معالجتها، فإننا نجدها لاتزال قائمة، بل إنها تزداد سوءا واستفحالا يوما بعد آخر حتى بات الوضع ينذر بخطر عظيم، **وأبرز هذه التحديات:**

١ـ **العولمة:** وتعد العولمة أخطر تحد تواجهه اللغة العربية، فقد نتج عنها عولمة اللغة، " حيث يفرض الواقع اللغوي الجديد سلطان اللغة الإنجليزية على كل من يريد الانخراط بالعالم والتطورات العالمية (...) ولا شك أن هناك صلة وثيقة بين الهيمنة اللغوية والقوة الثقافية التكنولوجية والاقتصادية، فاللغة تصبح عالمية بقوة ناطقيها"(٢). ومن نتائج العولمة أيضا الغزو الثقافي، الذي يسعى إلى قلب الحقائق، وتشويه المفاهيم، وإلى إعادة تشكيل العالم العربي بالتدخل في سياسته التعليمية، ووضع الخطط والبرامج التربوية.

(١) ـ الجامعة ومواجهة التحديات التكنولوجية برامج التطوير وسيناريوهات المستقبل: فاطمة نتاج رياض، أطروحة دكتوراه الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠١م، ص ٥٢،٥١.

(٢) ـ اللغة العربية وتحديات العولمة: محمد جعرير، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد ١٣، جانفي ٢٠١٥م، ص٤١.

وقد برزت هيمنة الدول القوية والانفتاح على العالم نتيجة لثورة التكنولوجيا والمعلومات والتطورات الجذرية غير المسبوقة في وسائل الاتصالات؛ مما جعل لشبكة الإنترنت دورا كبيرا في هيمنة اللغة الإنجليزية وسيادتها، وأدت إلى انبهار كثير من الشباب بالثقافة الغربية، حيث أصبح التعامل بالإنجليزية كتابة وتحدثا صورة من صور المباهاة، فغزت المحادثات اليومية والتعاملات بين الأفراد، وذلك للاعتقاد السائد أن هذا التعامل مظهر من مظاهر الحداثة، وتعبير عن الرقي والتحضر في السلوك الإنساني، وفي الحقيقة ما هو إلا تعبير يعكس شعور العربي بالنقص وبإحساسه بالهزيمة، فيحاول أن يضفي على شخصيته شيئا من التطور والرقي عن طريق ممارسته الإنجليزية في كل تفاصيل حياته اليومية.

ويمكن القول إن آثار العولمة تتجلى في أن النظام العالمي الجديد فرض اللغة الأقوى بحكم القوة السياسية والثقل الاقتصادي والسبق المعلوماتي، فطغت اللغة الإنجليزية على الساحة، وأعلى العرب شأنها على حساب اللغة العربية والهوية العربية بصفة عامة. **وظهرت عولمة اللغة من خلال الممارسات الآتية:**

أ ـ اعتماد التعليم (ثنائي اللغة) في مراحل التعليم الأساسية والطفولة المبكرة (الروضة) في مدارسنا ومناهجنا الدراسية، وإقرار اللغة الإنجليزية لغة تعليم أساسية في بعض المدارس، إذ ارتبط التقدم والتطور وضمان المستقبل الزاهر في أذهان كثير من أفراد المجتمع بتعلم هذه اللغة منذ وقت مبكر، فسعت هذه المدارس إلى تنشئة الأجيال على حبها والافتخار بإجادتها والتحدث بها، مما أفقد لغتنا العربية سيادتها ودورها في بناء هوياتهم وأفكارهم وتوجهاتهم.

ب ـ اعتماد اللغة الإنجليزية لغة تعليم في الكليات العلمية في الجامعات على الرغم من أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، ومن كون الهدف الثاني من أهداف الجامعات يتوجه نحو العناية باللغة العربية وهذا القرار يعكس الانبهار بإنجازات الغرب، وفي الوقت نفسه يعكس العجز والتكاسل عن القيام بتعريب المواد العلمية إلى العربية مع أن هناك تجارب ناجحة لبعض الدول أظهرت آثارها الإيجابية على التعليم وتشجع على السير في الطريق نفسه كتجربة سوريا.

والحقيقة أن من أقروا اعتماد اللغة الإنجليزية لغة تعليم غفلوا أو تغافلوا عن حقيقة مهمة، وهي أن الأمة لا تتقدم، ولا تتطور إلا بالتمسك بلغتها، وبجعلها لغة علم وحضارة، وبالحفاظ على هويتها وكينونتها لا بالانصراف عن لغتها إلى لغات أخرى!

ج ـ تبوء اللغة الإنجليزية مكانة كبيرة على المستوى الرسمي، ويبدو ذلك في التوجه الحثيث نحو اشتراط إجادتها في المؤسسات التعليمية، ومؤسسات الدولة، والمؤسسات والشركات الخاصة، حيث أصبحت هذه المؤسسات تشترط حصول المتقدمين للدراسات العليا والوظائف العامة والخاصة على شهادة (التوفل) سواء أكان ذلك ضروريا للعمل أم غير ضروري، فقد أصبحت شهادة الكفاءة

في اللغة الإنجليزية معيارا لقبولهم في الوظائف، حتى وإن كانوا يعانون ضعفا في لغتهم العربية، فلم يعد أحد يهتم بمدى إتقان هؤلاء المتقدمين للغتهم الأم؛ مما تسبب في إقصاء اللغة العربية عن سوق العمل، وانصراف أفراد المجتمع عن تعلمها وممارستها، حيث توجهوا نحو إتقان اللغة الإنجليزية كتابة وتحدثا متكلفين عبء تعلمها؛ لكي لا تقف حائلا أمام حصولهم على لقمة العيش في وطنهم العربي.

د- مشاركة القطاع العام والخاص المتمثل في المؤسسات والشركات والمحال التجارية وبعض الجامعات العربية في تعزيز استعمال اللغة الإنجليزية، وذلك باعتمادها في مواقعها الرسمية على الإنترنت، أو بتسمية مؤسساتهم وشركاتهم ومحالهم التجارية بأسماء أجنبية، أو تسميتها بأسماء أجنبية وكتابتها بحروف عربية.

هـ- تداول المصطلحات الإنجليزية في المجتمع، واستعمالها بديلا عن المصطلحات العربية على الرغم من أن اللغة العربية قادرة على إيجاد مقابل للمصطلح الإنجليزي بوسائل شتى.

٢- **شيوع العامية وتنحية الفصحى عن الاستعمال**: أدى تنوع اللهجات وشيوع العامية إلى تدهور الأداء اللغوي للعربية الفصحى، حيث عزلت عن الاستعمال في الحياة العامة، وامتد ذلك ليشمل المدارس والمعاهد، والجامعات، ومجالس القضاء، والمؤسسات العامة والخاصة، فنجد طغيان استعمال العامية وتكريس استعمال اللهجات المختلفة على مستوى المتعلمين حتى الأساتذة؛ وذلك بسبب عدم فرض العربية الفصحى لغة تعليم في المدارس والجامعات، والمؤسسات العامة والخاصة، وبسبب دعوة المغرضين إلى العامية بحجة سهولتها وصعوبة العربية الفصحى وتعقيدها متناسين أن المدارس والجامعات من أهم حصون اللغة العربية، وأن الأستاذ قدوة الطالب، ولا يخفى ما في هذه الدعوة من خبث وحقد على العرب والمسلمين.

وقد أشارت إلى ذلك إحدى الباحثات بقولها إن" وجود التنوع في اللهجات واستعمالها في التواصل غير الرسمي وحتى الرسمي الشفوي أضعف الهوية اللغوية العربية، وأثر سلبا على ارتباط العرب بالعربية الفصحى؛ إذ أدى إلى ضعف الكفاية اللغوية في العربية الفصحى، ونأى بها عن التعبير عن الحياة الاجتماعية والواقع المعاش، حيث تولت العامية ذلك، ومنه انحصر مجال استخدام العربية الفصيحة"[١].

وتنحية العربية الفصحى عن الاستعمال تسبب في ضعف الكفاية اللغوية عند أبنائها، وفي وجود فجوة بينها وبينهم، فكثير من الطلبة وأفراد المجتمع لا يتقنون قراءة القرآن الكريم، ولا يفقهون دلالات

(١)- أثر الهوية اللغوية في تطور العربية: سعاد بوضياف، مجلة الأثر، العدد٢٥، جوان ٢٠١٦م، ص ٢٠٣.

ألفاظه وتراكيبه، ووصل الأمر إلى أن كثيرا من المفردات العربية صارت غريبة عنهم فلا تقرأ قراءة صحيحة ولا تدرك معانيها، ومن أمثلة ذلك كلمات مثل: موارب، إزاء شتان، ضيم، منأى، مآب، ... وغيرها.

وقد اتسع عزل الفصحى عن الاستعمال ليصل إلى الجامعات، فآثر كثير من أساتذة الجامعات إلقاء المحاضرات بالعامية عفويا وهروبا من قواعد الفصحى نتيجة لعدم الاهتمام بفصاحة الكلام، وشاع اللحن في خطاب الأساتذة في المناقشات والمؤتمرات واللقاءات العلمية، وانتشر الخطأ في كتاباتهم، ووصل ذلك إلى أساتذة اللغة العربية أنفسهم، وليتهم وعوا ما قال ابن جني حينما أشار إلى من ضلِ من أهل الشريعة عن القصد لضعفه في اللغة العربية الكريمة الشريفة، منوهًا بأثرها في المتمكن منها بقوله: " ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة، أو تصرف فيها، أو مزاولة لها، لحمتهم السعادة بها ما أصارتهم الشقوة إليه بالبعد عنها"(١).

وهكذا نجد أن الفصحى قد عزلت عن الاستعمال على مستوى الفرد والمجتمع، وتراجع دورها بوصفها أداة اتصال وتواصل، وأداة للتفكير والإبداع، والتطور العلمي والثقافي، وليس هذا فحسب بل أصبحت الدولة تشجع على الإبداع والتأليف بالعامية، ومنحت جائزة لأحد الكتاب لنشره كتابا مؤلفا بالعامية.

٣ـ الفراغ الديني والاستلاب الثقافي: ومن التحديات التي تواجه اللغة العربية ضعف ارتباط بعض أبنائها بدينهم بصفة عامة وبالقرآن الكريم بصفة خاصة، مما أدى إلى تشتت الهوية واضطراب الشخصية، وعدم اعتزاز المواطن العربي بهويته ولغته وقوميته، وإلى شعوره بالنقص أمام الآخرين.

ويعد التغريب والغزو الثقافي استعمار جديد غير مباشر بأسلحة معرفية تتطور بسرعة ماحقة، سمي باستعمار العقل الذي يبدأ من اللغة، وهو أشد نفاذا وتأثيرا في المستوى اللغوي والثقافي (٢). حيث يؤدي إلى اختلال الهوية واضطرابها وتأزمها، فينتج عن هذا الاستلاب الثقافي ضياع اللغة الأم لتأثر أبنائنا بأساليب التنشئة الغربية، حيث يعمد الوالدان إلى تنشئة الطفل على ممارسة الإنجليزية منذ نعومة أظافره.

ويلعب التغريب دورا كبيرا من خلال التعليم ووسائل التواصل الاجتماعي والتلفاز، فيجري طمس اللغة العربية تدريجيا من أذهان الناشئة، ويحل محلها اللغات الأجنبية، ومن ثم يفقدون جزءا جوهريا من هويتهم ألا وهي اللغة العربية (لغتهم الأم) مما يترك فراغا فكريا وثقافيا وروحيا في نفوسهم، فيسهل محو شخصياتهم، وجعلهم تابعين مسلوبي الإرادة، متأثرين بالأفكار الغربية الدخيلة.

٤ـ العزوف عن القراءة: تعد القراءة من أهم المعايير التي تقاس بها المجتمعات تقدما أو تخلفا، فالقراءة عنصر فاعل في تطوير المجتمعات وارتقاء مستواها المعرفي والحضاري، والمجتمع القارئ ينتج الثقافة

(١)ـ الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ج٣، ص ٢٤٦.
(٢)ـ اللغة العربية وتحديات العولمة: عبدالله أبو هيف، بحث منشور في كتاب العربية الراهن والمأمول ص ٨٠٢.

والمعرفة، ويطورها بما يخدم الإنسانية جمعاء. وعلى الرغم من أن ديننا الإسلامي حثنا على القراءة في أول سورة نزلت من القرآن الكريم فإننا نجد ظاهرة ضعف الإقبال على قراءة القرآن الكريم وقراءة الكتب والصحف والمجلات والقصص والأشعار والروايات تتنامى بصورة مؤسفة؛ مما تسبب في تدهور الأداء اللغوي لأفراد المجتمع، ذلك أن القراءة تعد من أهم وسائل اكتساب المعرفة والثقافة بصفة عامة واكتساب اللغة بصفة خاصة، فهي وسيلة مهمة لإثراء المخزون اللفظي للقارئ، وتنمية ذوقه وتوسيع مداركه وتكسبه القدرة على الفهم والتحليل والتركيب والتقويم، وتساعده على الابتكار والإبداع، وتعزز مقدرته على التواصل مع الآخر بثقة واقتدار، ومن المؤسف عدم إدراك آثار القراءة على أفراد المجتمع، فنجد الطلبة يعتمدون في تلقي العلم والمعرفة على المدارس والجامعات فقط، ولا يعرفون طريقا إلى القراءة وليس لديهم شغف لقراءة قصة أو رواية فضلا عن كتاب! ولا يتلمسون طريق العلوم في الكتب والأبحاث العلمية، ويكتفون بما يقرره لهم أساتذتهم سواء أكان كتابا أم ملزمة لا تشبع نهم المعرفة الذي من المفترض أن يكون متولدا لديهم.

ومن آثار العزوف عن القراءة عند الطلبة عدم التمكن من قراءة الكلمات قراءة سليمة فضلا عن قراءة التراكيب والجمل، وعدم تمكنهم من التعبير السليم عن أي موضوع حتى وإن كان يخص الطالب نفسه فضلا عن ضعف الكفاية اللغوية لديهم، فلا تسعفهم المفردات الملائمة للمعنى الذي يقصدونه، وتظهر لديهم أخطاء لغوية فادحة لم نعهدها من قبل كعدم التمييز بين الضاد والظاء وغيرها من الأخطاء.

٥ـ **انعدام الأمن اللغوي:** لقد أصبحت الحاجة إلى أمن لغوي عربي اليوم أكثر إلحاحا من أي وقت مضى وهو مطلب مصيري يتطلب من الجميع الدعوة إلى تحقيقه، ويتحقق الأمن اللغوي حينما يلمس أفراد المجتمع تفعيل لغتهم الرسمية على الواقع، فيمارسونها في أحاديثهم، ويسمعونها في الإذاعة والقنوات التلفزيونية، ويتعلمها الطلبة في المدارس والجامعات، فتتكون لديهم تصورات إيجابية نحو لغتهم، من ثقة عالية، وفخر واعتزاز بها. غير أن ما يحدث اليوم ليس في صالح الأطفال والناشئة والطلبة بصفة عامة حيث أصبحوا محرومين من سماع العربية الفصحى في أوساطهم العلمية والاجتماعية. وغني عن البيان أن تعليم أي لغة تعليما صحيحا لابد أن يبدأ أولا بالاستماع، ثم القراءة، ثم التحدث، فالكتابة، فإذا كان هؤلاء لا يسمعون الفصحى، فأنى لهم أن يتحدثوا بها أو أن يفهموها ويدركوا معانيها؟!

ويظهر الافتقار إلى الأمن اللغوي لدى أفراد المجتمعات العربية أيضا بسبب هيمنة الثقافة الغربية ونتيجة لعدم مواجهة الاتجاهات السلبية نحو اللغة العربية ومقرراتها ومعلميها، وهذا ما أكده هدسون حيث يرى أن تصورات الجماعة اللغوية تختلف تجاه لغاتها، فإذا كانت لديهم تصورات سلبية فإن ذلك

سيؤثر سلبا على اللغة واستعمالها في المجتمع، وقد عرفت هذه الظاهرة في اللسانيات الاجتماعية بمصطلح اللاأمان اللغوي [١].

وفي الواقع نجد أن التصورات السلبية عن اللغة العربية بأنها ليست لغة عصرية، وغير قادرة على مواكبة العصر والتطور العلمي والحضاري، ولا تتيح فرص عمل جيدة، ولا تحقق نجاحات كبيرة، تؤثر في أفراد المجتمع المنصتين لهذه الادعاءات، فيتكون لديهم اعتقاد راسخ أن ضعفهم ناتج عن ضعف العربية، ومما يدعم هذه التصورات أن هناك من يروج للغة الإنجليزية بأن متقنيها يحصلون على فرص عمل في أرقى المؤسسات، وأنها تمنح الناطقين بها مكانة اجتماعية واقتصادية عالية، وتدعم احترامهم لذواتهم، وهذا كله ينعكس سلبيا على استعمال العربية الفصحى وممارستها في الحياة.

ومن التصورات السلبية عن اللغة العربية أيضا أنها لغة صعبة ومعقدة، ومرد الصعوبة والتعقيد تلك الضوابط النحوية والصرفية والدلالية التي تتقيد بها، والمتأمل في واقع اللغات يجد أن هذه الضوابط ليست حكرا على لغتنا العربية فقط، بل" إن اللغات الأجنبية كالإنجليزية والألمانية على سبيل المثال تمتلئ الواحدة منها بالقواعد والضوابط التي يعد الخروج على جانب أو جزء منها خللا يسيء إلى بنائها اللغوي وعيبا لا يغتفر لمن يقع فيه، أما نحن، وعندما يقع الواحد منا في خطأ أو خلل لغوي فإنه يسرع في رد ذلك إلى صعوبة في اللغة، وتعقد في أنظمتها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والأسلوبية"[٢]. والحق أن وجود ضوابط تحكم النظام اللغوي لأي لغة يشير إلى الدقة التي تتمتع بها تلك اللغة، والحرص عليها من الابتذال، والنأي بها عن الاستهتار والتهاون.

وهذه الاتجاهات السلبية نحو اللغة العربية تعد صفارة إنذار ومؤشرا على الأخطار التي تنذر باضطراب الهوية العربية وانسلاخها عن العروبة، وتؤسس لفصل الإنسان العربي عن دينه وثقافته وتاريخه، وتشكل هوة عميقة بينه وبين جذوره التاريخية والثقافية، وحاجزا منيعا يحول دون معرفة دور أجداده في بناء الحضارة الإنسانية، **وقد نتج عن هذه الاتجاهات السلبية في الواقع ما يأتي:**

- غياب الدافع لتعلم اللغة العربية، وانصراف الطلبة عن دراستها في الجامعات، مما تسبب في أن تصبح أقسام اللغة العربية مهددة بالإغلاق التام.

- دراسة اللغة العربية ليس حبا فيها ولا رغبة في تعلمها، ولكن بسبب عدم قبول الطلبة في كليات أخرى فيضطر هؤلاء لدراستها مجبرين، وليسوا مخيرين.

(١) - علم اللغة الاجتماعي: هدسون، ت: د. محمود عياد، عالم الكتب، ط٢، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٣٠٧.

(٢) - التحديات التي تواجه اللغة العربية ودور القرآن الكريم في التصدي لها: د. رياض محمود قاسم، أ. عبد الحميد الفراني، بحث مقدم إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، أبريل ٢٠٠٧م، ص ٣٣٩.

ـ الانهزام النفسي وعدم اعتزاز الشباب العربي بلغتهم العربية بل باللغة الإنجليزية بوصفها رمز التحضر والرقي ولغة العصر، منجرين نحو الغرب ومغرياته، متدثرين بلغة غريبة عنهم، منفصلين عن تراثهم الحضاري وجذورهم التاريخية.

٦ـ **غياب التخطيط اللغوي:** يعنى التخطيط اللغوي بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع، وبمدى تأثر كل منهما بالآخر، ويهتم بدراسة المشكلات التي تواجه اللغة سواء أكانت مشكلات لغوية بحتة لتوليد المفردات وتحديثها، أم مشكلات ذات مساس باستعمال اللغة، هادفا من وراء ذلك إلى إيجاد حلول مدروسة لتلك المشكلات من خلال العمل الجاد والمنظم[١].

وعلى الرغم من أهمية التخطيط اللغوي في علاج المشكلات اللغوية التي يعاني منها المجتمع العربي فإن الحكومات لا تأخذ به إطلاقا، ويشير حلمي خليل إلى ذلك بقوله: " إن الأخذ بمبدأ التخطيط اللغوي في العالم العربي اليوم قد يكون الخطوة الأولى على بداية الطريق لحل مشكلات حياتنا اللغوية، وهي مشكلات جديرة بأن تكون في مقدمة مشكلاتنا القومية والسياسية والاجتماعية، بل لعلي لا أكون مسرفا إذا قلت إنها مشكلات خليقة بأن تهز كيان الأمة العربية هزا"[٢].

٧ـ **غياب الدور الفاعل الدولي والمحلي للحكومات العربية:** مما يؤسف له أن نشاهد بأم أعيننا غياب الحمية والعصبية للغتنا الأم، وعزلها عن الاستعمال على المستوى الرسمي والعالمي، فتراجع استعمالها في المحافل الدولية على الرغم من أنها تعد لغة رسمية معتمدة في الأمم المتحدة، حيث أصبح المسؤولون العرب يتباهون بحديثهم بالإنجليزية في تلك المحافل، وكأنهم في مقام استعراض المهارات، لا في مقام المسؤولية والاعتزاز بالوطن والهوية وإثبات الذات، غير مدركين أن تخليهم عن لغتهم، وعدم اعتزازهم بها أمام شعوبهم وأمام العالم أجمع يعكس ضعفهم لا قوتهم ومهارتهم.

وعلى الصعيد المحلي نلاحظ موت الغيرة على لغتنا العربية ففي الوقت الذي تسعى فيه دول العالم المهيمنة إلى حماية لغتها والغيرة عليها، تسهم الدول العربية في إضعاف لغتها، وتساعد في تمكين اللغة الإنجليزية في أراضيها، وتحث شعوبها على تعلمها؛ مما يعكس النظرة القاصرة إلى آثار ذلك على الشعوب العربية، وكان الأحرى بها أن تغار على لغتنا العربية، وعلى ديننا وهويتنا، وتنظر نظرة شمولية جادة لرفع شأنها، ولمواجهة التحديات التي تحيط بها بجدية واهتمام، وتستفيد من تجارب الشعوب في ذلك، فالصين

(١) ـ دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها: فواز الزبون، بحث منشور على الشبكة ٢٠٠٩م، ص ٨٥

(٢) ـ دراسات في اللسانيات التطبيقية: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ١٣.

وألمانيا واليابان وغيرها لم تفرض على شعوبها التعلم بالإنجليزية، بل جعلت لغاتها هي لغة التعليم؛ لأنهم على ثقة بأن اللغة القومية هي عنوان نهضة الأوطان ومنبع شموخها وكبريائها.

واليهود بعثوا لغتهم (العبرية) إلى الحياة بعد اندثارها؛ لأنهم يدركون جيدا أن وجودهم واستمرارهم مرتبط بلغتهم، وإعلاء شأنها مرتبط بعزتهم وقوتهم، فلم يستعيروا لغات أخرى؛ لتكون اللغة الرسمية لدولتهم على الرغم من تعدد جنسياتهم، لكنهم جعلوا من هذا التعدد حافزا لهم؛ لأن يجعلوا العبرية الرابط القوي الذي يربط أفراد شعبهم المتميز بتعدد الجنسيات؛ كي يتوحد تحت ظل عقيدة ولغة واحدة.

وها هو شارل ديجول حاكم فرنسا السابق يعتز بلغته، ويجهر قائلا: لقد فعلت لنا لغتنا مالم تفعله لنا جيوشنا، فلغتنا جعلت القوم أتباعا لنا أذلة، وجيوشنا احتلت الديار، ورحلت عنها، وخلفت لنا الكراهية.

وأدرك الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس) أهمية اللغة الأم وأثرها في إصلاح الدول فحين وجه ملك الصين قديما إليه سؤالا قائلا له: أريد أن أصلح مملكتي فبماذا أبدأ؟ فأجابه الفيلسوف: ابدأ بإصلاح اللغة[١].

ومما لا شك فيه أن إصلاح اللغة والنهوض بها، والعمل على ارتقائها من مسؤوليات الدول والحكومات في المقام الأول، فإصلاحها والحفاظ عليها لا يقتصر على مؤسسة واحدة فقط، بل هي مسؤولية الجميع، الوزارات، والمؤسسات، والمدارس، والجامعات، والمنظمات، والأندية الثقافية والمساجد والمراكز، حيث يجب على جميع هذه المؤسسات الحرص على مواجهة هيمنة اللغات الأجنبية بالعمل على تمكين اللغة العربية بجميع الإمكانيات المتاحة؛ كي نستطيع ردم الفجوة القائمة بين العربي ولغته الأم.

ومما لا شك فيه أنه إذا ما فقد أي شعب استخدام لغته الأم فإن ذلك سيؤدي تلقائيا إلى طمس ذاتيته الثقافية وفقدان هويته المميزة؛ لذلك يرى شاعر صقلية "أن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها وتشرد من بيوتها وتظل مع ذلك غنية، فالشعب يفتقر، ويستعبد فقط عندما يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، وعندئذ يضيع إلى الأبد، فأي أمة لا تستطيع البقاء دون لسان يعبر عن ذاتها"[٢].

ويتجلى غياب دور الحكومات في مواجهة التحديات فيما يأتي:

أ- غياب القرار السياسي الذي ينص على فرض العربية الفصحى لغة تعليم أساسية في مرحلة الطفولة المبكرة (الروضة) إلى سن العاشرة، وفي دراسة المواد العلمية في المدارس والجامعات. فعندما نتأمل واقع الدول العربية لوجدنا أن ثمة تسيبا قوميا لغويا يتجلى في مختلف جوانب حياتنا اللغوية سواء

(١)- اللغة العربية وتحديات العصر: محمود أحمد السيد، دمشق ٢٠٠٨م، ص ٣٦.
(٢)- التنوع البشري الخلاق: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٠٠.

أكان ذلك في المدارس والمعاهد والجامعات أم في الحياة العامة خارج نطاق مؤسسات التعليم، فلغتنا الفصيحة لا يمارسها المتعلمون ولا المعلمون، ولا يمكن اكتساب أي لغة بدون ممارسة وتعزيز.

ب ـ غياب دور وزارة التربية والتعليم، ويتجلى ذلك في عدم تحديث المناهج، وعدم ربط موضوعاتها بالحياة، وتركيزها على الكم، وليس على الكيف، ونتج عن ذلك كثافة موضوعات مقررات اللغة العربية وحشوها بكثير من التفصيلات غير الضرورية للطلبة؛ مما جعلهم ينفرون منها، فضلا عن عدم سعيها نحو تيسير القواعد النحوية والاقتصار على ما هو ضروري منها في المدارس وفي أقسام الجامعات غير المتخصصة بها. وفي ذلك يقول طه حسين:" فاللغة العربية لا تدرس في مدارسنا، وإنما يدرس في هذه المدارس شيء غريب، لا صلة بينه وبين الحياة، ولا صلة بينه وبين التلميذ وشعوره وعاطفته، وآية ذلك أنك تستطيع أن تمتحن تلاميذ المدارس في الثانوية والعالية، وتطلب إليهم أن يصفوا لك في لغة عربية واضحة ما يجدون من شعور أو إحساس أو عاطفة أو رأي، فإن ظفرت منهم بشيء فأنا المخطئ وأنت المصيب، وإن وجدت عند بعضهم شيئا فليس هو مدينا به للمدرسة، وإنما هو مدين به للصحف والمجلات والأندية السياسية والأدبية "[1].

ويغيب دور وزارة التربية والتعليم أيضا في تأهيل معلمي اللغة العربية، وعدم الحرص على إعدادهم إعداد جيدا، خاصة معلمي المراحل الدراسية الأولى، وعدم تدريبهم على تطبيق طرق التدريس الحديثة، فكثير منهم مازال يمارس الطرق التقليدية في تدريس القواعد النحوية والإملائية خاصة، ومازال تركيزهم منصبا على الجانب النظري؛ مما نتج عنه إهمال الجانب التطبيقي، وعدم ربط اللغة بالواقع.

ج ـ تنحية العربية الفصحى في وسائل الإعلام عن الاستعمال، فنجد انحياز كثير من الإعلاميين إلى العامية، بل إن هناك من ينادي إلى الالتزام المطلق بالعامية، ونبذ الفصحى في وسائل الإعلام، وإن استعملت الفصحى في البرامج الإعلامية، وفي الفعاليات الثقافية فإن الأخطاء اللغوية الجسيمة تطرق الأسماع بقوة. ومن الأهمية بمكان أن تولي الدولة المؤسسات الإعلامية اهتماما متزايدا" ذلك أن اللغة تلك الأداة الضخمة، إذا ما عطلت في مجتمع، أو إذا ما اعترضت طريقها الصعاب فإن الفرد بل المجتمع كله يشل ويقف، فلا اتصال ولا علم ولا إعلام يدفع بحيويته إلى التدفق والرقي والسير في ركب الحضارة "[2].

(١)ـ في الأدب الجاهلي: طه حسين، مطبعة فاروق، ط٣ ، القاهرة ١٩٣٣م، ص٨.
(٢)ـ دراسة اللغة في العصر الحديث: سهير القلماوي، مجلة مجمع اللغة العربية ،الجزء ١١، القاهرة ١٩٥٩م، ص ١٨.

د ـ غياب المراكز البحثية والمؤسسات الفاعلة لمعالجة عزل العربية الفصحى عن الاستعمال، وضعف المتعلمين وأفراد المجتمع عامة في مهاراتها، ومعالجة القصور في ربط تعليم اللغة العربية بالتطورات والتقنيات الحديثة، مما جعل اللغة العربية وحامليها في هذا العصر كساع إلى الهيجاء بغير سلاح.

هـ ـ غياب الرقابة اللغوية، فعدم الإشراف اللغوي على إصدار المنشورات واللوحات الإعلانية والدعائية وعلى المؤلفات والكتب المترجمة في المؤسسات المختلفة تسبب في شيوع الأخطاء اللغوية وترسيخها في أذهان أفراد المجتمع، وفي الإساءة إلى لغتنا العربية كثيرا.

و ـ إهمال القراءة وعدم تشجيع أفراد المجتمع على ممارستها، حيث إن الدول العربية لا تعمل على إزالة المعوقات التي تقف حائلا بين المجتمع والقراءة، فصارت مجتمعاتنا لا تقرأ، حيث اكتفت بوسائل الإعلام في تحصيل معارفها وثقافتها، وهجرت الكتب، فأثر ذلك تأثيرا سلبيا على لغتنا، وانعكس على ممارستها كتابة وتحدثا؛ ذلك أن للقراءة دورا كبيرا في اكتساب اللغة، وإثراء الحصيلة اللغوية، وتنمية الفكر.

ز ـ عدم اهتمام الدول والحكومات بالتصدي للاتهامات التي توجه للغة العربية بأنها تتسم بالجمود، ولم تعد قادرة على التعبير عن متطلبات العصر، وبأنها لغة صعبة ومعقدة أيضا، بل تعدوا ذلك إلى القول إن سبب عدم تقدم العرب هو تمسكهم بلغتهم العربية، وهذه الاتهامات تهدف إلى دفع أبناء العربية إلى هجر لغتهم والانصراف عنها إلى الإنجليزية لتطورها أو إلى العامية لسهولتها، غايتهم في ذلك تجزئة الأمة العربية ووأد اللغة العربية حية. والحقيقة أن اللغة لا تجمد بطبيعتها، أو تتخلف من تلقاء نفسها، فإن حدث ذلك فأبناؤها هم السبب؛ لأنهم يشكلون المحور الأساسي في بقائها قوية مزدهرة، فأي لغة لا تنمو، ولا تزدهر بمنعزل عن مجتمعها، وبعيدا عن أبنائها، ويشير إلى ذلك كمال بشر بقوله: " إن جمود اللغة وتخلفها ونموها وازدهارها، كل أولئك يرجع أولا وآخرا إلى وضع أهليها، وإلى نصيبهم من التعامل والتفاعل مع الحياة، وما يجري في العالم من أفكار وثقافات ومعارف جديدة ومتنامية، فإن كان لهم من ذلك حظ موفور انعكس أثره على اللغة، وإن قلِ هذا النصيب أو انعدم بقيت اللغة على حالها دون حراك أو تقدم، اللغة لا تحيا ولا تموت بنفسها، وإنما يلحقها هذا الوجه أو ذاك بحسب الظروف والملابسات التي تحيط بها"[(١)].

٨ـ تدهور الأداء اللغوي : يعدِ استشراء الضعف في مهارات اللغة العربية بدءا من المعلم وانتهاء بالطلبة من التحديات المحيطة باللغة العربية، **وتتجلى مظاهر هذا التدهور في:**

أ ـ ضعف الطلبة ومخرجات المدارس والجامعات في مهارات اللغة العربية، ويبدو هذا الضعف جليا في كتاباتهم وحديثهم، فنجد الخطوط السيئة التي لا نفقه منها شيئا، والأخطاء الإملائية الفادحة التي لم نتصور يوما أن يقع فيها طالب جامعي، ونجد من لا يستطيع كتابة فقرة فضلا عن كتابة مقال،

(١) ـ اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم: كمال بشر، دار غريب ، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٥٤.

بل قد نجد أحيانا من لا يستطيع تركيب جملة تركيبا صحيحا، ومن لا يتمكن من التحدث في موضوع ما بلغة عربية سليمة وما ذلك كله إلا لفقر رصيدهم اللغوي وضعف تكوينهم اللساني والفكري.

ب ـ ضعف المستوى الأكاديمي والتربوي لبعض المعلمين الذي يترتب عليه ضعف الأداء التعليمي، فمما يؤسف له أن افتقاد المعلم للكفاءة والمهارات المطلوبة يعدِ سببا رئيسا من أسباب ضعف الطلبة في مهارات اللغة العربية، **وتتجلى مظاهر هذا الضعف في:**

- شيوع الأخطاء اللغوية عند كثير من المعلمين، ويشمل ذلك معلمي اللغة العربية أنفسهم، وخاصة معلمي المرحلة الابتدائية الذين يعتمد عليهم في تأسيس التلاميذ تأسيسا قويا، فتنعكس هذه الأخطاء عليهم لكونهم يتبعون معلميهم في طريقة كتاباتهم وفي أحاديثهم لثقتهم المطلقة بهم.
- عدم التزام المعلمين باستعمال العربية الفصحى، حيث أصبحت العامية بلهجاتها المختلفة لغة التعليم عوضا عن الفصحى على الرغم من اختلافها من معلم إلى آخر.
- عدم العناية بالعربية الفصحى بوصفها اللغة الأم من قبل المعلمين وافتقارهم إلى الإلمام بأساسياتها وقواعدها وأصولها، فضلا عن سوء الخط لدى بعضهم، وعدم إيلاء الأمر اهتماما بالسعي إلى تحسينه وتجويده؛ كي يكون قدوة حسنة للطالب.
- عدم التنويع في طرق التدريس وأساليب التقويم، والاقتصار على الطرق التقليدية، وعدم الاقتناع باستعمال الوسائل التكنولوجية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها.
- عدم استشعار معلمي اللغة العربية بصفة خاصة مسؤوليتهم التاريخية تجاه لغتنا العربية، حيث يرون تعليمها وسيلة للحصول على لقمة العيش فحسب؛ مما جعل معظمهم يتسمون بالسطحية، وانعدام الثراء اللغوي والمعرفي، والافتقار إلى الكفاءة في التدريس، فلا يهتمون بتنويع طرائقه، ولا يعملون على غرس حب العربية والاعتزاز بها في نفوس المتعلمين، ولا يحرصون على أن يفهم الطلبة قواعدها وأساسياتها ويدركوا أسرارها وجمالياتها، ولا يهتمون أن يكونوا قدوة تحتذى بممارستها ممارسة سليمة، ومما لا شك فيه أنه لا أمل في إصلاح حال اللغة العربية في ظل معلم مقصر ومنهج عقيم.

وهذه المظاهر جميعها تؤول أسبابها إلى قبول الطلبة ذوي المستويات الضعيفة في كلية التربية، وإلى عدم الحرص على أن تكون مخرجات الكلية متميزة، وعلى تطوير التعليم بين فترة وأخرى.

- عدم وضع سياسة قبول خاصة في أقسام اللغة العربية تتضمن شروطا معينة من ضمنها إتقان المهارات اللغوية، والنجاح في اختبارات القبول التحريرية والشفوية، فهناك طلبة في أقسام اللغة العربية لديهم عيوب في النطق، وآخرون لا يتمكنون من تركيب جملة سليمة فضلا عن

اتصافهم بضعف واضح في الكتابة، وقد وصف ذلك هادي نهر بقوله: " لقد صارت لغتنا اليوم كمئذنة يلفها الغبار، فالناطقون يضيقون بها، ويهربون من قواعدها وتراكيبها، بل إن بعض المتعلمين العرب لا يعرفون تركيب جملة عربية سليمة السكنات والحركات، والأنكى من ذلك أننا نرى بعض طلبة الجامعات في أقسام اللغة العربية وآدابها لا يدركون فصاحة القول، ولسانهم يلحن، ومعارفهم اللغوية على كل المستويات لا تتناسب وشهادتهم الجامعية "(١).

فإذا كان هذا حال طلبة أقسام اللغة العربية وآدابها، فكيف حال طلبة الكليات الأخرى الذين صار معظمهم يتعلمون باللغة الإنجليزية، وليس بلغتنا الأم؟!

إن هذه التحديات تحتم علينا جميعا شعوبا وأفرادا، حكومات ومؤسسات، مدارس وجامعات، أن نقف بقوة لمواجهتها والتصدي لها، وذلك بالمطالبة بتفعيل دور الدول والحكومات، وتفعيل دور المدرسة والجامعة، والمجتمع، والأسرة، وذلك باقتراح الحلول والمعالجات والعمل على تنفيذها.

سبل مواجهة التحديات المحيطة باللغة العربية الفصحى:

تعنى الأمم بلغاتها عناية فائقة، فمهما يكن من أمر أو ظرف قاهر لا يمكن أن تتخلى عن لغاتها أبدا لأنها تدرك أن سر بقاءها مستمد من بقاء لغاتها، فاليابان قبلت كل شروط الأمريكيين في الحرب العالمية الثانية إلا شرطا واحدا لم تقبل به، وهو التخلي عن لغتها القومية في التعليم، فكانت اللغة اليابانية منطلق نهضتها العلمية والصناعية الجديدة. "وفي فيتنام دعا القائد الفيتنامي (هوشي مينه) أبناء أمته قائلا: لا انتصار على العدو إلا بالعودة إلى ثقافتنا القومية ولغتنا الأم، وأضاف: حافظوا على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذار من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية "(٢).

فأين نحن منهم؟! وأين نحن من الشعب الألماني الذي يعتز بلغته القومية، والذي حارب الضعف في اللغة الألمانية برفع شعار أصدرته صحيفة (دي فيلت) عام ١٩٦٨م، يتضمن " لا شهادة ثانوية مع ضعف في اللغة الألمانية "(٣).

ولغتنا العربية يجب أن تحظى بمكانتها الكبيرة ومنزلتها العظيمة، ويجب أن يعتز أبناؤها بها، فهي لغة متفردة بخصائصها، متميزة عن غيرها من اللغات، وقد احتلت مكانتها التي تستحقها في نظر المستشرقين المنصفين، فشهدوا لها بأنها لغة لا تبارى، ومن أمثال هؤلاء المستشرق الأمريكي وليم ورل الذي رأى أن للغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي،

(١)-أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية: هادي نهر، سلسلة الجامعة التونسية، تونس، ديسمبر١٩٧٨، ص ١٢٢.

(٢)-اللغة العربية وتحديات العصر: محمود أحمد السيد، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ١٦٨.

(٣)-اللغة العربية والتحديات المعاصرة وسبل معالجتها: أحمد كنعان، مكتبة لسان العرب، ٢٠١٢م، ص ١٢.

ويشير أيضا (ماسينون) الفرنسي إلى أن اللغة العربية لغة وعي، وينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية، وأكد أن في اللفظ العربي جرسا موسيقيا لم يجده في لغته الفرنسية [١].

ومهما أحاطت التحديات باللغة العربية فإنها ستبقى صامدة ثابتة، وليس علينا أن نخشى عليها، لأنها قوية في ذاتها لارتباطها بالقرآن الكريم، فهو سر خلودها وعظمتها، بل علينا أن نخشى على أجيالنا من الانسلاخ عن هويتهم وتراثهم الفكري والحضاري، والانجرار وراء الغرب مع تفاقم الغزو الثقافي والعالمي للأمة العربية والإسلامية. فما نخشاه حقيقة هو أن تتسع الهوة بين اللغة العربية وأبنائها، وقد بدت آثار هذا الاتساع واضحة في ظاهرة ضعف الطلبة والمخرجات الجامعية في المهارات اللغوية وانصرافهم عن تعلم لغتهم، وبلغ الأمر ببعضهم حد الازدراء والاستخفاف بها والنفور منها، فهذه الظاهرة الخطيرة تستدعي العمل على قدم وساق للسيطرة عليها قبل استفحالها، وتستوجب استنفار الجميع للقيام بأدوارهم الفعالة ابتداء بالدولة وانتهاء بالأسرة، **وتتجلى أدوارهم على النحو الآتي:**

أولا ـ دور الدولة:

من مسؤوليات الدولة تجاه شعبها أن تبذل المساعي الحثيثة للحفاظ على اللغة العربية من منطلق ديني بصفة أساسية، ذلك أن ارتباط المسلمين بالقرآن الكريم يعدِ عامل قوة واستمرار للغة العربية، وما شرع الضعف يدب في لغة أبنائنا إلا بسبب ضعف ارتباطهم بالقرآن الكريم؛ لذلك على الدولة أن تعزز ارتباطهم بالقرآن الكريم من خلال إنشاء مراكز التحفيظ، وتشجيع الأطفال والناشئة والشباب على الالتحاق بها، وإقامة مسابقات تنافسية ذات جوائز قيمة للفائزين بها.

ويجب أن ينطلق اهتمام الدولة بالعربية الفصحى أيضا من منطلق الوظائف المهمة التي تؤديها اللغة في حياة الأمة العربية، وليس من منطلق وظيفتها في التواصل والتعبير عن أغراض الناس واحتياجاتهم فحسب؛ لأن هذا يخالف ما أثبتته العلماء في الدراسات اللغوية الحديثة التي تؤكد أن للغة عدة وظائف " فاللغة عند هؤلاء العلماء ليست مجرد أداة يتخاطب بها الناس، ولا مجرد تعبير عن الفكر، بل هي إلى جانب ذلك ذات خصائص ووظائف أخرى أهم وأعمق، من أهمها: أنها تسهم في صنع الفكر وتوجيهه وصياغته الصياغة التي تجعله في هذا المجتمع مختلفا عنه في مجتمع آخر، يقول الفيلسوف الألماني (هردر) موضحا هذا الأمر: لا يمكن أن نشك في أنها ـ يقصد اللغة ـ هي التي تخلق العقل، أو على الأقل تؤثر في التفكير تأثيرا عميقا، وتسدده وتوجهه اتجاها خاصا"[٢].

(١)ـ اللغة العربية وتحديات العصر: محمود أحمد السيد ص ١٧٤، ١٧٥.

(٢)ـ اللغة العربية في أوطانها بين التحديات والآفاق: محمد الينبعي: بحث منشور في كتاب العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ٢٠٠٩م ، ص ٩٢.

ولقد علمنا الواقع والتاريخ أن تقدم الأمة حضاريا مرهون باعتمادها على لغتها، وأن السعي إلى التقدم باعتماد اللغات الأجنبية عوضا عن اللغة العربية لا يعدو أن يكون ركضا وراء السراب، وترسيخا لقيمة الاستهلاك والاستلاب الفكري، وتكريسا للتبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية (١).

وبناء على ذلك فإنه من الواجب على الدول العربية أن تعمل على حماية العربية الفصحى وتعزيز استعمالها، وحماية أبنائنا لغويا وثقافيا وترسيخ هوياتهم من منطلق ديني وقومي أولا، ومن منطلق ثقافي وفكري ووجودي ثانيا، **وذلك من خلال اتخاذ الإجراءات الآتية:**

١-اعتماد العربية الفصحى لغة تعليم إلزامية في المؤسسات التعليمية والمدارس والجامعات استنادا إلى الدستور الذي ينص على أن اللغة الرسمية للبلاد هي اللغة العربية، وفرض استعمالها في المحاضرات والحصص الدراسية، واتخاذ الإجراءات الحازمة ضد من يخالف ذلك، والسعي إلى إكساب الأساتذة والمعلمين المهارات اللغوية اللازمة، وذلك بعقد الدورات التدريبية الخاصة بذلك؛ لتمكينهم من إلقاء محاضراتهم وشرح دروسهم وإجراء حواراتهم مع الطلبة ومع زملائهم بالعربية الفصحى.

٢-إلغاء تعليم اللغة الإنجليزية في مراحل الطفولة المبكرة؛ وذلك لما لها من تأثيرات خطيرة على اللغة الأم، فقد أثبتت الأبحاث العلمية أن الثنائية اللغوية في التعليم المبكر تؤثر تأثيرا مباشرا في اكتساب مفردات اللغة الأم واستعمالها، وأن تعلم اللغة الثانية يتطلب أولا أن يكون الطفل متمكنا من لغته الأم فضلا عن كون اللغة الأجنبية المهيمنة تؤدي إلى عثرات واضحة في الأداء اللغوي العربي، وهي عثرات تقع في أصواتها وصرفها ونحوها ورسمها وتداولها، وتؤثر سلبيا في اكتساب العربية وبناء، كفاياتها بناء سليما إضافة إلى أن اللغة الأجنبية الجائرة التي تهيمن على اللغة الأم تؤثر تأثيرات نفسية واجتماعية سلبية على الطفل(٢).

ومن تأثيراتها اللغوية السلبية التي لمسناها على الواقع ضعف الكفاية اللغوية لدى الأطفال، وصعوبة إدراك معاني كثير من المفردات، وعدم نطقها نطقا صحيحا، وصعوبة تركيب جمل أو كتابة تعبير، فضلا عن كتابة الحروف والكلمات من الشمال إلى اليمين.

٣-العمل على تعزيز الهوية العربية الإسلامية وترسيخها، وتوعية الطلبة وأفراد المجتمع بأهمية الاعتزاز بلغتنا، وحثهم على التمسك بها، والحرص على إتقانها لكونها اللغة الأم التي تعبر عن هويتنا وديننا وتاريخنا وثقافتنا، وتوعيتهم بأن العلاقة بين اللغة والمجتمعات الإنسانية علاقة طردية،

---

(١)-اللغة العربية لغة القرآن ورسالة الإسلام: علي الشابي، بحث منشور في كتاب من قضايا اللغة العربية المعاصرة، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المغرب ١٩٩٠م.

(٢)-أثر تعليم اللغة الأجنبية في تعلم اللغة العربية وتعليمها في مرحلة الطفولة: د. وليد أحمد العناتي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثالث والعشرون، رجب ١٤٤٠هـ-مارس ٢٠١٩م، ص ١٨٤، ١٩٣، ١٩٢.

فإذا قويت اللغة قويت المجتمعات، وإذا ضعفت اللغة ضعفت المجتمعات، فلا يكتب لأي لغة الاستمرار وبقاؤها قوية إلا باهتمام أبنائها، ولا تضعف إلا بإهمال أبنائها وإفساح المجال لغيرها.

٤ـ فرض العربية الفصحى في وسائل الإعلام والاتصال المختلفة لما لهذه الوسائل من تأثير مباشر على لغة المجتمعات وطريقة استعمالهم لها، فهي إما ترفع مستوى الأداء اللغوي لأفراد المجتمع، أو تسهم في الإضرار بلغتهم والإساءة إليها؛ ذلك لأنها أكثر الوسائل مصاحبة لأفراد المجتمع في بيوتهم وأماكن أعمالهم، وحلهم وترحالهم، فلقد صارت وسائل أساسية لا يستغنى أفراد المجتمع عنها.

وهذا الفرض يأتي استشعارا لأهمية دور وسائل الإعلام في تعزيز استعمال الفصحى في حياتنا العامة فهي تؤدي دورا كبيرا في النهوض بواقع استعمال اللغة العربية لما لها من تأثير بالغ في تشكيل عقليات الأفراد وأفكارهم، وفي إثراء لغتهم وتقويم ألسنتهم.

وفي الواقع لن تتمكن الدولة من تفعيل دور المؤسسات الإعلامية تفعيلا يصب في صالح دعم العربية الفصحى، وتعزيز استعمالها على الوجه الأمثل إلا إذا حرصت على توظيف الوسائل الإعلامية توظيفا إيجابيا، وعلى إعداد الكوادر الإعلامية إعدادا يتميز بالكفاءة اللغوية والثقافية والإعلامية وتأهيلهم ليصبحوا جنودا متمرسين في حماية اللغة العربية والذود عنها، وقدوة حسنة للجمهور في جودة الأداء اللغوي. ومما لا شك فيه أن حرص الدولة على تمكين الإعلاميين من العربية الفصحى، وجديتها في العمل على تحقيق ذلك سينعكس أثره على المشاهد، فلن يؤذي عينيه برؤية الأخطاء الكتابية على الشاشة وفي الصحف، ولن تطرق سمعه الأخطاء اللغوية واللهجات العامية، فضلا عن أنه سيقضى على الازدواجية بين الفصحى والعامية في الخطاب الإعلامي المعاصر.

٥ـ إصدار تشريعات ملزمة لحماية اللغة العربية من خطر استعمال اللهجات وهيمنة اللغة الإنجليزية ومن عبث المستهترين بها والمعتدين عليها، وذلك بفرض استعمال العربية الفصحى في كل مؤسسات الدولة، فلا تقبل أي معاملات أو مذكرات لا تلتزم بها، ويجب أن تولي الدولة المنشورات والإعلانات ولافتات المحال والمراكز والمستشفيات والمدارس عناية خاصة، وتشترط أن تمر عبر لجنة الضبط اللغوي قبل إشهارها للجمهور، وتثبيتها على أبواب المؤسسات والمراكز والمحال التجارية، وأن تحظر تسمية المراكز والمؤسسات والمحال التجارية بأسماء أجنبية.

فاللغة العربية بحاجة إلى إحاطتها بجملة من القوانين التي تضمن صيانتها على غرار ما تفعله الأمم المعتزة بلغاتها كالفرنسيين الذين أصدروا قوانين للمحافظة على لغتهم " فلقد وقف نائب في البرلمان الفرنسي، وجهر قائلا: إننا نضع القوانين لمعاقبة المجرمين، فلماذا لا نضع القوانين لمعاقبة

الذين يفسدون اللغة؟!"[١]. فهذا الكاتب وعى مسؤوليته فقد أجلس على المقعد؛ ليقوم بواجبه نحو أبناء وطنه، وواجبه القومي نحو لغته، وقد رأى أن إفساد لغته جرم يستحق العقاب؛ لأن إفساد اللغة أفظع وأنكى من أي جرم آخر، ففيه ضياع للهوية والتاريخ والوجود.

٦ـ إيلاء وزارة التربية والتعليم قضية تعليم اللغة العربية والحفاظ عليها وتطويرها أهمية كبيرة لكونه من أهم أهداف العملية التعليمية في المدارس، وذلك بتطوير مناهجها، وتشذيبها من التفصيلات، وربطها بالواقع والتركيز على القواعد الأساسية التي تعين الطلبة على ممارسة اللغة ممارسة سليمة، والاهتمام بتعليمها بوصفها ركيزة أساسية تؤثر في مسار تعليم المواد الأخرى، ومنح مؤسسات التعليم من مدارس ومعاهد الاهتمام الكافي، فتضع الحلول للتخلص من الازدحام في الفصول، وخاصة في مراحل التعليم المبكرة حيث تصل أعداد الطلبة في الفصول الأولى إلى سبعين تلميذا في بعض المدارس، مما يعوق تعلم اللغة تعلما ناجحا، ويجب عليها أيضا رفد الجهات المختصة بالميزانيات التي تعمل على تطوير المناهج وإعداد المعلمين بالكفاءة المطلوبة.

٧ـ التعاون العربي والقومي لتمكين اللغة العربية، وللعمل على معالجة المشكلات التي تعوق تعلم اللغة العربية وتعليمها، وتطبيقها في الواقع العملي، والحد من هيمنة اللغة الإنجليزية لما لها من آثار خطيرة على عقول الناشئة "وتدخلها المباشر في تغيير رؤيتهم للحياة والكون، وهي الرؤية التي غالبا ما تخالف الرؤية الموروثة ثقافيا واجتماعيا وأحيانا دينيا"[٢].

٨ـ التعاون العربي والقومي في قضية تعريب العلوم في الكليات العلمية، والعمل على إنشاء مراكز التعريب والترجمة التي تقوم بهذه المهمة، فالتعريب قضية قومية وتربوية ومجتمعية، وهو صمام الأمن الثقافي للأمة، ومحور الإبداع والابتكار.

وقد أثبتت التجربة السورية قدرة اللغة العربية على مواكبة متطلبات العصر، وعلى استيعاب جميع العلوم دون استثناء، ويتوجب على الدول العربية الاقتداء بها واتخاذ قرار سياسي حاسم في هذه القضية فمشكلة التعريب تتجلى في " عدم اتخاذ القرار الحاسم لاعتماد العربية وتبنيها في التدريس الجامعي وبقاء الأمور معلقة، واستمرار التخلف والتبعية والأمية، وعدم استنبات العلم عربيا، وتسيب لغوي قومي وشعور بالتصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة

(١)ـ راهن اللغة العربية في أوطانها ومسؤولية أبنائها نحوها: د. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، ص ١٩٤، بحث منشور في كتاب العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ٢٠٠٩م.

(٢)ـ أثر تعليم اللغة الأجنبية في تعلم اللغة العربية وتعليمها في مرحلة الطفولة: د. وليد أحمد العناني، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثالث والعشرون، رجب ١٤٤٠هـ ـ مارس ٢٠١٩م، ص ١٦٦.

الأجنبية، والتكابر تجاه ثقافتنا القومية وتراثها الحضاري"[١]. لذلك يجب على الدول العربية أن تغلق باب التلكؤ والتسويف في هذه القضية الوطنية القومية الخطيرة؛ وأن تصدر القرارات الحاسمة بشأنها، وأن تتعاون على تفعيل تعريب المقررات والمراجع العلمية الجامعية، وتعمل على تشجيع المشتغلين بالتعريب بالجوائز المعنوية والمادية القيمة.

ومما لا شك فيه أن الاهتمام بالتعريب يعكس عمق انتمائنا لعروبتنا، واعتزازنا بلغتنا، فهو سلاح فعال لحماية حصننا الثقافي من التداعي والانهيار، ومن يظن صعوبة تحقيقه عليه أن يدرك أن الاعتزاز بالانتماء لعروبتنا يذلل جميع الصعاب، وأن الإيمان بضرورة تنفيذ التعريب يعكس الإحساس العالي بالمسؤولية إزاء لغتنا العربية. "ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه حين أعلن ثورته: فلننتظر حتى تكون لنا أسلحة، فأجابهم: تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة، السلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب"[٢].

ومن البداهة أن اللغة يمكن أن تموت بالإهمال، وأن تزدهر بالاستعمال" وما أصاب مسيرة التعريب من نكسات في السابق لم يكن إلا بسبب أن القرار السياسي لم يتخذ لصالح التعريب، ويوم يتخذ القرار الثوري والضروري الذي يؤمن بالفكرة، ويعمل على تطبيقها مهما كانت التضحيات، ستبطل كل المزاعم والترهات التي تلصق ظلما بالعربية والتعريب" [٣].

وإذا كانت حجة أنصار تدريس المقررات العلمية باللغة الإنجليزية هي التسهيل على الطلبة متابعة دراستهم العليا في الخارج، ومتابعة المستجدات العلمية، فإن حجتنا هنا للدعوة إلى التعريب والتعليم باللغة العربية تتمثل في التسهيل على الطلبة استيعاب المواد وفهمها، فقد أثبتت الدراسات أن التعليم باللغة الأم يحقق أهدافه، واتضح أن نسبة الفهم والاستيعاب عند طلبة الطب الدارسين بلغتهم العربية كبيرة، وأن دراستهم بلغتهم العربية لم تؤثر على مسار دراساتهم العليا في الخارج.

٩- إنشاء مؤسسات دولية ومحلية حكومية ومجتمعية تعنى بالتخطيط اللغوي ورسم السياسات اللغوية وتهتم باللغة العربية وقضاياها، ووضع الخطط لتطويرها، وتعمل على صونها من خطر هيمنة اللغة الإنجليزية، وتسعى لصد تفشي العامية في شتى المجالات وخاصة في مؤسسات التعليم.

(١)-في قضايا التعريب: محمود أحمد السيد، دمشق ٢٠٠٢م، ص ٢٢.
(٢)-اللغة العربية وتحديات العصر: محمود أحمد السيد ، دمشق ٢٠٠٨م، ص ١٥٨.
(٣)-في الثقافة والهوية: عبد العلي الودغيري، منشورات البوكيلي للطباعة، ط١، القنيطرة ١٩٩٥م ، ص ١٤٥، ١٤٦.

١٠ـ تفعيل دور المجامع اللغوية ورعايتها من قبل الحكومة، بتوفير متطلباتها، لتستطيع القيام بواجبها المنوط بها في حماية اللغة العربية على الواقع العملي.

١١ـ فرض الدولة شرط إتقان أساسيات اللغة العربية من شروط القبول في الوظائف في المؤسسات الحكومية والخاصة، فمن المعيب أن يكون الشخص جامعيا وموظفا، وهولا يتقن أساسيات لغته، وتدرج هذا الشرط أيضا ضمن شروط الترقية أيضا؛ مما يدفع الشخص إلى عدم التساهل أمام هذه الشروط، وإلى الحرص على إتقان لغته.

وتعمل الدولة على تكوين لجان مختصة في كل وزارة ومؤسسة، تسمى لجنة الضبط اللغوي تراقب الأداء اللغوي، وتسعى إلى تفعيل استعمال اللغة العربية استعمالا سليما، بحيث لا تمر أي مذكرات أو وثائق إلا بعد فحص لجنة الضبط اللغوي والتأكد من سلامتها اللغوية.

١٢ـ تشجيع الأطفال والناشئين وأفراد المجتمع على القراءة الحرة بصفة عامة وعلى قراءة القرآن الكريم وحفظه بصفة خاصة، وعلى ممارسة العربية الفصحى تحدثا وكتابة، وتخصيص جوائز قيمة لمن يتفوق في ذلك، حيث إن تعليم الطفل الحديث بالفصحى يعزز ثقته بنفسه، ويشعره بالفخر والاعتزاز تجاه عروبته، ويمكنه من قراءة القرآن قراءة سليمة.

١٣ـ تنمية الوعي لدى الشعوب العربية بأهمية التمسك بلغتهم العربية، وحثهم على النهوض بها، وبيان الارتباط الوثيق بين الوعي اللغوي ومدى رقي بلدانهم وتطورها، إضافة إلى أن التحديات التي تواجهها اللغة العربية تتطلب من الحكومات إلقاء العبء على العلماء والأدباء واللغويين " فهم مطالبون دائما بأن ينتجوا، أن يعدلوا وينقحوا، أن يهذبوا وييسروا، أن يبتكروا ويجددوا، أن يملؤوا اللغة حياة وقوة وحركة وهي الفكرة نفسها التي أشار إليها د.طه حسين عندما أعلن ذات مرة أن العربية لن تتطور مالم يتطور أصحابها أنفسهم، ولن تكون لغة حية إلا إذا حرص أصحابها على الحياة، ولن تكون لغة قادرة على الوفاء باحتياجات العصر إلا إذا ارتفع أصحابها إلى مستوى العصر ثقافة وسلوكا، وفهما وإسهاما، أخذا وعطاء"(١).

ثانيا ـ دور الجامعة:

تعدِ الجامعات مصدر إشعاع حضاري للفكر والثقافة والعلوم، تسعى إلى التميز في مجال التعليم والبحث العلمي، وتعمل على تطوير برامجها وخططها الدراسية بما يتوافق مع حاجات المجتمع، ملتزمة بالمعايير الأكاديمية، وسياسات الدولة واستراتيجياتها.

(١) ـ لغتنا الجميلة هل هي لغة عصرية؟ فاروق شوشة، مجلة الفيصل، العدد ٢، يوليو ١٩٧٧م، ص ٢٨، ٢٩.

ومما لا شك فيه أن للجامعات دورا كبيرا في المحافظة على العربية الفصحى، وفي مواجهة التحديات المحيطة بها، ولا يقتصر دورها على منتسبيها فحسب، بل يتعدى دورها ليشمل المجتمع المحلي والعربي والعالمي. ولأهمية هذا الدور جعلته الدولة الهدف الثاني من أهداف الجامعات، ونصت عليه في تشريعات التعليم العالي على النحو الآتي:" العناية باللغة العربية، وتدريسها وتطويرها وتعميم استعمالها كلغة علمية وتعليمية في مختلف مجالات المعرفة والعلوم وذلك باعتبارها الوعاء الحضاري للمعاني والقيم والأخلاق لحضارة الإسلام ورسالته"(١). فهل هذا الهدف متحقق فعليا في واقع الجامعات؟

أ. دور الجامعة على المستوى الداخلي:

سعت الجامعات إلى تمكين الطلبة المتخصصين وغير المتخصصين من لغتهم العربية من خلال افتتاح أقسام اللغة العربية في كلٍ من كلية الآداب، وكلية التربية، وكلية اللغات للمتخصصين، وإقرار تدريس اللغة العربية في فصلين دراسيين لغير المتخصصين، وفي أكثر من فصلين في كلية الحقوق وأقسام القرآن الكريم والدراسات الإسلامية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، وذلك على النحو الآتي:

أ. تعليم اللغة العربية للمتخصصين:

أتاحت الجامعات الفرصة للطلبة الراغبين في دراسة اللغة العربية من خلال افتتاح أقسام مختصة بتعليمها في ثلاث كليات هي التربية والآداب واللغات.

والجامعات حين أنشأت تلك الأقسام تفترض أن الطالب المتقدم إلى هذه الأقسام يمتلك المهارات الأساسية للغة العربية، غير أنه يحتاج إلى الاستزادة من المعرفة المتخصصة لغويا وأدبيا؛ لتؤهله تأهيلا دقيقا في هذا المجال سواء أكان معلما للغة العربية أم إعلاميا أم مدققا لغويا أو غير ذلك من الوظائف التي تتطلب خبيرا لغويا.

- فهل الطلبة المتقدمون يمتلكون المهارات الأساسية للغة العربية التي تعد أساسا لبناء المعرفة المتعمقة في اللغة العربية؟

- هل تقدم الطلبة للدراسة في هذه الأقسام عن رغبة وقناعة وحب للغة العربية أم أن معدلات الثانوية فرضت عليهم ذلك؟ وهل هناك معايير لقبولهم في أقسام اللغة العربية؟

- ماهي أهداف تلك الأقسام ورؤاها؟ وهل جرى تحديثها بحيث تتناسب مع مقتضيات العصر ومتطلباته؟

- هل هناك علاقات وتعاون بين أقسام اللغة العربية في مختلف الكليات وخاصة فيما يتعلق بمعالجة ظاهرة ضعف الطلبة في اللغة العربية؟

- ما الجهود التي قدمتها تلك الأقسام لمواجهة التحديات المحيطة باللغة العربية عامة؟

(١)- تشريعات التعليم العالي والبحث العلمي: وزارة الشئون القانونية، صنعاء، أكتوبر ٢٠١٠م، ص ٧.

مما يؤسف له أن معظم المتقدمين لأقسام اللغة العربية هم ذوو المعدلات المنخفضة الذين لم تقبلهم الكليات الأخرى، مما يجعلهم مضطرين إلى التسجيل في أقسام اللغة العربية، وهؤلاء لا يخضعون لاختبارات القبول في تلك الأقسام أو لمعايير قبول خاصة أهمها إتقان المهارات اللغوية كالتحدث بطلاقة وإجادة الخط والكتابة، والتمكن من القواعد الأساسية في النحو والإملاء؛ ولذلك نجد طلبة في تلك الأقسام يعانون ضعفا شديدا في مهارات اللغة العربية الأربع التي تعد الركيزة الأساسية لبناء المعارف والثقافة اللغوية ؛ مما ينتج لسوق العمل مخرجات ضعيفة، ومما يؤسف له أن تلتحق تلك المخرجات بسلك التعليم.

ومن اللافت للنظر أن كثيرا من هذه الأقسام لا تمتلك رؤية لبرامجها تتضح فيها أهدافها، وتستطيع من خلالها العمل على تطويرها، فضلا عن عدم وجود تعاون مشترك بين أقسام اللغة العربية سواء أكان ذلك في إطار الجامعة الواحدة أم كان ذلك بين الجامعات المختلفة.

لذلك على أقسام اللغة العربية مواجهة تلك التحديات من خلال الإجراءات الآتية:

١-وضع معايير لقبول الطلبة في أقسام اللغة العربية على النحو الآتي:

أ-أن يكون الطالب حاصلا على معدل ٧٥٪ فما فوق في الثانوية العامة.

ب-أن يخضع الطالب لاختبارات القبول، ويجتاز اختبار الكفاءة في اللغة العربية.

ج-أن يمتلك الطالب قدرا من الثقافة اللغوية والأدبية.

٢-إعادة النظر في برامج هذه الأقسام وتحديثها وتطويرها بما يتناسب مع متطلبات العصر، وصياغة رؤاها وأهدافها وفقا للمتغيرات ومقتضيات الواقع، فكلما كانت البرامج متقدمة وملتزمة بمعايير الجودة تمكنت تلك الأقسام من تقديم اللغة العربية محليا وعالميا على نحو يمكنها من البقاء ثابتة قوية أمام التحديات. فالمتأمل في واقع الجامعات يجد أن برامج تلك الأقسام قديمة جدا لا تواكب العصر، فلا تزال تعكس الأنماط التقليدية في تدريس اللغة العربية وآدابها، لذلك من الضروري أن تقوم تلك الأقسام بتحديث برامجها وتطويرها، وتحديث طرائق التدريس وأساليب التقويم، وأن تهتم بالنحو الوظيفي واللسانيات التطبيقية، وتعمل على تحقيق هدف إتقان المهارات اللغوية لدى الطلبة في سنوات الدراسة الجامعية الأولى، من خلال إعداد كتب متخصصة في ذلك، وتدرس بوصفها مواد مستقلة، نحو: مهارة الكتابة (١) ومهارة الكتابة (٢) ومهارة القراءة، ومهارتي التحدث والاستماع.

٣- تشعيب أقسام اللغة العربية إلى تخصصات دقيقة محدثة، فاللغة العربية وآدابها بحر زاخر لا يستطيع الطلبة استيعابها جميعا وإدراك أبعادها ومراميها خلال أربع سنوات فقط، وما يحدث حاليا في أقسام اللغة العربية هو أن الطالب يقطف من كل بستان زهرة، فلا يأخذ بزمام تخصصه

كما يجب؛ مما يؤدي إلى ضعف مخرجات هذه الأقسام. واقترح تحديث الأقسام بما يتلاءم مع احتياجات العصر ومتطلبات سوق العمل، وذلك بتشعيبها على النحو الآتي:

- قسم النحو والصرف والتدقيق اللغوي
- قسم اللسانيات العربية وتحليل الخطاب
- قسم الأدب العربي وصناعة المحتوى

ومن مظاهر تحديث أقسام اللغة العربية أيضا التوجه نحو الدراسات البينية، وذلك بدمج التخصصات كالدمج بين اللغة العربية والإعلام تحت مسمى قسم اللغة العربية والاتصال الجماهيري، أو قسم اللغة العربية والإعلام. أو الدمج بين اللغة العربية وعلوم القرآن تحت مسمى قسم العربية وعلوم القرآن.

٤. تحديث اتجاهات البحث العلمي وأنماطه، وتوجيه الأبحاث نحو معالجة المشكلات والتحديات التي تواجه اللغة العربية باقتراح المعالجات ووضع الحلول الملائمة لها بحيث يمكن تنفيذها على الواقع بسلاسة. ومن القضايا التي يمكن طرحها في هذه الأبحاث طرق تيسير النحو والصرف والبلاغة وتطوير طرائق تدريسها، وكيفية ربط العربية الفصحى بالواقع، وعدم تهميشها وتفضيل استعمال اللهجات عليها، وهناك أيضا قضية التعليم باللغة الإنجليزية وإهمال التعريب، وأثر ذلك في مخرجات التعليم.

٥. استقطاب الطلبة ذوي المستويات العالية والمعدلات المرتفعة للتسجيل في أقسام اللغة العربية، وذلك من خلال تحديث برامج الأقسام وتغيير مسمياتها، بما يلفت الأنظار إليها لكونها تواكب العصر واحتياجاته والقيام بالإعلان والتسويق عن هذه الأقسام، وبيان الوظائف المتوقعة لمخرجاتها مستقبلا؛ مما يشجع الطلبة المتميزون على التسجيل فيها.

٦. وضع اختبارات كفاءة في مهارات اللغة العربية لجميع طلبة الجامعة، وعقد دورات تدريبية للطلبة الذين يعانون ضعفا في تلك المهارات، والتعامل بجدية مع هذه القضية بحيث لا يجتاز الطالب السنة الجامعية الأولى إلا بحصوله على شهادة الكفاءة في اللغة العربية.

٧. الوعي بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق أقسام اللغة العربية، وبخطورة التخلي عن هذه المسؤولية وإدراك أبعادها، فالأخطار المحدقة باللغة العربية تستوجب من هذه الأقسام التعاون فيما بينها، وبذل الجهود والمساعي الحثيثة لدرء تلك الأخطار عن لغتنا وأجيالنا، والعمل بوتيرة متصاعدة من أجل مواجهتها، والحد من آثارها وأضرارها، والتخفيف من حدة نتائجها.

ب. تعليم اللغة العربية لغير المتخصصين:

تقدم اللغة العربية في الجامعات للطلبة غير المتخصصين في فصلين دراسيين بوصفها متطلبا جامعيا من متطلبات السنة الجامعية الأولى، متضمنة موضوعات نحوية وإملائية ونصوص أدبية، وتهدف إلى

مساعدة الطالب على استقامة قلمه أثناء الكتابة ولسانه أثناء التحدث، وإلى تنمية التذوق الجمالي، والثروة اللفظية لديه من خلال موضوعات أدبية متنوعة. ويقوم بتدريس هذه المتطلبات معيدون من قسم اللغة العربية أو متعاقدون، وأحيانا أساتذة قسم اللغة العربية.

وتتفاوت الجامعات في تقديم المقررات الخاصة بمتطلب اللغة العربية، فما بين آونة وأخرى تظهر كتب جديدة تحاول التخلص مما أصاب الكتب القديمة من جمود وركود، ويسعى مؤلفوها إلى تطوير محتوى هذا المتطلب وتوجيهه نحو الغاية الحقيقية له. فمما يتفق عليه الباحثون أن هذه المتطلبات يجب أن تدرس وظيفيا، وأن يهدف تعليمها إلى اكتساب الطلبة المهارات اللغوية جميعها: الاستماع، والقراءة، والتحدث والكتابة، بحيث يتمكن الطلبة من ممارستها في حياتهم العلمية والعملية ممارسة صحيحة كتابة ونطقا لكونها تعمل على نقل أفكارهم إلى الآخرين بسلاسة، ومن ثم تحقق عملية التواصل أهدافها.

وقد كانت لي تجربة خاصة في هذا الإطار، حيث قمت بتأليف كتاب خاص بمتطلبات اللغة العربية يهتم بالمهارات اللغوية جميعها، ويبرز الوظيفية في النحو، ويربط موضوعاته بالقرآن الكريم وبممارسات الطلبة اليومية للغة، ويظهر التكامل بين فروع اللغة العربية، وذلك من خلال اختيار نصوص أدبية ألفاظها سهلة ومؤثرة، تتضمن موضوعات تجذب انتباه الطلبة، ومستمدة من واقعهم، وتطبق فيها اللغة وظيفيا وتضمن الكتاب أيضا موضوعات تظهر سعة لغتنا العربية ودقتها، وجمال مفرداتها وطاقاتها التعبيرية وإمكاناتها التصويرية، بحيث تنعكس إيجابيا على الطالب، فتثري لغته، ويتمكن من التعبير عن أفكاره ومشاعره وتجاربه، ومن ممارسة مهارات التفكير العلمي، وتحليل النصوص، واكتشاف دلالاتها. وقد ألفت الكتاب في جزأين بمسمى: مهارات اللغة العربية (١٠١) ومهارات اللغة العربية (١٠٢).

وحرصت عند اختيار موضوعات النحو وأنشطته على اعتماد مدخلي الاتصال والوظيفة، والاقتصار على قواعده الأساسية، حيث رأيت ضرورة الوقوف في عرض موضوعاته عند حدود تلائم الطلبة، وذلك بالتركيز على النحو الوظيفي الذي يربط مواقف التعلم بمواقف الحياة، واستبعاد مالا يستعمله الطلبة في الكتابة والتعبير الشفهي، والاعتماد على التدريبات اللغوية العلاجية التي تركز على مواضع الخطأ في أساليب الطلبة وكتاباتهم. ومهما يكن من حرص وجهد مبذول فإني على قناعة تامة بأن متطلب اللغة العربية سيظل بحاجة إلى تطوير مقرراته ومتابعة تحقيق أهدافه باستمرار.

٢ـ دور الجامعة على المستوى الخارجي:

لا يقتصر دور الجامعة على التعليم العالي والبحث العلمي، وتأهيل الموارد البشرية لسد احتياجات سوق العمل، بل يتعدى ذلك إلى خدمة المجتمع وتوثيق صلتها به، فالجامعة من أهم مراكز تطوير المجتمع وأدواته، لما لها من دور فاعل في تكوين أفراد المجتمع فكريا وثقافيا، فالعلاقة بين الجامعة والمجتمع مطلب

أساسي للتنمية، وتتمثل هذه العلاقة في توجيه البحث العلمي لمعالجة مشكلات المجتمع، وفي إعداد مخرجات التعليم الجامعي إعدادا يمكنهم من خدمة المجتمع.

فهل الجامعة تؤدي دورا مجتمعيا إيجابيا للحفاظ على اللغة العربية؟ وهل الجامعة تسهم في بناء المجتمع وحل مشكلاته، وربط البحث العلمي باحتياجاته؟ وما الدور الذي ينبغي للجامعة أن تؤديه في المجتمع لمواجهة التحديات المحيطة باللغة العربية؟

في الواقع يمكن القول إن على الجامعة القيام بالأدوار الآتية:

١ـ إنشاء مركز للتخطيط اللغوي ينبثق من استراتيجية لغوية تتضح فيها الرؤية والرسالة المتضمنة كل ما يتعلق بحاضر اللغة العربية ومستقبلها، ويهتم برسم السياسات اللغوية والمبادئ العامة التي تسعى إلى تمكين اللغة العربية وحمايتها من المخاطر المحدقة بها، ودراسة المشكلات اللغوية والعمل على إيجاد الحلول لها، والسعي إلى تفعيل التعريب، وتذليل الصعوبات التي تعوق تنفيذه.

٢ـ تفعيل دور مركز اللغات بإقامة دورات تدريبية في مهارات اللغة العربية لطلبة الجامعة وللأساتذة والمعلمين وجميع الموظفين في الجهاز الإداري للدولة والمؤسسات والهيئات والشركات الخاصة ويختص بإعداد اختبارات كفاءة في هذه المهارات على نسق اختبارات الكفاءة في الإنجليزية (التوفل).

٣ـ تشجيع الأبحاث العلمية التي تتناول عوامل انحسار سيادة اللغة العربية، ومعالجة مشكلة ضعف الطلبة في مهاراتها، وأسباب شيوع العامية ووصولها إلى قاعات المحاضرات والندوات العلمية.

٤ـ توثيق الصلة مع وزارة التربية والتعليم، وذلك بالعمل على تقييم المناهج الدراسية وتطويرها، والإسهام في رفع كفاءة معلمي اللغة العربية بإقامة الدورات التدريبية في المجال اللغوي، وفي طرائق التدريس وأساليب التقويم.

٥ـ تفعيل دور الجامعة في خدمة المجتمع، وذلك بإقامة المحاضرات والندوات والمؤتمرات التي تهدف إلى تمكين العربية الفصحى في جميع مؤسسات الدولة، وتوثيق العلاقة بينها وبين المؤسسات الإعلامية، وذلك بالعمل المشترك للحفاظ على اللغة العربية وحماية الهوية العربية من خلال برامج توعية لغوية يسهم أساتذة الجامعات في إعدادها وتقديمها للجمهور لتقويم ما اعوج في لغة أفراد المجتمع وتوجيههم نحو الاعتزاز بلغتهم الفصحى وممارستها ممارسة فعالة.

٦ـ توثيق العلاقة بين أقسام اللغة العربية وتفعيل العمل المشترك لتحقيق التكامل فيما بينها، وتوحيد جهودها لتطوير برامجها وفق المتغيرات واحتياجات سوق العمل، وتفعيل دورها في مواجهة التحديات المحيطة باللغة العربية من خلال التدريب والتأهيل اللغوي لجميع فئات المجتمع، ومن خلال إعداد الكتب

المتخصصة بذلك، وإعداد الاختبارات إعدادا علميا، وإقامة الأنشطة والفعاليات المتعلقة باللغة العربية وآدابها وبالقضايا الوطنية.

ثالثا ـ دور المدرسة:

تؤدي المدرسة دورا مهما في تعزيز الهوية الثقافية، وإكساب النشء الحصانة اللازمة من خلال تربيته تربية نوعية تشرف عليها الدولة، فتزوده بالمعارف والقيم والمبادئ والمهارات التي تمكنه من التفاعل مع العالم المعاصر دون أن يؤثر ذلك في شخصيته وهويته، ويبرز دور المدرسة المؤثر في واقع اللغة العربية في ضرورة غرس حب اللغة العربية والاعتزاز بها في نفوس الناشئة منذ الصغر، وفي حرصها على تعليم اللغة العربية وتعلمها بكفاءة، وذلك بأن تفرض ممارسة العربية الفصحى في التدريس، وبأن تحتل مادة اللغة العربية مكانة متميزة وبارزة بين المواد لكونها أساسا مهما من أسس بناء الطلبة فكريا ونفسيا واجتماعيا، وبها يتعلم الطلبة العلوم الأخرى، ويكتسبون معارفهم ومهاراتهم واتجاهاتهم.

فمن واجبات المدرسة إيلاء العربية الفصحى أهمية كبيرة في المرحلة الابتدائية، لما لها من دور في تحقيق الاتصال المباشر الفعال بين التلميذ ومجتمعه، ولكونها وسيلة مهمة لتحقيق وظائف المدرسة وأهدافها. ولتحقيق هدف اكتساب العربية بفعالية في هذه المرحلة يجب على المدرسة ألا تقر تعليم اللغة الإنجليزية في الفترة العمرية ما قبل عشر سنوات؛ ذلك أن الخبراء قد حذروا من تعلم لغة أجنبية في هذ العمر؛ لكونه يعرض التلاميذ للتجهيل في لغتهم الأم وأسسها، وتشوش عليهم سبل تعلمها بطريقة سليمة فمن الخطأ تعليم أكثر من لغة في هذا العمر؛ لأنه يشكل عبئا ثقيلا على التلاميذ، وخطرا على اللغة الأم.

والحقيقة أن آثار تعلم لغة أجنبية منذ الصغر نشاهدها، ونلمسها في مراحل التعليم الجامعي، فنجد طلبة في الجامعة يكتبون الحروف العربية من اليسار إلى اليمين، وهذا من تأثرهم بكتابة اللغة الإنجليزية منذ صغرهم، ونجدهم أيضا لا يفرقون بين الضمة والواو، ولا بين التنوين والنون، ولا بين الضاد والظاء ولا بين التاء المربوطة والهاء، ولا بين نطق تنوين الكسر وتنوين الفتح، ولا يتقنون نطق التشكيل أساسا ولا نطق الهمزات بل الكلمات أيضا، وغيرها من الأخطاء الكثيرة التي لا تخطر على بال، والمفترض أن كل ذلك يعدِ من أساسيات اللغة التي يجب إتقانها في مراحل التعليم المبكرة.

وقد أثبتت الدراسات أن إتقان التلميذ لغته الأم أولا يسهل عليه تعلم اللغة الثانية، أما إذا جرى تدريس اللغة الثانية جنبا إلى جنب مع اللغة الأم فإن ذلك يعرضه للضرر ذهنيا ونفسيا، لذلك من الخطأ فرض لغة أجنبية في التدريس على طلبة دون العاشرة، فكأنهم يفرضون عليه أن يعيش غير تاريخه، وأن

ينتسب إلى غير أجداده، وأن ينتمي إلى غير أمته، وأن ينصرف بلسانه عكس منطق العفوية التي فطره الله عليها[1].

فضلا عن كون مرحلة التعليم الأساسي هي أساس مراحل التعليم اللاحقة، ولابد أن تأخذ اللغة العربية حقها من الاهتمام والعناية في هذه المرحلة؛ وذلك لكونها أساسا مهما لبناء الطلبة فكريا ونفسيا واجتماعيا فإذا لم يتمكن الطالب من لغته والسيطرة عليها-استماعا وقراءة ومحادثة وكتابة -في هذه المرحلة فلن يحقق تقدما في أي مرحلة قادمة.

وقد دلت التجارب على أن تمكن التلاميذ من لغتهم الأم يساعدهم على التمكن في العلوم الأخرى، وهذا يؤكد التكامل بين اللغة العربية وغيرها من المواد، فاللغة وسيلة التعبير عن أي مفاهيم أو أفكار، وكم سمعنا شكاوى من أولياء أمور أو معلمين، بأن هناك تلاميذ لديهم معلومات كافية غير أنهم لا يستطيعون التعبير عما لديهم من أفكار أو الكتابة عنها؛ ولذلك فإن العناية بتعليم اللغة العربية تصبح في غاية الأهمية وينبغي أن تحتل جزءا كبيرا من الجدول الدراسي، وألا تنافسها أي لغة أخرى في هذه المرحلة، ويجب العمل على إزالة العوائق التي تحول دون تحقق تعلمها تعلما سليما يستمر معهم مدى الحياة.

ويمكن إبراز دور المدرسة فيما يأتي:

١-تعد المدرسة الميدان العملي والتطبيقي للتعليم؛ لذلك يجب تفعيل دورها في تطوير التعليم، وتحويله من الاهتمام بالكم إلى الاهتمام بالكيف، ومن التعليم إلى المساعدة على التعلم، ومن المعلم إلى المتعلم، ومن الحفظ والاستظهار إلى التفكير والإبداع.

٢-الاعتناء الجيد بتعليم النشء في مرحلة الطفولة المبكرة والصفوف الأولى اللغة العربية تعليما سليما دون مشاركة اللغة الإنجليزية في التعليم في هذه المرحلة، وانتقاء النصوص المناسبة لهم، والقصص المصورة التي تحمل أفكارا قيمة، ولغة ثرية بالمفردات الجديدة التي تسهم في تعزيز ملكة الطفل اللغوية.

٣- تسهم المدرسة في تحديث المقررات والمناهج؛ ليتجاوز تدريس مادة اللغة العربية حالة الركود والجمود إلى الحركة والحيوية والجدة، وذلك من خلال رفع التقارير والمقترحات من قبل أساتذة اللغة العربية المنبثقة من خبراتهم في الميدان، والإسهام في اقتراح التحديثات الملائمة المستقاة من تجاربهم في الواقع العملي.

٤- تلزم المدرسة معلميها بضرورة التدريس بالعربية الفصحى؛ كي تتحقق الممارسة العملية للغة، ويسهل استعمالها، فيكتسب التلاميذ اللغة بسلاسة وتلقائية عن طريق الممارسة بمحاكاة أساتذتهم في طريقة حديثهم بمجرد سماعهم في كل الحصص الدراسية، وفي التعامل خارج

(١)-فلسفة اللغة: كمال يوسف الحاج، ط١، دار النشر للجامعيين، بيروت ١٩٥٦م، ص ١٤٦.

الحصص، ومن ثم يتكون لديهم مخزون لفظي من المفردات، ويتشكل لديهم رصيد لغوي في كيفية تركيب الجمل؛ مما يسهم في تنمية مهاراتهم اللغوية.

٥ـ توظيف الوسائط المتعددة في تعلم اللغة العربية وتعليمها مسايرة للتطورات العلمية المستجدة، حيث تسهم هذه الوسائط في تمكين التلاميذ من تعلم اللغة بطريقة أسرع.

٦ـ التركيز على الجانب الوظيفي في تعلم اللغة العربية، وتوظيف الأنشطة المختلفة التي تسهم في اكتساب المهارات اللغوية بتفعيل طريقة التعلم النشط، وتنويع طرق التدريس بهدف تحقيق إكساب التلاميذ معارف لغوية، تمكنهم من توظيف لغتهم توظيفا سليما، وإكسابهم مهارات لغوية أدائية من خلال تفعيل الحوار والمناقشة وإقامة المناظرات، وممارسة التحدث والإلقاء.

٧ـ تنمية مهارات التفكير، وتزويد التلاميذ بمهارات التعلم الذاتي المستمر، وتمكينه من الاعتماد على أنفسهم بصورة دائمة ومستمرة في اكتساب المعارف والمهارات اللازمة لتكوين شخصياتهم، وإعداداها الإعداد الجيد الذي يمكنهم من التفاعل الإيجابي مع متغيرات الحياة وقضايا المجتمع.

٨ـ اختيار المعلمين ذوي الكفاءة العالية للتدريس في الصفوف الأولى من مراحل التعليم الأساسي، والعمل على تطوير أدائهم باستمرار.

٩ـ تفعيل ممارسة القراءة الحرة بإعادة حصة المكتبة إلى الجدول الدراسي، وإغناء مكتبة المدرسة بالكتب الأدبية والعلمية، والقصص المصورة والمجلات التي تجذب التلاميذ، وتحقق أهدافا تربوية وأخلاقية وتعليمية في الوقت نفسه، وإيلاء مكتبة الفصول الاهتمام الكافي، وخلق التنافس بين التلاميذ لممارسة القراءة، وكتابة المقالات والقصص والخواطر، وتشجيع التلاميذ المتميزين بتقديم الجوائز لهم، وبتكريمهم بشهادات تقديرية.

وضرورة اهتمام المدرسة بالقراءة ينبع من أهميتها في اكتساب اللغة، حيث تؤدي القراءة الواعية الموجهة إلى حفظ المفردات والأساليب، والنصوص المميزة من شعر أو نثر تلقائيا، ولا شيء أجدى على من يريد تعلم اللغة العربية من الاستماع إليها، والقراءة الكثيرة في آدابها وتراثها، وحفظ الجيد من نصوصها.

١٠ـ تفعيل ممارسة الكتابة بإعادة حصة التعبير إلى الجدول الدراسي، ليتمكن التلاميذ من توظيف ما اكتسبوه من مفردات وأفكار في التعبير الشفوي والتحريري؛ فهذه الحصص تجعل التلاميذ يمتلكون زادا لغويا، وتمكنهم من التعبير عن مشاعرهم وطموحاتهم بطلاقة، وهذا ينعكس إيجابيا على تكوين شخصياتهم وثقتهم بأنفسهم.

رابعا- دور المجتمع:

تؤدي اللغة دورا كبيرا في المجتمعات، فهي الوسيلة الفعالة للتواصل والترابط بين أفراد المجتمع وهي وسيلة الإبداع والتميز العلمي والأدبي والحضاري، والوعاء الذي يحفظ التراث الثقافي للمجتمعات يقول د. الودغيري: " واللغة بحكم أنها لا يمكن تصور وجودها إلا وهي مرتبطة بالمجتمع الذي يستخدمها أشد الارتباط، يكون من خصائصها ووظائفها بجانب كونها تسهم في صنع الفكر وتوجيهه وتحديد خصوصياته من مجتمع لآخر، أنها تعد أصدق مؤرخ لحياة هذا المجتمع وحياة ثقافته وحضارته، وذاكرته التي تختزن كل ما يتعلق بعاداته وتقاليده وسلوكه، وإيمانه وغناه وفقره، وتعلمه وجهله وأدبه ومهارته وفنه، بل إنها ذاكرة تحتفظ بأدق الصور والمعلومات عن حياته اليومية وعن بيئته ومناخه وطبيعته الحية والميتة، وباختصار كل ما يريد المرء أن يعرف عن هذ المجتمع من تفاصيل.. "[1]. وعلى الرغم من أهمية دور العربية الفصحى في حياة المجتمعات غير أن مجتمعاتنا للأسف الشديد لا تفقه إلا دورا واحدا لها، يتمثل في كونها لغة الثقافة، ولغة طبقة العلماء والفقهاء والمؤلفين، ولغة الكتب والمجلدات، فلا يستعملها أفراد المجتمع في أحاديثهم وتواصلهم في حياتهم اليومية. ومن ثم نجد أن أخطر تحدٍ تواجهه اللغة العربية هو عزلها عن الاستعمال في الحياة العامة والخاصة، والاقتصار على استعمال اللهجات العامية التي تعددت بتعدد المجتمعات.

ومما يؤسف له أن هناك طبقة من المثقفين والمفكرين وأساتذة المدارس والجامعات يسهمون في هذا العزل للفصحى عن الاستعمال العام، فهناك من رواد العلم من فرط بلغته العربية، واستسلم لحبائل العولمة من حوله فجعلته متأرجحا بين شد لهجات المجتمع وجذب اللغات الأجنبية. والحقيقة التي يجب أن يدركها هؤلاء أن العلم وجهل العربية لا يجتمعان، فقد قيل: عجبت لمن يدِعي العلم، ويجهل العربية! فإذا كانت هذه الطبقة تنبذ استعمال الفصحى في أحاديثها ومحاضراتها ومجالسها، فماذا ننتظر من الطلبة والمجتمع؟

إن ما ينهض باللغة هو إشاعة التعبير الصحيح السليم على ألسنة المتعلمين والمذيعين والخطباء والوجهاء وعلى صفحات الجرائد والمجلات والكتب، وإن تقديم المتعة باللغة الفصيحة عن طريق الأغنية والتمثيل سيقدم خدمة كبيرة للغة العربية، فإنما اللغة أداة يكون لها من الصلاحية والنجاعة بقدر ما يكون لمستعمليها من الكفاءة والبراعة، وبقدر ما يكون زادهم العلمي أوفر ومستواهم الثقافي أعلى وأشمل [2]. فالمجتمع هو الذي يطور اللغة ويجددها، ويجعلها تحيا وتساير المتغيرات، وتطوير اللغة هو الارتقاء بها، لتكون في مستوى تطور الفكر والحياة والمجتمع بحيث تصير اللغة منتجة ولا تظل لغة مستهلكة، وحين تنتج اللغة تصبح دافعا للتقدم في الميادين جميعا، وتتخطى الحواجز التي تمنعها من الاندماج في العولمة [3].

ويمكن تفعيل دور المجتمع في مواجهة التحديات من خلال ما يأتي:

(١)-في الثقافة والهوية: عبد العلي الودغيري، ص ١١.
(٢)-راهن اللغة العربية في أوطانها ومسؤولية أبنائها نحوها: محمد بن قاسم ناصر، ص ١٩٥.
(٣)-اللغة العربية وتحديات العولمة: محمد جعرير، ص ٤٢.

١ـ تشجيع أفراد المجتمع على استعادة سيادة العربية الفصحى في الحياة العامة، وفي مسيرة الفكر الإنساني بإخراجها إلى فضاءات رحبة؛ لتمارس في مواقف الحياة العامة واليومية، وفي الحوارات والمناقشات الاجتماعية والسياسية؛ فيتحدث بها العامة، والمسؤولون، والأساتذة، والموظفون، والوعاظ والوجهاء، وأصحاب الصدارة، وبذلك تسترد اللغة العربية صدارتها، وتستعيد مكانتها المسلوبة.

٢ـ توعية أفراد المجتمع بأن اللغة تعبر عن حال المجتمع، وتطورها يؤدي إلى تطور المجتمع، وأن استعمال العربية الفصحى وتداولها ينعكس على فكر وثقافة أفراد المجتمع إيجابيا، وتنبيههم إلى أن مسؤولية الحفاظ على اللغة العربية ملقاة على الجميع دون استثناء، فعليهم تحمل المسؤولية بجدارة.

٣ـ على أفراد المجتمع استعادة الثقة باللغة العربية والاعتزاز بها، وجعلها وسيلتهم الأولى للإبداع والإنتاج، ووسيلتهم للإعلان وتسمية مشاريعهم، وأن تكون حاضرة في مجالسهم واجتماعاتهم.

٤ـ حماية اللغة العربية والذود عنها ودفع التهم الباطلة، وصونها من الاعتداءات المتكررة عليها من الداخل والخارج، وتحمل مسؤولية تمسك الأجيال بلغتهم العربية الفصحى بالتحدث بها والاستماع إليها.

خامسا دور الأسرة:

لا جرم أن للأسرة دورا فاعلا في اكتساب الأطفال لغة عربية فصيحة، وفي خلق التوجهات الإيجابية لديهم نحو لغتهم العربية، فهي الركيزة التي يعول عليها في تنمية مهاراتهم اللغوية الأربع، حيث إن للغة التنشئة دورا كبيرا في لغة الأطفال المكتسبة وأثرا عميقا في شخصياتهم. يقول أحمد الريسوني:" وتشكل اللغة الأم لغة التنشئة والتعامل حضنا وغذاء نفسيا وعاطفيا لشخصية الإنسان، فالمفهوم الأولي والبسيط السائد عن وظيفة اللغة، بأنها أداة للتواصل والتفاهم بين الناس فحسب، هو جزء من الحقيقة، وليس كل الحقيقة ووصف اللغة بعبارة (اللغة الأم) هو التعبير الحقيقي الصادق عن دور اللغة ووظائفها، فاللغة (الأم) تعني أن للغة وظائف كوظائف الأم "[١]. فإذا كانت الأم تقوم بمهمة تنشئة طفلها على النموذج الذي تفرضه عادات المجتمع وتقاليده وأصوله التي تسهم في تشكيل شخصية الطفل، فإن للغة الوظيفة نفسها في تنشئة الطفل على الفكر الذي ينتمي إليه. فهل تدرك الأسرة دور اللغة التي تربي عليها طفلها منذ نعومة أظافره في بناء شخصيته وتكوينه الفكري واللغوي؟! وهل تعي مدى الجرم الذي ترتكبه بحق أطفالها وحق لغتنا القومية حينما توجه أطفالها نحو تعلم اللغة الإنجليزية منذ الصغر؟! وهل تعلم الأسرة أن التقليل من شأن لغتنا الأم وإعلاء شأن اللغة الإنجليزية لدى أطفالها ينذر بكارثة من الضياع وفقدان الهوية؟ ذلك " أن التخلي عن الانتماء القومي والتنكر للأصل يهدد بخسارة الذاكرة الثقافية للأمة،

(١) ـ نداء من أجل العربية: أحمد الريسوني، مجلة إسلامية المعرفة، المجلد ١٣، العدد ٤٩، ٢٠٠٧م، ص ٥.

وغيابها عن مستويات الفاعلية الحضارية، ومن ثم عجز أفراد الأمة عن مواكبة الحركات الفكرية الفاعلة"[١].

ألا تعي الأسرة أن لها دورا كبيرا فيما آلت إليه العربية الفصحى من انعزال واستبعاد، وعداء من قبل أبنائها؟! وذلك لأنها تغرس في نفوس أبنائها أن اللغة الإنجليزية رمز التحضر والتقدم، وأن اللغة العربية رمز التأخر والرجعية!!

ألا تعلم الأسرة أن ضعف اللغة القومية لدى أبنائها يسبب ضعف شخصياتهم، وارتباطهم بهوياتهم! ألا تدرك أنها بذلك تحقق للغرب أهدافه دون عناء؟! ألا تعي الأسرة أن بإمكانها أن ترد للغة العربية بهاءها ونقاءها إذا حرصت على ارتباط لغتنا بأبنائها منذ الصغر، وأن بإمكانها تعليم العربية الفصحى بالسليقة دون حاجتنا إلى كتب النحو وقواعده؟!

إن دور الأسرة في مواجهة التحديات كبير وأثره عظيم، ويمكن تلخيصه فيما يأتي:

١-تنشئة الطفل على حب لغته العربية والاعتزاز بها، وهذا لن يتحقق إلا إذا كان الأبوان يعتزان بلغتهما ويدركان أثر ذلك في الفرد والمجتمع، فهذا يجعلهما قدوة إيجابية لأبنائهما.

٢-تدريب الطفل على اكتساب اللغة بالفطرة والسليقة، وهذا هو أساس تعليم أي لغة، حيث يعتمد على المحاكاة والتقليد، فالأم تتكلم، والطفل يحاكي دون شرح قواعد اللغة، لذلك من المهم أن تتحدث الأم أمام أبنائها بلغة فصيحة، وتحرص على إكساب الطفل مفردات جديدة كل فترة، وعلى نطق الكلمات نطقا صحيحا، وتظهر علامات الإعراب الفرعية، نحو: أبوك وصل، وحضر صديقاك للعب معك. ونحو: أنتم رائعون. وبهذه الطريقة "يلم الطفل بتراكيب اللغة ومعانيها حفظا وفهما، ويهضم كل ذلك، ثم يقيس عليه ويكتمل نضج لغة الخطاب لديه في وقت قصير دون أن يعلم شيئا عن قواعدها وقوانينها وضوابطها"[٢].

وبذلك ننمي سليقة الطفل اللغوية ونفعلها عن طريق السماع، فحين يسمع المفردات السليمة والتراكيب الصحيحة سيعمد على محاكاتها وتقليدها تلقائيا.

٣ -تدريب الطفل على القراءة وغرس حب المطالعة وشغف القراءة في نفوسهم منذ الصغر، فيعود الوالدان أطفالهما سماع القرآن وتلاوته، وقراءة القصص والمجلات، ويتدرجان في ذلك إلى أن يصلا إلى قراءة الكتب والروايات، ويحرصان على أن تستمر القراءة معهم طوال مراحلهم العمرية." وإذا كنا أمام الفصحى لا ننعم بالوسيلة الأولى، وهي الاستماع، إذ أكثرما نسمعه عامي أو فصيح ملحون، أو مليء بالخطأ، أو ركيك العبارة، ضحل المضمون، فلا تزال أمامنا فرصة الإفادة من القراءة الواعية

(١)-راهن اللغة العربية في أوطانها ومسؤولية أبنائها نحوها: محمد بن قاسم ناصر، ص ١٨٠.

(٢)-الفصحى وتحديات العصر: رمضان عبد التواب، بحث منشور في كتابه (بحوث ومقالات)، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٩٨٢م ص١٦٨، ١٦٩.

للنصوص الجيدة، وعندئذ تتكون السليقة اللغوية عند أبناء العربية، وتجري ألسنتهم بالفصحى العذبة"[١].

٤ـ تشجيع الطفل على حفظ نماذج من المنظوم والمنثور من روائع الأدب العربي، وعلى ممارسة لغته ممارسة صحيحة فصيحة في تعامله اليومي، وفي وسائل التواصل الاجتماعي مع أصدقائه ومعارفه.

الخاتمة والتوصيات:

إن الحديث عن حاضر اللغة العربية ومستقبلها والتحديات التي تواجهها قضية قديمة جديدة طالما تناولها العلماء والباحثون والمتخصصون في ورشات عمل وندوات ومؤتمرات علمية في جميع البلدان العربية لكن للأسف الشديد يظل تناولها عند حدود المناقشات وطرح الحلول واقتراح المعالجات، ولا نلمس تنفيذها على الواقع!

وهي قضية قديمة؛ لأن ملامحها وآثارها برزت على الواقع منذ فترة طويلة، وجديدة لأن آثارها تزداد سوءا عاما بعد آخر. والحقيقة أن القضية لا تتعلق في المقام الأول باللغة العربية، فاللغة العربية محفوظة وستبقى خالدة بخلود القرآن الكريم، بل تتعلق بحاضر أبنائنا ومستقبلهم، بهوياتهم وشخصياتهم، بقوتهم وضعفهم، بمكانتهم وحضارتهم، بموقع أمتنا بين الأمم، فهذه العوامل جميعها مرتبطة بلغتهم العربية؛ لأن اللغة مرآة تعكس الوضع الحضاري والمستوى العلمي والتكنولوجي للأمة.

وصحيح أن القضية كبيرة وآثارها قد استفحلت، وتحتاج إلى تضافر جهود الدول العربية وتكاتفها، لكن هذا لا يعني أن نقف عاجزين متكاسلين متخاذلين، ولا نحرك ساكنا، ولا نحدث أثرا يغير من واقعنا اللغوي المؤلم، بل علينا جميعا أن نعي فداحة المصاب، وأن نتحمل المسؤولية لتدارك الانزلاق في هاوية لا مخرج لنا منها، وذلك باتخاذ التدابير اللازمة والمعالجات الممكنة ابتداء بالدولة وانتهاء بالأسرة.

وانطلاقا من هذا الأساس يوصي البحث بتفعيل دور كل من الدولة، والجامعة، والمدرسة، والمجتمع والأسرة، وذلك بالحرص على القيام بالأدوار المنوطة بهم في التصدي للتحديات المحيطة باللغة العربية. وعلى الدولة أن تتخذ إجراءات عاجلة، وألا تنتظر أن تأتيها الحلول من الخارج، وأن تبذل المستطاع لتدارك الأمر، وذلك بوضع خطة استراتيجية لتمكين اللغة العربية من استعادة سيادتها ودورها الفعال في البناء الحضاري ابتداء من سرعة إصدار القرارات الرسمية والتشريعات التي تسهم في إصلاح لغة الأجيال، والقيام بالإجراءات اللازمة لتمكين العربية الفصحى في المجتمع، و تنمية الوعي بأهمية دور اللغة العربية في تعزيز هوية الأمة العربية، وتأصيل فكرها وثقافتها، وانتهاء بإشاعة العربية الفصحى في المدارس والجامعات

(١)ـ المرجع نفسه: رمضان عبد التواب، ص ١٦٩، ١٧٠.

والمؤسسات وبين أفراد المجتمع، وذلك بممارسة التعبير اللغوي السليم عن آرائنا وأفكارنا في حياتنا العلمية والعملية والاجتماعية.

قائمة المراجع:

١. ـ أبعاد العلاقة بين اللغة العربية والهوية الحضارية مقاربة لسانية اجتماعية: العياشي أدراوي، بحث منشور في مجلة ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها، المجلد الأول، العدد الثاني، ديسمبر٢٠٢٠م.

٢. ـ التحديات التي تواجه اللغة العربية ودور القرآن الكريم في التصدي لها: رياض محمود قاسم، وعبد الحميد الفراني، بحث مقدم إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، أبريل ٢٠٠٧م.

٣. ـ أثر تعليم اللغة الأجنبية في تعلم اللغة العربية وتعليمها في مرحلة الطفولة: وليد أحمد العناتي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثالث والعشرون، رجب ١٤٤٠هـ ـ مارس ٢٠١٩م.

٤. ـ أثر الهوية اللغوية في تطور العربية: سعاد بوضياف، مجلة الأثر، العدد٢٥، جوان ٢٠١٦م.

٥. ـ تشريعات التعليم العالي والبحث العلمي: وزارة الشئون القانونية، صنعاء، أكتوبر ٢٠١٠م

٦. ـ التنوع البشري الخلاق: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٨م.

٧. ـ الجامعة ومواجهة التحديات التكنولوجية (برامج التطوير وسيناريوهات المستقبل) : فاطمة نتاج رياض، أطروحة دكتوراه الجامعة الأردنية، الأردن ٢٠٠١م.

٨. ـ الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٩. ـ أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية: هادي نهر، سلسلة الجامعة التونسية، تونس، ديسمبر ١٩٧٨م.

١٠. ـ دراسات في اللسانيات التطبيقية: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٣م.

١١. ـ دراسة اللغة في العصر الحديث: سهير القلماوي، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ١١، القاهرة ١٩٥٩م.

١٢. ـ دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها: فواز الزبون، بحث منشور ٢٠٠٩م.

١٣. ـ العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ٢٠٠٩م.

١٤. ـ علم اللغة الاجتماعي: هدسون، ت: د. محمود عياد، عالم الكتب، ط٢، القاهرة ١٩٩٠م.

١٥. ـ الفصحى وتحديات العصر: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي، ط١،القاهرة ١٩٨٢م.

١٦. ـ في الأدب الجاهلي: طه حسين، مطبعة فاروق، ط٣، القاهرة ١٩٣٣م.

١٧. ـ في الأداء اللغوي: محمود أحمد السيد، وزارة الثقافة السورية، ٢٠٠٥م.

١٨. ـفي الثقافة والهوية: عبد العلي الودغيري، منشورات البوكيلي للطباعة، ط١،القنيطرة ١٩٩٥م.
١٩. ـفي قضايا التعريب: محمود أحمد السيد، دمشق ٢٠٠٢م.
٢٠. ـفلسفة اللغة: كمال يوسف الحاج، ط١، دار النشر للجامعيين، بيروت ١٩٥٦م.
٢١. ـلغتنا الجميلة هل هي لغة عصرية؟ فاروق شوشة، مجلة الفيصل، العدد ٢، يوليو ١٩٧٧م.
٢٢. ـاللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٢م.
٢٣. ـاللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم: كمال بشر، دار غريب، القاهرة ١٩٩٩م.
٢٤. ـاللغة العربية وتحديات العصر: محمود أحمد السيد، مجموعة أبحاث لغوية منشورة، دمشق ٢٠٠٨م.
٢٥. ـاللغة العربية والتحديات المعاصرة وسبل معالجتها: أحمد كنعان، مكتبة لسان العرب، ٢٠١٢م.
٢٦. ـاللغة العربية وتحديات العولمة: محمد جعرير، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد١٣ جانفي ٢٠١٥م.
٢٧. ـماهي القومية؟ أبحاث ودراسات في ضوء الأحداث والنظريات" أبو خلدون (ساطع الحصري) ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٩م.
٢٨. ـمن قضايا اللغة العربية المعاصرة: منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المغرب ١٩٩٠م.
٢٩. ـمقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، ط، دار يعرب، دمشق ٢٠٠٤م.
٣٠. ـنداء من أجل العربية: أحمد الريسوني، مجلة إسلامية المعرفة، المجلد ١٣، العدد ٤٩، ٢٠٠٧م.
٣١. ـالهوية وفلسفة اللغة العربية: الحسين الزاوي، منتدى المعارف، بيروت ٢٠١٤م.
٣٢. ـوحي القلم: مصطفى صادق الرافعي، مؤسسة هنداوي، القاهرة ٢٠١٧م.

مُعالجة مخارج الأصوات العربيَّة في برامج التَّدريب على التَّعليق الصَّوتي،
دليل- "التَّعليق الصَّوتي كَما يجبُ أنْ يكُون " لعبد الفتاح بوعكاز أنموذجا

Addressing Arabic Voices Exits in Voiceover Training Programs، evidence

Voiceover as it should be" bv Abdelfattah

الباحثة: د. فاطمة حجاري
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
(وحدة تلمسان)

معالجة مخارج الأصوات العربيَّة في برامج التَّدريب على التَّعليق الصَّوتي،

دليل-"التَّعليق الصَّوتي كَما يجبُ أنْ يكُون" لعبد الفتاح بوعكاز(١) أنموذجا-

الباحثة:د. فاطمة حجاري

ملخص البحث:

أصبح للغة المتكلمة في عصرنا أهمية لم تكن لها من قبل بفضل المخترعات كالتلفزيون، والراديو، والفوتوغراف، ومكبرات الصوت، والمسجلات المغناطيسية، والأفلام الناطقة، والحواسيب، والهواتف الذكية. حيث حلت اللغة المتكلمة محل اللغة المكتوبة بالتدريج، وينبغي على الفرد أن يعرف الكلام، وأن يحسنه حتى يصل إلى جمهوره، ويحقق التأثير الذي يريد. إن الطريقة التي ننطق بها لم تعد شأنا خاصا بمن يتكلم، بل هي أمر يهم جميع أولئك الذين ينصتون إلى رسائل السياسيين، والعلماء والفنانين والممثلين الرسميين في المجتمع، ولم يعد الجمهور كما كان من قبل -مجموعة صغيرة من الأقارب والأصدقاء والجيران - يجتمعون حول من يتكلم لا يبعدون عنه سوى بضعة أمتار على الأكثر، بل أصبح المستمعون يعدون بالآلاف وبالملايين(٢).

لقد أخذ الإلقاء وهو فن النطق السليم مكانة مهمة في التعليم الحديث، واستحوذ بلا شك على اهتمام متزايد يوما بعد يوم، وعلم الأصوات هو الأساس الضروري لتعلم من هذا النوع.(٣)

لذا تعنى به كتب الأداء الصوتي، وبرامج التدريب على الإلقاء والتعليق الصوتي، والمدونة التي بين أيدينا هي من هذا الباب إذ يقدم الإعلامي عبد الفتاح بوعكاز، برنامجا تدريبيا للتعليق الصوتي من وحي خبرته وممارسته وتكوينه، يتضمن جميع الجوانب التي ينبغي أن يتمكن منها المتدرب على التعليق الصوتي، بما في ذلك جنب النطق.

الكلمات المفاتيح: مخارج الأصوات - التعليق الصوتي - دليل تدريبي - عبد الفتاح بوعكاز - الإلقاء الإعلامي.

(١) - إعلامي ومنتج ومدرب امتهن الصحافة في غرفة الأخبار مذيعا ومراسلا ورئيسا للتحرير، ثم تفرغ للتعليق الصوتي وإنتاج الكتب المسموعة، وتقديم دورات التدريب والتطوير، وإطلاق المشاريع الإعلامية.

(٢)- نفسه، ص٢٥٩.

Addressing Arabic Voices Exits in Voiceover

Training Programs، evidence

Voiceover as it should be" by Abdelfattah Bouakaz. Model

Abstract:

Correct sound performance in the time of image and sound is a cornerstone of the process of reporting and impact. Despite its importance، it collides with a reality in which classical Arabic is rarely used، marred by a dialectal attack، and it is wrong to say، which is an unhealthy phenomenon that must be addressed by evaluation and training. Therefore، voiceover compositions appeared in various orientations، explanations، theories and practical evidence، and their goal is to combat the pronunciation error on the tongues of the speakers، especially those who lead the media performance.

The evidence dealt with in this article is from this section، which is newly issued، distinguished in its presentation، and we have been keen to provide a descriptive and analytical study of what was stated in it، as approved by audio research.

Through an introduction، then a description of the methodology of the guide، then a detailed analytical presentation of the content of the guide in relation to the audio aspect، then a summary that includes the results of the research. Perhaps the most important conclusions reached is the need to rely on the outputs of acoustic research when training on vocal performance، taking into account the accompaniment of the applied part of the theoretical part.

Keywords: Sound Outputs؛ Voiceover؛ Training Manual؛ Abd El Fattah Bouakaz؛ Media Presentation

- تمهيد: منهج الكتاب والغاية منه:

من المميزات التي يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات الحية هي قدرته على النطق، أي اللفظ بالقول، وهو وسيلة الإنسان لتواصله وتفاهمه مع الآخرين، ويعرفه الجاحظ: " بأنه اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا أو منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف ".[١] ولقد أثبت العلماء أن لكل فرد صوته الذي يميزه. فبصمة الصوت مثلها مثل بصمة الأصابع أو بصمة العين فريدة لكل إنسان، وإن بدا أنها متشابهة بين اثنين.

فعندما تتحدث فإن كلا من عقلك وبدنك وصوتك يعملون جميعا على إيصال رسالتك للمتلقي، وإذا كان القلم هو أهم أدوات الكاتب فإن الصوت يعتبر من أهم أدوات الملقي وهو سلاحه الأساس – رغم أنه ليس السلاح الوحيد– لكنه سلاح حاسم إذا ما أحسن استغلاله. فمهما توافرت عوامل الإلقاء المؤثر من إعداد ولغة بدن وعناصر كلمة فلا غنى عن استغلال الصوت بالشكل المطلوب لزيادة التأثير.[٢]

من هنا قيل أن "للصوت البشري شكل ومعنى، وإن شئت فجسدٌ وروح، وحين يتآلف جمال الجرس مع دفق الأحاسيس تدبُ الحياة في الكلمات الصامتة، وتغدو كائنات تأسر السمع والبصر والفؤاد."[٣]

من أجل ذلك كانت العناية بالصوت اللغوي إنتاجا وأداء، مهمة تتجاذبها علوم شتى وميادين تستوجب الأداء الصوتي، فكانت برامج التدريب على الأداء الصوتي المستفيدة من كل ما قيل، واستنبطت معارف علمية وخبرات تجريبية في هذا الباب، ليعرف الأداء الصوتي على أنه: "النطق بالكلام بأسلوب يوضح ألفاظه ويكشف عن معانيه. " فهو ليس مجرد قراءة للنصوص بل فن يكتسب بالتدرب والممارسة قصد أداء ما نريد أن نعبر عنه بطريقة حسنة تشد انتباه المستمعين والمشاهدين وتؤثر فيهم ([٤].

"فالأداء الصوتي إذن فنٌ يجسد الصوت بأحسن ما يكون، ويصنع شيئا من الجمال في حياتنا، تتلقاه من خلال شاشة التلفاز والمذياع في برنامج وثائقي أو درامي أو ترفيهي، ويقابلك في المطارات ومحطات

(١) –الجاحظ، عثمان بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ١٩٩٨ص٤٤.

(٢) – ينظر: عيسى العيسى، عبد الله البابطين، لماذا نخشى الإلقاء؟ دليلك للحديث الجماهيري المؤثر، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٢، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧، ص٢٥٨

(٣) – هاشم عبد السلام الكفاوين، الأداء الصوتي وفنونه، معهد الجزيرة للإعلام، ط٢٠٢١١، ص١٢.

(٤) – نفسه، ص ١١.

القطار، وتتعالم معه حين ترفع سماعة الهاتف، وتصادفه في مراكز التسوق والمعارض، وفي كتاب سمعي تستمتع بقراءته بأذنيك، وهو أمام طفلك في صوت دمية يلهو بها وغيرها كثير[1].

لقد ألفت كتب تعنى بالأداء الصوتي تنظيرا وتطبيقا، وهي تستقي مادتها الأساس مما جاد به علم الأصوات وعلم التجويد مع محاولة التركيز على المعلومات الأساسية، ومراعية خصوصية النصوص المؤداة والمواقف التي يعرض فيها الحديث، محاولة بذلك تجنب الكثير من العدول الذي أصبح يظهر في ألسنة المتكلمين، نتيجة لعدم ممارسة اللسان العربي الفصيح، قراءة، وعدم استيعاب نطق الحروف مخرجا وتأدية، ومن أحدث ما كتب في هذا الباب ونشر، دليل تدريبي للإعلامي عبد الفتاح بوعكاز وسمه " التعليق الصوتي كما يجب أن يكون - دليل المدرب والمتدرب في ضبط قوالب الإلقاء (الإخباري - الوثائقي - الروائي - الشعري - الإعلاني). يقول صاحب المؤلف: "يتناول هذا الكتاب برنامجا تدريبيا مستلهما من وحي تجاربنا في غرفة الأخبار وإنتاج الكتب المسموعة ودورات التدريب على التعليق الصوتي، حيث دأبنا على تدوين ملاحظاتنا وما يستوقفنا من عثرات متكررة وأخطاء شائعة ومفاهيم مغلوطة، إلى أن تكونت لدينا مادة مفيدة في تطوير مهارات المتدربين ونأمل في أن تضيف لمناهج المدربين من أهل الخبرة."[2]

ذلك أنه لا يخفى ما للإعلام المسموع والمرئي من تأثير على اكتساب اللغة، وبالتالي تأثيره على جودة هذا الاكتساب بمختلف مستوياته، ابتداءا بالمستوى الصوتي. من هنا كانت المسؤولية كبيرة، والآثار الناجمة عن نقص المهنية أو الكفاءة خطيرة على وضع اللغة بما في ذلك تأديتها.

والدليل الذي بين أيدينا صاحبه إعلامي -على ما ذكرنا- لذلك هو أعلم بالوضع وبمواطن الخلل، وبما يحتاجه المؤدي الصوتي، لذلك فهو يشرح منهجه في تأليف الدليل بقوله: "'لقد اتبعنا في تحرير هذا الكتاب الشرح الوافي، واعتمدنا شيئا من التبسيط سعيا لتقريب الفكرة، ولم تكن غايتنا أن نؤلف كتابا ضخما قد يستثقله القارئ، قدر ما اهتممنا بتجهيز دليل موجز شامل، يكون في متناول اليد وقت الحاجة، وأوردنا تقسيم الأبواب والفصول بترتيب يعتمد على مفهومنا للتفاصيل، وذكرنا مع كل قاعدة أو ضابط مثالا تطبيقيا مشكولا يشرح موضع المهارة المعنية ويبين كيفية استخدامها، وتجنبنا تفسير بديهيات القواعد، ولم نعمد إلى ذكر المراجع اللغوية عند كل قاعدة، وحاولنا تقديم أفكار تستلهم من بين القواعد والضوابط مستخلصا المهارات التي تفيد المتعلم.[3]

(١) - نفسه، ص١٢.
(٢) -مقدمة الدليل، ص٤
(٣) - نفسه، ص٥

إن خاصية الإيجاز غير المخل والتمثيل لكل قاعدة أو مهارة صوتية، مع عدم التركيز عل التوثيق الأكاديمي جعل من الدليل متيسر المأخذ سهل الاستعمال، وفي متناول اليد عند الحاجة، لذا فهو موجه لكل الفئات العمرية والمهنية ولعل هذا ما يميز هذا الدليل يقول بوعكاز: "وقد جاء محتوى هذا الكتاب بين تكثيف وإسهاب ، لأنه فريد في مضمونه وطريقة عرضه، ولا يقلد ما سبقه من مؤلفات في هذا التخصص، إذ اعتمدنا فيه حصيلة تجاربنا الشخصية بين المسيرتين العلمية والمهنية، ونزعم أن قارئه سيطلع على جديد من شأنه أن يغير كثيرا في نظرته للتعليق الصوتي والقراءة الفصحى، ونحن بهذا لا نستهدف أهل الصحافة والخطابة والأدب فحسب، بل نناشد أسيادنا المعلمين في المدارس الابتدائية، كي يستفيدوا من المحتوى، لأنهم في طليعة العطاء والتأثير، نسأل الله أن يبارك في هذا الجهد ويكتب له الإفادة ويجعله صدقة جارية.[1]

فالمؤلف إذن موجه للجميع، بل إن صاحبه يراه معينا لمعلم المدرسة الابتدائية، لشدة ما هو يسير المأخذ سهل العرض، وتفصيل ذلك كالتالي:

١- مضمون الدليل:

يتوزع المؤلف على أربعة أبواب كبرى يسبقها توطئة هي الرابط بين أجزاء الأبواب التالية لها، شرح المؤلف في التوطئة ما أسماه بالمربع الذهبي، والذي يؤدي اجتماع أضلاعه إلى ما وصفه

بتشغيل الصوت:
رؤية الدليل

و معايير المربع الذهبي في تشغيل الصوت هي:

- الخامة هي (طبقات الصوت) وتمثل القوة.
- اللغة هي (تشكيل الصوت) وتمثل الطاقة.
- النطق هو (مخارج الصوت) ويمثل القدرة.
- الأداء هو (إلقاء الصوت) ويمثل القيادة.[2]

هذا المربع يشتغل وفق المعادلة التالية:

الخامة المناسبة + اللغة الصحيحة +النطق السليم = الأداء الفصيح.

(١) – نفسه، ص٦

(٢) – التعليق الصوتي كما يجب أن يكون، ص١٣

بحيث إذا اختل أي جزء في الشطر الأول للمعادلة يختل الأداء الفصيح، مثلا: قد تكون اللغة صحيحة لكن النطق غير سليم، وهذا خلل يؤثر على حصيلة الأداء النهائية [١].

إن المربع الذهبي وجد من أجل ضبط مراحل تعلم التعليق الصوتي، ذلك أن تعلم الفنون المتخصصة يرتكز على محورين "نظري ثم تطبيقي، بهذا الترتيب، أما التعليق الصوتي فهو فن يستهله البعض بالمرحلة التطبيقية، لهذا نجد المتعلم يتنقل بين القوالب ويحاول إتقان الأداء مثل الوثائقي والإخباري والروائي وغيرها، لكن الحقيقة أن الأداء هو آخر شيء نتعلمه، إذ لا يمكن الوصول إلى مرحلة التطبيق في أي تخصص دون المرور بمرحلة النظري.[٢]

" ونعني أن التدرب على التقمص والإلقاء دون تعلم قواعد اللغة هو خطأ ودون تعلم ضوابط النطق السليم هو أيضا خطأ، والسؤال المنطقي: هل يعقل أن أباشر عملا قبل أن أتعلم مهاراته؟ إن المربع الذهبي بني على هذا الأساس، أي على الترتيب بين أضلاعه من النظري إلى التطبيقي، وهو مقياس ضابط لكل فن ناطق." [٣]

والخلاصة هي أن الأداء – وهو الضلع الأخير في المربع الذهبي – يستخدم الأضلاع الثلاثة الأخرى ويوظفها مثل بطارية تنير ذاتيا في سياق القراءة أ و التحدث، ونعتبر ترتيب الأضلاع أثناء التعلم واجبا، كي يكون تدرجا في تلقي المعلومات وتطبيقها.[٤]

وعلى هذا الأساس: رتب الإعلامي والمدرب أضلاع ما سماه المربع الذهبي بالبدء بالخامة: ويقصد بها القوة التي تستخدم الهواء المتدفق من أعماق الجهاز الصوتي كي تصدر صوتا.... .[٥] ثم اللغة: وهي الطاقة المعلوماتية التي يستعان بها أثناء القراءة، كي تنير الكلمات والعبارات والجمل، فتتضح معالم النص وهي تشمل (رسم الحروف – تشكيل الحروف – مد الحروف – علامات الوقف). ثالثا النطق: وسنعود إليه بالتفصيل، رابعا وأخيرا الأداء وهو خلاصة استخدام الخامة واللغة والنطق مع تقمص المؤدي هوية النص وإلقاء محتواه للإعلان عن فكرته.[٦]

(١) – نفسه، ص١٢
(٢) – نفسه، ص١٢
(٣) – نفسه، ص١٢.
(٤) – نفسه، ص١٣.
(٥) – نفسه، ص١٥.
(٦) –ينظر: نفسه، ص٨٣.

٢- ضلع الخامة:

وهي تقوم على التحكم في عملية تدفق الهواء من الجهاز الصوتي من خلال أبعاد متكاملة:

- كمية التدفق بين هواء كثير وقليل.
- كثافة التدفق بين هواء سريع وبطيء.
- شدة التدفق بين هواء قوي وضعيف.
- مسار التدفق بين هواء متوازن ومضطرب.
- موجة التدفق بين صوت عال ومنخفض.[١]

فعند الشهيق[٢] تكون فتحة المزمار في أقصى اتساع لها ـ أي يكون الوتران الصوتيان متباعدين فينعدم اهتزازهما ومن ثم ينعدم الصوت. أما عند إخراج هواء الزفير فإن الوترين يكونان متقاربين، ويخرج الصوت على شكل موجات تتعدل وتتشكل في التجاويف الثلاثة، حيث يقوم كل من اللسان والشفتين وسقف الحلق بوظيفته في عملية التشكيل والتعديل هذه. فاللسان والشفتان يأخذ كل منهما أشكالا مختلفة تختلف من حرف إلى آخر، وليتأمل كل منا حركة اللسان عند نطق حرف اللام والثاء والراء، وكذلك حركة الشفاه عند نطق الفاء المفتوحة والفاء المضمومة وغيرها من الحروف التي يتصل نطقها بحركة الشفتين[٣].

(١) – نفسه، ص١٥.

(٢) – في حالة السكوت تتم العملية التنفسية الهادئة، وذلك بانقباض عضلات التنفس الأساس – وأهمها عضلة الحجاب الحاجز – فتنخفض نحو البطن ضاغطة على الأمعاء مسببة اتساع الصدر فتجد الرئتان فراغا امامها للتمدد، وبحكم انخفاض الضغط بداخلها عن ضغط الهواء الجوي فإن الهواء يندفع على الرئتين. وتكون هنا فترتا الشهيق والزفير متساويتين. اما أثناء الإلقاء فإن فترة الزفير تكون أطول من الشهيق ب٣ إلى ١٠ مرات. أما التحكم في أعضاء عملية التنفس فإنه عند اندفاع الحجاب الحاجز إلى الأسفل فإنه يترك مجالا للرئتين للتمدد، ومن ثم تسمحان بدخول أكبر كمية من الهواء. وإذا علمنا بأن أفضل حويصلات لتبادل الأكسجين في أسفل الرئتين، فإنه من المهم أثناء الإلقاء أن تعمل على إرخاء الحجاب الحاجز بدلا من شده لأعلى ويكون نفسك سريعا. إن العادات التنفسية السيئة المتمثلة في التنفس من أعلى الصدر فقط – لا تمد الجسّم بالأوكسجين الكافي فحسب بل إنها لا تمنح الجسم كمية الهواء المناسبة لمواصلة التحدث دون انقطاع وقبل انتهاء الجمل. أما التنفس من البطن المتمثل في استخدام الحجاب الحاجز فهو التنفس الصحيح بحيث يتم سحب الهواء عميقا إلى داخل الرئتين ثم يتم الزفير مع انقباض الحجاب الحاجز، ولذا يصبح التنفس متوازنا مما يمكن الجهاز التنفسي من القيام بوظيفته في إنتاج الطاقة وكذلك تنفيذ العملية الكلامية. ينظر: عيسى العيسى، عبد الله البابطين، لماذا نخشى الإلقاء؟ دليلك للحديث الجماهيري المؤثر، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٢، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧. ص٢٦٥-٢٦٦

(٣) – هاشم عبد السلام الكفاوين، الأداء الصوتي وفنونه، ص٢٦.

ويتضح من ذلك ببساطة أن عملية النطق إنما تتم في شكلها الأساسي من خلال التحكم في الهواء الخارج من الرئتين أثناء عملية التنفس "هواء الزفير"، ولكن لا ينبغي أن يفهم من ذلك أن عملية الصوت هي نفسها عملية التنفس العادي، فهذه الأخيرة تتم بصورة صامتة طالما أن تيار الهواء يمر إلى الرئتين ومنهما دون عوائق، أما أثناء عملية النطق فإن الهواء لا يمر مرورا طليقا أو حرا، بل يتعرض أثناء خروجه من الرئتين لأنواع من الضغط والكبح والتعويق على طول الجهاز النطقي.

ومن المعروف أن الأصوات المعيبة، إنما تنتج عن الإخفاق في التحكم والسيطرة على التنفس أو بسبب ضغط حلقي أو كليهما، ولذا فإن السيطرة على التنفس مع الحلق المفتوح المسترخي تعد من الأشياء الأساسية لإنتاج صوت جيد.(١)

إن ملخص هذا الشرح يقدمه بوعكاز بعبارة مضغوطة مركزة بقوله " ونعتبر الخامة بلا أداء بمثابة محرك منطفئ، لأن الهواء المتدفق بلا قيود هو ليس نطقا بل زفيرا لا أكثر، ثم إن أي خلل في الخامة، سيؤثر مباشرة على الحصيلة النهائية للأداء(٢).

٣- ضِلعُ النُّطق:

"النطق هو قدرة الجهاز الصوتي على التحكم في مخارج الحروف وتوظيفها بمعايير دقيقة في أزمنة محددة، للحصول على أصوات سليمة. ويعمل النطق بأبعاد متكاملة بين تفخيم وترقيق لطباعة الحروف صوتيا".(٣)

ويقصد بالنطق السليم إعطاء كل حرف حقه في السرعة والزمن.

ذلك أن إنتاج الأصوات اللغوية أو عملية الكلام يتم بواسطة جهاز النطق ويتكون جهاز النطق عند الإنسان من عدة أعضاء تشكل منظومة متكاملة لإنتاج الأصوات اللغوية، فمعرفة هذه الأعضاء واستيعاب دور كل منها ضروريان لدراسة طبيعة كل صوت من الأصوات اللغوية وكيفية إنتاجه، وأيضا للسيطرة على جهاز النطق سيطرة تامة وتفعيله، بحيث يؤدي ذلك في النهاية إلى إنتاج أصوات لغوية سليمة وصافية وفصيحة، لا تشوبها العامية أو اللكنة أو الرطانة(٤).

(١) – نفسه، ص٢٦.
(٢) – التعليق الصوتي كما يجب أن يكون، ص ١٥
(٣) – نفسه، ص٥٧.
(٤) – الأداء الصوتي وفنونه، ص٢٤.

من هنا وجب ضبط تأدية مخارج الأصوات اللغوية توخيا للسلامة وعدم مجانبة الصواب أو العدول الصوتي، وكمتدرب يتم الأمر وفق تأدية مجموعة من التدريبات:

- **التدريب ١: ضبط مخارج الحروف:**

يتنظم جهاز النطق أعضاء عدة، ولكنها متكاملة، إنها منظومة ميكانيكية على درجة عالية من الدقة والانضباط، فوصف صوت معين – وليكن الباء – مثلا بأنه شفوي لا يعني أن الشفاه وحدها هي المشكلة لهذا الصوت بخواصه وسماته المعهودة، فهناك عند إصداره يقف الهواء بانطباق الشفتين ثم يخرج منفجرا بسرعة، وتتذبذب الأوتار الصوتية بطريقة مخصوصة، وبهذا يتم تشكيل هذا الصوت المنبئ عنه وصفه بأنه وقفة انفجارية شفوي مجهور". (١)

غير أن التجريب الذي بين أيدينا لا يركز على شرح هذه العملية، بل إنه لا يشجع على تعلم نطق الحرف ساكنا، وهو يرى أن التدريب المعين على ضبط مخارج الحروف هو تكرار نطق الصوت الواحد مع كل حركة مرات عدة، حتى يستقيم المخرج ويعتاده اللسان، يقول " إن أفضل تدريب يساعدنا على ضبط مخارج الحروف هو تكرار الحرف الواحد مرات عديدة بحركة واحدة، مثلا: نكرر حرف الباء مضموما مرة في كل ثانية، ونضمن حينها ضم الشفتين بشكل مبالغ فيه:

بُ بُ بُ بُ بُ بُ بُ بُ بُ بُ.

نكرر حرف الباء مكسورا مرة كل ثانية، ونضمن حينها فتح الشفة السفلى بشكل مبالغ فيه:

بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ.

نكرر التجربة مع الحروف كلها كي نضمن التنقل بين مخارج الحروف ونكتفي بالضم والكسر لأنهما أصعب نطقا من الفتح.

إنه تمرين يجمع بين نطق مخرج الصوت، ونطق الصوامت، وهو إن كان مخالفا للعرف السائد، والقاضي بأن نطق الحرف ساكنا هو القيد لمعرفة الموضع تشكل الصوت، –وهو منهج الخليل بن أحمد –، إلا أن الإيتاء بالصوت مقرونا بالحركة قد يسهل تأديته على المتعلم، خاصة فئة الأطفال منهم إذ عادة هم

(١) – نفسه، ص٢٤

لا يستوعبون كيفية الايتاء بالصوت ساكنا ويسبقونه بهمزة معينة وهو المنهي عنه في عرف علم الأصوات، ويمكن تجنبه بالإتيان بالصوت مرفوقا بكسر وضم.

- **التدريب الثاني: في نطق الحروف والكلمات:**

طباعة الحروف: عند عملية النطق يندفع الهواء عبر الفم مرورا بعدة مواضع (تسمى المخارج)[1]، فيطبع كل حرف مستقلا في شكله الصوتي ومدته وسرعته. فالضغط على موضع واحد لمدة محددة يصنع صوتا يسمى حرفا، وهذا ما قصده بقوله طباعة الحرف في شكله الصوتي.[2]

فهو يعول أساسا في نطق الحروف على المخرج، ومعلوم أن هذا الأخير يقصد به النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء، والتي يصدر الصوت فيها، بمعنى النقطة التي يلتقي فيها عضوي النطق فيتولد الحرف، وقد تشترك بعض الأصوات في المخرج الواحد، وهو الأغلب فتفرق بينها صفة، وكذلك ربما اختلفت بعض الأصوات في المخرج واتحدت في الصفة. لذا كان ينبغي على المؤلف أن لا يغمط مسار الصوت اللغوي كله، من عملية تدفق الهواء إلى آخر نقطة في إنتاجه، فعلى المتدرب أن يدرك جميع معطيات الصوت حتى لا يلتبس عليه الأمر إذ لا فرق مثلا بين التاء والدال مطلقا حين يتعلق الأمر بنقطة التكون عند المخرج، ولكن يميزها صفة الجهر في الدال – وهي نتيجة ذبذبة الوترين الصوتين – . ويقابلها الهمس في التاء الناتج عن انعدام ذبذبة الوترية الصوتيين .

فالصوت الكلامي يوصف بأنه تركيبة مكونة من ثلاثة معطيات، إذ لكل صوت تكوين عضوي محدد، وهو ذو طبيعة سمعية محددة، وهو غير قادر على التنوع.

---

(١) – مخارج الحروف عند سيبويه وتبعه ابن جني والداني والقرطبي وغيرهم، أكدته الدراسات الصوتية الحديثة، ستة عشر مخرجا:
– أقصى الحلق: هـ، أ والألف – وسط الحلق: ع، ح. – أدنى الحلق: غ، خ. – أقصى الحنك: ق، ك. – مخرج وسط اللسان: ج، ش.
مخرج حافة اللسان: ض، اللام. – من طرف اللسان إلى الثنايا العليا: ن. – مابين طرف اللسان وفريق الثنايا العليا: ط، د، ت. – طرف اللسان وأطراف الثنايا: ظ، ذ، ث. – باطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا: ف. – الشفتان: ب، م، و. –الخيشوم: النون الخفيفة. ينظر: سيبويه، الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٧هـ، ص ٤٣٤/٤.، ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ص١٩٨٥، ص ٤٦/١، أبو عمرو الداني، التجديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، ص١٠٤، كمال بشر، علم الأصوات دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٨٠، ص١٨٥، خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، ص١٩ وما بعدها. ... وغيرهم كثير.

(٢) – التعليق الصوتي كما يجب أن يكون، ص ٥٩.

وإتماما لفكرة المؤلف فإنه يبين كيفية تحقيق التأدية السليمة للصوت عند إخراجه من مخرجه، ويتأتى ذلك بمراعاة عنصري الزمن والتحكم في تدفق الهواء، ويقول: " ولكي نضمن طباعة الحرف بنطق سليم يجب أن نوازن بين السرعة والزمن، أي سرعة الهواء المتدفق ومدة الضغط على مخرج الحرف، ولهذا هو يشير في تعريفه للنطق بكونه القدرة على التحكم في مخارج الحروف وتوظيفها بمعايير دقيقة في أزمنة محددة.

النطق السليم = السرعة المناسبة +المخرج الصحيح للحرف +زمن الضغط على المخرج.[1]

لذا فإن أي خلل طارئ (باستخدام سرعة غير مناسبة أو مخرج خطأ أو مدة غير مضبوطة، يكون مؤثرا على سلامة النطق، وهذا من أسباب تعدد اللهجات في لغة واحدة[2]. إذ من مخلفات الاستعجال في النطق، وما هو إلا خلل في ضبط السرعة والزمن حدوث تداخل في الحروف وتدافع الكلمات. فيصبح المخرج غير واضح، وقد ينزلق الصوت إلى مخرج صوت آخر، وذلك بغض النظر عن أسباب السرعة المربكة، سواء كان توترا، أو عدم تدرب على سلامة النطق.

لذا ينصح المتدربون دائما بدراسة أصواتهم ومراقبتها لتحديد مستوى قوة الصوت، وصحة مخارج الحروف ونبرة الصوت وإيقاعه، وذلك بأن يستمعوا لأصواتهم من جهاز التسجيل، فهو أداة فاعلة في معرفة الصوت. ذلك أنك حين تستمع لصوتك فإن غالبية تركيزك سيكون على حاسة السمع، على خلاف الوضع حينما تشاهد نفسك على شريط فيديو، حيث يكون تركيزك مشتتا بين السمع والبصر، وعليه فإنهم من المهم أن تستمع لصوتك بمعزل عن صورتك، ومن ثم يكون تركيزك منصبا على صوتك عندما ترغب في دراسة صوتك.

- **التدريب الثالث: الاستعانة بعلم التجويد:**

جاء التوجيه الرباني بضرورة العناية بتلاوة الذكر الحكيم، مصداقا لقوله تعالى ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾، ومن الترتيل فهم معنى تجويد القرآن، وقصد به إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف "[3].

(١) – نفسه، ص٥٩.

(٢) – نفسه، ص٦٠.

(٣) – السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٩٦٧ ص١/٢٨١.

فمن مهام مجوِّد القرآن، الحرص على إخراج الصوت واضحا لا يلتبس به غيره من أصوات العربية، وإعطاء الحرف حقه من النطق المحقق غير مشتبه بسواه [١]. وعلى هذه الحال فمن غير المعقول التغافل عن هذا العلم الأدائي الصوتي البحت، بل إن الرجوع إليه كمرجع أساس في التعلم أمر لا بد منه، مع مراعاة اختلاف النص القرآني عن سائر الكلام.

لقد بين عبد الفتاح بوعكاز أهمية الاستعانة بعلم التجويد في التدريب على النطق الفصيح السليم لأصوات العربية، يقول: "أما علم التجويد فهو تخصص استمد من الفصاحة وزاد عليها بما يخدم الأداء المناسب للتلاوة، لكن لا يمكن أن نقصي أفضاله على القراءة في التعليق الصوتي لأن علم التجويد يخدم المنطوق والمكتوب معا، خلافا لفنون النحو والصرف والإملاء التي تهتم بقواعد الكتابة، ثم إن علم التجويد وثق في نطق العربية ما يستحق الاستقاء منه بما يخدم القراءة العادية لا التلاوة، والاستقاء من هذا العلم لا يعني اطلاقا تطبيق أحكامه كاملة على قراءة النثر والشعر، لكنه يبقى الفن الوحيد الذي يعد مرجعا في كثير من الضوابط، وهذه العلوم تؤخذ من الأفواه و لا تكتفي بتصفح الكتب [٢].

إن خاصية المشافهة والأخذ من أفواه المشايخ مباشرة حين تعلم التجويد القرآني، هي خاصية أدائية على درجة كبيرة من الأهمية، ويمكن الاعتماد على الكثير مما يرد فيها أثناء تعلم القراءة الفصحى، وعليه لا ينبغي إغفال هذا الجانب، فكثيرا ما نسمع العبارة المتكررة (على المعلق الصوتي أن يبتعد عن أحكام التجويد) وهذه نصيحة في غير محلها، وقد تكون مضللة للمتعلم، ونحن نؤكد أن إجادة التعليق الصوتي لا تتحقق إطلاقا دون تمكين أحكام التجويد، حتى يدرك الفرق بين ما يجب استقاؤه وما يجب تجنبه أثناء التعليق الصوتي. [٣]

مع مراعاة أن ما استنبطه علماء التجويد ليس أصلا في قراءة، وقد قيل: "إن العرب لا تنطق بكلامها إلا مجوِّدا " وإن مراعاة التجويد هو مراعاة للعربية، ومرجع هذا العلم ومصدره هو الذوق العربي الفصيح، ولا نعني بذلك ترتيل الكلمات والعبارات كما ترتل آيات القرآن الكريم، وإنما نطقها بشكل سليم وفق القواعد العربية النحوية والصرفية والصوتية. [٤]

وعليه يقدم الإعلامي عبد الفتاح بوعكاز، مجموعة من التمرينات فيها الكثير من الاستئناس بمنهج علم التجويد في التأدية، مع مراعاة الفارق بين النص القرآني وغيره من الكلام العربي الفصيح.

---

(١) – الصغير، محمد حسن علي، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١١٢.
(٢) – نفسه، ص٦٢.
(٣) – ينظر: نفسه، ص٦٢.
(٤) – هاشم عبد السلام الكفاوين، الأداء الصوتي وفنونه، ص٤٢.

- **التدريب على مجموعة من الأصوات:**

❖ **التفخيم والترقيق:**

ذكر المؤلف أن التفخيم هو تسمين الحرف، والترقيق هو تنحيف الحرف، ولا يكون التفخيم كما هو في أحكام التجويد، بل يأتي نطقه أقل حدِة وأكثر كثافة دون مبالغة[(١)]. وفي دليل آخر للأداء الصوتي عُرِف تفخيم الحرف على أنه غلظ يدخل على صوت الحرف فيمتلئ الفم بصداه. وترقيق الحرف: هو نحول يدخل على صوت الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه [(٢)(٣)].

وقد أشار الدليل الذي بين أيدينا إلى الحروف المفخمة على الدوام في العربية وهي المجموعة في عبارة (خص ضغط قظ)، ووجوب المحافظة على صفة التفخيم فيها، " بحيث أن أي ترقيق يصيب الحرف داخل الكلمة، فسيؤدي إلى تشويهها أو تغيير معناها، مثال ذلك أن ترقيق (الصاد) يعطينا (سينا)نقول (الصياد) وليس (السياد).[(٤)]

على أنه كان ينبغي تقديم شرح لكيفية حدوث التفخيم حتى يدرك المتعلم، الفرق بين الصوت المفخم ونظيره المرقق، فيركز أثناء نطقه على التأدية الصحيحة والتامة للصوت والمراعية لجميع خصائصه النطقية، فالتفخيم هو وضع عضوي، أدركه اللغويون ووصفوه وصفا دقيق، حيث قالوا بأن اللسان ينطبق على الحنك الأعلى آخذا شكلا مقعرا، بحيث تكون النقطة الأمامية من اللسان هي مخرج الصامت المرقق، وتكون النقطة الخلفية هي مصدر التفخيم في حالة الإطباق. فصوت الصاد يتحقق بوضع اللسان في جزئه الأمامي موضع السين ثم يرتفع جزؤه الخلفي ليأخذ اللسان شكلا مقعرا فتكون الصاد. "[(٥)]

فالصاد تبدأ أماما من نقطة السين، ثم يطبق اللسان بشكله المقعر على الحنك الأعلى لتكون الصاد. وقس عليه

(ط/د)(ظ/ذ)(ض/د).

---

(١) – نفسه، ص٦٣.

(٢) – نفسه، ص٦٢.

(٣) – والتعريفان مقتطعان من قول المرعشي: " والتفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه، والتفخيم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد، والترقيق عبارة عن نحول جسم الحرف، فلا يمتلئ الفم بصداه". ينظر: المرعشي، جهد المقل، تح:: غانم حمد القدوري، دار عمان، الأردن، ص١٥.

(٤) – ينظر: نفسه، ص٦٣.

(٥) – ينظر: برتيل مالمبرج، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، ص١١٥.

وعموما فإن المؤلف دائما ما يكرر في دليله عبارة إن النطق السليم للحروف يطبع الصوت الدقيق للكلمة، دون تشويه أو تغيير في المعنى. مؤكدا بذلك على ضرورة الحرص على إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، والتنبه حين نطق الحروف المتقاربة المخرج ولاسيما في بعض المواضع، نحو آخر الكلمة، وعند النطق بالساكن فنقول (الحياءْ) و(الحياة)، ونقول (يتنبأْ) و(يتنبه).

كما عرض المؤلف للحروف التي تقبل التفخيم والترقيق وهي الراء واللام، وكان عرضه موجزا إلا أنه واضح يسير المأخذ، إذ سار على القانون العام الذي وضعه علماء التجويد [1] مع تفصيلاته الأساسية، فيما يخص تفخيم الراء، مع التمثيل لكل حالة، متلافيا بذلك الرجوع إلى الدراسات الحديثة والتي عرفت نوعا من القصور في ضبط وتفسير أحكام تفخيم الراء وترقيقها. [2] والأمر نفسه لأحكام تفخيم اللام إذ عرض لحالات تفخيم لفظ الجلالة (الله)، مع إشارته إلى أن الحالات الأخرى لتفخيم اللام، محسوبة على أحكام التجويد وضوابط التلاوة، ولا تطبق في التعليق الصوتي. [3]

❖ **الإدغام:**

يركز صاحب ا لدليل في معرض حديثه عن الادغام، على أحكام النون الساكنة والتنوين، مع إشارة مقتضبة للإدغام، وذلك فيما يخص إدغام الحرفين المتجانسين [4]، مع عدم شرحه لمفهوم التجانس، أو تحديد الحروف التي تتأثر بالتجاور فيما بينها، واكتفى بالإشارة إلى وجوب سكون الحرف الأول وتحرك الحرف الثاني، مع التمثيل لذلك. غير أنه اعتنى بنوع من البسط بأحكام النون الساكنة، وعرف الادغام بأنه دمج النون الساكن بأحد الحروف المجموعة في قوله " يرملون " وتسمى حروف الادغام. وهو يبرر تركيزه على أحكام النون الساكنة – وهي من متعلقات علم التجويد –، أن أحكام التجويد استمدت من اللغة الفصيحة ثم زادت عليها، لذا لا يجوز تطبيقها حرفيا في التعليق الصوتي، وفي حال الادغام فإن أحكام التجويد استمدت أيضا من اللغة المنطوقة وزادت عليه الغنة، وإذا أردنا أن ننطق بفصاحة في وجود الادغام وجب علينا التخلص من الغنة فقط مع الإبقاء على نطق الادغام من دونها. [5]

---

(١) – ترقق الراء مع الكسرة وتفخم مع الفتحة والضمة. ولعلماء التجويد تفصيل لا نظير له في التمثيل لحالات ترقيق الراء وتغليظها، وفي كيفية الأداء مع الشرح العضوي للعملية. ينظر، القدوري، غانم حمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار ط١٤٢٨،٢هـ/٢٠٠٧، ص٤٠٨.

(٢) – ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٦٦، وتعقيب القدوري على ما ذكره أنيس، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص٤٠٩–٤١٠.

(٣) – ينظر: التعليق الصوتي كما يجب أن يكون، ص٦٦.

(٤) – هما الحرفان اللذان يتفقان مخرجا ويختلفان صفة

(٥) – المرجع السابق، ص٦٧.

وعلى الرغم من هذا التجوز في الكلام الفصيح إلا أن المتكلمين يجرون بعضا من أحكامه ويستثقلون البعض الآخر، إذ يضيف بوعكاز. ... وإلا كيف نفسر تطبيق بعض أحكامه وإهمال أخرى ؟ [1] لماذا نقرأ (عن من رأى) بتطبيق الادغام مرتين اثنتين، ثم نتقبل وجوده في حرفي الميم والراء ؟ ولما لا نتقبله في الياء والواو (لن يكون شاهدا وحيد) وهنا نؤكد مجددا أن الفارق في القراءة يكمن في وجود الغنة فقط، وأن ما نستثقل في الادغام في القراءة العادية ليس خطأ لغويا، بل تلوثا ناتجا عما تعود عليه السماع والنطق لا أكثر، لأن الإدغام من فصاحة العربية، واستعادة المفاهيم الصحيحة تتطلب الجهد والوقت معا. [2]

فالغنة موجودة إذن وهي الأصل في التأدية لذا ينبغي النطق على أساسها في الأداء القرآني ويمكن تجاوزها في غيره من الأداءات، إذ أن قراءة الادغام أسهل وأيسر في النطق لذا كان من السهل على الناشئة، مثلا قراءة وحفظ الكلمات والمقاطع المتواجد فيها إدغام النون الساكنة، كنحو قراءة الحديث النبوي الشريف المبرمج لتلاميذ السنة الأولى ابتدائي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)).

وكأنني به يشير إلى ضرورة تنقية مسامعنا مما شابها مما اصطلح عليه – تلوث سمعي – جعل فطرتنا اللسانية تحيد عن الأصل، وبالتالي ينبغي العودة إلى الاستماع إلى النموذج اللغوي الأعلى فصاحة، كي نعيد ترتيب القواعد في أذهاننا، وتمرين ألسنتنا على نطق عربي صحيح سليم.

❖ تدريب الإقلاب:

ويقصد به دمج النون الساكنة والتنوين مع الباء ثم قلبها ميما، وهو يقع في كلمة واحدة أو في كلمتين متجاورتين، ويكون حكم الإقلاب مثل حكم الادغام، إذ يجب التخلص من الغنة فقط، مع المحافظة على الميم بدل النون والباء: مثل: ينبثق الماء من بئر بين المنبعين..... .

على أن الواقع صوتيا في قلب النون ميما حين مجاورتها للباء، هو حدوث تأثر بين الباء والميم، يفضي إلى إبدال النون حرفا يؤاخيها في الغنة، ويشارك الباء في المخرج، ألا وهو الميم، فقلبت النون ميما من أجل ذلك. ولا وجه للقول بالتخلص من الغنة، فالميم بدورها صوت أغن.

على أن اللسان العربي الفصيح يستدعي حضور الإقلاب في مواضعه، ومحاولة النطق من دونه يصفه بوعكاز بكونه تهجيا غريبا وخطأ لغويا. وهو على صواب.

(١) – نفسه، ٦٧.

(٢) – نفسه، ص٦٧.

❖ **تدريب القلقة:**

يوضح المؤلف القلقة بوصفها اضطرابا يصيب اللسان مع إعطاء نبرة للحرف عند نطقه، وهي مجموعة في قوله 'قطب جد"، إذ نحافظ على نطق حروف القلقة واضحة في نهاية الكلمات، كي تظهر في التسجيلات الصوتية، ونتجنب قلقلة الحروف وسط الكلمات، لأن إظهارها يكون في أحكام التجويد حصرا.(١)

فوصفه لها بأنها اضطراب اللسان وإعطاء نبرة للحرف، شرح بسيط وسهل لكلام سيبويه، وهو يشرح القلقلة بقوله: " واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقة. ...وذلك القاف والجيم والطاء والدال والباء. والدليل على ذلك أنك تقول: الحذق، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت، لشدة ضغط الحرف، وبعض العرب أشد صوتا، كأنهم الذين يرومون الحركة. "(٢)

وفي شرح السيرافي لكلام سيبويه، يذهب في علة تسميتها بالقلقلة إلى القول:" لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف، مع شدة الصوت المتصعد من الصدر، وهذا الضغط التام يمنع خروج ذلك الصوت، فإذا أردنا بيانها للمخاطب احتجت إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فتسمع "(٣).

كما قرر سيبويه أن ذلك الصوت وتلك النفخة لا تسمع من الحروف عند الوصل، وذلك حيث قال: " واعلم أن هذه الحروف التي يسمع معها الصوت والنفخة في الوقف لا يكونان فيهن في الوصل إذا سكن، لأنك لا تنتظر أن ينبو لسانك، ولا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتا، وكذلك المهموس، لأنك لا تدع صوت الفم يطول حتى تبتدئ صوتا".(٤)

أما عن كونها من خصائص علم التجويد، فذلك عند التفصيل فيها إذ تقسم القلقلة عند علماء التجويد إلى قلقة كبرى وهي الحاصلة في نهاية الكلم المنتهية بأحد تلك الأصوات، وقلقة صغرى وهي الحاصلة عند وجود أحد أصواتها في وسط الكلام.

ويمثل بوعكاز لوضع تظهر فيه أهمية القلقة وهو حين نطق حرف الباء ذلك أن القلقة تحمي الباء

(١) – نفسه، ص٦٩.
(٢) – الكتاب، ص٤/١٧٥.
(٣) – ينظر: الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد الزفزاف واخرون، مطبعة حجازي، القاهرة، ص٣/٢٦٣.
(٤) – الكتاب، ص٤/١٧٥.

العربي المجهور من أن يظهر كحرف (p) والأمر أصبح شائعا كثير الورود.[١]

على أنه ينبغي التفريق بين القلقة وبين نقل مخرج الحرف إلى مخرج أخر أو تقريبه منه على نحو ما يحدث للجيم في بعض العاميات العربية، حيث تنطق قريبا من (الشين) (جش)، بسبب تقارب مخرجي الحرفين، ولعله يشير إلى لهجة العراق، كما أنها تنطق في لهجة مصر غير معطشة (مجهور الكاف)، والأصل في الجيم هو التعطيش، حفاظا على الجهر فبها، وهو أداء مستمد من التجويد القرآني، والمؤلف يؤكد على ضرورة الأخذ بالأداء القرآني باعتباره يعبر عن العربية الفصيحة، ولاينبغي الركون إلى النطق اللهجي "بدعوى أن التعطيش يخص أحكام التجويد فقط، وهذا ليس صوابا "[٢].

وإن كانت الدراسات الصوتية، تنتصر لكون كل من نطق الجيم معطشة، ونطقها غير معطشة صحيح من الناحية التاريخية، بل منهم يذهب إلى أن هذه الجيم الأخيرة (مجهور الكاف) هي الأصل في نطق الجيم، لما أشارت إليه بحوث اللهجات الحديثة من أبناء الجنوب في الجزيرة العربية ينطقون الجيم غير المعطشة (وهو نطق سائد في اليمن الجنوبية والشمالية وعمان)، وجنوب الجزيرة العربية هو أصل العربية، ومصدر هجرات العرب إلى الشمال، فإذا صح هذا وأضيف إليه أن اللغات السامية جميعا لا تعرف سوى هذه الجيم الطبقية، كانت الجيم المعطشة حديثة نسبيا، وهي صورة متطورة للجيم الأصلية الجنوبية، نشأت عن اتصال عرب الشمال بلغات الروم في الشام و ما وراءه من بلاد الروم، ثم صارت هي الصورة الشائعة نظرا إلى مكانة قريش وأهل الحرم في الشمال بين القبائل العربية، وهكذا التزمت بها فيما بعد القراءة القرآنية "[٣].

إن هذا السياق التاريخي افتراض قد تثبت الدراسات صحته أو عدمه إلا أن المتفق عليه أن نطق الجيم بالتعطيش هو النطق الذي جاءت به القراءة القرآنية، وبالتالي هو النطق الذي قدر له البقاء والثبات، والانتماء إلى العربية الفصحى، من هنا وجب الحرص على تأديته على أصوله، حتّى يوصف الأداء بأنه صحيح وسليم، وبأن لغة المؤدي فصيحة سليمة.

❖ **تدريب الهمس:**

(١) – التعليق الصوتي كما يجب أن يكون، ص٦٩.
(٢) ينظر: نفسه، ص٦٩
(٣) – برتيل مالبرج، علم الأصوات، ص١١٣،١١٤.

من المفاهيم المهمة في علم الأصوات وفي تبيان خصائص الأصوات، مفهوما الجهر والهمس، وقد عرف منذ القدم تعريفات تتفاوت نسبة سهولتها في الاستيعاب، وفي مستوى قدرتها على التوصيف الدقيق لهذه العملية الصوتية، وكتب النحو الأولى تقدم شروحات وتعريفات في هذا الباب، على أن المعامل الصوتية الحديثة سهلت من مهمة فهم معنى الجهر والهمس، حين أظهرت أن الصوت المجهور صوت يتذبذب معه الوتران الصوتيان، والمهموس صوت لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان، مما يترتب عنه خفاء هذا الأخير، بل إن الصوت المجهور إذا أخفي خرج نظيره المهموس، ولعل هذه العلامة الفارقة هي التي جعلت بوعكاز، يقتصر في توصيف الهمس بكونه خفاء، يقول: "يقصد بالهمس الصوت الخفي عند تسكين هذه الحروف المجموعة في قوله (فحثه شخص سكت) والمقياس في معرفة النطق بالهمس هو النطق بالقرب من لهب الشمعة مثلا (لفيفي- واضح- حديث - نبيه وحش- صارخ- شخص. ...) [1]

إن اختبار النطق أمام الشمعة واحد من التجارب التي تعين المتدرب على التعرف على الهمس والجهر في الأصوات، وإن كان هذه التجربة تحتاج إلى توضيح، إذ ينبغي ذكر أن نطق الصوت المهموس أمام الشمعة لن يطفئ الشمعة، أما نطق الصوت المجهور، فقد يطفئ الشمعة أو على الأقل يحرك لهيبها، وهذا نتيجة تأثير الهواء القادم من الصدر والمحمل بالذبذبات الصوتية نتيجة اهتزاز الوترين الصوتيين.

ومن هنا وجب التحرز حين نطق الأصوات والحرص على الحفاظ على خصائصها الصوتية ولاسيما حين تواجدها في آخر الكلمة ساكنة، وهو يمثل لذلك (حديث).

❖ تدريبات لتفادي التأثيرات اللهجية:

معلوم أن أي لغة عالية تنبثق عنها مجموعة من اللهجات هي وليد الاستعمال التداولي اليومي، وأن هذه اللهجات تأخذ بقدر قد يكثر وقد يقل من خصائص اللغة العالية، والشأن واقع بين العربية ولهجاتها، والتأثير اللهجي حين أداء العربية الفصيحة، قد يظهر إذا لم يحترز المتكلم منه، وإذا لم يطوع لسانه على تفادي الانزلاقات اللهجية، التي قد تسيئ إلى أداءه. لذلك يقف بوعكاز مع مجموعة من الأصوات التي يتسامح بعض المؤدون في إخراجها وفق منطق اللهجة لا منطق النطق الفصيح السليم لها، لذا فهو يقف موقف المنبه، والمقوم، من خلال تبيان السبب في تغليب النطق اللهجي على النطق الفصيح.

- نطق الحروف اللثوية: حيث قد تنطق كل من الثاء والذال والظاء (ثاء أو زايا) بسبب تأثير اللهجة "نقول: ثعبان ولا نقول سعبان، نقول ظلم ولا نقول زلم، نقول ذبابة ولا نقول زبابة. [2]

(١) - نفسه، ص٧٠.
(٢) - نفسه، ص٧٠

ولعل هذا أكثر ما يلاحظ في نطق المصريين، ولعلهم أكثر المتكلمين بالعربية نقلا لنطقهم اللهجي إلى خطابهم الفصيح، ذلك أن إبدال صوت بصوت آخر كتأثير لهجي واقع في جميع اللهجات العربية، إلا أن جِلِ أصحابها يلتزمون بالتأدية الفصيحة لأصوات اللغة، متى كان مقام التكلم بالعربية الفصحى. وفي تنبيه المؤلف إلى ضرورة الالتزام بالنطق الفصيح والعودة بنطق الذال والثاء والظاء من النطق العامي إلى النطق الفصيح، إنما هو من باب الحرص على العودة إلى العربية الفصحى في صورتها التي تحملها التأدية للنص القرآني باعتباره النموذج اللغوي الأعلى، والأصون لخصائص وقواعد اللغة العربية[1].

- نطق الحروف مع التضعيف: مضاعفة نطق بعض الحروف دون انتباه، بحيث قد يضاف حرف قبله أو بعده، فحين نطق الباء ساكنا، لا يجوز أن نقول أبْ ولا بْ بْ. و من ذلك المبالغة في تكرير الراء نقول رْ رْ رْ وليس رِرْ ولا رِرِرْ...

والحل في التدريب التالي: تكرار الحرف مرات عدة رْ رْ رْ رُبْ بْ بْ بْ، ثم تسجيل الصوت للمراجعة والتأكد.

- نطق حرف التاء: ينبغي ضبط مخرج التاء حتى لا ينزلق إلى السين نقول تْ تْ تْ ولا نقول تِس تِس تِس، مثل تتقبل، تتأرجح، تتخاصم. ....وعادة ما يحدث هذا حين الضغط المبالغ على مخرج التاء، فتظهر شائبة من الصفير نتيجة الالتصاق المبالغ فيه للأسنان. كذلك فإن المبالغة في إخراج نطق التاء قد توقعنا في عدول آخر، فبدل أن ننطق التاء ساكنة تْ تْ تْ، ننطقها أتْ أتْ أتْ، مثل: تقابلت، تأرجحت، تخاصمت. ....

- نطق الحروف مع الكسرة: الحرص على نطق الكسر،" إذ أنها تظهر في التسجيلات الصوتية مفتوحة مائلة، وكي يخرج صوت الكسرة مطبوعا بنطق سليم يجب أن نفتح الشفة السفلى مع شيء من المبالغة أثناء التدرب، لأن هذه الشفة من العضلات المهملة التي لا يطالها التحريك ولا التدليك. "[2]

- النطق في كلمات ليست عربية: تجنبا لكل عدول صوتي يخل بفصاحة اللغة، يقدم مؤلف الدليل ضابطا للتعامل مع الحروف غير المتواجدة في المنظومة الصوتية العربية (G,P ,V). يقول" يعتقد بعضنا أن استبدال هذه الحروف بحروف عربية هو جزء من التعريب، لكن الحقيقة أنه تشويه للكلمة وإساءة للعربية، فلا يجوز أن نغير نطق (G) إلى غين ولا (P) إلى باء ولا (V)إلى فاء.

(١) – ينظر في هذا المقام: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ١٥٢.

(٢) – التعليق الصوتي كما يجب أن يكون، ص٧٣

لكن نكتبها بحروف العربية، ونبقى نحافظ على نطق تلك الحروف كما هي، حتى لو ظهرت حركات الإعراب في نهاية الكلمات.

مثال: (G) الكونغو- غروزني- غوريلا- غرينتش.

(P) أوروبا - برلمان - باريس - شكسبير. .....

(V) فويس أوفر - فولفو - فيتامين - فيكتوريا. .....[1]

وما يسري على نطق الحروف يسري على نطق الأسماء الأعجمية على حسب رأي المؤلف.[2] مع ضرورة البحث على نطق الكلمات في لغاتها قبل تسجيل أي عمل مهني، وهذا من واجبات المؤدي أو الملقي صوتيا.

ينهي المؤلف مبحثه بمنظومة شعرية تتكون من مقاطع كل مقطع فيه ورود مخرج صوت ما بكثافة، كتدريب وترويض غاية في الجودة للسان، وهو إبداع يحسب للمؤلف. فجزاه الله عن العربية خير جزاء.

النتائج والتوصيات:

- الدليل الذي بين أيدينا هو نتاج تكوين وممارسة وخبرة، اختزل فيه صاحبه المراحل الأساسية للوصول إلى أداء سليم، بعيدا عن التفصيلات غير المؤثرة، معززا إياه بمجموعة من التمارين الفاعلة.
- الصوت عنصر جوهري في الأداء الكلامي، وضبط مخارج الأصوات ركن أساسي في تحقيق معادلة الأداء السليم، من هنا وجب العناية بتأدية أصوات العربية بحثا وتدريبا وتقويما.
- يقدم الدليل شروحات علمية من نوع السهل الممتنع، ذلك أنها لا تخرج على ما توصلت إليه البحوث العلمية، غير أنه يأخذ من هذه الأخيرة التفصيل الميسر والقابل لظهور بجلاء أثناء التأدية الصوتية، والملاحظ أثناء التدريب، من ذلك وصفه للهمس بأنه خفاء مع ظهور هذه الخاصية في التدريب. على أن هذا الإيجاز قد يكون مخلا نوعا ما من حيث أنه يجعل من خاصية ما هي سمة الصوت اللغوي في حين كان ينبغي ولو من باب الإشارة إلى أن الصوت اللغوي يمر بمجموعة من المراحل ويصطبغ بمجموعة، بحيث أن عدم مراعاة جزء مما ذكر يؤدي إلى عدول في مخرج الصوت.
- تدريبات الكتاب تتوافق مع مختلف الفئات العمرية، وإن اختلفت الغاية التعليمية.

(١) - نفسه، ص٧٤،٧٣.

(٢) - ينظر: نفسه، ص٧٤

- يرتكز الكتاب بشكل كبير على ضوابط علم التجويد، شرحا وتقعيدا، إيمانا من المؤلف أن النص القرآني يعد النموذج الأرقى الذي جاءت به اللغة العربية، وتأديته هي الأفصح باعتبار المشافهة في التلقين التي بني عليها علم التجويد، فهو علم لا يؤخذ من الكتب، على أن يؤكد دائما أن التأدية في الكلام العربي الفصيح لا ينبغي أن تلتزم بالتأدية القرآنية بجميع تفاصيلها لخصوصية النص القرآني، ولعدم إلزامية ذلك في غيره من النصوص.

اللغة العربية لغير الناطقين بها دراسة تأصيلية ميدانية أثيوبيا وتنزانيا أنموذجا

د. صالح قاسم عبد الحافظ المفلحي

مقدمة:

إن لغتنا العربية، تعد من أقدم اللغات في العالم، وهي اللغة الوحيدة التي استمرت منذ أن استقرت بكل مقوماتها، في الجزيرة العربية.

وقد حفظها الله سبحانه وتعالى بنزول القرآن الكريم، حيث أنزل آيه (بلسان عربي مبين)، وكل ما أنتجه العقل العربي والإسلامي في عصور ازدهار الحضارة العربية، كان باللسان العربي الناطق والمعبر عن فكر الأمة، وتراثها وعلومها التجريبية والفلسفية، والتشريعية، والأدبية، وأصبحت لغة عالمية يفتخر بها كل من أراد أن يتعرف على حضارة العرب والمسلمين، ولكنها في ظل هذا الماضي العريق يخشى عليها من المستقبل الغريق، والحاضر القلق، الذي يهدد وجودها، في ظل التطورات والتقنيات الحديثة التي تتجدد دائما، ولابد للغة العربية من مواكبة التطور العالمي حتى لا تصبح أثرا بعد عين.

وعن أهمية اللغة العربية في ضوء البعد الديني، والبعد الحضاري للأمة الإسلامية، ترد نصوص كثيرة حيث روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد أيها الناس، أن الرب رب واحد، والأب أب واحد، والدين دين واحد، وأن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم، وإنما هي لسان، فمن تكلم العربية فهو عربي).

وقال تعالى: (وإنه لتنزيل رب العالمين* نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين* بلسان عربي مبين) ﴿الشعراء/ ١٩٢-١٩٥﴾

وقال سبحانه: (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون* قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون) ﴿الزمر/٢٧-٢٨﴾

وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: (تعلموا العربية فإنها من دينكم).

لغة العرب: لغة العلم والحضارة والبلاغة

قال شاعر النيل حافظ إبراهيم:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عز الدواء أساتي

فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة وكم عز أقوام بعز لغات

أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا فيا ليتكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوأدي في ربيع حياتي

ليست اللغة العربية كما يتصور الكثير من شبابنا العربي اليوم، خصوصا من يستبدلون اللغات الأجنبية باللغة العربية الجميلة، متفاخرين ومزهوين بالحديث بتلك اللغات التي لا مفردات كثيرة لها. كما هو الحال في لغتهم العربية التي لها مفردات لا توجد في غيرها من اللغات فللسيف (مثلا) خمسون اسما، وللأسد كذلك، بل وللكثير من الألفاظ ما يذهلك من مرادفات، وأنت تتصفح قواميس اللغة العربية

ويكفي العربية فخرا، أنها لغة أهل الجنة في الجنة. كما ورد في أحاديث كثيرة للنبي محمد (ص) فهي لغة حيه لا تموت كما هو في بقية اللغات التي تحيا مفردات جديدة، على إنقاص مفردات قديمة كما هو حاصل في بلاد الغرب الأوربي والأمريكي

فالعربية هي التي تتجدد ألفاظا، يزهو بها قديمها ممزوجا بحديثها. لغة متطورة مع العصر ومجدده لنفسها تلقائيا كيف وقد نزل أعظم كتاب (القرآن الكريم) من لدن خبير عليم رب المشرقين ورب المغربين.

لغتنا العربية وتحديات الثقافة المعاصرة

هناك تحديات كبيرة وخطيرة، تواجه اللغة العربية في الوقت الراهن، من خلال العديد من الشواهد التي يمكن أن نراها ونعايشها والتي تنعاش، سواء في الإعلام العربي، التي أصبحت الكثير من قنواته الفضائية، تهرب إلى اللغات المحلية، على حساب اللغة الفصحى،، ونراها بوضوح في تدني مستوى العربية، الذين يقدمون البرامج ويقرأون نشرات الأخبار، أو من خلال انتشار ظاهره التعليم الأجنبي في دولنا العربية، مما أدى إلى ظهور أجيال جديدة من الطلاب والطالبات العرب الذين لا يجيدون القراءة بلغتهم الأم، إضافة إلى انتشار العلامات التجارية الأجنبية، في الشوارع وفي اللوحات الإعلانية، وفي التلفاز والمذياع، والصحافة، مع العديد من الظواهر الأخرى، وبينها عدم إتقان الكثير من أبنائنا الدارسين والطلاب العرب للغتهم الأم الجميلة، وتفضيل الكثير منهم للقراءة باللغات أجنبية.

ومع انتشار استخدام وسائل التواصل الحديثة كالفيسبوك والتويتر وغيرهما، انتشرت لغة جديدة للتواصل إما باستخدام الشباب للغة الأجنبية في التواصل، وإما بابتكار لغة عربية مشوهة، مكتوبه بحروف لاتينية، وهي جميعا ظواهر خطيرة، تحتاج إلى اهتمام المؤسسات العربية الثقافية، والتعليمية، والإعلامية، بإعطاء الاهتمام الواجب لهذه الظاهرة ومحاربتها، وإبعاد شبحها عن أبنائنا وبناتنا، وذلك بتكثيف تعليم اللغة العربية، ونشرها كتابة وقراءة، وإعلانا في شتى الميادين.

ولعل الأخطر من هذا كله، هو النظرة التي ينظر بها الشباب العربي إلى لغتهم، وهي نظرة مع الأسف لا تحمل التقدير الواجب، وهو ما يظهر من خلال تفضيلهم للحديث باللغات الأجنبية، كما أنهم يتصورون بسبب استخدامهم للغات الأجنبية في تحصيل العلم أن اللغة التي ينتمون إليها (العربية) ليست لغة تعليم وعلم خصوصا أن أغلب المصطلحات العلمية التي يحصلونها في تعليمهم لا يوجد بينها أي مصطلح باللغة العربية.

وهذه أيضا أزمة أخرى خطيرة تتحمل مسؤوليتها بشكل مباشر المؤسسات التعليمية التي لا تهتم بأن توضح للطلاب والدارسين العرب أن لغتهم العربية كانت اللغة الأولى في العالم قبل عدة قرون، حين كان العالم الغربي ينقل عنها، ما أنجزه العلماء العرب الأوائل، في الكيمياء، والطب، والرياضيات، والتشريح، وعلم الفلك، والفلسفة والموسيقى، وغيرها من فروع المعرفة والعلم مما أنجزه العرب في الفترة من القرن العاشر حتى القرن الرابع عشر (الزمن الجميل) والعصر الذهبي لعزة العروبة وذلك كله باللغة العربية الفصحى.

ولعل أهم خطوة ينبغي أن تتخذ لكي تستعيد اللغة العربية مكانتها بين أبنائها، أن يشعر هؤلاء الأبناء بالفخر بلغتهم، وأن يعترفوا على المنجز الهائل التي تم تدوينه بها، في العلم، والأدب، والفكر، والفلسفة قبل أن يعرف الغرب النهضة بقرون عديدة.

بل أن العلماء والباحثين في الغرب تعلموا اللغة العربية، لكي ينقلوا عنها ويؤسسوا نهضتهم العلمية، حين بدأ عصر النهضة، لأن الانكفاء عن اللغة الأم، وعدم الاعتداد بها، تعبير عن الهزيمة النفسية، وأي لغة أصحابها مهزومون حضاريا، لا يمكن لها أن تصمد في وجه أي تحد، وعلى أي مستوى ينظر منه أن تقوم فيه هذه اللغة بدورها المأمول.

إحياء اللغة وتطويرها:

دأب الغربيون، باستمرار على أن يقللوا الفجوة بين لغتهم الفصحى، واللهجة المستخدمة في الحياة اليومية، مما أثر في لغتهم.

كما أنهم للسبب نفسه، كانوا ولا يزالون يعكفون على القواميس والمعاجم اللغوية الخاصة بلاغتهم ينقحونها، ويستبعدون منها الكلمات الميتة، ويضيفون إليها الكلمات الجديدة، التي دخلت في حيز التعامل اليومي، في الحياة اليومية للأفراد، وكذلك الأمر بالنسبة للمصطلحات الجديدة في العلوم وفي غيرها من وسائل المعرفة، مما جعل معاجمهم تتطور باستمرار، وتمارس دورها في تطوير اللغة وإحيائها.

وهنا تظهر مفارقه أخرى، تعود إلى أن اللغة العربية الي كانت الدول العربية تعتبرها واحدة من السمات المشتركة، التي يجتمع عليها العرب، ويعدونها وسلة للتقارب والوحدة (مع الأسف) وربما السبب عدم الاهتمام بها لم تتسبب في تحقيق أهداف التكتل العربي، بينما نرى على الجانب الأخر، أن الدول الأوربية التي لا تجمع فيها لغة واحدة، استطاعت أن تكون تكتلا أوروبيا قويا، يقوم على الجغرافيا والاقتصاد، وارتباط المصالح بين أبناء دول أوروبا.

وهناك أيضا العديد من المتغيرات التي أدت إلى هذا التغيير في النظر إلى اللغة العربية الأم، من قبل أبنائنا، من بينها زيادة عدد الشركات الأجنبية متعددة الجنسيات، أو العابرة للقارات التي تتيح فرص عمل لهؤلاء الشباب، بشرط أن يكونوا من خريجي الجامعات الأجنبية، وبمقابل مادي كبير جدا، مما خلق توجها كبيرا لدى الأفراد من أصحاب الدخل المرتفع نسبيا إلى الحاق أبنائهم بتلك المدارس، والجامعات فيما بعد. على اعتبار أنها بعد الخطوة الرئيسية للحصول على فرص عمل، في تلك الشركات وبسبب عدم فرض الدول العربية بعض المعايير والقوانين التي تلزم تلك الشركات، بأن تكون اللغة العربية لغة رسمية بين اللغات التي يتم التعامل بها في تلك المؤسسات كشرط للعمل في أراضيها مثلا، فإن اللغة الأجنبية تصبح هي اللغة الوسيط للتعامل بين الموظفين العرب، والمديرين الأجانب وتصبح هي أيضا، لغة الاتصال بين الموظفين العرب جميعا، وهي ازدواجية لا يمكن أن نجد مثلها في أي دولة تحترم لغتها الأم وتحافظ عليها خصوصا أن انتشار اللغة الأجنبية في غير بلدها الأصلي على هذا النحو يعد امتدادا للقوى الأجنبية وسطوتها على السيادة الوطنية، في المؤسسات الوطنية التي يفترض ألا تكتمل السيادة فيها إلا باستكمال سيادة اللغة الوطنية عليها بل أن اللغة الأجنبية تعمل على التمييز بين أفراد المجتمع، وتعيق الصراع بين شرائحه.

اللغة وعاء الثقافة والهوية:

إن لغة أي مجتمع من المجتمعات تمثل الوعاء اللغوي، لثقافة هذا المجتمع ومن جهة أخرى فاللغة تعد أقدم تجليات الهوية، على اعتبار أن اللغة المشتركة هي التي تجعل من كل فئة من الناس (جماعة) واحدة، ذات هوية مستقلة ويزداد الاهتمام باللغة والهوية معا، ويشيع الحديث عنهما في المفاصل التاريخية في حياة الجماعات وفي الغالب يتم الربط بينهما، ويتماهيان إلى درجة أنهما يكادان يصبحان شيئاً واحدا،،

ولهذا يرى الكثير من الباحثين في الفكر واللغة، أن اللغة والهوية هما وجهان لشيء واحد، وأن الإنسان في جوهرة ليس سوى لغة وهوية، واللغة تعد بالنسبة له فكرة ولسانه، وانتماؤه، وهذه الأشياء تجسد حقيقته وهويته.

أسبق من ثقافة اليونانيين والعبريين:

يقول المفكر والأديب والشاعر عباس محمود العقاد عليه رحمه الله (هذه حقيقة من حقائق التاريخ الذي لا يحتاج إلى عناء طويل في اثباته، في قصب السبق هذا، ولكنها على ذلك حقيقة غريبة تقع عند الكثيرين من الأوربيين والشرقيين، بل عند بعض العرب المحدثين، موقع المفاجأة التي لا تزول، بغير المراجعة والبحث المستفيض ومن البراهين على صدق هذه الحقيقة:

أ- الأبجدية اليونانية، بحروفها وبمعانيها تلك الحروف، وإشكالها، وهي منسوبة إلى (قدموس) الفينيقي، وهو كاتب مؤرخهم الأكبر (هيرودوت) أول من علمهم الصناعات، وأسماء الحروف وأشكالها، ومعانيها شاهده على انتقالها من المصادر العربية، سواء كانت فينيقية، أو آرامية، أو عربية من الجنوب.

ب- سفر التكوين، وسفر الخروج صريحان في تعليم الصالحين من العرب، لكل من إبراهيم وموسى عليهما السلام، فإبراهيم تعلم من ملكي صادق، وموسى تعلم من يثرون إمام مدين، وشاعت في السفرين رسالة (الآباء) قبل أن يعرفوا باسم الأنبياء، لان العبرانيين عرفوا كلمة النبي بعد وصولهم أرض كنعان، واتصالهم بأئمة العرب، بين جنوب فلسطين، وشمال الحجاز.

ت- إن الآرامية، كما يقول العقاد-هي عربية- تلك الأيام في موطنها زمن انتشار اللغة الآرامية، وأصبحت اللغة الآرامية هي اللغة الدولية في ذلك العهد، وأصبحت على عهد الدولة الأخمينية الفارسية، إحدى اللغات الرسمية في الإمبراطورية ولسانا عاما يتكلم به التجار، من مصر إلى آسيا الصغرى في الهند، وإن الآرامية قريبة جدا من اللغة العربية، بعد تطورها نحو ثلاث آلاف سنة.

فالثقافة الآرامية عربية في لغتها ونشأتها، ونسبتها إلى عنصرها وكل ما أستفاده العالم، ﴿ينظر العقاد في كتابه: الثقافة العربية، أسبق من ثقافة اليونان والعبريين﴾.

اللسان العربي واكتمال جهاز النطق في الإنسان:

إذا قيس اللسان العربي، بمقاييس علم الألسنة فليس في اللغات، لغة أوفى منه، بشروط اللغة في ألفاظها وقواعدها، ويحق لنا أن نعتبر أنها أدفى اللغات جميعا، بمقياس بسيط واضح لا خلاف عليه، وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان فاللغة العربية، تستخدم هذا الجهاز الإنساني، على أكمله وأحسنه، ولا تهمل وظيفة واحدة من وظائفه، كما يحدث ذلك في أكثر أبجديات اللغوية، فلا التباس في حرف من حروفها، بين مخرجين ولا في مخرج من مخارجها بين حرفين، وقد تصححت فيها الحركات الصوتية الثلاث بين (الفتح والضم والكسر).

فمضت فيها فصاحة النطق، على أبطال الإمالة، بين هذه الحركات، وإخراجها كلها، مستقيمة مميزة، كما يشاء معنى الإفصاح، وهو في جوهره، إزالة اللبس في الأصوات والحركات، ﴿ينظر العقاد في الكتاب ص١٢﴾

ولم يحدث لأبجدية أخرى، غير الأبجدية العربية، أنها جربت زمنا طويلا في كتاب اللغات، من كل أسرة لسانيه، فلم تقتصر في هذه التجربة على شأو الأبجديات الأخرى، إذ كتبت بها العربية، والفارسية، والتركية، والأوردية، والإسبانية.

وهي تنتمي إلى أصول السامية، والطورانية، والهندية، والجرمانية، وقد وجد فيها الكاتبون، ما ينوب عن حروف العربية الصريحة في مخارجها، بما استوفته من جهاز النطق الإنساني، في كل آلة من آلاته ينظر ﴿العقاد ص ٣٧ كتاب اشتات مجتمعات في اللغة والأدب﴾

تحديات المستقبل:

من العوائق التي تهدد مستقبل اللغة العربية وتلقي به في الطوفان، أقصد (طوفان العولمة، وطوفان الجهل، وطوفان التخلف، وطوفان الضياع) كل هذه مجتمعه، ألا وهي:

١) الدعوة إلى العامية وجعلها اللغة الرسمية، وتقسيم العالم العربي إلى خمس مناطق لغوية، وأول من حمل لواء هذه الدعوة (والكوكس) ومضى في دعوته وألف كتابا في العامية المصرية. وجاء ليمور أحد قضاه الاستئناف بالقاهرة ودعا إلى ما أسماه (لغة القاهرة) ووضع لها قواعد، واقترح باتخاذها (لغة التعليم والعلم والأدب). كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية.

٢) وقال: (لا معنى لأن توجد لغة للكتابة، ولغة أخرى للكلام، وعلل بأن ذلك يعد حائلا كبيرا، دون رقي الأمة، ولو استعملت لغة واحدة، للحديث والكتابة لنهضت نهضة كبرى، والخطر الأدهى والأمر

الذي يهدد مستقبل اللغة العربية، أن يشيع لهذه الدعوة المغرضة مثقفون ومفكرون عرب، ومنهم في الشام (مارون غصن) و (أنيس فريحه) و (سعيد عقل).

٣) وفي مصر (سلامه موسى) و (قاسم أمين) وكثير من الأدباء الذين يكتبون شعرهم باللغة العامية. وبعضهم كتابة الرواية، والقصة بالعامية، ولكنها محاولات باءت بالفشل الذريع.

٤) الدعوة إلى هدم النحو العربي، ومن الداعين إلى ذلك صاحب كتاب (جناية سيبويه) ﴿الرفض التام لما في النحو من أوهام﴾ وهو زكريا اوزون ويرى هذا المدعي والكلام للعقاد، أن النحو جناية على المتكلمين بالعربية، وعلى أجيال العربية عبر القرون المتعاقبة، من سيبويه حتى الآن.

ويقول: (وما سيبويه وأساتذته، وتلاميذه، إلا جناة الحقيقيون، أورثوا الأجيال عبئا، وعوائق حضارية وتطورية، ويرى كذلك: أن النحو وأفكاره، وقواعده ماهي إلا أوهام باطلة.

ومن دلائل تجني هذا الباحث، أن من مؤلفاته في هذا الطريق الهدام كتاب (جناية الشافعي) وكتاب (جناية البخاري) وفي هذا الطريق يلقي شريف الشوباشي، حجرا من الجهل والتجني على اللغة، فيكتب كتابه (لتحيا اللغة العربية ويسقط سيبويه)

تنظر هذه الكتب لمن أراد الاستزادة والتفصيل.

٥) تدني المستوى اللغوي لدى طلاب المراحل التعليمية، من الابتدائي وحتى الجامعة. في اليمن والعالم العربي، وإخفاق مدرسي اللغة العربية والقائمين على وضع المناهج، والمقررات، في حقول التربية والتعليم العام، في اجتياز هذه الكبوة، وتلك الفجوة اللغوية، التي جعلت من اللغة مسخا شائعا، ومعلومات جافة، وقواعد يابسة، تلقى في حصة مدرسية، أو محاضرة جامعية، وفي جامعتنا لا يقبل على قسم اللغة العربية إلا النزر اليسير ممن تستهويهم اللغة، أو بدافع ديني وفي دول الخليج العربي، أخبرني أستاذ جامعي عمل في الإمارات، والبحرين أن الكثير من أقسام اللغة العربية في جامعتهما، قد ألغيت ولم يبق سوى قسم الأدب، والنحو، بحجه أن سوق العمل لا تحتاج إلى هذا الصنف من الخريجين، مما جعل الإقبال على تعلم العربية يقل بشكل كبير.

وهذا عجب عجاب، فالإعلام المقروء والمسموع، يحتاج إلى من يتقن اللغة العربية، أولا. قراءه، ونطقا وإلقاءً، فالمذيعون كيف سيتفوقون وهم لا يتقنون الأداء، ولا ينطقون الكلمات بصورة صحيحة ناصعة وكذلك المحامون، والقضاة، والقادة السياسيون، كيف يؤدون خطهم ويواجهون الجماهير، وأعضاء مجلس النواب، والشورى، وهم ضعيفي الإلقاء والأداء، إذن لابد أن يتسلحوا باللغة، والفكر، والثقافة والرؤى السياسية الواعية، واللغة السليمة نطقا وكتابة.

الترادف وسعة اللغة العربية:

الترادف لغة: ركوب أحد خلف الآخر، فيقال ردف الرجل وأردفه، أي ركب خلفه، و أردفه خلفه على الدابة.

فالردف هو ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه،

وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف، فيقال لليل والنهار ردفان لأن كل واحد منها ردف صاحبه أي تبعه.

وقد فسر قول تعالى: (بألف من الملائكة مردفين) بمعنى يأتون فرقة بعد فرقة وهذا رأي الزجاج.

وقد قال الفراء: مردفين متتابعين، وللترادف ألفاظ متحددة المعنى وقابلة للتبادل، فيما بينها في أي سياق أي تعدد الألفاظ بمعنى واحد أي عبارة عن وجود أكثر من كلمة لها دلالة واحدة وهو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتباره واحدا وقد تنشأ ظروف في اللغة تؤدي إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد، أو تعدد المعاني للفظ الواحد.

ومن الترادف ما هو لهجات لقبائل مختلفة، أو تناسب الفروق الدقيقة بين الكلمات، ومن معاني الترادف عند بعض اللغويين القدماء.

- يقول سيبويه: (واعلم أن من كلامهم) -يقصد العرب- اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين.
- ويقول قطرب: (الكلام في الفاظ بلغة العرب، على ثلاثة أوجه:

١) فوجه منها: وهو الأعم الأكثر اختلاف اللفظين، لاختلاف المعنيين وذلك قول (الرجل والمرأة) و (قام وقعد)، وهذا لا سبيل إلى جمعه وحصره، لأن أكثر الكلام عليه.

٢) الوجه الثاني: اختلاف اللفظين والمعنى واحد وذلك مثل: عير وحمار، ذئب وسيد، جلس وقعد... الخ

٣) الوجه الثالث: أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا، مثل الأمة الرجل وحده يؤتم به، الأمة القامة: قامة الرجل، والأمة من الأمم.... الخ. العين: وتطلق على عين الماء، وعلى الجاسوس، وعلى العين الباصرة.

المترادفات من مميزات اللغة العربية:

الترادف: لا يوجد له نظير في أي لغة من اللغات السامية أو غيرها، ومن الأمثلة على الترادف في اللغة، أن الفيروزابادي صاحب (القاموس المحيط) يضع كتابا في أسماء العسل، فذكر له أكثر من [٨٠] اسما، وقرر

مع ذلك أنه لم يستوعبها كلها وأن (العربية الفصحى) تختلف في ذلك، اختلافا كبيرا، عن اللهجات العامية، الحديثة المتشعبة عنها، فمتون هذه اللهجات ضيقه وتكاد تكون مجردة من المترادفات.

جمع اللغويين القدماء اللغة، وانتباههم للترادف:

جمع علماء اللغة من مصادرها بداية من الرعيل الأول من اللغويين في جمع اللغة في القرنين الثاني والثالث الهجريين من القران الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب من شعر وخطب ورسائل، بل ومن أفواه (فصحاء العرب) بدأوا في تدوين مادتهم اللغوية التي جمعوها وبعض المعاجم كانت تجمع الكلمات، التي تدل على معنى واحد وسموه (المترادف) أو ما اتفقت معانيه، واختلفت ألفاظه.

تفاخر العلماء بكثرة حفظهم:

وقد وصل الامر في جمع المترادفات إلى أن ظهر به التحدي بين العلماء ومن ذلك تفاخر العلماء بكثرة حفظ المترادفات ومن ذلك ما رواه ابن فارس: أن هارون الرشيد سأل الاصمعي عن شعر لأبي حزام العكلي ففسره

فقال يا أصمعي: إن الغريب عندك لغير غريب، فقال يا أمير المؤمنين: ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين أسما كذلك وجدنا السيوطي، ينظم منظومه يحص فيها أسماء (الكلب) وقدِم لها قائلا: (دخل يوما أبو العلاء المعري على الشريف المرتضى فعثر برجل، فقال هذا الرجل: من هذا الكلب فقال أبو العلاء: لكلبٍ من لا يعرف للكلب سبعين اسما.

قلت والكلام للأصمعي، وقد تتبعت كتب اللغة فحصلتها ونظمتها في ارجوزة وسميتها (التبري من معره المعري)

وأراد السيوطي بعمله هذا ألا يكون كلبا، عند أبي العلاء، ولا يناله شيء من تعييره.

وقد كان من أسماء الكلب عند السيوطي:

أ- لغات القصر والمدِ وتغيير البنية.

ب- الصفات: مثلما غلبت عليه الاسمية، مثل (الوازع، وكسيب) لأنه يزع الذئب عند الأغنام، ويكسب لأهله، وكالأعقد لانعقاد ذنبه، (كالبصير: لحده بصره)، و(المنذر) لأنه ينذر اللصوص.

ت- الألقاب: كداعي الكرم، لأنه يدل العابرين على أهل بنياحه فيستضيفونهم، وفي معناه داعي الضمير (أي مناديه) والضمير هنا من أضمرته البلاد بموت أو سفر.

ويوجد فيها ما هو كنيه: كأبي خالد، ومن بينها ما هو خاص بأسنان الكلاب كالدرص، والجرو لصغارها.

ث- فصائل الكلب: مثل العبور لولد الكلب من الذئبة، كالديسم: لولد الكلبة، من الثعلب، أو من الذئب.

ومن أرجوزة السيوطي، افتتح السيوطي المتبري بقوله:

لله حمد دائم الطول ... ثم صلاته على النبي

قد بنت الإثبات عن أولي العلا ... لما أتى لما يقتضي مدح العلا

قد [illegible] ... من ذاك الكلب والذئب وأبيها

فقد [illegible] ... [illegible]

الكلب من لم يدر من أسمائه ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... وأرتجي فيما بقي تيسيرا

[illegible] ... لمستفيدها الذي عنها عجز

[illegible] ... يا صاح من معجة المعدي

ثم شرح يسميه فقال:

من ذلك الباقع ثم الوازع ... والكلب والأبقع ثم الزارع

والخيطل السخام ثم الأسد ... والعرج العجوز ثم الأعقد

والأعنق الدرباس والعملس ... والقطرب الفرنى ثم الفلحس

فاللغة العربية لغة ثرية، بمفرداتها، وليست لغة ضيقة بل واسعة، تتسع لكل معاني الحياة وتزيد، فنستطيع أن نعبر عن كل معاني متطلبات الحياة بألفاظ عربية، ولا حاجة لنا للألفاظ الأجنبية التي تغزوا لغتنا من الفاظ الترحيب، والألفاظ التي تسري بين الناس سريان النار في الهشيم فيتخذ فيتحذلق بعض الناس، بمعرفتهم للغة أجنبية، ويستخدمون ألفاظا أعجميه في حياتهم، وهذه من عوامل ضعف أبناء اللغة العربية، فاللغة بأبنائها ترقى باهتمامهم بها، وتوضع بتخاذلهم عنها.

فاللغة العربية لغة القران الكريم، ويكفيها شرفا وفخرا أن اختارها الله لغة لكتابة العزيز، وبحفظ الله لكتابة، حفظ اللغة العربية.

فيجب على كل مسلم، أن يفتخر بلغته ويهتم بها لكونها لغة قرانه، أولا ولأنها لغة تراثه وأمجاده، ثانيا فبها تقوم الصلة بيننا، وبين الأجيال السابقة، يقول مصطفى صادق الرافعي-رحمه الله- في أهمية اللغة العربية: ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار.

ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر المحتل، لغته فرضا على الأمه المحتلة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليها أحكاما ثلاثة في عمل واحد.

أما الأول: فحبس لغتهم، في لغته سجنا مؤبدا.

وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل، محوا ونسيانا.

وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم، في الأغلال التي يصنعها فأمرهم من بعدها لأمره تبعا.

ويرى الرافعي أن المتبجحين، باللغة الأجنبية رغم استطاعتهم الكلام بالعربية، أنهم طبقات كما يلي:

١) فأما الأولى: فأنهم يصنعون هذا الصنيع، جراء ما استقر في نفوسهم من كراهة التسلط الأجنبي أيام حكمه، فيحاولون أن يعبروا عنه بألسنتهم.
٢) وأما الثانية: فأنهم يتكلفون، هذا لما في نفوسهم من طباع أحدثها الخضوع، والذل السياسي، في عهد الاحتلال الإنجليزي، فاللغة الأجنبية بينهم تشريف وفخر.
٣) وأما الثالثة: فأنهم يعمدون إلى هذا ويريدون به عيب اللغة العربية وتهجينها، وذلك من عداوتهم للدين الاسلامي.

وقد افتى لعض العلماء بكراهة الكلام بغير (العربية). فمن ذلك ما روي عن الأمام مالك قوله: (من تكلم في مسجدنا، بغير العربية أخرج منه ويقصد به المتحذلق بغير العربية)

ونقل ابن تيمية، عن الأمام أحمد، كراهة الرطانة، وتسميته الشهور بالأسماء الأعجمية، والوجه عند الأمام أحمد في ذلك كراهة أن يعود الرجل النطق بغير (العربية) ويتناسى العربية، ولا يهتم بها.

فضيلة التحدث بالعربية:

إن للغة التي يتحدث بها الشخص، تأثيرا في شخصيته، فأن من يتحدث [الفصحى] فأنه يتذكر أن لغته هي لغة الصدر الأول، من الصحابة والتابعين، فكأنه يعيش معهم.

قال الأمام ابن تيمية –رحمه الله– (اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين، تأثيرا قويا بيِنا، ويؤثر أيضا في مشابهه صدد هذه الأمة، من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضا فأن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فأن فهم الكتاب والسِنه فرض.

ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب.

مرونة العربية:

تستمد اللغة مقوماتها، من فكر وحضارة أقوامها، ولكل لغة سياقها التاريخي، ومنابعها الفكرية الخاصة بها، وقواعدها النحوية والصرفية، الضابطة لها، ويمثل اللسان في الأمة القاسم المشترك في كيانها، والمعبر الأمين عن حقيقتها الدينية، والحضارية، والإبداعية.

وفي هذا السياق تعتبر اللغة العربية وعاءٍ أو محضن ضميرنا، وتعكس منحنيات تفكيرنا، واجتهادنا أو خمولنا، كما تعتبر أقوى أداة للتعبير عن ديننا وعبقريتنا وهويتنا.

لسان القرآن ومهاده:

تتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات السامية بأنها لسان القرآن الكريم، الذي منحها قوة على قوة، ومتن بنيانها وهي اليوم أغنى لغة في العالم، في مفرداتها، ودقة تعبيرها، وهي أصبر وأجلد لغة على كيد أعدائها.

يقول العالم اللغوي إرنست رينان: (ان اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال. وإن هذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب تفسيره، وقد انتشرت هذه اللغة، سلسه أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أي تعديل، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، منذ أن ظهرت أول مرة تامة مستحكمة)

وينظر الشيخ محمد الغزالي<١> إلى اللغة العربية من منظار ديني حيث كتب يقول: (فلغة الرسالة الخالدة يجب أن تتبوأ مكانة رفيعة لدى أصحابها، ولدى الناس أجمعين، فإن الله باختياره هذه اللغة، دعاء لوحية الباقي على الزمان، قد أعلى قدرها وميزها على سواها)

ويقول أيضا: (والواقع أن اللغة العربية، مهاد القران الكريم وسياجه فإذا تضعضعت وأقصيت، عن أن تكون لغة التخاطب والأداء، ولغة العلم والحضارة، أوشك القرآن نفسه أن يوضع في المتاحف)<٢> ينظر محمد الغزالي الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر

والقرآن كتاب يجب أن ينظر إليه كل عربي على أنه منهج اللغة الأعلى، الذي أصفى مناهلها وأعذب مواردها، وهو في اللغة العربية تاج أدبها وقاموسها[١] اللغوي، ومظهر بلاغتها، فلا عجب إذا ما أذعن البلغاء والفصحاء، لإعجاز القرآن، طوعا أو كرها، حتى أصبحت لغته هي أصح وأدق الأصول اللغوية والبيانية، وصارت هي المقياس، والميزان لكل ما يراد للاستشهاد على صحة عربيته من نصوص الأدب الجاهلي.

وتتيح لغة القرآن للأعلام المكتوب بالعربية، أسباب استقامة أسلوبه، لأنها تتسم بمزايا جمالية، وبلاغية، لا تتوفر في أي لغة أخرى، فالأسلوب القرآني يوافق الكلام لمقتضى الحال، ويناسب المقام، ويعتمد الإيجاز البالغ، بدون أن يخل بالمقصود، ويستخدم الإطناب غير المحمل، والتراكيب الشديدة التنوع، وأن تدبر رجل الإعلام لغة القرآن لا .... أسلوبه فحسب، بل يكسبه الأدوات التعبيرية الملائمة، لكل حال، ولكل حدث.

لقد أبدع العلامة الشيخ محمد الغزالي، وهو يصف الأسلوب القرآني: (...ومن رفعه المصدر الذي تحس أن القرآن جاء منه، إحساسك بأن هذا الشي أتى من بعيد، فأنك ما تلبث ما تشعر بأن الكلام نفسه قريب من طبيعتك، متجاوب مع فطرتك، صريح في مكاشفتك بما لك وما عليك، متلطف في إقناعك، فما تجديدا، من انقيادك لأدلته، وانفتاح صدرك لتقبله) <المصدر نفسه>

سمات اللغة العربية:

يشير الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (فقه اللغة) إلى أن اللغة العربية، تتوافر على عاملين لم يتوافر لغيرها، من اللغات السامية، لقد احتفظت العربية بأكبر قدر من مقومات اللسان السامي الأول، وبقي فيها من تراث هذا اللسان، ما تجردت منه أخواتها السامية، فتميزت عنها بفضل ذلك بخواص كثيرة، يرجع أهمها إلى الأمور الآتية[٢]:

١) أنها أكثر اخواتها احتفاظا بالأصوات السامية.
٢) أنها أوسع اخواتها جميعا، وأدقها في قواعد النحو والصرف.

فاللغة العربية تتميز بغزاره في مفرداتها ودقه في قواعدها وسمو ومرونة في أساليبها، وثروة في آدابها وتراثها وقدرة الإبانة عن مختلف نواحي التفكير والوجدان.

(١) ينظر محمد إسماعيل إبراهيم (معجم الالفاظ والاعلام القرآنية .... القاهرة دار الفكر ١٩٦٨ص ٦+٧)

(٢) علي عبدالواحد وافي (فقه اللغة) دار الفكر طبعه ١٩٧٦

ومن تلك السمات نذكر ما يأتي[١]:

١) أن في اللغة العربية من المقومات والدقة الصارمة، والأسس ما يخولها لأن تكون قادرة على أخذ مكانها الصحيح في هذا العصر.

٢) الألفاظ العربية هي اوزان موسيقية والكلمات ذات الوزن الموسيقي الواحد، لها دلالة معنوية محددة.

٣) اللغة العربية هي اللغة الحيِه الوحيدة في العالم التي بقيت دون تغيير في كلماتها ونحوها وتراكيبها منذ أربعة عشر قرنا مضت.

٤) أن اللغة العربية فيها من القواعد الرصينة، والأساليب البلاغية ما يضبط الدلالة على المعاني الكثيرة المعتادة.

٥) معظم مشتقاتها تقبل التصريف، إلا فيما ندر منها، وهذا يجعلها في طوع أهلها أكثر من غيرها، ويجعلها ايضا أكثر تلبية لحاجة المتكلمين.

ولعل من أخص ما ميز اللغة العربية، استعمالها الدقيق للفظ، حتى أن هذه الدِقة في الاستعمال اللغوي، قد عنيت بها كثير من كتب اللغة قديما، فأسست بذلك منهجا في الدرس اللغوي[٢]

ومن ضروب الدقة، ما يظهر في اقتران الألفاظ، بعضها ببعض، فقد خصص العرب ألفاظا لألفاظ، وقرنوا كلمات بأخرى، ولم يقرنوها بأخرى، ولو كان المعنى واحدا، فقد قالوا في وصف الشيء:

١- ريح عاصف. ٢- برد قارس. ٣- حرٍ لافح.

وفي الوصف بالامتلاء:

١- كاس دهاق. ٢- بحر كام. ٣- نهر طافح. ٤- وادٍ زاخر. ٥- فلك مشحون. ٦- مجلس غاص.

يقول الدكتور محمد المبارك -رحمه الله- في مؤلفاته (فقه اللغة):

إن دقة التعبير والتخصيص، سبيل من سبل الفكر العلمي الواضح المحدد، تحتاج اليه كل أمة، في تربية أبنائها، على التفكير الواضح الدقيق، الذي يعدِهم للعمل والبحث العلمي.

يقول الأستاذ محمد مداح: (لقد وجدنا المصطلحات الآتية في كتاب التربية البدنية، كرة القدم: [ضربه

(١) ينظر محمد مداح (دقة اللفظ من خصائص العربية جريدة اليوم ٢٠٠٠/٣/٢٦م
(٢) المرجع نفسه

مرمى، ضربه جزاء، ضربه البداية].

ومن الجدير بالذكر، أن هذه المصطلحات، قد وردت على أحد المجامع اللغوية العربية، فاستقر الرأي فيها على استبدالها كالآتي: (ركله هدف، ركله العقوبة، ركله البداية)

والملاحظ، استبدال (ضربه) ب ركله، ومرد هذا الاستبدال دقه الاستعمال اللغوي، وقد ورد في الصحاح للجواهري: (الركل الضرب بالرجل الواحدة).

إننا الآن ندفع ثمن ما أصاب لغتنا العربية، إبان عصور الانحطاط، الحقبة الاستعمارية، وإذا نحن لم نجتهد، ونكرٍ لاستدراك الأمر، فان الأجيال القادمة، ستصلهم لغتنا -بدون شك- وهي في أسوأ حال.

وكما يقول الدكتور محمد المبارك في كتابه (خصائص اللغة):

(إن العربية قد أصيبت في عصور الانحطاط بمرض العموم، والغموض، والإبهام، كنتيجة لاقتصاد وظيفتها الهادفة في هذه العصور، فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة فغدت مترادفة، وكثر استعمال الألفاظ في المعاني المجازية.

وصدفت عن معانيها الأصلية فضاع الفكر، بين الحقيقة والخيال، وزالت الخصائص المميزة، والفروق الفاصلة.

وأصبح لكل موضوع مهما تكرر، قوالب من اللغة ثابتة، وأداة اللفظ لا تتغير، وتعابير مصوغه، لكل مناسبة أو موضوع تنقل وتلصق، كما تكررت تلك المناسبة، أو عرض ذلك الموضوع مثل: (وصف حديقة، أو تعزية صديق، أو التعبير عن الفرح، أو طرب، لم يتغير الكلام أيا كانت الحديقة، وفي أي بلد.

وأيا كانت مناسبة التعزية، أو الفرح، وفي ذلك قتل لخصائص اللغة العربية ومزاياها الإعلامية، من إبراز المقومات والمزايا الخاصة والرقائق الخفية.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى بعث اللفظ الدقيق من لغتنا، وإحياء الفروق بين الألفاظ، لتكون لدينا لغة تصلح أن تكون أداة للأعلام العربي، في مواجهة التقدم الهائل وانطلاق وسائل الاتصال بالجماهير(١)

إن العربية، التي قال عنها أحد أعلام الفكر الاسلامي:

(١) عبد العزيز شرف

(إنها اللغة التي لا يحيط بها علما إلا نبي، لا يمكنها بأي حال من الأحوال، أن تكون أداة عرقلة للتعبير الصحفي، فهي تحتمل قوة الوصف، وغور الإحساس، وشدة التنوع، ودقة المقصد، وأصالة الشيء.

ومن المؤكد أن الصحفي الذي يكون زاده اللغوي ضحلا، سينتج -بلا ريب- نصوصا مشوهة، تنقصها الصلابة، والدقة، وقوة التعبير، وقد نعيب لغتنا، والعيب فينا).

وهكذا فان اللغة العربية جعلت للصحفيين سهولا فما عليهم إلا المشي في مناكبها.

(العامية كمدخل للفصحى)

يستخدم الناس اللهجات العامية في أحاديثهم اليومية أكثر من استخدامهم للفصحى، وهم يتحدثون في المجتمع الواحد لهجات شتى.

وجاءت اللهجات كما قيدتها كتب التراث اللغوي، في تسميات مثل: الكشكشة، العنعة، الفحفحة، والثلثلة، والتضجع، والعجعجة..

ولقد استعمل العرب، العامية للدلالة على مستوى اللغة العربية، الذي يستعمله سواء الناس وعامتهم، في التعبير عن اغراضهم وما العامية في رأيهم إلا الوجه الآخر للفصحى، محرفا قليلا أو كثيرا، على ألسن الناس أو نطقهم.

ففي القديم كانت الفروق بين اللهجات تكاد تقتصر على الخصائص النطقية، والعادات الصوتية، وما عرض له اللغويون القدامى له من أمثله تخالف اللغة الموحدة المطردة، في الفصاحة كان قليلا (١)

علاقة العامية بالفصحى:

لم تكن نظرة علمائنا إلى اللهجات مقرونه بالريبة والتخوف، بقدر ما كانت مشبوهة بالاستنكار وعدم الرضا، ولهذا صنفوا اللهجات، في أدنى مراتب الفصاحة، لا خارجها ووصفوها بالمذمومة، والرديئة (٢)

وعلى الرغم من أن العامية لا تعتمد على قواعد ثابتة ومنها كثير مشتق من لغات الأعاجم، فان المشتغلين بالدراسات اللغوية، يؤكدون أن اللهجات العامية حافظت على ثروة هائلة من الألفاظ الفصيحة المهملة، عند الكتاب والأدباء، والمصطلحات العربية الصحيحة، التي استنبطت أيام ازدهار

(١) مسعود بوبو (الفضائيات واللغة) مجلة الفيصل السعودية العدد ٢٥٩-مايو-١٩٩٨ ص٤٦.
(٢) المرجع نفس السابق.

المدنية، ولم يضمها معجم، ولا سجلها أحد من علماء اللغة إلا في القليل النادر، وعلى سبيل المثال، العامية الجزائرية فهي تحتوي على عدد هام من الفاظ القرآن الكريم، ويتم توظيفها وفق السياقات التي وردت في كتاب الله.

وفي ذلك نذكر ما يأتي[1] في العامية الجزائرية:

١) نقول: غاضة الشيء، ويستعمل هذا اللفظ عندما يفقد المرء شيئا عزيزا علية، أو يمنى بخسارة لم يكن يريدها، أو يخونه شخص ما كان يثق فيه. قال تعالى (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) ﴿ال عمران/١١٩﴾

٢) ونقول: تاه فلان، بمعنى ضل الطريق وسار متحيرا. قال تعالى (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنه يتيهون في الأرض) ﴿المائدة/٢٦﴾

٣) ويقولوا في العامية الجزائرية أيضا (هذا الطفل مابه خانس)

عندما يكون منزو وعلية علامات الخوف والهلع، ولا سيما إذا عمل عملا يغضب والديه مثل تكسير أثاث البيت، أو مرايا غرف النوم. قال تعالى (من شر الوسواس الخناس) ﴿الناس/٥﴾

مخاطر الدعوة إلى العامية:

إن الدعوة إلى العامية تمتد بجذورها، في التاريخ وقد لعب المستشرقون دورا بالغ الخطورة والأثر، وكان أول من دعا إلى التحول من الفصحى إلى العامية، المستشرق الألماني (ولهام سميث) الذي كان مديرا لدار الكتب المصرية، خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي.

لقد أدرك علماء الغرب الترابط الوثيق بين اللغة العربية والدين الإسلامي، وعرفوا أن الإسلام لا يفهم إلا بها، وأنها ركن جوهري من القران الكريم، فأخذوا يوجهون السهام إليها، وبذلوا الجهود الكبيرة لإضعافها وتدميرها، وإبعاد المسلمين عنها، وصرفهم عن الفصحى التي تؤدى وتنطق بها <٢>

لقد أخذوا يروجون للغة العامية، واللهجات الإقليمية المحلية، لتكون لغة التخاطب، والكتابة، والأدب، والفنون، والمعاملات. وكان ذلك أسلوبا من أساليب إضعاف اللغة العربية وإهمالها، وهو أيضا جزءا من المؤامرة عليها<٣>.

<١> نور الدين بليبل (لغة القرآن والعامية الجزائرية) جريدة النصر ١٠/٣/١٩٨٨م
<٢> عز الدين الخطيب التميمي (التآمر على اللغة العربية) مجلة الأمة رئاسة المحاكم قطر ١٤٠١هـ
<٣> المرجع الخطيبي أعلاه

ويتحدث الشيخ محمد الغزالي بمرارة جلية عن المحاولات الرامية، لضرب اللغة العربية، وإضعافها، والتمكين للهجات حيث يقول (١)

(لا أزال أذكر اياما، كان يتكلم الأزهريون فيها باللغة الفصحى)

فوضع الاستعمار خطته كي يجعل من كلامهم بالنحو مثار السخرية ومبعث الاستهزاء في كل مجلس، ونجح الاستعمار في أبعاد الفصحى عن لغة التخاطب، ليستأنف أبعادها عن لغة التأليف والإذاعة)

ثم يروي حادثة وقعت له نفسه قائلا: (اطلعني أحد الأصدقاء على مجله أسبوعية، أخرجت لسانها لي، لأني أنطق الجيم والقاف بلغة العرب)

للقاف والجيم رنين يرتطم بقفاه، كأنه صفعه مزعجة)

استعمال العامية في وسائل الإعلام أضرّ بلغة القرآن:

أكبر العوامل أضرارا باللغة العربية وبمستقبلها، وحتى بمستقبل الوحدة العربية، استعمال اللهجات المحلية في السينما والمسرح وفي الإذاعة والتلفزيون.

إن الذي يجمع بين البلاد العربية قاطبة، لغة القرآن، اللغة الفصحى، حيث يعرفها الجميع بعكس اللهجات.

وقد قال أحد الأدباء: (الذين ينادون بإحلال العامية، لسهولتها محل الفصحى لصعوبتها، هم أشبه بمن ينادون بتعميم الجهل، لأنه سهل، وإلغاء العلم لأنه صعب المنال) (٢)

أعجبتني مقولة الدكتور مسعود بوبو: ينبغي ألا يغيب عن بالنا أن الظاهرة اللهجية، لا تقف عند النطق، كما كان الحال قديما بل تتعداه إلى الكتابة المرئية نراها واضحة، على شاشات التلفزيون والكتابة اللهجية، تنطوي على الخطأ الإملائي، والخطأ النحوي، ورؤيتها على هذه الصورة المتكررة، يرسخها في أذهان الأجيال، قبل معرفتهم السلامة اللغوية. ولذلك فهي تشوش على أذهانهم.

وليس صحيحا ما يقال عن وجود عوائق تحول دون فهم ما يؤدِي باللغة الفصحى. بل العوائق هي عدم فهم اللهجات فهي أكثر وأشد ضررا، فالفصحى لغة موحدة يفهمها الجميع، أو السواد الأعظم من العرب المتعلمين من المحيط إلى الخليج، بينما يصعب على جميع -المتعلمين والمتعلمات- الإحاطة باللهجات

(١) الشيخ محمد الغزالي (معركة المصحف في العالم الإسلامي) طبعة الجزائر مكتبة رحاب
(٢) عز الدين الخطيب (التآمر على اللغة العربية).

العامية على اختلاف مواصفاتها ومناطقها المغرب العربي (أنموذجا)

فاذا استعرضنا برامج التلفزيون أو الإذاعة، في معظم البلاد العربية لوجدنا، أن نسبة ما تبثه بالعامية تزيد عما تبثه بالفصحى، ولاسيما في الأعمال الدرامية والمنوعات، التي يندر فيها استعمال الفصيح من اللغة، بحجه أن وسائل الإعلام تخاطب الجمهور ككل وكون هذا الجمهور ذو ثقافات متباينة.

إن بعض خصوم (العربية) يختفون وراء الدعوة إلى تيسير التعبير بها، وتسهيله، والتيسير عندهم يعني التخلي عن قواعدها وعن الأساليب الصحيحة في التعبير عنها، وعن أساليبها الصحيحة، ويمكن أن نلمس

هذا في وسائل الإعلام، وأساليب الاشهار إذ نادرا ما نقرأ كلاما عربيا صحيحا، فيما تكتبه الصحف والمجلات، أو فيما تذيعه مختلف وسائل الإعلام، وهؤلاء الذين يفضلون استعمال التعابير البسيطة غير الصحيحة يغيب عنهم أن المعاني مرتبطة بقوالب صيغها وحالات إعرابها، لأنها في الحقيقة (لغة اشتقاقية معربة) ومعنى أنها اشتقاقية: أن معاني ألفاظها تتغير، كلما تغيرت قوالب صيغها، ومعنى أنها معربة: أن معظم معانيها الإعرابية تتغير كلما تغيرت وظائفها في التركيب.

ويرى بعض الباحثين أن تغليب العامية، في بعض وسائل الإعلام كان سببا من أسباب أزمة اللغة العربية المعاصرة، وذلك أن وسائل الإعلام تخاطب الجماهير العريضة، والمستويات الثقافية المتباينة،

وتؤثر فيها تأثيرا نافذا، وحجه بعض وسائل الإعلام في استخدام العامية إنها تحاول إرضاء كل الأذواق، وإنها تتوجه إلى فئات غفيرة من غير المتعلمين.

إن من ينتصرون للعامية بلهجاتها، أو يتحمسون لها، بحجة مراعاة الأميين، أو محدودي المعرفة والثقافة، إنما يفعلون ذلك وكأنهم ينتصرون للمزيد من التخلف والجهل أو كأنهم يستمرئون الانحطاط.

ضبط التعامل مع العامية:

من وجهة نظري: أن ضبط التعامل مع العامية في وسائل الإعلام المحلية يجب أن يراعي ما يلي:

١) أن العامية في حياة الأمم واقع لا يمكن نكرانه، أو القفز عليه. فهي في جميع الحالات تمثل جزءا من شخصيتنا، بسلبياتها وإيجابياتها. ومع ذلك ينبغي لنا أن نؤكد حقيقة هامة وهي أن العامية لا يمكن اعتبارها رافدا، يغني العربية، بل قد تشوه حقيقتها، وتقوض أعمدتها وأصولها.

٢) العامية من الناحية الاتصالية، قد تؤدي دورا محدودا جدا، فقد تؤدي وظيفتها الخاصة بالفهم، في حدود المنطقة التي تلهج بها بيد أنه يتقلص دورها كلما ابتعدنا عن موطن اللهجة، وحتى محاولات فهمها، يظل صعب المنال، في حين إذا تعلق الأمر بالعربية الفصحى فالقواميس التي وجدت لهذا الغرض، يمكن أن تقدم خدمات جليلة لمن يريد فهمها، أو التعمق بها. ويجب التنبيه

أيضا، إلى أن تهذيب وصقل العامية، أو ترقيتها لا ينبغي أن يتم إلا من لدن خبير بأسرار اللهجة واللغة الفصحى كما يجب أن يوضع في البال، ضرورة التوحيد اللغوي للأمة في كل مسعى.

٣) إذا كانت العامية، تستمد الفاظها من ينابيع لا حصر لها وإذا كانت وسائل الإعلام السمعية والبصرية، تشكل المصدر الأساسي لتداول الالفاظ والمفردات، فمن الأنفع استغلال هذه الوسائل من أجل تزويد الناس برصيد لغوي جديد يساهم في ترقيه لهجاتهم أو يصحح نطقهم للألفاظ العامية، ذات الأصول العربية.

تجربتي في تدريس اللغة لغير الناطقين بها (أثيوبيا- تنزانيا) نموذجاً:

ليس من السهل واليسر بمكان، الخوض في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، في أي بلد من البلدان الأعجمية، التي لا تتكلم العربية وتستخدم لغتها المحلية، في كل شئونها العامة والخاصة فقد واجهت شخصيا، تعقيدات جمة، فمثلا في نطق بعض الحروف التي يصعب على الدارس للغتنا العربية نطقها، مثل حروف (الحاء، الضاد، الغين، الخاء، العين، الغين، القاف) وعندما سافرت إلى دولة أثيوبيا، واجهت طلابا يرغبون رغبة جامحة بدراسة اللغة، ولديهم شغف كبير لتعلم لغتنا، خصوصا المسلمين منهم فكانت بعض الحروف تأخذ وقتا طويلا عند إدماجها بالكلمات، وربطها بالجمل، خاصه أن اثيوبيا أكثر ..... لغتهم (.....) مفرداتها، إما إيطالية أو انجليزية، فكنت أكتب الكلمات بالعربية وأكتب ما يقابلها بالإنجليزية، التي لا يتقنها كل الدارسين الذين يجدون صعوبة في دراستها، وبالتالي فهمها.

لكن الأمر اختلف عندما سافرت إلى دولة تنزانيا الاتحادية، فكان واقعهم اللغوي أفضل حالا من أثيوبيا، ولا سيما أن ٦٥٪ من المفردات (السواحلية) لغة أهل تنزانيا وكينيا، ومروني، واوغندا، ملاوي، زائير، بروندي، رواندا، الكونغو، وموزمبيق، وجزر القمر، وحسب تقارير اليونيسكو فإن أكثر من مائتي مليون إنسان، يتحدثون السواحلية وتعود أصول مفرداتها إلى اللغة العربية فمثلا الكلمات التالية:

جيش: تنطق بالسواحلية =جيشا

خبر: تنطق بالسواحلية =هيباري، بعد تبديل الخاء هـ

كتاب: تنطق بالسواحلية =كتابو، كتابا

أحسنت صنعا: تنطق بالسواحلية =اهسنتئ سانا

مهم: تنطق بالسواحلية =مُوهمو

صديقي: تنطق بالسواحلية =رافيكي، مع تبديل القاف ك

فارق الحياة: تنطق بالسواحلية =افاريكي، مع تبديل القاف ك

أما التحية العامة، والتي يفتتح بها الرسائل والمراسلات الحكومية وتبادل التحايا بين الناس فهي السلامو أليكم. مسلمين ومسيحين بدون (ورحمة الله وبركاته)

ويطلقون على اللغة العربية لفظ (كيرابو) وتعني العربية، والرجل الذي تعود أصوله إلى بلاد العرب (مارابو).

وكذلك بعض المصطلحات الأشياء الأخرى كالمأكولات وغيرها يطلقون عليها نفس لفظ العربية، مع إضافة بسيطة مثل:

الأكل: يطلقون عليه= شاكولا

السكر: يطلقون عليه= سكاري

العسل: يطلقون عليه= أسالي

الماء: يطلقون عليه= ماجي

قاموس: يطلقون عليه= كاموسي

الإنسان: يطلقون عليه= بن آدامو

أقرب تفضل: يطلقون عليه= كاريبو

المرض: يطلقون عليه= مرازي، تبديل الضاد زاي

لون بني: يطلقون عليه= كاهديا

ذهب: يطلقون عليه= ذهابو

شاي أحمر: يطلقون عليه= تشاي يارانكي

إعلان: يطلقون عليه= إيلاني

رف الكتب: يطلقون عليه= رافويا فيتابو

سبعة: يطلقون عليه= سابا، سبعين: سابئيني

تسعة: يطلقون عليه= تيسا، تسعين: تسئيني

مائة: يطلقون عليه= ميِيا

ألف: يطلقون عليه= إلفوا

رجب: يطلقون عليه= رجابو

شعبان: يطلقون عليه= شئياني

رمضان: يطلقون عليه = رامداني

صفر: يطلقون عليه = صيفوري

حرير: يطلقون عليه = هريري

صوف: يطلقون عليه = سوفي

سروال (بنطلون): يطلقون عليه = سيروالي

فرشاه: يطلقون عليه = پرشى ~ بوراشي

طاوله: يطلقون عليه = ميزا

فجل: يطلقون عليه = فيجيلي

لوز: يطلقون عليه = لوزي

ليمون: يطلقون عليه = ليماو

ورد: يطلقون عليه = واريدي

سلطة: يطلقون عليه = سلادي

سمسم: يطلقون عليه = سميسمو

عنب: يطلقون عليه = زبيبو

تفاح: يطلقون عليه = توفاها

تين: يطلقون عليه = تيني

أناناس: يطلقون عليه = ناناسي

مقص: يطلقون عليه = مكاسي

أب: يطلقون عليه = بابي، بابو + أم = ماما

روح: يطلقون عليه = روهو

صعوبة: يطلقون عليه = شيدا

ثمن: يطلقون عليه = ثماني

حال: يطلقون عليه = هالي

غالي: يطلقون عليه = غالي

ذنب: يطلقون عليه = ذانبي

جرب: يطلقون عليه = جاريبو

أحب: يطلقون عليه = حيبو

سامح: يطلقون عليه = ساميهي

عد: يطلقون عليه = رودي

انتظر: يطلقون عليه= صوبيري

الصباح: يطلقون عليه= اصبوهي

الصعوبات والتحديات التي واجهت كل دارسي اللغة العربية هي:

١. نطق بعض الحروف العربية.

٢. استعمال الضمائر.

٣. استعمال حالات المؤنث للمذكر والمذكر للمؤنث وأسماء الإشارة، فمثلا اغلب دارسو اللغة العربية يشكل عليهم الأمر في استعمال ضمائر المؤنث والمذكر وأسماء الإشارة مثلا: بعض الدارسين الذين لهم باع في دراسة اللغة العربية، ودربوا عليها تدريبا كثير لازالوا يخطئون في المذكر والمؤنث، فتراهم يقولون:

من يقرأ هذا الحديث

من يسمعني هذا الآية

أنت طالبة مجتهد
أنت طالب مجتهدة

متى تذهب للسوق ~ متى يذهب للسوق

وهناك صعوبات قرائيه واجهتني، بعد أن أمضى الدارسون قرابة الثمان سنوات، لم يجيدوا اللغة ولو بالحد المعقول، والسبب في ذلك يعود إلى أن تداول اللغة، في البيت وفي الأسواق والتجمعات العامة لم يتحدث بها، وتعتمد اعتمادا كليا على السواحلية في تسيير أمورهم.

وحتى الذين ينحدرون من أصول عربية، وبالذات المهاجرون اليمنيون لم يستخدموا اللغة العربية، في بيوتهم مع أولادهم وبناتهم، بعكس الهنود والصومال، الذين يفرضون على أبنائهم لغتهم الأم فالهنود يتكلمون بشكل رئيسي كامل مع أولادهم في البيوت اللغة الهندية، وكذلك يفعل الصوماليون، وعندما استفسرت عن ذلك قيل لي، أن أبنائنا سيكتسبون السواحلية من الشارع والمدرسة، وكذلك الإنجليزية التي تدرس للتلاميذ والطلاب من الصف الثالث الإبتدائي، وهي لغة تعليم للمواد الأساسية في المدارس والجامعات، ولذلك نحن نتكلم مع أولادنا بلغتنا الأم (الهندية، والصومالية) في بيوتنا كاملا، كي لا ينسون اللغة الأم.

بينما الجالية العربية أو أغلبها في افريقيا-تنزانيا-أثيوبيا-كينيا، وهم الأكثرية في تلك البلدان، يتكلمون بيوتهم مع أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم اللغة السواحلية، متكاسلين أن يتكلموا العربية في البيوت كما يفعل الهنود والصومال، فقط عندما يلتقي العربي بالعربي من جنسيتين، تجدهم يتداولون الحديث بالعربية، مزاحا ومخاطبة.

ذات يوم سألت أحد العرب اليمنيين من حضرموت، أنت الآن تجد السواحلية والعربية، لماذا لا تتكلم مع الأهل والأولاد بها في البيت على الأقل كما يفعل الهنود والصومال، فأجابني هناك الشغالات والشغالين من السواحلية لا يعرفون العربية فيتكلمون مع أولادنا لقضاء حوائجهم البيتية بها، والأولاد كذلك، فلم يعودوا العربية، ونحن طوال الوقت الصباح والمساء في محلاتنا التجارية، نتكلم بها وعندما نعود إلى البيت يكون الأولاد مشغولين إما بمراجعة دروسهم أو بأمور أخرى، فتفضل السرعة في التخاطب معهم بالسواحلية لغة الزمان والمكان في هذا البلد الأفريقي.

ولذلك فقد اقترحت عليهم وأغلبيتهم من التجار القادرين على إرسال أولادهم إلى مواطنهم الأصلية في اليمن أو في عمان أن يرسلوهم ليتعلموا العربية، ويكونوا على تواصل دائم بها، وشجعتهم على أن كل واحد من أبنائهم سيكون معه لغة ثالثة هي لغة الآباء والأجداد، اللغة العربية إضافة إلى اللغتين الإنجليزية وهي لغة التعليم في المدارس والجامعات، واللغة السواحلية وهي لغة الشارع المهجري بلد اقامتهم الحالي.

واقترحت على الآباء الذين يجيدون العربية، أن يحذوا حذو الهنود والصومال، في التخاطب مع أولادهم باللغة العربية، في البيت وأن يدعو الكسل والإهمال واللامبالاة، فلغتهم لغة القرآن والدين، ولغة أهل الجنة في الجنة.

~~ختاما أقول:~~

للحفاظ على لغتنا العربية ينبغي لنا من وجهة نظري ما يلي:

١) وضع سياسة لغوية واضحة، على الصعيد القومي، وإصدار القرار السياسي اللازم اتخاذه، لتطبيق هذه السياسة.
٢) وضع خطة لغوية، على الصعيدين القومي والعربي، ينهض بها اتحاد المجامع اللغوية العربية.
٣) وضع خريطة بحثية على المستوى القومي، لمعالجة مشكلات تعليم وتعلم اللغة العربية، وذلك بالأساليب العلمية والتجارب الميدانية.
٤) العمل الحثيث على زيادة المحتوى الرقمي العربي على شبكة (الأنترنت).
٥) تعزيز دور مجامع اللغة العربية، في تعريب العلوم وكذلك تفعيل الجمعيات الأهلية المهتمة باللغة العربية، وتطورها وتحديثها.
٦) إيلاء الأهمية القصوى لاستعمال اللغة العربية السليمة، في الإعلام العربي وفي الإعلانات، والفضائيات الرسمية، والخاصة في جميع البلاد العربية.
٧) تعزيز تحقيق التراث العلمي العربي، وكشف النقاب عن المحفوظات العلمية والعربية.

٨) ضرورة العناية باكتساب اللغتان الأجنبية وإتقانها، والترجمة من العربية إليها، لغات الحية المتطورة.

يقول الشاعر العربي:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه، فتلك له عند الملمات أعوان

تهافت على حفظ اللغات مجاهدا، فكل لسان في الحقيقة إنسان

ويقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات

خاتمة ومقترحات لإصلاح حال اللغة والمتكلمين بها:

إن الإصلاح اللغوي المطلوب، لابد أن يتم بأقصى سرعه ممكنه، حتى لا تتسع الفجوة اللغوية، التي تفصل بين العربية، ولغات العالم المتقدم.

وإن العربية كما يقول صاحب كتاب (الفجوة الرقمية) بين فكي رحى، بين عولمة تمارس عليها ضغوطا هائلة تفرض عليها أقصى درجات المرونة، وسرعة الاستجابة للمتغيرات العالمية، وبين فصيل من الفكر اللغوي الأصولي المتجمد، يعوق تقدمها تحت دعاوي مظلله، ومفاهيم خاطئة، للحفاظ على الطهارة اللغوية، والأصالة الفكرية، وقد فتحت علينا (الأنترنت) بوابات الفيضان والأعاصير، ولا عاصم اليوم لنا إلا لغة عربية سهلة متطورة موكبه تكبح جماح هذا النشر الهائل، وتكون درعا لنا، لمواجهة الإعصار المعلوماتي الجارف. ولن يتأتى ذلك، إلا من خلال مواقف صريحة وواضحة علينا أن نتخذها، إزاء كثير من القضايا اللغوية التي عجزنا عن حسمها حتى الآن مثل:

١. ازدواجية الفصحى والعامية، وكيف يتم التوافق والتقريب والموائمة.
٢. تعريب التعليم، كيف يتم؟ وما الخطط والاستراتيجيات التي تؤهل ذلك.
٣. ثنائية استخدام اللغة العربية، بالتوازي مع اللغات الأجنبية وتحديدا (الإنجليزية، والفرنسية).
٤. كيفية تعليم العربية للناطقين بها، وغير الناطقين بها.

المصادر والمراجع

- القران الكريم.
- رياض الصالحين (الإمام أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي)

١) إبراهيم انيس (من أسرار اللغة)
٢) إبراهيم السامرائي (فقه اللغة المقارن)
٣) إحسان عسكر (الخبر ومصادرة)
٤) د/ أحمد زكي بدوي (معجم ومصطلحات الإعلام)
٥) أبو بكر أوحيده وعثمان عبد السلام (اللغة السواحلية)
٦) د/ إميل بديع يعقوب (فقه اللغة العربية وخصائصها)
٧) د/ أحمد عبد التواب عوض (الترادف وسعة اللغة العربية)
٨) د/ جان جبر أكرم (المدخل إلى لغة الإعلام)
٩) خلفان أنجاما (اللغة السواحلية)
١٠) د/ رمضان عبد التواب (فصول في فقه اللغة)
١١) د/ زيدان عبد الباقي (وسائل وأساليب الاتصال)
١٢) د/ صابر عبد الدايم يونس (لغتنا العربية تحديات معاصرة)
١٣) د/ صبحي الصالح (فقه اللغة)
١٤) عثمان محمد علي (قاموس الطالب <عربي-انجليزي-سواحلي>)
١٥) د/ عبد العزيز شرف (المخل إلى وسائل الإعلام)
١٦) د/ عبد الحليم منتصر (خصائص العربية والتعبير العلمي)
١٧) د/ عبد القادر محمد مايو (الوجيز في فقه اللغة العربية)
١٨) د/ عبده الراجحي (فقه اللغة في الكتب العربية)
١٩) د/ عز الدين الخطيب التميمي (التآمر على اللغة العربية)
٢٠) د/ علي عبد الواحد وافي (في علم اللغة)
٢١) د/ علي عبد الواحد وافي (في فقه اللغة)
٢٢) د/ محمد إسماعيل إبراهيم (معجم الألفاظ والأعلام القرآنية)
٢٣) د/ محمد الغزالي (معركة المصحف في العالم الإسلامي)
٢٤) د/ مسعود بوبو (الفضائيات واللغة)
٢٥) د/ محمد سيد محمد (الإعلام واللغة)
٢٦) د/ محمد مداح (دقة اللفظ من خصائص اللغة العربية)

٢٧) د/ محي الدين عبد الحليم (التحديات التي تواجه الأمة السلامية)

٢٨) د/ نور الدين بليبل (لغة القرآن والعامية الجزائرية

دور الوسائل السمعية والبصرية في ترسيخ مكانة اللغة العربية في المخيال الثقافي العربي

- أ.م.د محمد عبد الحميد ضيدان
العراق - جامعة كربلاء- كلية العلوم السياحية- قسم الدراسات السياحية
m.abdulhameed@uokerbala.edu.iq

دور الوسائل السمعية والبصرية في ترسيخ مكانة اللغة العربية في المخيال الثقافي العربي

أ.م.د محمد عبد الحميد ضيدان

ملخص البحث:

لا شك أن اللغة تحظى بمكانة كبيرة كواحدة من أهم وسائل التواصل ونقل الأفكار والخبرات بين البشر، وتأخذ اللغة العربية خصوصية كبيرة كونها ترتبط بروابط متينة مع من يتداولها وهي الشعوب العربية لأنها تمثل التاريخ والعادات والتقاليد والحضارة وفوق كل هذا ارتباطها بالدين الإسلامي ولغة القرآن الكريم، فهي لم تكن أداة للتعبير فقط وانما خزين فكري وثقافي واجتماعي عربي وإسلامي كما وأنها هوية الشعوب المسلم التي تنطلق بها إلى الآخر. ومن هنا لابد من العمل على صيانة هذه اللغة وحفظها من الضياع أو التحريف بوسائل عديدة وأهم تلك الوسائل هي الوسائل السمعية والبصرية التي تأخذ مديات في التأثير في مختلف أشكال وأعمار وفئات وأفراد المجتمع العربي وخصوصا بعد التطور التقني والاتصالي الكبير الذي شهده العالم. وشهدت تلك الوسائل (التلفازية والسينمائية والإذاعية) إقبالا كبيرا يفوق كل التوقعات.

ومن هنا تلخصت مشكلة البحث بالتساؤل التالي:

ما هو دور الوسائل السمعية والبصرية في ترسيخ مكانة اللغة العربية في المخيال الثقافي العربي؟

Abstract

There is no doubt that the language enjoys a great place as one of the most important means of communication and transfer of ideas and experiences between people. The Arabic language has a great peculiarity because it is linked by strong ties with those who use it، namely the Arab peoples، because it represents history، customs، traditions، and civilization، and above all، its connection to the Islamic religion and the language of the Holy Qur'an. It is It was not only a tool for expression، but rather an Arab and Islamic intellectual، cultural and social treasure. It is also the identity of Muslim peoples with which they move towards others.

Hence، we must work to preserve this language and preserve it from loss or distortion through many means، the most important of which are audio-visual means، which have a great influence on various forms، ages، and categories of members of Arab society، especially after the great technical

تابع ملخص البحث:

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أنه يتناول موضوعا مهما يرتبط بأهمية اللغة العربية وعلاقتها بالمخيال الثقافي العربية وكيف يمكن أن تحقق الوسائل السمعية والمرئية دورا في ترسيخ هذه الثقافة في الفكر العربي، وهذا البحث يفيد الدارسين والباحثين والمهتمين بمجال الثقافة واللغة والأدب والإعلام والفن.

حدود البحث الموضوعية: سيتحدد البحث بدراسة الوسائل السمعية والبصرية وهي (الوسائل السينمائية والتلفازية) فقط دون غيرها من الوسائل كالإذاعية والمسرحية ودورها في ترسيخ مكانة اللغة العربية في المخيال الثقافي العربي.

اسلوب البحث: اعتمد الباحث اسلوب البحث الوصفي التحليلي لإكمال متطلبات البحث.

الكلمات المفتاحية: السمعية والبصرية، السينما، التلفاز، الإذاعة، اللغة العربية.

and communication development that the world has witnessed. These media outlets (television، cinema، and radio) witnessed a great demand that exceeded all expectations.

Hence، the research problem was summarized in the following question:

What is the role of audio-visual media in consolidating the position of the Arabic language in the Arab cultural imagination?

المقدمة:

لم يشهد مفهوم من المفاهيم إقبالا بالبحث والدراسة مثلما شهد مفهوم اللغة، لما تحتله اللغة من أهمية كبيرة ترتبط بكيان الانسان وافكاره وخيالاته ومشاعره وطرق تواصله مع الآخر، بل هي حاضنة المجتمعات الفكرية والثقافية والقيمية، وبها تحدد هويتهم وتراثهم، كما أن اللغة يمكن أن تكون الأداة التفاعلية للخطاب مع الثقافات الأخرى وهي بالتالي ممارسة تواصلية تتعدى في كثير من الأحيان المقاصد اللغوية.

وتعد اللغة العربية ذات خصوصية كبيرة لما تمتلكه من مرونة على مستوى اللفظ والمعنى ولما تمتلكه من إرث ثقافي وديني واجتماعي وتاريخي كبير يرتبط بحياة الأمة العربية برجالاتها وأبناءها، وهذا الإرث الثقافي مرهون بالحفاظ على اللغة، لأن اللغة العربية لم تعد تلك الأداة والوسيلة في الخطاب بين أفراد المجتمع بل هي هوية هذا الفرد وخزينه الفكري والحضاري وهي منظومته الفكرية والثقافية، وبتغير أي من أسس هذه اللغة أو ضياع شيئاً منها، هو تغير وضياع جزء من هوية الفرد العربي بثقافته وفكره ودينه.

وعليه لا بد من إيجاد الوسائل الكفيلة والمؤثرة في حفظ اللغة العربية، وعدم السماح لأي عارض أن يؤثر بأي نوع من التأثير على اللغة وخصوصا ونحن نعيش زمن التغيرات المتواترة والكبيرة وهذا الغزو الفكري والثقافي الذي نشهده طوال الأيام والساعات ومن مختلف الاتجاهات والأمكنة. وبالخصوص هذا السيل الجارف من الوسائل السمعية والمرئية عبر (السينما والتلفاز).

فتلك الوسائل وما يشهده العالم اليوم من تطور تقني واتصالي يفوق التصور، وهذا الهوس الفردي بسيل الصور، يجعل من الدول المعنية والمؤسسات أن تبادر لاستثمار وتوظيف الأعمال السمعية والبصرية لتكون وسيلة مؤثرة تعمل على حفظ وصيانة فكر وثقافة الفرد العربي من خلال برامج تعنى باللغة العربية وتركز على إبراز أصالة وتفرد وعبقرية هذه اللغة.

المبحث الأول: مكانة اللغة العربية

تعد اللغة الدعامة الاساسية للتواصل بين البشر حيث تسهم في التواصل والتفاهم بين الأفراد وتمكنهم من تبادل الأفكار والتعبير عن مشاعرهم.

ما هي اللغة: من حيث تعريف اللغة (لغويا) فقد جاء في كتاب لسان العرب " أن اللغة على وزن فعلة من لغوت أي تكلمت وأصلها: لغوة، وقيل أصلها لغي أو لغو والهاء عوض عن لام الفعل وجمعها لغى مثل برة أو برى، والجمع لغات أو لغوت "[1].

اما من حيث التعريف الاصطلاحي فبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها علماء اللغة عبر مراحل تاريخية طويلة، إلا أنه لم يكن هناك تعريف محدد ومتفق عليه بدرجة كبيرة حول ماهية اللغة، فهناك من يشير إلى أن اللغة هي مجموعة من الأصوات التي يمكن للمرء أن يبوح بها عن أفكاره، وهناك من يرى أنها وسيلة من وسائل التواصل بين الناس، وهناك من يرى أنها مجموعة من القواعد التي يجب اتباعها حتى وان لم تأت بالغرض المطلوب.

(١) ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ج١، ص٢٥٢.

وبالرغم من أن دراسة اللغة (كعلم) مستقل نشأ حديثا، إلا أن هذا لم يمنع من أن تكون دراسة اللغة ضمن الدراسات الفكرية والفلسفية بعيدة عن متناول الفلاسفة والمفكرين منذ زمن بعيد، فهذا أرسطو يتحدث عن اللغة ويؤكد على أنها " دلائل تشير إلى ما يحمله الفرد بداخله من عواطف وأفكار وانفعالات نفسية، وألفاظ اللغة عند أرسطو ليست متماثلة عند جميع أبناء البشر، ولكن يعتريها الاختلاف وقصده في ذلك أصوات الكلام واختلافاتها بين لغة وأخرى من لغات الأمم، أما المعاني المكنونة في النفس فهي الانفعالات والعواطف والأفكار وهي واحدة عند البشر ومتماثلة تماثلا لا اختلاف فيه"[١].

اما الفلاسفة العرب كـ (ابن جني) فيرى أن اللغة " هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[٢] في حين يرى ابن خلدون أن اللغة هي " عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل إنساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام " [٣]، اما الفلاسفة المحدثين فقد عرفها دوسوسير بانها " وسيلة اتصال إنسانية ترتكز على محورين أساسيين :

١-النظام اللغوي: وهو مجموعة القواعد المعجمية والصرفية والنحوية المختزنة في العقل البشري.

٢-استثمار واستعمال هذه القواعد والنظم وتوظيفها لإنتاج رسائل مسموعة ومفهومة"[٤]

أصل اللغة:

هنالك الكثير من النظريات التي حاولت أن تجد تفسيرا علميا مقبولا لأصل اللغات وكيف نشأت وأصبحت بهذه الألسن المتعددة، إلا أنه يمكن إيجاز تلك النظريات باتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: هو من يرى أن اللغة هي وحي وإلهام من قبل الله تبارك وتعالى وهو ما يطلق عليه (نظرية الأصل الإلهي للغة)، وهذا ما يستدل به من الآية المباركة "وعلم آدم الأسماء كلها"[٥].

الاتجاه الثاني: اللغة من وضع البشر أنفسهم، نتيجة لأسباب كثيرة منها المحاكاة لأصوات وأفعال الطبيعة سواء كانت حيوانية أم نباتية أم غيرها، وهي حاجة فطرية إنسانية للتعبير عن الذات من أجل

(١)الطيب رزقي، محاضرات في فلسفة اللغة، جامعة الاخوة منتوري، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر، ٢٠١٣، ص٣.
(٢) ابو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، عالك الكتب، ج١، ص٣٣.
(٣) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق :علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص٦٢١.
(٤) دي سوسير، محاضرات في الالسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، دار النعمان للثقافة، بيروت، ١٩٨٤، ص١٧.
(٥) سورة البقرة، آية ٣١.

التواصل وديمومة الحياة، كون الإنسان كائن اجتماعي، ويسمى هذا التفسير للغة بـ(نظرية الاصطلاح) وهذه النظرية لها تفسيرات واتجاهات عديدة حيث ترى " أن الأصل في اللغة هو أن البشر استخدموا أصوات معينة اصطلحوها لتسمية أشياء معينة غائبة، فإذا حضرت هذه الأشياء استدلوا بتلك الأصوات مقابل تلك الأشياء التي حضرت فأصبحت معروفة ومتداولة "[١].

أصل اللغة العربية وأصالتها:

لعله من الصعب أن يتم التأكيد على أصل اللغة العربية بشكل قطعي من قبل الباحثين والدارسين، إلا أن هناك الكثير من المحاولات لإيجاد رأي أكثر دقة وموضوعية في تحديد هذا الأصل، وخصوصا حينما نجد أن هناك الكثير من التداخلات في اللغة العربية بينها وبين اللغات الأخرى فضلا عن كثرة اللهجات في هذه اللغة نفسها، مع أن هناك الكثير من الآراء حول تفرد اللغة العربية في أسبقيتها عن باقي اللغات " ثمة دلائل جديدة على أن اللغة العربية هي أولى اللغات التي عرفتها شعوب العالم منذ القدم، فنجد سنوات من لي الحقائق وتزييفها، تأتي الأبحاث والدراسات والكشوفات الأثرية الحديثة لتؤكد أهمية لغة الضاد"[٢]، فضلا عن أسبقيتها في إيجاد أبجدية خاصة بها " أن العرب الأقدمون هم أول من وضع أبجدية في التاريخ وهي (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت)؛ اثنان وعشرون حرفا وذلك بعد منتصف الألف الرابع بعد الميلاد"[٣]

وأغلب المختصين يرجعون اللغة العربية إلى لغتين أصليتين لغة الشمال ولغة الجنوب وطبيعي هناك فرق واضح بين هذين اللغتين سواء على مستوى الإعراب أم التصريف أم أحوال الاشتقاق أم الضمائر وغيرها، لهذا قال أبو عمرو بن العلاء " ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا" [٤].

إلا أنه يمكن القول أن لنزول القرآن الكريم في الجزيرة العربية على قلب الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) الحدث الأبرز والأهم في جعل اللغة العربية أكثر توحيدا وإثراء وأصالة، لما يحمله القرآن من قدسية جعلت جميع المسلمين ينضمون تحت لواءه اللغوي واللفظي وجميع ما يمتلكه من قواعد وأسس لغوية، بل وإن اشتراط الشريعة الإسلامية على وجوب استخدام اللغة العربية ببعض

(١) عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة ام درمان، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات النحوية واللغوية، ٢٠١٠، ص٢٠.

(٢) ناصر محي الدين ملوحي، اللغة العربية أصل اللغات العالمية، دار الغسق للنشر، سوريا، ٢٠٢٠، ص٩٨.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٩٥.

(٤) محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص٣٢.

العبادات ومنها الصلاة بما ينسجم مع ألفاظ وتعابير القرآن الكريم أسهم بشكل كبير في حفظ اللغة من جهة، وتوحيد هوية العالم الإسلامي والعربي ثقافيا وفكريا واجتماعيا لما تحويه اللغة من هذه الأبعاد وارتباطها الشديد بها.

فرغم تعدد اللهجات وانتشارها في مناطق متفرقة إلا أن هناك مرجعا يحتكم إليه جميع الناس سواء المختصون أم عوام الناس وهو القرآن، أضف إلى ذلك في كون القرآن أسهم في نشأة علوم اللغة العربية كالبلاغة والنحو والصرف وفقه اللغة والأصوات، كما أنه أعطى دلالات ومفاهيم لألفاظ لم يكن لها وجود،

فضلا عن انتشار هذه اللغة عالميا " حملت العربية الفصحى القرآن الكريم واستطاعت من خلال انتشار الإسلام أن تبدأ زحفها جنوبا لتحل محل العربية الجنوبية القديمة، واتجهت نحو أفريقيا ثم شمالا لتحل محل الآرامية في بلاد الشام والعراق، ثم غربا لتحل محل القبطية في مصر ثم شمال أفريقيا وصولا إلى إسبانيا وبعض بلدان جنوب أوروبا"[١]، إضافة إلى ذلك أن اللغة العربية واعتماد أصولها منذ زمن بعيد إلا

أنها لم تكن تنطق وتعبر بمبدأ واحد وإنما كانت هناك تعدد باللهجات " لقد تميزت لغتنا العربية القديمة بوجود ثلاث لهجات رئيسة هي السريانية في الشرق والآمورية (الفينيقية) في الغرب والعرباء (أي النقية شديدة العروبة) في شبه الجزيرة العربية "[٢]

مميزات اللغة العربية:

تتفرد اللغة العربية عن باقي اللغات الأخرى في أن لها عدة مميزات جعلتها أن تكون بجدارة من اللغات الحية المتجددة ومن هذه المميزات:

١-كثرة المرادفات للكلمة الواحدة: وهو وجود عدة ألفاظ للمعنى الواحد، وهو موجود أيضا في باقي اللغات الأخرى إلا أن اللغة العربية تمتلك من المفردات ما لا يمكن لأي لغة أخرى منافستها في ذلك فمثلا توجد في اللغة العربية ٣٥٠ اسما للأسد و٦٤ اسما للمطر وغيرها كثير.

٢-دقة التعبير: حيث توجد معان في اللغة لها ألفاظ خاصة دالة عليها.

٣-الإعراب: وهو تغير في أواخر الكلمات بسبب العوامل الخارجية الداخلة عليها كعلامات الضم والنصب والجر والسكون وهي من خواص اللغات الحية.

(١) مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، مجلد ٢٨، ص٣٥.
(٢)احمد داوود، تاريخ سوريا الحضاري القديم، دار الصفدي للنشر، دمشق، ٢٠٠٤، ص٦٠.

٤-الإيجاز: حيث توجد الكثير من الكلمات التي توجز لك ما تريد بيسر وبدقة تعبير، أي يمكن التعبير بأقل الجمل.

٥-السجع: حيث أن كثرة المفردات تعطي أريحية للمتكلم أو الكاتب من استخدام كثير من المفردات بمعنى واحد مما يحقق سهولة في استخدام السجع.

٦-قابلية المفردة على التطور (مرونتها) أي أن الكثير من الكلمات يمكن أن تدل على أكثر من معنى حسب التطور التاريخي أو الاجتماعي أو الاقتصادي والثقافي، وبالتالي فإن اللغة العربية هي لغة متجددة لا تتصف بالجمود.

٧-ارتباطها بالتراث الثقافي والاجتماعي والفكري وفوق كل هذا الديني للمجتمعات العربية وبالتالي فهي لغة حية تعيش في ضمير الشعوب العربية وتمتلك قداسة خاصة، لا يمكن بأي حال من الأحوال التخلي عنها أو مفارقتها الا إذا حاول الفرد التخلي عن هويته وتراثه وتقاليده.

المبحث الثاني: أنواع الوسائل السمعية والمرئية

قد تتعدد الوسائل السمعية والمرئية وخصوصا في عصرنا هذا (عصر التقنيات) فـ(السينما والتلفاز والإذاعة والمسرح وأفلام الفيديو وغيرها من الأعمال هي كلها وسائل سمعية ومرئية، إلا أننا نحاول حصر حديثنا ضمن منطلقات حدود البحث الموضوعية التي انحصرت بالأعمال السينمائية والتلفازية.

١-الفيلم السينمائي:

ذاعت شهرة السينما في كافة أرجاء العالم وأصبحت ذات ثقل كبير في ميزان التأثير على الفكر والنفس، فهي أول اكتشافها لم يكن مخطط لها أن تسير بهذا الاتجاه التأثيري بل كانت مجرد اكتشاف تقني اعتمدت على علوم الفيزياء والكيمياء ،لأنها بالأساس اعتمدت على مبدأ الظل والضوء في مجال التصوير والعدسات كما اعتمدت على تحميض وطبع الأفلام عبر المواد الكيميائية، ولكن سرعان ما تحول هذا المنجز التقني إلى اختراع مدهش بدأ ينتشر بشكل كبير من خلال عروض سينمائية في صالات ومقاهي عامة اجتذبت طبقات الناس المختلفة التي كانت تساورها الدهشة والمتعة لما ترى فتحولت غاية السينما من منجز تقني إلى منجز ترفيهي تجاري والذي سرعان ما بدا تأثيرها يأخذ بالازدياد حتى أصبحت غاياته متعددة ومتنوعة وتكاد لا تحصى فالمجالات الفكرية والثقافية والسياسية والأمنية والدينية والاقتصادية هي جزء من هذه الغايات.

تقسم الأفلام بشكل رئيسي إلى قسمين أساسيين:

١-الأفلام التسجيلية أو الوثائقية: وهي الأفلام التي بدأت بها السينما بطبيعتها البسيطة كإنجاز تقني حيث حاولت أن تصور ما هو موجود في الواقع دون أن تخطط لقصة معينة، ثم تطور هذا النوع من الأفلام ليتم إنتاج أفلام كبيرة ومؤثرة عبر تاريخ السينما وبرزت أسماء لامعة في هذا المجال كالمخرج جريرسون والمخرج فلاهيرتي، اللذان استطاعا أن يوثقا لحظات مهمة من حياة الشعوب وطبيعتها في أفلامهم، كما أن هذا النوع من الأفلام يحاول أن يركز على طبيعة الحياة والأشخاص في مختلف أنحاء العالم وثقا إياها بكل دقة وأمانة لتكون فعلا وثيقة حية يتم إحياءها بمراجعتها ومشاهدتها في أي وقت كان.

٢- الأفلام الروائي: وهذه الأفلام نشأت مع تطور مفهوم السينما تقنيا وفنيا، حيث بدأت تكتب القصة والسيناريو وتعمل المخططات لإنتاج قصة معينة حتة أنتجت أعمال خالدة كان لها الوقع الكبير في المجتمعات ثقافيا وفكريا وسياسيا واجتماعيا، حتى بات الفلم السينمائي يستثمر في كل هذه المجالات وتسابقت شركات ودول وأفراد أصحاب ثروة من أجل السيطرة على مواقع إنتاج وعرض هذه الأفلام .

ومن أهم أنواع الأفلام الروائية هي:

١-الأفلام الرومانسية

٢-الأفلام البوليسية

٣-الأفلام التاريخية

٤-أفلام الرعب

٥-أفلام رعاة البقر

٦-الأفلام الملحمية

٧-أفلام الخيال العلمي

٨-الأفلام الحربية

وغيرها من الأنواع الكثيرة، الشي المهم أن هذه الأفلام بدأت تأخذ مجالا واسعا من التأثير وخصوصا في ثقافات الشعوب وبالأخص في ثقافة الشعب العربي .

٢-التلفاز

أهم وسيلة من وسائل الاتصال الحديثة حيث يتم نقل الصورة والصوت من المصدر إلى ملايين المشاهدين في مختلف أصقاع الأرض عبر الأقمار الصناعية، لذا أصبحت هذه الوسيلة من الوسائل الرئيسة للوصول إلى أفراد المجتمع سواء كان هذا الوصول لغايات تجارية أم فكرية أم سياسية أم غيرها.

البرامج التلفازية

بعد أن شغل التلفاز مساحة كبيرة من الاهتمام في المجال الاتصالي والإعلامي وأصبح أداة مؤثرة في المجتمع، بدأ السعي الحثيث لاستثماره بأقصى ما يمكن من أجل الاستفادة من إمكانياته على الصعيد الإعلامي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي إضافة إلى ما يحققه من جوانب ترفيهية للعوائل

وخصوصا العوائل العربية التي تجتمع عادة في أوقات معينة في صالة البيت لترى برنامجا أو مسلسا دراميا، ولذا ازدادت الحاجة إلى توسيع العمل في نطاق توسيع البرامج التلفزيونية وتنوعها ومن هنا شهد هذا الفن توسعا وتنوعا كبيرا في البرامج التلفازية.

أن مصطلح البرنامج في التلفاز يشير إلى " شكل فني يشغل مساحة زمنية محددة وله اسم محدد

وثابت، ويقدم في مواعيد محددة وثابتة يومياِ وأسبوعياِ وشهرياِ أو كل أسبوعين، يعرض من خلاله مساحة من المواد الفنية والثقافية والعلمية وغيرها، مستخدما في ذلك كل أو بعض الفنون السمعية والبصرية من سرد وحوار وتعليق وندوات ومقابلات " [١]،

ويمكن تقسيم البرامج التلفزيونية إلى تقسيمات متعددة فبحسب المضمون، يمكن تقسيم البرامج إلى برامج دينية وبرامج ثقافية وبرامج إخبارية وبرامج تعليمية وبرامج اقتصادية وبرامج رياضية، ومن حيث الشكل الفني للبرنامج فيمكن تصنيف البرامج إلى: برامج الحديث الوصفي أو البرامج السردية وبرامج الحوار وبرامج المقابلات، في حين هنالك تقسيمات اعتمدت على أوقات العرض كان تكون برامج يومية أو أسبوعية أو شهرية، كما أن بعض البرامج تقدم بحلقة واحدة يضع فيها المعد كل ما يريد تقديمه للجمهور، في حين أن المعتاد تقديم البرامج التلفزيونية في حلقات متعددة وبعضها يستمر لشهور أو لسنوات

تشمل مواضيع مختلفة تجتمع تحت عنوان واحد، وهناك تقسيمات اعتمدت تصنيفات فنية متخصصة بالإذاعة السمعية والمرئية فقامت بتصنيف البرامج التلفزيونية إلى :

١-البرامج الإخبارية: وهي تلك البرامج التي تقوم بوظيفة تقديم الأخبار وتفسيرها من خلال التعليق عليها إلى جمهورها من خلال المقدم أو المذيع أو من خلال استضافة محللين سياسيين أو مختصين في مجال

(١) اكرم شلبي، معجم المصطلحات الإعلامية، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤، ص٤٢.

معين، ومن أهم أشكالها: النشرة الإخبارية والتحليل الإخباري وموجز الأنباء الإخباري والمجلة الإخبارية والتقرير الإخباري والربورتاج.

٢-البرامج الترفيهية والمنوعة: وهي البرامج التي تؤدي وظيفة الترفيه بكل أنواعها، مثل: برامج الكاميرا الخفية والفوازير والمسابقات وغيرها.

٣-برامج الدراما: وهي البرامج التي تتضمن الأعمال الدرامية التي تمثل حبكة أو قصة معينة تحول إلى عمل تلفزيوني أو إذاعي، وتشمل كل أنواع الدراما سواء تلك التي يقوم بإنتاجها التلفزيون (مثل التمثيلية والمسلسل والسلسلة الدرامية وغيرها)

٤-البرامج الثقافية والتعليمية: وهي البرامج التي تنتج والغاية منها هو التعليم والتثقيف، وتشمل: برامج تعليم الأطفال للمراحل العمرية المختلفة، وبرامج التعليم المستمر، وبرامج التعليم المدرسي، وبرامج تعلم المهارات وبرامج محو الأمية وتعليم الكبار، وغيرها.

٥-البرامج الجماهيرية والتفاعلية: وهي البرامج التي تكون متابعة من قبل جمهور واسع، وتقوم في العادة على مشاركة الجمهور سواء المشاركة المباشرة في الحضور أثناء تسجيل البرنامج أو عن طريق فتح الاتصال المباشر، وهذا النوع من البرامج له أهمية كبيرة لكونه يخلق صلة بين أصحاب البرامج وبين الجماهير.

المبحث الثالث: مكانة اللغة العربي في الوعي الثقافي العربي عبر الوسائل السمعية والبصرية

تلعب الثقافة دورا مهما وحاسما في تطور أيا من المجتمعات، كما أنها تعد أي مجتمع من المجتمعات حيث ترتبط بمعتقداته وعاداته ونظامه القيمي، وعليه فهي تؤثر في كافة جوانب حياة المجتمعات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية والسياسية وتسهم بشكل كبير في تحديد مساره المستقبلي.

ولا يخفى على أحد في أن واحدة من أهم أوجه الثقافة هي اللغة التي يتم من خلالها نقل الأفكار والخبرات والمعارف بين الثقافات المختلفة وبالتالي العمل على إثراء الحياة بشتى جوانبها، كون أن اللغة لا تنحصر في مجال الكلام والتواصل فحسب بل هي ثقافة ووعي وتاريخ وهوية " اللغة تمثل الهوية الثقافية لأي مجتمع، فهي ليست مجرد أصوات بل هي تعبير عن معطيات فكرية مقصودة من هذه الرموز الصوتية (١)"

(١) هدى فتحي عبد المنصف، اللغة وسيلة تواصل عبر الثقافات، مجلة بحوث كلية الآداب، العدد ١١٨، ٢٠٠٢، ص٣٧٧.

وتعد اللغة العربية من العناصر الأساسية في تكوين واستمرار الثقافة العربية وهي لغة حية متطورة ولديها القدرة على مزيد من القدرة على التكيف وفقا لمقتضيات العصر، ولذا فإن الحفاظ على سلامتها يعتبر من الضرورات القومية واحد مستلزمات الصيانة التراثية الثقافية بما ينسجم مع الحفاظ على التراث الموروث من ناحية، ومن ناحية أخرى مسايرة عوامل التطور والتحديث "[1].

وتأتي هنا أهمية التأكيد على استثمار كافة الوسائل من أجل أحياء اللغة العربية في ضمير الأمة وذلك لعدة أسباب:

أولا: أن اللغة العربية ترتبط بالشريعة السماوية وهي لغة القرآن الكريم مما يعطيها بعدا روحيا وقدسيا وعقائديا .

ثانيا: أن اللغة العربية هي المرتكز والحور الأساس في لم شمل الأمة العربية ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

ثالثا: أن اللغة العربية تمتلك إرثا ثقافيا وفكريا يرتبط بحياة المجتمعات العربية، فهي سجل الامة ومرتكزها التي تنطلق من خلاله إلى العالم، يوم كانت الامة العربية قبلة المجتمعات التي تبحث عن العلم والتجارة والتطور والمدنية.

وبالتالي فإن إحياء اللغة العربية هو إحياء لثقافة المجتمع العربي وتذكيره بأنه يمتلك من المقومات ما لا يمتلكها غيره يوم كان هو المتصدر في مجال الثقافة والعلم والفكر، وكانت مؤلفاته تترجم إلى لغات العالم، وأن كثيرا من النظريات العلمية والفكرية التي تعرف هنا وهناك في أصقاع العالم إنما هي من إنتاجات فكر المتحدث والكاتب العربي والناطق باللغة العربية، لذا فمن المؤكد أن إعادة إحياء اللغة هو تأكيد بأن اللغة العربية هي لغة الثقافة والفكر وليس كما يشاع بأنها لغة الدول النامية والرجعيين، ومن أجل أن يعتز شبابنا بثقافتهم وألا يتعودوا على فكرة مفادها أن المتحدث باللغة الإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية هو إنسان مثقف متحضر، بل العكس يجب أن تعود اللغة العربية ونفتخر أن يكون المتحدث في المهرجانات والمؤتمرات الدولية متحدثا باللغة العربية لتسود ثقافة العرب وتنطلق من جديد كما كانت .

وهنا يطرح التساؤل التالي، كيف يمكن أن تستثمر الوسائل السمعية والمرئية في إحياء اللغة العربية، وهل هناك تراجع في مستوى تلك الأعمال في تحقيق هذه المهمة، وما هو سبب هذا التراجع.

من المؤكد أن هناك توسعا وتطورا كبيرا في المجال الإعلامي وخصوصا مع تنامي ما شهده العالم اليوم من تطور تقني واتصالي، وعليه فإن المجتمعات تترقب وبشكل مستمر لما يبث عبر وسائل الإعلام المسموعة

(١) سعد لبيب، التخطيط التلفزيوني في دول الخليج، جهاز تلفزيون الخليج، الرياض ١٩٨٥، ص٢٢.

والمرئية " تطورت وسائل العالم تطورا كبيرا في السنوات الأخيرة، بفضل التقدم العلمي والثورة التقنية التي شهدها القرن العشرون، فأصبحت تقوم بدور جوهري في لفت انتباه وإثارة اهتمام الجمهور بالمشكلات والقضايا المجتمعية المطروحة، وصارت مصدرا مهما لتلقي الأخبار والمعارف والمعلومات والثقافة والتربية بسبب انتشارها الواسع وفاعليتها وبقدرتها على مخاطبة القسم الأكبر من التكوين المجتمعي "[١].

وتكمن هنا مسؤولية المتصدرين في مجال الإعلام والفن عبر الوسائل المسموعة والمرئية في حمل مسؤولية ترسيخ مكانة اللغة العربية داخل ثقافة وفكر المجتمعات العربية بل والدفاع عن كل المؤثرات الخارجية التي تحاول طمس معالمها وأصالتها أو النيل منه " فالإعلام الجيد يستطيع أن يلعب دورا كبيرا في تأصيل القيم والأخلاق التي تتفق مع القيم والأخلاق العربية والإسلامية "[٢].

آليات تفعيل مكانة اللغة العربية عبر السينما والتلفاز

يشهد العالم العربي اليوم تراجعا واضحا (كما ونوعا) بالبرامج التي تهتم باللغة العربية على مستوى التعليم من جهة أو على مستوى إبداء أهمية اللغة العربية في إبراز الجانب الثقافي والقيمي لدى المجتمع العربي قياسا بما ينتج من أعمال سينمائية وتلفزيونية مختلفة وخصوصا مع تنامي مفرط للقنوات الفضائية وما يطرح من تلك الأعمال عبر مواقع التواصل الاجتماعي "ومن خلال مسيرة بدأت منذ عام ١٩٧٤ إلى الوقت الحاضر لاحظنا في برامجنا وأعمالنا المرئية والسمعية أن نسبة استخدام اللغة العربية الفصحى تتفاوت مع نسبة استخدام اللهجة العامية، وهنا تبرز انعكاسات سلبية كبيرة على استخدام اللغة في وسائل الاتصال الجماهيري، وذلك للغوص في استخدام اللهجة العامية، وكأنها هي اللغة البديلة عن الفصحى، هذه الانعكاسات السلبية المؤثرة الفعالة نجد أثرها في المتلقي. وقد برزت أعمال تؤكد الاهتمامات الثقافية والأدبية والتراثية في اشاعة المفاهيم التربوية والتعليمية الصحيحة، وخلق حس مرهف، وملكة نقدية نافذة مضافا إلى الجمالية والإبداع فيه "[٣].

(١) خالد حمد عبد القادر بابكر، دور برامج التلفزيون في بث ثقافة السلم المجتمعي دراسة اتجاهات الجمهور نحو برنامج المسامح كريم على موقع اليوتيوب، مجلة الباحث الاعلامي العدد ٣٩ ،٢٠٢٢، ص١٢١.

(٢) عزة محمد رزق شرف الدين، برامج الاطفال الفضائية ودورها في تأصيل اللغة العربية لدى طفل ما قبل المدرسة، مجلة الطفولة العربية، العدد ٧٨، ٢٠١٨، ص٥٦.

(٣) باسم علي مهدي، مؤيد سعيد خلف، اللغة العربية الفصحى واستخداماتها في البرامج والاعمال التلفزيونية، جامعة ديالى، كلية التربية الأساسية، ص٢١ https://basicedu.uodiyala.edu.iq

ومن هنا يجب التأكيد على ضرورة تدخل الجهات الحكومية والمؤسسات المعنية من أجل وضخ خطط كفيلة بإعداد برامج تلفزيونية واعمال سينمائية تتواءم مع مكانة اللغة العربية وأهميتها للمجتمع العربي وثقافته وتراثه ودينه، وخصوصا إذا ما أعدت دراسة متخصصة تأخذ بنظر الاعتبار تنشأة جيل جديد يهتم باللغة ومثقف ثقافة لغوية، لأن الأطفال هم الجيل الواعد وهم الأكثر من بين الفئات من يتأثر بهذه الوسائل حيث تمثل وسائل الاتصال المرئية على اختلافها في وقتنا هذا قوة تعليمية وتربوية تزاحم القوة التعليمية التي يتلقاها الفرد في البيت والمدرسة، حيث تشير الدراسات العربية والأجنبية إلى أن الأطفال شديدو التأثر بالوسائل الإعلامية بشكل عام و بالرسوم المتحركة بشكل خاص، وأنها تلعب دورا كبيرا في زيادة تحصيلهم اللغوي، وفي التأثير على تشكيل النظام القيمي، وفي عملية التنشئة بمفهومها الواسع من حيث أنها تعمل على نشر الوعي، والتعليم والتربية والتثقيف إلى غير ذلك، كما نجدها تساعد في تعليمهم على مجموعة من القيم والأعراف السائدة، والأعراف والمفاهيم اللغوية السائدة في هذا العصر المثقل بالتقنية وتنوع المعارف.

ومقارنة بما كان ينتج من أعمال تلفزيونية (على اعتبار أن هناك ندرة في الإنتاج السينمائي العربي ما عدا جمهورية مصر العربية) فان هذه البرامج كانت تولي اهتماما بقدر معين لتعليم اللغة العربية وإبراز ثقافة اللغة وعلاقته بالهوية الثقافية والفكرية للمجتمع، ومن الأمثلة على الأعمال السينمائية والتلفزيونية.

الأعمال السينمائية: (فلم الرسالة) * وهذا الفلم إضافة إلى إبراز قضية الدعوة الإسلامية وكيفية انتشارها وتسليط الضوء على شخصية الرسول الأعظم محمد (ص) إلا أنه يبرز بشكل واضح استخدام اللغة العربية الصحيحة والسليمة وعملية الاعتياد في مشاهدة هكذا أفلام تتيح إمكانية محاكاتها وتقليدها فينتج عن ذلك جيد له إمكانية جيدة في حفة وصيانة اللغة من ألفاظ وتعبيرات دخيلة .

المسلسلات التلفزيونية: (مسلسل أحلى الكلام)* وهي تتحدث عن مدينة القواعد، مسلسل تلفزيوني عراقي لتعليم اللغة العربية بطريقة درامية جميلة، فكرة البرنامج تتحدث عن أستاذ لغة عربية يقضي يومه في تدريس اللغة العربية بمجهود واضح، وما أن يخلد إلى النوم حتى تراوده الأحلام الجميلة وكأنه يطير على بساط الريح إلى مدينة القواعد، ليشاهد ويتعرف على ملكة المدينة، فتصطحبه بجولة داخل المدينة وشوارعها ويلتقي هناك بعدد من الشخصيات التاريخية التي تكون لها صلة بعلم النحو

* فيلم سينمائي من اخراج المخرج السوري العالمي الراحل مصطفى العقاد، انتاج عام ١٩٧٦، شارك به خيرة الممثلين العرب.
* مسلسل عراقي من انتاج شركة بابل لصالح تلفزيون جمهورية العراق لعام ١٩٨٦، اخراج عماد عبد الهادي وتأليف شريف الراس ومن بطولة جعفر السعدي وامل حسين ونخبة من نجوم الفن العراقي.

والإعراب، ومن خلال الحوار بين الشخصيات يتم طرح أسلوب تعليمي مبسط يتناول قواعد اللغة العربية، ويقومون بتصحيح الأخطاء الشائعة المستخدمة في اللهجة العراقية المحلية، إضافة إلى الفقرات الترفيهية في البرنامج مع استخدام الرقيب اللغوي الذي عادة ما يعقب على الأخطاء اللغوية.

البرامج التلفزيونية: (برنامج المناهل)* هو برنامج تعليمي وتربوي أردني شهير عرض على شاشة التلفزيون الأردني، تميز في الإخراج والموضوع، حيث اشتمل على فقرات تعليمية في مختلف الموضوعات، واستخدم فيه أسلوب مشوق ينسجم مع ذهنية الطفل من خلال التمثيل البسيط والأسلوب الكوميدي الساخر من أجل ترسيخ مفاهيم اللغة البسيطة في عقل الطفل بشكل مبسط ومشوق.

هذه الأعمال على اختلاف أنواعها التقنية والفنية وغيرها الكثير مثل برنامج (افتح يا سمسم) من

إنتاج مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي الذي وظف جزءاً من فقراته لتأكيد أهمية اللغة العربية وعملية إتقانها، بل وحتى البرامج التي لا تحوي في فقراتها على اللغة العربية كبرنامج (سلامتك) ولكنها تستخدم اللغة العربية في تقديمها وفقراتها، فالمتابع لهكذا برامج يمكن أن يحاكي هذه الرسالة السمعية والبصرية ويصبح ذو مهارة لغوية مع تقادم الأيام.

وهنا لا بد من الإشارة إلى ما يحدث في الوقت الراهن من إنتاج سينمائي وتلفزيوني، وكيف يمكن تقييم هذا الوضع، لأن هذه الأعمال إنما تنطلق من قضية ربحية في المقام الأول وقضايا أخرى قد تكون دعائية أو سياسية، وبالتالي تحاول بكل ما تملك من قدرات أن تحاكي الجيل الحالي بمديات التأثير التي تأتي من الخارج، أي خارج مجال الثقافة العربية، وبالخصوص استخدام اللهجات العامية التي تستخدم ألفاظا شعبية دون مستوى الوعي والثقافة العربية إضافة إلى استخدام المفردات غير العربية التي بدأت تتسع وتنتشر بشكل كبير.

فأغلب البرامج الحالية التي تبث إلى المجتمعات العربية وتلاقي رواجا كبيرا هي برامج بعيدة عن ثقافة المجتمع بالقدر التي هي بعيدة عن ثقافة اللغة وتشجع على امتلاك وتعميم لغة الشارع أو لغة التحديث التي تتداول عبر مواقع التواصل الاجتماعي بألفاظها وبعدها القيمي والثقافي الجديد.

ومن هنا ينبغي أن توضع سياسة جديدة تحول تلك الآليات المتبعة إلى مشروع عمل يهتم باللغة كأداة تسهم في تنمية الجيل حالها حال المشاريع التنموية (الصناعية والزراعية والتجارية والسياحية) بل أكثر من ذلك لأنها ترتبط بماهية الإنسان العربي وثقافته وتاريخه وحاضره ومستقبله.

* برنامج اردني، من انتاج التلفزيون الأردني بالتعاون مع ورشة تلفزيون الأطفال الأردنية لعام ١٩٨٧، من اخراج حسن أبو شعيرة ونجده انزور وتأليف هشام يانس وتمثيل نخبة من نجوم الفن الأردني.

فعلى مستوى الأفلام السينمائية ينبغي أن تؤسس حكومات الدول العربية من ضمن مؤسساتها السينمائي مشروعا يهتم بإنتاج أفلام تكون مهمتها دعم اللغة العربية وتأكيد أصالتها عبر الاستعانة بالمختصين في هذا المجال ويكون كالاتي:

١-إنتاج أفلام سينمائية عربية مشتركة تتحدث اللغة العربية الفصحى، وتكون موضوعاتها هادفة تنطلق من صميم القيم العربية، على اعتبار أن الأعمال السمعية والمرئية لها دور كبير في تعميق الهوية الثقافية "أن ما تقدمه هذه الوسائل من دراما خيال علمي وبرامج ثقافية وتنموية قد عظم دورها في نشاطات الحياة وفي توجيه مسارات عملية التغيير الاجتماعي وتعميق المفاهيم التي تطرحها هذه العملية وبلورة القيم التي تقوم عليها وترسيخها فضلا عن زيادة الثروة المعرفية والثقافية للجماهير" [١].

٢-انتاج أفلام عربية تعتمد في موضوعاتها على شخصيات أدبية أو فكرية وثقافية من أجل التأكيد على أصالة اللغة العربية كتناول سيرة المتنبي وسيبويه والخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهم ممن لهم مكانة معروفة في حقل اللغة العربية وآدابها.

٣-انتاج أفلام رسوم متحركة تعنى باللغة العربية على مستوى الحوار والمضمون وبشكل شيق وسلس وتستهدف الأطفال.

٤-وضع قوانين صارمة لترجمة الأفلام الأجنبية التي بدأت تغزو الساحة السمعية والصورية العربية، حيث لا وجود لرقابة تذكر في هذا الشأن فبدا واضحاً وجود ترجمات تستخدم اللغة العامية فضلا عن الأخطاء اللغوية والإملائية.

٥-الاهتمام بإنتاج الأفلام التاريخية والدينية التي يكون منطلقها هو الاهتمام باللغة العربية وترسيخ ثقافة اللغة العربية.

أما على صعيد الأعمال التلفزيونية فينبغي أن يكون العمل بما يلي:

١-الاهتمام بالأعمال التلفزيونية (برامج أو مسلسلات أو غيرها) التي تعنى باللغة العربية على مستوى التعليم ونشر القيم العربية الاصيلة.

---

(١) رحيم علي عبد واخرون: تحليل مضمون عينة من البرامج الثقافية المقدمة من اذاعتي بغداد وصوت الجماهير، بحث منشور في مجلة البحوث ،اتحاد اذاعات الدول العربية ،المركز العربي للبحوث ،العدد، ٢٥ بغداد ١٩٨٩، ص٢٣.

٢-الاهتمام بالأعمال الدرامية التلفزيونية التي تنطلق من مفهوم القرآن، وتحاول أن تبرز إعجاز القرآن باستخدامه لمفردات اللغة العربية من أجل ترسيخ إعجاز القرآن وعظمة اللغة العربية وفك شفرة سر اختيار السماء للغة العربية لتكون لغة القرآن.

٣- تناول شخصيات أدبية وفكرية وثقافية تبرز أهمية اللغة العربية في نشر العلوم والثقافات والآداب على الصعيد العربي والعالمي.

٤-استضافة شخصيات متخصصة باللغة العربية ومحاورتها بشكل معمق وتناول موضوعات تهتم بإشاعة مفهوم اللغة العربية وأصالتها وارتباطها بالتراث العربي والإسلامي.

٥-الاهتمام ببرامج الأطفال من ناحية الكم والنوع والعمل على إحياء البرامج القديمة التي كان لها تأثير واضح في الشارع العربي مع استحداث فقراتها لتكون موائمة مع طبيعة العصر.

٦-إشاعة فكرة أن اللغة العربية هي لغة الثقافة والعلم والأدب عبر صناعة برامج تلفزيونية متنوعة، ومحاولة إحياء التراث العربي حينما كانت المؤلفات العربية تترجم إلى لغات العالم.

وغير هذا كله يفترض أن يعمد القائمون على المؤسسات الإنتاجية في مجال الأعمال السينمائية والتلفزيونية على تبني فكرة إنتاج أفلام قصيرة توظف من أجل بثها وبسهولة تامة عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي الذي بدأ تأثيره يأخذ بالاتساع لتكون ثقافة اللغة العربية وما تحمله من بعد معرفي وثقافي مشاعة بين جميع فئات المجتمع العربي بكل مكوناته.

النتائج:

١-إن اللغة هي أداة رئيسة في التواصل وإنتاج المعارف وتبادل الخبرات الأفكار والمشاعر بين أفراد المجتمع الواحد أو بين شعوب العالم المختلفة.

٢-تعد اللغة العربية أهم تلك اللغات وأعرقها، وهي تمتلك من المميزات ما تجعلها متفردة عن باقي لغات العالم، ويمكن لها أن تعود لغة الأدب والعلم والفكر أن سعت الجهات المسؤولة في الاهتمام بها بالشكل الأمثل.

٣-ترتبط اللغة العربية بكيان وثقافة وقيم ودين الفرد العربي المسلم، وبالتالي فهي هويته ودعامته التي يرتكز عليها.

٤-تعد الأعمال السينمائية والتلفازية من الأعمال المؤثرة في المجتمعات وبالخصوص في المجتمع العربي.

٥-هناك عدم اهتمام من القائمين على الأعمال السينمائية والتلفازية في تناول موضوعات تحيي اللغة العربية في نفوس الفرد العربي وتزيد من ارتباطه بها.

٦- يمكن أن توظف كافة الإمكانيات من أجل إعادة تفعيل الأعمال السينمائية والتلفازية وخصوصا التوجه نحو الشباب والأطفال لأنهم عماد المجتمع ومستقبله.

التوصيات:

١-إقامة مؤتمرات عربية تأخذ على عاتقها استضافة ذوي الاختصاص في الفنون الإعلامية والسينمائية والتلفزيونية فضلا عن متخصصين في اللغة العربية مع المسؤولين الحكوميين الذين يرعون تلك المؤسسات الإعلامية إضافة إلى المستثمرين والباحثين والمهتمين في هذا المجال من أجل رسم خارطة طريق لإنتاج أعمال تعنى باللغة العربية.

٢-تدريب كوادر نخبوية مهمتها العمل على دراسة وتطوير برامج يمكن أن ترتقي بواقع اللغة العربية وعلاقتها بالواقع الثقافي والفكري لدى أفراد المجتمع العربي.

٣-إعادة إحياء البرامج التي تعنى باللغة العربية والتي كانت تبث في قنوات عربية ولها مقبولية وصدى واسع في المجتمع العربي مع إعادة تحديثها لتلائم تغيرات العصر.

٤-إقامة المؤتمرات والنشاطات والورش العلمية وكتابة البحوث في مجال العلام والفنون السينمائية والتلفزيونية من أجل إيجاد حلول ومقترحات يمكن أن تسهم في تطوير العمل السينمائي والتلفازي الخاص بتفعيل اللغة العربية وثقافتها عند الفرد العربي.

المصادر:

القرآن الكريم سورة البقرة، آية ٣١.

١. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
٢. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣،ج١.
٣. بابكر، خالد حمد عبد القادر، دور برامج التلفزيون في بث ثقافة السلم المجتمعي دراسة اتجاهات الجمهور نحو برنامج المسامح كريم على موقع اليوتيوب، مجلة الباحث الاعلامي العدد ٣٩، ٢٠٢٢.

٤. باسم علي مهدي، مؤيد سعيد خلف، اللغة العربية الفصحى واستخداماتها في البرامج والأعمال التلفزيونية، جامعة ديالى، كلية التربية الأساسية.

٥. بن جني، ابو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، عالك الكتب، ج١، ص٣٣.

٦. الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

٧. داوود، احمد، تاريخ سوريا الحضاري القديم، دار الصفدي للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.

٨. دي سوسير، محاضرات في الالسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، دار النعمان للثقافة، بيروت، ١٩٨٤.

٩. رزقي، الطيب، محاضرات في فلسفة اللغة، جامعة الاخوة منتوري، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر، ٢٠١٣.

١٠. شرف الدين، عزة محمد رزق، برامج الاطفال الفضائية ودورها في تأصيل اللغة العربية لدى طفل ما قبل المدرسة، مجلة الطفولة العربية، العدد ٧٨، ٢٠١٨.

١١. شلبي، اكرم، معجم المصطلحات الإعلامية، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤.

١٢. عبد المنصف، هدى فتحي، اللغة وسيلة تواصل عبر الثقافات، مجلة بحوث كلية الآداب، العدد ١١٨، ٢٠٠٢.

١٣. عبد، رحيم علي واخرون: تحليل مضمون عينة من البرامج الثقافية المقدمة من اذاعتي بغداد وصوت الجماهير، بحث منشور في مجلة البحوث، اتحاد اذاعات الدول العربية، المركز العربي للبحوث، العدد، ٢٥ بغداد ١٩٨٩.

١٤. عمر، عبد المجيد الطيب، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة ام درمان، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات النحوية واللغوية، ٢٠١٠.

١٥. لبيب، سعد، التخطيط التلفزيوني في دول الخليج، جهاز تلفزيون الخليج، الرياض ١٩٨٥.

١٦. مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، مجلد٢٨.

١٧. ملوحي، ناصر محي الدين، اللغة العربية أصل اللغات العالمية، دار الغسق للنشر، سوريا، ٢٠٢٠.

دور اللغة العربية في التعليم والتعلم

د / عبد الرحمن الشرفي
أستاذ محاضر في جامعة الأندلس للعلوم والتقنية
وبعض الجامعات اليمنية

دور اللغة العربية في التعليم والتعلم – د / عبد الرحمن الشرفي

المقدمة:

تعد اللغة العربية لغة العرب والمسلمين، ولغة القرآن الكريم، ولغة أهل الجنة، ويكفينا فخرا واعتزازا نزول القرآن الكريم باللغة العربية ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ يوسف:(٢) وتعتبر اللغة العربية من أهم اللغات المعاصرة وأكثرها انتشارا، حيث تصنف في المرتبة الرابعة من حيث عدد المتكلمين بها في العالم، كما أنها من أقدم اللغات وأكثرها عراقة، وأصبحت لغة معتمدة رسميا في الأمم المتحدة عام ١٩٧٤م.

وتتميز اللغة العربية، أو لغة الضاد كما يطلق عليها بمجموعة من الميزات والخصائص التي تجعلها متفردة عن باقي اللغات الأخرى، باعتبار ما تقوم به من نهضة البلدان العربية والإسلامية وتطويرها. وتحتل اللغة العربية أهمية كبرى لدى شريحة عريضة من سكان العالم كما ذكر حسن شحاته (٢٠٠١م)، ويعود السبب في ذلك إلى كونها لغة القرآن الكريم الكتاب المقدس للدين الإسلامي، الذي يعتنقه ملايين الناس في مختلف أنحاء العالم، وإضافة إلى الدافع الديني تتميز اللغة العربية بعدة صفات ومميزات تجعلها واحدة من أفضل اللغات إن لم نقل الأفضل بينهم جميعا، وذلك بشهادة اللغويين والمتخصصين الغربيين والعرب معا.

كما تلعب اللغة العربية دورا كبيرا في التعليم كما أشار بذلك توين مرتضى (٢٠٠٧م)، فمنذ ظهور الإسلام وهذه اللغة أصبحت تحتل مكانة مهمة في هذا المجال، ومرجع ذلك إلى الاهتمام الكبير الذي أولاه المسلمون لها، والذي بدأ من العلوم الدينية التي كانت تحاول تفسير القرآن الكريم ووضع أسس العلوم المرتبطة به كالتفسير والفقه والحديث، ثم تطور هذا الاهتمام ليشمل باقي العلوم الإنسانية والطبيعية، خاصة بعد الازدهار الكبير الذي عرفته الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط.

وتتجلى أهمية اللغة العربية في قدرتها الكبيرة على استيعاب مختلف العلوم والتخصصات سواء الدينية منها، أو الإنسانية والطبيعية وحتى التقنية منها، جراء ما تتميز به من غنى في المصطلحات والقواعد والأوصاف والتشبيهات، التي تمكن من إيصال المعنى المقصود بشكل أوضح ومساعد على الاستيعاب والفهم.

وعلى هذا الاهتمام قديما وحديثا أصبحت اللغة العربية لغة العصر وبها تم ويتم مخاطبة الزعماء والملوك على مر الدهور والأزمان.

لكن؛ مع مرور السنين ودخول لغات أخرى ولهجات محلية على المجتمعات العربية والإسلامية أثرت وبشكل ملحوظ على اللغة العربية، من التخاطب بها ودراستها وتعلمها مما شكل ضعفا وقصورا بين فئات المجتمع وبين الأسرة الواحدة، بل أضحى من يتحدث بها محل لمز وهمز وسخرية، وهذا ما يلاحظه معظم الباحثين والمعلمين.

لذلك كان لزاما على الجهات المعنية في جميع مؤسسات التعليم، بدئا من مرحلة الطفولة حتى الجامعة الاهتمام باللغة العربية، وتوفير الكوادر المؤهلة لتقديم اللغة العربية بصورة سليمة وصحيحة، مع إلزام الدارسين التخاطب بها في كل مكان يذهبون إليه، مع غرس حب اللغة العربية في نفوس النشء، وهذا ما جعل الباحث يقوم بهذه الدراسة للوصول إلى نتائج تعالج الضعف الموجود.

أولا: أسباب اختيار موضوع البحث:

١- الضعف القرائي من خلال صعوبة القراءة والكتابة وتركيب الجمل وتحليلها.
٢- الضعف اللغوي وذلك من خلال نطق الكلمات حسب الحركات من ضم وفتح وكسر وسكون وتشديد وغيرها من الحركات.
٣- أسباب عضوية مثل العيوب البصرية والسمعية وعيوب النطق والكلام.
٤- ومنها كما أشار فتحي ذياب (٢٠١٠م) أسباب انفعالية والبيئة والتربية والأسباب التعليمية.
٥- القصور في مناهج تعليم اللغة العربية واعدادها وتطورها بسهولة ويسر.
٦- قصور طرق التدريس في اشباع حاجات التلاميذ، مما يترتب عليه فشلهم في إكساب المهارات الأساسية.
٧- طول المنهاج الذي يستنفذ معظم جهد المعلم ووقته.
٨- عدم مراعاة المنهاج للفروق الفردية وعدم ملاءمتها لطرق التدريس.
٩- تجاهل المنهاج لميول واهتمامات الطلاب.
١٠- عدم ربط الأنشطة ببرامج المنهاج بشتى صوره وأنواعه.

ثانيا: مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال الرئيس الاتي:

ما دور اللغة العربية في عملية التعليم والتعلم؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي التساؤلات الآتية:

١- ماهي مكانة اللغة العربية في التعليم؟

٢- ما موقع اللغة العربية من الثقافة التربوية والتحديات التي تواجه الثقافة العربية؟

٣- ما مكانة اللغة العربية من الدراسات الأدبية والثقافية؟

ثالثا: أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسية في الآتي:

١- قد تفيد هذه الدراسة القائمين على إعداد المناهج الدراسية لمادة اللغة العربية في تلافي الضعف الموجود في المناهج ومعالجة أوجه القصور.

٢- قد تساعد هذه الدراسة الباحثين للبحث عن جوانب أخرى لم تتطرق لها هذه الدراسة.

رابعا: أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة في الجوانب الآتية:

١- التعرف على أهمية اللغة العربية ودورها في التعليم والتعلم ومعرفة خصائص اللغة العربية.

٢- معرفة دور اللغة العربية في التواصل والتفاعل بين المعلمين والمتعلمين.

٣- التعرف على مدى تأثير اللغة العربية على تنمية مهارات اللغة بشتى أنواعها.

٤- معرفة مكانة اللغة العربية من الثقافة التربوية وماهي التحديات التي تواجه الثقافة العربية.

٥- التعرف على الأدب العربي وتأثيره على تعليم اللغة العربية والتراث الأدبي وعلى الوعي الثقافي لدى المتعلمين.

خامسا: حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة في الآتي:

١- الحدود الموضوعية: من الإطار النظري في معرفة دور اللغة العربية في التعليم والتعلم.

٢- الحدود المكانية: جامعة الأندلس الأهلية.

٣- الحدود الزمانية: للعام ١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤م

* الدراسات السابقة:

*** دراسة سارة عبد الحميد الحمادي (٢٠٠٨م).**

هدفت الرسالة إلى قياس استخدام ما وراء المعرفة في تنمية الفهم القرائي والوعي بما وراء المعرفة لدى تلاميذ الصف الثامن الأساسي في الجمهورية اليمنية، وكانت أداة الدراسة قائمة موزعة في أنماط سبعة للفهم، وإعداد اختبار تحصيلي لقياس الوعي بما وراء المعرفة، وتم استخدام

المنهج التجريبي على عينة من طالبات الصف الثامن والبالغ عددهم (١٢٩) طالبة، وتوصلت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تلميذات المجموعتين التجريبية والضابطة، في الدرجة الكلية لاختبار الفهم القرائي.
- توجد علاقة طردية موجبة ذات دلالة إحصائية بين الوعي بما وراء المعرفة والفهم القرائي.

***دراسة شايع سعود الشايع (٢٠٠٧).**

هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى فاعلية استراتيجيتين من استراتيجيات التعلم التعاوني وهما استراتيجية فرق التحصيل واستراتيجية المجاميع الفرعية على الفهم القرائي لطلاب المرحلة المتوسطة في مادة اللغة العربية، مقارنة بالطريقة التقليدية في التدريس، تألفت عينة الدراسة من (٣٤٩) طالبا وطالبة من الصف السابع من المرحلة المتوسطة، مستخدما أداة لجمع وقياس النتائج، وقد توصلت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطريقة التقليدية واستراتيجيتي التعلم التعاوني لصالح مجموعة استراتيجيتي التعلم التعاوني.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استراتيجيتي التعلم التعاوني في أثرها على الفهم القرائي تبعا لمتغير الجنس.

***دراسة عصام علي مقداد (٢٠٠٨م).**

هدفت الدراسة إلى معرفة مستوى التذوق الأدبي لدى معلمي اللغة العربية بالمرحلة الأساسية، بواسطة بناء استبانة للتعرف على المهارات التي ينبغي لمعلم اللغة العربية امتلاكها، ومقياس للتذوق الأدبي مكون من (٥٤) فقرة، وتوصلت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

- وجود ضعف في مستوى التذوق الأدبي لدى معلمي اللغة العربية.

*دراسة إيمان أحمد النوري (٢٠١٠).

هدفت الدراسة إلى التعرف على صعوبات تعلم القراءة لدى تلاميذ الصف الرابع الأساسي وتصور مقترح لعلاجها، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من تلاميذ الصف الرابع أساسي والبالغ عددهم (٨٥) تلميذا، ومن معلمي ومعلمات اللغة العربية بعدد (٥٢) معلما ومعلمة، وتمثلت أدوات الدراسة من استبانة وبطاقة ملاحظة لتحديد صعوبات القراءة، وتوصلت الدراسة إلى اهم النتائج الآتية:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى صعوبات تعلم القراءة لدى تلاميذ الصف الرابع الأساسي تعزى للمستوى الدراسي العام (متفوق- متوسط- متدن).

الإطار النظري للدراسة.

المبحث الأول: اللغة العربية والتعليم.

المطلب الأول: أهمية اللغة العربية كلغة تعليمية وخصائصها.

لابد أن نضع في الحسبان أهمية اللغة العربية باعتبارها اللغة الأم كعرب وكمسلمين، ونوليها جل اهتمامنا في جميع مؤسسات الدولة، وعلى رأسها التربية والتعليم ومؤسسات التعليم العالي، من خلال وضع مناهج قوية ومعلمي أكفاء يخضعون لاختبارات تحدد مستواهم، والعمل على تدريبهم قبل البدء بعملية التدريس الفعلي، مع المتابعة والتقييم المستمر طوال العام الدراسي لمستوى تحصيل الطلبة، ومدى ممارسة التخاطب بها على الدوام.

ومن أهمية اللغة العربية كما وضح ذلك عصام مقداد (٢٠٠٨م)، القدرة على فهم القرآن وتفسيره، ولا يستطيع أحد فهم المعاني الصحيحة لآيات القرآن الكريم والتأمل في آياتها والتفسير الصحيح لها دون أن يكون على دراية كاملة باللغة العربية، ملما بتفاصيلها.

وهي اللغة الأساسية لكتاب الله، ولكي يصل الإنسان إلى المعنى الصحيح لآيات القرآن الكريم، كما تحتوي اللغة العربية على العديد من أنواع ومعاني المترادفات، لذلك نجد أنه يمكن التعبير عن كل كلمة بعدد كبير من الكلمات الأخرى وهذه من خصائص ومميزات اللغة العربية، على عكس بعض اللغات الأخرى التي يصعب فيها التعبير عن كلمة بكلمات أخرى مختلفة.

إن فهم اللغة العربية الفصحى يساعد الإنسان على فهم الدين والتعرف على أحكامه وتشريعاته وتفاصيله وكل ما يتعلق به، وتعاليم الشريعة الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسير التابعين والسلف كلها مذكورة باللغة العربية، وهذا الأمر أعظم دليل على أهمية هذه اللغة.

ونجد كثيرا من الذين اعتنقوا الإسلام مؤخرا لديهم معرفة ضعيفة باللغة العربية يواجهون بعض الصعوبات في التعلم، أو يلجؤون إلى الترجمة للحصول على ما يريدون معرفته.

ويعد التعليم من أهم المجالات التي تتطلب اللغة العربية باستمرار، وإتقانها، من خلال الكتب التي تكتب وتطبع للتدريس.

بالإضافة إلى طرق التعلم والتفسير المختلفة التي يجب أن تكون بهذه اللغة حتى يتمكن الطلاب من الاستفادة الكاملة من المعلومات المقدمة لهم.

وعند الحديث عن التعليم أيضا، فهو يهدف أيضا إلى تعلم القرآن الكريم ومعانيه ومعرفة أصول الحديث الشريف وتفسيراته المختلفة من أجل أن يكون الفرد على علم دائم ومستمر بالدين من جميع الجوانب، ولكي يحدث هذا يجب أن يكون الشخص على دراية باللغة ومتقن بها.

*خصائص اللغة العربية.

لا شك أن اللغة العربية لها خصائص كثيرة سوف نذكرها في السطور التالية كما أشار اليها حسني عبد الباري (٢٠٠٥م):

ضمن مقال أهمية اللغة العربية:

-البلاغة: وهي عندما يخلو الكلام من التنافر مع الكلمات، وضعف التكوين، والتعقيد اللفظي.

-المرادفات الكثيرة: وهو عندما يشير عدد من الكلمات إلى نفس المعنى المقصود.

- الأصوات ودلالة معانيها: بمعنى أن معنى الكلمة يفهم بشكل عام، أو بالتحديد من خلال الصوت فقط، وهذا من أهم سمات اللغة العربية.

- المفردات: تزخر اللغة العربية بعدد كبير جدا من المفردات، ولا توجد لغة أخرى تحتوي على رقم يزيد، أو يساوي الرقم الذي تحتويه لغة الضاد.

-العرض: وهو العلم الذي ينظم أوزان الشعر وموضوعاته، ويضع القواعد الأساسية لكتابة الشعر، مما جعل الشعر العربي أكثر بلاغة وبلاغة نتيجة اتباعه لموازين محددة وقواعد أساسية.

-المثابرة الحرة: من أكبر التحديات التي واجهتها العربية مثابرتها وانتصارها على --عامل الزمن والتنمية. بينما تطورت لغات أخرى مثل اللغة الإنجليزية واختلفت بشكل كبير بمرور الوقت.

-التخفيف: وهو أن معظم المفردات في اللغة العربية لها أصل ثلاثي، ثم الأصل الرباعي، ثم الخماسي، على التوالي، في وفرته في أصول المفردات العربية.

المطلب الثاني: دور اللغة العربية في التواصل والتفاعل بين المعلمين والمتعلمين.

حتى نعرف دور اللغة العربية في التواصل والتفاعل بين المعلمين والطلبة لابد من الملاحظة المستمرة في ذلك والتقويم المستمر لمعرفة مدى التواصل والتفاعل والتخاطب باللغة العربية في المؤسسة التعليمية، وفي البيت والحي والسوق والمسجد، مع مخاطبة أولياء أمور الطلبة في مدى اهتمام أبنائهم باللغة العربية تحدثا ونطقا وممارسة، وهذا الأمر من مسئولية الجميع، والنهوض باللغة العربية مسئولية الجميع دون استثناء.

إن العلاقة بين مهارات اللغة العربية تكاد تكون علاقة تفاعلية وتترابط هذه العلاقة لتنشئ تواصلا فعالا ونشطا بين المعلم والمتعلمين أنفسهم، وهذا ما ذهب إليه رحاب عبدالله (٢٠٠٥م)، وتتمثل العلاقة بين الاستماع والقراءة في آن واحد يشمل كليهما استقبالا للفكر من الآخرين، ولكي يكون المتعلم قادرا على إدراك الكلمات والجمل والعبارات المطبوعة عند قراءتها، فإنه لابد أن يكون قد استمع إليها من المعلم منطوقة بطريقة صحيحة عن طريق التلقين، فالفهم في القراءة يعتمد على فهم القارئ لغة الكلام، وإن المهارات المكتسبة في الاستماع هي أيضا أساس للنجاح في تعلم القراءة، فكلما كان الطالب مستمعا جيدا ستكون قراءته جيدة.

لذا يعد إهمال الاستماع سببا من أسباب ضعف المتعلمين في القراءة، وتعد الكلمات الأكثر سهولة في القراءة هي الكلمات التي سمعها المتعلم وتكلم بها من قبل، وتتضح العلاقة بين الاستماع والتحدث في أنهما ينموان ويعملان معا بالتبادل ويكمل أحدهما الآخر، وأن النمو في أحدهما يعني النمو في الآخر، وهذا ما يلاحظه المعلم، وبالتدريب يحصل المتعلم على كفاية فيهما، كما أن فرص تعلم الاستماع، توجد في كل مواقف الحديث، فهناك علاقة بينهما يمكن تصورها على أنها علاقة تفاعلية والاستماع الجيد عامل أساس في القدرة على الكلام، بحيث لا يستطيع المتعلم أن ينطق الكلمات نطقا سليما إلا إذا استمع إليها جيدا، وتوجد علاقة بين مهارات الاستماع ومهارات الكتابة، لأن إتقان الكتابة يعتمد أساسا على الاستماع الجيد، الذي يمكن المتعلم من التمييز بين الحروف والأصوات ولا شك بأن المستمع الجيد يستطيع أن يزيد من ثروته اللغوية والفكرية والثقافية، فيزداد تعبيره غنى وثروة. وعلى الرغم من أن التحدث فن تعبيري والقراءة فن استقبالي إلا أن هناك علاقة كبيرة بين التحدث والقراءة، فكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، ويؤدي الضعف في التحدث إلى ضعف في القدرة على القراءة، ومن ثم على الكتابة، أما العلاقة بين القراءة والكتابة فعلاقة وثيقة، لأن الكتابة تعزز التعرف إلى الكلمة والإحساس بالجملة، وتزيد من ألفة المتعلمين بالكلمات، وكثير من الخبرات في القراءة تتطلب مهارات كتابية ومعرفتها بواسطة القارئ تزيد من فاعلية قراءته، ومن جانب آخر، فإن المتعلمين غالبا لا يكتبون كلمات وجملا لم يتعرفوا إليها من خلال القراءة فمن خلال الكتابة قد يتعرف المتعلم إلى الهدف، أو الفكرة التي يريد التوصل بها إلى القراءة، فالكتابة تشجع المتعلمين على الفهم والتحليل والنقد لما يقرؤون، وبالنهاية لا يعدو أن يكون الاتصال اللغوي بين متكلم

ومستمع، أو بين كاتب وقارئ، ويبقى للغة العربية مهارات أربع هي: الاستماع، أو الانصات والتحدث والقراءة والكتابة.

المطلب الثالث: تأثير اللغة العربية على تنمية مهارات القراءة والكتابة لدى الطلبة.

من الملاحظ بصفتي مدرسا ومشرفا تربويا لسنوات لاحظت وجود ضعف وقصور كبير جدا في مستوى القراءة والكتابة لدى الطلبة، أما النطق والتخاطب بها فحدث ولا حرج، بل لاحظت من خلال تدريسي في الجامعات لدى كثير من الطلبة ممن يعانون من ضعف وقصور شديدين في القراءة والكتابة (الإملاء) وبعضهم لا يستطيع أن يقرأ ما كتبه، ومن خلال تجربتي معهم وملاحظتي لذلك كنت اكلفهم بواجبات منزلية وكتابة بحوث ذات صلة بالمادة، وذلك حتى يتحسن مستواهم في القراءة والكتابة، كما يتم اختيار مجموعة منهم ليقوم بدور التدريس والالقاء، وذلك من أجل كسر حاجز الخوف لديهم، وتحسين مستواهم في القراءة والكتابة.

وتأتي القراءة والكتابة في مقدمة مهارات اللغة العربية أهمية وإليه اشارت سارة الحمادي (٢٠٠٨)، وتعتبر من الأساسيات، كمهارتي استقبال وإنتاج، فالقراءة بوابة التعلم في كل الميادين، وتعلمها ليس لذاته فحسب، ولكن لغيرها أيضا من صنوف المعرفة، كما أن الكتابة إنتاج لهذه المعرفة من خلال المدخلات، وتعبير عن مقدار ما اكتسب المتعلم وتمثل من هذه المعرفة، فإذا كانت القراءة مفتاح التعلم، فإن الكتابة هي التعلم ذاته.

المبحث الثاني: اللغة العربية والثقافة التربوية والتحديات التي تواجه الثقافة العربية.

المطلب الأول: الثقافة العربية ومكانتها في التعليم:

لعل البعض يتفق مع الباحث بأن الثقافة العربية في المجتمعات العربية، تكاد تكون مهمشة؛ بسبب طغيان اللغات واللهجات المحلية الدخيلة على المجتمعات العربية والإسلامية، مما أثر سلبا على الثقافة العربية الأصيلة، حتى أصبحت الثقافة العربية على هامش الحياة، وهذا يعد مؤشرا خطيرا على الثقافة العربية، إذا لم يتدارك أمرها قبل فوات الأوان فستطغى اللغات الأخرى محل ثقافتنا ولغتنا العربية، ولن نجد إلا القليل من يهتم بذلك.

ولقد كتب سعد علي زاير (٢٠١٥م)، كانت اللغة العربية وثيقة الأواصر بهوية هذه الأمة، ووجودها وشخصيتها وخصائصها، فقد وعت منذ أمد بعيد تكوين الأمة الحضاري والثقافي، وواكبت تطور تراثها الثقافي في العلوم، والآداب، والفنون، والتشريع، والفلسفة، وغيرها من العلوم الإنسانية، وتعهدت نقله من جيل إلى جيل عبر العصور، فهي قلب الأمة النابض وجهازها المحرك، ومعروف أن اللغة العربية من اللغات

المهمة منذ القدم، فمع حملنا بتفاصيل نشأتها، لعدم تلك الأوائل آثارا مكتوبة من الأزمنة القديمة، نحن نعرف أنها كانت في أوج اكتمالها ونضجها منذ نحو ستة عشر قرنا من الزمن، وكانت لهجات القبائل العربية في الجزيرة قد تفاعلت فيما بينها، وتكاملت في لهجة قريش، أهل مكة التي كانت مركزا للحياة الاقتصادية والاجتماعية، والدينية تأتي القبائل لزيارة الكعبة الشريفة، وللمفاخرة والتنافس في الشعر، والخطابة، وللتجارة وتبادل السلع.

إن المسلمين قد اهتموا بضبط اللغة وجمعها، وتحديد ألفاظها، وقد أدى هذا الاهتمام إلى ظهور المعاجم اللغوية، والنحوية، والصرف والعروض.

المطلب الثاني: تأثير اللغة العربية في تعزيز الثقافة والهوية العربية لدى المتعلمين.

يقال بأن فاقد الشيء لا يعطيه فعندما نجد القدوات من المعلمين لا يعطون أهمية كبيرة باللغة العربية عند ممارستهم مهنة التعليم فكيف سيتم تعزيز الثقافة والهوية العربية لدى الطلبة؛ لابد من إحداث ثورة لإحياء ما اندثر من هويتنا وثقافتنا العربية حتى ينشأ جيل جديد يعطي أهمية كبيرة للغة العربية يغرس فيه حب اللغة العربية وحب الانتماء لها وممارستها.

تأثيرها على ثقافة المسلمين يكون من عدة أوجه، منها كما أشارت ثريا محجوب (٢٠٠٠م):

- أسلوب التحية بالتسليم ورده، واستخدام بعض مصطلحات عربية متعلقة بالدين، وفي المجتمع الإسلامي كالصلاة والحج والزكاة، والنكاح والطلاق.

كاد ألا يوجد مسلم لا يفهم أو لا ينطق بتلك المصطلحات اللغوية العربية، مهما كان ضعفه في العربية، وإن لم يكن عربيا.

- وأسلوب الكتابة بالأحرف العربية عند بعض اللغات المنتمية إلى الإسلام، كالفارسية، والتركية، والمالاوية، والهاوسا، والأوردية، وغيرها من اللغات التي تعتبر لغات المسلمين.

- قرض مفردات اللغة العربية إلى بعض تلك اللغات المذكورة.

- العربية كوسيلة مهمة في أداء العبادات المحتاجة إلى التلفظ، كالقراءة في الصلاة، والتلاوة والتلبية في الحج، والتلفظ بالأدعية والأذكار المأثورة وغيرها -.

وقد أثرت العربية في القراءات القرآنية، من حيث إن لكل قراءة دليلها المقنع في اللغة، لاسيما إذا كانت مثل هذه القراءة من القراءات الصحيحة.

ومن بين أوجه تأثير العربية في ثقافتنا: نزول القرآن دستور المسلمين نفسه باللغة العربية، وقد تكرر الإقرار بنزول القرآن بهذه اللغة العربية لحكمة التبين والتعقل والتدبر المحكم والتفصيل، فيما بلغ إحدى عشرة مرة (فصلت: ٤٤، الرعد: ٣٧، الرمز: ٢٨).

المطلب الثالث: التحديات اتي تواجه الثقافة العربية.

بدأت الحملات الغربية قديما وحديثا توجه إلى الثقافة العربية من خلال أرسخ الحصون وأقواها، وهو الإسلام نفسه، وقد حاولوا عدة مرات وما زالوا في محاولاتهم إلى التفرقة بين الدين والثقافة العربية، بل بين الإسلام واللغة التي أنزل بها دستور الأمة الإسلامية نفسها؛ أي: العربية.

[9] لقد واجهت اللغة العربية أقسى ألوان التحدي في سبيل القضاء عليها ومحاربتها، وتغليب العاميات الإقليمية عليها (اللهجات)، وبالجملة فإن التحديات الصادرة من قبل هؤلاء المغربين والمستشرقين تمثلت محاولاتهم في إيقاف اللغة العربية عن النمو في الأوطان الإسلامية، بما فيها الدول العربية وغير العربية، علما أنها هي لغة الفكر والثقافة والعبادة لدى هؤلاء المسلمين، الذين قد يبلغ عددهم حاضرا [١]. ٤ مليار، أيضا المحاولة المتواصلة في استبدال العامية بالفصحى في كثير من البلدان العربية، وكذلك السعي في خلق لغة وسطى بين العامية والفصحى؛ وذلك لإنزال مستوى الثقافة العامة إليها، وعزل اللسان العربي والثقافة عن مستوى القرآن الكريم من الفصاحة، ومحاولتهم في هدم دولة الإسلام والقضاء عليها، وقد سلكوا في تحقيق ذلك طريق تجزئة الأمة الإسلامية وتفتيتها، فأثاروا النعرات الإقليمية والقوميات، وجندوا لذلك أعوانا لهم داخل ديار المسلمين، كما أنهم حاولوا الإغارة على حضارة الإسلام وثقافته؛ سعيا وراء هدم عقائده وأفكاره، ونشر الأفكار الغربية بديلا عنها[٢]

هناك عدد من التحديات التي تواجه اللغة العربية والتي تؤدي إلى العديد من المعوقات أمام التقدم الذي تشهده. ومن أهم هذه التحديات التي تحدث عنها أحمد كنعان(٢٠١٢م) ما يلي:

١.عدم اهتمام معظم مجالات البحث العلمي باستخدام اللغة العربية كلغة خاصة في البحث الأكاديمي والعلمي مما أعاق تطورها الجيد.

٢.تأثير اللغات الغربية على اللغة العربية خاصة مع انتشار اللهجات بين العرب مما أدى إلى استبدال العديد من الكلمات العربية بأخرى من أصول غير عربية.

٣.عدم اهتمام التكنولوجيا الحديثة باللغة العربية التي اعتمدت على بناء تطبيقاتها وبرامجها على اللغة الإنجليزية واللغات العالمية الأخرى، أدى ذلك إلى عدم التفكير في ترجمة هذه التكنولوجيا إلى اللغة العربية.

٤.الاعتماد في بناء الفضاء الرقمي الإلكتروني على الإنترنت على الأرقام واللغة اللاتينية التي أصبحت المصمم الرئيسي للعديد من الصفحات الإلكترونية.

وهو ما لم يستخدم في اللغة العربية، رغم أنه من الممكن استخدام الحروف العربية في الكتابة الرقمية.

المبحث الثالث: اللغة العربية والدراسات الأدبية والثقافية.

المطلب الأول: الأدب العربي وتأثيره في التعليم:

من خلال المناهج الداعمة للغة العربية لابد من حصول الطلبة على القدر المناسب من الأدب العربي الملائم.

واللغة العربية تحمل موروثا غينا من الأدب والشعر والفن في التاريخ العربي، وتعلم اللغة العربية يمكن الطلبة استكشاف هذا الموروث الثقافي والتمتع بقراءة القصائد والروايات وغيرها من الأعمال الفنية العربية.

المطلب الثاني: تعلم اللغة العربية وفهم التراث الأدبي والثقافي للعرب:

تحتوي اللغة العربية على ثروة من التراث العلمي والأدبي والثقافي، والمكتبة الإسلامية تزخر بكم هائل من الثروة الفكرية والأدبية، وما على الأجيال إلا أن يستفيدوا منها ويضيفوا عليها ما استجد من علوم ومعارف في تراثنا الأدبي والثقافي.

المطلب الثالث: اللغة العربية وتطوير الوعي الثقافي لدى المتعلمين:

إن تعلم اللغة العربية يساهم في توسيع الوعي الثقافي وتطويره بما يخدم اللغة العربية وانتشارها على مستوى الأفراد وتعزيز التفاهم الثقافي، والاحترام المتبادل بين الثقافات المختلفة.

أهم نتائج الدراسة:

بعد النظر إلى ادبيات هذه الدراسة والدراسات السابقة خلصت هذه الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

١- من خلال النظر في الإطار النظري والدراسات السابقة أثبتت النتائج وجود ضعف وقصور لدى المتعلمين في مادة اللغة العربية في أكثر فروعها وبشكل كبير وملحوظ.
٢- وجود قصور في مناهج تعليم اللغة العربية وأنها لا تلبي احتياجات المتعلمين.
٣- كشفت النتائج القصور في سرعة المبادرة لتلافي أوجه الضعف الحاصل لدى المتعلمين.
٤- وجود ضعف في استخدام طرائق التدريس المتنوعة والوسائل التعليمية، والأنشطة المصاحبة والتدريبات الهامة.
٥- افتقار المناهج الحالية للأساليب المشوقة وطريقة عرضها في محتوى الكتب الدراسية لمادة اللغة العربية.

٦- أظهرت الدراسات والخلفية النظرية إلى أن المناهج الحالية لا تلبي احتياجات الدارسين والقصور في مراعاة الفروق الفردية.

أهم التوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة:

١- على الجهات المعنية والمسؤولة سرعة المبادرة في تقويم المناهج الحالية على يد خبراء متخصصون في المناهج وطرائق التدريس.

٢- بناء المناهج الدراسية وفق أسس علمية سليمة ومواكبتها لمستجدات العصر.

٣- النظر إلى الضعف الحاصل للمتعلمين من خلال التقارير التي ترفع إلى الجهات العليا واتخاذ أساليب ناجحة لمعالجة ذلك الضعف.

٤- نشر الوعي المجتمعي بأهمية اللغة العربية والاهتمام بها كتابة ونطقا.

٥- إدراك أصحاب القرار إلى حجم التآمر على اللغة العربية واتخاذ أساليب متنوعة لمعالجة ووقف ذلك التآمر الماكر على لغتنا العربية.

٦- تطوير وتحسين المناهج كلما دعت الحاجة إلى ذلك على ألا تزيد فترة التطوير والتحسين والجودة أكثر من خمس سنوات.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

المراجع

١. أحمد علي كنعان: اللغة العربية والتحديات المعاصرة وسبل معالجتها، ٢٠١٢م.

٢. أسماء فهمي عبد الرحمن: استخدام الأنشطة في مرحلة ما قبل الكتابة في تنمية فعالية مهارات التعبير الكتابي والتفكير الإبداعي لدى طلبة الصف الأول الثانوي، كلية التربية، العدد ١٨، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٣. إيمان أحمد النوري: صعوبات تعلم القراءة لدى تلاميذ الصف الرابع الأساسي وتصور مقترح لعلاجها، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٠م.

٤. توين مرتضى يحيى: أثر العربية في ثقافة المسلمين، مجلة: إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، ماليزيا: دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، ٢٠٠٧.

٥. ثريا حمود محجوب: برنامج تصور مقترح لعلاج بعض مظاهر العسر القرائي لأطفال الصف الخامس من التعليم الأساسي، كلية التربية، العدد٢، ٢٠٠٠م، جامعة عين شمس.

٦. جابر عبدالحميد جابر: اتجاهات وتجارب معاصرة في تقويم أداء التلميذ والمدرس، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، القاهرة.

٧. حاتم حسين البصيص: فعالية برنامج مقترح في تنمية بعض مهارات القراءة والكتابة لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية في ضوء استراتيجية الذكاءات المتعددة، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ٢٠٠٧م.

٨. حسن شحاته: المناهج الدراية بين النظرية والتطبيق، الدار العربية للكتاب،٢٠٠١م، القاهرة.

٩. حسني عبد الباري عصر: الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٥م، القاهرة.

١٠. راتب محمد عاشور المقدادي: المهارات القرائية والكتابية طرائق تدريسها واستراتيجياتها، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠٥م، عمان، الأردن.

١١. رحاب زناتي عبدالله: فعالية برنامج الكتابة التفاعلي في التمكن من بعض مهارات التعبير الكتابي، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٥م، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة عين شمس، القاهرة.

١٢. سارة عبدالرحيم الحمادي: فاعلية استخدام استراتيجيات ما وراء المعرفة في تنمية الفهم القرائي والوعي بما وراء المعرفة لدى تلاميذ الصف الثامن الأساسي، رسالة دكتوراه، جامعة تعز، الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٨م.

١٣. سعد علي زاير، صبا حامد حسين: معايير الجودة وتحسين تدريس اللغة العربية، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٢٠.

١٤. سعد علي زاير، سما تركي داخل: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، ٢٠١٥.

١٥. شايع سعود الشايع: أسلوب التعلم التعاوني ودوره في تحفيز الفهم القرائي لمادة اللغة العربية، جامعة الكويت، كلية التربية، الكويت، ٢٠٠٧م.

١٦. عصام علي مقداد: مستوى مهارات التذوق الادبي لدى معلمي اللغة العربية بالمرحلة اللأساسية العليا وعلاقته بمستوى الثقافة الإسلامية لديهم، رسالة ماجستير –غير منشورة– الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٨م.